الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الأمير عبد القادر
للعلوم الإسلامية _قسنطينة_
الرقم التسلسلي:.....
رقم التسجيل:.....

كلية الآداب والحضارة
قسم التاريخ

الزراعة والبستنة بأرياف المغرب الأوسط من القرن 5هـ إلى 10هـ/11_16م

أطروحة مقدمة لنيل درجة دكتوراه العلوم في التاريخ الوسيط

تخصص حضارة المغرب الأوسط في العصر الإسلامي

إعداد الطالبة:
عميور سكينة

إشراف:
أ.د/ يوسف عابد

أعضاء لجنة المناقشة :

الإسم واللقب	الرتبة	الجامعة الأصلية	الصفة
أ.د/علاوة عمارة	أستاذ التعليم العالي	جامعة الأمير عبد القادر _قسنطينة_	رئيسا
أ.د/ يوسف عابد	أستاذ التعليم العالي	جامعة الأمير عبد القادر _قسنطينة_	مشرفا ومقررا
د/ نصيرة عزرودي	أستاذ محاضر _أ_	جامعة الأمير عبد القادر _قسنطينة_	عضوا مناقشا
د/ سناء عطابي	أستاذ محاضر _أ_	جامعة 8 ماي 1945 _قالمة_	عضوا مناقشا
د/عبد المالك بكاي	أستاذ محاضر _أ_	جامعة محمد لمين دباغين _سطيف_	عضوا مناقشا
د/ محمد قويسم	أستاذ محاضر _أ_	جامعة 20 أوت 1955 _سكيكدة_	عضوا مناقشا

السنة الجامعية: 1442_1443هـ/2021_2022م

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

بسم الله الرحمن الرحيم

قال تعالى: ﴿ رَبِّ أَوْزِعْنِيَ أَنَ اَشْكُرَ نِعْمَتَكَ اَلتِى أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنَ اَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِى عِبَادِكَ اَلْصَّالِحِينَ ﴾ سورة النمل: الآية: 19.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

شكر و عرفان

أتوجه بشكري أولا وقبل كل شيء إلى ذي المنّة الرحمان الرحيم الذي أسبغ عليّ نعمه، وأنار سبيلي لطلب العلم، فلك ياربّ الحمد كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك.

ثم أتقدم بشكري العميق وتقديري واحترامي الكبيرين لأستاذي الجليل الدكتور "يوسف عابد"، الذي تفضّل بالإشراف على هذا العمل، ولم يبخل عليّ بوقته وتوجيهاته، وأمدني بنصائحه العلمية وأثرى هذا العمل بمناقشاته وتصويباته، طوال مراحل إنجاز هذه الأطروحة، منذ أن كانت مجرد مشروع إلى أن صارت إلى ماهي عليه اليوم.

كما أتقدم بالشكر الجزيل إلى أعضاء لجنة المناقشة ولهم مني فائق الاحترام والتقدير.

الطالبة: عميور سكينة

الإهداء

إلى من أفنيا شبابهما وأرهقا أيامهما وركبا الصعاب وبذلا الكثير من أجلي بالجهد والوقت والمال

إلى من لهما الفضل كل الفضل بعد الله سبحانه وتعالى بخروج هذا العمل

.....إلى أمي وأبي

مع فائق التقدير والاحترام

إلى أخواتي وإخوتي الأعزاء

إلى أبناء وبنات إخوتي الغاليين على قلبي

إلى كل من ساعدني من قريب أو من بعيد في هذا العمل

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

رموز البحث ومصطلحاته

د_ت: دون تاريخ.

ط: طبعة.

م: ميلادي.

هـ: هجري.

مج: مجلد.

و: وجه المخطوط.

ظ: ظهر المخطوط.

ش، و، ن، ت: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع.

د، م، ج: ديوان المطبوعات الجامعية.

/: إشارة بين التاريخ الهجري ومايقابله من التاريخ الميلادي وبين الجزء والصفحة من المصدر.

<<...>>: قول المؤلف بعد لفظ: قال، يقول، يذكر...إلخ.

"...": اقتباس مباشر.

(*): نجمة للتهميش.

A .E.S.C : Annales economie, société et civilisation.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

مقدمة

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الجزائر في العصور الوسطى ريف شاسع؛ إذ يشتمل المغرب الأوسط على قسم واسع من العالم الريفي الذي لا يزال لم تسلط عليه الأضواء بشكل كبير، ويعزى هذا الأمر بالدرجة الأولى إلى قلة الدراسات التي تعنى بالظاهرة الريفية لهذا المجال من جهة وافتقارها إلى القراءات ذات الصبغة الشمولية التي تعنى بالفلاحة والفلاحين طوال الفترة الوسيطة[1] من جهة ثانية.

والواقع أن المصادر الوسيطة كانت تتناول موضوع الزراعة والبستنة في إطار فلاحي تارة، ومرتبط بهذه المدينة أو تلك تارة أخرى، مما جعل المفاهيم المستخدمة في تلك المصادر مختلفة بطبيعتها ودلالاتها عن مفاهيم الفترة الحديثة خاصة ظاهرة البستنة التي باتت تحمل مدلولا مغايرا في عصرنا هذا.

لذلك يعتبر موضوع "**الزراعة والبستنة بأرياف المغرب الأوسط من القرن 5هـ إلى 10هـ/ 11_ 16م**" من الموضوعات الشائكة والمتشبعة لارتباطه بجوانب عديدة مثل ملكية الأرض، وله علاقة وطيدة بالحركة القبلية التي تؤثر على أنواع الملكية من جهة وتساعدنا على الحكم على هذه الحركات القبلية بأنها تعمير أو تهجير من جهة ثانية، ويرتبط هذا الموضوع أيضا بقضية المياه والعلاقة الجدلية المتعلقة بارتباط حياة الفلاحين بالأرض وتطور وضعيتها ومشاكل الزراعة وحياة الناس في الأرياف وتساعدنا في التعرف على الكيفية التي تسير عليها المجتمعات الزراعية المصغرة (micro société rurale).

ورغم صعوبة موضوع الريف فقد آثرت التعمق في موضوع الزراعة والبستنة عن طريق لم شتات النصوص المبعثرة في كتب النوازل والتراجم والسير، إلى جانب كتب الجغرافيا والرحلات المصدر الرئيسي لهذه الدراسة ولمّ شذرات قليلة من المصادر الإخبارية (كتب الحوليات التاريخية)، ولهذا اخترت هذا الموضوع خصوصا وأنه لم يحظ حسب علمي بدراسة وافية ومفصلة ما عدا بعض الاشارات المتناثرة هنا وهناك في المؤلفات والدراسات الأكاديمية الحديثة.

وعن **أسباب اختياري** لموضوع "**الزراعة والبستنة بأرياف المغرب الأوسط من القرن 5هـ إلى10هـ/11_16م**"؛ فلم تكن وليدة الصدفة وإنما تعود للنتائج العديدة التي توصلت إليها من خلال مذكرة الماجستير التي أنجزتها[2]، أين بدأ الاهتمام يتجه من العام إلى الخاص، بعدما عالجت الحياة الاقتصادية والاجتماعية لريف المغرب الأوسط خلال القرنين 5و6هـ/ 11_12م بشكل عام، وأردت التخصص في إحدى الفروع المهمة لهذه الدراسة وهي نشاط الزراعة والبستنة.

ولعل أبرز نتيجة توصلت إليها من دراستي السابقة هي تأثر النشاط الاقتصادي والاستقرار البشري بأرياف المغرب الأوسط بطبيعة التضاريس والمناخ السائد بها ولهذا فقد أردت أن أبيّن أن هناك قسم كبير

---

[1] _محمد حسن: **القبائل والأرياف المغربية في العصر الوسيط**، دار الرياح الأربع للنشر، تونس، 1986م، ص ص: 28_29.

[2] _ سكينة عميور: **ريف المغرب الأوسط في القرنين 5و6هـ/11_12م، دراسة اقتصادية واجتماعية**، مذكرة الماجستير في التاريخ، تخصص تاريخ الريف والبادية، اشراف ابراهيم بحاز، جامعة قسنطينة 02، السنة الجامعية 1433_1434هـ/ 2012/2013م.

من سكان المغرب الأوسط قد مارسوا النشاط الفلاحي من زراعة وبستنة إضافة إلى نشاط الرعي كعنصر مكمل للنشاط الأول.

وتبين لي أيضا ذلك الحضور المهم لنشاط الزراعة والبستنة وتأثيرها القوي على مجريات الأحداث وعلى عدة مستويات: الحصار أثناء الحروب، تدعيم وتجييش الجيوش، الصناعة الحرفية، التجارة والضرائب....إلخ.

ومن أسباب اختياري لهذا الموضوع أيضا قلة الدراسات التنظيرية؛ فباستثناء ابن خلدون الذي أشار إلى أن الحياة الريفية تسبق الحياة المدنية: البدو أصل للمدن والحضر، وإن كان هذا التطور أحيانا يتسم ببطئ لعوامل عديدة: طبيعية وبشرية...الخ، فإنني لا أجد إلاّ النزر القليل من المؤلفات التي تدرس تاريخ ريف المغرب الأوسط.

ووجدت أنه من المفيد بحث نشاط الزراعة والبستنة كعنصر أساسي يقوم عليه النشاط الاقتصادي؛ ولعل ما يعزى للمغرب الأوسط (الجزائر) في الفترة المذكورة من الرخاء الحضاري إنما مرده إلى ذلك الريف لذلك فقد أردت البحث في هذه الدراسة وإثبات أن أرياف المغرب الأوسط كانت غنية بالمنتوجات الزراعية والبستنية.

كما أنّ التحولات الجذرية التي عاشها المغرب الأوسط بحواضره وأريافه هو ما دعاني إلى محاولة رصد التطورات التي عرفها النشاط الفلاحي من القرن 5هـ إلى 10هـ/ 11_16م، ولعل ذكر بعض الأرياف الشمالية وحتى الواحات الجنوبية واشتهارها ببعض المحاصيل واقترانها بالحواضر التابعة لها مثل:القلعة[1]،

عنابة[2]، بجاية[3]...الخ، قد دفعني للبحث والتنقيب لإبراز الأهمية الفلاحية لباقي المناطق الريفية الأخرى، خصوصا وأن جميع كتب الجغرافيا والرحلات التي تحدثت عن المغرب الأوسط من بدايته إلى نهايته، قد أشارت إلى الأهمية الفلاحية وخصب الأراضي لمعظم المناطق الريفية وهذا دليل قاطع على أن المجتمع في تلك الفترة كان مجتمعا زراعيا، لذلك فدراسة الزراعة والبستنة تعد نقطة جوهرية في دراسة تطور هذه الأوضاع وتلك التحولات.

لقد عاش المغرب الأوسط طيلة الخمسة قرون هذه؛ في كنف دول موحدة تارة ومستقلة ومتناثرة تارة أخرى مما أدخلها في صراعات داخلية وخارجية؛ قبلية كانت أو بين القبائل والدول الحاكمة ولعل هذا

---

[1]_عبد العزيز فيلالي: **قلعة بني حماد، الحاضرة الاقتصادية والثقافية للمغرب الأوسط خلال القرن 5هـ/11م**، مجلة كلية الآداب والعلوم الانسانية، جامعة الأمير عبد القادر، المطبعة العربية، غرداية، العدد7، 2006م، ص ص:10_14.

[2]_رشيد بورويبة: **عنابة من الفتح الاسلامي إلى أواخر العهد الموحدي**، مجلة الأصالة، مكتبة البعث، قسنطينة، العدد 34_35، 1396هـ/ 1976م، ص ص: 167_172، ليلي الصباغ: **عنابة، اسمها، موقعها علاقتها مع العالم المتوسطي حتى الاحتلال الفرنسي**، نفس المجلة والعدد، ص ص:144_153.

[3]_ موسى لقبال: **ميزات بجاية وأهمية دورها في مسيرة تاريخ المغرب الأوسط في العصور الوسطى**، مجلة الأصالة، العدد19، 1394هـ/ 1974م، ص ص: 4_10، إسماعيل العربي: **بجاية من خلال النصوص العربية**، نفس المجلة والعدد، ص ص: 77_81.

الأمر قد أثر بشكل واضح على البُنى الاقتصادية والاجتماعية المكونة لمجتمع المغرب الأوسط وخاصة الريفية منها، وبالتالي على إنتاجها الاقتصادي عموما.

لذلك فقد آن الأوان لولوج دراسة الريف ونشاط الزراعة والبستنة كنشاط ريفي بالتحديد، دراسة تتصف بالعمق والجدوى من أجل التمكن من رؤية الأحداث بوضوح وإثبات أنّ الاقتصاد الريفي هو اقتصاد متشعب ومتكامل النشاطات بين الزراعة، الحرف والتجارة وإدراك طبيعة العلاقات الاقتصادية في استغلال الأراضي وتبيين خصائصها بالإضافة إلى محاولة إلقاء الضوء على طبيعة التنظيمات والتقنيات الفلاحية كما وُجِدت تاريخيا، ومثلما تُصوّرها المصادر التاريخية (كتب النوازل،المناقب...)، ومحاولة الإحاطة بالإبتكارات والتنظيمات التي ظهرت بأرياف المغرب الأوسط خلال هذه الفترة.

ومن بين **الأهداف** الأساسية لهذه الدراسة هي:

- التعرف على الأسباب والظروف المتحكمة في اقتصاد الريف وأنشطته الفلاحية كما سأحاول التعرف بعون الله على مصير ثروات الريف في ظل الظروف التي عاشها المغرب الأوسط خلال الفترة قيد الدراسة، والكيفية التي عالج وتعامل بها الفقهاء مع سكان الريف وجميع قضاياهم المتعلقة بالنشاط الفلاحي.
- محاولة رصد التغيرات التي طرأت على خريطة الشبكة الهيدروغرافية والمحاصيل الزراعية والبستنية خلال الفترة الممتدة من القرن (5_10هـ/11_16م)، ومطابقتها مع أيامنا اليوم للتأكد من حدوث انقطاع أو استمرارية في الانتاج وحصر الأسباب المساهمة في مختلف التغيرات إن وُجِدت.
- وتسعى هذه الدراسة إلى المزيد من التدقيق والتحري في المفاهيم (الفرق بين الريف والبادية وعلاقة كل مجال بالآخر وكذلك علاقتهم بالمدينة) والنماذج (اكتفاء ذاتي، زراعة معاشية، أرياف متقوقعة، مدينة تعيش على الريف...الخ) للفصل بين المستوى المعرفي في دراسة الظواهر (ثراء المدينة من ثراء الأرياف) وبين المستوى الإيديولوجي (بدو همج، قطاع الطرق، دمار هلالي شامل، انتشار نمط التبدي...الخ) وتأثير إسقاطات النزعة المركزية من جهة أخرى.

والتعرف على حياة الريف خلال هذه المدة الطويلة تندرج في إطار استعراض تاريخ المغرب أو ما ينطوي عليه من أمجاد وانجازات وأحداث هامة، وبما أن الحديث لا يمكن أن يتسع لكل هذا **الاطار الزماني** فقد ارتأيت حصره في الفترة الممتدة من القرن 5هـ إلى 10هـ/11_16م أي منذ تأسيس الدولة الحمادية عام 405هـ/1014م إلى غاية نهاية فترة حكم الدول الثلاث:(الدولة الحفصية 981هـ/1573م، الدولة الزيانية 957هـ/1562م، الدولة المرينية869هـ/1465م)، بدليل أن المغرب الأوسط شهد تجاذبا بين الحفصيين والزيانيين وأحيانا مع المرنيين.

أما **الإطار المكاني** فيشمل المغرب الأوسط (الجزائر حاليا)؛ رغم صعوبة ضبط الحدود نتيجة للحركة القبلية وامتداد هذه الدولة أو تلك على مجال المغرب الأوسط في فترات ضعف الدول التي حكمت خلال

تلك الفترة، لذلك فإنني سأتعامل مع حدود الجزائر الحالية، واستنبط المعلومات المتعلقة بموضوع الزراعة والبستنة وجميع الجوانب المحيطة بالموضوع من هنا وهناك.

تعالج **إشكالية الدراسة** موضوع "الزراعة والبستنة طيلة النصف الثاني من العصر الوسيط"، كنشاط مهم يقع على عاتق الريف بالأساس، للوقوف على مختلف العوامل والتحولات المؤثرة في هذين النشاطين، مع محاولة الكشف على خريطة الشبكة الهيدروغرافية وحالة نظام الري بالأرياف، وتسليط الضوء على التقنيات المائية المستخدمة من قبل السكان، والطرق المستخدمة في عمليات الحرث والغرس والحصاد حتى جني المحاصيل والثمار.

وتسعى هذه الدراسة للكشف عن خريطة المحاصيل الزراعية والبستنية خلال الفترة الممتدة من القرن 5_10هـ/ 11_16م، للوقوف على طبيعة المنتجات الزراعية والبستنية التي اشتهرت بها أرياف المغرب الأوسط، ومدى تغلب كل نشاط على الآخر.

ومن خلال هذه الاشكالية العامة سأحاول الإجابة على جملة من التساؤلات أو الإشكالات الفرعية المطروحة بخصوصه وهي:

- هل المناطق الريفية المقترنة بأشهر الحواضر كانت المصدر الأساسي للإنتاج الزراعي والبستني؟ وما مصير باقي المناطق الريفية المهمشة؟
- هل كانت أريافنا متقوقعة على نفسها وباقتصادها؟ أم كانت هناك علاقات تجارية بينها وبين حواضر المغرب الوسط؟، وإذا كان الأمر كذلك؛ فهل كانت الأرياف مسيرة من قبل الدولة أو ملاك كبار وضعوا أيديهم على منتجات الريف الزراعية والبستنية؟ وأين كانت تقف حدود السلطة في تسيير هذين النشاطين؟

_ هل المشهد الريفي بالمغرب الأوسط قد تغيرت ملامحه طيلة هذه الفترة (قرى، منازل، عمائر، حصون...)؟ وإلى أي مدى أثرت هذه التغيرات على نشاط الزراعة والبستنة؟

- وفي إطار هذه الظاهرة؛ إلى أي مدى استوعبت المصادر النوازلية معطيات هذا المجال الريفي، الذي يمتاز بسيادة نظام العرف في جميع المعاملات والأنظمة (مياه، استغلال الأرض، بيوع،...إلخ)؟

والدراسات السابقة التي تناولت موضوع الزراعة والبستنة بأرياف المغرب الأوسط محدودة جدا وقليلة ويعزى الأمر لشح المعلومات المتعلقة بتاريخ الريف، فمن الدراسات التي عالجت المسألة الزراعية تلك التي أنجزتها Elise Voguet الموسومة بـ: Le monde rural du Maghreb central (14e_15e) siécles, réalités sociales et constructions juridiques d'après les Nawazil Mazuna[1] فعند تناولها لتاريخ الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية للفضاء الريفي لبلاد المغرب الأوسط من خلال نوازل المغيلي؛ تطرقت ضمن الفصل الثاني من القسم الثاني لموضوع الزراعة

[1]–Juin 2014, Publications de la Sorbonne, 512p.

والبستنة، حيث ركزت هذه المؤرخة على أهمية استغلال الأرض وفق الأعراف والتقاليد السائدة، بالإضافة إلى أشكال الإستغلال في إطار عقود المغارسة والمساقاة والمزارعة، مع استعراضها للمنتجات الريفية من حبوب ومنتجات بستنية، والنباتات النسيجية مثل الكتان والقطن،...إلخ.

وتناولت أيضا موضوع الري الريفي وعمليات الطحن والتخزين مع استعراضها للسلع الريفية التي تدخل ضمن المبادلات التجارية بأسواق البادية وعن طريق القوافل التجارية[1].

ومن الدراسات أيضا تلك التي أنجزها موسى هواري بعنوان: "**تقنيات الزراعة ببلاد المغرب من الفتح الاسلامي إلى سقوط دولة الموحدين (ق1_7هـ/7_13م)**[2]، حيث عالج فيها مسألة التقنيات والطرق التي طبقها الفلاحون ببلاد المغرب من الفتح الإسلامي للمنطقة حتى سقوط دولة الموحدين، كما تطرق لمختلف الأعمال الزراعية التي يقوم بها الفلاح بدءا بتحضير الأرض وتهيئتها ثم البذر والغرس وكذلك السقي وصولا إلى الحصاد وجني المحاصيل وتخزين الحبوب وتجفيف الثمار.

وقد أفادتني هذه الدراسة ولو بشكل جزئي ضمن مجال المغرب الأوسط وفترة قرنين من الدراسة (5_7هـ/11_13م).

أما عن المقالات والأبحاث التي تناولت موضوع الزراعة والبستنة بالمغرب الوسيط نجد مقال محمد حسن[3]، الذي تناول فيه وسائل الانتاج الفلاحي من أرض، زريعة، الطاقة الحيوانية والأدوات الفلاحية، وهذه العناصر جميعا ضرورية وهامة بالنسبة لموضوع الدراسة وإن كان هذا المقال يغطي فقط أواخر العصر الوسيط _ عصر الونشريسي بالذات _.

وعالجت هلا محمد غسان قصقص في مقالها الموسوم ب: "**ابن العوام وكتاب الفلاحة: دراسة في مفهوم الحديقة الاسلامية**"[4]، موضوع البستنة وغراسة الشجر حيث استعرضت الجانب الزراعي والتقني في تصميم الحديقة الإسلامية كمصطلح مرادف للبساتين والرياض والأجنة التي تُعنى بغراسة الشجر وكيفية العناية به من اختيار نوع الأرض وتوفير المياه، وتقليم الشجر...إلخ.

وقد أفادني هذا المقال كثيرا من حيث الطريقة المنهجية في معالجة الموضوع من خلفية فلاحية بالإضافة إلى الملاحظات الهامة التي قامت المؤلفة باستقائها من كتاب ابن العوام والتي ساعدتني كثيرا في ضبط موضوع الدراسة وخاصة قسم البستنة.

---

[1] _حول مضمون هذا الكتاب يمكن العودة للمواقع التالية: diwan.hypotheses.org، وأيضا موقع: academia.edu

[2] _دكتوراه دولة، إشراف محمد بن عميرة ، جامعة الجزائر 2، كلية العلوم الانسانية، السنة الجامعية 2016/2015م.

[3] _**الريف المغربي في أواخر العصر الوسيط مدخل لدراسته من خلال نوازل الونشريسي**، مقال ضمن الملتقى الذي أقيم بوهران أيام: 26_27_28 نوفمبر 1983م، تحت عنوان: Le monde rural magrebin ,communautès et stratifications sociales,acte du3 °eme congrès d'histoire et de la civilization du magreb,tome1,O,P,U,Alger,p.91_118.

[4] _ مقال ضمن IMG,journal of national and engineering studies,peer reviewed, journal of Islamic university,Gaza,2014,Vol,22,N=02.

لقد تناول عبد الغني حروز في مقال "**الانتاج الزراعي في المغرب الأوسط من خلال كتاب المعيار للونشريسي**"[1]، النشاط الفلاحي من زراعة وبستنة ببلاد المغرب الأوسط مشيرا إلى العديد من المناطق المشتهرة بها اعتمادا على العديد من الرحالة والجغرافيين مثل البكري والإدريسي والوزان،...إلخ، أين حاول إسقاط هذه المنتجات على نماذج من فتاوى الونشريسي خصوصا ما تعلق ببيعها وطريقة زراعتها، واستئجار الفلاحين لجني بعض المحاصيل.

لكنه أهمل العديد من المسائل المتعلقة بالموضوع مثل التقنيات الفلاحية وطريقة استغلال الأراضي في إطار عقود المزارعة والمغارسة والمساقاة التي كانت مغيّبة في هذا المقال، رغم كثرتها في مؤلف المعيار.

وعالج محمد قويسم موضوع "**الزراعة في منطقة الأوراس في العصر الوسيط من خلال كتب الرحلة والجغرافيا**"[2]، بشكل دقيق مع التركيز على العديد من النقاط المهمة والمتعلقة بالموضوع: العوامل المساعدة على انتعاش النشاط الزراعي بالمنطقة، مركزا على مدن وأرياف منطقة الأوراس واشتهارها بمختلف المنتجات الزراعية والبستنية اعتمادا على المصادر الجغرافية، منوّها لعوامل ازدهار البستنة على حساب الزراعة في عهد البكري، ليتغير هذا النشاط فيما بعد لكنه لم يتوسع في الحديث عن التقنيات المستخدمة، وهو أمر طبيعي لغياب هذا الموضوع في أغلب المصادر الجغرافية.

والدراسات حول الإنتاج البستني قد حظيت هي الأخرى بعناية معتبرة من قبل العديد من الباحثين، وقد أفادني مقال نوال بلمدني الموسوم بـ: "**النحل وإنتاج العسل ببلاد المغرب الأوسط خلال العصر الوسيط**"[3]، في معالجة موضوع البستنة حيث أكدت على ازدهار تربية النحل خلال فترة دراستي بدليل انتشار البساتين والأزهار في مختلف ربوع المغرب الأوسط وكذلك المياه، وإشارتها لأنواع العسل قد أفادتني أيضا في التعرف على العديد من أنواع الأزهار والنباتات البرّية أو المزروعة أو من الأشجار بالإضافة إلى التقنيات المستخدمة خلال فترة تلقيح الزهور عن طريق حبوب الطلع.

كما عُنيت الكثير من الملتقيات بدراسة موضوع الفلاحة بشقيه المشرقي والمغربي ولعل أبرزها ما تم طبعه بعنوان: "**إسهامات العرب في علم الفلاحة**"[4]، الذي احتوى على مقالات قيمة وثرية[5] والتي

---

[1]_مقال ضمن دورية كان التاريخية، دار ناشري للنشر الإلكتروني، الكويت، أرشيف الأنترنيت الرقمي، العدد 29، سبتمبر 2015م، ص ص:126_131.

[2]_مقال ضمن دورية كان التاريخية، العدد 21، سبتمبر 2013م، ص ص:100_104.

[3]_مقال ضمن مجلة عصور الجديدة، جامعة وهران، الجزائر، العدد 14_ 15، صيف وخريف أكتوبر 1435هـ/2014م، ص ص: 180_195.

[4]_**الندوة العالمية الثالثة لتاريخ العلوم عند العرب**، بالكويت من 10_14 ديسمبر 1983م، ط1، مؤسسة الكويت للتقدم العلمي، الكويت، 1408هـ/1988م.

[5]_من بين تلك المقالات نجد: _محمد مروان السبع: أسس الزراعة ونظمها عند العرب، ص ص: 93_107.

_محمد الفايز: الأفكار الاقتصادية والاجتماعية في كتب الفلاحة العربية انطلاقا من الفلاحة النبطية، ص ص:123_153.

_محمد سويسي: مسائل الري والفلاحة في المغرب العربي عبر العصور، ص ص: 265_280.

_عبد اللطيف عبيد: المدرسة الفلاحية بالأندلس في القرنين 5و6هـ، ص ص:403_425.

أفادتني كثيرا في الجانب المنهجي وترتيب عناصر دراستي، رغم اهتمام غالبيتها ببلاد العرب والمشرق عموما، إلى جانب تركيزها على الجانب التنظيري في إطار الحديث عن "المدارس الفلاحية ببلاد الأندلس".

لذلك فموضوع الزراعة والبستنة لم يُعالج كموضوع مستقل بذاته، ولم تُسلط عليه الأضواء بدرجة كبيرة وهو ما دفعني لدراسته.

واعتمدت في هذه الدراسة على المنهج التاريخي الذي يعتمد على الوثائق، وذلك من خلال استقراء وتحليل النصوص التاريخية المستقاة من المصادر العديدة التي اضطلعت عليها، فتعددت المناهج التي اعتمدت عليها تبعا لتعدد تلك المصادر (كتب الرحلة، المناقب، النوازل، كتب التاريخ العام والحوليات ...إلخ).

فاستعنت **بالمنهج الوصفي** لأن دراستي اعتمدت بشكل كبير على كتب الجغرافيا والرحلات، التي وفرّت لي مادة غزيرة عن المنتوجات الزراعية والبستنية بأرياف المغرب الأوسط وصفات القرى من حيث الكبر والصغر ومدى ثرائها بالمحاصيل والغلال المتنوعة.

وساعدتني هذه المصادر أيضا في اعتماد **المنهج الكمي (الإحصائي)** لنجاعة هذا النوع من المناهج في تسهيل المقارنة، فقمت بحصر الحقول والبساتين والمزارع لمعرفة مدى تطور أو تراجع هذا المنتوج أو ذاك لإبراز مدى ثراء الأرياف، وخصوصيات كل منطقة ريفية بالإضافة إلى إحصاء القرى والحصون لمعرفة الكثافة السكانية بها، مع الإعتماد على نماذج محددة من الشمال والوسط والجنوب لتجنب التكرار.

واعتمدت في تحرير هذه الأطروحة أيضا على منهجية علمية قائمة على المقارنة بين ما جاء في كتب الجغرافيا والرحلات وبين ما ورد في المصادر الأخرى مثل: كتب النوازل والطبقات والتراجم وكتب التصوف والمناقب، هذه الذخائر المهمة التي لا تعتمد على الأحداث السياسية والنزاعات والحروب وإنما تمتاز بإلقائها الضوء على العامة والسواد بمختلف تفاصيلها بعيدا عن بلاطات الملوك وأصحاب الجاه والسلطة.

وقد حاولت طيلة هذا البحث اعتماد التحليل والتدقيق والتحري في الاستنتاج تارة وتفنيد بعض المزاعم أو إثبات ما رأيته صحيحا تارة أخرى، من خلال إنجاز جداول لمناطق الإنتاج الزراعي والبستني للوقوف على العوامل المساهمة في ازدهارها أو تراجعها، مع التركيز على تفسير العديد من القضايا الاقتصادية المتعلقة بمجال الدراسة خصوصا عند الحديث عن العوامل المساهمة في تراجع الإنتاج الزراعي والبستني في مناطق دون أخرى، أو عند معالجة المسألة الزراعية المرتبطة بالأرض وحيازة المجال الزراعي واستغلاله والتصرف فيه...الخ.

ولما كانت هذه الدراسة تمس الجانب الاقتصادي فلا بد من وضع أولويات للمصادر التي اعتمدت عليها حسب أهميتها لموضوع الزراعة والبستنة وهذه المصادر هي:

كتب الجغرافيا والرحلات: شكلت كتب المسالك والرحلة وبقية المصنفات الجغرافية حجر الزاوية لهذه الدراسة، فقد أفادتني في تحديد الأماكن والتعريف بها وبإنتاجها الزراعي والبستني، ومقابلة المادة الجغرافية بعضها ببعض للتعرف على حجم التغيرات التي حدثت ببلاد المغرب الأوسط بمجالاته الحضرية والريفية.

لقد اعتمدت بالدرجة الأولى على مؤلف أبو عبيد البكري(ت487هـ/ 1094م) الموسوم بـ "**المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب**"[1] الذي أفادني بمختلف المنتجات الريف زراعية كانت أو بستنية، وإن قرن أغلب هذه المنتجات بالمدن، كما أن هذا المؤلف لم يذكر لفظ البادية في عصره مما يؤكد على ازدهار بلاد المغرب الأوسط خلال هذه الفترة من جهة، كما أنه فتح لي باب التساؤل عمّا ورد عن الخراب المتزامن مع وصول الهلاليين خصوصا، علما أنّ بلاد المغرب الأوسط قد دخلها الهلاليون بعد معركة سبيبة بناحية سطيف عام 547هـ/1152م.

كتاب "**القارة الافريقية وجزيرة الأندلس عن نزهة المشتاق في اختراق الآفاق**" لأبي عبد الله محمد الشريف السبتي المعروف بالإدريسي (توفي حوالي 548هـ/1154م)[2]، وهو من كتاب القرن 6هـ/12م الذي أعطاني صورة واضحة للمنتجات الزراعية والبستنية لأرياف المغرب الأوسط وبواديه، وبعكس البكري فهو يصف لنا أهم القرى بالمغرب الأوسط وحالتها الاقتصادية والاجتماعية بشكل مفصّل، كما أمدني بمعلومات هامة حول استقرار القبائل العربية وأنشطتها الاقتصادية وأهم المناطق الريفية التي تعرضت للتخريب والتدمير من قبل هذه القبائل.

ورحلة النميري المسماة بـ"**فيض العباب**"[3]، الذي أشار مؤلفها لثراء أرياف مناطق الواحات الشرقية لبلاد المغرب الأوسط بالإنتاج البستني، حيث ينفرد بالوصف المفصّل والدقيق لمختلف البساتين والمزارع، وكيف كان للأعراب حضور هام ومؤثر في مجريات أحداث القرن8هـ/14م ببروز إقطاعيات داخل الدولة الواحدة والتي تفسر تخوّف أبا عنان من هؤلاء.

وكتاب الحسن الوزان(توفي بعد 957هـ/1559م) المعروف بـ:"**وصف إفريقيا**"[4]، الذي أفادني بمعلومات قيمة جدا عن ممارسة سكان الأرياف للزراعة والبستنة وكان دقيقا في معطياته خاصة ما تعلق بالمناطق الجبلية التي أهملت ذكرها أغلب المصادر؛ جغرافية كانت أو غيرها.

كتب الطب والفلاحة والطبيخ: التي يطلق عليها إسم "كتب الصناعات العلمية".

❖ **كتب الطب:** أفادتني في التعرف على مختلف أنواع النباتات سواء كانت استهلاكية (طبية وغذائية،

---

[1] _ **وهو جزء من كتاب المسالك والممالك**، مكتبة المثنى، بغداد، (د_ت).

[2] _ تحقيق وتعليق اسماعيل العربي، د.م.ج، الجزائر، 1983م.

[3] _ابن الحاج أبراهيم بن عبد الله الغرناطي: **فيض العباب وإفاضة قداح الآداب في الحركة السعيدة إلى قسنطينة والزاب**، دراسة وإعداد محمد بن شقرون، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1990م.

[4] _ بن محمد المعروف بليون الافريقي: **وصف افريقيا**، ترجمة محمد حجي ومحمد الأخضر، ط2، دار الغرب الاسلامي، بيروت، لبنان، 1983م، 2ج.

حبوب، خضر، فواكه...الخ) أو صناعية، بل حتى النباتات الضارة التي تهدد النشاط الزراعي والبستني وخصائص كل نوع منها، ومناطق تواجدها في مختلف المناطق الريفية بالمغرب الأوسط ولعل أهمها كتاب "**الجامع لمفردات الأدوية والأغذية**" لابن البيطار (ت646هـ /1248م)[1]، و"**المعتمد في الأدوية المفردة**"، للغساني التركماني (ت694هـ/1295م)[2]، و"**حديقة الأزهار في ماهية العشب والعقار**" للغساني الشهير بالوزير (ت1019هـ/1611م)[3].

❖ **كتب الفلاحة:** بالرغم من أن جميع المصادر المعتمدة في هذا المجال هي مصادر أندلسية بالأساس إلا أنني اعتمدت عليها بشكل مباشر لعدة اعتبارات منها:

- تشابه البيئة الطبيعية (تضاريس ومناخ) في مختلف بقاع الغرب الإسلامي الوسيط سواء كانت شمال إفريقيا أو بلاد الأندلس.
- رغم اختلاف أزمان الكتب إلاّ أنّها كانت مفيدة، ذلك أن الطرق والتقنيات المستخدمة في نشاطي الزراعة والبستنة وبالأرياف خصوصا كانت بطيئة التطور، كما أن قيمتها تكمن في تناولها للجانبين النظري والواقع الممارس ضمن هذين النشاطين.
- شهادة الوزان[4] في هذا الإطار حيث ذكر بأن فلاحي شمال إفريقيا كانوا يعتمدون على قواعد فلاحية والتي استخلصوها من كتب الفلاحة اللاتينية المترجمة إلى العربية ولعل أهمها "كنز الفلاحة" المترجم من اللاتينية إلى العربية، كما تعجب من وجود هذا العدد من الكتب الفلاحية المترجمة عن اللاتينية عند الأفارقة في حين افتقدت الآن عند اللاتين.

وعموما أفادتني هذه الكتب كثيرا فيما يتعلق بالأعمال الزراعية والبستنية من إختيار نوع التربة والمياه وأوقات الزراعات والغراسات والتقنيات الزراعية (تزبيل، تركيب وتطعيم الأشجار...الخ)، وكيفية التعامل مع مختلف أنواع الأشجار، ومن أهمها كتاب **الفلاحة الأندلسية** لابن العوام (ت539هـ/ 1146م)[5]؛ الذي يعتبر المرجع الفلاحي الأكثر شمولا لأنه جمع جميع المعرفة المتعلقة في الزراعة والبستنة وتربية الحيوانات في ذلك الوقت داخل خلاصة وافية لمقتطفات من جميع الكتب والتقاليد الزراعية السابقة، حيث أفادني على وجه التحديد بتقنيات غراسة الأشجار المثمرة.

---

[1]_ ضياء الدين، أبي محمد عبد الله بن أحمد الأندلسي المالقى، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1412هـ/1992م،4ج.

[2]_يوسف بن عمر بن علي، ضبطه وصححه محمود عمر الدمياطي، ط1، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1421هـ/2000م، 2ج.

[3]_القاسم بن محمد بن ابراهيم، حققه وعلق على حواشيه ووضع فهارسه محمد العربي الخطابي، ط1، ط2، دار الغرب الاسلامي بيروت، لبنان، 1405هـ/1985م، 1410هـ/1990م.

[4]_**المصدر السابق**، 1/79_80.

[5]_ أبو زكريا يحي بن محمد بن أحمد، تحقيق أنور أبو سويلم وآخرون، ط1، منشورات مجمع اللغة العربية الأردني، عمان، الأردن، 1433هـ/2012م، 7ج.

وكتاب "**الفلاحة**" لأبي الخير الإشبيلي(ت575هـ/1179م)[1]؛ الذي أفادني كثيرا في الجانب الزراعي (زراعة الحبوب والبذور عموما بالإضافة إلى تذكير الشجر.

كتب الفقه والأحكام والنوازل:

كتب الفقه والأحكام: من أهم مدونات الفقه المالكي التي اعتمدتها هي: "**المدونة الكبرى**" برواية سحنون (ت240هـ/854م)[2]، و"**النوادر والزيادات**" لابن أبي زيد القيرواني (ت386هـ/997م)[3]، بالإضافة إلى "**الأحكام الكبرى**" لابن سهل(ت486هـ/1093م)[4] **ونوازل ابن رشد الجد**(ت520هـ/1126م)[5]، ورغم أنها مجاميع خاصة بالأندلس إلاّ أنها تشبه إلى حد كبير كتب الفتاوى المغربية من حيث المسائل الواردة فيه واعتمادها أساسا على الفقه المالكي.

"**كتاب الأموال**" للداودي (ت402هـ/1011م)[6]، الذي امتاز مؤلفه بإعطاء حلولا إسلامية موثوقة في ظل الصراع المذهبي والسياسي، وأورد آراء قيمة لاجتهادات أئمة المذاهب الأربعة وغيرهم من الفقهاء التابعين مما أعطى الكتاب أهمية من الجانب النظري والعملي، وأثبت الكتاب أيضا على نجاح تطبيق المنهج النظري في السياسة الاقتصادية في المغرب الإسلامي[7].

بالإضافة إلى كتب الفقه الإباضي وأخص بالذكر كتاب "**القسمة وأصول الأراضين**" للفرسطائي (ت504هـ/1110م)[8]، الذي عالج مسائل قسمة الدور والأراضي والمياه، ومسائل العمارة وإصلاح الأرض، والقوانين المنظمة لذلك ومشاكل شق الطرق وحفر الآبار، وبناء القصور وتوزيع الأرض بين المجموعات الريفية وغيرها من المسائل التي على علاقة مباشرة بالزراعة والبستنة بواحات الجنوب الشرقي لبلاد المغرب الأوسط.

---

[1] _أبو بكر محمد بن خير بن عمر الأموي، ملتزم طبعه على نفقة القاضي سيدي التهامي الناصري الجعفري، ط1، المطبعة الجديدة، شارع الطالعة، فاس، 1357هـ.

[2]_بن سعيد التنوخي، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1415هـ/1994م، 4ج.

[3]_أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن: **النوادر والزيادات على ما في المدونة من غيرها من الأمهات**، مج6: تحقيق عبد الله المرابط الترغي، محمد بن العزيز الدباغ، مج7، مج11: تحقيق محمد عبد العزيز الدباغ، مج10: تحقيق محمد الأمين بوخبزة، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1999م.

[4]_ أبو الأصبغ عيسى بن عبد الله الأسدي الجياني: **ديوان الأحكام الكبرى أو الإعلام بنوازل الأحكام وقطر من سير الحكام**، تحقيق يحي مراد، دار الحديث، القاهرة، 1428هـ/2007م.

[5]_أبو الوليد محمد بن أحمد بن أحمد القرطبي المالكي: **فتاوى ابن رشد**، تقديم وتحقيق وجمع وتعليق: المختار بن الطاهر التليلي، ط1، دار الغرب الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1407هـ/1987م، 3ج.

[6]_أبو جعفر أحمد بن نصر المالكي، تحقيق ودراسة ومقارنة: رضا محمد سالم شحادة، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2008م.

[7]_أنظر: قسم الدراسة من الباب الثالث **لكتاب الأموال**، ص:77.

[8]_أبو العباس أحمد بن محمد بن بكر النفوسي، كتاب في فقه العمارة الإسلامية، تحقيق وتعليق وتقديم: بكير بن محمد بن الشيخ بلحاج، محمد صالح ناصر، ط2، جمعية التراث، القرارة، غرداية، 1418هـ/1997م.

كتب النوازل (مجاميع الفتاوى الفقهية): شكل هذا النوع من المؤلفات العمود الفقري لدراستي ذلك أنها تعتبر إنتاج مغاربي متميز كما وكيفا، في ظل المذهب المالكي وأدلته الشرعية[1]، أين لعب العرف دورا هاما من خلال دمج العالم الريفي في الخطاب الفقهي الحضري، مثل معالجة ملكية الأراضي، تنظيم العمل الزراعي بالأقاليم الريفية (عقود المغارسة، المزارعة، المياه،....)[2].

ومن أهم هذه المصنفات تلك التي أُلّف أغلبها عند نهاية القرن9هـ/15م، فمنها:"**جامع مسائل الأحكام لما نزل من القضايا بالمفتين والحكام**" للبرزلي (ت841هـ/ 1438م)[3] المعاصر للمغيلي، الذي عالج قضايا تهم النشاط الزراعي والبستني وما يميز مؤلفه أنه دائما ينظر للأعراب نظرة استهجان ومواقف الشدة من تلك المجموعات الريفية.

"**الدرر المكنونة في نوازل مازونة**" للمازوني(ت883هـ/1478م)[4]: الذي شكل الأساس لعلم النوازل في بلاد المغرب الإسلامي[5]، وتبرز مواقف المؤلف مدى أهمية الصراع الموجود في القرن15م بين البدو والسلطات المركزية في الغرب الإسلامي[6]، والمغرب الأوسط تحديدا.

وإلى جانب المعلومات التي أوردها المازوني بشأن ملكية الأرض وأنواعها بالإضافة إلى أشكال الإنتفاع بالأرض وقضايا المياه والضرائب الريفية، فهو ينفرد بمعلومات هامة وناذرة بشأن حياة الريفيين بالمغرب الأوسط مثل نوع المستقرات الريفية خاصة الدوّار والمجشر، الشركة في تربية النحل، تقنية الزراعة بالأحواض،...إلخ، كما تشير نوازله إلى وجود قسما هاما من السكان من كانت لهم أملاكا شاسعة من الأراضي والجنات والعقارت والضياع، مع إشارته لفئة العبيد التي غُيّب ذكرها في غالبية المصادر التي عدت إليها.

المعيار للونشريسي(ت914هـ/1508م)[7]: وهو كتاب موسوعي ضم مئات الفتاوى الفقهية ذات الصلة بمجمل شؤون الحياة الدينية والدنيوية (ق 2_9هـ)[8]، كما نقل الكثير من المسائل الواردة في مجموع

---

[1]_جميل حمداوي: **فقه النوازل في الغرب الاسلامي (نحو مقاربة تأصيلية)**، مكتبة سلمى الثقافية، تطوان، (د_ت) ،ص 25.

[2]–Allaoua Amara : **Communautés rurales et pouvoirs urbains au Maghreb central (7e–15esiécles)**, revue des mondes musulmans et de la méditérranée,126, 2009,p.188_190.

[3]_أبو القاسم بن أحمد، تحقيق محمد الحبيب الهيلة، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 2002م، 7ج.

[4]_أبو زكريا بن أبي عمران بن يحي بن موسى بن عيسى المغيلي، مخطوط بالمكتبة الوطنية، الحامة، الجزائر، ج1 رقم:1335، ج2 رقم:1336.

[5]_محمد فتحة: **النوازل الفقهية والمجتمع، أبحاث في تاريخ الغرب الاسلامي من ق6 إلى ق9هـ/12_15م**، منشورات كلية الآداب والعلوم الانسانية، 1999م، ص13.

[6]_عبد المجيد مزيان: **النظريات الاقتصادية عند ابن خلدون وأسسها من الفكر الاسلامي والواقع المجتمعي**، دراسة فلسفية واجتماعية، ش.و.ن.ت، الجزائر، 1981م.

[7]_أبو العباس أحمد بن يحي التلمساني: **المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقية والأندلس والمغرب**، خرّجه جماعة من الفقهاء بإشراف محمد حجي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1401هـ/1981م، 13ج.

[8]_عمر بنميرة: **الثقافة والفقه والمجتمع، نماذج من المغرب الوسيط**، دراسة تاريخية، جذور للنشر، الرباط، (د_ت)، ص62، جميل حمداوي: **المرجع السابق**، ص37.

الدرر، وأفادني المعيار بمعلومات هامة متعلقة بالأرض، المزارعة، المساقاة، مشاكل الشركة والنزاع على المياه...إلخ في إطار ممارسة النشاط الزراعي والبستني.

كتب المناقب والتصوف: أفادتني هذه المصادر بمعلومات هامة رغم قلتها عن الظروف المحيطة والمؤثرة على النشاط الزراعي والبستني كالحروب، الشطط الجبائي، القحط والمجاعات...إلخ، ولعل أبرزها كتاب "**التشوف**" لابن الزيات(ت617هـ/1220م)[1] و"**أنس الفقير وعز الحقير**" لابن قنفذ القسنطيني (ت810هـ/1407م)[2]، و"**البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان**" لابن مريم التلمساني(ق11هـ/17م)[3].

كتب الطبقات والتراجم والسير والأنساب:

قدم لنا الغبريني(ت704هـ/1304م) في كتاب "**الدراية**"[4]، صورة واضحة للصلحاء والزهاد ونمط أكلهم ومعيشتهم ودورهم في المجتمع وكيف كان الناس يلتفون حولهم خاصة عند الكوارث الطبيعية (مجاعات، جفاف...الخ)، و"**المناقب المرزوقية**"، لابن مرزوق(ت781هـ/1379م)[5]، التي صورت حضور رجال العلم والفقهاء وممارستهم لمختلف الأنشطة الزراعية والبستنية، والكيفية التي عالجوا بها مسألة الجوائح والإجحاف في فرض الضرائب مع الإشارة لأنواع مخصوصة لهذا المنتوج أوذاك ضمن المزارع والقرى التي ينتمي إليها هؤلاء.

وعن المصادر الإباضية فقد أفادني كتاب **طبقات الدرجيني**(توفي حوالي 670هـ/1272م)[6]، و**سير** و**سير الشماخي**(928هـ/1522م)[7] **وسير الوسياني**(ق6هـ/12م)[8] في التعرف على واحات الواجهة الصحراوية لبلاد المغرب الأوسط، وكيفية تنظيم السكان لشؤون حياتهم الريفية، مثل قضايا المياه والريّ، غراسة أشجار النخيل، حماية الأجنة،...إلخ.

---

[1] _أبو يعقوب يوسف بن يحي التادلي: **التشوف إلى رجال التصوف وأخبار أبي العباس السبتي**، تحقيق أحمد التوفيق، ط2، منشورات كلية الآداب، الرباط، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1997م.

[2] _أبو العباس أحمد بن الحسن الخطيب، اعتنى بنشره وتصحيحه محمد الفاسي، أدولف فور، منشورات المركز الجامعي للبحث العلمي، جامعة محمد الخامس، كلية الآداب، مطبعة أكدال، الرباط، (د_ت).

[3] _محمد بن محمد بن أحمد الشريف، وقف على طبعه واعتنى بمراجعة أصله: محمد بن أبي شنب، المطبعة الثعالبية، الجزائر، 1326هـ/1908م. 1326هـ/1908م.

[4] _أبو العباس أحمد بن أحمد البجائي: **عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية**، حققه وعلّق عليه عادل نويهض، ط2، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1979م.

[5] _أبو عبد الله محمد التلمساني الخطيب: **المجموع**، طبع باسم **المناقب المرزوقية**، دراسة وتحقيق سلوى الزاهري، ط1، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1429هـ/2008م.

[6] _أبو العباس أحمد بن سعيد: **طبقات المشايخ بالمغرب**، حققه وقام بطبعه إبراهيم طلاي، مطبعة البعث، قسنطينة، الجزائر، (د_ت)، 2ج.

[7] _أحمد بن سعيد بن عبد الواحد الشماخي: **كتاب السير**، تحقيق أحمد بن سعود السيابي، ط2، وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عمان، 1412هـ/1992م، ج2.

[8] _أبو الربيع سليمان بن عبد السلام بن حسان الوسياني: **سير الوسياني**، دراسة وتحقيق عمر بن لقمان حمو سليمان بوعصبانة، ط1، نشر وزارة التراث والثقافة، مسقط، سلطمة عمان، 1430ه/2009م، ج1.

كتب الخراج والأموال والحسبة: بالرغم من أنّ أغلب كتب الخراج والأموال التي اعتمدتها متعلقة بالفترة الأولى، إلاّ أنّها أفادتني كثيرا في استقصاء أحكام الأرض وأنواعها ومعرفة الإقطاعات وأشكالها وأحكامها والضرائب المفروضة عليها، فمنها: "**كتاب الخراج**" ليحي بن آدم القرشي(ت203هـ/818م)[1] وكذلك "**الخراج**" لأبي يوسف يعقوب ابن ابراهيم(ت182هـ/798م)[2]، و**مؤلف الداودي**، _الذي أشرت إليه سابقا_ الخاص بالجناح الغربي لدولة الاسلام (المغرب والأندلس وصقلية).

وعن كتب الحسبة فاعتمدت على مؤلفات ابن عبدون التجيبي (ق5هـ/11م)[3]، والحسبة للسقطي (ت631هـ/1234م)[4]، وكتاب العقباني(ت871هـ/1467م)[5].

كتب الحوليات والأخبار: بالرغم من قلة المادة الخبرية المتعلقة بنشاط الزراعة والبستنة بل ونذرتها في هذا النوع من المصادر الإخبارية إلاّ أنّها أفادتني كثيرا في تتبع التطور السياسي للدول الحاكمة، والتعرف على أوضاع الأرياف في ظل الصراع بين هذه الدولة أو تلك، وتواريخ بعض المجاعات الناجمة عنها وفترات القحط والحروب التي أثرت على النشاط الزراعي والبستني بأرياف المغرب الأوسط.

ولعل أهم تلك المؤلفات: "**المعجب**" لعبد الواحد المراكشي(ت647هـ/1346م)[6] و"**البيان**" لابن عذاري المراكشي(توفي بعد 712هـ/1312م)[7]، ومن المؤلفات التي لا يمكن الاستغناء عنها كتاب "**العبر**" "**العبر**" لابن خلدون(ت808هـ/1406م)[8] حيث كان اعتمادي عليه أساسيا لأنه فصّل في عديد الأحداث وأفادني في التعرف على مجال القبائل العربية والبربرية خاصة الجزء السادس منه.

---

[1] _حققه حسين مؤنس، ط1، دار الشروق، القاهرة، بيروت، 1987م.

[2] _دار المعرفة لـ ط،ن، بيروت، لبنان، 1399هـ/1979م.

[3] _محمد بن أحمد بن عبدون التجيبي: **ثلاث رسائل أندلسية في آداب الحسبة والمحتسب**، اعتنى بتحقيقه ودراسته الفنية واللغوية والتأريخية الاجتماعية ليفي بروفنصال، مطبعة المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية بالقاهرة، 1955م.

[4] _أبو عبد الله محمد المالقي: **في آداب الحسبة**، نشر ليفي بروفنسال، وجيم كولان، المطبعة الدولية، باريس، 1931م.

[5] _أبو عبد الله محمد بن أحمد بن قاسم بن سعيد التلمساني: **تحفة الناظر وغنية الذاكر في حفظ الشعائر وتغيير المناكر**، تحقيق علي الشنوفي، Extrait du bullettin d'études Orientales de l'institut Français de DAMAS,Tome :19,1967.

[6] _**المعجب في تلخيص أخبار المغرب من لدن فتح الأندلس إلى آخر عصر الموحدين**، مع ما يتصل بتاريخ هذه الفترة من أخبار القراء وأعيان الكتاب، تحقيق: محمد سعيد العريان، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، الجمهورية العربية المتحدة، القاهرة، 1383هـ/1963م.

[7] _**البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب**، ج 1،2،3، تحقيق ج،س،كولان وليفي بروفنسال، ج4: تحقيق ومراجعة إحسان عباس، ط3، دار الثقافة، بيروت، 1983م.

_قسم الموحدين، تحقيق إبراهيم الكتاني وآخرون، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، 1406هـ/1985م.

[8] _تاريخ ابن خلدون المسمى "**ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر**"، ضبطه خليل شحادة، راجعه سهيل زكار، دار الفكر لـ ط،ن،ت، 1421هـ/ 2000م، 7ج.

وأمدني كتاب "**المسند الصحيح**" لابن مرزوق الخطيب(ت781هـ/1379م)[1]، بمعلومات قيمة أثناء السيطرة المرينية على بلاد المغرب الأوسط، والمجالات الريفية التي سيطر عليها أبا الحسن والمغارم التي أزالها، حيث شكلت مصدر قلق ومعاناة لفلاحي أرياف المناطق الغربية لبلاد المغرب الأوسط.

أما عن **المعاجم والقواميس** ولعل أهمها لسان العرب لابن منظور(ت711هـ/1311م)[2]، الذي أفادني كثيرا في شرح المصطلحات اللغوية الصعبة والغامضة واستخراج معانيها بما يتلاءم وخصوصية دراستي، ومدى تطور مدلول بعض المفاهيم زمانيا ومكانيا خاصة فيما يتعلق بمدلول الريف والبادية، والغراسة والبستنة على وجه التحديد.

المؤلفات الحديثة: أفادني مؤلف محمد حسن الموسوم "بالمدينة والبادية في العهد الحفصي"[3] في ضبط مصطلح الريف والبادية وكذلك مختلف المجالات العمرانية المتعلقة بممارسة النشاط الزراعي والبستني وكذلك قضية الإقطاع خاصة بعد وصول قبائل بني هلال لبلاد المغرب.

وكتاب محمد فتحة[4] بمعلومات حول عديد الجوانب الاقتصادية التي تمس الموضوع مثل: الأرض، المزارعة، المساقاة، وساعدتني كثيرا على المقارنة بين بيئات المغرب الثلاث، وكتاب "**توات**" لمحمد أعفيف[5] الذي رسم لوحة لتطور اقتصاد توات من القرن 14_18م، حيث أفادني فيما يتعلق بغراسة النخيل، فئات الحراطين، واستقرار القبائل العربية وتواجد اليهود بالمنطقة.

بالإضافة إلى عديد الدراسات الحديثة من أطروحات جامعية ومقالات(عربية وأجنبية)؛ التي تنصب في موضوع الزراعة والبستنة بالمناطق الريفية والتي أشرت لبعضها في الدراسات السابقة.

لقد تطلبت طبيعة هذه الدراسة تقسيم البحث إلى مقدمة، وأربع فصول وخاتمة حيث تناولت في **الفصل التمهيدي:** جملة من المفاهيم والمفردات المتعلقة بالمغرب الأوسط مثل حدود المغرب الأوسط لضبط المجال الجغرافي، واستعرضت مختلف المفاهيم المتعلقة بالزراعة، الغراسة، الفلاحة لتأكيد الفرق بين كل مصطلح وتداخله، وعند الحديث عن مجالات ممارسة كل نشاط فقد أردت الوقوف على مدى اتساع أو تراجع هذين النشاطين طيلة الفترة المدروسة.

وعالجت في **الفصل الأول** مختلف العوامل المحيطة بنشاط الزراعة والبستنة بأرياف المغرب الأوسط سواء تلك المساعدة على قيام وازدهار النشاط الزراعي والبستني، أو تلك المؤثرة سلبا على تراجع هذين النشاطين مع التطرق للنظم الزراعية المعتمدة واستغلال الحيوانات في هذين النشاطين.

---

[1]_أبو عبد الله محمد التلمساني: **المسند الصحيح الحسن في مآثر مولانا أبو الحسن**، دراسة وتحقيق: ماريا خيسوس بيغيرا، تقديم محمود بوعياد، ش،و،ن،ت، الجزائر، 1401هـ/1981م.

[2]_أبو الفضل محمد بن مكرم الإفريقي، تحقيق عبد الله علي الكبير وآخرون، دار المعارف، القاهرة، 6مجلدات، 55جزء، (د_ت).

[3]_ جامعة تونس الأولى، 1999م، 3ج.

[4]_أنظر التهميش رقم 6 ضمن الصفحة ك.

[5]_**توات مساهمة في دراسة مجتمعات الواحات وتاريخها**، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، (د_ت).

ولما كان موضوع الزراعة والبستنة يقوم على استغلال الأرض بالأساس ومن ثم كان علي أن أولي عناية خاصة ضمن **الفصل الثاني** بأشكال الانتفاع بالأرض في كل نشاط على حدى وكيفية استغلالها متخذة منها نقطة ارتكاز أساسية في دراستي هذه.

وحول استغلال المياه فقد تناولت ضمن هذا الفصل أيضا وبالتفصيل مختلف المصادر التي اعتمدها فلاحي المغرب الأوسط في نشاطاتهم الزراعية والبستنية وحاولت الوقوف على جملة من التصنيفات والتعرف على المنشآت الريفية رغم قلتها، والوقوف على أهم التقنيات الزراعية والبستنية والأدوات الفلاحية التي استخدمها فلاحي أرياف المغرب الأوسط في العملية الإنتاجية.

وضمن **الفصل الثالث**؛ تعرضت بشئ من التفصيل لمختلف المنتجات الزراعية والبستنية التي زخرت بها أرياف المغرب الأوسط، وكيفية تخزينها وإبراز علاقة عائدات هذه المنتجات الريفية بمداخيل الدولة التجارية والمالية، وآثرت الحديث ضمن مبحث الإنتاج البستني عن غراسة الأشجار المثمرة قبل الخضر، لأن الأولى كانت على نطاق واسع مقارنة بمجال الخضر من جهة، كما ثمار تلك الأشجار تدخل ضمن التجارة الخارجية لبلاد المغرب الأوسط من جهة ثانية.

وأنهيت البحث **بخاتمة** أو خلاصة تقييمية حددت فيها جملة من الاستنتاجات والنتائج أو ماهو مثير للتساؤلات.

صعوبات الدراسة: لقد واجهت في دراستي هذه مصاعب جمة أهمها:

- كثرة كتب الحوليات والتاريخ السياسي التي ميزت الإنتاج المصدري العربي الإسلامي بالمغرب التي تحتوي على معلومات قليلة فيما يتعلق بالجانب الاقتصادي، فما بالك بموضوع الزراعة والبستنة بأرياف المغرب الأوسط التي تمتاز بالندرة والتشتت وصعوبة الإلمام بها، إلى جانب صعوبة الفصل بين المعلومة التاريخية والحكم الفقهي في كتب الفقه والنوازل لتداخلهما الكبير.
- طول الفترة والمجال الجغرافي الذي امتاز بالمد والجزر لذلك كان لزاما عليّ أن أعود للمصادر التي تتحدث عن الدولة الحفصية والمرينية وحتى بلاد الأندلس للحصول على بعض المعلومات المتعلقة بالموضوع.
- ارتباط موضوع الزراعة والبستنة بالمدن والحواضر الكبرى التي اقترن ذكرها بالمنتجات الريفية من قبل كتب الجغرافيا والرحلات الأمر الذي دفعني للتنقيب من أجل رصد العلاقات بين القرى والمدن لتتضح الصورة.
- أغلب المصادر الجغرافية تقدم وصفا مختصرا أو دقيقا لكن بدون أرقام كما أنها تنقل عن بعضها البعض لا سيما المتأخرة وأكثرها دون إضافة مميزة ممّا صعّب مهمة استخلاص المعلومات، وما وُجِد حولها من معلومات فهي مبعثرة في كتب المناقب والتصوف والنوازل الفقهية وكتب التراجم، مما تطلب مني جهدا مضنيا للحصول على معلومات قليلة نوعا ما.

- المادة التاريخية وإن كانت متوفرة إلاّ أنها أهملت نقاط كثيرة جدا مما أثر على بعض عناصر الدراسة لسكوت المصادر عنها، خاصة ما تعلق بقضية إنتاج الأعلاف رغم كثرة الحروب والمعارك، وقضية إنتاج الأزبال خاصة وأن جميع الدراسات ركزت على انتشار النمط الرعوي وكثرة الأصواف، إلاّ أنها في المقابل صمتت عن مصير الأزبال المنتجة من قبل الأعداد الكثيرة من القطعان.
- خصوصية كل مجموعة مصدرية بمعلومات تختلف عن الأخرى، فكتب الحوليات تتحدث عن المعارك والحروب، وكتب الجغرافيا والرحلات عن كمية الإنتاج الزراعي والبستني وارتباطه بأغلب مدن العصر الوسيط، المصادر الفقهية تقدم معلومات وافية عن مسائل زراعية جوهرية (حراسة الحقول والبساتين، تعدي المواشي، أشكال المزارعة والمغارسة والمساقاة...)، وتغييب عناصر مهمة تعتبر العمود الفقري لدراستي (طرق الغرس، تقليم الأشجار، كيفية الحصاد...)، التي أسهبت كتب الفلاحة الأندلسية في الإشارة إليها.
- المادة المصدرية المتوفرة في كتب الجغرافيا والرحلات والتراجم لا تمكننا من القيام بدراسة عمودية مستقصية تبرز كل حيثيات الموضوع بالإضافة إلى طغيان الدراسة الأفقية لأماكن معينة (حواضر محددة، أماكن سهلية، أماكن وفرة المياه...) وتغافلها عن مناطق أخرى مما يعيق القيام بدراسة مونوغرافية تحليلية لكل المعطيات ويجعلني أمام إشكالات منهجية متعلقة بالتعامل مع الموضوع.

_ إنّ البحث في مصادر العصور الوسطى عن المعلومات المرتبطة بنشاط الزراعة والبستنة وضبط أسماء العديد من المواقع ليس بالأمر الهيّن، وإنه لمن الصعب الإلمام بمختلف مراحل هذه الفترة التي امتدت طوال خمسة قرون والتي حكمتها دول كثيرة، وهذه الفترة الطويلة شهدت تطورات هامة على جميع المستويات بسبب التحولات في المجالات الحضرية، الريفية والبدوية على حد سواء.

الفصل التمهيدي

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفصـــــــــل التمهيـــــــــــــدي

أولا: المغرب الأوسط (الموقع والحدود).

ثانيا: مقاربة حول جدلية الريف (المفهوم والمجال).

ثالثا: إطلالة على النشاط الزراعي والبستني بأرياف المغرب الأوسط(المفهوم والخصائص) من القرن 5_10هـ/11_16م.

I. المفاهيم المتعلقة بنشاط الزراعة والبستنة.

II. أهمية النشاط الزراعي والبستني.

III. مناطق الاستقرار البشري (مناطق العمران) وعلاقتها بنشاط الزراعة والبستنة بأرياف المغرب الأوسط.

IV. المفاهيم المتعلقة بمجالات ممارسة النشاط الزراعي والبستني بأرياف المغرب الأوسط.

أولا: المغرب الأوسط "الموقع والحدود"

إنّ التحديد الجغرافي لبلاد المغرب الأوسط يختلف حسب الفترات الزمنية ذلك أن الحدود السياسية في العصر الوسيط غير ثابتة وغير مستقرة يتسع مجالها حينا ويتقلص أحيانا أخرى، حسب حالة القوة والضعف للدول التي تعاقبت على حكم هذه البلاد وحسب التركيبة الاجتماعية أيضا (الحركة القبلية غير المستقرة)، وقد دعّمت مثل هذه التغيرات قضية الاستقرار والتوطين تارة؛ والنجعة والترحال تارة أخرى، وعموما فإنني سأتناول بشكل مختصر إشكالية الحدود ضمن المصنفات الجغرافية والتاريخية.

بالرجوع إلى **المصادر الجغرافية** التي تحدثت عن حدود المغرب الأوسط نجد أنّ البكري[1] (ت487هـ/1094م) هو أول من استعمل مصطلح المغرب الأوسط الذي جعل قاعدته تلمسان التي قال عنها: **<<هذه المدينة تلمسان قاعدة المغرب الأوسط، لها أسواق ومساجد>>**، والواضح من تقسيم هذا الجغرافي للمغرب الأوسط، أنّه كان قائما على مجال القبائل بدليل إشارته إلى أن تلمسان هي "**دار مملكة زناتة ومتوسطة قبائل البربر**"[2].

ونظرا للاختلاف في الحدود الفاصلة بين أقاليم الشمال الافريقي فقد قسمت إلى ثلاث أقاليم ابتداءا من القرن 5هـ/11م، حيث تقاسم المغرب ثلاث دول هي: دولة بني زيري(362_543هـ/ 973_1148م)، والدولة الحمادية(504_547هـ/1014_1153م)، والدولة المرابطية(448_541هـ/ 1056_1146م)، وبات لبلاد المغرب الأوسط عاصمتان: شرقية عاصمتها بجاية التي ورثت العواصم المنثدرة مثل القلعة وتاهرت، وتلمسان العاصمة الغربية[3].

واعتمد الإدريسي[4](ت560هـ/1164م) في تقسيمه على المعيار السياسي فيذكر بأن المغرب الأوسط قاعدته بجاية فيقول:**<<مدينة بجاية في وقتنا هذا، مدينة المغرب الأوسط وعين بلاد بني حماد...وأنّ تلمسان هي قفل بلاد المغرب>>**، التي أدرجها ضمن مدن المغرب الأوسط.

أما صاحب كتاب الاستبصار[5](ق6هـ/12م)، فيجعل هو الآخر من تلمسان قاعدة "**للمغرب الأوسط**" وحدّا وحدّا لهذه البلاد وينتهي إلى مدينة أورسيف على وادي ملوية، ويشير إلى أنّ آخر بلاد المغرب الأوسط وأول بلاد المغرب بلاد تازا[6]، حيث جعل نهر ملوية مع بلاد تازا هو الفاصل الطبيعي بين المغرب الأوسط والأقصى.

---

[1] _ **المغرب**: ص76.

[2] _نفس المصدر والصفحة.

[3] _ عز الدين أحمد موسى: **النشاط الاقتصادي في المغرب الإسلامي خلال القرن 6هـ**،ط1، دار الشرق، بيروت، 1403هـ/1983م، ص ص: 38_39.

[4] _ **نزهة المشتاق**، ص:161.

[5] _مجهول ينسب لابن عبد ربه: **الإستبصار في عجائب الأمصار، وصف مكة والمدينة ومصر وبلاد المغرب**، نشر وتعليق سعد زغلول عبد الحميد، دار الشؤون الثقافية العامة، العراق، بغداد، (د_ت)، ص ص:179،176،110.

[6] _**نفسه**، ص:179.

ولما تم توحيد أقاليم المغرب الثلاثة تحت لواء الدولة الموحدية(514_668هـ/ 1146_1269م)، عام 555هـ/1160م، إلى جانب بلاد الأندلس[1]، وهو الأمر الذي جعل الزهري[2](ق6هـ/12م)، لايورد أي أثر للمغرب الأوسط في مؤلفه بسبب الحالة السياسية لبلاد المغرب الخاضعة للسلطة الموحدية كما ذكرت آنفا.

وياقوت الحموي[3](ت626هـ/1228م) الناقل عن البكري؛ قد جعل هو الآخر من بجاية حدّا فاصلا بين إفريقية والمغرب الأقصى، وهذا معناه أن المغرب الأوسط غير موجود في تقسيمه وقد جعل من مليانة آخر حدود إفريقية[4].

وخلال القرن 7هـ/13م ونتيجة لضعف الدولة الموحدية وانهيارها، فقد شهدت انقساما سياسيا جديدا إلى ثلاث دول أمازيغية الهوية[5] وهي: الدولة الحفصية (625_981هـ/1227_1573م)، والدولة الزيانية (633_957هـ/1235_1562م)، والدولة المرينية (668_869هـ/1269_1465م).

وبالرغم من أنّ ابن سعيد المغربي (ت685هـ/1286م)[6] قد عاش فترة انقسام المغرب إلى ثلاث كيانات سياسية، إلاّ أنه لم يراع في تقسيمه أية اعتبارات سياسية وجعل من تلمسان خارج مجال المغرب الأوسط؛ التي أدرجها في الجزء الأول من مراكش وفاس والأندلس.

أما المغرب الأوسط فيحدده في الجزء الثاني من الإقليم الرابع وقاعدته بجاية التي كانت في الواقع تحت السلطنة الحفصية (سلطنة إفريقية)، وامتد مجال المغرب الأوسط حسبه شرقا حتى مدينة قسنطينة، وجعل بونة ضمن هذه السلطنة على الساحل[7]، وقد عدّد جملة من مدن المغرب الأوسط ضمن هذا الجزء الجزء وهي: تنس، مستغانم، جزائر بني مزغنة، تدلس...الخ[8].

وفي المقابل نجد أن جغرافيي القرن 8هـ/14م، قد رسموا الحدود على أساس الوضع السياسي في المغرب الأوسط في تلك الفترة، والذي كان في مد وجزر بين حكام الدول آنذاك، فهذا العمري (ت 747هـ/1348م)[9] يذكر بأن: **«مملكة بر العدوة هي الآن مجموع لسلطان واحد وفيه ثلاث ممالك:**

---

[1]_ عز الدين أحمد موسى: **المرجع السابق**، ص:39.

[2]_ أبو عبد الله محمد بن أبي بكر: **كتاب الجغرافيا**، اعتنى بتحقيقه محمد حاج صادق، مكتبة الثقافة الدينية، بور سعيد، القاهرة، (د_ت)، ص ص،ص:106_113،108.

[3]_ شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت: **معجم البلدان**، دار صادر، بيروت،1397هـ/1977م، 339/1.

[4]_نفسه، 161/5.

[5]_ السيد عبد العزيز سالم: **المغرب الكبير، العصر الاسلامي، دراسة تاريخية، وعمرانية وأثرية**، دار النهضة العربية،ل ط.ن، بيروت، 1989م، 867/2.

[6]_ أبو الحسن علي بن موسى الأندلسي: **كتاب الجغرافيا**، حققه ووضع مقدمته وعلق عليه اسماعيل العربي، ط2، د.م.ج، الجزائر، 1982، ص:140.

[7]_ نفسه، ص:142.

[8]_ نفسه، ص ص:142_143.

[9]_أبو الفضل شهاب الدين أبو العباس أحمد بن يحي: **مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، الممالك الإسلامية في اليمن والمغرب والأندلس وإفريقيا**، تحقيق محمد عبد القادر خريسات وآخرون، مركز زايد للتراث والتاريخ، الإمارات العربية المتحدة، 2001م، 115/4_116 (ذكر

فاس وهي أعظمها ومملكة تلمسان ومملكة سبتة مع ما أضيف إليه من الأندلس>>، وعند إقدام السلطان أبا الحسن(732_749هـ/1331_1348م)، على قتل أبا تاشفين عبد الرحمان ابن أبي حمو العبد الوادي(718_753هـ/1318_1352م)، باتت مملكة تلمسان تضم 19 مدينة هي: تلمسان، وجدة، مديونة، ندرومة، هنين، وهران، تميزغران، برشك، شرشال، تاونت، مستغانم، تنس، الجزائر، القصبات، مازونة، تاحجمت، مليانة، المدية...إلى آخر عمالة جزائر بني مزغنة مع طول البحر[1]، كما أدرج كلاّ من مملكة بجاية ومملكة تدلس ضمن إقليم إفريقية الحفصية[2].

ويجعل الحميري (القرن 8هـ/14م) كلاّ من بونة، تبسة، الزاب، قسنطينة من افريقية[3]، أي أن المغرب الأوسط لا يشملها، أما تلمسان فهي قاعدة المغرب الأوسط[4]، وهذا الجغرافي غير واضح في تقسيمه للحدود إذ أنه يجعل من بجاية أيضا قاعدة للمغرب الأوسط[5]، لأنه ناقل عن الإدريسي.

وخلال القرن 9هـ/ 15م يذكر القلقلشندي (ت 821هـ/1418م)[6] بأن مملكة تونس تمتد من جهة الغرب إلى جزائر بني مزغنة ومن الجنوب آخر بلاد الجريد، ومن مدنها: بونة، المسيلة وبسكرة....إلخ.
أما بلاد بجاية فجعلها من مدن الغرب الأوسط في أول الإقليم الرابع، ومن أعمال بجاية: قسنطينة، سطيف، تاهرت[7]، أما مملكة تلمسان فحدها من الشرق مملكة إفريقية وما أضيف إليها، ومن الغرب حدود مملكة فاس، وحدّها من الشمال البحر الرومي ومن الجنوب المفاوز الفاصلة بين بلاد المغرب وبلاد السودان[8]، ويظهر من تقسيم القلقلشندي أنه يغلب عليه عدم الدقة، فتارة يجعل عمل بجاية مستقل وتارة يدرجه ضمن مملكة إفريقية التي ذكر في البداية أنها تونس؛ ويعزى هذا الأمر لكون هذا المؤلف كثير النقل والإقتباس عن سابقيه، مثل البكري، ابن سعيد، أبو الفدا، العمري،....إلخ.

وفيما يتعلق بجغرافيي القرن 10هـ/16م، فقد جعل الوزان (ت 957هـ/1550م)[9] حدود المغرب الأوسط تمتد من "**واد زا ونهر ملوية غربا**"، وهو بهذا يدرج حدود المغرب الأوسط تبعا لاعتبارات سياسية محضة، فقد ذكر بأن<<**مملكة تلمسان تحتوي على ثلاث أقاليم هي الجبال، تنس، والجزائر**>>[10]،

القلقلشندي أنها تظم 18 مدينة بدل 19، أنظر: أبو العباس أحمد بن علي القلقشندي: **صبح الأعشى**، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1340هـ/ 1922م، 151/5).

[1]_العمري: **المصدر السابق**، ص:116.

[2]_ نفسه، ص:86.

[3]_محمد عبد المنعم الصنهاجي: **الروض المعطار في خبر الأقطار**، معجم جغرافي مع فهارس شاملة، تحقيق إحسان عباس، ط1، مكتبة لبنان، بيروت، 1975م، 1984م، ص:115_129_281_480 على التوالي.

[4]_ نفسه، ص:135.

[5]_ نفسه، ص:80.

[6]_ **المصدر السابق**، 5/99_107.

[7]_نفسه، ص ص:109_111.

[8]_نفسه، ص:149.

[9]_ **وصف افريقيا**، 7/2.

[10]_نفسه، 31/1.

وأدرج بجاية وقسنطينة ضمن مملكة تونس، والزاب* أخرجه من مجال هذه الأخيرة، إذ بات تابعا لنوميديا[1].

والملاحظ على تقسيم الوزان؛ أن الخلاف يكمن بشأن الحدود الشرقية التي تمتاز بعدم الثبات والضبط بسبب الصراع الدائم بين الزيانيين والحفصيين حول المناطق الشرقية، الأمر الذي جعل هذا المؤلف يضع بجاية كإقليم مستقل[2]، مبرّرا ذلك بالنزاع المستمر إلى أن أصبح على حد تعبيره "**في أيامنا هذه مملكة مستقلة، إستولى على عاصمتها الكونت بيير نافارو باسم ملك اسبانيا فرديناند يوم 25 ماي 1509م**"، وفي المقابل نجد مارمول كربخال قد جعل بجاية ضمن مملكة تلمسان[3]، وهذه الحالة ميزت الفترة الأخيرة من العصر الوسيط.

أما عن حدود المغرب الأوسط ضمن **المصنفات التاريخية**، فنلمح غياب مصطلح المغرب الأوسط ومجاله الجغرافي في مؤلفي كلّ من عبد الواحد المراكشي (ت647هـ/1248م)، وابن عذاري المراكشي (ت712هـ/1312م).

يذكر الأول[4] تقريبا نفس الحدود التي رسمها الجغرافيون فذكر أنّ: **<<أول حد بلاد إفريقية والمغرب مدينة أنطابلس المعروفة ببرقة، وآخرها مما على ساحل البحر الأعظم مدينة طنجة>>**، فحسب هذا المؤلف أنّ بلاد المغرب تمتد من برقة شرقا إلى المحيط الأطلسي غربا ومن البحر المتوسط شمالا إلى الصحراء جنوبا.

ويعزى غياب المجال الجغرافي لكون المراكشي قد عاش خلال الفترة الموحدية لذلك فنظرته تعبر عن الحالة السياسية لتلك الفترة، والتي كانت عبارة عن كتلة واحدة لاتفصل بينهما أية حدود سياسية، وفي المقابل يذكر بأن بجاية هي ملك بني حماد الصنهاجي[5]، إذ قسم بلاد المغرب إلى قسمين هما إفريقية والمغرب، حيث جعل من الزاب وبسكرة ضمن إفريقية، وحد هذه الأخيرة من جهة الغرب مدينة قسنطينة، وأول بلاد المغرب بليدة صغيرة قبلي بجاية تسمى ميلة[6]، حيث جعل الحدود الشرقية للمغرب الأوسط تنتهي عند مدينة قسنطينة.

(*)يقع إقليم الزاب في وسط مفازات نوميديا ويبتدئ غربا من تخوم مسيلة ويحده شمالا جبال مملكة بجاية ويمتد شرقا إلى بلاد الجريد التي توافق مملكة تونس، وجنوبا إلى القفار التي تقطعها الطريق المؤدية من تقرت إلى ورقلة، ويشتمل هذا الإقليم على خمس مدن وعدد كبير من القرى، وهذه المدن هي: بسكرة، البرج، نفطة، طولقة، دوسن (مدينة مخربة)، أنظر: الوزان: **المصدر نفسه**، 2/138_139.

[1]_نفسه، 1/31_32.

[2]_نفسه، 2/31.

[3]_ **افريقيا**: ترجمة محمد حجي وآخرون، مكتبة المعارف ل ن.ت، الرباط، المغرب، 1404هـ/1984م، 2/375.

[4]_ **المعجب في تلخيص أخبار المغرب**، ص،ص:254،250.

[5]_**نفسه**، ص:273.

[6]_**نفسه**، ص: 440، 437، 442 على التوالي.

ويذكر في موضع آخر بأنه: **<<لمّا حاصر عبد المؤمن بن علي بجاية عام 540هـ/1145م، هرب يحي بن العزيز إلى بونة>>**، وهي أول حدود إفريقية ثم هرب حتى أتى قسنطينة الغرب[1]، لذلك نلمح توسع في حدود المغرب الأوسط من الناحية الشرقية التي تتجاوز حسب هذا المؤرخ مدينة بجاية وتصل حتى مدينة قسنطينة.

أما عن ابن عذاري المراكشي[2]، فقد قسم بلاد المغرب إلى ثلاث أقسام وجعل من بلاد الزاب الأسفل إلى مدينة تاهرت كقسم ثاني وختمها ببلاد المغرب وهي بلاد طنجة وحدها، ومدينة سلا وهي آخر بلاد المغرب.

ومن إشارات الجغرافيين والمؤرخين، نلمح الصعوبة في ضبط حدود المغرب الأوسط خاصة من الناحية الشرقية ويعزى الأمر أساسا إلى حالة المد والجزر التي طالت المجال الجغرافي للبلاد نتيجة للتنافس والصراع بين الحفصيين والزيانيين؛ مما كان يتسبب في حدوث تمدد تارة وانكماش تارة أخرى على حساب المجال الترابي لكل دولة.

والأمر ذاته بالنسبة للصراع الزياني المريني، إذ تراجعت حدود الدولة الزيانية أثناء الحصار الطويل على تلمسان الذي دام مدة ثمان سنوات في عهد أبا سعيد عثمان بن يغمراسن (698_706هـ/1298_1306م)[3]، ليتم إخضاع المغرب الأوسط للسيطرة المرينية بالكامل ابتداءا من عهد السلطان أبي الحسن المريني وابنه أبا عنان(749_759هـ/1348_1357م)، أين دام حكم المرينيين على المغرب الأوسط مدة 23 سنة (737_760هـ/1337_1359م)[4].

كما امتدت السيطرة المرينية على الدولة الحفصية حينما استولى أبا الحسن على تونس وهزم أميرها أبا يحي الحفصي عام 748هـ/1347م[5]، ليمتد ملكه من آخر المعمور بالمغرب إلى حدود برقة[6]، حيث تم

---

[1]_**نفسه**، ص:273.

[2]_**البيان المغرب**، 1/5_6.

[3]_أبا زكريا يحي بن خلدون الحضرمي الإشبيلي: **بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد**، تقديم وتحقيق وتعليق، عبد الحميد حاجيات، سحب الطباعة الشعبية للجيش، الجزائر، 2007م، 2/210_211، ابن خلدون: **العبر**، 7/126_128، إسماعيل بن يوسف ابن الأحمر الخزرجي: **تاريخ الدولة الزيانية بتلمسان**، تقديم وتحقيق وتعليق، هاني سلامة، ط1، مكتبة الثقافة الدينية، بورسعيد، الظاهر، 1421هـ/2001م، ص:69، محمد بن عبد الله بن عبد الجليل التنسي التلمساني: **تاريخ بني زيان ملوك تلمسان، مقتطف من نظم الدرر والعقيان في بيان شرف بني زيان**، حققه محمود بوعياد، د،م،ج، الجزائر، 1985م، ص ص:129_134، أبو العباس أحمد القرشي المقري التلمساني: **أزهار الرياض في أخبار عياض**، ضبطه وحققه وعلق عليه مصطفى السقا، إبراهيم الأبياري، عبد الحفيظ شلبي، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1359هـ/1940م، 2/336_340، إبن مريم: **البستان**، ص،ص: 123، 126، خير الدين بن محمود الزركلي الدمشقي: **الأعلام**، قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، ط15، دار العلم للملايين، بيروت، 2002م، 4/215، 6/261.

[4]_ أبو العباس أحمد بن خالد السلاوي الناصري: **الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى**، تحقيق وتعليق جعفر الناصري، محمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1954م، 1955م، 3/123_128، عبد الوهاب ابن منصور: **قبائل المغرب**، المطبعة الملكية، الرباط، 1388هـ/1968م، 1/148_149، عبد العزيز سالم: **المرجع السابق**، ص:874.

[5]_ لسان الدين ابن الخطيب السلماني: **الإحاطة في أخبار غرناطة**، حقق نصه ووضع مقدمته وحواشيه محمد عبد الله عنان، ط1، الشركة المصرية المصرية للطباعة والنشر، 1397هـ/1977م، 4/330، عبد العزيز سالم: **المرجع السابق**، ص:871، ابن منصور: **المرجع السابق**، ص:170.

[6]_ العمري: **المصدر السابق**، ص:117، ابن مرزوق: **المسند**، ص: 447، السلاوي: **المرجع السابق**، 3/157.

توحيد بلاد المغرب الإسلامي مرة ثانية بعد الدولة الموحدية، إلاّ أنّ هذه السيطرة سرعان ماانتهت بوفاة أبا عنان عام 759هـ/1358م، لتعاد مرحلة انشطار وانقسام بلاد المغرب الإسلامي حيث رجعت مملكة تلمسان لسلطة بني عبد الواد وعادت إفريقية بأكملها للحفصيين[1].

أمّا عن تقسيم ابن خلدون (ق8هـ/14م)، فيذكر بأن قاعدة المغرب الأوسط هي تلمسان ويعدد بعضا من مدن هذا الجزء مثل: هنين، وهران، الجزائر، متيجة، بجاية، بونة، تاهرت، طبنة، الزاب، جبل الأوراس، واركلي، بلاد ريغ، وقاعدتها بسكرة، ومن تجمعات القبائل القاطنة بهذا الإقليم نجد: قبيلة زناتة التي كانت ديارها المغرب الأوسط، إذ استقرت في المنطقة الممتدة مابين وادي "**ملوية غربا إلى واد الشلف والزاب شرقا ومن ساحل شرشال ووهران شمالا إلى إقليم تاهرت جنوبا**"[2].

أما صنهاجة فكانت تقطن بالأقاليم الممتدة من الجزائر غربا إلى بجاية شرقا، بالإضافة إلى كتامة وعجيسة وهوارة التي كانت مضاربها ببلاد بجاية وقسنطينة والقل وجيجل من حدود جبل أوراس إلى سيف البحر مابين بجاية وبونة[3]، ولعل هذه النظرة الخلدونية التي جعلت من بلاد المغرب الأوسط كموطن لاستقرار القبائل البربرية، تعود لخبرته بأحواله وأوضاعه القبلية والسياسية.

وفي المقابل يجعل هذا المؤرخ من نهر ملوية آخر المغرب الأقصى[4]، لكن الأمر يختلف فيما يتعلق يتعلق بالحدود الشرقية فتارة يجعل من بجاية نهاية للحدود الشرقية للمغرب الأوسط بقوله: **<<ويجاوره من جهة المشرق بلاد صنهاجة من الجزائر ومتيجة... ومايليها إلى بجاية>>**، وتبعا لهذا التحديد يشير إلى أنّ المغرب الأوسط هو في الأغلب ديار زناتة كان لمغراوة وبني يفرن وكان معهم مديونة ومغيلة وكومية ومطغرة ومطماطة، ثم صار من بعدهم لبني ومانو وبني يلومي ثم صار لبني عبد الواد وتوجين من بني مادين وقاعدته لهذا العهد تلمسان[5]، وضمن مقدمة هذا المؤلف[6] أيضا يجعل من بجاية وبونة وقسنطينة ضمن إقليم المغرب الأوسط.

وبغض النظر عن فترات القوة والضعف التي عاشها المغرب الأوسط خلال هذه الفترة بالذات، إلاّ أنه ظل موجودا أرضا وشعبا بحدوده الشرقية والغربية دون وجود سلطة سياسية موحدة، ورغم كل تلك الظروف إلاّ أنني لمحت ذلك الانتماء المنطلق من الشعور القومي من قول الفقيه أبو العباس أحمد

---

[1] _ ابن الخطيب: **المصدر السابق**، الصفحة نفسها، روبير برنشفيك: **تاريخ إفريقية في العهد الحفصي، من القرن 13م إلى نهاية القرن 15م**، نقله إلى العربية حمادي ساحلي، ط1، دار الغرب الإسلامي، 1988م،1/209_210.

[2] _ **العبر**: 131/6، 132، 134.

[3] _نفسه، ص،ص: 134، 195.

[4] _مفسه، ص ص: 133_134.

[5] _**العبر**، 134/6.

[6] _ 1/98_99.

الغبريني[1]، في عرض ترجمته للصوفي أبي محمد عبد الحق بن ربيع بن أحمد بن عمر الأنصاري البجائي (ت675هـ/1285م)* بقوله: **<<لم يكن في وقته بمغربنا الأوسط مثله>>.**

وبغض النظر عن حالة المد والجزر تلك؛ ورغم الاختلاف الواضح في ضبط هذه الحدود ضمن المؤلفات الجغرافية والتاريخية، إلاّ أنني سأتناول موضوع "الزراعة والبستنة" بأرياف المغرب الوسط (5_10هـ/11_16م) ضمن مجال الجزائر الحالية بحدودها الشرقية والغربية، الشمالية والجنوبية، ولمّا كان موضوع دراستي متمحور حول الريف بالأساس لذلك لابد من التعرف على مدلول هذا الأخير "مفاهيميا ومجاليا".

ثانيا: مقاربة حول جدلية الريف (المفهوم والمجال)

1_المفهوم:

الريف: راف فلان ريفة؛ أتى الريف والريف لغة يعني الخصب والسعة في المآكل والجمع أرياف فقط، والريف ما قارب الماء من أرض العرب وغيره والجمع أرياف وريوف[2]، والريف من الأرض: المخصبة[3]، والريف أرض فيها زرع، وفي الحديث: تفتح الأرياف فيخرج إليها الناس وهي جمع ريف وهي كل أرض فيها زرع ونخل[4]، ويطلق على ما عدا من المدن والقرى والكفور[5]، وبهذا نجد أن الريف مرتبط بالزراعة والخصب في المعاش ويقوم على الاستقرار وما يصاحبه من فلاحة الأرض للزراعة وتربية الحيوانات (بقر، غنم، خيول، دواجن،...).

البادية: البادية خلاف الحضر وهي إسم للأرض التي لا حضر فيها، وإذا خرج الناس من الحضر إلى المراعي في الصحاري قيل قد بدوا والإسم البدو[6]، والبادية فضاء واسع من الأرض فيه المراعي والماء والماء ولا عمارة فيه والجمع بواد وباديات[7]، والبادية بهذا المفهوم تقوم على الترحال والظعن ولا ترتبط بالزراعة ويعيش ممتهنها على تربية الأغنام والابل على نطاق واسع.

---

[1]_ **الدراية**، ص:60.

(*) أصله من أبدة وجدّه عمر هو واصل إلى بجاية مستوطنا، ولد ببجاية وقرأ بها ولقي مشايخ، كان يحمل فنونا من العلم والفقه، عرض عليه قضاء بجاية فمتنع منه ووصل إليه كتاب المستنصر من حاضرة افريقية بقضاء قسنطينة؛ فاعتذر وتلطف في الاستغناء عنه، دفن بخارج باب المرسى (أنظر: الغبريني: **المصدر نفسه**، ص، ص: 57، 60).

[2]_ ابن منظور: **لسان العرب**، مج3 (الذال_البنى)، مادة الريف، 1794/20، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري: **الصحاح، تاج اللغة وصحاح العربية**، راجعه واعتنى به محمد تامر وآخرون، دار الحديث، القاهرة، 1430هـ/2009م، ص:481، **المعجم الوسيط**، مجمع اللغة العربية، الإدارة العامة للمعجمات وإحياء التراث، ط4، مكتبة الشروق الدولية، 1425هـ/ 2004م، ص:181.

[3]_ **المعجم الوسيط:** الصفحة نفسها.

[4]_ ابن منظور: **المصدر السابق**، مج3، ص:1794.

[5]_ **المعجم الوسيط:** ص:386.

[6]_ ابن منظور: **المصدر السابق**، مج1 (الهمزة_الجيم)، مادة بدو، 235/3، الجوهري: **المصدر السابق**، ص:78، **المعجم الوسيط**، ص:44.

[7]_ محمد رواس قلعة جي، حامد صادق قنيبتي: **معجم لغة الفقهاء، عربي_انجليزي**، ط1، ط2، دار النفائس، لط.ن.ت، بيروت، لبنان، 1405هـ/1985م، 1408هـ/1988م، ص:102.

أما **البداوة:** فهي حياة أهل البدو وخاصة سكان الصحراء منهم[1]، كما تطلق على الحياة في البادية ويغلب عليها التنقل والترحال[2]، **والبدوي:** هو الذي يسكن البادية[3].

وبالرغم من أنّ مدلول الريف يسخدم كمرادف للإستقرار والبادية كمرادف للترحال، إلاّ أنّ هناك تداخلا بين مفهومي كلاّ من الريف والبادية، فالملاحظ على الدراسات المتعلقة بالمجتمعات الريفية المغاربية يشوبها خلط كبير بين مفاهيم كلا من: الصحراء، الريف، والبادية وهي مفاهيم غير مضبوطة جغرافيا[4].

يستخدم الريف أحيانا كامتداد للحاضرة وهي خلاف البادية، فيشمل معنى الريف هنا كلاّ من المدن والقرى والريف، ومن الناس ساكن الريف[5]، ومن دلالات الريف التي تشمل الاستقرار بالحضر والمدن نجد أن مفردة "نزهة" في معاجم اللغة أنها من الفعل نزه، نزاهة ونزاهية، وهي البعد عن الريف وفساد الهواء[6].

ويطلق العرب لفظ البادية على تسمية الأرياف بالإضافة إلى الصحاري، فإذا قال العربي **أهل البادية** فَهِم من ذلك أهل الصحراء وأهل الأرياف المزروعة، غير أنه يغلب أن تطلق البادية على الصحراء وما يجاورها مباشرة من الأرض المزروعة من المطر خاصة[7]، لذلك فالبادية كبيئة جغرافية يمكن يمكن أن تعتبر امتداد للريف كما يمكن أن تكون نقيضا له حسب الموقع والنشاط العملي[8].

وببلاد المغرب الأوسط وحسب المصادر الجغرافية يطلق لفظ البادية على المزارعين في الريف والمجال الريفي عموما، للدلالة على ناحية المدينة، فهذا ابن حوقل[9]، يذكر بأن:**<< مدينة بونة لها إقليم واسع وويبادية وحوزة كبيرة، وأكثر فواكهها من باديتها>>**، ولكل من مدينة جزائر بني مزغناي وتنس، باغاية "**بادية كبيرة، كثيرة البربر**"[10] ولأرجكوك بادية وخصب وسعة[11]، وهذه دلالة على انتعاش الحياة الريفية خلال القرن 4هـ/16م، ولمدينة برشك بادية يشتارون العسل من الشجر والأجباح لكثرة النحل بالبلد[12].

---

[1] _ محمد عابد الجابري: **العصبية والدولة: معالم نظرية خلدونية في التاريخ الاسلامي**، ط5، ط6، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1992، 1994م، ص:286.

[2] _ **المعجم الوسيط:** ص:45.

[3] _قلعة جي، قنيبتي: **المرجع السابق**، الصفحة نفسها.

[4] _ الجابري: **المرجع السابق**، ص ص:290_291.

[5] _**المعجم الوسيط:** ص:181.

[6] _**نفسه**، ص:915.

[7] _ الجابري: **المرجع السابق**، ص: 286.

[8] _ محمد حسن عبد الله: **الريف في الرواية العربية**، ضمن سلسلة كتب ثقافية شهرية، يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، عالم المعرفة، الكويت، عدد 143، نوفمبر 1989م، ص: 173.

[9] _أبو القاسم ابن حوقل النصيبي: **صورة الأرض**، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، 1996م، ص:77.

[10] _**نفسه**، ص،ص: 78، 84.

[11] _**نفسه**، ص:79.

[12] _**نفسه**، ص:78.

وفي القرن الموالي (ق5هـ/11م)، نلمح غياب لفظ البادية في مؤلف البكري، وهي الفترة التي شهدت بداية قدوم القبائل العربية لبلاد المغرب الأوسط، مما يؤكد على أنّ دلالة لفظ البادية نفسها تختلف حسب المؤلفين ومدى تداولهم لهذا المصطلح أو ذاك، فخلال القرن 6هـ/12م، وبالرغم من أن الإدريسي قد أشار إلى عيث العرب في أكثر من مناسبة[1]، إلاّ أنني لمحت قلة ورود لفظ البادية في مؤلفه خاصة فيما يتعلق بنواحي المدن، فبالإضافة إلى بادية جزائر بني مزغناي، وبادية باغاي وبونة[2]، المذكورة سابقا على لسان ابن حوقل، نجد أنّ الإدريسي قد أشار فقط إلى بادية شرشال "**ذات العسل الكثير والحنطة والشعير مايزيد عن الحاجة**"[3].

وكان لبجاية "**بواد ومزارع**" والحنطة والشعير بها موجود بكثرة والتين وسائر الفواكه[4]، وكان أهل مدينة الغدير، بدو ولهم مزارع وأرضون مباركة والحرث بها قائم الذات والإصابة في زروعهم موجودة[5]، ورغم أنه أنه لم يشر صراحة إلى بادية ميلة إلاّ أنه ذكر بأن العرب تحكم بخارجها[6].

ولئن كان أهل البادية يشمل في العموم المستوطنين في الريف أي المشتغلين بالزراعة في القرى والمجاشر والضاعنين والمنتجعين، فإنه يبدو مقترنا في بعض التعريفات بالصنف الثاني أكثر من غيره، فيذكر محمد بن سحنون (ق3هـ/9م)، نقلا عن محمد حسن[7]، بأن: **<<كل من على ظهر فهو يرتحل وينتجع فهو بدوي وكل قاطن مقيم مستقر فهو حضري سواء كان في قرية أو مدينة أو مجشر>>.**

وقد أصبح هذا المصطلح أكثر اقترانا بالترحال في ½ Π من العصر الوسيط بعد سيطرة القبائل العربية[8]، ويعزى هذا الأمر أساسا لما روجت له الكتابات الاستشراقية[9]، التي اعتمدت على ما كتبه ابن خلدون في مقدمته، التي قال فيها: **<<إعلم أن اختلاف الأجيال في أحوالهم إنما هو باختلاف نحلتهم من المعاش ...، فمنهم من يستعمل الفلح من الغراسة والزراعة ومنهم من ينتحل القيام على الحيوان من الغنم والبقر والماعز والنحل والدود لنتاجها واستخراج فضلاتها وهؤلاء القائمون على الفلح**

---

[1] _ **أنظر ص ص: 153_154 من الفصل الأول.**

[2] _ **نزهة المشتاق**، ص: 159، 177، 192 على التوالي.

[3] _ **نفسه**، ص ص: 158_159.

[4] _ **نفسه**، ص:161.

[5] _ **نفسه**، ص:162.

[6] _ **نفسه**، ص ص: 165_166.

[7] _ **المدينة والبادية**، 88/1.

[8] _**نفس المرجع** والصفحة.

[9] _ من بين الكتابات التاريخية التي تصف الهجرة الهلالية بالخراب، نذكر على سبيل المثال لا الحصر:

Ernest Mercier : **Histoire de l'afrique septentrionale (berberie depuis les temps les plus reculés jusq'à la conquête française 1830)**, Ernest leroux éditeur, Paris, 1888, 2/17_19, 61_62, 379_383.

Dominique Valérian : **Les Archives de Marseille, source de l'histoire du Maghreb médiéval, le cas du port de Bougie(13e_15e siécles)**, Annales du Miditérranée : Révue Archéologique, historique et philologique de la France méridionale, Tome 133, N=°233, 2001,p.19

والحيوان تدعوهم الضرورة ولابد إلى البدو لأنه متسع لما يتسع له الحواضر من المزارع والقرى والمسارح للحيوان وغير ذلك، فكان اختصاص هؤلاء بالبدو أمرا ضروريا...>>[1].

لذلك نجد ابن خلدون استعمل كلمة البادية بحيث تشمل مواطن الرعي، الفلاحة والدواجن[2]، ومن هنا نلمح عدم الدقة في ضبط وتحديد مدلول كلاّ من الريف والبادية حتى عند ابن خلدون نفسه، ذلك أنه يطلق في بعض الأحيان كلمة البادية على كل المجال الموجود خارج الحواضر وهي ما تناولته ضمن التعريف السابق، بل أحيانا عدّ أهل الريف من بين أهل الحضر: "**فمن كان معاشه منهم في الزراعة والقيام بالفلح كان المقام به أولى من الضعن وهؤلاء سكان المدر* والقرى والجبال وهم عامة البربر والأعاجم**"[3].

ويطلق كلمة البدو على سكان التلول الخصبة والجبال المشجرة والذين يعيشون على تربية الأبقار، وهذا المصطلح لا يستعمل الآن ويطلق على المزارعين، ويبدو أن هذا الصنف من الناس في المغرب زمن ابن خلدون هو أقرب إلى البداوة وشظف العيش لذلك اعتبرهم من البدو[4]، لذلك فالبداوة عند ابن خلدون باتت حالة عامة تشمل المستقرين و أنصاف الرحل والرحل مع تفاوت بينهم في المستوى المعاشي، فالمستقرون يسكنون ويعيشون من الزراعة، ولكن معيشتهم وأحوالهم الاجتماعية البسيطة وهذا ما يميزهم عن المدن وإن كانوا أهل مدر ومداشر، إذ ليس البدو هم الرحل وحدهم كما تذهب إليه بعض التفسيرات[5] .

ويعزى السبب أيضا إلى تأزم الأوضاع السياسية وتفشي الحروب في عصره، بالإضافة إلى صراعات العرب فيما بينهم وهذا ما جعل البداوة تسود جل مناطق بلاد المغرب عامة، وبالتالي فقد هيمن النشاط الرعوي على غيره من الأنشطة الفلاحية[6].

---

[1]_ ص ص: 132_133.

[2]_ عز الدين أحمد موسى: **المرجع السابق**، ص:129.

(*) المدر هو الطين اللزج، المتماسك والقطعة منه مدر وأهل المدر سكان البيوت المبنية، خلاف البدو وسكان الخيام، وبنو مدراء أهل الحضر، والمدرة القرية المبنية بالطين واللبن والجمع مدر (أنظر: **المعجم الوسيط**، ص ص:858_859).

_ ولهذا نجد أن المدر كمصطلح خلدوني الذي كثيرا ما يستعمله كمرادف لكلمة قرى ليس راجعا إلى لغة خاصة بالغرب الاسلامي فحسب، بل إنها توجد في النصوص العربية القديمة، كلسان العرب، ويقول جلال الدين السيوطي في شرحه "أهل الوبر أهل البوادي، وأهل المدر أهل القرى" أنظر: عبد المجيد مزيان: **النظريات الاقتصادية**، ص:251.

[3]_ **مقدمة ابن خلدون**، وهي الجزء الأول من "**تاريخ ابن خلدون**"، ضبط المتن ووضع الحواشي والفهارس، خليل شحادة، مراجعة سهيل زكار، دار دار الفكر للط، ن، ت، بيروت، لبنان، 1431هـ/ 2001م، ص ص:149_150.

[4]_ محمد العبده: **البداوة والحضارة**، نصوص من مقدمة ابن خلدون، المنتدى الإسلامي، ط1، لندن، 1413هـ/1993م، ص:28.

[5]_ عبد المجيد مزيان: **المرجع السابق**، ص:129.

_ لقد أرجع مزيان السبب إلى تصنيف معنى كلمة بدو وبادية وجعله معنى ينطبق على الرحل وحدهم من الأخطاء التي ترتكب على الخصوص من لدن المترجمين عن اللغات الأوروبية لأنهم يعتمدون على كلمة (Nomades) و(beduin) التي لا تنطبق إلا على الرحل في هذه اللغات الأجنبية (أنظر: **المرجع نفسه**، ص، ص:251، 305).

[6]_ محمد حسن: **المرجع السابق**، 454/2.

وبخلاف ما ذكره ابن خلدون فقد ظل مفهوم البادية مقترنا بنواحي المدن كمعنى مرادف للمشهد الريفي المحيط بالمدينة من ذلك ما ذكره الحسن الوزان بشأن مدينة تبسة[1] و ندرومة[2] التي كانت لهما بادية منتجة، وكذلك مدينة برشك التي كانت تنتج باديتها الكتان والشعير[3]، وبخارج بونة بادية تحرث وتنتج الكثير من القمح[4]، لذلك فصورة الريف ومجاله يضيق ويتسع حسب الظروف الطبيعية والسياسية وسلطة الدولة ومدى اهتمامها واستغلالها لهذا المجال.

2_المجال: إلى جانب تداخل المصطلحات المفاهمية المتعلقة بالريف والبادية، فإن صعوبة قياس اتساع الأرياف أو تراجعها تعود أيضا للظروف المحيطة وخاصة البيئة الطبيعية من جهة، والقبيلة والسكان من جهة ثانية.

2أ: البيئة الطبيعية (تضاريس ومناخ):

إنّ أرض المغرب الأوسط تتوزع على الساحل والتل والصحراء، والمظاهر المميزة للسطح الجزائري لم تنشأ مرة واحدة وهي مختلفة من حيث أنها تحمل طابع الجبال والأحواض والسهول والنجود والهضاب[5]، لذلك نجد أنّ الغطاء الترابي هو الذي يطبع المعاش بطابعه ويجعل من بعض البشر متوحشين وبعضهم مستقرين، فقضية التوحش والتأنس بناءا على هذا ترجع إلى الطبيعة مهما تفنن البشر في التغلب عليها أو التكيف معها[6]، ذلك أن اختلاف شكل العمران واحواله بالجملة يعود أساسا لاختلاف طبيعة الأرض من الخصب والجذب[7].

وللمناخ أيضا الدور الجوهري في اختلاف نمط العيش، فيذكر ladurie نقلا عن الحسين بولقطيب[8] "**الموقع الجغرافي وطبيعة التضاريس يتحكمان في نوعية المناخ السائد في أي بلد من البلدان**"، ولما كان المغرب الأوسط يشتمل على مساحة واسعة فإن عناصر المناخ من رياح وأمطار وحرارة تظهر بها متباينة من الشمال إلى الجنوب، لذلك فهو يضم ثلاث مناخات هي: مناخ البحر الأبيض المتوسط، مناخ الاستبس(المناخ القاري) والصحراوي[9].

---

[1]_**المصدر السابق**، 63/2، 64.

[2]_**نفسه**، ص:12.

[3]_**نفسه**، ص:33.

[4]_**نفسه**، ص ص: 61_62.

[5]_ عبد القادر حليمي: **جغرافية الجزائر (طبيعية، بشرية، اقتصادية)**، ط1، الجزائر، 1968م، ص:38.

[6]_ عبد المجيد مزيان: **المرجع السابق**، ص:238.

[7]_الجابري: **المرجع السابق**، ص:146.

[8]_ **جوائح وأوبئة مغرب عهد الموحدين**، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، (د_ت)، ص:13.

[9]_حليمي: **المرجع السابق**، ص،ص: 72،94.

وللمناخ حسب ابن خلدون الأثر الكبير في طبائع الناس وشؤون المعاش[1] وما يهمنا في مجال الدراسة هو موضوع الزراعة والبستنة التي تمثل عصب النشاط الفلاحي ضمن الاقتصاد الريفي، فالمناطق الواقعة إلى الشمال من خط توزيع الأمطار السنوي (400ملم)، الممتد على طول السواحل الجزائرية مع انحناء نحو الجنوب بجهات الأوراس هي مناطق استقرار، وتتصف بالنشاط الفلاحي لدى سكان الجبال والسهول، والمنطقة الواقعة بين خطي توزيع الأمطار السنوي (200_400ملم)، مثل الهضاب العليا ونواحي الأطلس الصحراوي تعتبر مجال انتقال بين أسلوب الزراعة والرعي، وظلت طيلة العصر الوسيط حيز انتقال بين حياة الترحال والاستقرار[2].

وهو ما يؤكده ابن خلدون[3] بقوله: <<**فمن كان معاشه منهم في الزراعة والقيام بالفلح كان المقام به أولى من الضعن وهؤلاء سكان المدر والقرى والجبال وهم عامة البربر والأعجام، ومن كان معاشه في السائمة مثل الغنم والبقر فهم ضعف في الأغلب لارتياد المسارح والمياه لحيواناتهم، فالتقلب في الأرض أصلح لهم ويسمون شاوية ومعناه القائمون على الشاء والبقر ولا يبعدون في القفر لفقدان المسارح الطبية وهؤلاء مثل البربر والترك وإخوانهم من التركمان والصقالبة...وأما من كان معاشهم من الإبل فهم أكثر ضعنا وأبعد في القفر مجالا لأن مسارح التلول ونباتها وشجرها لايستغني بها الابل في قوام حياتها عن مراعي الشجر بالقفر وورود مياهه الملحة والتقلب فصل الشتاء في نواحيه فرارا من أدى البرد إلى دفاءة هوائه وطلب لماخض النتاح في رماله،...>>.**

فالضروري من المعاش هنا يهم أنواعا كثيرة من الحياة الاقتصادية والاجتماعية من غراسة الأشجار في مناطق الري والإستقرار إلى تربية الابل في القفار ويدخل فيها العمران البدوي بأكمله، لذلك فالرحل ليسوا متوحشين بطبيعتهم ولكن بطبيعة نوع المعاش الذي ينتحلونه[4].

والطبيعة الجغرافية لبلاد المغرب الأوسط والتي تمتاز بالتنوع قد فرضت على السكان الضاربين بين السهول الفسيحة كسهول متيجة، ووهران وبونة والسفوح الشمالية لسلسلة الأطلس التلي حيث تسود التربة الخصبة والمناخ المعتدل والأمطار الغزيرة والغابات؛ حياة رغدة نتيجة ملائمة الظروف الطبيعية فمارسوا الزراعة وامتهنوا صناعات متنوعة واستقروا في بيوت مبنية من الطين والحجارة[5].

---

[1]_يولقطيب: **المرجع السابق**، ص:13، وللتفصيل أكثر حول الموضوع، ينظر عنصر "حضور المناخ في التحليل الخلدوني"، ضمن **نفس المرجع**، ص ص:18_21.

[2]_ناصر الدين سعيدوني: **دراسات تاريخية في الملكية والوقف والجباية**، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ص ص: 16_17.

[3]_ **المقدمة**، ص ص: 151_152.

[4]_ عبد المجيد مزيان: **المرجع السابق**، ص، ص: 262، 273.

[5]_عبد الحميد الفهري: **البربر الجبالية في العصور الوسطى**، مقال ضمن كتاب ملتقى التغيرات الاجتماعية في البلدان المغاربية عبر العصور، جامعة قسنطينة، 2001م، ص:143.

2_ب_ القبيلة والسكان:

إنّ تحديد المجال الريفي بالمغرب الأوسط في الجانب الاجتماعي هو موضوع صعب للغاية نظرا للحركة القبلية وعدم الاستقرار، ونلمح من المصادر ذلك الحضور القوي للقبائل البربرية (كتامة، صنهاجة وزناتة) وسائر القبائل العربية سواء بنشاطاتها الاقتصادية وتحركاتها القبلية، وهذه التحركات لا تقترن بالقبائل الرحل فحسب؛ فحتى القبائل المستقرة قد تضطر إلى الهجرة والقبائل الضاعنة قد تضطر للاستقرار والتوطين[1].

ولمّا كان البدو حسب ابن خلدون مقسمين إلى أنماط متباينة: سكان القرى والجبال والبدو والشاوية والجمالة الضاعنين في الترحال، فإنه ثمة تدرج من مجال الجبال والقرى وهو عنصر الربط بين البدو والحضر إلى مجال الشاوية في المناطق السباسبية وشبه الصحراوية إلى الصحراء حيث الضاعنون في الرحلة[2]، لذلك فدراسة موضوع الزراعة والبستنة بأرياف المغرب الأوسط من القرن (5_10هـ/11_16م)، ستركز أساسا على الاستقرار المرتبط بالنشاط الفلاحي باعتبار الريف نمط عيش يقوم على ممارسة الزراعة وتربية الحيوانات كعنصر مكمل للأول، وسأتناول هذه الدراسة ضمن مجال الريف الذي يمتد من خارج أسوار المدن حتى أطراف البوادي التي ينعدم فيها الاستقرار تماما.

2جـ_العلاقة بين المفهوم والمجال (العلاقة بين الريف والمجالات الحضرية والبدوية)

2_جـ1: العلاقة بين الريف والمدينة:

الريف والمدينة كلمتان متقابلتان بينهما هوّة واسعة لوجود فروق بين المجالين، ولطالما كانت المدينة هي الطرف الأقوى في هذه العلاقة الثنائية لأن الريف لايملك إلاّ جهده[3]، لكن تبقى من شروط ازدهار حياة المدينة بالإضافة إلى الحصن والأسوار نجد المناخ الجيد ووفرة مصادر الغذاء[4]، هذه الأخيرة التي يكون مصدرها الرئيسي والدائم هو الريف، لذلك نجد أنّ كثافة العلاقات والروابط بين المدن والأقاليم الزراعية المحيطة بها تتجلى أساسا في المنتجات الزراعية، والتي شكلت ظاهرة مألوفة ضمن عالم العصر الوسيط[5].

إنّ تراجع الأرياف يُفقد حواضرها المكانة الاقتصادية، فمثلا قبيلة كتامة صاحبة الحضور القوي في القرن 4هـ/10م، قد تراجع دورها في الفترة الزيرية وبعد الغزو الهلالي، فتراجعت حواضرها الكبرى مثل

---

[1] _ **للتفصيل أكثر أنظر ص ص: 101_111 من عنصر الإستقرار السكاني ضمن الفصل الأول.**

[2] _محمد حسن: **المرجع السابق**، 92/1.

[3] _ محمد حسن عبد الله: **المرجع السابق**، ص، 147، 149.

[4] _محمد عبد الستار عثمان: **المدينة الاسلامية**، عالم المعرفة، سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، عالم المعرفة، الكويت، عدد128، 1988م، ص ص:20_21.

[5]–Allaoua Amara : **Communautés rurales**,p.192.

سطيف، ميلة...الخ، والأمر ذاته بالنسبة لأرياف تلمسان وبجاية وغيرهما من حواضر المغرب الأوسط أثناء الحروب والحصارات المتكررة[1].

وبالرغم من المميزات التي عرفتها مدينة العصر الوسيط، لكن هذا لايعني أن أهلها كانوا يعتمدون في معيشتهم على مصادر أخرى أهم من موارد الفلاحة، فالحضر بهذا المفهوم مزارعون بصفة أو بأخرى لأنه قلّما يعبر على مدن صناعية أو تجارية بالمعنى الحديث للعبارة، فيذكر روستو فتزف نقلا عن محمد البشير شنيتي[2]: "**إنّ المدن لم تكن إلاّ طبقة علوية أساسها حياة ريفية زراعية قد تطورت ونمت**".

لقد كانت المناطق الريفية الآهلة بالسكان المستقرين والممتدة حول المدن أو بالقرب منها، على وجه الخصوص مرتبطة أشد الارتباط بتلك المدن، إلى حد أن التضامن الضروري يخفي في أغلب الأحيان الاختلافات الثانوية، وهو ما يُفهم من كلام ابن خلدون بصورة متكررة لعبارة "الحضر"، للدلالة تارة على الحياة الحضرية وطورا على حياة الاستقرار في أي مكان[3].

ومن خلال تحديد ابن خلدون لأهم خصائص العلاقة الموجودة بين المدينة والريف بالمغرب الإسلامي فقد توصل إلى ظاهرتين بارزتين هما: تجمع الأراضي لصالح أقليات لا تخدم الأرض بصفة مباشرة وتحويل مكاسب الأرياف إلى المدن وهاتان الظاهرتين تصبان في الريف منذ قرون إلى وقتنا هذا[4]، لذلك فسيطرة المدينة على الريف قد تكون مباشرة عن طريق التملك العقاري وتهيئة المجال الزراعي، وغير مباشرة بواسطة تجميع المنتوجات الزراعية وتحويلها وتسويقها.

ولاشك أن النشاط الاقتصادي قد متن العلاقة بين المدينة والريف بشكل متكامل بينهما وفي صورة تتجلى باحتياج كل طرف للآخر وعليه فلا يجوز اعتبار مناطق الجبال والصحراء في المغرب الأوسط بمثابة البقاع النائية إذ أنّ نظرية انعزال الصحراء والجبال على المناطق المغربية لا أساس لها من الصحة[5]، لكن هذا لا ينفي تمتع هذه المناطق بسلطة مستقلة خاصة في حال ضعف هذه الدولة أو تلك رغم انتماء أهلها رمزيا إلى الدولة المسيطرة في الشمال، ولهذا نجد أنّ العلاقة بين المجالين دائمة ومتواصلة كما لا توجد طبيعة واحدة لهذه العلاقة أو لنمط واحد للانتاج[6].

2_ج2: العلاقة بين الريف والبادية:

اعتمادا على ما سبق يمكن اعتبار البادية امتدادا للريف؛ كما يمكن أن تكون نقيضا له، لذلك فنقاط التمفصل بين الريف والبادية يعود إلى نوع العمل بالذات، الريف يركز على الفلاحة والبادية على نشاط الرعي وكل مجال يمارس نشاطه على نطاق واسع.

---

[1] _**أنظر ص ص: 147 من الفصل الأول.**

[2] _**التغيرات الاقتصادية والاجتماعية في بلاد المغرب أثناء الاحتلال الروماني**، م،و،ك، الجزائر، 1984م، ص:220.

[3] _ برنشفيك: **المرجع السابق**، 169/2.

[4] _جيلالي صاري: **مساهمة ابن خلدون في تحليل علاقات المدينة والريف**، مجلة الأصالة، العدد 64، 1399هـ/1987م، ص:10.

[5] _عبد المجيد مزيان: **المرجع السابق**، ص:183.

[6] _محمد حسن: **المرجع السابق**، 14/1.

ورغم أنّ ابن خلدون يذكر وجود طبقات لدى المدينة نفسها، إلاّ أنه لا يبين لنا التكتلات المصلحية، ولا نلمس الصراع فيما يبدو إلاّ بين عالمين من الإنتاج؛ عالم البداوة الفقير وعالم الإقطاعية السلطانية صاحبة الغنى والترف[1]، وهو الأمر الذي صعّب عليّ كثيرا ضبط مفهوم أهل الريف خاصة في عهده، والذين ينضوون تحت إسم البدو والمزارعين من أهل القرى.

وبالرغم من نقاط التمفصل بين هذه المجالات الثلاث: البادية، الريف، والمدينة، إلاّ أنّ العلاقة بين كل هذه المجالات دائمة ومستمرة، نظرا لتداخل المصالح بينها خصوصا بين الريف والمدينة وتفاعل هذه المجالات فيما بينها مما يؤكد على وجود تكامل بين المدينة والريف أو حتى بين الريف والبادية، لأن العمران البدوي هو أصل وسابق للعمران الحضري.

ثالثا: إطلالة على النشاط الزراعي والبستني بأرياف المغرب الأوسط (المفهوم والخصائص) من القرن 5_10هـ/11_12م

I. المفاهيم المتعلقة بنشاط الزراعة والبستنة

إن ضبط المفاهيم المتعلقة بنشاط الزراعة والبستنة هي من الأمور المهمة التي يجب تحديدها في بداية هذه الأطروحة للوقوف على خصوصية كل نشاط من جهة، ومدى اتساعه أو تراجعه وعلاقة كل نشاط بالمجالات المحيطة به ضمن نطاق الحواضر، الأرياف والبوادي من جهة ثانية، ومعالجة هذا الموضوع يكون على مستويين:

الأول: يتعلق بضبط مختلف المفاهيم المتعلقة بنشاط الزراعة والبستنة لتأكيد الفرق بين الزراعة، الغراسة، والفلاحة ومدى تداخل دلالاتها التاريخية ضمن المجالات الريفية بالمغرب الأوسط.

الثاني: يتعلق بضبط مختلف المفاهيم المتعلقة بممارسة هذين النشاطين ضمن مجالات استغلال محددة: كالمزرعة، الفدّان، البستان، الحديقة...الخ، والتي لها علاقة وطيدة بمناطق الاستقرار البشري (مناطق العمران)، ومدى ممارسة نشاط الزراعة والبستنة.

1_الزراعة: لغة من الفعل زَرَع الحب يزرعه زَرْعا وزِرَاعة أي بَذَرَهُ، والإسم الزَرْع وقد غلب على البُرِّ والشعير وجمعه، زُروع وقيل الزرع نبات كل شيء يحرث[2]، لذلك نجد أن الحرث هو الزرع[3] وفي القرآن الكريم قال الله تعالى: ﴿قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْارْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ﴾[4]، والفلاح زارع بمعنى أنه مهيّء للزرع[5].

---

[1] _مزيان: **المرجع السابق**، ص ص: 360_362.

[2] _ابن منظور: **المصدر السابق**، المجلد 3 (الذال_السين)، مادة زرع، 1826/21.

[3] _محمد عمارة: **قاموس المصطلحات الاقتصادية في الحضارة الاسلامية**، ط1، دار الشروق، القاهرة، 1413هـ/1993م، ص:168.

[4] _ **سورة البقرة**، الآية 71.

[5] _محمد عمارة: **المرجع السابق**، ص:436.

وزرع الأرض حرثها للزراعة والاستزراع تهيئة الأرض البور للزراعة[1]، والزرّيعة ما بذر والزرّيعة بتخفيف الراء الحب الذي يزرع، والزَرّاع معالج الزرع وحرفته الزراعة، والزَرّاعة هي الأرض التي تزرع[2]، كما تطلق الزراعة على حرفة الزارع وعلم فلاحة الأرض[3].

ويطلق الزرع أساسا على المزروع من النبات وهو النبات المغروس بفعل فاعل إذا كان يبقى فيها إلى أمد ثم يحصد، وإن كان لا يحصد كالأشجار ونحوها فهو غرس[4]، وبهذا نجد أن نشاط الزراعة مرتبط أساسا بانتاج الحبوب عموما (القمح والشعير) وسائر البذور ذات الحب (فول، جلبان، حمص...الخ)، لذلك سأركز في هذه الدراسة ضمن مجال الزراعة؛ على هذه المحاصيل بالذات في أرياف المغرب الأوسط من القرن 5_10هـ/11_16م.

وبالنظر إلى ما أوردته مصادر الفترة نجد أن الزراعة شملت قسما كبيرا من نشاط سكان المناطق الريفية مثل: بادية عنابة[5]، أرياف القل السهلية[6] والجبلية[7]، وأيضا أرياف مرسى الدجاج[8]، هنين[9]، وهناك وهناك من المناطق التي تراجعت عن ممارسة هذا النشاط مثل مدينة وهران "التي كان سكانها فيما مضى من الزرّاع والرعاة"[10].

وإلى جانب المناطق الساحلية الخصبة، فقد شهدت المناطق الداخلية أيضا مثل أرياف قسنطينة التي مارس سكانها هذا النشاط طيلة ½ Π من العصر الوسيط[11]، بالإضافة إلى أرياف سطيف ونقاوس[12].

ولمّا كانت القرى من أبرز المراكز العمرانية الريفية التي تقوم على هذا النشاط، فقد اقترنت العديد من القرى بالزراعة[13]، فعلى سبيل المثال لا الحصر نجد قرية ماروغة (4مراحل من مليانة)[14]، وقرية بني وازلفن (مرحلة من تنس)[15])، وقرية دارست مرحلتين من تاهرت[1]، لكن الملاحظ بأنّ أغلب المعلومات

---

[1] _**المعجم الوسيط**، ص:392.

[2] _الجوهري: **المصدر السابق**، ص:490.

[3] _**المعجم الوسيط**، ص:392.

[4] _قلعة جي، قنيبتي: **المرجع السابق**، ص:222.

[5] _الوزان: **المصدر السابق**، 62/2، مارمول: **المصدر السابق**، 8/3.

[6] _الحميري: **المصدر السابق**، ص:75.

[7] _الوزان: **المصدر السابق**، ص:54، مارمول: **المصدر السابق**، ص:16.

[8] _الادريسي: **المصدر السابق**، ص ص:159_160، الحميري: **المصدر السابق**، ص:539.

[9] _الادريسي: **المصدر السابق**، ص:254.

[10] _مارمول: **المصدر السابق**، 329/2.

[11] _الادريسي: **المصدر السابق**، ص:165، الحميري: **المصدر السابق**، ص:480، الوزان: **المصدر السابق**، 58/2، مارمول: **المصدر السابق**، 12/3.

[12] _الحميري: **المصدر السابق**، ص:403، الوزان: **المصدر السابق**، 53/2، مارمول: **المصدر السابق**، 383/2.

[13] _ تجنبا للتكرار، فقد آثرت إعطاء بعض النماذج فقط حول القرى الزراعية، لأن أغلبها سأذكرها ضمن صفحات هذه الأطروحة سواء عند الحديث عن المزارع أو الانتاج الزراعي بالتفصيل.

[14] _الادريسي: **المصدر السابق**، ص:155.

[15] _**نفسه**، ص:154.

الواردة حول ممارسة النشاط الزراعي كان مقترنا بالمدن مثل مدينة مقرة، التي كان "**أهلها يزرعون الكتان وهو عندهم كثير**"[2]، ومدينة ميلة "**ليس لها غير المزردع**"[3]، ومدينة تيهرت كانت "**كثيرة الزرع**"[4]، فهل يعود الأمر إلى أن النشاط الرئيسي لسكان هذه المدن كان يعتمد على الزراعة بالدرجة الأولى أم أن المدن كانت تسيطر على أريافها الأمر الذي جعل الرحالة والجغرافيين يربطون هذا النشاط بالمدن؟

وممارسة النشاط الزراعي لم يكن حكرا على السكان المستقرين فحسب، بل إنّ من سكان المغرب الأوسط خلال هذه الفترة من جمع بين الاستقرار والترحال (أنصاف الرحل)، فأهل الغدير كانوا "**بدو لهم مزارع وأرضون مباركة والحرث بها قائم الذات**"[5].

وبعد تخريب مدينة تسلة بات سكانها يعيشون تحت الخيام ويزرعون القمح الجيد بالسهل الذي يحمل إسمها "**سهل سيدي بلعباس**"[6]، ويقطن بين مستغانم ونهر شلف فرع آخر من أولاد والثعالبة وهم فرع من ذوي عبيد الله يدعون أولاد سويد ويملكون كمية وافرة من القمح والماشية ومعظم هذه القبائل يعيشون في دواوير وقرى متنقلة[7]، ومعظم سكان جبل مغراوة أغنياء بزروعهم وماشيتهم لكنهم ينتجعون مثلما يفعل العرب ولا يستقرون في محلة معلومة[8].

لقد مارس سكان المناطق الجنوبية أيضا النشاط الزراعي، وعلى نطاق واسع فمنطقة تيكورارين بها أراض كثيرة صالحة للزراعة[9].

2_الغراسة: من الفعل غَرَسَ، وغَرَسَ الشجر والشجرة يغرسها غرسا، والغَرْسُ الشجر الذي غُرِسَ والجمع غِراس، ويقال للنخلة أول ما تنبت غريسة[10]، والغِراس زمن الغرس والمَغْرِس موضع الغَرس والغِراسة ما يُغرَس من الشجر[11]، والغريسة شجر العنب العنب أول ما يغرس، والغريسة النواة التي تزرع، والغريسة، الفسيلة ساعة توضع في الأرض حتى تعلق والجمع غرائس وغراس والغريسة فسيل النخل[12].

---

[1] _**نفسه**، ص:157، الحميري: **المصدر السابق**، ص:539.

[2] _الادريسي: **المصدر السابق**، ص:164، الحميري: **المصدر السابق**،556.

[3] _الحموي: **المصدر السابق**، 244/5.

[4] _عماد الدين إسماعيل أبي الفدا: **تقويم البلدان**، اعتنى بتصحيحه وطبعه رينود والبارون ماك كوكين ديسلان، دار الطباعة السلطانية، باريس، 1830م، ص:139، القلقشندي: **المصدر السابق**، 111/5.

[5] _الادريسي: **المصدر السابق**، ص:162.

[6] _الوزان: **المصدر السابق**، ص:25، مارمول: **المصدر السابق**، 325/2.

[7] _مارمول: **المصدر نفسه**، 109/1.

[8] _ الوزان: **المصدر السابق**، ص:45، مارمول: **المصدر السابق**، 353/2.

[9] _الوزان: **المصدر السابق**، ص:133.

[10] _ابن منظور: **المصدر السابق**، مج 5 (العين_واللام)، مادة غرس، 3240/36، الجوهري: **المصدر السابق**، ص:844.

[11] _ابن منظور: **المصدر السابق**، 3240/36، أنظر أيضا: محمد عمارة: **المرجع السابق**، ص:405، قلعة جي، قنيبتي: **المرجع السابق**، ص ص: 329_330، **المعجم الوسيط**، ص:675.

[12] _ابن منظور: **المصدر السابق**، 3240/36، كوكب دياب: **المعجم الفصل في الأشجار والنباتات في لسان العرب**، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1421هـ/2001م، ص، ص:187، 189.

وبهذا نجد أن هذا النوع من النشاط الفلاحي مرتبط بالأشجار والنباتات بعد مرحلة البذر والزرع، إذ تعتبر المرحلة الثانية للنشاط الأول وإن كان مقترنا بنوع يختلف عن النشاط الزراعي وعلى هذا الاعتبار هل يقال زرع الشجرة؟

جاء في كتاب لغة الجرائد لليازجي نقلا عن مصطفى الشيهابي[1] "**يقولون زرع الشجرة أي غرسها وإنما الزرع للحب والبذر ولا يقال للشجرة وما في معناها**"، وإن كان الأصل وحسب ابن منظور، استعمال الغرس في الشجر، لكن جاء في شرح نهج البلاغة: يقال: زرعت الشجرة كما يقال زرعت البُرَّ والشعير، وفي هذا الصدد جاء في المصادر أن "**طبنة كانت كثيرة الزروع وأكثر زرعهم سقى**"[2].

ناذرة تلك الإشارات الواردة حول مدلول الغراسة بالمغرب الأوسط ما عدا المعلومة التي أوردها الحميري[3]، بشأن باغاية بقوله: "**قبض مغارسها لأشياخها**"، وإن كنت أنقلها بتحفظ لكون هذا الأخير ناقل ناقل عن الإدريسي[4].

والغراسة (Arboriculture)هي زراعة الشجر وهي من الحرف الزراعية التي أصبحت علوما في أيامنا الحالية، على غرار البستنة (Horticulture)[5]، وهذه العلوم وإن لم تكن ذات طابع أكاديمي في المغرب الوسيط كله بحكم خصوصية الفترة، إلاّ أنّ غراسة معظم النباتات البستنية ذات العلاقة بتلك الأنواع بأرياف المغرب الأوسط هي دليل على انتشارها، وإن كان انتاجها يختلف من منطقة إلى أخرى بحكم خصوبة كل منطقة والظروف المحيطة بها.

و**البستنة** هي زراعة البساتين[6] أو علم فلاحة البساتين[7]، وفي هذا الصدد يذكر ابن العوام[8] على لسان أبي الخير الاشبيلي: **<<وقال خ وغيره تختار للبساتين والجنات من أنواع الأرض أطيبها بقعة وأعذبها ماءا وليكن مع ذلك معينا وتعدل أرضها قبل غراسها ثم تستوي لجري الماء عند سقيها عليها كلها لأنها إن سويت أرضها بعد غراسة الأشجار فيها فربما انكشف بعض أصول الشجرة عند تعديل الأرض فأضرّ بها>>.**

---

[1] _**أخطاء شائعة في ألفاظ العلوم الزراعية والنباتية وكلمات مولدة يفيد إقرارها**، مجلة المجمع العلمي العربي، دمشق، 1383هـ/1963م، مج38، مج38، 535/4.

[2] _أبو الفداء: **المصدر السابق**، ص: 139، القلقشندي: **المصدر السابق**، 107/5.

[3] _**المصدر السابق**، ص:76.

[4] _يذكر الادريسي بهذا الشأن بأن باغاي "**كانت لها بواد وقرى وعمارات والآن كل ذلك قليل وحولها عمارات برابر يعاملون العرب، وأكثر فلاحتهم الحنطةوالشعير وقبض معاوينها وتصرف أحوالها لأشياخها**، أنظر: **نزهة المشتاق**، ص:177.

[5] _الشيهابي: **المرجع السابق**، ص:556.

[6] _نفس المرجع والصفحة.

[7] _**المعجم الوسيط**، ص:55.

[8] _**كتاب الفلاحة**، 153/1.

والملاحظ أن حرفة الزراعة الحديثة تشمل بذر البذور وغرس الغراس وغير ذلك، كما يقول الزارعون في أيامنا هذه زراعة البساتين وفلاحة البساتين وهما تشملان غرس الشجر[1]، كما تشير البستنة أيضا إلى زراعة الخضار في حقول تعطي عدة مواسم[2]، والملاحظ أن زراعة هذه الأخيرة كانت قليلة الانتشار مقارنة بغراسة الأشجار المثمرة بأرياف المغرب الأوسط (5_10هـ/11_16م).

وعموما نجد أن نشاط البستنة مرتبط أساسا بموضوع الغراسة (غراسة الشجر) وبالضبط الأشجار المثمرة (الفواكه) بالإضافة إلى سائر المغروسات (الخضروات)، وسأركز في دراستي على البستنة بأرياف المغرب الأوسط ضمن هذه المحاصيل بالذات.

لقد مارس النشاط البستني العديد من سكان المناطق الجبلية مثل سكان جبال قسنطينة[3] وجبل بني ورنيد الذي يبعد عن تلمسان بفرسخ واحد[4]، وسكان جبل ولهاصة المجاور لمدينة هنين[5]، بل حتى سكان الواحات الصحراوية فبلاد ريغ كانت بلاد نخل ومحمضات[6].

والملاحظ أن كلاّ من نشاط الزراعة والغراسة (البستنة عموما) يدخلان أساسا ضمن النشاط الفلاحي، فماذا تعني كلمة الفلاحة حسب مصادر اللغة، وباقي المؤلفات الأخرى؟، وما درجة تداخل مدلول هذه الأخيرة بمفهوم كلا من الزراعة، الغراسة والبستنة.

3_<u>الفلاحة</u>: لغة من الفعل فَلَحَ والفَلَحُ، الشق والقطع، والفلح مصدر فلحت الأرض إذ شققتها للزراعة وفلح الأرض للزراعة يفلحها فلحا إذا شقها للحرث* والفلاح: الأكّار[7]، وسمي فلاحا لأنه يفلح الأرض، والفِلاحة والفِلاحة والحِراثة[8] هي قلب الأرض الزراعية استعدادا لزراعتها[9].

---

[1] _الشيهابي: **المرجع السابق**، ص:556.

[2] _بيار جورج: **معجم المصطلحات الجغرافية**، ترجمة حمد الطفيلي، مراجعة هيثم اللمع، ط2، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، بيروت، لبنان، 1422هـ/ 2002م، ص: 120.

[3] _مارمول: **المصدر السابق**، 3/15_16.

_تكتظ كل المنطقة الواقعة شمال قسنطينة وغربها بجبال لا تحصى عددا، تبتدئ من تخوم بجاية وتمتد على طول البحر الأبيض المتوسط حتى قرب عنابة على مساحة 130 ميلا (45 فرسخا)، أنظر: الوزان: **المصدر السابق**، 103/2، مارمول: **المصدر السابق**، ص:15.

[4] _مارمول: **المصدر نفسه**، 352/2.

[5] _الوزان: **المصدر السابق**، ص:44، مارمول: **المصدر السابق**، 351/2.

[6] _ابن سعيد: **المصدر السابق**، ص: 126.

(*) الحرث والحراثة العمل في الأرض زرعا كان أو غرسا، وقد يكون الحرث نفس الزرع والحرث قدفك الحب في الأرض لا زدراع.

_والحرث الزرع والحراث الزراع وقد حرث واحترث مثل زرع وازرع.

_والحرث للأرض اثارتها بشقها وتهيئتها للزرع والغرس ويطلق الحرث على نفس الزرع قائما كان أو حصيدا، أنظر: ابن منظور: **المصدر السابق**، مج2 (حرف الحاء_الدال)، 819/10، الجوهري: **المصدر السابق**، ص:236، أحمد الشرباصي: **المعجم الاقتصادي الاسلامي**، دار الجيل، 1401هـ/1981م، ص:110، محمد عمارة: **المرجع السابق**، ص:168.

[7] _ابن منظور: **المصدر السابق**، مج5 (العين_اللام)، مادة فلح، 3458/38، 3459.

[8] _ابن منظور: **المصدر السابق**، 3459/38، الجوهري: **المصدر السابق**، ص:898، محمد عمارة: **المرجع السابق**، ص:436.

[9] _قلعة جي، قنيبتي: **المرجع السابق**، ص:349.

أما اصطلاحا فالفلاحة هي صناعة الزراعة[1] وهي علم تدبير النبات من بدء كونه إلى تمام نشأته وذلك شامل لإصلاح الأرض بالماء وبما يخلخلها ويحميها كالسماد والرماد ونحوه، مع مراعاة الأهوية وفوائده وهذا العلم يختلف باختلاف الأمكنة[2] والأزمنة، ذلك أنّ مفهوم الفلاحة يختلف من فترة زمنية إلى أخرى.

يذكر ابن العوام[3] بأن: **«معنى فلاحة الأرض هو إصلاحها وغراسة الأشجار فيها وتركيب ما يصلحه التركيب منها وزراعة الحبوب المعتاد زراعتها فيها واصلاح ذلك وإمداده بما ينفعه... ومعرفة جيد الأرض ووسطها والدون منها وهذا هو الأصل الذي لا يستغنى عنه، ومعرفة ما يصلح أن يزرع أو يغرس في كل نوع منها من الشجر والحبوب والخضر واختيار النوع الجيد من ذلك ومعرفة الوقت الملائم لزراعة كل منها والهواء الموافق لذلك، وغراسة ما يغرس فيها وكيفية العمل في الزراعة والغراسة أيضا، ومعرفة أنواع المياه التي تصلح للسقي لكل نوع منها وقدرة معرفة الزبول وإصلاحها وما يصلح منها لكل نوع من أنواع الأشجار والخضر والزرع والأرض وكيفية العمل في عمارة الأرض قبل زراعتها وبعد غراستها وتزبيلها وتعديلها لجري الماء عليها بعد سقيها، وتقدير ما يحتمل من الأرض من أنواع البذر، وصفة العمل في التذكير وعلاج الخضر والأشجار من الآفات اللاحقة لها...وكيفية العمل في اختزان الحبوب وفواكه الأشجار وفوائد الأثمار وشبه هذا...»**.

ومن خلال هذا التعريف نلمح التعداد المفصل للنشاط الفلاحي من البداية إلى النهاية والذي يقوم على أربع محاور أساسية: علم التربة، وإخصاب الأرض بالحرث والتزبيل خاصة والري وخدمة النباتات والأشجار وحمايتها[4]، بالإضافة إلى اختزان الحبوب والفواكه[5]، وبشكل أساسي على غراسة الأشجار وزراعة الحبوب والخضر، وهي النقاط التي سأركز عليها ضمن موضوع هذه الأطروحة.

مارس هذا النشاط سكان المناطق الريفية لبلاد المغرب الأوسط بشهادة جغرافيي الفترة، فهذا الإدريسي[6]، يذكر بشأن سكان القلعة بأن "**فلاحتهم إذا أغنت وإذا قلت كفت**"، والقسم الأكبر من أراضي المغرب الأوسط كان ملائما للنشاط الفلاحي، فمدينة يلّل _الطريق الرابط ما بين تلمسان وتنس وتبعد بأربع مراحل من إفكان_ توصف بأنّ: "**بلادها جيدة للفلاحة وزروعها نامية**"[7]، بالإضافة إلى تلمسان التي كانت "**كريمة الفلح**"[8].

---

[1] _لشرباصي: **المرجع السابق**، ص:347.

[2] _**نفسه**، ص:302، محمد عمارة: **المرجع السابق**، ص:436، **المعجم الوسيط**، ص:700.

[3] _**المصدر السابق**، 273/1_274.

[4] _عبد اللطيف عبيد: **المدرسة الفلاحية**، ص ص:412_413.

[5] _هلا قصقص: **ابن العوام وكتاب الفلاحة**، ص ص:7_8.

[6] _**المصدر السابق**، ص:162.

[7] _**نفسه**، ص:152.

[8] _يحي بن خلدون: **المصدر السابق**، 85/1، 90.

وفي فصل آخر يعود ابن العوام[1] إلى تعريف الفلاحة عقب ما ذكره آنفا ويضيف: "وإني لما استوفيت بعون الله في ذلك بحسب الغرض المقصود إليه أضفت إلى ذلك **فلاحة الحيوانات التي لا غنى على استعمالها في فلاحة الأرض، وبعض الأطيار التي تتخذ في الضياع وفي المنازل للانتفاع بها ووصف الجيد منها ونعوته ووجه العمل في انتاجها وسياستها وعلاج بعض أدوائها...**".

ومن هذا التعريف نجد أنّ فلاحة الحيوانات تأخذ حيزا معتبرا، مثل تربية المواشي وسائر الكراع والدواجن وتربية النحل، مع ما يرافقها من بيطرة، لتقترن هذه المفاهيم بجوانب مهمة تتمحور حول الاقتصاد المنزلي: إدارة المزرعة، اختيار العمال الزراعين، حفظ المحاصيل...الخ[2].

ومدلول "الفلاحة" منذ القدم قد اتخذ معنى أوسع من شق الأرض فهي بهذا المعنى مرادفة لكلمة "الزراعة" والتي كان القدماء يؤثرون عليها كلمة الفلاحة، ذلك أن هؤلاء كانوا يسمون مؤلفاتهم في الزراعة (كتب الفلاحة)[3].

ويأخذ مفهوم الفلاحة عند ابن خلدون[4] مدلولا خاصا فيقول: <<**هذه الصناعة من فروع الطبيعيات وهي النظر في النبات من حيث تنميته ونشوئه بالسقي والعلاج وتعهده بمثل ذلك، وكان للمتقدمين بها عناية كبيرة، وكان النظر فيها عندهم عاما في النبات من جهة غرسه وتنميته ومن جهة خواصه...**>>، ويجعلها في فصل آخر من أنواع الصناعة بقوله: <<**هذه الصناعة ثمرتها اتخاذ الأقوات والحبوب بالقيام على إثارة الأرض لها وازدراعها وعلاج نباتها وتعهده بالسقي والتنمية إلى بلوغ غايته ثم حصاد سنبله واستخراج حبه من غلافه وإحكام الإعمال لذلك وتحصيل أسبابه ودواعيه، وهي أقدم الصنائع لما أنّها محصلة للقوت المكمل لحياة الإنسان غالبا إذ لا يمكن وجوده من دون القوت ولهذا اختصت الصناعة بالبدو، إذ قدمنا أنه أقدم الحضر وسابق عليه فكانت هذه الصناعة بذلك بدوية لا يقوم عليها الحضر ولا يعرفونها لأن أحوالهم كلها ثانية على البداوة فصنائعهم ثانية عن صنائعها وتابعة لها**>>[5].

والملاحظ من تعريف ابن خلدون أنه حصر الفلاحة ضمن خدمة الأرض فقط (زراعة وغراسة) ولم يدرج معها فلاحة الحيوان وفي المقابل حصرها ضمن أهل البدو؛ رغم أنّ هذه الحرفة تقوم على الاستقرار نظرا لما تتطلبه المحاصيل من عناية كبيرة، خاصة الخضر والأشجار المثمرة.

ومن هذا المنطلق نجد أن الفلاحين هي تلك القوة البشرية التي اتخذت من الفلاحة مهنة لها وهذه الطبقة أخذت على عاتقها مهنة فلاحة الأرض واستغلال الظروف الطبيعية في استثمار المحاصيل الزراعية

---

[1] _**المصدر السابق**، 275/1.

[2] _فريد جحا: **التراث العربي الأندلسي في ميدان علم النبات**، مقال ضمن كتاب اسهامات العرب في علم النبات، أعمال الندوة العالمية الثالثة لتاريخ العلوم عند العرب (10_14 ديسمبر 1983م)، ط1، الكويت،1408هـ/ 1988م، ص:364.

[3] _**نفسه**، ص:360.

[4] _ابن خلدون: **المقدمة**، ص: 652، أنظر أيضا: **العبر**، 116/6.

[5] _ابن خلدون: **المقدمة**، ص:509.

المختلفة[1]، وأهل الفلح مصطلح يطلق في المراتب الاجتماعية والاقتصادية على أهل الريف الذين يعيشون من الاحتراف بزراعة الأرض وفلحها[2]، ويعيش الفلاحون في القرى والبوادي واعتمادهم الأساسي في نشاطهم يقوم على الزراعة[3]، وبأرياف المغرب الأوسط وخلال هذه الفترة بالذات، ما مدى درجة توجه السكان لهذا النشاط؟

تؤكد المؤلفات المصدرية أن قسما كبيرا من سكان المغرب الأوسط كانوا من الفلاحين[4]، لكن درجة الإستغلال الفلاحي واستقطاب الأيدي العاملة في هذا المجال تختلف من منطقة إلى أخرى، فأهل تلمسان كانوا "من أهل الفلاحة"[5]، وسكان قصر جيجل الذي به 500 كانون، كانوا كلهم من الفلاحين[6]، ومن أكثر أكثر المناطق الريفية الغاصّة بأعداد كبيرة من الفلاحين، هي المناطق الجبلية الغربية مثل: جبل ترارة (ولهاصة) قرب هنين[7]، وجبل أغبال كلهم فلاحون أو حطابون، وجبل بني ورنيد (3 أميال من تلمسان)، "**أهله فحامون وحطابون وفلاحون أيضا**"[8].

ولاحتواء إقليم بني راشد على سهول في المناطق الجنوبية والمرتفعات بالشمال، فإن أهل المرتفعات يسكنون دورا لائقة مبنية بجدران ويزرعون الحقول والكروم ويشتغلون بسائر ضروريات المعيشة، وسكان السهول وهم أشرف بكثير يقيمون في البادية ويربون المواشي (الجمال والخيل)[9].

والملاحظ على هذا التقسيم أنه في أواخر العصر الوسيط، أين باتت الفلاحة نشاطا يمارسه المستضعفين من السكان؛ في حين أن الأشراف من السكان هم سكان البوادي الذين يعتمدون على تربية المواشي ونشاط الترحال عموما، وفي المقابل نجد أن الكثير من القبائل العربية والبربرية قد مارست النشاط الفلاحي وكان سكانها من الفلاحين أيضا، فقد كان أولاد هبيرة وهم "العمارة الرابعة لقبيلة هلال من الفلاحين" وهم يعمرون السهول الواقعة ما بين "وهران ومستغانم"[10]، كما كانت بعض فروع مغراوة (زناتة) مستقرة بوادي ريغ ولهم على عدوتية قصور كثيرة وفلاحات متنوعة[11].

---

[1] _حسن علي حسن: **الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس، عصر المرابطين والموحدين**، ط1، مكتبة الخانجي، مصر، 1980م، ص:235، يحي أبو المعاطي محمد عباسي: **الملكيات الزراعية وآثارها في المغرب والأندلس (238_488هـ/852_1095م**، دراسة تاريخية مقارنة، رسالة دكتوراه، إشراف طاهر راغب حسن، جامعة القاهرة، 1421هـ/2000م، 698/2.

[2] _محمد عمارة: **المرجع السابق**، ص:73.

[3] _جودت عبد الكريم يوسف: **الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في المغرب الأوسط خلال القرن 3و4هـ/ 9و10م**، د.م.ج، الجزائر، (د_ت)، ص:19، أبو المعاطي: **المرجع السابق**، الصفحة نفسها.

[4] _الغبريني: **المصدر السابق**، ص:124.

[5] _ ابن مرزوق: **المصدر السابق**، ص:193.

[6] _الوزان: **المصدر السابق**، 51/2.

[7] _مارمول: **المصدر السابق**، 352/2.

[8] _الوزان: **المصدر السابق**، ص:44، مارمول: **المصدر السابق**، ص ص:352_353.

[9] _الوزان: **المصدر السابق**، ص:26، مارمول: **المصدر السابق**، ص:324.

[10] _مارمول: **المصدر نفسه**، 103/1.

[11] _مبارك بن محمد الميلي: **تاريخ الجزائر في القديم والحديث**، تقديم وتصحيح محمد الميلي، المؤسسة الوطنية للكتاب، (د_ت)، 213/2.

والملاحظ على هذه الصنعة أنها لم تكن حكرا على السكان البسطاء فحسب، بل هناك من العلماء والفقهاء من كانت الفلاحة حرفته[1] مثل: ابن مرزوق الجد*الذي كان "**مشتغلا بالبادية بفلاحته وحراثته، وابتنى دار بتلمسان بالموضع المسمى بمرسى الطلبة...وكان بدويا مقبلا على شأنه**"[2].

لقد جاء في تعريف طاش كبرى زاده[3]، لعلم الفلاحة بقوله: **<<علم يُتعرف منه كيفية تدبير النبات من أول نشوئه إلى منتهى كماله، بإصلاح الأرض إمّا بالماء أو بما يخلخلها ويحميها من المعفنات: كالسماد ونحوه أو يحميها في أوقات البرد، مع مراعاة الأهوية فيختلف باختلاف الأماكن ولذلك تختلف قوانين الفلاحة باختلاف الأقاليم، ومنفعته: زكاة الحبوب والثمار ونحوهما، وهو ضروري للإنسان في معاشه، ولذلك اشتق اسمه من الفلاح وهو البقاء، ومن لطائفه إيجاد بعض نتائجه في غير أوانه، واستخراج بعض مبادئه من غير أصله، وتركيب الأشجار بعضها ببعض إلى غير ذلك>>.**

وتعريف طاش زادة حصر أيضا نشاط الفلاحة ضمن الزراعة والغراسة ولم يحصرها في طائفة معينة من حضر أو بدو كما تناولها ابن خلدون، وعلى عكس هذا الأخير فإن موضوع الزراعة والبستنة على الخصوص لا يمارسه فقط أهل البدو ولا ينحصر بهؤلاء فحسب، بل إن نشاط البستنة يكون ضمن الأرياف والمدن، فيذكر ابن العوام[4]: <<**ينبغي ان تختار موضعا لغرس البساتين فيها مياه كافية تقرب من منزل صاحبه إن أمكن ذلك، ليكون مع النظر إليه والسرور به يصلح الهوى وأعين للناظرين وينبغي ألاّ يكون غرس الأشجار غرسا مختلطا، لكن يغرس كل واحد منها قريبا من جنسه لئلا تغلب القوية منها على الرقيقة...>>.**

وبهذا فلم تكن المناطق الريفية والجبلية مستقرا للفلاحين فحسب، بل حتى المدن والحواضر كان سكانها من الفلاحين، فأغلب سكان ميلة "مشتغلون بفلح الأرض"[5]، وسكان المسيلة كلهم صناع أو فلاحون[6]، ويشتغل الكثير من سكان مليانة في الفلاحة[7]، وفي عهد الوزان باتت مازونة قليلة السكان وهم

---

[1] _ابن مريم: **المصدر السابق**، ص:145.

(*) هو أبو عبد الله محمد بن محمد بن أبي بكر بن مرزوق (الجد) تزوج ابنة الفقيه أبو عبد الله الكتاني وكان كبير بلده وصاحب المشورة فيها والمفوض إليه من قبل ملوك الموحدين بني عبد المؤمن بتلمسان (أنظر: ابن مرزوق: **المناقب المرزوقية**، ص:149).

[2] _ابن مرزوق: **المصدر نفسه**، ص:147، أنظر أيضا: يحي بن خلدون: **المصدر السابق**، 114/1.

[3] _أحمد بن مصطفى: **مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم**، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1405هـ/1985م، 308/1، لايختلف تعريف طاش زاده عما أورده ابن الأكفاني في كتابه أنظر: محمد بن إبراهيم بن ساعد الأنصاري: **إرشاد القاصد إلى أسنى المقاصد في أنواع العلوم**، تحقيق وتعليق عبد المنعم محمد عمر، مراجعة أحمد حلمي عبد الرحمن، ملتزم الطبع والنشر، دار الفكر العربي، القاهرة، (د_ت)، ص:187.

[4] _**المصدر السابق**، 557/1.

[5] _الوزان: **المصدر السابق**، ص:60، مارمول: **المصدر السابق**، 13/3.

[6] _الوزان: **المصدر السابق**، ص:52، مارمول: **المصدر السابق**،381/2.

[7] _الوزان: **المصدر السابق**، ص:35، مارمول: **المصدر السابق**،351/2.

وهم إما نساجون أو فلاحون، وكان أغلب سكان مدينة البرج* من الفلاحين أيضا[1]، وهذه المدينة كانت أكثر المدن سكانا بإقليم الزاب نظرا لما حولها من أراض صالحة للفلاحة[2]

إنّ استقرار أغلب الفلاحين بالمدن والحواضر الآنفة الذكر دليل على اعتماد هذه الأخيرة على النشاط الفلاحي كنشاط أساسي تارة، أو مكمل لباقي الأنشطة الحرفية والتجارية المميزة لمعظم المدن تارة أخرى، ولأهمية الفلاحة باعتبارها المصدر الأول والرئيسي لقوت سكان المغرب الأوسط فقد كان هؤلاء يمارسونها رغم كل الظروف المحيطة، فقد عانى سكان مازونة الأمرّين جرّاء الإتاوات المفروضة عليهم والتي أثقلت كواهلهم من قبل حكام مدينة الجزائر، مقابل السماح لهم بفلاحة الأرض[3]، على الرغم من التخريب الذي طال هذه المدينة بسبب الحروب بين ملوك تونس والثوار (الأعراب)[4].

كما أنّ القبائل الجبلية التي هبّت لنصرة بربروس عند حصاره لبجاية عام920هـ/1515م، قد ذهبوا بدون استئذانه لزرع الحقول وحرث أراضيهم بعد هطول أمطار غزيرة في سبتمبر من العام المذكور وعلى إثرها اضطر بربروس إلى الفرار[5]، وبجانب الأيدي العاملة من أهل البلاد فإن الهجرات المختلفة التي جاءت من إفريقية والأندلس واستوطنت بعض أقاليم المغرب الأوسط قد اتخذت هي الأخرى من الفلاحة مهنة لها[6].

ورغم اختلاف تعاريف الفلاحة بين معاجم اللغة والمصادر الفلاحية والتاريخية، إلاّ أنّها تعتبر نشاط اقتصادي يشمل كلاّ من الزراعة والغراسة (في إطار نشاط البستنة) عموما، وتشمل أيضا تربية الحيوانات لكن إدراج هذا النوع الأخير يختلف باختلاف الأمكنة والظروف المحيطة بالنشاط الفلاحي ذاته.

وضمن هذه الأطروحة سأتناول نشاط الزراعة والبستنة بأرياف المغرب الأوسط، كجزء مهم من النشاط الفلاحي، فهناك ترابط بين ممارسة الزراعة والبستنة في العديد من المناطق الريفية لبلاد المغرب الأوسط خلال هذه الفترة، فجزائر بني مزغناي كانت لها "**بادية كبيرة وجبال فيها قبائل من البربر وزراعتهم الحنطة والشعير...ويتخذون النحل كثيرا فلذلك العسل كثير في بلادهم**"[7]، وكذلك بادية شرشال[8]، والملاحظ أن كثرة النحل والعسل بهذه المناطق دليل على انتشار البساتين بها.

---

[1] _الوزان: **المصدر السابق**، ص،ص: 36،139.

(*)مدينة تقع غرب بسكرة، وتبعد عنها ب 14 ميلا، أنظر: الوزان: **المصدر نفسه**، ص:139.

[2] _مارمول: **المصدر السابق**،168/3.

[3] _مارمول: **المصدر السابق**،359/2.

[4] _الوزان: **المصدر السابق**،36/2.

[5] _**نفسه**، ص:38.

[6] _**أنظر ص ص: 127_129 من الفصل الأول.**

[7] _الادريسي: **المصدر السابق**، ص:159، الحميري: **المصدر السابق**، ص:163.

[8] _الادريسي: **المصدر السابق**، الصفحة نفسها، الحميري: **المصدر السابق**، ص:340.

ومن المناطق أيضا نجد بلد كوكو[1]، وقلعة هوارة التي كانت ذات ثمار ومزارع[2]، والتي أفاض الحميري[3] بوصفها بقوله أنها "**ذات بساتين وثمار وأشجار ومزارع وأعناب**"، ولا يتعلق الأمر بالمناطق الساحلية فحسب، بل حتى المناطق الداخلية شهدت تلازما بين ممارسة هذين النشاطين مثل: بلد ميلة الذي كان طيب الزرع والماشية والثمار[4]، وكذلك أرياف المسيلة[5]، وأرياف طولقة[6] قرية عين الصفاصف الصفاصف الواقعة على مرحلة من إفكان، وقرية بنو وازلفن الواقعة على مرحلة من تنس[7].

ولم تخل المناطق الغربية من ممارسة هذين النشاطين، خاصة المناطق الجبلية منها مثل جبل باب البغل بالقرب من باب القصر الواقعة جنوب تلمسان[8]، والجبل الذي كانت به قلعة هوارة[9]، وجبل القلعة[10]، القلعة[10]، وهذه الجبال جميعا كان لها من البساتين والمزروعات الكثيرة والوفيرة، وإن دلّ هذا على شيء فهو يدل على ملائمة الظروف الطبيعية لذلك من تربة خصبة وتساقط وفير، واهتمام السكان بممارسة مختلف الأنشطة الفلاحية.

وبالواحات الجنوبية، نلمح أيضا ممارسة السكان لهذين النشاطين معا فقد كانت "بسكرة" بلاد نخل وزرع[11] ووركلان "بلد خصيب وهي كثيرة الزرع والضرع والبساتين والمياه"[12].

II. أهمية النشاط الزراعي والبستني:

يقول الله تعالى في محكم تنزيله: ﴿**وَهُوَ الذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفاً أَكْلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَانَ مُتَشَابِهًا وَغَيرَ مُتَشَابِهٍ، كُلُوا مِنْ ثَمْرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَأَتُواْ حَقَّهُ يَوْمَ حِصَادِهِ وَلاَ تُسْرِفُوا إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ المُسْرِفِينَ**﴾[13].

---

[1] _مارمول: **المصدر السابق**، 374/2.

_بلد كوكو نسبة إلى جبل كوكو وهو من الجبال المتصلة بالأطلس الكبير، واستمد هذا الجبل إسمه من المدينة الواقعة به "مدينة كوكو"، ويبعد عن الجزائر بـ 18 فرسخا، وعن بجاية بـ 15 فرسخا. أنظر: مارمول: **نفس المصدر والصفحة**.

[2] _البكري: **المصدر السابق**، ص ص:69_70.

[3] _**المصدر السابق**، ص:128.

[4] _مارمول: **المصدر السابق**،13/3.

[5] _البكري: **المصدر السابق**، ص ص:59_60، الحميري: **المصدر السابق**، ص:558.

[6] _البكري: **المصدر السابق**، ص ص:71_72، الحميري: **المصدر السابق**، ص ص:400_401.

[7] _الإدريسي: **المصدر السابق**، ص، ص: 152، 154.

[8] _مجهول (6هـ): **المصدر السابق**، ص:177.

[9] _**نفسه**، ص:178.

[10] _الحميري: **المصدر السابق**، ص:469.

[11] _ابن سعيد: **الجغرافيا**، ص:126، **كتاب بسط الأرض في الطول والعرض**، تحقيق خوان قرنيط خينيس، مطبعة كريماديس، تطوان، المغرب، 1958م، ص:60.

[12] _الحميري: **المصدر السابق**، ص:600.

[13] _سورة الأنعام، الآية 141.

وفي قوله جلّ جلاله: ﴿ **هُوَ الذِي أَنْزَلَ مِنَ السَمَاءِ مَاءًا لَكُمْ مَنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ، يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَّلِكَ لأَيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَرُونَ**﴾[1]

وقوله سبحانه وتعالى: ﴿**أَوْ لَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ المَآءَ إِلَى الارْضِ الجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَاكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ**﴾[2].

إنّ هذه الآيات جميعا على عظم فضلها فهي تبين وتؤكد على أهمية النشاط الزراعي والبستني في تحقيق النفع للناس، والفلاحة هي أقدم وجوه المعاش "**لأنها بسيطة وطبيعة فطرية لا تحتاج إلى نظر ولا علم**"[3]، وهي الأكثر فطرة والأكثر التصاقا بالطبيعة[4].

وهي من أسمى المهن لما فيها من الأجر لقوله صلى الله عليه وسلم: <<**ما من مسلم يغرس غرسا، إلاّ كان ما أكل منه صدقة، وما سرق منه له صدقة، وما أكل السبع منه فهو له صدقة، وما أكلت الطير فهو له صدقة، ولا يرزؤه أحد إلاّ كان له صدقة**>>[5]، وفي رواية أخرى: <<**مامن مسلم يغرس غرسا أو أو يزرع زرعا فيأكل منه طير أو إنسان أو بهيمة إلاّ كان له به صدقة**>>[6].

والزراعة أصل المعاش تاريخيا أي أنّ البشرية بدأت من الفلاحة وجاءت الصناعة المدنية المتفننة بعد ذلك بأطوار، فالزراعة من أجل هذا تُعد المعاش الأساسي الأكثر التصاقا بالطبيعة وهي زيادة على هذا ذات إنتاج واضح وضروري للحياة البشرية لأنها تنتج القوت الذي يحفظ النوع البشري[7]، ويلخص لنا ابن الأكفاني[8]، أهمية علم الفلاحة كشطر مهم للنشاط الزراعي والبستني بقوله: <<**ومنفعته زكاة الحبوب والثمار ونحوها وهو ضروري للإنسان في معاشه ولذلك اشتق إسمه من الفلاح وهو البقاء ومن لطائفه إيجاد بعض نتائجه في غير وقته واستخراج بعض مبادئه من غير أصله وتركيب الأشجار بعضها على بعض**>>.

---

[1] _سورة النحل، الآية 10_11.

[2] _سورة السجدة، الآية 27.

[3] _ ابن خلدون : **المقدمة**، ص:480.

[4] _عبد المجيد مزيان: **المرجع السابق**، ص:18.

[5] _زكي الدين عبد العظيم المنذري: **مختصر صحيح مسلم**، ط1، دار ابن حزم، ل.ط.ن.ت، بيروت، لبنان، 1424هـ/2003م، ص: 250.

[6] _ أبو عبد الله محمد بن اسماعيل البخاري: **الجامع الصحيح**، قام بشرحه وتصحيح تجاربه وتحقيقه محي الدين الخطيب، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه وأحاديثه واستقصى أطرافه: محمد فؤاد عبد الباقي، نشره وراجعه وقام باخراجه وأشرف على طبعه محي الدين الخطيب، ط1، المطبعة السلفية ومكتبتها، القاهرة، 1403هـ، 152/2.

[7] _مزيان: **المرجع السابق**، ص:339.

[8] _**المصدر السابق**، ص:187، ابن الخطيب: **المصدر السابق**، 137/1، **اللمحة البدرية في الدولة النصرية**، تحقيق وتعليق محمد زينهم، الدار الثقافية للنشر، (د_ت)، ص، ص: 33، 40.

ويذكر ابن عوام[1]، في هذا الشأن: <<**من يريد أن يتخذ هذا الفن صنعة يصل بها بحول الله إلى معاشه ويستعين بها على قوته وقوت عياله وأطفاله وجد في حاجته وبلغ فيه إرادته واستعان بذلك على منافع دنياه ومصالح أخراه بتوفيق الله اياه**>>.

وتعتبر الفلاحة مورد رزق رئيسي لا يمكن أن تعوضه أو تعادله التجارة أو الصنائع المختلفة وحسبنا هنا ما قاله ابن وحشية[2]: <<**إذا كانت كل طائفة من الناس مشغولين بضرب من التجارات والصنائع كالبزازين والصيارفة والعطارين والصفارين وغيرهم من أصناف التجار والصنّاع لأصناف الصناعات والباعة لما يباع والبنادرة لما يبذر فهؤلاء كلهم إنّما قوامهم ومادتهم أرباب الضياع والفلاحون... فهؤلاء كلهم فلو قال قايل أنهم عبيد أرباب الصناع وفلاحيها لم يبعد عن الحق والصواب، ولو قال أنّ عيشهم وحياتهم إنما قوامها بالفلاحين كان مصيبا... فإن أرباب الصناع والفلاحين هم الملك وقوامه المشيدون وملكه والمقيمون بأسبابه**>>.

لذلك فقد شكل الفلاح (الزارع) حجر الأساس في بنية المجتمع وهو الأمر الذي حذا بالبعض إلى التوصية فيهم والرفق بهم: "**ومن واجبات العامل أن تمنع رجاله من ظلم أهل الأرض، لأن الأرض إذا ظلمت بظلم أهلها من قبل المسؤولين فقد أصابها الخراب، وخرابها، خراب لأهلها**"[3] .

وضمن هذا المعنى ينصب قول ابن عبدون[4]: <<**بأنّ الفلاحة هي العمران ومنها العيش كله والصلاح جله، وببطلانها تفسد الأحوال وينحل كل نظام**>>، لذلك فقد دعا الفكر الإسلامي للاهتمام بالمزارعين[5] وأكدت المصادر على أهمية دعمهم وحذرت من إضعافهم، "**فإذا ضعف المزارعون عجزوا عن عمارة*، الأرضين فيتركونها فتخرب الأرض ويهرب الزُرّاع فتضعف العمارة فيضعف الخراج ويتنتج ذلك ضعف الأجناد وإذا ضعف الجند طمع العدو**"[6].

وفي غير وصية من وصايا الأخلاق الإسلامية أن أشرف الأرزاق هو الرزق الذي يأتي من كدّ اليد وقد عمل به كثير من العلماء وبعض الولاة الصالحين من المسلمين طلبا للأجر الروحي، كأنه نوع من

---

[1] _**الفلاحة الأندلسية**، ص:262.

[2] _أبو بكر أحمد بن علي بن فيس الكسداني: **الفلاحة النبطية**، تحقيق توفيق فهد، المعهد العلمي الفرنسي للدراسات العربية، دمشق، (د_ت)، ج1، ج1، القسم 1، ص ص:253_255.

[3] _قرة بن شريك العبسي: **برديات قرة بن شريك العبسي**، دراسة وتحقيق جاسر بن خليل أبو صفية، ط1، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض، 1425هـ/2004م، ص:63.

[4] _**المصدر السابق**، ص:5.

[5] _محمد عبد الستار: **المرجع السابق**، ص:24.

(*) العمارة هي مدلول واسع ينصب في عدة معان منها عمارة الأرض بمعنى احياؤها بالبناء أو الغرس أو الزرع، أنظر: قلعة جي، قنيبتي،: **المرجع السابق**، ص:321.

[6] _أبو القاسم ابن رضوان المالقي: **الشهب اللامعة في السياسة النافعة**، تحقيق علي سامي النشار، ط1، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، 1404هـ/1984م، ص ص: 231_232.

العبادة والتقرب إلى الله[1]، ولنا بأرياف المغرب الأوسط خلال هذه الفترة نماذج كثيرة، فقد كان جد ابن مرزوق قد: "**ورث جنانا عن أبيه بالربض من داخل تلمسان فتارة ينقطع فيه بقية يومه وتارة يخرج لمسجد بأعلى العُبّاد في الجنان الذي غرس أكثر بيده وهو الجنان المعروف بركاته الآن**"[2]، وكان هذا البستان يزخر بمختلف أنواع الفواكه من سفرجل، رمان، تفاح، بالاضافة إلى الورود...الخ[3].

وهذا سيدي محمد بن عزوز الديلمي**، كان له سكن أيضا بالبادية في أول عمره وفي آخر عمره فقد بصره وانتقل إلى الحاضرة (تلمسان)، ثم انتقل إلى فاس وتوفي بها[4]، وسيدي محمد بن محمد بن عبد عبد الرحمان المعروف بالأدغم السويدي، كان يمارس النشاط الزراعي إلى جانب تربية بعض العجول الصغار بدوار الأدغم المنسوب إليه[5].

ونلمح أيضا جهود الشيخ أبو موسى عيسى بن يرصوكسن* في النشاط البستني أيضا عند نزوله بتلاّعيسى المنسوب إليه، حين قام بغرس أعداد كثيرة من أشجار النخيل و"صار في النخيل ودايا كثيرة"[6]. كثيرة"[6].

لقد كانت الفلاحة في عهد رقي الأمة مهنة شريفة يُعتز بها إلاّ أنّها في عهود الانحطاط باتت نكبة على ممتهنها، فابن خلدون في مقدمته[7]، عندما ضبط وجوه المعاش جعل الفلاحة من وجوه عيش المستضعفين من الناس وأهل العافية من البدو، "**ذلك لأنه أصيل في الطبيعة وبسيط في منحاه ولذلك لا نجده ينتحله أحد من أهل الحضر في الغالب ولا المترفين ويختص منتحله بالمذلة**".

ورؤية هذا المؤلف كانت مجسدة لعصره وهي لا تخلو من الاحتقار وعدم الاعتبار، حيث رمى الفلاحة ببعض المهانة ويسمى محترفيها بالمستضعفين "أهل العافية"، والفلاحة ليست من مصادر الكسب ولا تساعد بشكل أساسي في التطور الاقتصادي، وفي المقابل نجده يعتبر الفلاحة قوتا أساسيا لوجود الإنسان رغم أنه قد جعلها لا تدخل في مصادر الكسب مثل التجارة والحرث لأن "**أي خلل يحدث به يدفع**

---

[1] _مزيان: **المرجع السابق**، ص:317.

[2] _ابن مرزوق: **المناقب المرزوقية**، ص:155.

[3] _ نفس المصدر والصفحة.

(**) الفقيه العالم الحافظ، الامام المقرئ، أخذ عن سيدي محمد بن موسى الوجديجي، انظر: ابن مريم: **المصدر السابق**، ص ص: 282_283.

[4] _ **نفسه**، ص: 283.

[5] _**نفسه**، ص:289.

(*) من أهل الطبقة العاشرة 450هـ_500هـ: الشريف منسبا، الطيب مكسبا، الهاشمي العربي، الدين كلبة والحياء والكرم جبلة والسخاء سجيته، انظر: الدرجيني: **طبقات المشايخ**، 453/2_454.

[6] _نفس المصدر والصفحات.

[7] _ص ص: 493_494.

بالمجتمع إلى خطر المجاعة"[1]، لذلك اعتبرت الفلاحة "**أهنى المكاسب جملة وأربحها وأقربها إلى النجدة والسلامة واكتساب الأجر**"[2]، لأن "**بالزراعات والغراسات تكثر بمشيئة الله الأقوات**"[3].

والواقع أنّ هذا الأمر لا يتعلق بعصر ابن خلدون ولا ببلاد المغرب الأوسط فحسب، ذلك أن الفلاحة لدى جميع القدماء من كلدانيين ومصريين ويونانيين ورمانيين وعرب، قد قامت كلها على الملاحظات والتجارب فحسب وأنّ تقدم الفلاحة بالعلوم لم يحصل إلاّ بعد النهضة الأوروبية أي بعد كشف النقاب عن المعلومات الكيماوية والبيولوجية الحديثة التي كان يجهلها القدماء[4].

ورغم ذلك فالمؤكد أنّ العمل الزراعي هو العمل المنتج وقد أكدت مدرسة الطبيعيين "الفيزيوقراطيين" (Les physiocrates) خلال القرن 18م أنّها المصدر الأصلي لكل الثروات فهي تنتج الأقوات الضرورية لنمو السكان، وتمد الصناعات الحرفية بالمواد الأولية وتركز عليها تجارة الحبوب بأنواعها، وإعطاء الأولوية لهذا القطاع المنتج هو في حد ذاته اكتشاف هام بالنسبة لتطور الفكر الاقتصادي عموما وميلاد علم الاقتصاد السياسي على الخصوص[5].

وإلى جانب الفوائد الغذائية التي توفرها المنتجات الفلاحية؛ زراعية كانت أو بستنية من حبوب، بقول، الخضر والفواكه بأنواعها المختلفة[6]، فإننا نجد أن هناك تلازما واضحا بين وفرة الغذاء وتحسين المستوى المعيشي للسكان بشهادة جغرافي الفترة، وهو ما يفنّد ويدحض ما قاله ابن خلدون بأنها ليست من مصادر الكسب.

وحسبنا هنا الاستشهاد بنماذج من العديد من المناطق الريفية لبلاد المغرب الأوسط، فقد كان سكان مدينة تاجرارت غالب "**تكسبهم الفلاحة وحوك الصوف...وبذلك عُرفوا في القديم والحديث**"[7]، وسكان بلد القل يكسبون ثروات عظيمة من تربية دودة القز وإنتاج الحرير[8]، وحول نقاوس سهول في غاية الخصب تصلح للقمح والسكان أغنياء أمناء، كرماء[9]، وسكان الجبال المحيطة بالجزائر كانوا: "**أغنياء يزروعهم ومواشيهم**"[10]، وأهل بلد كوكو أغنياء بما يحصدون من قمح وشعير وأجباح النحل التي تعطي العسل، وبما يملكون من أجنة التي تحتوي على مختلف الثمار، وبما تغله من الزيوت الكثيرة[11].

---

[1] _ابن خلدون: **المقدمة**، ص:376.

[2] _ابن العوام: **المصدر السابق**، ص:271.

[3] _**نفسه**، ص:262.

[4] _عبد اللطيف عبيد: **المرجع السابق**، ص:404.

[5] _الفايز محمد: **الأفكار الاقتصادية والاجتماعية في كتب الفلاحة العربية**، ص ص: 151_152.

[6] _ابن مريم: **المصدر السابق**، ص،ص: 25، 81.

[7] _يحي بن خلدون: **المصدر السابق**، 91/1_92.

[8] _مارمول: **المصدر السابق**، 362/2.

[9] _الوزان: **المصدر السابق**، 53/2، مارمول: **المصدر السابق**، ص:383.

[10] _مارمول: **المصدر نفسه**، ص:373.

[11] _**نفسه**، ص:374.

ومن المناطق التي اكتسبت ثروات كثيرة من النشاط الزراعي والبستني نجد بلد ميلة الذي كان طيب كثير الزرع والماشية والثمار[1]، وكذلك جبل مغراوة، ودخل جبل بني ورنيد يقدّر بـ: 12 ألف مثقال في السنة لأن سكانه يجنون كميات وافرة من الفاكهة وهم من الفلاحين[2]، وهذا النشاط قد ساهم في تحسين المستوى المعيشي لسكان دلس الذين كانوا يملكون أراض زراعية كبيرة تنتج القمح ويلبسون لباسا حسنا كلباس الحضريين[3]، ومن هنا نلمح أن بعض المناطق الريفية كانت تداني في ثرائها حتى المدن والحواضر الكبرى.

وهناك مناطق لا تنتج بالقدر الكافي والذي لا يغطي احتياجات السكان مما يجعلهم في حالة فقر مذقع خصوصا المناطق الجبلية، فأهل جبل مطغرة سكانه فقراء، إذ لا ينبت في جبلهم حب غير الشعير[4]، وسكان جبل ترارة (ولهاصة) بالقرب من هنين فقراء وقمحهم قليل[5].

ولا يتعلق الأمر بالمناطق الجبلية فحسب فحتى بعض الأراضي المحيطة بمعظم المدن والحواضر الكبرى كان سكانها فقراء مثل بجاية التي كانت أراضها لا تنتج الحبوب[6]، ولا تأتي هذه الجهات بقمح كثير[7]، وكان سكان تبحريت* فقراء لا يقتانون إلاّ الشعير والدخن[8].

ولمّا كانت بسكرة لا تحتوي على هذه المادة الغذائية الأساسية، وبالرغم من أنها محطة تجارية هامة إلاّ أنّ الوزان[9]، ذكر بأن **<<سكانها فقراء لأن أراضهم لا تنتج سوى التمر>>.**

ولهذه الأمور جميعا اعتبرت الفلاحة أغنى المكاسب، إذ شكّل كلا النشاطين حجر الزاوية بأرياف المغرب الأوسط خلال هذه الفترة، وعماد اقتصاد الدول التي حكمت هذه البلاد: الدولة الحمادية[10]، المرابطية[11]، الموحدية[1]، الحفصية[2] والزيانية باعتبارها من أهم الموارد الاقتصادية لها، لكونها المصدر

---

[1] _**نفسه**، 13/3.

[2] _الوزان: **المصدر السابق**، 45/2، مارمول: **المصدر السابق**، 353/2.

[3] _الوزان: **المصدر السابق**، ص:42.

[4] _**نفسه**، ص:43، مارمول: **المصدر السابق**، 351/2.

[5] _مارمول: **المصدر نفسه**، ص:352.

[6] _الوزان: **المصدر السابق**، ص:50.

[7] _مارمول: **المصدر السابق**، ص:377.

(*) تبحريت مدينة ساحلية قديمة تبعد بـ12 ميلا عن ندرومة. أنظر: الوزان: **المصدر السابق**، ص:14.

[8] _مارمول: **المصدر السابق**، ص:296.

[9] _**المصدر السابق**، ص:138.

[10] _ابن خلدون: **العبر**، 231/6_232، عبد الحليم عويس: **دولة بني حماد، صفحة رائعة من التاريخ الجزائري**، دار الصحوة للنشر والتوزيع، القاهرة، 1411هـ/1991م، ص:219، Allaoua Amara : Retour à la problématique du déclin économique du monde musulman médiéval, le cas du Maghreb hammadide(11^e_12^e siécles), The Maghreb revieuw, long life paper, Vol:28, 2003,p.15_19.

[11] _محمد العيدروس: **المغرب العربي في العصر الاسلامي**، دار الكتاب الحديث، 1430هـ/ 2009م، ص:438، محمد عبد الله عنان: **عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس، وهو العصر الثالث من كتاب دولة الإسلام في الأندلس، القسم الثاني، عصر الموحدين وانهيار الأندلس الكبرى**، ط1، القاهرة، 1384هـ/1964م، ص:420.

الأساسي لانتاج المواد الغذائية والمواد الأولية ذات الأصل النباتي والركيزة الأساسية لمختلف الأنشطة كالحرف والتجارة[3].

لعبت الفلاحة دورا هاما في حياة المجتمعات خاصة الريفية منها نظرا لاعتماد السكان عليها، فهذه المنتجات تدخل ضمن المهر، والوصية بالتصدق بها[4]، كما تمثل التمور رسم الطالب حتى يحفظ القرآن والسير[5]، وفي العموم فقد تميز الطابع العام لاقتصاد جزء كبير من مجال المغرب الأوسط بكونه اقتصادا فلاحيا ورعويا، رغم تدبدب الإنتاج الفلاحي من فترة إلى أخرى، وهوما سأتناوله بالتفصيل ضمن ثنايا هذه الأطروحة بإذن الله.

III. : مناطق الاستقرار البشري (مناطق العمران) وعلاقتها بنشاط الزراعة والبستنة بأرياف المغرب الأوسط:

لمّا كان من متطلبات الحضارة المادية الطبيعية هو إنتاج فائض من الغذاء[6]، فقد كانت المراكز العمرانية (مدن، قرى، حصون،...إلخ)، تعتمد على نطاق "حزام زراعي"، لتغطية الاكتفاء الذاتي[7]، والواضح أن اتساع المجال المخصص للأنشطة الزراعية والبستنية هو مؤشر هام يدل على قوة ومتانة الأرياف، فبين كلاّ من المدن والحواضر والبوادي مجالات ريفية ومراكز عمرانية متدرجة يمارس في إطارها النشاط الزراعي والبستني.

1_امتداد المجالات الحضر_ريفية وعلاقتها بنشاط الزراعة والبستنة بالمغرب الأوسط:

أ_المدينة: مدن بالمكان أقام به ومنه المدينة وهي فعيلة، والمدينة الحصن تبنى في أصطمة الأرض مشتق من ذلك وكل أرض يبنى بها حصن في أصطمتها فهي مدينة[8]، والمدينة الحضارة واتساع العمران، والمدينة المصر الجامع وجمع مدائن ومدن[9].

---

[1] _حسن علي حسن: **المرجع السابق**، ص،ص: 51، 183.

[2] _برشفيك: **المرجع السابق**، 183/2.

[3] _ **أنظر ص ص: 338_356 ضمن المطلبين الأول والثاني من المبحث الرابع ضمن الفصل الأخير لهذه الأطروحة.**

[4] _الدرجيني: **المصدر السابق**، 519/2_520.

[5] _**نفسه**، 508.

[6] _محمد عبد الستار: **المرجع السابق**، ص:19.

[7] _أبو المعاطي: **المرجع السابق**، 799/2.

[8] _ الجوهري: **المصدر السابق**، ص:1069، ابن منظور: **المصدر السابق، مادة: مدن**، 4160/46_4161.

_لابد هنا من التفريق بين المدينة والحاضرة، هذه الخيرة من الفعل حضر، وحضرة الرجل قربه وفناؤه، والحضر خلاف البدو والحاضر خلاف البادي، والحضر والحضرة والحاضرة خلاف البادية وهي المدن والقرى والريف وسميت بذلك لأن أهلها حضروا الأمصار ومساكن الديار التي يكون لهم بها قرار، أنظر: الجوهري: **المصدر السابق**، ص:259، ابن منظور: **المصدر السابق**، مج2، **مادة حضر**، 906/11_907، **المعجم الوسيط**، ص:181.

[9] _**المعجم الوسيط**، ص:859.

ومن المعلوم أن مدينة العصر الوسيط تعتمد أساسا على أقاليمها التي تزودها بالغذاء فقد نشأت الكثير من المدن في مناطق متوسطة من أقاليم زراعية تزود هذه المدن بحاجاتها من الغذاء[1]، ويلخص ابن خلدون الشروط الضرورية لبناء المدن وهي: الموضع المحصن الممتنع من العدو، طيب الهواء وملائمته للحياة، توفر الماء (نهر، عيون عذبة،...)، طيب المراعي الضرورية للضرع والركوب، قرب المزارع للأقوات والشجر للحطب والبناء، وتتفاوت هذه الشروط بتفاوت الحاجات وما تدعو إليه ضرورة الساكن[2].

والأمصار نوعان: مصر مزارع وسواد ومصر فرضة وتجارة، **فالأول** يشترط أن يكون في وسط سواده وبين جميع أطرافه حتى تعتدل مواده منها وتتساوى طرقه إليها وهو موفور العمارة وما كان سواده عامرا، وأما **الثاني** يشترط فيه توسط أمصار الريف وأن يكون على جادة تسهل مسالكها ومأمون السبل لأهل الطرقات[3]، لذلك فلا توجد مدينة إلاّ ولها منطقة زراعية أو قابلة للزراعة بما في ذلك المدن التي أقيمت لغرض عسكري كالمهدية وبجاية، إذ كانت المناطق الزراعية حولها أو قريبة منها[4].

واعتماد المدينة على ظهيرها الزراعي بل حتى على الأرياف المحيطة بها هو تأكيد واضح على متانة العلاقة المسماة "مركز/محيط"، كشكل جديد لامتلاك المجال من جهة، ولتحديد العلاقة بين مختلف المجالات الاجتماعية من جهة ثانية[5].

وأكد المؤرخون والجغرافيون أن تجمعا سكانيا تعداده ثلاثة آلاف شخص يحتاج إلى مساحة زراعية ريفية قدرها 815 كم^2 وهذا هو الحد الأدنى من الغداء[6]، وهذه المدن تنمو وتكبر لوجود مصادر الغذاء الكافي ووجودها على ضفاف الأنهار والأودية يجعلها مطمئنة على وجود المياه ووفرتها وكذلك الموقع التجاري[7]، ونجد بالمغرب الأوسط العديد من النماذج لهذا النوع من المدن مثل مدينة بونة التي كانت ذات

---

[1] _محمد عبد الستار: **المدينة الاسلامية**، ص:24.

[2] _ابن خلدون: **المقدمة**،، ص ص:433_434، أنظر أيضا: علي الجزنائي: **جنى زهرة الآس في بناء مدينة فاس**، تحقيق عبد الوهاب ابن منصور ،ط2، المطبعة الملكية، الرباط،1411هـ/1991م، ص:33.

[3] _عبد الأحد السبتي، حليمة فرحات: **المدينة في العصر الوسيط قضايا ووثائق من تاريخ الغرب الاسلامي**، ط1، المركز الثقافي العربي، 1994م، ص:19.

[4] _أبو المعاطي: **المرجع السابق**، ص:800، محمد عبد الستار: **المرجع السابق**، ص:24.

[5] _قيس مرزوق ورياشي: **التراتبات الاجتماعية والتراتبات المجالية**، مقال ضمن كتاب: تطور العلاقات بين البوادي والمدن في المغرب العربي، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، المملكة المغربية، 1988م، ص: 68.

[6] _أبو المعاطي: **المرجع السابق**، الصفحة نفسها.

[7] _أحمد قدور: **المدن الموحدية وعلاقتها بالأقاليم، دراسة إجتماعية واقتصادية**، رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا في التاريخ، إشراف محمد زنيبر، زنيبر، جامعة محمد الخامس، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، 1987_1988م، 250/1.

ذات "**ثمر وزرع**"[1]، ومدينة باغاي ذات "**أنهار وثمار ومزارع ومسارح**"[2]، وتهودا التي كان لها نهر ينصب في جوفيها من جبل الأوراس[3]، وهي كثيرة "**الثمار والنخيل والزرع**"[4].

لقد حافظت العديد من مدن المغرب الأوسط على ازدهارها الزراعي والبستني إلى جانب أهميتها التجارية، فهذه بجاية، ثانية تونس في الرتبة خلال الفترة الحفصية بها جميع المعاملات والموجودات والأحوال[5]، وهي واسعة المدى كثيرة الخيرات، ذات حاضرة وبادية وبر وبحر[6]، وتلمسان "**لها جنات كثيرة كثيرة وزرع وضرع،...وهي تشبه دمشق والجبال تكتنفها ونهرها يصب في البحر**"[7]، لذلك نجد أنّ من شروط ازدهار حياة المدينة المناخ الجيد ووفرة مصادر الغذاء التي تؤكد على استمرار وترابط المجالات الحضرية الريفية.

ونلمح من مواصفات الرحالة والجغرافيين أن الكثير من مدن المغرب الأوسط كانت تشرف على مجالاتها الريفية مثل مدينة تنس "**لها أقاليم وأعمال ومزارع**"[8]، ومدينة باجة الواقعة على الطريق الرابط ما ما بين تلمسان إلى تنس، كانت "**حسنة صغيرة لها أقاليم شجر التين كثيرا جدا**"[9]، ومدينة جيجل كانت "**على نظر كبير وهي كثيرة التفاح والفواكه**"[10]، وقلعة أبي الطويل"**على نظر عظيم كثير الزرع وجميع الخيرات وهي في جبل عظيم**"[11]، وتلمسان "**بلاد خصبة ذات زرع وضرع وفواكه**"[12]، ومدينة وهران "**حسنة كبيرة الخصب، كاملة النعم**"[13]، ومليانة المستندة إلى جبل زكار كانت كثيرة الخيرات، وافرة الغلات مشهورة بالحسن والطيب، كثيرة الأشجار وتدفق المياه[14]، وهذه الإشارات جميعا تؤكد على تأمين تلك المدن لمصادر الغذاء لديها، وسيطرتها على مجالاتها الريفية التابعة لها.

---

[1] _البكري: **المصدر السابق**، ص:54، الحميري: **المصدر السابق**، ص:115.

[2] _البكري: **المصدر السابق**، ص:50، الحميري: **المصدر السابق**، ص:558، 76.

[3] _الحميري: **المصدر نفسه**، ص:142، شمس الدين أبا عبد الله الدمشقي الأنصاري: **نخبة الدهر في عجائب البرّ والبحر**، طبعه فرين واعتنى بتصحيحه وطبعه بعد وفاته أغشطس بن يحي المدعو مهرن، مطبعة الكادمية الإمبراطورية، بطربورغ، 1281هـ/1865م، ص:113.

[4] _البكري: **المصدر السابق**، ص:72.

[5] _العمري: **المصدر السابق**، 91/4، القلقشندي: **المصدر السابق**، 109/5.

[6] _القلقشندي: **المصدر نفسه**، ص: 151.

[7] _أبو الفدا: **المصدر السابق**، ص ص: 123_124، أنظر أيضا: يحي بن خلدون: **المصدر السابق**، 85/1، أبو الحسن علي الأندلسي القلصادي: **تمهيد الطال ومنتهى الراغب إلى أعلى المنازل والمناقب**، طبع باسم: "**رحلة القلصادي**"، دراسة وتحقيق محمد أبو الأجفان، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، 1978م، ص ص:94_95، أبو العباس أحمد المقري التلمساني: **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**، حققه إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1408هـ/ 1988م، 134/7.

[8] _الادريسي: **المصدر السابق**، ص:153، الحميري: **المصدر السابق**، ص:138.

[9] _الادريسي: **المصدر نفسه**، ص:152.

[10] _الحميري: **المصدر السابق**، ص:184.

[11] _مجهول(ق6هـ): **المصدر السابق**، ص:167.

[12] _العمري: **المصدر السابق**، 107/4، المقري: **المصدر السابق**، 135/7.

[13] _أبو الفدا: **المصدر السابق**، ص:125.

[14] _زكريا بن محمد بن محمود القزويني: **آثار البلاد وأخبار العباد**، دار صادر، بيروت، (د_ت)، ص:273.

وإلى جانب مدن الشمال، فلم تخل المناطق الصحراوية من هذا النوع من المدن، فبسكرة كانت "**بلاد نخل وزرع**"[1]، وقد حافظت على هذا الإزدهار حتى القرن 8هـ/14م فيذكر ابن خلدون: **<<هذا البلد بسكرة هو قاعدة وطن الزاب لهذا العهد، وحدّه من لدن الدوسن بالمغرب إلى قصور هولة (تنومة)، وبادس في المشرق....وكانت تقرت مصر مستبحر العمران بدوي الأحوال، كثيرة المياه والنخل>>**[2]، ووارکلان "**بلاد النخل**"[3]، كثيرة البساتين والزرع والضرع[4]، وبلاد ريغ ذات "**نخل ومحمضات ومياه**"[5].

إنّ تحديد العلاقة بين المدينة والبادية يعبر عن علاقة جديدة في إطار مستويات التراتب المجالي، فالمناطق الريفية القريبة من السواحل ليست كالمناطق الجبلية والداخلية، إنها بالعكس مناطق فقيرة لأنها لاتنتج بصفة مباشرة فائض للإنتاج يمكن تسويقه إلى المدينة ليكون موضوع حديث عن استغلال المدينة للبادية، ومن هذه جميعا تتكرس سيطرة المدينة على مجالها الريفي أو لا، وهي التي تحدد بنية العلاقات المجالية وتراتبها وتمفصلها[6].

وإلى جانب إشراف المدن على المجالات الريفية المحيطة بها؛ نلمح اقتران العديد منها بالانتاج الزراعي والبستني فما يفتئ جغرافي يذكر مدينة إلا ويشير إلى ثرائها بالمزارع والبساتين[7]، فهل الأمر هنا متعلق بوجود قطيعة بين المدن والأرياف مما جعل هذه الأخيرة مستقلة إنتاجها عن المدن؟ وهذا الأمر مستبعد لاستحالة وجود قطيعة نهائية بين المجالين؛ أم أنّ الأمر متعلق بانتاج المدينة نفسها خلال هذه الفترة، والتي كانت أغلبها مدنا زراعية؟

تشير المصادر إلى وجود مجالات حضر_ريفية يطلق عليها الأرباض والفحوص.

ب_الربض (الضاحية)*: الربض جماعة الشجر الملتف، وقرية ربوض عظيمة مجتمعة، والربض من حول المدينة وقيل الفضاء حول المدينة[8]، وتعني كلمة الربض الضاحية ويطلق أيضا على الحي والجمع

---

[1] _أبو الفدا: **المصدر السابق**، ص:139، القلقشندي: **المصدر السابق**، 107/5.

[2] _ابن خلدون: **العبر**، 65/7.

[3] _ابن سعيد: **الجغرافيا**، ص:126، **بسط الأرض**، ص:60.

[4] _الحميري: **المصدر السابق**، ص:600.

[5] _ابن سعيد: **الجغرافيا**، الصفحة نفسها.

[6] _قيس مرزوق ورياشي: **المرجع السابق**، ص:81.

[7] _**أنظر ص ص: 60_61، 67_68 من هذا الفصل.**

(*) الضاحية والمضحاة: الأرض البارزة التي لا تكاد الشمس تغيب عنها، وضاحية كل شيء ما يبرز منه، والضواحي من النخل ما كان خارج السور، صفة غالبة لأنها تضحى للشمس ويقال للبادية الضاحية، ويقال ولي فلان ضاحية مصر، وباع فلان ضاحية، أرض إذا باع أرض ليس عليها حائط، أنظر: الجوهري: **المصدر السابق**، ص:672، ابن منظور: **المصدر السابق**، مج4، مادة ضاحية، 2561/29_2562، **المعجم الوسيط**، ص:535.

[8] _الجوهري: **المصدر السابق**، ص:419، ابن منظور: **المصدر السابق**، مج3، مادة ريض، 1558/18_1560، **المعجم الوسيط، المرجع السابق**، ص:323.

أرباض[1]، وبهذا نجد أن الضاحية تطلق على الناحية البارزة من المدينة وهي ظاهر المدينة، فالضاحية على بعد من المدينة وتنحي من المساكن[2].

وفي الجغرافيا التاريخية لفظ ضاحية كانت تعني المنطقة التي تحيط بالمدينة بعرض يبلغ فرسخا (Lieue=4كلم تقريبا) والتي يشرف عليها التشريع المدني أي الترسيم (Le ban) لذلك يطلق عليها Banlieue[3].

والضاحية هي الناحية[4] (Localité)، هذه الأخيرة التي تطلق على مكان محدد بتسمية موضعية يناسب استغلالها أو سكنا ما مرادف غالبا للقرية[5]، ومن هنا نلمح اختلاف المعاني والدلالات المرادفة للربض فتارة تدخل ضمن نطاق المدينة، فمدينة بجاية، "**مدينة قديمة مسورة أضيف إلى جانبها ربض أدير على سور ضام لنطاق المدينة فصارا به كالشيء الواحد والربض في وطأة، والمدينة القديمة المتصلة به في سفح جبل يدخل إليها جون من البحر الشامي يعبر بالمدكن إليها**"[6]، وتارة تشير إلى المجالات الريفية المحيطة بالمدينة، وعلى هذا الاعتبار نجد أن الربض يعتبر حلقة الوصل بين المدينة وناحيتها.

تمدنا المصادر الجغرافية كالعادة بمعلومات في غاية الأهمية حول موضوع الأرباض ومدى مساهمتها في الانتاج الزراعي والبستني خلال هذه الفترة، فمنها ما ذكر بدون اقترانه بأي انتاج مثل ربض جيجل[7]، ميلة[8]، أرشقول[9]، وحول بسكرة أرباض خارجة عن الخندق المحيط بها[10]، ولم تكن المدن وحدها وحدها تحتوي على أرباض، بل حتى الحصون التي تعتبر إحدى مراكز العمران الريفي كانت تحتوي على أرباض مثل حصن تامغليت الواقع على مرحلتين من تاهرت، كان على نهر وله ربض يسكنه بنو دمر من زناتة[11]، وحصن بلزمة الذي يبعد بيومين عن قسنطينة وهو "**حصن لطيف...ولها ربض وسوق...وهو في وسط فحص أفيح**"[12].

---

[1] _عبد العزيز فلالي: **تلمسان في العهد الزياني، دراسة سياسية، عمرانية، اجتماعية ثقافية**، موفم للنشر والتوزيع، الجزائر، 2002م، 155/1.

[2] _أبو المعاطي: **المرجع السابق**، 761/2.

[3] _بيار جورج: **المرجع السابق**، ص:520.

[4] _الجوهري: **المصدر السابق**، ص:672، ابن منظور: **المصدر السابق**، مج4، 2561/29_2562.

[5] _بيار جورج: **المرجع السابق**، ص:837.

[6] _العمري: **المصدر السابق**، 90/4، القلقشندي: **المصدر السابق**، 109/5.

[7] _الادريسي: **المصدر السابق**، ص:168.

[8] _البكري: **المصدر السابق**، ص:64، الحميري: **المصدر السابق**، ص:569.

[9] _البكري: **المصدر السابق**، ص:77، الحميري: **المصدر السابق**، ص ص:27_28.

[10] _البكري: **المصدر السابق**، ص:52، الحميري: **المصدر السابق**، ص:114.

[11] _البكري: **المصدر السابق**، ص:143.

[12] _الادريسي: **لمصدر السابق**، ص ص:170_171، الحميري: **المصدر السابق**، ص:103.

والملاحظ أنّ الكثير من الأرياض المذكورة في هذا النوع من المصادر قد أشارت إلى إنتاجها الزراعي والبستني معا، مثل مدينة مرسى الدجاج "**لها أرياض ممتدة وزراعات متصلة وإصابة أهلها في زروعهم واسعة وحنطتهم مباركة وسائر الفواكه بها كثيرة**"[1]، وتوجد بضواحي تلمسان عدة أرياض يقطنها يقطنها بعض التلمسانين الذين يشتغلون بالحقول والبساتين وبفلاحة الأرض، وامتلكت العديد من الأسر التلمسانية لمنازل ودور بتلك الضواحي والأرياض التي اتخذوا مكانا للراحة ومجالا للاستغلال الزراعي والبستني، حيث كانوا يترددون عليها خاصة في مواسم البذر والحصاد، وكانت هذه الأرياض الممون الرئيسي لسكان المدينة بمختلف أنواع الخضر والفواكه والحبوب[2]، وكان لمدينة العُبّاد بجنوب تلمسان "ربض" وهي كثيرة الازدهار وافرة السكان والصُنّاع[3].

وازدهرت المناطق الجنوبية أيضا بمختلف المنتجات الزراعية والبستنية؛ فحول مدينة تهودا ربض وأكّد البكري[4] بأن "**حولها بساتين كثيرة من أصناف الثمار وضروب البذر يجود بها**"، والمرجح أنّ ممارسة هذين النشاطين كان ضمن هذا الربض ولمدينة بادس "**حصنان وأرياض واسعة وبسائط كثيرة ومزارع**"[5].

لم تشر المصادر التي اضطلعت عليها إلى إنتاج الأرياض للغلات الزراعية فحسب، عكس الانتاج البستني، ويعزى هذا الأمر في رأيي إلى طبيعة هذا المجال بالذات، فهو قريب من المدن، ونعلم أن أغلب المنتجات المميزة لها هي الغلاّت البستنية، ومن الأرياض المقترنة بهذا النوع الأخير نجد طبنة التي قال عنها البكري[6]: "**بها قصر وأرياض...ولها بساتين ملاصقة للربض**"، ويقول عنها صاحب كتاب الاستبصار[7] "**لها أرياض واسعة...ولها بساتين كثيرة فيها النخل والثمار**"، وحول "**حصن صخر قرب باغاية ربض كبير على ثلاث نواحي وليس فيما يلي الناحية الغربية ربض، إنما يتصل بها بساتين ونهر وفي أرياضها وباغاية في بساط من الأرض عريض كثير المياه**"[8] .

والواقع أن الأرياض تتأثر بالظروف والتغيرات التي تحدث بسبب الحروب وانعدام الأمن مثلها مثل المدن وسائر المراكز العمرانية الأخرى (قرى، حصون...)، فربض باغاي "**كانت الأسواق فيه**"[9]، لكن في

---

[1] _الادريسي: **المصدر السابق**، ص ص:159_160، الحميري: **المصدر السابق**، ص:539.

[2] _فيلالي: **المرجع السابق**، ص:155.

[3] _الوزان: **المصدر السابق**، 24/2، مارمول: **المصدر السابق**، 323/2.

[4] _**المصدر السابق**، ص:73، أنظر أيضا مجهول(ق6هـ): **المصدر السابق**، ص:179، الحميري: **المصدر السابق**، ص:142.

[5] _مجهول: **المصدر السابق**،،ص:180.

[6] _**المصدر السابق**، ص:50.

[7] _ **المصدر السابق**، ص:177، أنظر أيضا الحميري: **المصدر السابق**، ص:387.

[8] _ البكري: **المصدر السابق**، ص:144.

[9] _ الإدريسي: **المصدر السابق**، ص:177.

عهد الإدريسي وبسبب الخراب الذي سببته القبائل العربية في المنطقة باتت "الأسواق في المدينة والأرباض خالية"[1].

ج_الفحص: الفحص لغة هو الأرض المبسوطة وهو ما استوى من الأرض والجمع فحوص[2]، وهو مصطلح استعمله العرب للدلالة على الناحية الزراعية للمدينة أو القريبة من المدن والمتموضعة في السهول والبسائط الخصبة بما فيها أراضي الدولة[3].

وأغلب الفحوص المذكورة في المصادر كانت على درجة عالية من الخصوبة، حيث تنتشر بكثرة في المناطق الساحلية[4]، وبعض المناطق الداخلية[5] لبلاد المغرب الأوسط، ونظرا لأهميتها الزراعية فقد اهتم الرحالة والجغرافيين بذكر مساحتها والتي يظهر أنها كانت في غاية الكبر والاتساع مثل فحص بجاية[6] "**دوره نحو 10 أميال**"، وفحص سيرات الواقع بالقرب من قلعة هوارة، الذي يبلغ طوله نحو 40 ميلا[7]، وفحص زيدور الواقع بين أرشقول وساحل تلميسان حيث يبلغ طوله 25 ميلا[8]، وهو فحص لحرث لحرث القمح وهو مبارك مشهور[9].

وكانت قسنطينة مطلة على فحوص متصلة[10]، وبالقرب من الغدير "**فحص عجيسة وهو فحص مديد كثير الزرع والضرع إلاّ أنّه شديد البرد والثلج**"[11]، وملیانة التي كانت مشرفة "**على فحوص واسعة**"[12]، وطبنة تطل "**على فحص فسيح يكون مقدار ثلثي المدينة**"[13] وحصن بلزمة "**الواقع في وسط فحص أفيح**"[14]، وقرى النهرين بالقرب من مدينة قصر الإفريقي كانت في "**قرى كثيرة في فحص عريض وبساط من الأرض مديد**"[15].

وبهذا نجد أن العلاقة بين المدينة ومجالها يتحدد أيضا ضمن مقاربة سوسيولوجية، أي تقسيمه إلى مستويات لا يتحكم فيها التقسيم الاجتماعي للعمل فقط، وإنما أيضا السيرورة اللامتكافئة لتطور القوى

---

[1] _ **نفس المصدر والصفحة**، الحميري: **المصدر السابق**، ص:76.

[2] _ابن منظور: **المصدر السابق**، مج5، مادة فحص، 3356/37.

[3] _محمد حسن: **المرجع السابق**، 84/1.

[4] _مجهول(ق6ه): **المصدر السابق**، ص، ص:135، 160، الحميري: **المصدر السابق**، ص:75، 80_81، 163، 436.

[5] _البكري: **المصدر السابق**، ص:50، 53_54.

[6] _مجهول: **المصدر السابق**، ص:130، الحميري: **المصدر السابق**، ص ص:80_81.

[7] _البكري: **المصدر السابق**، ص:70، مجهول: **المصدر السابق**، ص:178، الحميري: **المصدر السابق**، ص:470.

[8] _البكري: **المصدر السابق**، ص:77، الحميري: **المصدر السابق**، ص:27.

[9] _مجهول: **المصدر السابق**، ص:135.

[10] _الادريسي: **المصدر السابق**، ص ص:166_167، الحميري: **المصدر السابق**، ص:480.

[11] _مجهول: **المصدر السابق**، ص:167.

[12] _**نفسه**، ص:176.

[13] _البكري: **المصدر السابق**، ص:50.

[14] _الادريسي: **المصدر السابق**، ص:171، الحميري: **المصدر السابق**، ص:103.

[15] _البكري: **المصدر السابق**، ص:54.

المنتجة داخل تشكيلة اجتماعية إقتصادية محددة من جهة، وطبيعة تمركز السلطان في مجال محدد (المجال السائد أو المركز)، والعلاقات التي تربطه بمختلف المستويات المجالية الأخرى[1].

والخصوبة العالية لهذه الفحوص واتساعها كانت المتحكم الرئيسي في درجة الاستقرار والتعمير من قبل سكان الأرياف خلال هذه الفترة؛ فمدينة بونة كانت مشرفة على فحوصها وقراها[2] وفحص متيجة "**المتصل بجزائر بني مزغنة، وهو فحص عظيم كثير الخصب والقرى والعمائر تشقها الأنهار وهو نحو مرحلتين في مثلها وقد أحدقت به الجبال مثل الإكليل**"[3]، بالإضافة إلى قرى النهرين الآنفة الذكر[4].

ونتيجة للإستقرار السكاني الكبير ضمن هذه المجالات الريفية، فقد تم استغلال معظمها في النشاط الفلاحي عموما مثل فحص تلمسان[5]، وفحص بونة[6]، وهناك من الفحوص من اختصت بالإنتاج البستني البستني مثل فحص بجاية الذي "**أحاطت به جبال ودوره نحو 10 أميال تسقيه أنهار وعيون وفيه أكثر بساتينهم ولها نهر كبير يقرب منها**"[7]، ومليانة المشتهرة بكثرة الأشجار والأنهار كانت مشرقة على الفحص الذي فيه بنو واريفن[8].

ومن الفحوص التي اقتصر إنتاجها على المحاصيل الزراعية نجد فحص قل "**المشهور بكثرة الزرع وأرض هذا الفحص مشققة سوداء يجود فيها جميع البذر، ويكون فيه حمص وفول قلما يوجد مثله في موضع**"[9]، والمؤكد أن هذا الفحص هو الذي ذكره الحميري[10] في موضع آخر باسم "**فحص تل من أحواز بونة بإفريقية وهذا الفحص من أطيب أرض افريقية مزدرعا**".

ولمّا كانت المناطق الداخلية وبحكم مناخها شبه الجاف تتلاءم كثيرا مع إنتاج الحبوب، لذلك اختصت فحوص قسنطينة بإنتاج الحنطة والشعير الممتدة في جميع جهاتها[11]، وفحوص طبنة لها حظ من سقي نهر بيطام وهي جيدة الزرع[12]، وفحص بل الواقع بشرق تبسة كان من أطيب أرض إفريقية مزدرعا[13].

وبالرغم من خصوبة هذه الفحوص وثرائها بالانتاج الفلاحي عموما، فقد كانت تتأثر بفترات الحروب والقلاقل التي كثيرا ما تساهم في تخريبها وإخلائها من السكان، مثلما حدث لفحص سيرات الذي وصفه

---

[1] _ورياشي: **المرجع السابق**، ص:69.

[2] _البكري: **المصدر السابق** ،ص:55، الحميري: **المصدر السابق**،ص:115.

[3] _ مجهول(ق6هـ): **المصدر السابق**، ص: 132، الحميري: **المصدر السابق، ص**:163.

[4] _البكري: **المصدر السابق**، ص:54.

[5] _ابن عذاري: **المصدر السابق**، 196/1، يحي بن خلدون: **المصدر السابق**، 85/1_86، المقري: المصدر **السابق**، 134/7.

[6] _البكري: **المصدر السابق**، ص ص:54_55.

[7] _**االمصدر السابق**، ص:130، الحميري: **المصدر السابق**، ص ص:80_81.

[8] _البكري: **المصدر السابق**، ص ص:61، 68 ، الحميري: **المصدر السابق**، ص:547.

[9] _مجهول: **المصدر السابق**، ص:160، الحميري: **المصدر السابق**، ص:75.

[10] _**المصدر السابق**، ص:436.

[11] _الادريسي: **المصدر السابق**، ص ص:166_167، الحميري: **المصدر السابق**، ص:480.

[12] _البكري: **المصدر السابق**، ص:50.

[13] _**نفسه**، ص ص:53_54.

البكري[1] بأنه "**اليوم غامر غير عامر لأن الحرب أجلى أهله**"، لكن الملاحظ أن هذا الفحص قد تم إعماره إعماره فيما بعد حيث ذكر صاحب كتاب الاستبصار[2] بأن هذا "**الفحص تسكنه قبائل كثيرة من البربر ومطغرة وغيرهم من القبائل زناتة وبلادهم واسعة**".

د_الحوز: الحوز كل من ضم إلى نفسه شيئا فقد حازه حوزا وحيازة، والحوز من الأرض أن يتخذها رجل ويبين حدودها، فيستحقها فلا يكون لأحد فيها حق معه فذلك الحوز وحوز الدار وحيزها ما انضم إليها من المرافق والمنافع والحوزة الناحية[3]، والحوز أيضا ما يحوزه السلطان وولي الأمر من القطائع ويسمى الخاص الأميري، والحوز مرتبة أعلى من الإقطاع[4].

كما يطلق الحوز على ما يدخل في حدود الكورة وهو زمام الكورة كله، أي ما يتبعها من الأرضين والبلاد[5]، ومن هنا نجد أن الحوز كمصطلح مرادف أيضا لناحية المدينة، حيث نجد أنّ أغلب مدن المغرب الأوسط كانت مقترنة بالأحواز كمجال مهم يتبع تلك المدن وإن كان القليل منها من أشارت المؤلفات المصدرية إلى اشتهارها بالنشاط الزراعي والبستني مثل فحص تل[6]، وحوز بجاية[7].

والملاحظ أن أغلب الأحواز المذكورة مشتهرة بإشعاعها الثقافي أو احتوائها على مراكز علمية إلى جانب أنها كانت مستقرا للعديد من العلماء والمشايخ، حيث ذكرت عرضا عند الحديث عنهم مثل أحواز كلا من القلعة[8]، بجاية[9]، بونة[10] وتلمسان[11].

2_مناطق التجمعات السكنية الريفية وعلاقتها بنشاط الزراعة والبستنة:

اختلفت مناطق التجمعات السكنية بأرياف المغرب الأوسط، باختلاف النمط العمراني المميز لكل منطقة من جهة ومن حيث حجم الاستغلالات ونوعها من جهة ثانية، فرغم صعوبة تحديد هذا النوع من التجمعات لأنها تختلف حسب خصوصية كل منطقة من الناحية الطبيعية، الاقتصادية، بل حتى السياسية والإدارية، لذلك فقد قمت بترتيبها حسب كثرة انتشارها وتوزيعها بالمناطق الريفية خلال هذه الفترة ولعل أهمها:

---

[1] _ **نفسه**، ص:70.

[2] _ **المصدر السابق**، ص:179، أنظر أيضا الحميري: **المصدر السابق**، ص:470.

[3] _الجوهري: **المصدر السابق**، ص:293، ابن منظور: **المصدر السابق**، مج2، **مادة حوز**، 12/1046_1047، **المعجم الوسيط**، ص:206.

[4] _محمد عمارة: **المرجع السابق**، ص:182.

[5] _أبو المعاطي: **المرجع السابق**، 761/2.

[6] _الحميري: **المصدر السابق**، ص:436.

[7] _ ابن الحاج إبراهيم بن عبد الله: **فيض العباب**، ص ص:267_268.

[8] _الغبريني: **المصدر السابق**، ص:218، أبو القاسم محمد بن أبي القاسم الحفناوي: **تعريف الخلف برجال السلف**، مطبعة بيير فونتانة الشرقية، الجزائر، 1364هـ/1906م، 480/2.

[9] _الغبريني: **المصدر السابق**، ص:23، الحفناوي: **المرجع السابق**، 210/2.

[10] _أبو العباس أحمد بن محمد المعروف بابن القاضي: **ذرة الحجال في أسماء الرجال**، تحقيق محمد الأحمدي أبو النور، دار التراث، القاهرة، المكتبة العتيقة، تونس، (د_ت)، 75/2_77.

[11] _ **نفسه**، 62/1_63.

أ_ القرى: القرى جمع قرية، والقرية هي المصر الجامع والجمع قرى، والقرية من المساكن والأبنية والضياع وقد يطلق على المدن[1]، لكن المتعارف عليه أنّ القرية خلاف المدينة*، وإن كانت بعض القرى تداني في في حجمها وقيمتها الاقتصادية والاجتماعية بل المعاشية عموما؛ حتى المدن الكبرى مثل قرية نمردوان الواقعة على الطريق الرابط مابين القيروان والمسيلة والتي تبعد بثلاث مراحل عن قصر الإفريقي فهي "**قرية لها حاضرة وبادية...وهو بلد قمح وشعير**"[2]، وهي القرية التي ذكرها الإدريسي[3] باسم قرية البردوان، البردوان، وأشار إلى أنها كانت "قرية كبيرة" وهي من أقاليم القمح والشعير.

وتعتبر القرية النواة السكينة في المجال الريفي وهي وحدة استغلال زراعي، قائمة على الزراعات السقوية والغراسات[4]، وهذا التجمع الريفي يحتوي سكانه على عدد مهم من المزارعين[5]، إلاّ أنّ هذا النوع من مراكز التوطين الريفي يفتقر إلى هيئات وإلى سلطة سياسية هامة، وقد انتشرت القرى في السهول والجبال، كما تمتاز بعلاقتها المزدوجة مع المركز الحضري والريفي[6].

وبالنظر إلى الأحداث والتغيرات التي طرأت على بلاد المغرب الأوسط بمجالاته الحضرية، الريفية والبدوية، نجد أنها قد شهدت جملة من التغيرات التي طالت الخريطة العقارية والعمرانية المحيطة بالكثير من مدن المغرب الأوسط، بغياب قرى وظهور قرى جديدة[7]، بل إنّ القرى في فترات انعدام الأمن أو قلته باتت تحتوي على حصون تابعة لها من ذلك حصن بلزمة الذي وصفه الحميري[8]، بأنه "**كثير المزارع والقرى وفي قراه حصون كثيرة**"، والملاحظ أن تلك التحصينات أقيمت خصيصا لحماية القرى والمزارع من مختلف أشكال التعدي والتخريب.

---

[1] _مزيان: **المرجع السابق**، ص:267.

(*) وضع عبد المجيد مزيان مجموعة من المعايير التي يمكن من خلالها تحديد الفرق بين القرية والمدينة، هذه الأخيرة التي تعتبر من كبريات القرى على حد تعبير المؤلف، وهذه المعايير؛ معاشية بالأساس ولكنها اجتماعية وسياسية أيضا ومن تلك المقاييس نجد:

_حياة القرية كلها تدور حول الزراعة وتربية المواشي وإذا كان فيها صنائع خفيفة فهي في معظمها تتعلق بأدوات الزراعة وبالسكن واللباس، بينما حياة المدينة مبنية أساسا على الصناعة المتنوعة وعلى التبادل التجاري المتنوع من تبادل محلي وتبادل مع النواحي البعيدة.

_السكان في القرى يكونون قبائل أو جماعات شبه قبلية بينما يكونون في المدن جماعات وأسرا لا تعبأ بالنسب البعيد.

_النظام السياسي في القرية يقتضي تجنيد كل المواطنين لمواجهة مختلف الأحداث بما في ذلك الأحداث العسكرية على نوع ما يجري في النظام القبلي عند الرحل بينما يكون نظام المدينة السياسي والعسكري نظاما مركزيا متخصصا.

_من الناحية المعمارية السكن في القرية بسيط جدا باستثناء المراكز العمرانية العامة كالمساجد والأربطة والمدارس.

_من ناحية التعداد السكاني، نجد بأنّ عدد سكان القرية عشرة آلاف ساكن، وهذا القدر من السكان يمكن تنظيمه بواسطة الجماعة المحلية وعن طريق الاحتكاك والاتصال المباشر مع الناس. (أنظر: **المرجع نفسه**، ص ص:267_286).

[2] _ابن حوقل: **المصدر السابق**، ص:87.

[3] _**المصدر السابق**، ص:196.

[4] _محمد حسن: **المرجع السابق**، 1/60_61.

[5] _بيار جورج: **المرجع السابق**، ص:634.

[6] _**المرجع السابق**، ص ص:60_61.

[7] _**أنظر ص: 111، 113_114 ضمن الفصل الأول.**

[8] _**المصدر السابق**، ص:103.

كما لجأت العديد من القرى إلى اتخاذ الأسوار لتحميها والقرية بأسوارها تختلف عن الحصون والقلاع ذات الطابع العسكري على حد تعبير محمد حسن[1]، وتبعا لهذا التطور أو التراجع ظهرت أو تراجعت مناطق للإستغلال الزراعي والبستني لمعظم المناطق الريفية لبلاد المغرب الأوسط خلال هذه الفترة.

ومن إشارات الرحالة والجغرافيين نجد أن القرى المنتشرة بأرياف المغرب الأوسط خلال هذه الفترة كانت على نوعين: قرى مرتبطة بالمدن وقرى مستقلة بإنتاجها الفلاحي عموما.

أ_1_القرى المرتبطة بالمدن: إن اقتران القرى بالمدن ضمن هذا الصنف هو مؤشر هام على قوة ومتانة الأرياف بالإضافة إلى ترابط المجالات الحضر_ريفية من جهة، ومن جهة ثانية أغلب الاشارات حول هذا الصنف كانت خلال فترات الأمن والاستقرار التي شهدتها بلاد المغرب الأوسط.

ولعلّ قلة الإشارة إلى القرى التي كانت مركز للإنتاج الفلاحي عموما تعود أساسا إلى سيطرة المدينة على ثروات الريف خاصة، وحسبنا هنا شهادة صاحب كتاب الاستبصار[2] الذي قال: **<<للمغرب الأوسط مدن كثيرة أكثرها في البلاد الساحلية وهي كثيرة الخصب والزرع كثيرة الغنم والماشية، طيبة المراعي ومنها تجلب الأغنام إلى بلاد المغرب وبلاد الأندلس لرخصها وطيب لحومها>>**، ولعل هذا الأمر يعكس صورة بلاد المغرب الأوسط في عهد هذا المؤلف المعاصر ليعقوب المنصور الموحدي الذي تميز عهده بالأمن والرخاء والازدهار[3].

وهذا الأمر ينطبق أيضا على الفترة التي عاش فيها البكري خلال القرن 5هـ/11م، فرغم إشارة هذا الأخير للعديد من القرى بأسمائها ومواقعها مع تحديد حجم البعض منها[4]، إلاّ أنني لمحت غياب اقتران القرى بأي إنتاج زراعي أو بستني مثل قرية سوق كرام الواقعة على نهر شلف[5]، وقرية وهران[6] التي وصفها صاحب كتاب الاستبصار[7] بأنها "**قرية كبيرة**" دون اقترانها بأي انتاج فلاحي، بالإضافة إلى قرية ملشون إحدى القرى التابعة لبسكرة[8].

وعلى صعيد آخر نجد أن صاحب كتاب الاستبصار هو الآخر لم يفصل كثيرا في الحديث عن قرى المغرب الأوسط، ويعزى الأمر في رأيي إلى أنّ ثراء الأقاليم الريفية بمختلف المنتجات الفلاحية قد جعل المصادر تهمل المعلومات الواردة حول القرى، بإدراجها بتلك الأقاليم سواءا كانت هذه القرى ضمن

---

[1] _**المرجع السابق**، ص:63.

[2] _ ص:179.

[3] _**أنظر ص ت من التعريف الخاص بالمؤلف ضمن نفس المصدر.**

[4] _**أنظر الملحق رقم 01.**

[5] _البكري: **المصدر السابق**، ص:61.

[6] _ **نفسه**، ص:70.

[7] _ص:135.

[8] _البكري: **المصدر السابق**، ص:52، أنظر أيضا الحموي: **المصدر السابق**،192/5.

المناطق الساحلية، مثل مرسى تكوش "**فيه قرى كثيرة يتصل به جبل كثير الفاكهة والخير**"[1]، أو ضمن السهول مثل فحص متيجة "**الكثير الخصب والقرى والعمائر**"، ومليانة التي كانت "**مشرفة على فحوص واسعة وقرى كثيرة عامرة**"[2].

واحتوت المناطق الجبلية أيضا على العديد من القرى، فقرية باب القصر "قرية كبيرة" والواقعة جنوب تلمسان، يقع فوقها جبل باب البغل الكثير الخصب[3]، كما عدّدت المصادر الجغرافية الكثير من الجبال المشتهرة بكثرة الخصب والتي كانت غاصّة بشبكة كثيفة من "القرى والعمائر" مثل جبل العنصل (بني زلدوي) وجبل الأوراس[4]، وجبل تاورناية المتصل بتلمسان[5]، وفي المقابل نجد أن أكثر المدن المقترنة المقترنة بالازدهار الزراعي والبستني، كانت ضمن أحوازها والمجالات الريفية التابعة لها الكثير من القرى سواءا كانت هذه المدن واقعة ضمن المناطق الشمالية أو الجنوبية.

- **القرى التابعة لمدن المناطق الشمالية:** يدخل ضمن نطاق المنطقة الشمالية العديد من القرى المرتبطة بالمدن الساحلية المشتهرة بإنتاجها الزراعي والبستني مثل مدينة بونة[6]، ومدينة وهران التي وصف الإدريسي أريافها بكثرة البساتين والفواكه[7]، وكان لها نظر كبير فيه قرى كثيرة[8].

أما عن المدن الداخلية فكانت مرتبطة أيضا بالعديد من القرى، فمدينة قسنطينة "على نظر واسع وقرى كبيرة عامرة آهله"[9]، ومدينة سطيف الخصبة "**تشمل على قرى كثيرة سكانها من البربر**"[10]، ومدينة

---

[1] _البكري: **المصدر السابق**، ص:81.

[2] _ مجهول(ق6هـ): **المصدر السابق**، ص، ص:132، 176.

[3] _ **نفسه**، ص:177.

[4] _ **نفسه**، ص:165_166.

_ذكره البكري بأنه بالقرب من تبسة، أما الحميري فجعله قريب من باغاي، وهو المتصل بالسوس، ويقال إنه قطعة من جبل درن ومتصل به، وهو جبل جليل، وامتداد هذا الجبل كاللام منحني الأطراف وطوله نحو 12 ميلا، ويوجد بهذا الجبل أعلى قمة في الجزائر بجبل شلية بحوالي 2338م، أنظر: البكري: **المصدر السابق**، ص:50، الادريسي: **المصدر السابق**، ص: 165، مجهول(ق6هـ): **المصدر السابق**، ص:163، الحميري: **المصدر السابق**، ص:65، الوزان: **المصدر السابق**، 102/2، مارمول: **المصدر السابق**، 390/2، برنشفيك: **المرجع السابق**، 323/1، 325، شارل أندري جوليان: **تاريخ إفريقيا الشمالية (تونس، الجزائر، المغرب الأقصى من البدء إلى الفتح الإسلامي 647م)**، تعريب محمد مزالي، البشير بن سلامة، الدار التونسية للنشر، 1969م، ص:25.

[5] _ مجهول: **المصدر السابق**، ص:176.

[6] _البكري: **المصدر السابق**، ص:55، الحميري: **المصدر السابق**، ص:115.

[7] _**المصدر السابق**، ص:153.

[8] _مجهول: **المصدر السابق**، ص:135، الحميري: **المصدر السابق**، ص ص:612_613.

[9] _مجهول(ق6هـ): **المصدر السابق**، ص:166.

[10] _أبوالفدا: **المصدر السابق**، ص:141، القلقشندي: **المصدر السابق**، 110/5.

المسيلة "**على نظر واسع وقرى عامرة آهلة**"[1]، وبشرقها وادي مقرة عليه سبع قرى منها قرية يكسم[2]، وعلى وعلى حافتي نهر تلمسان القرى والمدن الجليلة وهي تشبه دمشق[3].

- **القرى التابعة لمدن المناطق الجنوبية:** عدّدت المصادر الجغرافية وككل مرة، الكثير من المدن المزدهرة بستنيا على الخصوص إلى جانب احتوائها على بعض الأنشطة الزراعية أيضا، والملاحظ أن أعداد القرى التي تتبع المدن الصحراوية تفوق بكثير أعداد القرى التابعة لمدن الشمال، فبقرب مدن بنيطوس "**قرى كثيرة**"[4]، وحول تهودا أزيد من عشرين قرية[5]، وحول مدينة بسكرة "**حصون كثيرة وقرى عامرة**"[6]، ويفيدنا الوزان (القرن 10هـ/16م) أكثر من أي مصدر آخر بأعداد القرى التي تتبع المدن والقصور الصحراوية، مثل تيكورارين* التي بها أكثر من مئة قرية بين حدائق النخيل[7]، ومنطقة مزاب** لها عدة عدة قرى[8]، وحول مدينة تقرت "**عدة قصور وقرى وأماكن مأهولة**"[9]، وحول "وركلة"عدد لا يحصى من القرى[10].

أ_2_القرى المستقلة: الملاحظ أن فترات الاضطرابات والحروب تؤدي إلى تراجع العمران وقطع الصلات بين المدن والقرى التابعة لها مثل مدينة باغاي التي قال عنها الإدريسي[11]: <<**كانت لها بواد وقرى وعمارات والآن كل ذلك قليل فيها**>>، فهل الأمر متعلق باندثار وتخريب تلك القرى؟ أم أنّ تلك القرى استقلت نهائيا في علاقتها مع هذه المدينة؟

رغم أنه لا توجد لديّ المعلومات المصدرية التي تؤكد أو تنفي هذا الموضوع، إلاّ أنني لمحت من مؤلف الإدريسي الذي يعتبر المصدر الرئيسي إن لم أقل الوحيد؛ الذي يقدم لنا صورة مفصّلة ومدقّقة على شبكة القرى المستقلة والمتواجدة بأرياف المغرب الأوسط خلال القرن 6هـ/12م، سواءا من حيث موقعها، حجمها ونشاطها الفلاحي (الزراعي والبستني) على الخصوص[12].

---

[1] _ مجهول: **المصدر السابق**، ص:166.

[2] _ البكري: **المصدر السابق**، ص ص: 143_144.

[3] _ أبوالفدا: **المصدر السابق**، ص:123.

[4] _ الحميري: **المصدر السابق**، ص ص:400_401.

[5] _ البكري: **المصدر السابق**، ص:73، الحميري: **المصدر السابق**، ص:142.

[6] _ مجهول: **المصدر السابق**، ص:178.

(*) تيكورارين أو القورارة وهي تيميمون الحالية، وكانت أهم مدن إقليم توات الواقع جنوب غرب الصحراء الجزائرية الحالية، وهي تقع ضمن امتداد أدرار وتيميمون وعين صالح، والأولى كانت تعرف بمنطقة توات والثانية بمنطقة تيدكلت. أنظر: موسى هواري: **تقنيات الزراعة**، ص:32.

[7] _**المصدر السابق**، 2/132_133.

(**) منطقة ميزاب منطقة مأهولة في قفار نوميديا على بعد 300 ميل شرق تيكورارين، وتشمل ستة قصور وعدة قرى (بلاد مزاب السبع: غرداية العاصمة، بني يزقن، مليكة، ينورة، العطف، بيردين، القرارة. أنظر: الوزان: **المصدر نفسه**، ص:134، مارمول: **المصدر السابق**، 3/164.

[8] _ الوزان: **المصدر السابق**، ص:134.

[9] _ **نفسه**، ص:135.

[10] _**نفسه**، ص ص: 136_137.

[11] _**المصدر السابق**، ص:177.

[12] _**أنظر الملحق رقم:01**.

ونجد بأنّ هذا المؤلف لم يذكر أية قرية مقترنة بالمدينة وهذا دليل على حالة اللاأمن والفوضى التي سيطرت على بلاد المغرب الأوسط والتي قطعت الصلات بين المجالات الحضر_ريفية، وبخلاف ذلك فهو يفيدنا أكثر من أي مصدر آخر عن أكثر القرى المشتهرة بالانتاج الزراعي والبستني والتي تبينها المعطيات الآتية:

القرى	بدون إنتاج فلاحي	ذات الإنتاج الزراعي والبستني	ذات الإنتاج البستني	ذات الإنتاج الزراعي	المجموع
العدد	14	05	02	06	27
النسبة%	51,85	18,51	7,40	22,22	%100

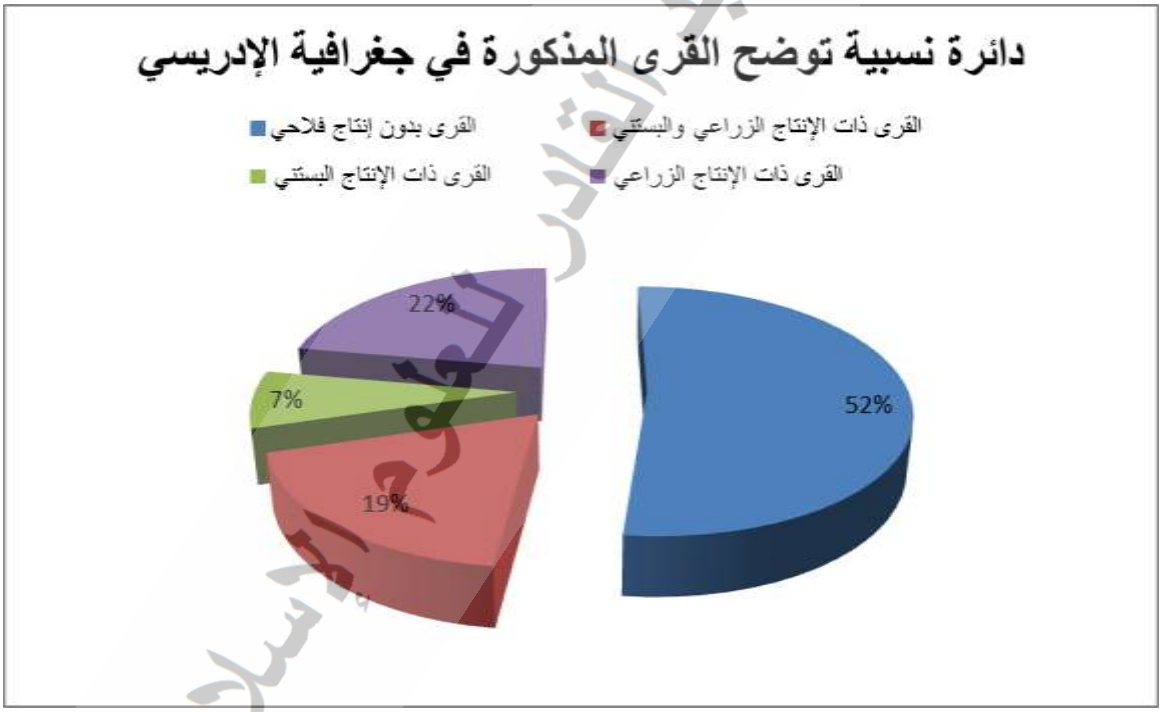

التحليل:

- استثنيت من القرى المذكورة في جغرافية الإدريسي قرية هاز المخربة[1].
- القرى المشتهرة بالإنتاج الزراعي والبستني معا بلغ عددها 05، نتيجة للتلازم بين هذين النشاطين في العديد من المناطق الريفية ولتحقيق العديد من القرى للاكتفاء الذاتي لمختلف المنتجات الغذائية على المستوى المحلي.

[1] _**المصدر السابق**، ص:150.

- أما القرى المشتهرة بالإنتاج البستني فقط؛ فعددها اثنان لكون تلك القريتين قريبتين من الساحل ولكون هذه المنطقة تمتاز بكثرة الأمطار إلى جانب وفرة المياه من مصادر أخرى مثل الأنهار وخاصة نهر شلف.
- القرى المشتهرة بالإنتاج الزراعي فقط؛ بلغ عددها 6 قرى، وأغلبها واقعة بالمناطق الداخلية، واشتهارها بهذا النوع من الإنتاج يعود أساسا لملائمة البيئة الطبيعية لانتاج الحبوب، أين تشهد منطقة الهضاب العليا والداخلية عموما قلة الأمطار.

والجدير بالذكر أنه بالرغم من انتشار الكثير من القرى المستقلة، وحالة الفوضى والاضطرابات التي أكدها الإدريسي في جغرافيته، إلاّ أن العلاقات الاقتصادية لم تنقطع قط بين القرى وباقي المجالات الأخرى، بشهادة هذا المؤلف نفسه حيث أشار لقرية مرسى أرزاو التي كانت تجلب إليها الحنطة[1].

ونجد هذا المؤلف قد تحدث فقط عن القرى الشمالية ولم يذكر قط القرى الجنوبية (الصحراوية)، ويفيدنا صاحب كتاب الاستبصار بمعلومات مهمة حول هذا الجانب، حيث أشار إلى قرية قيطون بياضة قرب مدينة بادس وهي قرية كبيرة كثيرة النخل[2]، والملاحظ أن وقوع هذه القرية على رأس طريق تجاري هام يربط بين تجارة السودان وتجارة الشمال قد زاد من قيمتها الاقتصادية، إلى جانب نشاطها البستني المتعلق بغراسة أشجار النخيل[3].

ومن جهته الوزان لم يكثر الحديث عن القرى المستقلة بالمناطق الشمالية باستثناء بعض القرى المتواجدة باقليم بني راشد مع تركيزه على قريتين فقط هما قرية هوارة وقرية المعسكر، والملاحظ على هاتين القريتين أنهما اكتسبتا الشهرة لقيمتهما التجارية واحتوائهما على عدد من الصنّاع وبعض الصناعات الحرفية إلى جانب بعض السلع الريفية[4]، بالرغم من أنّ هذا المؤلف ينفرد أكثر من أي مؤلف آخر بالذكر المُفصّل للجبال مع تحديده للأنشطة الزراعية والبستنية الممارسة بها[5]، فهل إهماله لذكر القرى الشمالية يعود إلى تعميمه للحديث عن الجبال؟ أم أن القرى الشمالية لم تلفت نظر هذا المؤلف مقارنة بقرى المناطق الجنوبية التي فصل في الحديث عنها كما ذكرت آنفا.

إذا كانت أغلب المصادر الجغرافية قد قرنت ذكر القرى بتنوع إنتاجها الزراعي والبستني، أو وقوعها ضمن أقاليم فلاحية مشهورة، إلاّ أنّ هناك من القرى التي ذكرت عرضا من قبل العديد من المؤلفات المصدرية نتيجة لإشعاعها الثقافي أو احتضانها لشخصية تاريخية، أو دينية كان لها وزن في أحداث تلك

---

[1] _**نفسه**، ص:171.

[2] _ص:180.

[3] _**نفس المصدر** والصفحة.

[4] _**المصدر السابق**، 26/2.

[5] _**أنظر الملحق رقم: 03**.

الفترة؛ ودون اقترانها بأي انتاج مثل: قرية طارف[1]، ملالة[2]، تاجرة[3]، حمزة[4]، العُبّاد[5]، بالإضافة إلى القرى الجنوبية مثل قرية ملشون[6]، إيفران[7]، وتموصين، وأريغ[8].

وأستغرب لعدم إيراد كتب الجغرافيا لهذه القرى باستثناء قرية ملشون والمرجح أنها لم تكن ذات بال، لا من حيث الكبر ولا من حيث منتجاتها الزراعية والبستنية فهل الإشعاع الثقافي لتلك القرى قد أعطاها قيمتها التاريخية أم أنّها لم تكن ذات قيمة فلاحية مقارنة بالقرى المذكورة من قبل المصادر الجغرافية؟

والملفت للإنتباه أنّ المؤلفات المصدرية التي عدت إليها لا تشير إلى الثراء الفاحش لملاكي المغرب الأوسط مقارنة ببلاد الأندلس خاصة إذا تعلق الأمر بشراء أملاك واسعة مثل القرى[9].

ب_الضياع: ضيعة الرجل حرفته وصناعته ومعاشه وكسبه[10]، والضيعة العقار وهي الأرض المُغِلّة والجمع ضيع، وأضاع الرجل أي كثرت ضيعته وفشت فهو مضيع والضياع المنازل، سميت ضياعا لأنها إذا ترك تعهدها وعمارتها تضيع[11].

والملاحظ أنّ مدلول الضيعة قد اختلف معناها من منطقة إلى أخرى، بل من فترة إلى أخرى من مجال للإستغلال إلى مسكن للإستقرار، وبالنسبة للمعنى الأول فالمصادر التي اضطلعت عليها تبخل علينا بمعلومات حول هذا الجانب، فباستثناء ما أورده الإدريسي[12]، بأن "**بأرض تاهرت مزارع وضياع جمة**" والتي نقلها القلقشندي[13]، بعبارة أخرى "**بأرباضها مزارع وضياع جمّة**"، فلا توجد لدينا أية إشارات

---

[1] _قرية بافريقية ينسب إليها العزيز بن محمد القرشي، ذكره ابن رشيق في الأنموذج، أنظر: الحموي: **المصدر السابق**، 4/4.

[2] _قرية قرب بجاية على ساحل بحر المغرب وهي التي انتقل إليها محمد بن تومرت فوجد بها عبد المؤمن بن علي القيسي، انظر: الحموي: **المصدر نفسه**،189/5، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد ابن خلكان: **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، حققه إحسان عباس، دار صادر بيروت، (د_ت)، 47/5.

[3] _هذه القرية ولد بها عبد المؤمن الكومي نسبة إلى كومية، قبيلة صغيرة نازلة بساحل البحر من أعمال تلمسان، انظر: ابن خلكان: **المصدر نفسه**، 240/3.

[4] _هذه القرية من حوز قلعة بني حماد، مكان مولد أبو عبد الله محمد بن علي بن حماد بن عيسى بن ابي بكر الصنهاجي(ت628هـ/1231م)، من كبراء الأئمة وفضلائهم، وقرأ بالقلعة وبجاية التي لقى بها جلة من العلماء منهم الشيخ أبو مدين، أنظر: الغبريني: **المصدر السابق**، ص:218، الحفناوي: **المرجع السابق**، 480/2.

[5] _ إحدى قرى تلمسان بها دفن أبو مدين شعيب، أنظر يحي بن خلدون: **المصدر السابق**، 126/1.

[6] _ من قرى بسكرة من ناحية افريقية القصوى ينسب إليها أبو عبد الملك الملشوني وابنه اسحاق، عالمان يحمل عنهما العلم، أنظر: الحموي: **المصدر السابق**، 192/5.

[7] _من قرى ورجلان التي هاجر إليها الشيخ أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بعد عيث بني ونزمار بالفساد بأربع، أنظر: الدرجيني: **المصدر السابق**، 386/2، الشماخي: **السير**، 65/2.

[8] _الدرجيني: **المصدر السابق**، 490/2، 510 على التوالي.

[9] _ابن رشد الجد: **فتاوى ابن رشد**، 193/1_194، فتوى ابن رشد(ق6هـ)، البرزلي، **المصدر السابق**، 94/3.

[10] _ابن منظور: **المصدر السابق**، مج4، **مادة ضيعة**، 24/29_26.

[11] _**نفسه**، 24/29_26، الجوهري: **المصدر السابق**، ص ص:687_688، **المعجم الوسيط**، ص:547.

[12] _**المصدر السابق**، ص:157.

[13] _**المصدر السابق**، 111/5.

أخرى حولها إلى جانب أنّها لم توضح لنا نوع الإستغلال بها، وإن كانت المعلومة السابقة تدل على الإنتاج الزراعي.

أمّا المعنى الثاني، فيعتبر الضيعة شكلا من أشكال الملكية العقارية داخل قرية ما[1]، وهي في الإصطلاح المغربي بمعنى المجشر[2]، وقد وردت الإشارات المتعلقة بها مقترنة بالواحات الصحراوية أكثر من المناطق الشمالية والتي كانت ملكا للعديد من الأشخاص (شيوخ العلم والصلحاء) أمثال أبو عبد الله محمد بن أبي بكر*، الذي كانت له ضيعة بتين يسلي بأريغ[3]، والملاحظ أنه كان يستغلها في إنتاج التمر التمر بأنواعه المختلفة مثل: البسر والرطب،...إلخ، إلى جانب الفواكه والخضر مثل التين والباكور والقثّاء، وهي ذات مردود فلاحي وفير[4].

وتحمل الضيعة مدلول القرية أو مكان للإستقرار العمراني أيضا، فميلاد عبد المؤمن بن عليّ (524_558هـ/1130_1163م)؛ كان بضيعة تاجرا وهي من أعمال تلمسان[5]، وكذلك كان لقاء المهدي بن تومرت مع عبد المؤمن بـ: "ضيعة ملالة" من أعمال بجاية[6]، كما حرصت بعض الشخصيات النافذة على تشييد الضياع مثل ضيعة فرفار "فرفر"، التي اختطها يعقوب بن علي الرياحي ببلاد الزاب خلال القرن 8هـ/14م[7].

والجدير بالذكر أن قلة الإشارة إلى الضياع دليل على أن هذا المصطلح أساسا كان قليل التداول بأرياف المغرب الأوسط مقارنة بمناطق عمرانية ريفية أخرى كالقرية والحصون والقصور من جهة؛ ومن جهة أخرى أن انتاج هذه الضياع لم يكن وفيرا إلى درجة تسويقها، وهو الأمر الذي غيّب ذكرها من قبل المصادر التي اضطلعت عليها.

ج_الحصون/ القلاع/ القصور:

ج_1_ الحصون: حصن المكان يحصن حصانة فهو حصين، والحصن كل موضع حصين لا يوصل إلى ما في جوفه والجمع حصون، وحصنت القرية إذا بنيت حولها والمحصن القصر والحصن[8]، والحصن

---

[1] _محمد حسن: **المرجع السابق**، 61/1.

[2] _عز الدين أحمد موسى: **المرجع السابق**، ص:148.

(*) من أهل الطبقة التاسعة (400_450هـ)، هو بيت أهل المذهب والمشهور بالبركات، أسس قواعد السيرة وله في كل فن تآليف كثيرة، وأكثرها الحجج والبرهان، توفي عام 440هـ، ودفن بمقبرة قرب غاره في أجلو وهو موضع معروف بالبركة بقرية عمرو، بدائرة تيقورت، وهو مشهور عند الأهالي بسيدي محمد السائح، أنظر: الدرجيني: **المصدر السابق**،2/377_378، 392.

[3] _**نفسه**، ص:385، 387، 435، الشماخي: **المصدر السابق**، ص:65، وحول تملك الضياع، أنظر أيضا: الوسياني: **السير**، 415/1.

[4] _ الدرجيني: **المصدر السابق**، ص:384، 387.

[5] _**المعجب**، ص:249.

[6] _**نفسه**، ص:247.

[7] _ابن خلدون: **العبر**، 639/7.

[8] _الجوهري: **المصدر السابق**، ص:257، ابن منظور: **المصدر السابق**، مج2، **مادة حصن**، 902/11، **المعجم الوسيط**، ص:180.

والحصن في مدلوله يتشابه معناه في القبة الأولى مع القصر إذ استعمل للاحتماء في فترات القلاقل والحروب[1]

وتعتبر الحصون من المراكز العمرانية الريفية التي تقام وسط الأراضي الزراعية ويخزن بها الفلاحون المحاصيل، ويلجؤون إليها وقت الفتن والثورات[2]، بالإضافة إلى أنّها كانت مسكنا ومستقرات للعديد من قبائل المغرب الأوسط، فجبل أوراس "**فيه حصون كثيرة تسكنها هوّارة إباضية**"[3]، وتلمسان لها حصون كثيرة[4]، ووارکلان من البلاد الصحراوية كانت في سبعة حصون يسكنها البربر وهم إباضية أيضا[5].

والحصون خلال هذه الفترة كانت أشبه بالقرى العسكرية لأنها تتحول وقت السلم إلى قرى يعمل أهلها بالزراعة[6]، فقد زخرت أرياف المغرب الأوسط خلال هذه الفترة بشبكة من الحصون، والتي مارس السكان ضمنها كلاّ من النشاطين الزراعي والبستني والجدول التالي يوضح أهم تلك الحصون:

اسم الحصن	الموقع	الصفة	نوع الانتاج	المصدر والصفحة
تانكرمت	6أميال من آسلن على الطريق من أرشقول إلى القيروان(حصن ساحلي)	له مزارع واسعة وبسايط خصيبة	زراعي	البكري:م،س،ص:79. الحميري:م،س،ص:128.
حصن الوردانية	4 أميال من هنين	"به ضروب ثمر"	بستني	الحميري: المصدر السابق، ص:609.
ابن زيني (زيان)	6أميال من تانكرمت على نفس الطريق (حصن ساحلي)	له نهر كثير الثمار والأشجار	بستني	البكري:م،س، ص:79 مجهول:م،س،ص:135 الحميري:م،س،ص:284
هنين	4أميال من حصن الوردانية على نفس	على مرسى جيد مقصود وهو أكثر	بستني	البكري:م،س، ص:80

[1] _محمد حسن: **المرجع السابق**، 68/1.

[2] _أبو المعاطي: **المرجع السابق**، 824/2.

[3] _الدمشقي: **المصدر السابق**، ص:241.

[4] _ العمري: **المصدر السابق**، 125/4، القلقشندي: **المصدر السابق**، 150/5.

[5] _ الدمشقي: **المصدر السابق**، ص:241.

[6] _أبو المعاطي: **المرجع السابق**، ص:825.

	الطريق (ساحلي)	الحصون "بساتين وضروب ثمر"		مجهول:م،س،ص:135 الحميري:م،س،ص:609
حصنان على وادي ماسين	يقع هذا الوادي بساحل ندرومة (هذان الحصنان قريبان من الساحل)	هذا الوادي كثير الثمار والمؤكد أن هذين الحصنين قد استغلاه في الانتاج	بستني	البكري:م،س، ص:80 الحميري:م،س،ص:576
تاونت	بساحل مدينة ترناتا على نفس الطريق (ساحلي)	حصن منيع في جبل منيف له بساتين وشجر كبير	بستني	البكري:م،س، ص:80
كزناية	على مرحلة من مليانة، على الطريق الرابط من تنس إلى المسيلة (قريب من الساحل)	أزلي على نهر شلف له مزارع وأسواق	زراعي	الإدريسي:م،س، ص:155 الحميري:م،س،ص:280
أشير	مرحلتين من قرية ماروغة على نفس الطريق (داخلي)	حسن البقعة كثير المنافع	/	الإدريسي:م،س، ص:155
تاكلات	على وادي بجاية ضمن الطريق الرابط بين بجاية والقلعة (حصن قريب من الساحل)	حصن منيع، به سوق دائمة وفواكه وبساتين وجنات	بستني	الإدريسي:م،س، ص:163 الحميري:م،س، ص:169
سوق الخميس	على الطريق من بجاية إلى القلعة (داخلي)	في أعلى جبل به مياه لا تقدر عليه العرب لمنعته به المزارع والمنافع قليل.	زراعي	الإدريسي:م،س، ص:163
بسكرة	مرحلتين من نقاوس (حصن صحراوي)	حصن منيع، به سوق وعمارة، والتمر من كل غربية وطريفة	بستني	الإدريسي: **المصدر نفسه**، ص:165

سطيف	مرحلتين من بجاية على الطريق الرابط بين قسنطينة وبجاية (داخلي)	كبير القطر، كثير المياه والشجر المثمرة بضروب من الفواكه (الجوز) كثير البساتين والأشجار	بستني	الإدريسي:م،ن، ص:169_170 الحميري:م،س،ص:318
بلزمة	_أشار البكري إلى أنه يقع على الطريق من القيروان إلى قلعة أبي الطويل. وحدد الادريسي موقعه بيومين عن قسنطينة على الطريق الرابط بين بجاية والقلعة.	حصن لطيف في بساط من الأرض كثير المزارع والقرى وفي قراه حصون كثيرة	زراعي	البكري:م،س، ص:50 الإدريسي:م،س، ص:171 الحميري:م،س، ص:103

التحليل:

- نلاحظ من خلال هذا الجدول بأنّ النشاط الفلاحي لأغلب الحصون يتمحور حول النشاط البستني لأن معظمها يتمركز قرب المياه والأنهار من جهة، وباعتبارها منشآت عمرانية ريفية أقيمت خصيصا لغرض إستراتيجي عسكري من جهة ثانية، فقد وُجِدت أيضا لتوفير المؤونة وقت الحروب والقلاقل.
- إلى جانب ممارسة بعض الحصون للنشاط الزراعي، فقد احتوى بعضها على أسواق لوقوعها ضمن مناطق عبور تجارية هامة خلال تلك الفترة، بالإضافة إلى وجود ازدهار زراعي أحدث فائضا في الإنتاج ولإحداث مبادلات تجارية.
- أغلب الحصون متمركزة بالمناطق الساحلية وبعضها داخلية إلى جانب حصن بسكرة الصحراوي، والملفت للانتباه أن أغلب الحصون الساحلية ذكرت من قبل البكري(القرن 5هـ/11م)، فمن جملة 6 حصون المذكورة في جغرافية هذا المؤلف، 5منها اختصت في الانتاج الفلاحي (زراعي كان أو بستني)، مما يجعلنا نعيد النظر في حالة انعدام الأمن في عهد الإدريسي، وإن كان هذا الأخير قد ذكر 20 حصنا في مؤلفه، خمسة حصون منها فقط اختصت بالإنتاج الفلاحي.
- إنّ إشارة الإدريسي للكثير من القرى مقارنة بعدد الحصون، دليل على أنّ سيطرة الأعراب كانت متمركزة ضمن مناطق داخلية محدودة رغم تحول بعض المدن إلى حصون مثل سطيف وبسكرة، إلاّ أنّها حافظت على ازدهارها البستني في تلك الفترة.

- بعض الحصون كانت تداني في قيمتها حتى الحواضر الكبرى، مثل حصن بلزمة الذي شكل قطبا هاما على الأقاليم والقرى التابعة له.
- ينفرد الإدريسي بذكر شبكة الحصون الواقعة على الطريق الرابط من بجاية إلى القلعة؛ وأغلبها كان متملكا من قبل العرب إلى جانب مهادنة السكان لهؤلاء في حصون أخرى، والعدد الأكبر منها لم يكن مقترنا بأي انتاج يُذكر، فهل سيطرة الأعراب على معظمها يعود لمنعتها؟ أم لتوفرها على المراعي؟ وإن كانت كذلك فلماذا لم يشر الإدريسي لتراثها بتلك المراعي أو المسارح، باستثناء حصن بكر الذي يطلّ على "**مراع ممتدة**"[1]، ويعزى الأمر في رأيي إلى إشراف تلك الحصون على أهم الطرق التجارية الرئيسية، وما يؤكد على هذا أن حصن سوق الخميس بالرغم من قلة المنافع به إلاّ أنّه قد أشار إلى أنّ العرب لا تقدر عليه لمنعته[2].

ج_2_القلاع: القلعة هي الحصن الممتنع في الجبل والجمع قلاع[3]، والملاحظ أن هذا النوع من التحصينات ذات النمط العمراني الريفي، لم يرد ذكرها كثيرا مقارنة بالحصون والقصور، ويعزى هذا الأمر حسب رأيي إلى تداخل مدلول الحصن مع القلعة في المؤلفات المصدرية لتلك الفترة، حيث يذكر الادريسي[4] بشأن **حصن بشر** الذي يبعد بأربعة أيام عن بسكرة بأنه "**قلعة عامرة من أعمال بسكرة وهو حصن جليل وله عمارات وهو في يد الأعراب**".

أما بقية الإشارات فقد اكتفى البكري[5] بذكر قلعة ابن الجاهل الواقعة جنوب تلمسان وهي "**كثيرة الثمار والأنهار**"، بالإضافة إلى قلعة هوارة (تاسقدالت)، قرب مدينة تامزغران* على الطريق الرابط بين تاهرت إلى البحر، حيث ذكر بأنها قلعة في جبل لها مزارع وثمار[6].

والجدير بالذكر أن هذه القلعة قد ذكرت من قبل الوزان[7] خلال القرن 10هـ/16م، عندما أشار إليها كقرية بإقليم بني راشد، دون اقترانها بأي إنتاج زراعي أو بستني، لكن الملفت للإنتباه أنّ القلاع لم تكن ذات قيمة اقتصادية وعمرانية كبيرة مقارنة بالقرى والقصور، وقليلة هي الإشارات المتعلقة باشتهارها بالمنتجات الزراعية والبستنية، وما ذكر منها قد ورد عرضا كمناطق عمرانية للإسكان لا غير؛ مثل قلاع ريغة بالجبال المحيطة بنقاوس[8]، وقلاع توبة بأرياف قسنطينة[1].

---

[1] _ **المصدر السابق**، ص:163.

[2] _ **نفس المصدر** والصفحة.

[3] _ **المعجم الوسيط**، ص:804.

[4] _ **المصدر السابق**، ص:171.

[5] _ **المصدر السابق**، ص:77، انظر أيضا: مجهول(ق6هـ): **المصدر السابق**، ص:177.

(*) تمزغران(مزغران) تقع على بعد 13 فرسخا شرقي وهران. أنظر مارمول: **المصدر السابق**، 2/349_350.

[6] _ البكري: **المصدر السابق**، ص ص:69_70، مجهول: **المصدر السابق**، ص:178، أنظر أيضا الحميري: **المصدر السابق**، ص،ص:128، 470.

[7] _ **المصدر السابق**، 2/26.

[8] _ النميري: **المصدر السابق**، ص: 463.

ج_3_القصور: القصر من البناء معروف، وقال اللحياني هو المنزل وقيل كل بيت من حجر والجمع قصور والمقصورة الدار الواسعة المحصنة[2]، والقصر صرح مهم يمثل مفهوما أثريا أو مدلولا إجتماعيا، أي منزل حديث أو قديم لصاحب الأرض يشغل غالبا مواقع محصنة وعادة يكون الموقع في أعالي القرى ويطل على العقار[3].

والملاحظ أن القصور ببلاد المغرب الأوسط خلال هذه الفترة تحمل مدلولين هما: القصور المقترنة بأملاك السلط الحاكمة (القصور الملكية)، والقصور التي تشير إلى النواتات السكنية المحصنة التي كانت مستقرا لمعظم السكان الريفين، وهذا النوع الأخير هو الذي يهم مجال دراستي باعتباره مركز للانتاج الزراعي والبستني الممارس من قبل السكان.

***القصور الملكية**: اهتمت الدول الحاكمة بإنشاء القصور الملكية بضواحي العواصم، والملاحظ أن موقعها كان ضمن المجالات الريفية التابعة لها من ذلك حصن تاكلات الواقع على الطريق الرابط ما بين بجاية والقلعة، وهذا الحصن المشتهر بانتاج الفواكه كانت به "**قصور حسان وبساتين وجنات ليحي بن العزيز**"[4] آخر سلاطين الدولة الحمادية.

وتلمسان التي وصفها يحي بن خلدون[5] بأنها "...**تطل منه على فحص أفيح معد للفلح، بها للملك قصور زاهرات، اشتملت على المصانع الفائقة والصروح الشاهقة والبساتين الرائقة مما زخرفت عروشه ونمقت غروسه ونوسبت أطواله وعروضه فأزرى بالخورق وأخجل الرصافة، وعيث بالسدير**".

بالإضافة القصر الملكي الواقع جنوب تلمسان والذي يضم "**قصور ببساتينها وسقاياتها**"[6]، والمرجح أنه قصر المشور*، لكن الملاحظ على هذه القصور أنها كانت دائما في اتصال مع المجالات الريفية البعيدة ذلك أن هذا القصر له بابان أحدهما يقع في الجنوب ويطل على البادية باتجاه الجبل والثاني يقع في الشمال الغربي باتجاه وسط المدينة، وكان بقصر المشوّر مجموعة من المخازن والمطامير لتخزين الحبوب والمؤن المختلفة[7]، وتتخلل القصر أحواض الزهور والأشجار المثمرة ونافورات المياه كما هو الشأن في القصور السلطانية بفاس وغرناطة وتونس[8].

---

[1] _**نفسه**، ص: 474.

[2] _ابن منظور: **المصدر السابق**، 3647/40.

[3] _بيار جورج: **المرجع السابق**، ص:637، **المعجم الوسيط**، ص:472.

[4] _الادريسي: **المصدر السابق**، ص:163.

[5] _**المصدر السابق**، 85/1_86.

[6] _الوزان: **المصدر السابق**، ص:20.

(*) كان هذا القصر محاطا بسور عالي والذي يضم قصور عديدة صغيرة إلى جانب قصر السلطان ويحتوي على العديد من السقايات والنافورات والبساتين، أنظر: فيلالي: **المرجع السابق**، 115/1.

[7] _**نفس المرجع** والصفحة.

[8] _ **نفسه**، ص ص:115_116.

***القصور (السكن المحصن):** يشير مدلول القصر ببلاد المغرب أيضا إلى الحصون والأربطة بمنطقة الساحل أو في الأماكن السكنية المحصنة التي تتسع لبضع عشرات من القرى والأسر[1]، وقد شهدت كلاّ من السهول، الجبال والواحات هذا النوع من الأنماط العمرانية على إثر التغيرات والتطورات التي شهدتها بلاد المغرب الأوسط بعد قدوم القبائل العربية للمنطقة، والتجاء مجموعات زراعية هامة إلى الجبال[2].

والجدير بالذكر أن القصر كمجال للسكن المحصن ظهر منذ بداية العصر الوسيط، لكنه عرف انتشارا واسعا ابتداءا من القرن 6هـ/12م، نتيجة لقلة الأمن بمعظم الأرياف والبوادي، حيث بات أحد أهم المستقرات السكنية في السهول والجبال على حد سواء[3].

فخلال القرن 5هـ/11م، نلمح قلة الإشارة إلى هذا النوع من السكن المحصن، حيث اكتفى البكري[4]، بذكر موضعين فقط، هما وجود قصر خراب على ثلاث مراحل من أحساء عقبة بن نافع، والواقع على ساقية ابن خزر، حيث توجد حوله ثمار، وطبنة التي كان بها "**قصر وأرباض وداخل القصر جامع وصهريج كبير يقع فيه نهرها ومنه تسقى بساتينها**"[5]، والملاحظ أنّ هذا القصر كان تابعا للمدن وليس كسكن ريفي محصن.

ونلمح تزايد أعداد القصور خاصة بالمناطق الشمالية لبلاد المغرب الأوسط ابتداءا من القرن 6هـ/12م حتى نهاية العصر الوسيط، فقد أشار الإدريسي إلى شبكة من القصور دون اقترانها بأي نشاط زراعي أو بستني، من ذلك إيفكان "**التي كان لها قصور**"[6]، والمؤكد أنها تراجعت بعد تدهور حالة هذه المدينة، واكتفى هذا المؤلف بذكر القصور الواقعة على الطريق بين بجاية والقلعة بقوله: **<<ومنه إلى سوق الاثنين وبه المنزل وهو قصر حصين، والعرب محدقة بأرضه وفيه رجال يحرسونه مع سائر أهله...ومنه إلى قصر عطية وهو حصن على أعلى جبل ثم إلى ...إلى حصن القلعة مرحلة>>**[7].

ومن القصور المتواجدة بالمناطق الشمالية نجد قصر تامزيزيدكت الذي كانت تحيط به أراض جيدة كانت تزرع"[8]، وقصر جيجل الذي كان يزخر بمختلف المنتجات الزراعية والبستنية من: شعير، كتان، قنب، جوز، التين...الخ[9].

ومن أكثر المناطق التي شهدت بناء القصور؛ نجد بلاد الزاب والأوراس فخلال القرن 8هـ/14م ونتيجة لاستقرار القبائل العربية، تم تشييد شبكة واسعة من القصور الرابطة[1]، مثل قصر تيجمانين (بين

---

[1] _أبو المعاطي: **المرجع السابق**، 831/2، محمد حسن: **المرجع السابق**، 65/1.

[2] _محمد حسن: **المرجع نفسه**، 391/2.

[3] _ **نفسه**، 66/1.

[4] _**المصدر السابق**، ص:72.

[5] _ **نفسه**، ص:50.

[6] _**المصدر السابق**، ص:151.

[7] _**نفسه**، ص ص:163_164.

[8] _الوزان: **المصدر السابق**، 11/2_12.

[9] _**نفسه**، ص ص:51_52.

قسنطينة وباتنة)، الذي بناه عثمان بن عليّ الرياحي والذي أشاذ النميري في وصف حدائقه وجناته[2]، وكذلك قصر قصر يعقوب بن عليّ الواقع في حضيض جبل أوراس[3].

والواضح أن هذه القصور كانت تشيّد خصيصا في الأراضي الخصبة مما ساهم في تنوع الاستغلالات بها، من أنشطة بستنية وزراعية إلى جانب المراعي المريعة[4]، كما أن قصور الزاب تختلف حسب قيمتها الاقتصادية والاجتماعية، وكانت الأكثرها شهرة هي القصور الآنفة الذكر وهناك قصور أخرى تقل قيمة عن تلك مثل قصور زراية قرب مقرة[5].

وبشأن القصور الصحراوية، فبالرغم من جهل الباحثين الأثريين حول الأشكال الوظيفية لمعظم القصور الصحراوية، هل بنيت لتكون محطة تجارية؟ أم أنها بنيت لتحمي القبائل من الغارات والحروب؟ إلاّ أنّ جميعها تمتاز بموقعها بالقرب من المجاري المائية[6]، وبالواحات كانت الفقارة من أهم العوامل التي ساهمت في إنشاء القصور بمنطقة توات، ومن خلال حركية هذه القصور وتداخلها يمكن تتبع أثر الفقارة على استقرار أو هجرة السكان من القصور[7].

والقصر بالمناطق الجنوبية مصنف ضمن السكن القروي التقليدي المنغلق، إذ أنه يتوفر على مدخل واحد يعرف باسم فم القصر، كما يحاط القصر بأسوار عالية وبأبراج معدة للعملية الأمنية والحراسة المستمرة[8].

زخرت مختلف المناطق الصحراوية بأعداد كبيرة من القصور والتي اشتغل سكانها في مختلف المغروسات[9]، خاصة أشجار النخيل فحول وركلة نخل كثير وبضواحيها عدة قصور وعدد لا يحصى من القرى[10]، ومدينة تقرت حولها عدة قصور وقرى وأماكن مأهولة إلى جانب امتلاك سكانها لحدائق النخيل[11].

ومن الأهمية بمكان الإشارة إلى شبكة القصور الرابطة بين الشمال ورفارف الصحراء، والتي شكلت قطبا فلاحيا وعمرانيا امتد من الحدود الغربية حتى الشرقية لبلاد المغرب الأوسط، "**ففي قبلة تلمسان قصور متعددة ذات نخل وأنهار، وفي قبلة تاهرت القصور أيضا....وهي ذات نخل ومزارع وأنهار، ثم**

---

[1] _ محمد حسن: **الجغرافيا التاريخية لإفريقية من القرن 1إلى 9هـ، فصول في تاريخ المواقع والمسالك والمجالات**، ط1، دار الكتاب الجديد، بيروت، لبنان، 2004م، ص ص:42_43.

[2] _ **المصدر السابق**، ص ص: 414_416.

[3] _ **نفسه**، ص:422.

[4] _**نفس المصدر** والصفحة.

[5] _**نفسه**، ص ص:468_469.

[6] _عبد الكريم عروق: **دراسة نموذجية لبعض المباني بقصر ورقلة**، مجلة آثار، معهد الآثار، جامعة الجزائر، العدد6، 2007، ص:111.

[7] _أحمد جعفري: **نظام الفقارة وآلية توزيع الماء في منطقة توات (ولاية أدرار)، وأثره على مختلف التحولات الاجتماعية لسكان الاقليم**، مجلة دراسات تراثية، جامعة الآثار، الجزائر، العدد1، 2007، ص:123.

[8] _نور الدين بن عبد الله: **العمارة التقليدية بإقليم توات، القصر نموذجا**، دورية كان التاريخية، العدد15، مارس 2012م، العدد 15، ص:124.

[9] _الفرسطائي: **القسمة وأصول الأراضين**، 211/4.

[10] _الوزان: **المصدر السابق**، 136/2_137.

[11] _**نفسه**، ص:135.

قصور معينات تناهز المائة وأكثرها قبلة الجزائر ذات نخل وانهار ثم بلد واركلي...وفي سمته إلى جهة التلول بلاد ريغ تناهز الثلاثمئة منتظمة على حفافي واد ينحدر من المغرب إلى المشرق يناهز مائة من البلاد فأكثر، قاعدتها بسكرة من كبار الأمصار..."[1].

ويقدم لنا الوزان صورة دقيقة جدا حول أعداد القصور المتواجدة بمعظم المناطق الصحراوية، فمزاب بها ستة قصور وعدة قرى[2] وتكورارين بها 150 قصر تحيط بها حدائق النخيل، وفكيك عبارة عن ثلاث قصور يحيط بها عدد من النخيل أيضا[3]، والقصور على غرار باقي مراكز العمران الريفي كانت تتعرض للتخريب، مثل: القصور الواقعة على عدوتي وادي ريغ التي خرّب جلّها ابن غانية، وكانت هذه القصور مستقرا لفروع مغراوة من زناتة ولهم بهذه القصور فلاحات متنوعة[4]، والقصور على غرار باقي مراكز العمران الريفي يتم امتلاكها فرديا أو بطريقة جماعية[5]، فقد كان لبني مصعب قصور مشتركة[6].

مما تقدم نستخلص أن أعداد القصور بالشمال كانت قليلة مقارنة بالقرى والحصون المتواجدة خلال هذه الفترة، وأغلبها كان متمركزا بمنطقة الأوراس وبلاد الزاب بعد وصول القبائل العربية، أما بالمناطق الصحراوية فقد كانت كثيرة جدا نظرا لملائمة هذا النمط العمراني مع خصوصية المنطقة (قلة المياه وضرورة تجمع السكان قربها)، إلى جانب ضرورة تحصينها تحسبا للحروب والصراعات القبلية بالمنطقة.

د_البرج: برج الحصن ركنه، والجمع بروج وأبراج وربما يسمى الحصن به[7]، قال تعالى: ﴿وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ﴾[8]، وقيل للبروج بروجا لظهورها وبنائها وارتفاعها، والبروج الحصون، والبروج سور المدينة والحصن وهي بيوت تبنى على نواحي أركان القصر[9].

ويحمل البرج أيضا مدلول السكن الضحوي المحصن الذي يقطنه المزارعون؛ حيث بات وحدة للاستغلال الزراعي والإسكان، وفي العهد الحفصي بات له وظيفة عسكرية واضحة للاحتماء من غارات البدو وتعدياتهم، تأخذ بساطة في المظهر وتستعمل للترفيه وخاصة لاستغلال الأجنة والبساتين ومراقبتها من شتى التعديات[10].

---

[1]_ابن خلدون: **العبر**، 131/6_132.

[2] _ الوزان: **المصدر السابق**، ص:134.

[3] _**نفسه**، ص ص:132_133.

[4] _الميلي: **المرجع السابق**، 213/2.

[5] _الفرسطائي: **المصدر السابق**، 211/4.

[6] _الدرجيني: **المصدر السابق**، 486/2.

[7] _الجوهري: **المصدر السابق**، ص:84.

[8] _**سورة النساء**، الآية:78.

[9] _ابن منظور: **المصدر السابق، مج1، مادة برج**، 243/4_244، **المعجم الوسيط**، ص:47.

[10] _ محمد حسن: **المدينة والبادية**، 70/1_71.

تشير المصادر إلى وجود الأبراج وانتشارها بالقرب من قصور وحصون أغلب بلاد الزاب[1]، لكن الملفت للإنتباه أن المصادر التي اضطلعت عليها لم تشر إلى وجود أجنة للكروم والمزودة بأبراج، بالمناطق الريفية لبلاد المغرب الأوسط، كما هو الشأن في مناطق أخرى من بلاد الغرب الإسلامي كالأندلس مثلا[2].

هـ_المجاشر، الدواوير، المشاتي:

هـ_1_المجاشر (المداشر): كانت المجاشر من أهم المستقرات الريفية ببلاد المغرب الأوسط[3]، ومفردها مجشر ومدشر؛ يطلق المجشر في الأصل على منازل البدو ثم شمل معناه التجمعات السكنية الصغرى أو الكبرى التي تشاد فيها منازل قروية من طين وحصى بعيدة عن تنميق الحواضر وزخرفتها[4]، مثل مجشر ابن الصيقل بظاهر تلمسان[5]، بالإضافة إلى مدشر إدريس بجبل بني ورنيد[6]، ومدشر نبش الذنب بنواحي بنواحي تلمسان[7]، والمداشر التي كانت تقطنها وتعمرها قبائل تلكاتة وأنجفة[8] وسائر القبائل البربرية المستقرة[9].

والملاحظ أن أغلب المداشر المذكورة من قبل المصادر لم تقترن بأي نشاط فلاحي بالرغم من أنها مراكز عمرانية ريفية باستثناء المدشر الواقع ببني راشد الذي بناه الولي الصالح سيدي يحي بن محمد المديوني أبو السادات التلمساني*، والذي استغله الشيخ كمجال لممارسة النشاط الزراعي إلى جانب غراسة بعض أشجار التين والعنب[10]، والجدير بالذكر أن المداشر المذكورة من قبل المصادر كانت مرتكزة بغرب المغرب الأوسط.

هـ_2_الدواوير: الدوّار مخيم للأعراب الرحل يقام على شكل مستدير لتتمكن المراقبة منه والدفاع عنه، وهو كالدشرة المبنية عند السكان المستقرين، وعندما يدخل فصل الشتاء ويقرب البرد وينعدم الكلأ ينسحب الرحل للمناطق الشمالية[11]، لذلك فالدوّار يحمل مدلول القرية المتنقلة، والملاحظ أنها كانت مستقرا للقبائل التي تقيم تارة وترتحل تارة أخرى.

---

[1]_النميري: **المصدر السابق**، ص،ص: 426، 428.

[2]_فتوى أبو عبد الله بن الغماز، الونشريسي، **المعيار**، 8/450_451.

[3]_فتوى سعيد العقباني (ق9هـ)، المازوني، **الدرر المكنونة في نوازل مازونة**، 137/1ظ.

[4] _محمد حسن: **المرجع السابق**، 71/1.

[5] _يحي بن خلدون: **المصدر السابق**، 209/2.

[6] _الحفناوي: **المرجع السابق**، 95/2.

[7] _ابن مريم: **المصدر السابق**، ص:279.

[8] _محمد الطمار: **المغرب الأوسط في ظل صنهاجة**،د،م،ج، الجزائر، 2010م، ص:17.

[9] _ابن منصور: **المرجع السابق**، 282/1.

(*) الفقيه الورع الولي الصالح ذو الكرامات السنية والأحوال المرصنة أخذ عن السنوسي، سافر من تلمسان إلى بني راشد وهناك استقر وبات ذلك الموضع يعرف برواية سيدي أبي السادات، أنظر: ابن مريم: **المصدر السابق**، ص:305_306.

[10] _ابن مريم: **المصدر نفسه**، ص ص:289_290.

[11] _ابن منصور: **المرجع السابق**، ص:282.

لقد بات الدوّار من أهم المستقرات الريفية وأكثرها انتشارا في عهد المازوني (ق9هـ/15م)[1]، وأغلب السكان القاطنين بهذا النوع كانوا يمارسون النشاط الزراعي (زراعة الحبوب) إلى جانب تربية الماشية، مثل أولاد سويد القاطنين بين مستغانم ونهر شلف ويتخذون من الدواوير "قرى مستقلة" أثناء استقرارهم الموسمي[2].

هـ_3_المشاتي: تشتى المكان: أقام به الشتوة، وهذه مشاتينا ومصايفنا ومرابعنا أي منازلنا في الشتاء والصيف والربيع، وشتوت بموضوع كذا وتشيت: أقمت به الشتاء[3]، والمشتى من أبرز الأنماط العمرانية لأنصاف الرحل بسفوح الجبال والأراضي الشمالية السهلية، وهي عبارة عن بيوت مبنية بناءا بسيطا، فالحياة عند الرحل أساسها الدوار والمشتى وعند المستقرين القرية والدشرة[4].

كان لأغلب القبائل البربرية مشاتي بمعظم المناطق فيذكر البكري عن مرسى الروم أنه كان مشتى مأمون[5]، إلى جانب القبائل العربية بعد استحواذهم على عقارات شاسعة بالمغرب الأوسط مثل قبائل الدواودة التي كانت لها مشاتي ببلاد الزاب[6].

واتخاذ المشاتي لا يتعلق بالإنتقال بين الصحراء والشمال فحسب، بل إنّها تتعلق بالإنتقال من مكان إلى آخر حتى ضمن نفس المجال كما هو الحال ببعض المناطق الصحراوية، فالشيخ أبا عبد الله محمد بن بكر كان يشتي بأريغ ويربع في البراري عند بني مصعب وغيرهم[7].

و_العمائر والقرارات: هذا النوع من المستقرات كانت مناطق لتجمع وعيش سكان الريف البسطاء.

و_1_العمائر: العمارة من الفعل عَمَر وعمرت الخراب أعمره عمارة فهو عامر أي معمور، والعمارة أيضا القبيلة والعشيرة[8]، والعمارة أصغر من القبيلة وقيل هو الحي العظيم الذي يقوم بنفسه ينفرد بظعنها وإقامتها وإقامتها ونجعتها وهي من الإنسان الصدر، وسُمي الحي العظيم عمارة بعمارة الصدر وجمعها عمائر[9].

ومدلول العمارة والعمارات انطلاقا من مصادر الفترة كان مقترنا بحجم المستقرات للسكان الريفين البسطاء، والملاحظ أنها كانت منتشرة بكثرة خصوصا قرب موارد المياه، مما يوحي بوجود ازدهار زراعي وبستني بالمنطقة بالرغم من قلة المعلومات حولها، فالأرياف المحيطة بندرومة كانت ذات "**جنات وعمارة**

---

[1]_فتوى محمد بن مرزوق (ق9هـ)، المازوني، **المصدر السابق**، 37/2ظ، 75ظ، 83و، أنظر أيضا: فتوى إبراهيم العقباني (ق9هـ)، **المصدر نفسه**، ورقة 75ظ، فتوى أبا الفضل العقباني (ق9هـ)، **المصدر نفسه**، ورقة 77و، 80ظ.

[2] _مارمول: **المصدر السابق**، 109/1، ابن مريم: **المصدر السابق**، ص:290.

[3] _بيار جورج: **المرجع السابق**، ص:637، **المعجم الوسيط**، ص:472.

[4]_ابن منصور: **المرجع السابق**، الصفحة نفسها.

[5] _**المصدر السابق**، ص:83.

[6] _الحفناوي: **المرجع السابق**، 150/2.

[7]_ أبو زكريا يحي بن أبي بكر: **سير الأئمة وأخبارهم**، تحقيق وتعليق إسماعيل العربي، المكتبة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1399هـ/1979م، ص:175.

[8] _الجوهري: **المصدر السابق**، ص:810.

[9] _ابن منظور: **المصدر السابق، مج4، مادة عمر**، 3101/34_3102.

وسقي كثير"[1]، ومدينة الخضراء كانت "**على نهر صغير عليه عمارات متصلة**"[2]، وقلعة بشر أيضا ذات "**عمارات**"[3]، وجبل الأوراس المشتهر بكثرة المياه[4] والخيرات[5] كانت عمارته متصلة[6]، بالإضافة إلى جبل جبل البغل جنوب تلمسان الـ"**كثير الخصب والعمارة**"[7]، وبلاد الزاب "**في مدن كثيرة وأنظار واسعة وعمائر متصلة، وهي كثيرة النخل والمياه والأنهار والعيون**"[8]، ونجد بأنّ مدلول العمارة والعمائر عند مصادر الفترة كثيرا ما كان يرد مقترنا بالقرى والحصون وسائر مراكز العمران الريفي.

و_2_القرارات: فلان قارّ أي ساكن، والقرارة والقرار ما قرّ فيه الماء والقرار والقرارة من الأرض المطمئن المستقر، وهي من مكارم الأرض إذا كانت سهولة والقرار مستقر الماء في الروضة[9].

تشير القرارات أيضا إلى المستقرات الريفية وإن كان معناها يوحي لقلة السكان بها إلى جانب نذرة ذكرها في مصادر الفترة، باستثناء المعلومة التي أوردها الحموي[10] بشأن الموضع الذي تأسست فيه بجاية بقوله:**<<فيه أبيات للبربر قليلة>>**، دون اقترانها بأي نشاط فلاحي بها.

كانت هذه نظرة عامة على أهم المناطق العمرانية ذات العلاقة بالنشاط الزراعي والبستني سواء ضمن المجالات الحضر_ريفية أو ضمن المناطق الريفية، والملاحظ أن أغلبها كان مقترنا بالانتاج الفلاحي عموما، وإن اختلفت درجة ممارسة كل نشاط أو مدى إلحاق الزراعة بالبستنة أو العكس، حسب خصوصية هذه المستقرات والظروف المحيطة بها.

وممارسة النشاط الزراعي والبستني بأرياف المغرب الأوسط خلال القرن 5_10هـ/11_12م، كان يتم ضمن مستغلات تختلف أحجامها وخصوصياتها حسب طبيعة كل نشاط، ولعل أهمها:

IV. المفاهيم المتعلقة بمجالات ممارسة النشاط الزراعي والبستني بأرياف المغرب الأوسط.

1_مجالات الاستغلال الزراعي بأرياف المغرب الأوسط:

أ_المزارع: المزرعة هي موضع الزرع أو المزدرع[11] والزَرّاعة هي الأرض التي تزرع[1] كما تطلق على الضيعة ومكان الاستنبات[2]، والملاحظ أنّ المزرعة هي وحدة للاستغلال الزراعي على نطاق عائلي، كما

---

[1] _الإدريسي: **المصدر السابق**، ص:254.

[2] _**نفسه**، ص:154، الحميري: **المصدر السابق**، ص:223.

[3] _الإدريسي: **المصدر السابق**، ص:171.

[4] _**نفسه**، ص:165.

[5] _ابن سعيد: **الجغرافيا**، ص:145.

[6] _الإدريسي: **المصدر السابق**، ص:165، الحميري: **المصدر السابق**، ص:65.

[7] _مجهول(ق6هـ): **المصدر السابق**، ص:177.

[8] _**نفسه**، ص:171.

[9] _ابن منظور: **المصدر السابق، مج5، مادة قرار**، 3580/39، **المعجم الوسيط**، ص:725.

[10] _**المصدر السابق**، 339/1.

[11] _الجوهري: **المصدر السابق**، ص:489.

تشير أيضا إلى قطعة أرض أو حقل شبه واسع مخصص لزراعة معينة[3]، وببلاد المغرب الأوسط هناك مزارع تابعة للمدن وأخرى واقعة ضمن المناطق الريفية، والتي توضحها الجداول التالية:

أ1_أهم المزارع التابعة للمدن اعتمادا على المصادر الجغرافية:

اسم المدينة	الموقع	صفة المزارع	المصدر والصفحة
متيجة	ساحلية	"ذات مزراع"	البكري:م،س،ص:65_66، الحميري:م،س،ص:523، الحموي:م،س،ص:53/5
برشك	ساحلية	"جمل مزارع"	الإدريسي:م،س،ص:158، الحميري:م،س،ص:88.
غزة	على نهر شلف (قريبةمن الساحل)	"لها مزارع"	الإدريسي:م،س،ص:152.
مليانة	قرية من الساحل	"حسنة البقعة كريمة المزارع"	الإدريسي:م،س،ص:154، الحميري:م،س،ص:547.
مازونة	قرية من الساحل	"لها أنهار ومزارع"	الإدريسي:م،س،ص:172، الحميري:م،س،ص:521_522.
ندرومة	قريبة من الساحل	"لها مزارع كثيرة"	الإدريسي:م،س،254.
تامديت	داخلية	"مزارع واسعة"	البكري:م،س:ص:53.
تيفاش	داخلية	"مزارع كبيرة"	البكري:م،ن،ص:53، الحميري:م،س،ص:146.
قصر الافريقي	داخلية	"مزارع كبيرة"	البكري:م،س،ص:53، الإدريسي:م،س،ص:196، الحميري:م،س،ص:475.
دكمة	داخلية	_"مزارع"	البكري:م،س،ص:54،

[1] _ابن منظور: **المصدر السابق**، 1826/21، الجوهري: **المصدر السابق**، الصفحة نفسها.

[2] _**المعجم الوسيط**، الصفحة نفسها.

[3] _بيار جورج: **المرجع السابق**، ص:752.

		_"مزارع كثيرة"	الحموي:م،س،355/4.
قسنطينة	داخلية	"لها مزارع الحنطة والشعير ممتدة في جميع جهاتها"	الإدريسي:م،س،ص:166_167، الحميري:م،س،ص:480.
سطيف	داخلية	"ذات مزارع"	الحموي:م،س،220/3.
الغدير	داخلية	"أهلها بدو ولهم مزارع وأرضون مباركة والإصابة في زروعها موجودة"	الإدريسي:م،س،ص:162، الحميري:م،س،ص:427.
المسيلة	داخلية	"عامرة في بسيط من الرض ولها مزارع ممتدة أكثر مما يحتاج إليه"	الإدريسي:م،س،ص:155_156، الحميري:م،س،ص:558.
مقرة	داخلية	"بها مزارع وحبوب"	الإدريسي:م،س،ص:164، الحميري:م،س،ص:556.
باغاي	بلاد الزاب	"ذات مزارع"	البكري:م،س،ص:50، الحميري:م،س،ص:558،76.
نقاوس	بلاد الزاب	"ذات مزارع"	البكري:م،س،ص:50، الحميري:م،س،ص:579.
بادس	بلاد الزاب	"ذات مزارع جليلة يزرعون بها الشعير مرتين في العام على مياه سايحة كثيرة"	البكري:م،س،ص:74، الحميري:م،س،ص:75.

أ2_أهم المزارع الريفية المذكورة من قبل المصادر الجغرافية:

المنطقة الريفية	الموقع	الصفة	المصدر والصفحة
أرياف بجاية	ساحلية	"لها بواد ومزارع"	الإدريسي:م،س،ص:161، الحميري:م،س،ص:80_81.
أرياف تنس	ساحلية	"لها أقاليم وأعمال ومزارع"	الإدريسي:م،س،ص:153، الحميري:م،س،ص:138.
أرياف مليانة	قريبة من الساحل	"مشرفة على فحوص وكزارع واسعة"	الإدريسي:م،س،ص:154، مجهول:م،س،ص:176،

			الحميري:م،س،ص:547.
أرياف قسنطينة	داخلية	"حولها مزارع كثيرة، وإليها ينتهي رحيل عرب إفريقية مغربين في طلب الكلأ"	الحموي:م،س، 349/4.
أرياف مرسى الزيتونة	داخلية	"أول حد جبال الرحمان، تسكنه قبائل كتامة فيه مزارع كثيرة"	البكري:م،س،ص:81.
أرياف مدينة ماما	داخلية	"لها واد عذب عليه مزارع وغلات وإصابتها في الحنطة كثيرة"	الإدريسي:م،س،ص:157.
أرياف تاهرت	داخلية	"بأرضها مزارع وضياع جمة"	الإدريسي:م،س،ص:157، الحميري:م،س،ص:126، القلقشندي:م،س،111/5.
أرياف ندرومة	داخلية	"بغربي وشمالي ندرومة مزارع كثيرة"	البكري:م،س،ص:80، مجهولم،س،ص:135، الحميري:م،س،ص:576.
أرياف تلمسان	داخلية	"ما جاور تلمسان من المزارع كلها مسقي، وغلاتها ومزارعها كثيرة"	الإدريسي:م،س،ص:150، الحميري:م،س،ص:135.
أرياف المسيلة	داخلية قريبة من الصحراء	"مزارعها ممتدة أكثر مما يحتاج إليه"	الإدريسي:م،س،ص:155_156، الحميري:م،س،ص:558.
أرياف مقرة	داخلية قريبة من الصحراء	"في بلد كبير ذات مزارع"	البكري:م،س،ص:51.
أرياف ريغ	صحراوية	"بلاد ريغ ذات مزارع"	ابن سعيد: الجغرافيا،ص:126، بسط الأرض،ص:60.

التحليل:

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

_اختلف حجم المزارع المذكورة من قبل المصادر الجغرافية؛ وإن كانت تلك المقترنة بالمدن هي التي وصفت بالإتساع والكبر، وهذا الإتساع هو الذي جعل المصادر الجغرافية تشير تارة للمدينة وتارة لأريافها مثل:مليانة، قسنطينة، المسيلة، مقرة والأرياف التابعة لها.

_أغلب المزارع الريفية لم تقترن بصفة ولا بحجم معين، مما يدل على أنّ أغلبها كان يُسيّر عائليا(بملكية فردية) من قبل السكان من جهة، ومن جهة ثانية يعود الأمر إلى طبيعة الإنتاج في حد ذاته؛ ذلك أن مزارع الحبوب "القمح والشعير" خصوصا لا تتطلب عناية كبيرة.

_نلاحظ من خلال الجدول أن هناك من المزارع _وإن كانت قليلة جدا_، من كانت تستغل مياه الأنهار والأودية للسقي، ويعزى الأمر برأيي أن هذا النوع من المزارع كان يقوم بانتاج حبوب مخصوصة والتي تتطلب مياه وسقي كثير والتي أحجمت المصادر عن ذكرها إلا ناذرا مثل قرية بني وزلفن التي كانت ذات سوان يزرع عليها الشهدانج والحناء والكمون[1]، كما تنتشر المزارع الخصيبة والرياضات بجبل أمسيول (أمسيوان)[2].

_قليلة هي الاشارات التي توضح انتاج المزارع بشكل مفصل من الحبوب مثل مزارع قسنطينة، الغدير، مقرة، وتكثر المزارع بالمناطق الداخلية ريفية كانت أو تابعة للمدن لأن مناخ البلاد يتلاءم مع هذا النوع من المحاصيل، إلى جانب مناطق صحراوية جد قليلة مثل بلاد ريغ لوجود خصب ببعض الواحات الصحراوية.

وإلى جانب تواجد وانتشار المزارع بأحواز المدن وسائر المناطق الريفية فقد احتوت بعض مناطق العمران الريفي على جملة من المزارع سواءا كانت قلاع؛ مثل قلعة هوارة (تاسقدالت)[3]، أو قرى؛ مثل قرية بابلوت الواقعة على مرحلة من العلويين، وقرية أوسحنت التي بها مزارع الحنطة والشعير[4]، بالإضافة إلى الحصون مثل: حصن تانكرمت، بلزمة، سوق الخميس، وكزناية.

وتكثر بموضع يسمى الوطاية قرب حصن الجديد[5]، والملاحظ أنّ المراكز العمرانية الآنفة الذكر كانت قليلة مقارنة بأحواز المدن وباقي المجالات الريفية الأخرى.

ولمّا كان للحبوب أهمية كبيرة خاصة القمح والشعير باعتبارها الغذاء الرئيسي للسكان؛ لذلك نجد تلازما بين انتشارها واستقرار السكان، فحصن بلزمة يقع "في بساط من الأرض كثير المزارع والقرى"[6]، ونتساءل عن إشارة الإدريسي[7] لموضع إسمه المزارع؟ بقوله: "**من حصن سوق بني زندوي إلى تالة وهو**

---

[1] _الإدريسي: **المصدر السابق**، ص:154.

[2] _النميري: **المصدر السابق**، ص:267_268، 278_279.

[3] _البكري: **المصدر السابق**، ص ص: 69_70، مجهول(ق6هـ): **المصدر السابق**، ص:178، الحميري: **المصدر السابق**، ص:470.

[4] _الإدريسي: **المصدر السابق**، ص:151، 196.

[5] _ النميري: **المصدر السابق**، ص:426.

[6] _البكري:**المصدر السابق**، ص:50، الادريسي: **المصدر السابق**، ص:171، الحميري: **المصدر السابق**، ص:103.

[7] _**المصدر السابق**، ص:168.

حصن خراب وبه المنزل، ومنه إلى المغارة إلى ساحل البحر إلى مسجد بهلول إلى المزارع إلى..."، والمرجح أنّ التسمية لم تطلق عبثا بل لربما يعود الأمر إلى انتشار المزارع بكثرة بهذا الموضع حيث بات يقترن إسمه بهذا النوع من المستغلات.

وبعكس البساتين؛ فإن المزارع لم تحض بعناية كبيرة من قبل السلط الحاكمة، التي اهتمت بشكل كبير بتنميق البساتين واتخاذ الحدائق والمنتزهات.

إنّ إحاطة أراضي الملك من قبل الفلاحين بالحائط، يتم من خلالها إنشاء البستان أو المزرعة، ومن خصوصية الإستغلالات بالواحات الصحراوية هو وجود مزرعة وسط البستان[1].

ويتم تملك المزارع بطريقة فردية أو جماعية[2]، وفي حال أبى بعضهم عن تعميرها فإنهم لا يؤاخذون على ذلك، لكن ما حرثوه من هذه المزارع فإنهم يتآخذون على حفظه وإصلاحه[3]، وتملك المزارع غالبا ما كان يتم عن طريق الوراثة، وعن جهل حدودها فإنهم يعمرون ما بيّن لهم مما عملوه بأنفسهم أو ما شهد عليه الأمناء أو ما قال لهم ورثتهم[4].

ب_الحقول: الحقل قراح طيب يزرع فيه، وهو موضع البكر الذي لم يزرع فيه قط، والحقل الزرع إذا استجمع خروج نباته، وقيل هو الزرع مادام أخضر، وقيل هو الزرع إذا تشعب ورقه من قبل أن تغلظ سوقه، والمحاقل جمع محقلة أي مزرعة، والحقل المزرعة التي يزرع فيها البر والحقل الروضة أي مصنع الزرع والحاقل الأكّار[5].

وعموما يطلق الحقل على الأرض الفضاء الطيبة يزرع فيها والزرع مادام أخضر، والمحصولات الحقلية هي غلات الأرض من قطن وقمح وشعير ونحوها[6]، ومن هذا المنطلق نجد أن مدلول الحقل يرادف المساحة المستغلة في الانتاج الزراعي على وجه التحديد.

والملفت للانتباه أن مدلول الحقل بأرياف المغرب الأوسط لم تشر إليه المصادر إلاّ في أواخر العصر الوسيط، فقد كان لآل مرزوق حقول زراعية بالعُبّاد وبعض الدور يترددون عليها[7]، وأهل المرتفعات بإقليم بني راشد كانوا يزرعون الحقول[8]، وسكان أرياف بجاية "يزرعون الحقول ويقومون بحرث أراضيهم"[9]،

---

[1]_الفرسطائي: **المصدر السابق**، 255/4.

[2]_فتوى بعض الفقهاء، المازوني: **المصدر السابق**، 4/2ظ.

[3]_الفرسطائي: **المصدر السابق**، ص ص: 271_272.

[4] _**نفسه**، ص ص: 257_258.

[5] _الجوهري: **المصدر السابق**، ص:269، ابن منظور: **المصدر السابق**، مج2، (الحاء_الدال)، مادة حقل، 946/11، **المعجم الوسيط**، ص:188.

[6] _ **المعجم الوسيط**، ص:188.

[7] _فيلالي: **المرجع السابق**، 155/1.

[8] _الوزان: **المصدر السابق**، 26/2، مارمول: **المصدر السابق**، 324/2.

[9] _الوزان: **المصدر السابق**، ص:359.

والملاحظ أنها كانت على درجة كبيرة من الاتساع مثل "الحقول الفيحاء" التي كانت تشرف عليها مدينة البطحاء[1]، ويشمل تعبير الحقل في الجغرافيا الزراعية على عدة معان منها:

ب_1_الحقول الطبيعية الدائمة: وهي حقول مستمرة دون حراثة أو بذار ضمن شروط تتناسب مع الحشائش والرعي وتكون مروية أحيانا[2]، وهذا النوع من الحقول قد أشار مارمول[3] إلى انتشارها في المناطق الواقعة بين تلمسان ووهران التي سيطرت عليها قبائل بني عامر من هلال.

ب_2_الحقول المؤقتة: هذا النوع يبذر في أراض محروثة وتكون دائمة نسبيا، وتتكون من خليط من أصناف الأعشاب[4]، ونلمح انتشار هذا النوع من الحقول بالمناطق الجبلية ببجاية والتي تمتلكها القبائل القاطنة هناك[5]، والملاحظ أن معظمها كان مخصصا للإستهلاك العائلي.

ونلمح انتشار الحقول الخصيبة حول البطحاء وعلى ضفاف وادي مينة[6]، كما تشهد بعض المناطق المناطق وجود تلازم ما بين انتشار البساتين والحقول مما يوحي بوجود ازدواجية في النشاطين الزراعي والبستني، فبقرب البطحاء نهر صغير قليل الأهمية كانت على ضفافه "**بساتين وحقول في غاية الخصب**"[7].

ومن مجالات الاستغلال الزراعي بأرياف المغرب الأوسط التي ورد ذكرها أيضا نجد: القاعة[8] والبحيرة هذه هذه الأخيرة التي اختلفت مساحتها ما بين الكبر والصغر[9]، ويتم تملك هذه المستغلات بطرق شتى كالشراء والوراثة[10]،...إلخ.

ج_المرج: المرج الفضاء، وقيل المرج أرض ذات كلأ ترعى فيها الدواب، وفي التهذيب: أرض واسعة فيها نبت كثير تمرج فيها الدواب[11]، ويعتبر المرج في الأصل الأراضي الزراعية شبه المشاعية المحيطة بالمستقرات السكنية[12] مثل قلعة بني حماد[13].

---

[1] _مارمول: **المصدر السابق**، 326/2.

[2] _بيار جورج: **المرجع السابق**، ص:312.

[3] _**المصدر السابق**، 103/1.

[4] _بيار جورج: **المرجع السابق**، ص:313.

[5] _الوزان: **المصدر السابق**، 38/2.

[6] _**نفسه**، ص:28، مارمول: **المصدر السابق**، 326/2.

[7] _الوزان: **المصدر السابق**،28/2، مارمول: **المصدر السابق**، 12/3.

[8] _فتوى محمد بن مرزوق (ق9هـ)، المازوني، **المصدر السابق**، ورقة 4ظ.

[9] _**نفسه**، ورقة 10ظ.

[10] _**نفسه**، ورقة 4ظ، 30و.

[11] _الجوهري: **المصدر السابق**، ص:1071، ابن منظور: المصدر السابق، مج6،(الميم_الياء)، **مادة مرج**، 4168/46، **المعجم الوسيط**، ص:861.

[12] _محمد حسن: **المدينة والبادية**، 85/1.

[13] _يحي بن خلدون: **المصدر السابق**، 125/1، ابن مريم: **المصدر السابق**، ص:27.

ونلمح بأرياف المغرب الأوسط أن امتلاك المروج من قبل السكان واشتراكهم فيها تكون له حرية عمارته واستغلال منافعه كلها[1].

د_الهنشير: هو عبارة عن أراضي شاسعة يتولى السلطان اقطاعها وتخصص لزراعة الحبوب وعادة ما يتموضع قرب المدن الكبرى والمندثرة، وكان يطلق على الأراضي الخصبة الواقعة مكان أطلال المدن[2]، والهنشير لا يزال موجودا إلى اليوم في قسم من منطقة قسنطينة، ورغم أنّ روبير برنشفيك[3]، ذكر بأنها كانت تعني في الماضي الأطلال القديمة وهو المعنى المتعارف عليه اليوم في منطقة قسنطينة الوسطى، إلاّ أنّ محمد حسن[4]، ذكر بأنها كانت تطلق على الأراضي الخصبة الواقعة مكان أطلال المدن دون أن تكون بالضرورة مدنا قديمة.

وإنه لمن الغريب جدا أنني لم أعثر على هذا النوع من المستغلات ضمن المصادر التي عدت إليها، سواءا كانت هذه المصادر جغرافية أو غيرها.

2_مجالات الاستغلال البستني بأرياف المغرب الأوسط:

- **ظاهرة البستنة بأرياف المغرب الأوسط (5_10هـ/11_16م):**

تشير البستنة أيضا إلى زراعة الجنائن والحدائق، لكن الملاحظ أن الأشكال الجغرافية للبستنة مختلفة جدا عن جنائن الفلاحين التقليدية التي شملت كل الحضارات الريفية[5]، وإلى جانب النشاط الزراعي فقد اهتم سكان المغرب الأوسط خلال هذه الفترة بالنشاط البستني سواء من خلال زراعة الخضر وغراسة الأشجار المثمرة أو العناية بالأزهار والرياحين ضمن الحدائق، وعموما يمكن حصر مجالات الاستغلال البستني فيمايلي:

أ_البساتين: البستان عند ابن منظور[6] هو الحديقة والجمع بساتين، والبستان لفظ معرّب وهو كلمة فارسية فارسية (بوستان)؛ بو:الرائحة، ستان:لاحقة تلحق بآخر الكلمة وهي المكان التي تنبعث منه الرائحة[7]، والبستان هو مايكون حائطا فيه نخيل متفرقة يمكن الزراعة وسط أشجاره، فإن كانت الأشجار ملتفة لا يمكن الزراعة وسطها، فهي حديقة[8]، أو كرما[9]، والبستاني هو عامل البستان[1].

---

[1] _الفرسطائي: **المصدر السابق**، 258/4.

[2] _محمد حسن: **المرجع السابق**، ص ص:84_85.

[3] _برنشفيك: **المرجع السابق**، 204/2.

[4] _**المرجع السابق**، ص:85.

[5] _بيار جورج: **المرجع السابق**، ص:120.

[6] _**المصدر السابق**، مج1، مادة بستان، 279/4.

[7] _نزيه حماد: **معجم المصطلحات المالية والاقتصادية في لغة الفقهاء**، ط1، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت، 1469هـ/2008م، ص:94.

[8] _**نفس المرجع والصفحة**، أنظر أيضا: قلعة جي، قنيبتي: **المرجع السابق**، ص:107، **المعجم الوسيط**، ص:55.

[9] _محمد عمارة: **المرجع السابق**، ص:90.

تكثر البساتين وتنتشر خلال هذه الفترة بمختلف ربوع المغرب الأوسط بمناطقه الشمالية، الوسطى والجنوبية (الصحراوية)، كما نلمح انتشار هذا النوع من الاستغلالات بالمدن والأرياف على حد سواء، وعموما يمكن حصر هذه البساتين ضمن الجداول التالية:

أ_1_البساتين التابعة للمدن اعتمادا على المصادر الجغرافية:

اسم المدينة	الموقع	الصفة	المصدر والصفحة
الجزائر	ساحلية	"تمتد على أسوارها بساتين فيحاء"	الوزان:م،س،37/2، مارمول:م،س،363/2
مرسى الدجاج	ساحلية	"ذات بساتين وجنات"	مجهول:م،س،ص:131
الغزة	ساحلية	"ذات بساتين"	البكري:م،س،ص:143
ترنانا	ساحلية	"بساتين كبيرة"	نفسه،ص:80
وهران	ساحلية	"بساتين كثيرة"، "كثيرة البساتين"	نفسه،ص:70_71، مجهول:م،س،ص:135، الحميري:م،س،ص:612، الحموي:م،س،385/5
مستغانم	ساحلية	"كثيرة البساتين"	البكري:م،س،ص:69، الادريسي:م،س،ص:172، الحميري:م،س،ص:558
الخضراء	قريبة من الساحل	"كثيرة البساتين لذلك سميت الخضراء"	البكري:م،س،ص:61، مجهول:م،س،ص:176، الحميري:م،س،ص:223، الحموي:م،س،376/2
مليانة	قريبة من الساحل	"لها أنهار سايحة وبساتين فيها جميع الفواكه وأرخصها أسعارا"	مجهول:م،س،ص:170
قسنطينة	داخلية	"لها بساتين كثيرة الفواكه، لكنها شديدة البرد والثلج كثيرة الرياح لعلوها"	نفسه،ص:166
تبسة	داخلية	"بها بساتين كثيرة"	نفسه،ص:163
تيفاش	داخلية	"لها بساتين"	الادريسي:م،س،ص:196،

[1] _**المعجم الوسيط**، ص:55.

			الحميري:م،س،ص:146
مازونة	داخلية قريبة من الساحل	"لها أنهار ومزارع وبساتين"	الادريسي:م،س،ص:172، الحميري:م،س،ص:521_522
تلمسان	داخلية	"كثيرة البساتين"	ابن سعيد: بسط الأرض، ص:74
المسيلة	داخلية	"كثيرة النخل والبساتين، تشقها جداول المياه العذبة"	مجهول:م،س،ص:176، الحميري:م،س،ص:558
تاهرت	داخلية	_"لها بساتين كثيرة فيها جميع الثمار" _"بها البساتين الكبيرة المونقة والفواكه الحسنة"	مجهول:م،س،ص:178، القلقشندي:م،س،111/5
طولقة	صحراوية	"كثيرة البساتين"	البكري:م،س،ص:72، الحميري:م،س،ص:401
طبنة	قريبة من الصحراء	_"لها بساتين يسيرة ملاصقة للربض" _كثيرة البساتين والزروع. _"لها بساتين كثيرة النخل والثمار" _"كثيرة المياه والبساتين والأهل والزروع"	البكري:م،س،ص:50 الإدريسي: م،س، ص:164، الحميري: م،س، ص:387. مجهول:م،س،ص:176 أبوالفدا:م،س،ص:139، القلقشندي:107/5
تهودة	صحراوية	"كثيرة البساتين والزرع والنخل وجميع الثمار"	مجهول:م،س،ص:179
واركلان	صحراوية	"كثيرة النخل والبساتين والزرع والضرع"	الحميري:م،س،ص:600

أ_2_البساتين الريفية:

المنطقة الريفية	الموقع	الصفة	المصدر والصفحة
أرياف بونة	ساحلية	"بغربي بونة بساتين كثيرة"	البكري:م،س،ص:54، الحميري:م،س،ص:115

أرياف بجاية	ساحلية	"فحص بجاية تشقه أنهار وعيون وفيه أكثر بساتينهم...وفي جبل ميسون الذي فيه بجاية...فيه مياه سايحة وعيون كثيرة وبساتين"	مجهول:م،س،ص:130، الحميري:م،س،ص:80_82
أرياف متيجة (قزرونة)	ساحلية	"حول قزرونة بساتين كثيرة"	البكري:م،س،ص:65، الحميري:م،س،ص:523، الحموي:م،س،53/5
أرياف مليانة	قريبة من الساحل	"تحيط بها بساتين شاسعة"	الوزان:م،س،135/2، مارمول:م،س،359/2_360
أرياف الخضراء	قريبة من الساحل	"حول الخضراء بساتين كثيرة"	البكري:م،س،ص:75، الحميري:م،س،ص:135
أرياف ندرومة	قريبة من الساحل	_"حول ندرومة بساتين وجنات وعمارة وسقي كثير" _"بادية ندرومة كثيرة البساتين"	الادريسي:م،س،ص:254 الوزان:م،س،41/2،مارمول: م،س، 373/2
أرياف المدية	قريبة من الساحل	"كثيرة البساتين والحدائق"	الوزان:م،س، 41/2، مارمول: م،س، 373/2.
أرياف ميلة	داخلية	"كثيرة البساتين"	الادريسي:م،س،ص:165، الحميري:م،س،ص:569، الوزان:م،س،60/2، مارمول:13/3
أرياف المسيلة	داخلية قريبة من الصحراء	"حولها بساتين كثيرة"	البكري:م،س،ص:59، الحميري:م،س،ص:558
أرياف آسلن	داخلية	"بها بساتين"	البكري:م،س،ص:78
أرياف تاهرت	داخلية	"بها بساتين وأشجار تحمل ضروبا من الفواكه الحسنة"	الادريسي:م،س،ص:157، الحميري:م،س،ص:126، مجهول:م،س،ص:178،

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

			الحموي:9/2.
أرياف تلمسان	داخلية	"ذات بساتين"	الادريسي:م،س،ص:150، أبوالفدا:م،س،ص:123، ابن سعيد: كتاب الجغرافيا، ص:140
جبل أغبال	داخلي (قرب تلمسان)	"يحتوي على محلات معمورة أكبرها أستان قرب وهران، التي تحتوي على بساتين كثيرة"	الوزان:م،س،44/2، مارمول:م،س،353_352/2
أرياف باغاي	قرب الصحراء	"بها بساتين"	البكري:م،س،ص:144
أرياف فكان	داخلية	"بغربها البساتين الكثيرة"	البكري:م،س،ص:79، الحميري:م،س،ص:440
أرياف تهودة	صحراوية	"حولها بساتين كثيرة"	البكري:م،س،ص:73، الحميري:م،س،ص:142
أرياف طولقة	صحراوية	"بها الشجر وجميع الثمار بالإضافة إلى الزيتون وأعناب والنخل"	البكري:م،س،ص:72، الحميري:م،س،ص:400_401
أرياف طبنة	قرب الصحراء	"حولها بساتين كثيرة الثمار والنخل"	البكري:م،س،ص:50، الحميري:م،س،ص:387
أرياف بسكرة	صحراوية	"حول بسكرة بساتين كثيرة"	البكري:م،س،ص:71_72، مجهول:م،س،ص:177، الحميري:م،س،ص:113، القلقشندي:م،س،107/5، الوزان:م،س،130/2، مارمول:م،س،168/3
أرياف واركلان	صحراوية	"بلد خصيب كثير البساتين"	مجهول:م،س،ص:224، الحميري:م،س،ص:600

التحليل:

_نلاحظ من خلال الجداول كثرة انتشار البساتين في معظم مناطق المغرب الأوسط سواء في المدن أو في الأرياف على حد سواء، وكثرة الانتشار هذه دليل واضح على ازدهار النشاط البستني الذي لفت نظر معظم المصادر الجغرافية.

_ومن إشارات المصادر الجغرافية يتضح أن البساتين لم تكن ذات صفة محددة إلاّ في القليل النادر، فباستثناء الإشارة إلى الكثرة، تبخل علينا المصادر بحجمها ما عدا ما ذكره القلقشندي بشأن "**بساتين تاهرت المونقة**"، والتي توحي بعناية السكان الريفيين ببساتينهم إلى جانب خبرتهم في هذا الميدان.

_وفيما يتعلق بالبساتين الريفية فالملاحظ عليها أنها كانت كثيرة أيضا وإن كانت الأرياف الساحلية والقريبة من الساحل هي التي استأثرت بالقسم الأكبر منها لوفرة المياه (أودية وأنهار على الخصوص) بالإضافة إلى المناطق الصحراوية الخصبة (الواحات).

ونلمح من خلال مصادر الفترة الإشارة إلى امتداد البساتين الريفية على طول معظم الأنهار المتواجدة بالمغرب الأوسط، إذ يعود ازدهار هذه البساتين أساسا إلى وفرة المياه، ذلك أن أغلب البساتين تقع على الأنهار التي يستغلها السكان في السقي، فنهر بجاية الذي يبعد بميلين عنها كانت على شاطئيه الكثير من الجنات[1]، وتحفّ به البساتين والمنتزهات[2]، ولوهران وادي يجري إليها من البر "**عليه بساتين وجنات وبها فواكه ممكنة وأهلها في خصب**"[3].

وعلى نهر سي سي بن دمر القريب من مدينة يعلى بن باديس "**البساتين الكثيرة**"[4]، وبقبلي مدينة فكان نهر سيرات الذي تنتشر البساتين على كلتا ضفتيه[5]، وبخارج تلمسان "**أنهار وأشجار ويستدير النهر بقبليها وشرقيها...**"[6].

وأحيانا نجد اقتران البساتين ببعض الصفات لقربها من الأنهار، فعلى طول نهر قسنطينة كانت تمتد بساتين في غاية الجمال[7]، ويجري قرب البطحاء نهر صغير (وادي مينى) قليل الأهمية كانت على ضفافه "بساتين وحقول في غاية الخصب"[8]، والملاحظ أن أغلب الأنهار المستغلة في هذا المجال هو نهر شلف بدليل أن أغلب الحصون والمدن وحتى القرى الواقعة على ضفافه كانت "**كثيرة البساتين**" مثل حصن كزناية[9]، ومدينة هنين التي كان يمر قربها هذا النهر[1]، ومدينة الخضراء التي سميت بهذا الإسم لكثرة بساتينها الواقعة على هذا النهر كما أشرت آنفا.

---

[1] _مجهول(ق6هـ): **المصدر السابق**، ص:130.

[2] _ابن سعيد: **الجغرافيا**، ص:142، أبوالفدا: **المصدر السابق**، ص:137، القلقشندي: **المصدر السابق**، 109/5.

[3] _العمري:**المصدر السابق**،91/4.

[4] _البكري: **المصدر السابق**، ص:71.

[5] _نفسه، ص:79، الحميري: **المصدر السابق**، ص:440.

[6] _أبوالفدا: **المصدر السابق**، ص:137، القلقشندي: **المصدر السابق**،150/5.

[7] _الوزان:**المصدر السابق**، 58/2، مارمول: **المصدر السابق**، 12/3.

[8] _الوزان: **المصدر السابق**، ص:28، مارمول: **المصدر السابق**، 326/2.

[9] _الادريسي: **المصدر السابق**، ص:154.

ولكثرة الخصب وتنوع الغلال؛ هناك بساتين بالمغرب الأوسط تنتج غلالا وفيرة دون عناية السكان بها، فعلى ضفة النهر لمدينة هنين ما لايحصى من الثمار لكن لا يوجد من يقطفها في البساتين الواقعة على ضفة النهر القريب من المدينة حيث أقيمت الطاحونات[2]، والملاحظ أنّ هذه الأخيرة كانت تعيق العمل البستني لأنها واقعة في الطريق، وبخارج مستغانم عدة بساتين جميلة لكن معظمها مهجور[3]، والملاحظ أن صفة البساتين الجميلة، وكثرة الثمار دليل على الازدهار البستني.

ونستشعر كثرة البساتين وانتشار مختلف أنواع الأزهار من خلال مناطق تواجد النحل وإنتاج العسل، فازدهار هذا المنتوج الغذائي يوحي بوفرة البساتين والحقول وكثرة الأشجار المثمرة بالمغرب الأوسط مثل: بونة[4]، القل التي يجنى من جبالها الكثير من الشمع[5]، وجيجل[6] وكذلك جزائر بني مزغناي وشرشال[7]، ومدينة كوكو التي تجبى منها أجباح النحل التي تعطي العسل "لكثرة الأجنة بها"[8]، بالإضافة إلى وهران[9] وتنس[10].

ومن المناطق التي اشتهرت بكثرة العسل أيضا نجد أرياف تبحريت[11]، ومازونة[12]، وبادية ندرومة[13]، بل حتى المناطق الجبلية الخصيبة والمتوفرة على البساتين الفيحاء احتوت على النحل مثل جبل زانمة(أبي سعيد) قرب تنس الذي يجبى منه شمع كثير[14].

ولم يقتصر الأمر على المناطق الساحلية الخصيبة أين تكثر الخضرة والبساتين، بل كانت هناك مناطق داخلية مشتهرة بتربية النحل وبالتالي وفرة البساتين بها مثل: تاهرت[15] وقسنطينة[16]، وخلال العهد المرابطي

---

[1] _الوزان: **المصدر السابق**،16/2.

[2] _**نفس المصدر والصفحة**.

[3] _**نفسه**، ص:32.

[4] _البكري: **المصدر السابق**، ص:55، الادريسي: **المصدر السابق**، ص:192، مجهول(ق6هـ): **المصدر السابق**، ص:172، الحميري: **المصدر السابق**، ص:115.

[5] _الوزان: **المصدر السابق**، 54/2، مارمول: **المصدر السابق**،6/3.

[6] _الإدريسي:**المصدر السابق**، ص:169، الحميري: **المصدر السابق**، ص:184.

[7] _ابن حوقل: **المصدر السابق**، ص ص:77_78، الإدريسي: **المصدر السابق**، ص:159، الحميري: **المصدر السابق**، ص، ص:163، 340.

[8] _مارمول: **المصدر السابق**، 374/2.

[9] _الإدريسي: **المصدر السابق**، ص:153، الحميري: **المصدر السابق**، ص:613.

[10] _الوزان: **المصدر السابق**، 36/2، مارمول: **المصدر السابق**، 354/2.

[11] _**نفسه**، ص ص:14_15.

[12] _الإدريسي: **المصدر السابق**، ص:172، الحميري: **المصدر السابق**، ص:522.

[13] _الوزان: **المصدر السابق**، ص:14.

[14] _**نفسه**، ص: 45، مارمول: **المصدر السابق**، 6/3.

[15] _ابن حوقل: **المصدر السابق**، ص:78، الإدريسي: **المصدر السابق**، ص:157، الحميري: **المصدر السابق**، ص:126.

[16] _الحميري: **المصدر السابق**، ص :380.

والموحدي انتشرت تربية النحل بساحل تلمسان[1]، ويعزى هذا الأمر لوفرة هذه الأخيرة على مختلف أنواع الأزهار والبساتين، وما يدل على كثرة النحل أيضا هو دخول العسل في الغذاء اليومي لسكان الريف[2].

وهناك العديد من مراكز العمران الريفي التي انفردت باحتوائها على البساتين كالقلاع مثل قلعة تاسقدالت[3]، وقلعة هوارة الواقعة "**في جبل خصيب فيه بساتين وثمار وأشجار ومزارع وأعناب**"[4]، وكذلك الحصون مثل حصن هنين الذي تحول إلى مدينة في عهد الوزان[5]، حصن تاونت وتاكلات، وحصن سطيف، التي أشرت إليها عند حديثي عن الحصون سابقا.

وبونة التي باتت حصن في عهد الوزان[6]، إلاّ أنها حافظت على ثرائها بمختلف الغلال والزروع إلى جانب وفرة البساتين والأشجار[7]، حيث يصف حصن عنابة "**بجنوبه بساتين وأجنة ومنتزهات بها الكثير اللذيذ من الثمار**"[8]، والحصن الواقع قرب وهران الذي فرّ إليه تاشفين عام 539هـ/1144م، الذي كان "**فيه بستان كبير من كل الفواكه**"[9]، وببلاد الزاب الخصيبة وبالضبط بحصن الجديد احتوت بساتينها ورياضها بأنواع الأشجار المثمرة[10].

ويتم تملك البستان بطريقة فردية أو جماعية[11]، من قبل عامة الناس أو شيوخ العلم والصلحاء، فهذا الشيخ سليمان بن علي* كان ذا مال من عقار وناض فلم يزل مبسوط اليد فيه حتى أنفذه ولم يبق لنفسه غير دويرة وبساتين[12]، ويتم التملك بطرق مختلفة كالهبة والبيع والشراء[13]، والتصدق على الأولاد[14].

والواقع أنني قلما أجد وصفا شاملا للبساتين بالريف وهو أمر طبيعي لبساطة عيش سكانه، عكس البساتين الملكية (السلطانية) التي خصّها المؤرخون بالوصف مثل بستان مراكش الذي أنشأه عبد المؤمن

---

[1] _عز الدين أحمد موسى: **المرجع السابق**، ص:202.

[2] _التادلي: **التشوف**، ص:331.

[3] _الحميري: **المصدر السابق**، ص:470.

[4] _مجهول(ق6هـ): **المصدر السابق**، ص:178.

[5] _**المصدر السابق**، ص:32.

[6] _**نفسه**، ص:61.

[7] _ابن حوقل: **المصدر السابق**، ص ص:77_78، البكري: **المصدر السابق**، ص:55، الإدريسي: **المصدر السابق**، ص:192، الزهري: **المصدر المصدر السابق**، ص:107، الحميري: **المصدر السابق**، ص:115، القلقشندي: **المصدر السابق**، 106/5.

[8] _الوزان: **المصدر السابق**، 61/2، مارمول: **المصدر السابق**، 8/3.

[9] _النويري: **المصدر السابق**، 161/24.

[10] _ النميري: **المصدر السابق**، ص:427.

[11] _الفرسطائي: **المصدر السابق**،147/3، 149، 266/4.

(*) من أهل الطبقة 12 (550_600هـ) كان فردا متقنا لمسائل الفروع في المذهب ومن أهم شعراء عصره، وله قصيدة وعظية بلسان البربر ومن أهم أموره المحافظة على المذهب وله كرمات، أنظر: الدرجيني: **المصدر السابق**، 519/2_520.

[12] _ **نفس المصدر** والصفحة.

[13] _الفرسطائي: **المصدر السابق**، 255/4.

[14] _فتوى أبا الفضل العقباني (ق9هـ)، المازوني، **المصدر السابق**، 65/2ظ.

بن علي[1]، وبساتين أبا زكريا الحفصي(625_647هـ/1227_1249م)[2]، لكن هناك مواصفات لبعض البساتين الملكية بالمغرب الأوسط التي وُصِفت بدقة؛ مثل نهر بجاية الذي يبعد بميلين عنها "**وبضفتيه بستانان للسلطان متقبلان شرقا وغربا، الشرقي يسمى الرفيع والغربي البديع هما مكان فرجته ومحل نزهته**"[3]، وبهذا فالريف لم يكن مصدرا للانتاج وإقامة للفلاحين البسطاء فحسب، بل هو أيضا متنفس للملوك ومحل انشراح للسلاطين والحكام أيضا.

وتلمسان "**بها للملك قصور زاهرات اشتملت على المصانع الفائقة والصروح الشاهقة والبساتين الرائقة، مما زخرفت عروشه ونمقت غروسه ونوسبت أطواله وعروضه، فأزرى بالخورق وأخجل الرصافة وعيث بالسدير**"[4].

ووتكثر نماذج احتواء البستان على حديقة بالواحات الصحراوية مثل البستان الأعظم الذي شيّده ابن مزني[5]، وبساتين حصن فرفر الواقع بأرياف طولقة التي تحتوي على حدائق ورياض والبساتين الغنّاء[6]، والواضح أنّ بساتين بلاد الزاب كانت على غاية من الاتساع والكبر بدليل أنّ عمليات التهديم التي قامت بها جيوش أبا عنان لحصن فرفر وبساتينها قد استغرقت ستة أيام متتالية، حيث "**قطعت ألوف النخيل وصودم وصلها مصادمة جبل النخيل، وألحقت بها أصناف الشجر مفضوضة بها أفواه الثمر تراكم البعض على البعض، حتى انقطعت الطرق والمسالك وعميت السبل وخفيت المبارك**"[7].

لم يكن تشييد البساتين حكرا على الملوك والسلاطين بل هناك من الولاة من اهتم أيضا بتشييدها، فهذا الشيخ أبا يعقوب يوسف بن منصور ابن الفضل ابن مزني قد شيّد البستان الأعظم واحتفل بغرسه "**ووصل يومه في تفقدّه بأمسه وجعله محلّته أنيسه ومنية نفسه وفسّح له في العمر حتى أثمرت أشجاره وقرّت عيونا بنباتها...فلم ينشب الشيخ ألو يعقوب أن رغّب مولانا الخليفة أيّده الله ذلك الملك...وجال أيّده الله في أكناف ممتدة الظلال طيبة الفرع والآصال وحدائق مائلة الأغصان قد اختلطت بها ثمرات النخل والتين والرمان، وغير ذلك من الثمرات المتفننة في الأفنان ...**"[8].

---

[1] _لقد وصف ابن الخطيب هذا البستان بقوله: **<<غرسه يبلغ مبيع زيتونه وفواكه 30 ألف دينار ومية على رخص الفواكه بها...>>**، أنظر: مجهول(ق12هـ/18م): **الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية**، حققه سهيل زكار، عبد القادر زمامة، ط1، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، 1399هـ/1979م، ص ص:145_146، أنظر أيضا: عبد الله علي علام: **الدولة الموحدية بالمغرب في عهد عبد المؤمن بن علي**، دار المعارف، مصر، (د_ت)، ص:385، أحمد قدور: **المرجع السابق**، 114/1.

[2] _ابن خلدون: **العبر**، 404/6_405.

[3] _العمري: **المصدر السابق**، 91/4، القلقشندي: **المصدر السابق**، 109/5.

[4] _يحي بن خلدون: **المصدر السابق**، 85/1.

[5] _ النميري: **المصدر السابق**، ص ص: 439_440.

[6] _ **نفسه**، ص ص: 448_449.

[7] _ **نفسه**، ص ص: 448_449.

[8] _**نفسه**، ص ص: 439_440.

والملاحظ على بساتين المناطق الجنوبية (بلاد الزاب)كانت أيضا تستخدم كمجال للاستغلال الزراعي مثل بساتين حصن فرفر، رغم أنّ المصادر لم تحدد نوع المحاصيل بالضبط، إلى جانب عدم تحديدها لأصناف الغروسات بهذا الحصن[1].

والحديث عن مناطق الإنتاج البستني (ثمار، فواكه، غلات)؛ دون اقترانها بالبساتين يوحي أيضا بوجود نشاط بستني ضمن هذا النوع من المستغلات، والواضح أنها كانت تفوق بكثير المناطق التي حصرتها ضمن العرض السابق، وأفصّل الحديث بشأنها ضمن الفصل الأخير من هذه الأطروحة.

ب_الرستاق: معناه يدل على التسطير والنظام وأهل بلاد الفرس يعنون بالرستاق كل موضع فيه مزارع وقرى ولا يقال "**ذلك للمدن كالبصرة وبغداد، فهو عند الفرس بمنزلة السواد عند أهل بغداد وهو اخص من الكورة والأستان**"[2].

ينفرد النميري بالإشارة إلى الرستاق كمدلول مرادف للبستان ببلاد الزاب حيث أشار إلى انتشار هذا المجال بقرية فرفر[3]، وبخارج نقاوس "**جنات دللت قطوفها وبساتين اختلفت قلوب ثمراتها كما اختلف صفوفها ورساتين**"[4]، ويصف لنا دخول أبا عنان لمدينة نقاوس، **بأنه "جال في رياضها وبساتينها المعتملة في أحلالها وأحماضها ورساتيقها التي أفنى جواهر الكلم وصف أغراضها**"[5].

جـ_الجنات: الجنان لغة من الفعل جنى، جنيت الثمرة أجنيتها جنيا وجتنيتها، والجني ما يجنى من الشجر وغيره، وأجنى الشجر أي أدرك ثمره[6]، والجنة هي البستان ومنه الجنان والعرب تسمي النخيل جنة[7]، والجنة الحديقة ذات الشجر والنخل وجمعها جنان[8]، وقيل: لاتكون الجنة في كلام العرب إلاّ فيها نخل وعنب، فإن لم يكن فيها ذلك وكانت ذات شجر فهي حديقة وليست جنة، والجنة من الاجتنان وهو الستر لتكاثف أشجارها وتضليلها بالتفاف أغصانها[9].

انتشرت الجنّات خلال هذه الفترة بالمدن والأرياف على حد سواء، لكن الملاحظ أن تلك المتواجدة بالمدن قليلة جدا مقارنة بالبساتين ومن تلك المدن نجد: مستغانم[10]، تلمسان[11]، وبسكرة التي كانت تحتوي

---

[1] _**نفسه**، ص: 449.

[2] _الحموي: **المصدر السابق**، 38/1.

[3] _**المصدر السابق**، الصفحة نفسها.

[4] _**نفسه**، ص:461.

[5] _**نفسه**، ص:470.

[6] _الجوهري: **المصدر السابق**، ص:206.

[7] _**نفسه**، ص:205، ابن منظور: **المصدر السابق**، مج1، مادة جنة، 705/8، **المعجم الوسيط**، ص:141.

[8] _**المعجم الوسيط**، نفس المرجع والصفحة.

[9] _ابن منظور: **المصدر السابق**، ص ص:705_706.

[10] _الادريسي: **المصدر السابق**، ص:172، الحميري: **المصدر السابق**، ص:558.

[11] _أبوالفدا: **المصدر السابق**، ص:123.

على "**جنان بداخلها يدخل إليه الماء من النهر**"[1]، فهل قلة الحديث عن هذا المجال بالمدن يعود إلى تداخل معناها مع البساتين لذلك عزفت المصادر عن الإشارة إليها؟

وفي المقابل زخرت العديد من المناطق الريفية بالكثير من الجنات، فعلى طول نهر بجاية الكثير منها[2]، وجنات الصفصيف قرب تلمسان[3]، بالإضافة إلى أرياف كلٍّ من: وهران[4]، مليانة[5]، ندرومة[6]، وأرياف تلمسان التي بها "**الجنات والعروش**"[7]، والواضح أن أرياف نقاوس كانت وفيرة المحاصيل البستنية، وهذا الرخاء وصفه النميري[8] بقوله "سواد جناتها"، وهو دليل على الكثرة، كما احتوت المناطق الجنوبية أيضا على هذا النوع من الجنات مثل أرياف واركلان[9].

والملاحظ أنّ الجنات كانت تقام أصلا على الأنهار وبالمناطق التي تحتوي على مياه وفيرة، فقرية العلويين الكبيرة الواقعة على ضفة نهر كانت بها جنات[10]، وهناك من الإشارات التي تشهد تلازما بين تواجد **الجنات والبساتين** والمرجح أنها تفيد نفس المعنى مثل قرية أزكو التي بها "**جنات وعيون ومياه وبساتين**"[11]، ومن سكان المدن من كان يملك جنّات خاصة به في المناطق الريفية؛ فلأهل المسيلة جنات وعيون وفواكه وبقول و....وهي على نهر فيه ماء كثير منبسط[12].

والمرجح أن جنان الحاج الذي أشار إليه البكري[13]، بأنه "**كان له حظ من سقي نهر سطفسيف بعدما يصب في بركة عظيمة**"، أن تسميتة تعود لصاحب الجنان، إذ الملاحظ بأنّ تملك الجنات وتوريثها[14]، كانت من الأمور المعتادة في حياة سكان المغرب الأوسط خلال هذه الفترة، ونلمح انتشار الأجنة بالواحات على غرار المناطق الشمالية[15]، فتكثر بتوات الجنات من النخيل والأعناب وسائر الفواكه[16].

---

[1] _البكري: **المصدر السابق**، ص:52، الحميري: **المصدر السابق**، ص ص:113_114.

[2] _مجهول(ق6ه): **المصدر السابق**، ص:130، الحميري: **المصدر السابق**، ص:81.

[3] _ النميري: **المصدر السابق**، ص: 487.

[4] _الادريسي: **المصدر السابق**، ص:153.

[5] _**نفسه**، ص:154، الحميري: **المصدر السابق**، ص:547.

[6] _الإدريسي: **المصدر السابق**، ص:254.

[7] القلقشندي: **المصدر السابق**، 89/5.

[8] _ **المصدر السابق**، ص:454.

[9] _الحميري: **المصدر السابق**، ص:600.

[10] _الإدريسي: **المصدر السابق**، ص:151.

[11] _**نفسه**، ص:196، الحميري: **المصدر السابق**، ص:29، الحموي: **المصدر السابق**، 153/1.

[12] _الإدريسي: **المصدر السابق**، ص ص:155_156، الحميري: **المصدر السابق**، ص:558.

[13] _**المصدر السابق**، ص:76، أنظر أيضا الحميري: **المصدر السابق**، ص:135.

[14] _ابن قنفد: **أنس الفقير**، ص:48.

[15] _الفرسطائي: **المصدر السابق**، 85/3_86.

[16] _ابن خلدون: **العبر**، 76/7.

ويتم تملك الأجنة بطرق عدة[1] كالبيع[2] والشراء[3]، والهبة[4] وهناك من يتملك الجنة بالإرث من أمه أمه وبالشراء من أبيه[5]، أو حتى وراثتها وهبتها لأحد الأبناء[6]، بل هناك من الموسرين من يتملك أكثر من من جنان بأرياف المغرب الأوسط[7]، إلى جانب تملكها بطريقة جماعية فلأهل أجلو بأريغ جنات كثيرة[8].

والملفت للإنتباه أنّ عمليات شراء الأجنة بالواحات الجنوبية تتم حتى مع أهل الذمة من اليهود[9]، وأحيانا تحدث مشاكل أثناء شراء الأجنة من قبل الفلاحين كأن يأتي السيل فيجتاح الجنان، أو يتم بيع الجنان في الشتاء حيث لا ورق في أشجاره، وعندما تورق تلك الأشجار، يجد فيه أنواعا مختلفة وقد شدّد الفقهاء على تحري البيّنة وردّ الجنان لصاحبه في حال الغش والغرر[10]، وتحدث النزاعات أيضا في حال بيع أحد الشريكين نصيبه من الجنة دون علم الآخر[11].

وعادة ما تقع بجانب منازل الفلاحين، وهناك من له جنان في غير موضع سكناه وفي مثل هذه الحالات كانت تشكل عبئا ثقيلا على صاحبها لصعوبة استغلالها[12]، وأحيانا تخصص الأجنة لانتاج فواكه معينة مثل العنب[13]، التين والكروم[14]،...إلخ.

لم تكن المرأة الأندلسية تحظى بالهبات وتملك العقارات بالقرى الريفية فحسب[15]؛ فيتضح من إحدى النوازل أن المرأة كانت تتمتع بمكانة مرموقة في مجتمع المغرب الأوسط بدليل أنها تتمتع بكامل حقوقها

---

[1] _الفرسطائي: **المصدر السابق**، 137/3، 140، 151، فتوى محمد بن مرزوق (ق9هـ)، المازوني، **المصدر السابق**، ورقة 1ظ.

[2] _فتوى بعض الفقهاء، البرزلي: **المصدر السابق**، 76/2، فتوى ابن رشد(ق6هـ)، البرزلي، **المصدر نفسه**، 39/3، فتوى الشعبي، **المصدر نفسه**، 270/4، فتوى بعض الفقهاء، المازوني، **المصدر السابق**، ورقة 4ظ، فتوى قاسم العقباني(ق9هـ)، الونشريسي، المصدر السابق، 97/5، 99، الفرسطائي: **المصدر السابق**، 157/3، 159.

[3] _فتوى المازري(ق6هـ)، البرزلي، **المصدر السابق**، 85/3_86، الفرسطائي: **المصدر السابق**، 253/4_255.

[4] _كان زكرياء يحي بن أبي نوح يوسف من اهل الطبقة 12(550_600هـ) من أهل العلم والدين وكان شديد الغضب في الله متى رأيا منكرا، ولما انتقل الشيخ أبو زكريا وبعض آله من تين يسلي إلى وغلانة فأنزلهم أهل وغلانة وأكرمهم اكراما بليغا ووهبوا لهم "أنواع المواهب حتى ملوكهم أنواع الأملاك العظيمة من مركوب ومسكن وجنات وعيون وأكثر ذلك لأبي زكريا وكان فيها بحلقته على أبر الأحوال.

[5] _فتوى بعض الفقهاء، البرزلي، **المصدر السابق**، 444/4، الونشريسي، **المصدر السابق**، 412/8_413.

[6] _فتوى أبو علي ابن خلدون، البرزلي، **المصدر السابق**، 494/5، الونشريسي، **المصدر السابق**، 150/9، الفرسطائي: **المصدر السابق**، 157/3، 157/3، 159.

[7] _**نفسه**، ص ص:155_156.

[8] _الدرجيني: **المصدر السابق**، 439/2_440.

[9] _الوسياني: **المصدر السابق**، 454/1.

[10] _فتوى الصايغ (ق5هـ)، الونشريسي، **المصدر السابق**، 204/5_205.

[11] _فتوى محمد العقباني (ق9هـ)، المازوني، **المصدر السابق**، 28/2و.

[12] _فتوى إبراهيم العقباني(ق9هـ)، الونشريسي، **المصدر السابق**، 104/5.

[13] _ فتوى أبو الربيع سليمان بن الربيع بن إبراهيم الونشريسي، الونشريسي، **المصدر نفسه**، ص:131.

[14] _فتوى عبد الله العبدوسي(ق8هـ)، الونشريسي، **المصدر نفسه**، ص:296.

[15] _ابن سهل: **الأحكام الكبرى**، ص ص:211_212.

من خلال توريثها وتصرفها في عمليات بيع الأجنة[1] وشرائها[2] بكل حرية، كما تقوم بمشاركة رجل أجنبي أجنبي في تملك الجنان على حصص معلومة واستغلالها في النشاط البستني(زراعة الأشجار المثمرة)[3].

وما يميز أجنة أغلب الواحات الصحراوية أنّها كانت مزودة بطرق ومساقي ومماصل لتسهيل العناية بالأشجار المثمرة وسائر الغراسات[4]، وأغلب المصادر أوردت ذكر الجنان دون اقترانه بالحديقة، لكن هناك هناك مستغلات تحتوي على جنان في وسطه حديقة[5]، ورغم أنها لم توضح نوع الإنتاج بهذه الجنات؛ إلاّ أنّ الجنان عموما مصطلح يدل على بستان بأشجار الفواكه، فمن التعابير الشعبية للدلالة على يسار الشخص قولهم "**فلان يملك الجنان والفدّان**" على حد تعبير مزيان[6].

وكانت الجنات أيضا مركزا للفرجة والتنزه والترفيه عن النفس[7]، ليس لعامة الناس فحسب بل حتى للملوك والسلاطين أيضا، فقد كان "**بحصن تاكلات جنات ليحي بن العزيز**"[8].

د_الغابة: لما كان الإنسان المستقر ببلاد المغرب متعلقا بأشجاره، فقد كان يطلق على جميع فصائلها الطبيعية أو المغروسة من أي نوع كان، إسم "الغابة"[9]، والغابة تستخدم أيضا للاستغلال الزراعي[10]، لكن الغالب أنها تستعمل من قبل سكان المغرب خلال هذه الفترة للدلالة على المجال المخصص للاستغلال البستني خاصة بالمناطق الجنوبية[11]، فنجد أن الغابة تشمل المجالات القريبة من المدن إلى جانب المناطق الريفية؛ سهلية كانت أو جبلية.

والواقع أنه لا توجد لديّ إحصاءات دقيقة حول المساحة التي تشغلها مناطق الأشجار المثمرة بأرياف المغرب الأوسط خلال هذه الفترة، لكن الملاحظ أن بعض المناطق كانت تشغل مساحات شاسعة ولكثرة الأشجار بها كانت توصف "بالغابة"، فعلى جانبي النهر الذي يبعد بخمسة فراسخ عن القل تنتشر غابات شاسعة من الأشجار المثمرة وأشجار التوت[12].

---

[1] _فتوى أبو القاسم أحمد الغبريني(ق9هـ)، البرزلي، **المصدر السابق**، 260/4، وحول توريث النساء للأجنة أيضا، أنظر فتوى نفس الفقيه ضمن **نفس المصدر**، 100/5، فتوى أبا الفضل العقباني (ق9هـ)، المازوني، **المصدر السابق**، 513/1و.

[2] _فتوى قاسم العقباني(ق9هـ)، الونشريسي، **المصدر السابق**، 98/5.

[3] _ فتوى عبد الله العبدوسي(ق8هـ)، الونشريسي، **المصدر نفسه**، ص: 296.

[4] _الفرسطائي: **المصدر السابق**، 159/3.

[5] _**نفسه**، 254/4.

[6] _**المرجع السابق**، ص:305.

[7] _قال أبو العباس بن الخطيب: حضرنا مع الشيخ أبو الفضل قاسم بن محمد الفرنسي القرطيني (ت662هـ/1264م)، بوادي بجاية في بعض الجنات فتكلم كثيرا إلى أن أخذ في شرح أقاويل الشيوخ...أنظر: الغبريني: **المصدر السابق**، ص:174_175.

[8] _الإدريسي: **المصدر السابق**، ص:163، الحميري: **المصدر السابق**، ص:169.

[9] _برنشفيك: **المرجع السابق**، 216/2.

[10] _ النميري: **المصدر السابق**، ص: 452.

[11] _الوسياني: **المصدر السابق**، 375/1.

[12] _مارمول: **المصدر السابق**،362/2.

ورغم أن تربة تبسة غير خصبة إلاّ أنّ باديتها كانت منتجة بحيث أن الآتي إليها عندما يصل إلى مساحة أربعة أميال أو ثلاث يخالها واقعة في غابة لكن الأشجار ليست سوى أشجار جوز كبيرة[1] وهذا دليل على على الإمتداد الكبير لهذه الغابة، ولطبنة نهر يشق غابتها[2].

وتكسو المناطق الجبلية أيضا غابات كبيرة من الأشجار المثمرة مثل جبل بنو زناتة*، وجبل بني يزناسن**، اللذين بهما غابات كثيرة تنتج كمية وافرة من الخرّوب[3]، وجبل بني ورنيد به غابات من الأجنّة الأجنّة ذات الأشجار التي تعطي ثمارا كثمار أوروبا[4].

احتوت الواحات الجنوبية أيضا على غابات من الأشجار المثمرة "النخيل" أساسا مثل مدينة بسكرة التي كانت في "**غابة كبيرة بمقدار ستة أميال فيها أجناس التمور منها جنس يعرفونه بالكسبا وهو الصيحاني وجنس يعرف باللياري أبيض أملس وهناك أجناس كثيرة يطول ذكرها لا يعدل بها غيرها**"[5].

وعموما نجد أنّ الغابة كانت تحتوي على الغراسات البعلية والسقوية في مناطق وفرة المياه إلى جانب استغلالها في الأشجار التي تتلاءم مع المناطق الجافة والقليلة الخصوبة (الجبلية خصوصا) من صنف الجوز، الخروب،...الخ.

هـ_العرصة: العرصة هي كل بقعة بين الدور واسعة ليس فيها بناء والجمع العراص والعرصات[6]، وأشارت وأشارت المصادر إلى ذكرها بالمناطق الغربية لبلاد المغرب الأوسط وبالضبط تلمسان أواخر العصر الوسيط، والواضح أن تملك العرصات لم يكن متاحا لجميع الأشخاص بل يتم فقط من قبل مسيوري الحال[7] أمثال الشيوخ ورجال العلم[8]، ويتم تملكها بالبيع والشراء والوراثة[9]، وكان الفقراء غير قادرين على شرائها[10].

---

[1] _الوزان: **المصدر السابق**، 63/2_64، مارمول: **المصدر السابق**،15/3.

[2] _الحميري: **المصدر السابق**، ص:387.

(*) يبعد هذا الجبل ب18 فرسخا عن تلمسان وهو جبل عظيم جميل، وأغلب سكانه من بربر زناتة. أنظر: مارمول: **المصدر السابق**، 351/2.

(**) يبعد هذا الجبل ب 50 ميلا غربي تلمسان، وهو جبل شديد الوعورة صعب المسالك، ويضم الجبل مداشر عديدة يسكنها قوم ذووا بأس شديد. أنظر: الوزان: **المصدر السابق**، 43/2.

[3] _**نفس المصدر** والصفحة.

[4] _مارمول: **المصدر السابق**، 352/2.

[5] _البكري: **المصدر السابق**، ص:52، مجهول(ق6ه): **المصدر السابق**، ص:178، الحميري: **المصدر السابق**، ص ص: 113_114، الدمشقي: **نخبة الدهر**، ص:263.

[6] _الجوهري: **المصدر السابق**، ص:672، ابن منظور: **المصدر السابق**، مج4، مادة عرص، 2883/32، **المعجم الوسيط**، ص:593.

[7] _ابن مريم: **المصدر السابق**، ص:272.

[8] _**نفسه**، ص:145، 272، 306، ابن القاضي: **المصدر السابق**، 44/2.

[9] _فتوى الفقيه أبو عبد الله بن عبد المؤمن، الونشريسي، **المصدر السابق**، 275/5.

[10] _ابن مريم: **المصدر السابق**، ص:272.

ومساحة العرصة لم تكن كبيرة مقارنة بالبساتين والجنات، وهذا الأمر في رأيي هو الذي جعلها مغيّبة من قبل الكثير من مصادر الفترة، وأغلبها كان منتشرا بالمدن[1] كما في الأرياف[2]، وخصص هذا النوع من الاستغلالات للانتاج البستني، فالعرصة التي يملكها الشيخ سيدي يحي بن محمد المديوني أبو السادات التلمساني كان فيها التين والعنب[3].

والملفت للانتباه أنّ العرصات لم تكن محاطة أو مسيّجة بأسوار عالية، الأمر الذي جعلها معرضة لتخريب الحيوانات (البقر،...)، ممّا يؤدي إلى حدوث خلافات بين صاحب العرصة ومالك الحيوانات[4].

و_الحدائق والمنتزهات:

و_1_الحدائق: الحديقة كل أرض ذات شجر مثمر ونخل وقيل الحديقة البستان والحائط، وخصّ بعضهم به الجنة من النخيل والعنب، والحديقة القطعة من الزرع وكله في معنى الاستدارة وكل بستان كان عليه حديقة ومالم يكن عليه حائط لم يقل له حديقة، والحدائق هي البساتين والشجر الملتف وحديق: الروض ما أُعشِب منه والتف[5]، والحديقة الروض ذات الشجر[6] لقوله تعالى: ﴿وَحَدَائِقَ غُلْبًا﴾[7].

والحديقة هي الحائط تكون فيه الأشجار ملتفة لا يمكن الزراعة خلالها، فإن أمكن الزرع خلالها لتفرقها سميت بستانا[8]، وفي القرآن الكريم: ﴿فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ﴾[9]، ويقال للقطعة من النخل حديقة وإن لم تكن محاطة بها، وقد توسع مفهوم الحديقة حتى تم إطلاقها على البستان وإن كان بغير حائط[10].

ونلمح بأرياف المغرب الأوسط قلة استعمال مدلول الحديقة كمجال للاستغلال البستني خاصة خلال القرنين 5و6هـ، حيث نجد معلومة واحدة انفرد بها الإدريسي[11] حول هذا الموضوع عند إشارته لمليانة بقوله: **<<لها نهر سقي أكثر حدائقها وجناتها وجانبي مزارعها>>**، وخلال القرن 8هـ/14م نجد

---

[1] _ابن القاضي: **المصدر السابق**، 44/2، الحفناوي: **المرجع السابق**، 493/2_494.

[2] _كان علي بن يحي السلكسيني الجاديري (ت972هـ): الفقيه الخطيب العالم الولي الصالح الصوفي، كان محققا في العلوم، حريصا على تدريس العلم وكان إماما بمسجد أجادير يدرس فيه العلم إلى الضحى الأعلى، ويخرج ويذهب لعرصته بوادي الصفصيف يخدمها بنفسه، ويذهب معه الطلبة يدرس العلم في ذهابه ورجوعه في الطريق، أظر: ابن مريم: **المصدر السابق**، ص:145.

_وكان الفقيه الورع الولي الصالح سيدي يحي بن محمد المديوني أبو السادات التلمساني أيضا يقيم بالمدشر الذي بناه بني راشد، كما أنشأ لنفسه أيضا عرصة خصصها لمختلف المنتجات البستنية، أنظر: ابن مريم: **المصدر نفسه**، ص ص:305_306.

[3] _**نفسه**، ص ص:305_306.

[4] _**نفسه**، ص:272.

[5] _ابن منظور: **المصدر السابق**، مج2، **مادة حدق**، 805/10_806، الجوهري: **المصدر السابق**، ص:232.

[6] _الجوهري: **نفس المصدر** والصفحة.

[7] _**سورة عبس، الآية:30**.

[8] _محمد عمارة: **المرجع السابق**، ص:166.

[9] _**سورة النمل، الآية:60**.

[10] _نزية حماد: **المرجع السابق**، ص:174.

[11] _**المصدر السابق**، ص:154، أنظر أيضا الحميري: **المصدر السابق**، ص:547.

يحي بن خلدون[1] يشير إلى الحدائق كمجال للاستغلال البستني بأرياف تلمسان بقوله: **<<تحف بخارج تلمسان الخمائل الألفاف والأدواح الأشنّة والحدائق الغلب بما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين من الفواكه والرمان والتين والزيتون>>**.

وإذا كانت الحدائق في الغالب توحي بمجال للاستغلال البستني على وجه التخصيص، إلاّ أن حدائق الزاب كانت أيضا تستعمل للاستغلال الزراعي أيضا[2]، والحديقة بدورها كانت تحتوي على الرياض، فحدائق بسكرة بها "روض بن داوس" الذي كان في غاية من الجمال والتنميق[3].

وهناك تلازما بين الحدائق والجنات حيث تفيد نفس المعنى، إذ تنتشر **الحدائق والجنات** بمختلف المناطق الريفية لبلاد الزاب مثل قصر تيجمانين، وقصر باينة (باتنة) ، وحصن الجديد الذي بناه يعقوب بن عليّ الرياحي[4].

وخلال القرن 10هـ/16م باتت الحديقة تحمل مدلول البستان فحول بجاية يذكر الوزان[5]: **<<يحيط بالمدينة عدد لا يحصى من الحدائق العامرة بالأشجار لاسيما من جهة الشرق>>**، وبالمناطق الجنوبية تحمل الحديقة مدلول البستان بدون حائط، فمنطقة تيكورارين كانت محاطة "**بحدائق النخيل**"، ومدينة تقرت التي يملك سكانها أيضا "**حدائق النخيل**"[6].

وعموما نجد أن الحديقة هي كل مكان محدد من الأرض خصص لزراعة أنواع معينة ومحددة من النباتات بكل أنواعها وفق مخطط لتصميم فني مدروس وتشغل وحدة من المساحة حيزا من الفراغ يتناسب وأحجام هذه النباتات والتي بدورها تتناسب مع بقية العناصر الأخرى الموجودة في الحديقة[7].

و_2_المنتزهات: النزهة معروفة والتنزه التباعد، وأرض نزهة ونزهة بعيدة عذبة وخرجنا نتنزه في الرياض وأصلحه من البعد، والعامة يضعون الشيء في غير موضعه ويغلطون فيقولون: خرجنا نتنزه إذا خرجوا إلى البساتين فيجعلون التنزه، الخروج إلى البساتين والخضر والرياض[8]، وإنما التنزه التباعد عن الأرياف والمياه حيث لا يكون ماء ولا ندى ولا جمع ناس وذلك شق البادية[9].

تشير مصادر الفترة إلى أنّ المنتزهات تحمل مدلول البساتين والخضرة، كمكان للترفيه عن النفس وليس إلى التباعد حسبما ذكره ابن منظور، وأغلب هذه المنتزهات كانت ضمن المناطق الساحلية،

---

[1] _**المصدر السابق**، 85/1.

[2] _ النميري: **المصدر السابق**، ص:426.

[3] _**نفسه**، ص: 469.

[4] _**نفسه**، ص:414_416، 417، 426 على التوالي.

[5] _**المصدر السابق**، 50/2، أنظر أيضا: مارمول: **المصدر السابق**، 377/2.

[6] _الوزان: **المصدر السابق**، ص:132_133، 135.

[7] _هلا قصقص: **المرجع السابق**، ص:13.

[8] _الجوهري: **المصدر السابق**، ص:1131، ابن منظور: **المصدر السابق**، مج6، (الميم_الياء)، مادة نزه، 4401/49.

[9] _الجوهري: **المصدر السابق**، ص:1131، ابن منظور: **المصدر السابق**، 4401/49، المعجم الوسيط، ص:915.

"**فبغربي بونة ماء سايح يسقى بساتينها وهو مستنزه حسن**"[1]، "**وبنهر بجاية منتزه عظيم به بساتين كثيرة**"[2]، ولمدينة تادلس "**منتزهات وبها رخص الفواكه والأسعار**"[3]، ونجد أن أغلب دلالات المنازه تشير إلى كونها مجال مرادف للاستغلال البستني.

ونتيجة لوفرة الرياضات والمنتزهات بتلمسان وأريافها التي زادت في جمال تلمسان وبهائها إلى الدرجة أن ذاع صيتها في مختلف الأقطار وتغنّى بها مختلف الشعراء، ونظموا قصائد طويلة في مدح تلمسان ووصفها[4]، فقال عنها يحي بن خلدون[5]: **<<بخارج تلمسان المنتزهات الرائعة والملاعب الحالية والمعاهد والمعاهد الكريمة فما شئت من جو صقيل ومغرس للحسن ومقيل ومالك الألباب عقيل وقال للبلابل وقيل>>.**

وتشمل ضواحي تلمسان على العديد من المنازه التي يقصدها السكان للتنزه والراحة والترفيه مثل منزه وادي الصفيصف ومنزه البركة العظيمة التي كانت في بستان بديع وهي من أجمل منتزهات تلمسان، وجبل لالا سيتي وجنات لوريط وشلالاتها الساحرة[6]، وبشرق تلمسان بالقرب من باب العقبة منزه الظاهري الذي تكثر فيه أشجار الزيتون يقصده الناس للراحة والتمتع بالمناظر والطبيعة الخضراء بالإضافة إلى منزه "**جنان بركانة**" قرب قرية العُبّاد والصهريج الكبيرة الذي يقصده السكان بكثرة؛ للإستمتاع بالحدائق والبساتين والأشجار المحيطة به[7].

وبالنسبة للطبقة الحاكمة وأعيان المدينة فقد كانت لهم منازه خاصة مثل المنزه المعروف "**بكهف الضحاك**"، وهو من أعظم المواضع وأحسن المنتزهات التي يضرب بها الأمثال في المناظر الخلابة[8]، بالإضافة إلى منزه القبة التي أنشأها القائد هلال بالروض على ضفاف وادي الصفصف شرق تلمسان[9].

والملفت للانتباه أنّ الكثير من مجالات الاستغلال البستني باتت مقترنة مع بعضها البعض إلى الدرجة التي تجعل القارئ يظن أنها تفيد نفس المعنى، فبجنوب حصن عنابة "**بساتين وأجنة ومنتزهات بها الكثير اللذيذ من الثمار**"[10]، وتلمسان التي تحيط بها بساتين جميلة ومنتزهات يتوجه إليها أيام السلم

---

[1] _البكري: **المصدر السابق**، ص:54، الحميري: **المصدر السابق**، ص:115.

[2] _الحميري: **المصدر السابق**، ص:81، ابن سعيد: **الجغرافيا**، ص:142، القلقشندي: **المصدر السابق**، 109/5.

[3] _الإدريسي: **المصدر السابق**، ص:160، الحميري: **المصدر السابق**، ص:132.

[4] _حول هذا الموضوع: أنظر قصيدة الناظم الناثر أبي عبد الله محمد بن يوسف الثغري كاتب سلطان تلمسان أمير المسلمين أبي حمو موسى بن يوسف الزياني، وكذلك هناك قصيدة لأبي المكارم بن الإمام الشهير صاحب "المقدمة الآجرومية"، وأيضا الشاعر أبا عبد الله محمد بن أبي جمعة التلاليسي، أنظر: المقري: **نفح الطيب**، 7/ 121_123، 126_133، على التوالي.

[5] _**المصدر السابق**، 85/1_86.

[6] _فيلالي: **المرجع السابق**، ص:153.

[7] _**نفسه**، ص ص:154_155.

[8] _ابن مرزوق: **المناقب المرزوقية**، ص:150.

[9] _فيلالي: **المرجع السابق**، ص:155.

[10] _الوزان: **المصدر السابق**، 61/2، مارمول: **المصدر السابق**، 8/3.

الموسرون من السكان ليقيموا فيها صيفا لأنها تضم عيونا جارية بمياه دافئة أضف إلى ذلك مناطق كثيرة من الحدائق[1]، لكن تبخل علينا المصادر بمعلومات حول ما إذا كان إنشاء هذه الحدائق مخصص أيضا للتجارب والدراسة على غرار البساتين السلطانية باسيانيا المسلمة التي ظهرت منذ القرن 5هـ/11م[2].

ز_الرياض: أراض المكان وأروض إذا كثرت رياضه، وأراض الوادي واستراض أي استجمع فيه الماء[3]، والروضة الأرض ذات الخضرة والروضة البستان الحسن، ولا يقال في موضع الشجر روضة وقيل الروضة عشب وماء ولا تكون إلا بماء معها أو إلى جنبها[4].

نلمح قلة الإشارات إلى هذا النوع من الاستغلالات ببلاد المغرب الأوسط، وما وُجِد منها كان مقترنا بالمدن؛ فمدينة تيفاش "**لها بساتين ورياضات**"[5]، ولتهودة "**رياض كثيرة**"[6]، والغريب في الأمر أنها كانت ضمن مدن داخلية ولم تكن قط مدن عواصم، أو نالت اهتمام من السلط الحاكمة !!!

وتحمل الرياض لدى سكان المغرب الأوسط مدلول البستان باعتباره مجالا للإستغلال البستني[7]؛ بمعنى أنه يحتوي على الأشجار المثمرة (أشجار السفرجل) مثل روض سيدي أحمد بن موسى الشريف الإدريسي تلميذ سيدي أحمد بن الحاج (ت950هـ/1543م) بمدشر بن ادريس بجبل بني ورنيد[8]، والروض والروض كمجال للاستغلال البستني وعلى غرار العرصة لم يكن يملكه إلاّ مسيوري الحال من السكان[9]، بل إنّ شراءه كان يتطلب مالا كثيرا[10].

---

[1] _مارمول: **المصدر نفسه**، 299/2.

[2] _فريد جحا: **المرجع السابق**، ص:365.

_لقد تميزت حدائق البساتين السلطانية (النبات الملكية على حد تعبير المؤلف) التي ظهرت في اسبانيا المسلمة خاصة في طليطلة وإشبيلية، بأنها كانت في آن واحد حدائق للمتعة والبهجة وحدائق للتجارب والدراسة، توصلا إلى أقدمة النباتات المجلوبة من الشرقين الأدنى والأوسط والتي تعتبر السباقة في هذا الميدان في أوروبا جميعها، أنظر: فريد جحا: **نفس المرجع والصفحة**.

[3] _الجوهري: **المصدر السابق**، ص:447، ابن منظور: **المصدر السابق**، مج3، مادة روض، 1775/20، **المعجم الوسيط**، ص:382.

[4] _ابن منظور: **المصدر السابق**، 1775/20.

[5] _الإدريسي: **المصدر السابق**، ص:196، الحميري: **المصدر السابق**، ص:146.

[6] _مجهول(ق6هـ): **المصدر السابق**، ص:179.

[7] _فتوى أبا الفضل العقباني، المازوني، **المصدر السابق**، 8/2و.

[8] _ابن مريم: **المصدر السابق**، ص:26.

[9] _**نفس المصدر** والصفحة، أنظر أيضا ص:84، التنبكتي أحمد بابا السوداني: **نيل الإبتهاج بتطريز الديباج**، إشراف وتقديم عبد الحميد عبد الله الهرامة، وضع هوامشه وفهارسه طلاب من كلية الدعوة الإسلامية، ط1، منشورات كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس، 1398 من وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم/ 1989م، ص ص:161_162.

[10] _كان من كرامات الشيخ سيدي عبد الله منصور الحوتي بن يحي بن عثمان المغراوي أنه كان في خلوته في غار بنت عامر فدخل عليه ابنه سيدي أحمد وهو صبي فوجد حزمة من الذهب في طرف الغار فقال له الشيخ امش واشتر به الروض المسمى تاغروت، أنظر: البستان: **المصدر السابق**، ص:138.

يتم تملك الرياض بعدة طرق كالبيع والشراء[1]، وهناك حالات يشارك الرجل زوجته في امتلاك الروض[2]، وكانت غلال الرياض ذات مردود وفير، فهي تكفي لتغطية حاجات البيت واقتسامها من قبل الورثة[3].

والواقع أن ظاهرة سرقة ثمار الرياض كانت مألوفة بين سكان الريف خلال هذه الفترة، بل أحيانا لا يسلم من هذه السرقة حتى الأولياء ورجال العلم[4]، وإن كانت بعض رياض الشيوخ يتجنبها اللصوص خوفا من العقوبة التي تنزل بهم، فهذا الحسن بن مخلوف بن مسعود بن سعيد المزيلي الراشدي أبو علي المعروف بأبركان*، كان "**له روض لا يستطيع أن يدخله سارق**"[5].

ح_الحائط: الحائط لغة هو الجدار الذي يحوط بالمكان والجمع حيطان وحياط وحوائط، ويطلق على البنيان لأنه يحوط عليه بالحيطان وهي الجدر ويطلق أيضا على النخل يحوط عليه بجدار أو غيره[6]، وشرعا: يطلق على البنيان سواءا كان عليه جدار أو لم يكن لقوله صلى الله عليه وسلم: **<<أنه قضى أنّ على أهل الحائط حفظها بالنهار>>**[7].

تفيدنا المصادر النوازلية أكثر من أي مصدر آخر بهذا النوع من المستغلات[8]، لكنني لمحت غياب هذه التسمية بالمناطق الشمالية، لكنها كانت متداولة بشكل واسع بواحات المناطق الصحراوية[9].

والجدير بالذكر أنّ هناك مصطلحات مرادفة لمجالات الاستغلال البستني والتي يُطلق عليها بالمناطق الصحراوية جزيرة النخل أو المراد بها حوزة النخل، كما هو معروف ببلاد المزاب التي تطلق على مجموعة نخل، وتكاد تكون عادة مشتركة بين السكان ولهم حق الوراثة واستغلالها حسبما هو متعارف عليه بالمنطقة[10].

3_مجالات مشتركة بين الاستغلال الزراعي والبستني:

---

[1] _فتوى محمد بن مرزوق (ق9هـ)، المازوني، **المصدر السابق**، ورقة 64ظ، فتوى قاسم العقباني (ق9هـ)، الونشريسي، **المصدر السابق**، 101/5، 101/5، ابن مريم: **المصدر السابق**، ص:138.

[2] _فتوى أبا الفضل العقباني (ق9هـ)، المازوني، **المصدر السابق**، ورقة 8و.

[3] _**نفس المصدر** والصفحة.

[4] _ابن مريم: **المصدر السابق**، ص:26.

(*) معناه بلسان البربرية الأسود، وهو الشيخ الفقيه الامام العالم العلم، أخذ عن الامام ابراهيمي المصمودي والامام الحفيد ابن مرزوق، سكن بمنزله بونشريس، توفي عام 857هـ، أنظر: التنبكتي: **المصدر السابق**، ص ص: 161_162، ابن مريم: **المصدر السابق**، ص ص:74_75.

[5] _ابن مريم: **المصدر نفسه**، ص:84.

[6] _نزيه حماد: **المرجع السابق**، ص:171، قلعة جي، قنيبتي: **المرجع السابق**، ص:171.

[7] _نزيه حماد: **المرجع السابق**، الصفحة نفسها.

[8] _فتوى ابن رشد(ق6هـ)، الونشريسي، **المصدر السابق**، 476/6، 28/8.

[9] _الفرسطائي: **المصدر السابق**، 185/3.

[10] _**نفسه**، 257/4_258.

***الفدادين:** الفدّان واحد الفدادين، ويطلق كمرادف للمزرعة[1]، والفدان الذي يجمع أداة الثورين في القران للحرث والجمع أفدنة وفدن، وقيل الفدان الثور، وقيل هما الثورين الذين يقرنان فيحرث عليهما، وهي البقر التي يحرث بها[2]، والفدّان المحراث[3]، كما يطلق الفدن أيضا على القصر المشيد[4] والجمع أفدان[5]، والفدّان والفدّان هو مقدار من الأرض الزراعية تختلف مساحته في البلاد العربية وجمعه فدادين[6]، فكل أربعامئة قصبة في التكسير يُعبّر عنها بفدّان وهو 24 قيراط، وكل قيراط 16 قصبة في التكسير[7].

وببلاد المغرب ورد مصطلح مرادف للفدّان يطلق عليه الشعبة ومقدارها رأسان من البقر، لأن زوج البقر بشعبتين والزوج هو محرث أربع من البقر[8]، ولأهمية هذه المساحة المخصصة للانتاج الزراعي عموما فقد كان من جملة ما يفرق على طبقات الجند بإفريقية _التي اتصلت حدودها وتجاوزت مملكة بجاية وتدلس_، على حد تعبير العمري[9] **<<مقدار ما لكل واحد حرث عشرة أزواج بقرا>>.**

وإلى جانب الاستغلال الزراعي للفدّان[10]، نجد أنّ هذا الأخير يحمل أيضا مدلول الاستغلال البستني لدى سكان المغرب والأندلس، إذ يعني في الغالب الحقل المخصص للخضر وما يشبهها من النبات السقوي[11]، وانتشر هذا النوع من المستغلات حتى بالمناطق الصحراوية[12]، فكانت بسكرة من كبار الأمصار بالمغرب وتشتمل كلها على النخل والأنهار والفدن والقرى والمزارع[13].

ويتملك سكان الأرياف من فدّان[14] إلى عدة فدادين[15]، ويتم الحصول عليها بطرق شتى كالبيع والشراء والهبة[16]،...إلخ.

كانت هذه نظرة عامة على أهم مجالات الإستغلال الزراعي والبستني بأرياف المغرب الأوسط (5_10هـ/11_16م) والواضح أنّ استغلالها كان يختلف من منطقة إلى أخرى تبعا للعوامل والظروف

---

[1] _ابن منظور: **المصدر السابق**، مج5، مادة فدن، 3366/37، الجوهري: **المصدر السابق**، ص:876.

[2] _ابن منظور: **المصدر السابق**، 3366/37، الجوهري: **المصدر السابق**، ص:876، محمد عمارة: **المرجع السابق**، ص:175، كوكب دياب: **المرجع السابق**، ص:72.

[3] _**المعجم الوسيط**، ص:677.

[4] _ابن منظور: **المصدر السابق**، ص:3365، 3367، **المعجم الوسيط**، ص:677.

[5] _**المعجم الوسيط**، ص:677.

[6] _**نفس المرجع** والصفحة.

[7] _أحمد الشرباصي: **المرجع السابق**، ص:337.

[8] _العمري: **المصدر السابق**، 4/96_97.

[9] _**نفس المصدر** والصفحات.

[10] _المقري: **أزهار الرياض**، 3/314.

[11] _مزيان: **المرجع السابق**، ص:305.

[12] _الفرسطائي: **المصدر السابق**، 3/85_86.

[13] _ابن خلدون: **العبر**، 6/132.

[14] _الفرسطائي: **المصدر السابق**، 3/118.

[15] _**نفسه**، 6/408.

[16] _فتوى أبو القاسم العبدوسي(ق9هـ)، الونشريسي: **المصدر السابق**، 9/139.

المحيطة بطبيعة الانتاج نفسه وبالمستوى المادي للسكان من جهة ثانية، وسأعالج بشيء من التفصيل جملة من العوامل المحيطة بالنشاط الزراعي والبستني سواء المساعدة على الانتاج أو المطبطة له ضمن الفصل الأول من هذه الأطروحة بحول الله تعالى.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفصل الأول:

العوامل المحيطة بنشاط الزراعة والبستنة بأرياف المغرب الأوسط من القرن 5_10هـ/11_16م.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الأول: العوامل المساعدة على نشاط الزراعة والبستنة.

المطلب الأول: العوامل الطبيعية

1_ ملائمة الظروف المناخية.

2_ وفرة الموارد المائية.

3_ الطابع السهلي وخصوبة التربة.

المطلب الثاني: العوامل البشرية

1_الاستقرار السكاني والتطور العمراني.

2_سياسة الحكام في ميدان النشاط الزراعي والبستني.

3_الهجرة الأندلسية ودورها في جلب اليد العاملة الفنية.

4_إنتعاش الحركة التجارية.

المبحث الثاني: معوّقات النشاط الزراعي والبستني.

المطلب الأول: العوامل الطبيعية

1_ التقلبات المناخية(المناخ القاسي).

2_ الكوارث الطبيعية(الجوائح).

3_النباتات الضارّة.

المطلب الثاني: العوامل البشرية

1_ الحروب والصراعات.

2_قلة اهتمام الحكام بالأنشطة الفلاحية.

3_كثرة الضرائب والمغارم.

4_استخدام الطرق والتقنيات العتيقة.

المبحث الثالث: عوامل التحول من النشاط الزراعي إلى النشاط البستني.

المبحث الأول: العوامل المساعدة على نشاط الزراعة والبستنة.

المطلب الأول: العوامل الطبيعية:

1. **ملائمة الظروف المناخية:** تمتاز بلاد المغرب الأوسط بموقع استراتيجي وشروط مناخية ملائمة للاستقرار البشري، وممارسة كلا من النشاطين الزراعي والبستني خاصة في المناطق الشمالية، ذلك أنّها تقع ضمن أكثر الأقاليم ملائمة للسكنى، إذ تمتد حسب جغرافيي العصر الوسيط ضمن الإقليمين الثالث والرابع[1].

ولمّا كان المغرب الأوسط واقع بالمنطقة المعتدلة فلقربه من خط الاستواء كانت برودته أضعف من حرارته وقد تأثر جوه بالبحر شمالا والصحراء جنوبا[2]، لذلك كانت الجهة الشمالية التي يسودها مناخ البحر البحر الأبيض المتوسط تمتاز بالاعتدال في الحرارة والرطوبة، ومن الناذر جدا انخفاض الحرارة إلى أقل من الصفر في هذه الجهة، كما تكثر بها الأمطار الغزيرة خصوصا في فصل الشتاء بالإضافة إلى تغدية الأودية[3].

لذلك فقد ساعدت هذه البيئة على القيام بالأنشطة البستنية بالدرجة الأولى والزراعة بالدرجة الثانية من دون عوائق طبيعية، ففي الشرق من منطقة القبائل الكبرى وحتى بونة، ففي هذه المنطقة المرتفعة والمنتظمة الرياح الرطبة والأمطار تحافظ على وفرة المراعي الجميلة والحقول المثمرة والمزدهرة[4].

وتؤكد الدراسات أنّ خصائص المناخ تتغير كل ثلاثين (30سنة) تقريبا، وعليه يمكن القول أن مناخ البحر الأبيض المتوسط شبه الرطب أو شبه الجاف مع تأثيرات جبلية في العصر الوسيط، كان أكثر رطوبة وبالتالي المياه أكثر وفرة والتربة أكثر خصوبة[5]، لذلك تشيد معظم المصادر الجغرافية بثراء المناطق الساحلية والداخلية، بل حتى تلك القريبة من الصحراء بمختلف المنتجات الزراعية والبستنية[6].

2. **وفرة الموارد المائية:** يقول الله تعالى في محكم تنزيله: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَاءِ كُلَّ شَيءٍ حَيٍّ﴾[7]، ومما لاشك فيه أن المياه تشكل الدعامة الأساسية التي يقوم عليها النشاط الزراعي والبستني على الخصوص.

ولمّا كان المناخ يختلف بين شمال ووسط وجنوب البلاد، لذلك نجد أن درجة استغلال المياه في النشاطين الزراعي والبستني يختلف من منطقة إلى أخرى، ففي المنطقة الشمالية فوق سلسلة الأطلس التلي الممتدة من تلمسان حتى سوق سوق أهراس كان يسودها مناخ البحر الأبيض المتوسط الذي يمتاز

---

[1] _ الدمشقي: **نخبة الدهر**، ص:20، ابن خلدون: **المقدمة**، ص ص:91_92، يحي بن خلدون: **بغية الرواد**، 84/1، بن سعيد: **كتاب الجغرافيا**، ص:137.

[2] _ عبد القادر حليمي: **جغرافية الجزائر**، ص:78.

[3] _Stephane Gsell: **Histoire ancienne de l'afrique du nord**, **Hachette**, Paris, 1913, 1928, 1/41.

[4] _ Ibid: p.9.

[5] _محمد قويسم: **الزراعة في منطقة الأوراس**، ص:101.

[6] _**أنظر ص ص: 284_328 ضمن المبحثين الأول والثاني من الفصل الثالث.**

[7] _ **سورة الأنبياء**، الآية:30.

بفصلين متباينيين أحدهما مطير دافئ وطويل، وهو فصل الشتاء والثاني حار وجاف وقصير وهو فصل الصيف[1].

والملاحظ على الجهات التي يسودها هذا المناخ على غاية من الاعتدال إذ أن البحر يضعف حرارة الصيف بمياهه ويخزنها، فإذا كان الشتاء قوّم برودته بأبخرته الساخنة فيعتدل الجو تقريبا صيفا وشتاءا[2]، لذلك نجد التساقط يشهد تكرارا ووفرة نتيجة للرياح القادمة من الشمال الغربي[3]، وهو الأمر الذي ساهم في وفرة المياه بمعظم سواحل بلاد المغرب الأوسط، مما ساعد على ازدهار النشاط البستني على الخصوص بأرياف وهران[4]، ومستغانم[5]،....إلخ.

تتصدر مياه الأودية والأنهار قائمة المصادر المستغلة، فما يفتئ جغرافي بذكر واد أو نهر أو منطقة أو حتى مدينة إلاّ ويقرنها بالنشاط البستني، لكن درجة الاستغلال هذه تكون حسب درجة كبر وامتداد الأنهار، فقصر الأنهار وضيق سهولها في الشرق جعلت مناطق الزراعة السهلية ضيقة[6]، مثل: سهول متيجة التي يخترقها واد سقاية (الشفة)[7] وهذا الوادي لم يكن كبيرا لذلك فاستغلال مياهه كان على نطاق ضيق.

وعلى العكس، فالمناطق الغربية التي تمتاز أنهارها بالجريان الدائم كانت السهول الغربية واسعة فيحاء[8]، لذلك نجد أنّ السواحل الغربية والمناطق القريبة من الساحل قد شهدت ازدهارا بستنيا من ذلك: حصن هنين[9]، حصن زيان[10]، أرياف وهران[11]، أرياف مستغانم[12]، وقلعة ترنانة الواقعة على مرحلتين من تلمسان "**بها مياه كثيرة وجنات وكروم**"[13].

ويعود ازدهار أرياف فكان لأنهارها العديدة (سيرة، وادي سي، ووادي هنت)[14]، كما أنّ الازدهار البستني الدائم بقرية بني واريفن[15]، وأرياف الخضراء[1] ومليانة[2]، يعود لمياه أنهارها الغدقة وأهمها نهر شلف[3]، وظل

---

[1] _ يوحنا أجندي أبوكاريوس: **قطف الزهور في تاريخ الدهور**، ط2، بيروت، 1885م، ص ص:227_228.

[2] _الميلي: **تاريخ الجزائر** ، 47/1.

[3]_ Gsell: op.cit, p.43_44.

[4] _ البكري: **المغرب**، ص ص: 70_71، مجهول(ق6هـ): **الاستبصار**، ص:135، الحموي: **معجم البلدان**، 385/5.

[5] _ البكري: **المصدر السابق**، ص ص: 69_70، الإدريسي: **نزهة المشتاق**، ص:172، الحموي: **المصدر السابق**، ص:558.

[6] _ عز الدين أحمد موسى: **النشاط الاقتصادي**، ص:47.

[7] _ مارمول: **إفريقيا**، 40/1.

[8] _ عز الدين أحمد موسى: **المرجع السابق**، الصفحة نفسها.

[9] _ البكري: **المصدر السابق**، ص:80، الحميري: **المصدر السابق**، ص:284.

[10] _ البكري: **المصدر السابق**، ص:80، مجهول(ق6هـ): **المصدر السابق**، ص:135.

[11] _ الإدريسي: **المصدر السابق**، ص:153، الحميري: **المصدر السابق**، ص:613.

[12] _ البكري: **المصدر السابق**، ص:69، الإدريسي: **المصدر السابق**، ص:172، الحميري: **المصدر السابق**، ص:128.

[13] _ محمود مقديش: **نزهة الأنظار الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار**، تحقيق علي الزواري، محمد محفوظ، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1988م، 75/1.

[14] _ البكري: **المصدر السابق**، ص:79، الحميري: **المصدر السابق**، ص ص:440_441.

[15] _الإدريسي: **المصدر السابق**، ص:154.

وظل وادي شلف مكسوا من كلا الجانبين بكمية كبيرة من الأشجار ذات الظلال الظليلة، ويحمل اسم مازفران عند مصبه[4]، وهذا دليل على كثافة الاستغلال البستني على جانبي هذا النهر.

ومن المناطق الغربية التي ساعدت مياه الأنهار على انتعاشها أيضا قلعة ابن الجاهل[5]، وأرياف الغزة[6]، وأرياف ندرومة[7]، وقرية العلويين (مرحلة من تلمسان)، "**كانت على نهر يأتيها من القبلة وفواكهها فاضلة وخيراتها شاملة**"[8].

ونلمح استغلال مياه الأنهار في النشاط الزراعي أيضا وإن كان ذلك على نطاق ضيق خاصة في المناطق الساحلية مثل: حصن كزناية على نهر شلف[9]، ويعود الازدهار الزراعي بأرياف مدينة ماما لواديها العذب[10] ولعل تسميته بالوادي دليل على قلة مياهه، لذلك تم استغلاله في النشاط الزراعي، هذا الأخير الذي لا يتطلب استغلال مياه كثيرة مقارنة بالنشاط البستني.

وبالمناطق الساحلية شكلت القمم الجبلية خزانا للثلوج مثل جبال جرجرة التي يتجاوز علوها 2300م، وهذه الجبال تحتفظ بالثلوج حتى شهر ماي[11]، ممّا يساهم في تغذية تلك المناطق بالمياه، ذلك أنّ الحرارة المبكرة تساهم في ذوبانها من القمم وبالتالي تغذية الجداول والأودية في نهاية الربيع وفترة الصيف[12]، وهذه الجداول والأنهار هي التي ساهمت في الازدهار الزراعي والبستني بالمناطق الجبلية مثل: جبال إقليم بجاية؛ كجبل أمسيول[13] فكان "**فيه مياه سايحة وعيون كثيرة وبساتين**"[14]، إلى جانب المناطق السهلية التي تتغذى من الموارد المائية كفحص بجاية الكثير البساتين[15].

وهو مايؤكد على ما قاله البكري[16]، حول كثرة الثلوج والبَرَد بجبل زغوغ المطل على بونة، ممّا ساهم في الإنتعاش الزراعي والبستني بتلك المناطق حتى نهاية العصر الوسيط بشهادة مارمول[1]:<<**وتجاور عنابة**

---

[1] _البكري: **المصدر السابق**، ص، ص:61، 75، الإدريسي: **المصدر السابق**، ص:154، الحميري: **المصدر السابق**، ص، ص: 135، 223، الحموي: **المصدر السابق**، 376/2.

[2] _البكري: **المصدر السابق**، ص:61، الحميري: **المصدر السابق**، ص:547.

[3] _الإدريسي: **المصدر السابق**، ص:154، الحميري: **المصدر السابق**، ص، ص: 223، 547.

[4] _مارمول: **المصدر السابق**، 39/1_40.

[5] _البكري: **المصدر السابق**، ص:76.

[6] _**نفسه**، ص:143.

[7] _**نفسه**، ص:80، الإدريسي: **المصدر السابق**، ص:254.

[8] _ مقديش: **المرجع السابق**، 75/1.

[9] _الإريسي: **المصدر السابق**، ص:155، الحميري: **المصدر السابق**، ص:280.

[10] _الادريسي: **المصدر السابق**، ص:157.

[11] _عبد القادر حليمي: **المرجع السابق**، ص_ص: 93_94، Gsell :op.cit, p.5.

[12] _Ibid, p.43.

[13] _مارمول: **المصدر السابق**، 376/2.

[14] _الحميري: **المصدر السابق**، ص:82.

[15] _الإدريسي: **المصدر السابق**، ص:161، الحميري: **المصدر السابق**، ص ص:80_81.

[16] _**المصدر السابق**، ص:55.

من جهة الجنوب والشرق جبال يطيب فيها المقام ويلذ العيش تتصل بجبال قسنطينة وبها كثيرة من المجاري والجداول>>.

وضمن "**المناطق الداخلية**" فبالرغم من قلة كميات التساقط بها مقارنة بالجهات الساحلية إلاّ أنّ هناك ازدهارا بستنيا معتبرا نتيجة لوفرة المياه بالعديد من المناطق مثل أرياف ميلة[2] وحصن سطيف[3]، إلى جانب الازدهار الزراعي بأرياف بادس[4].

ونتيجة لاختلاف منسوب مياه الأنهار الداخلية حسب الفصول، فقد اختلفت درجة استغلالها فمنها من ساعدت مياهه على قيام النشاط البستني فقط مثل:أرياف تبسة[5] وأرياف المسيلة[6]، وبعض الأنهار ساعدت مياهها على قيام النشاطين معا مثل: الأرياف المحيطة بكل من: نقاوس[7]، مقرة[8]، مازونة[9]وقلعة هوارة[10].

وتشكل العيون عاملا مهما في قيام النشاط الزراعي والبستني بهذا النوع من المناطق، حيث ساعدت العيون بأرياف تيفاش على انتعاش المزارع بها[11]، ولتاهرت "**مياه متدفقة وعيون جارية...ولهم على هذه المياه بساتين وأشجار تحمل ضروبا من الفواكه الحسنة، وبالجملة إنها منطقة حسنة**"[12].

وينفرد الإدريسي أكثر من أي مصدر آخر بالإشارة إلى الازدهار الزراعي والبستني بمعظم القرى الريفية لبلاد المغرب الأوسط نتيجة لوفرة المياه والأنهار والعيون بها مثل: قرية العلويين، بابلوت، سنى، المعسكر وعين الصفاصف الواقعة على الطريق الرابط ما بين تلمسان وتنس[13]، بالإضافة إلى قرية بني واريفن، ريغة، وماورغة الواقعة على الطريق الرابط مابين تنس والمسيلة، إلى جانب قرية ابن مجبر وسطيت على الطريق تلمسان_المسيلة[14]، وقرية مسكيانة[15] وأزكو[16] _على طريق القيروان تاهرت_[1]، وساعدت تلك الموارد المائية أيضا على ازدهار المزارع بقرية أوسحنت على نفس الطريق السابق[2].

---

[1] _**المصدر السابق**، 8/3.

[2] _الادريسي: **المصدر السابق**، ص:165، الحميري: **المصدر السابق**، ص:569.

[3] _الادريسي: **المصدر السابق**، ص ص:169_170، الحميري: **المصدر السابق**، ص:318.

[4] _البكري: **المصدر السابق**، ص:72، الحميري: **المصدر السابق**، ص:75.

[5] _البكري: **المصدر السابق**، ص:145، الحميري: **المصدر السابق**، ص ص: 129_130.

[6] _البكري: **المصدر السابق**، ص:59، الإدريسي: **المصدر السابق**، ص ص:155_156، الحميري: **المصدر السابق**، ص:558.

[7] _البكري: **المصدر السابق**، ص:50، الحميري: **المصدر السابق**، ص:579، الوزان: **المصدر السابق**، 53/2، مارمول: **المصدر السابق**، 383/2.

[8] _البكري: **المصدر السابق**، ص:51.

[9] _الإدريسي: **المصدر السابق**، ص:172، الحميري: **المصدر السابق**، ص ص:521_522.

[10] _البكري: **المصدر السابق**، ص ص:69_70، مجهول(ق6هـ): **المصدر السابق**، ص:178، الحميري: **المصدر السابق**، ص:470.

[11] _البكري: **المصدر السابق**، ص:53، الحميري: **المصدر السابق**، ص:146، الإدريسي: **المصدر السابق**، ص:196.

[12] _الإدريسي: **المصدر السابق**، ص:157، الحميري: **المصدر السابق**، ص:126.

[13] _**المصدر السابق**، ص:151.

[14] _**نفسه**، ص: 154_155، 157.

[15] _**نفسه**، ص:195، الحميري: **المصدر السابق**، ص:558.

[16] _الإدريسي: **المصدر السابق**، ص:196، الحميري: **المصدر السابق**، ص:29، الحموي: **المصدر السابق**، ص:153/1.

ولوفرة المياه والتربة الخصبة ببعض الحبال مثل: جبل سقاو قبلة ميلة (جبل أولاد ثابت)[3]، وجبل بني ورنيد[4]، ....إلخ، وتلمسان التي يمتاز مناخها بكثرة البرد والثلج في زمن الشتاء[5].

ولمّا كان جبل الأوراس أيضا يقع عليه الثلج[6] ومياهه كثيرة[7]، فقد ساعدت الرطوبة النسبية بالمنطقة وتوفر مصادر كافية من المياه ببطون الأودية على الاشتغال بالزراعة[8]، وكانت أريافها مزدهرة من حيث النشاطين، بفضل وفرة المياه بالمنطقة بشهادة مصادر الفترة[9].

وتساهم وفرة الموارد المائية أيضا في ازدهار المسارح (المراعي)، فمن خلال المؤلفات المصدرية نلمح ذلك التلازم الواضح بين وفرة المياه وانتشار المسارح، فمدينة قزرونة (متيجة) "**الواقعة على نهر كبير عليه الأرحاء والبساتين...ولها مزارع ومسارح**"[10]، ومرسى الزيتونة أول حد جبال الرحمان كان "**كثير الثمار والأنهار وفيه مزارع كثيرة ومراع مريعة**"[11]، ومدينة دكمة "**على نهر كبير ذات مزارع ومسارح**"[12] وباغاي "**ذات أنهار وثمار ومزارع ومسارح**"[13].

ورغم طابع الجفاف الذي تميزت به صحراء المغرب الأوسط، إلاّ أنّها احتوت على العديد من الواحات الخصبة، أين كان للمياه الدور الجوهري في ازدهارها الزراعي والبستني سواء بفضل المياه الجوفية التي تنبع على وجه الأرض مثل وارجلان[14]، أو بفضل الأنهار والأودية التي ساعدت على قيام النشاطين معا بأرياف تهودا[15]، والنشاط البستني بأرياف طولقة[16]، وما زاد في ازدهار بلاد الزاب هو وفرة الأمطار والمياه[17].

---

[1] _الإدريسي: **المصدر السابق**، ص ص:195_196.

[2] _**نفسه** ، ص:196.

[3] _الميلي: **المرجع السابق**، 400/2.

[4] _ابن مريم: **المصدر السابق**، ص ص: 40_41.

[5] _الزهري: **الجغرافيا**، ص:114.

[6] _أحمد بن أبي يعقوب بن واضح اليعقوبي: **كتاب البلدان**، مطبعة بريل، ليدن، 1860م، ص:130.

[7] _الإدريسي: **المصدر السابق**، ص:165، مجهول(ق6هـ): **الإستبصار**، ص:163، الحميري: **المصدر السابق**، ص:65، النميري: **فيض العباب**، ص ص، ص: 410_412، 471.

[8] _قويسم: **المرجع السابق**، ص:101.

[9] _حول أرياف طبنة: أنظر: الإدريسي: **المصدر السابق**، ص:164، الحميري: **المصدر السابق**، ص:387، وأرياف نقاوس: أنظر النميري: **المصدر السابق**، ص:471.

[10] _البكري: **المصدر السابق**، ص:64، الحميري: **المصدر السابق**، ص:523، الحموي: **المصدر السابق**، 53/5.

[11] _البكري: **المصدر السابق**، ص:81.

[12] _ **نفسه**، ص:54.

[13] _**نفس المصدر** والصفحة، الحميري: **المصدر السابق**، ص، ص:76، 558.

[14] _مجهول: **المصدر السابق**، ص:224، ابن سعيد: **المصدر السابق**، ص:126.

[15] _البكري: **المصدر السابق**، ص:72، الحميري: **المصدر السابق**، ص:142.

[16] _البكري: **المصدر السابق**، الصفحة نفسها، الحميري: **المصدر السابق**، ص ص:400_401.

[17] _ النميري: **المصدر السابق**، ص: 411، 426_ 427.

وبمنطقة توات فرغم أنّ أنهارها كانت داخلية متقطعة تجري خلال فترات معينة من السنة، إلاّ أنّ المياه التي تحملها، تكون مجموعة من الأودية التي تتشكل في الحمّادة و العرق مشكلة أشرطة خصبة ذات إمكانات مائية يتم استغلالها زراعيا وعليها تقوم الواحات والبقع الخضراء بالمنطقة[1].

وبهذا نجد أنّ أرياف المغرب الأوسط قد شهدت تمايزا من حيث وفرة الموارد المائية، ممّا أدى إلى اختلاف درجة ممارسة النشاط الزراعي والبستني من منطقة إلى أخرى[2].

3. **الطابع السهلي وخصوبة التربة**: تختلف درجة خصوبة الأراضي الزراعية ببلاد المغرب الأوسط من منطقة إلى أخرى نتيجة لاختلاف الطابع التضاريسي والمناخ السائد بها، وعلى هذا الأساس يمكن تقسيم التربة إلى النطاقات التالية:

أ_ **نطاق التربة التلية**: ينتشر هذا النوع من التربة في المنطقة التي تزيد أمطارها الشتوية عن 500ملم[3]، وهناك تدرجا في خصوبة التربة ضمن هذا النطاق، نتيجة لاختلاف كمية الأمطار بين المناطق الساحلية والداخلية، ونلمح ذلك من خلال:

أ**1_تربة البحر الأبيض المتوسط**: الملاحظ أن التربة في المنطقة الشمالية المحاذية للبحر الأبيض المتوسط والتي تحمل إسمه هي الأكثر خصوبة وملائمة للزراعة[4]، لذلك كانت أرياف المناطق الساحلية على درجة كبيرة من الخصوبة مثل: أرياف القل[5]، بونة[6]، بجاية[7]، شرشال[8]، تنس[9]، وهران[10]، مستغانم[11]، مستغانم[11]، وترنانا[12].

وبالمنطقة التلية نجد أنواعا مختلفة من الترب أهمها التربة الفيضية وإليها تعود تربة الترس الطينية ذات اللون الرمادي العميق، وهي تربة ثقيلة غنية بالمواد العضوية والمعدنية وتنتشر في السهول على طول الأودية[13]، لذلك نلمح الازدهار الزراعي بالمناطق الريفية الواقعة على هذه الأنهار، فالخضراء

---

[1] _محمد أعفيف: **توات مساهمة في دراسة مجتمعات الواحات وتاريخها**، ص:28.

[2] _**حول توزيع شبكة الموارد المائية من أنهار، عيون وآبار بالمغرب الأوسط، أنظر الخريطة رقم 02 ضمن الملاحق.**

[3] _ حليمي: **المرجع السابق**، ص:61.

[4] _موسى هواري: **المرجع السابق**، ص:37.

[5] _مارمول: **المصدر السابق**، 362/2.

[6] _الحميري: **المصدر السابق**، ص:115.

[7] _لقد ألهمت خصوبة بجاية حتى الشعراء ومن بينهم أبو علي حسن بن الفكون (أول ق7هـ)، الذي ألف أبياتا حول بجاية، والتي ذكرها الغبريني في مؤلفه، أنظر: الغبريني: **الدراية**، ص ص:334_335، الحفناوي: **المرجع السابق**، 129/2.

[8] _الوزان: **المصدر السابق**، 34/2.

[9] _الإدريسي: **المصدر السابق**، ص:153، الحميري: **المصدر السابق**، ص:138.

[10] _البكري: **المصدر السابق**، ص ص:70_71، الحموي: **المصدر السابق**، 385/5.

[11] _الوزان: **المصدر السابق**، 32/2.

[12] _مجهول(ق6هـ): **الإستبصار**، ص:135.

[13] _حليمي: **المرجع السابق**، ص:61.

أخصب مدن الريفية وهي على شاطئ نهر[1]، وعلى طول النهر بجانب هنين أراض صالحة للحرث[2]، وقرب مدينة البطحاء، يجري نهر صغير، قليل الأهمية كانت على ضفافه بساتين وحقول فيحاء في غاية الخصب[3]، وبفضل هذا النوع من الترب، نلمح ثراء المناطق الساحلية للمغرب الأوسط بالسهول الخصبة (الفحوص) ولعل أهمها:

- **سهل عنابة (فحص بونة)**: يقع هذا السهل بشرق الجزائر ويمتد على شكل هلال في جنوب جبل هدوق[4]، وهذا السهل كان كله مستنقعات وينحصر إلى البحر بواسطة جبال سوق أهراس والسلسلة النوميدية، وتجري فيه عدة أودية مثل وادي سيبوس ووادي الكبير وتتوزع فيه عدة بحيرات[5]، ويبلغ طول هذا السهل 14 فرسخا وعرضه 8 فراسخ ويظعن فيه جماعات من البربر[6]، وخصوبة هذا السهل هي التي التي ساهمت في الازدهار الزراعي والبستني لبونة التي كانت من أنزه بلاد المغرب الأوسط في تلك الفترة[7].
- **سهل بجاية (فحص بجاية)**: سهل ضيق يقع عند مصب وادي الصومام وينحصر بين جبال جرجرة والبابور من جهة؛ والبحر الأبيض المتوسط من جهة أخرى، ورغم الطابع الجبلي المميز لمنطقة القبائل، إلاّ أنّ المناطق التي يشملها هذا السهل كانت كلها بسائط، فيذكر الادريسي[8]، بأن كلا من قرية النهرين وبجاية "**التي كانت أمامها في جهة الجنوب أرض سهلة متصلة الانفراج، لا يرى الناظر فيها جبلا عاليا ولا شرفا مطلا، إلاّ على بعد منها وعلى مسير أربع مراحل يرى جبالا لا تبين**"، وهذا راجع لاتساع سهولها وبالتالي ازدهار الانتاج الزراعي في أراضيها.

ونتيجة لخصوبة هذا السهل، انتعش النشاط البستني بالمنطقة[9]، كما نجد أنّ الوادي الكبير المحدد لمنطقة القبائل الكبرى من الجنوب والشرق، كان محاطا بمنحدرات صالحة لزراعة الأشجار المثمرة[10]، وهذا دليل على خصوبة تلك النواحي.

- **سهل متيجة: "سهول الجزائر"[11]**: يعتبر سهل متيجة من أكثر السهول خصوبة ببلاد المغرب الأوسط

---

[1] _الحموي: **المصدر السابق**، 376/2.

[2] _مارمول: **المصدر السابق**، 296/2.

[3] _الوزان: **المصدر السابق**، 28/2، مارمول: **المصدر السابق**، 326/2.

[4] _شارل أندري جوليان: **تاريخ افريقية الشمالية**، ص:24.

[5] _Gsell :op.cit, p.6.

[6] _مارمول: **المصدر السابق**، 8/3.

[7] _مجهول(ق6هـ): **المصدر السابق**، ص:127، الحميري: **المصدر السابق**، ص:115.

[8] _**المصدر السابق**، ص، ص:197، 162، أنظر أيضا: مجهول(ق6هـ): **المصدر السابق**، 129، الحميري: **المصدر السابق**، ص:81، أبو الفدا: **المصدر السابق**، ص ص: 135_136.

[9] _ مجهول: **المصدر السابق**، ص:130، الحميري: **المصدر السابق**، ص ص: 80_81.

[10] _برنشفيك: **المرجع السابق**، 316/1_317.

[11] _مارمول: **المصدر السابق**، 373/2.

واشتهر ذكره طيلة العصر الوسيط[1]، وهو سهل واسع يمتد بين ساحل الجزائر شمالا من جهة البحر الأبيض المتوسط، ووطن القبائل شرقا والأطلس البليدي ومليانة جنوبا[2]، يبلغ طوله حوالي 45 ميلا وعرضه 36 ميلا حيث ينبت القمح الجيد بكثرة[3].

- **سهول ساحلية أخرى**: احتوت المناطق الساحلية على سهول أخرى؛ لكن مساحتها لم تكن بالكبيرة مقارنة بالأولى، ومن هذه السهول نجد: سهل قل المشتهر بالانتاج الزراعي[4]، سهل شلف الواقع بين جبال جبال الظهرة وزكار شمالا وجبال الونشريس جنوبا، التي تلتحم بجبال التيطري والأطلس البليدي[5]، وسهل وهران[6]، المتصل بغور شلف الساحلي المتصل سهل سيغ (سيك)[7].

لقد كانت هذه السهول مأمونة الريّ وافرة المياه، نتيجة لكثرة التساقط، لذلك كان إنتاجها الزراعي والبستني وفيرا، كما احتوت أرياف المناطق الساحلية على سهول متقطعة وبسائط خصبة ممتدة مثل: جزائر بني مزغناي[8]، تنس ومرسى الدجاج[9]، التي كانت كلها واسعة.

أ2_تربة المناطق الجبلية الساحلية: التربة الجبلية هي تربة غير ناضجة وفقيرة، تتكون في سفوح الجبال الشديدة الانحدار أو عند الحضيض ويغلب عليها اللون الأحمر[10]، والواضح أنّ المناطق الجبلية الساحلية خصبة أيضا، ودائمة الخضرة نتيجة لكثرة التساقط فبشرق عنابة تلال خصبة[11]، مغطاة بأراضي زراعية جيدة[12]، و"**تجاور عنابة من جهة الجنوب والشرق جبال يطيب فيها المقام ويلذ العيش وتتصل بجبال قسنطينة**"[13].

والأراضي الزراعية المحيطة بالقل منتجة لكنها في الجبل[14]، ومن الجبال الخصبة أيضا جبل ميسون الذي فيه بجاية[15]، وجبال سدويكش[16]، وجبال الرحمة (الرحمان) على الساحل بشرقي بجاية

---

[1] _مجهول(ق6هـ): **المصدر السابق**، 132، الحميري: **المصدر السابق**، ص، ص:163، 523، الوزان: **المصدر السابق**، 37/2، مارمول: **المصدر السابق**، 366/2.

[2] _الميلي: **المرجع السابق**، 52/1.

[3] _الوزان: **المصدر السابق**، 37/2، مارمول: **المصدر السابق**، 366/2.

[4] _مجهول: **المصدر السابق**، ص:160، الحميري: **المصدر السابق**، ص:75.

[5] _الميلي: **المرجع السابق**، 52/1.

[6] _حليمي: **المرجع السابق**، ص:42.

[7] _شارل أندري جوليان: **المرجع السابق**، ص:23.

[8] _مجهول: **المصدر السابق**، ص:132، الحميري: **المصدر السابق**، ص:163.

[9] _الحميري: **المصدر نفسه**، ص، ص: 138، 539 على التوالي.

[10] _حليمي: **المرجع السابق**، ص:61.

[11] _مارمول: **المصدر السابق**، 9/3.

[12] _الوزان: **المصدر السابق**، 104/2.

[13] _مارمول: **المصدر السابق**، 8/3.

[14] _الوزان: **المصدر السابق**، 54/2، مارمول: **المصدر السابق**، 16/3.

[15] _مجهول(ق6هـ): **الاسبتصار**، ص:130، النميري: **المصدر السابق**، ص: 267_268، 278_279.

[16] _ النميري: **المصدر نفسه**، ص ص: 280_ 281.

"**سكانها من عصاة البرابر، أرضهم خصبة فيها القطن والتين**"[1]، وهي على نظر كبير كثير العنب والتفاح والفواكه[2]، وباقليم تنس* وفوق بلاد الجزائر "**عدد لايحصى من الجبال غير أنها كلها منتجة**"[3]، والواضح أن خصوبة تلك المناطق الجبلية قد ساعدت على قيام مختلف الأنشطة الزراعية والبستنية.

أ3_تربة المناطق التلية الداخلية: نلمح من مؤلفات الفترة، خصوبة المناطق الداخلية والتي انعشت النشاط الزراعي والبستني، فميلة "**كثيرة الخصب، رخيصة السعر على نظر واسع وقرى عامرة**"[4]، والأراضي الزراعية المحيطة بقسنطينة "**كلها جيدة خصبة، ويبلغ انتاجها 30 ضعف ما يزرع فيها**"[5]، وكانت الأراضي المحيطة بكل من: نقاوس[6]، مازونة[7]، ومدينة تفسرة[8]، كلها "**أراض فلاحية خصبة وجيدة وجيدة وتعطي غلة وفيرة**" من المنتجات الزراعية والبستنية.

وبالرغم من أنّ معظم مملكة تلمسان كانت تحتوي على أقاليم جافة وقاحلة؛ إلاّ أنّ "الأماكن زاهرة والبقعة خصبة"[9] لأنها "**عذبة المياه كريمة المنبت**"[10]، فعنها يقول المقري[11]: **<<كانت مريعة الجنبات، منجبة للحيوان والنبات كريمة الفلاحة زاكية الإصابة...>>.**

ومن أشهر سهول الجهات الغربية للمغرب الأوسط نجد:

- **سهل تلمسان (فحص تلمسان):** لما كانت مملكة تلمسان تتوسط بين الصحراء والتل[12]، فقد احتوت على أقاليم جافة وقاحلة لاسيما في جزئها الجنوبي لكن السهول القريبة من الساحل منتجة جدا لخصوبتها[13]، ويعزى هذا الأمر لكون تلمسان تقع على ارتفاع 800 م من مستوى سطح البحر ومتوجهة نحو البحر وبالتالي تستقبل نسمات منعشة تبعد الرياح الحارة القادمة من الجنوب لذلك احتوت على مسارح كثيرة ومناطق صالحة للزراعة[14].

---

[1] _ابن سعيد: **الجغرافيا**، ص:142، **بسط الأرض**، ص:76.

[2] _الحميري: **المصدر السابق**، ص:184.

(*) إقليم تنس هو أحد الأقاليم المكونة للمملكة تلمسان إلى جانب إقليم الجبال وإقليم الجزائر، يحدها غربا عمل تلمسان وشرقا عمل مدينة الجزائر، وجنوبا الأطلس وشمالا البحر،أم، بين مصب نهر شلف ومصب نهر الزعفران، وهي خاضعة على الدوام لأمراء تلمسان. أنظر: الوزان: **المصدر السابق**، 16/1، مارمول: **المصدر السابق**، 353/2.

[3] _الوزان: **المصدر السابق**، 45/2.

[4] _الحميري: **المصدر السابق**، ص:569.

[5] _الوزان: **المصدر السابق**، 58/2، مارمول: **المصدر السابق**، 12/3.

[6] _ النميري: **المصدر السابق**، ص: 455.

[7] _الوزان: **المصدر السابق**، ص:36، مارمول: **المصدر السابق**، 359/2.

[8] _تقع مدينة تفسرة في سهل ببعد عن تلمسان ب15 ميلا أنظر: الوزان: **المصدر نفسه**، ص:24، مارمول: **المصدر السابق**، ص:323.

[9] _الوزان: **المصدر السابق**، ص:10.

[10] _يحي بن خلدون: **المصدر السابق**، 85/1_86.

[11] _ **نفح الطيب**، 135/7.

[12] _يحي بن خلدون: **المصدر السابق**، ص ص:84_85، العمري: **المصدر السابق**، 107/4.

[13] _الوزان: **المصدر السابق**، ص:10.

[14] _Gsell: op.cit, p.10.

ونواحي تلمسان أيضا مثل: قلعة هوارة[1]، وحصن تانكرمت[2]، مشرفة على فحوص واسعة وبسائط كثيرة تم استغلالها في الإنتاج الزراعي، وبإقليم بني راشد، التابع لمملكة تلمسان، الذي يمتد على طول 50 ميلا من الشرق إلى الغرب وعلى عرض 25 ميلا، كانت جهاته الجنوبية كلها سهول والواقعة شمالا كلها مرتفعات لكن أراضيهما صالحة للزراعة[3]، يوجد بها الزرع والمراعي على حد سواء[4].

- **سهل سيدي بلعباس:** اشتهر هذا السهل أيضا بخصوبته العالية[5]، وكان لوحده يزود تلمسان بما تحتاجه من حبوب[6].

ومن السهول الغربية أيضا نجد سهول غريس بشمال معسكر[7]، وسهل (فحص) سيرات[8] وفحص زيدور الواقع بين تلمسان وأرشجول[9] التي ساهمت في ازدهار النشاط الزراعي على الخصوص بأرياف المناطق الغربية للمغرب الأوسط.

كما احتوت المناطق الداخلية أيضا على سهول متقطعة قليلة الاتساع مقارنة بالأولى، فقد كانت المدية تقع في سهل "خصيب جدا"[10]، ومدينة مليانة[11] ومازونة[12]، "**مطلة على فحوص واسعة ممتدة**"، وأيضا البطحاء كانت على "**سهل فسيح ينبت فيه القمح بكثرة**"[13].

أ4_تربة المناطق الجبلية الداخلية: نتيجة لوفرة التساقط بالجبال التلية فقد كانت هذه الأخيرة جد خصبة، مثل جبل كتامة (جبل زلدوي أو جبل العنصل)[14] المطل على ميلة، وهو "**أخصب جبال إفريقية**" لما فيه من الثمار والفواكه[15]، وجبال دولة قسنطينة كانت كلها كثيرة الانتاج لأن أراضيها خصبة[16].

وبالمناطق الوسطى، يقع جبل زكار "المطل على مليانة" الذي يمتاز بالخضرة الدائمة صيفا وشتاء، وأعلى الجبل، مسطح يزرع[17]، وتسكن جبل وانشريس قبيلة نبيلة "بنو توجين الزناتية" وهو جيد التربة[1]،

---

[1] _البكري: **المصدر السابق**، ص:70، مجهول(ق6هـ): **المصدر السابق**، ص ص:177_178، الحميري: **المصدر السابق**، ص:135.

[2] _الحميري: **المصدر نفسه**، ص:128.

[3] _الوزان: **المصدر السابق**، ص:26، مارمول: **المصدر السابق**، 324/2.

[4] _مارمول: **نفس المصدر** والصفحة.

[5] _Gsell : op.cit, p.9.

[6] _الوزان: **المصدر السابق**، ص:25، مارمول: **المصدر السابق**، ص:325.

[7] _Gsell: op.cit, p.9.

[8] _البكري: **المصدر السابق**، ص:70، مجهول(ق6هـ): **المصدر السابق**، ص:178، الحميري: **المصدر السابق**، ص:470.

[9] _البكري: **المصدر السابق**، ص:77، مجهول: **المصدر السابق**، ص:135، الحميري: **المصدر السابق**، ص:27.

[10] _الوزان: **المصدر السابق**، ص:41، مارمول: **المصدر السابق**، ص:373.

[11] _مجهول: **المصدر السابق**، ص:176، الحميري: **المصدر السابق**، ص:543.

[12] _الحميري: **المصدر نفسه**، ص:522.

[13] _الوزان: **المصدر السابق**، ص:27، مارمول: **المصدر السابق**، ص:326.

[14] _ مجهول: **المصدر السابق**، ص ص: 128، 166.

[15] _الحميري: **المصدر السابق**، ص، ص: 184، 569.

[16] _الوزان: **المصدر السابق**، ص:103.

[17] _القزويني: **آثار البلاد**، ص:273.

وتوجد بالسفح والأماكن المستوية ينابيع عديدة و"**أراض صالحة للزراعة**"[2]، ومن الجبال الخصبة التي ساعدت على انتعاش النشاطين معا نجد: جبل باب البغل بالقرب من تلمسان[3]، والجبل الذي به قلعة هوارة[4].

نستخلص ممّا تقدم أنّ السهول سواء كانت ساحلية أو داخلية، كان أغلبها متمركزا بالمنطقة التلية، فخصوبة أراضيها قد جعلت معظم مدن المغرب الأوسط تحافظ على سيطرتها على الظهير الزراعي المحيط بها، وهو ما ساهم في الازدهار الزراعي والبستني لمعظم أريافها، فمدينة بونة "**خصبة مقتدرة**"[5]، ومدينة يلّل _الطريق بين تلمسان وتنس_ "**بلادها جيدة للفلاحة وزروعها نامية**"[6] ومدينة مليانة "**من أخصب بلاد إفريقية وأرخصها أسعارا**"[7] وهي حسنة البقعة كريمة[8]، وندرومة "**لها بسائط خصبة**"[9] ومازونة "**من أحسن البلاد صفة وأكثرها فواكها وخصبا**"[10].

ب_نطاق التربة النجدية (اقليم النجود، اقليم الهضاب العليا): يصل متوسط التساقط بهذه المناطق إلى ما دون 500ملم[11]، إلاّ أنّ مناخ هذا الاقليم يجمع بين خصائص المناخ المتوسطي في الشمال والمناخ الصحراوي في الجنوب، لذلك نجد أن المناطق القريبة من نطاق التربة التلية كانت على درجة كبيرة من الخصوبة، مثل قسنطينة التي كانت كثيرة الخصب وعلى نظر واسع وقرى عامرة[12]، ممّا ساعد على الازدهار الزراعي بها[13]، و"**حصن أشير زيري حسن البقعة كثيرة المنافع**"[14]، كما يعود الازدهار الزراعي والبستني بالقلعة لأنها بلاد خصب[15].

ب1_السهول الخصبة: احتوت منطقة الهضاب العليا على العديد من السهول الخصبة خاصة بالجهات الوسطى والشرقية، ولعل أهمها:

---

[1] _الوزان: **المصدر السابق**، ص:45.

[2] _مارمول: **المصدر السابق**، 361/2.

[3] _مجهول(ق6هـ): **الاستبصار**، ص:177.

[4] _**نفسه**، ص:178، الحميري: **المصدر السابق**، ص:470.

[5] _الحموي: **المصدر السابق**، 512/1.

[6] _الإدريسي: **المصدر السابق**، ص:152.

[7] _مجهول(ق6هـ): **المصدر السابق**، ص:176.

[8] _الإدريسي: **المصدر السابق**، ص:154، الحميري: **المصدر السابق**، ص:547.

[9] _مجهول: **المصدر السابق**، ص:135.

[10] _الادريسي: **المصدر السابق**، ص:172، الحميري: **المصدر السابق**، ص ص:521_522.

[11] _حليمي: **المرجع السابق**، ص:61.

[12] _الحميري: **المصدر السابق**، ص:480.

[13] _مجهول: **المصدر السابق**، ص:166.

[14] _الإدريسي: **المصدر السابق**، ص:155.

[15] _**نفسه**، ص:156، الحميري: **المصدر السابق**، ص:469.

السهول الشرقية: وهي كثيرة، رغم قلة اتساعها منها: فحص بل[1] الواقع شرقي وادي شبرو[2]، ومجانة الواقعة على بعد 4 فراسخ من جبل بني عباس جنوبا، "**يحيط بها بسيط يكثر فيه القمح**"[3] والفحص الواسع الذي كانت متواجدة به قرى النهرين[4]، وفحص قسنطينة المشهور أيضا بانتاج الحبوب[5].

ومن السهول الشرقية أيضا نجد سهول سطيف[6]، ونقاوس المُحاطة ب: ."**سهول كلها تصلح لزراعة القمح**"[7]، وفحص عجيسة بالقرب من الغدير[8]، والأرياف المحيطة بطبنة[9] وبحصن بلزمة "**فحوص واسعة**"[10] أسهمت في الازدهار الزراعي والبستني بتلك المناطق.

السهول الداخلية الوسطى: اشتهرت المناطق الوسطى لبلاد المغرب الأوسط بخصوبة أراضيها خاصة منطقة الحضنة التي تفصل ما بين الهضاب الشرقية والغربية والتي تمتاز بالتربة الطينية، بالرغم من قلة الأمطار بها لوقوعها بين السهوب والسهول العليا[11]، لذلك كانت كلا من المسيلة[12]، والقلعة[13]، جبال كيانة[14]، محاطة بسهول خصبة فيحاء أو على حد تعبير أصحاب الرحلات الجغرافية "**ذات بسائط خصيبة**"، وازدهار أرياف نقاوس يعود أساسا لخصوبة أراضيها ووفرتها على الأنهار والمياه[15].

وتتميز المنطقة المرتفعة عن سطح البحر بين 1000 و1200م والواقعة جنوب وجنوب شرق تيارت، بخصوبتها وسهولها المرتفعة في وسط الجزائر، وهذه المنطقة الخصبة تمتد إلى الشمال الشرقي على طول نهر واصل والمتجهة نحو نهر شلف[16].

ب2_الجبال الخصيبة: تتفق مصادر الفترة على أن أكثر الجبال خصوبة بهذا النطاق هو جبل أوراس "**الكثير الخيرات**"[17]، ويعود هذا الازدهار لوفرة الموارد المائية بهذا الجبل كما ذكرت آنفا.

---

[1] _البكري: **المصدر السابق**، ص ص:53_54.

[2] _الهادي روجي ادريس: **المرجع السابق**، 81/1.

[3] _مارمول: **المصدر السابق**، 382/2.

[4] _البكري: **المصدر السابق**، ص:54.

[5] _الإدريسي: **المصدر السابق**، ص ص:166_167، الحميري: **المصدر السابق**، ص:480.

[6] _الحميري: **المصدر نفسه**، ص:403.

[7] _الوزان: **المصدر السابق**، ص:53، مارمول: **المصدر السابق**، 383/2.

[8] _مجهول (ق6هـ): **الاستبصار**، ص:167.

[9] _البكري/ **المصدر السابق**، ص:50.

[10] _الإدريسي: **المصدر السابق**، ص:171، الحميري: **المصدر السابق**، ص:103.

[11] _Gsell : op.cit, p.14.

[12] _الإدريسي: **المصدر السابق**، ص:155، مجهول: **المصدر السابق**، ص:166، الحميري: **المصدر السابق**، ص:558.

[13] _الحميري: **المصدر نفسه**، ص:469.

[14] _عويس: **دولة بن حماد**، ص:91.

[15] _ النميري: **المصدر السابق**، ص: 455، 466_470.

[16] _Gsell: op.cit, p.10.

[17] _مجهول: **المصدر السابق**، ص ص:163_164، ابن سعيد: **الجغرافيا**، ص:145.

وبفضل الطابع السهلي ووفرة الموارد المائية وخصوبة التربة استطاعت معظم مدن الهضاب العليا التحكم أيضا في المناطق الريفية التابعة لها واستفادت من ازدهارها الزراعي، فمدينة باغاي "**لها أنهار...وكانت في بساط من الأرض عريض كثير المياه وجبل أوراس مطل عليه**"[1]، لذلك زخرت أريافها أريافها بالكثير من البساتين[2]، ولمدينة بادس "**بسائط ومزارع ومياه سايحة**"[3]، كما اكتسبت القرى الريفية شهرتها بفضل هذه العوامل الطبيعية المساعدة، فقرية ريغة "**أرض متسعة وحروث ممتدة وفواكه وبساتين**"[4].

جـ_نطاق التربة الصحراوية: تمتاز التربة الصحراوية بالجفاف[5]، إلاّ أنّ صحراء المغرب الأوسط لم تخل من بعض المناطق التي اشتهرت بوجود الزراعة بها، وبالضبط ضمن الواحات التي كانت على درجة عالية من الخصوبة مثل واركلان (بلد وارجلان)[6]، ومنطقة تيكورارين بجنوب المغرب الأوسط التي احتوت احتوت على "**أراضي كثيرة، صالحة للزراعة، رغم أن تربتها جافة وهزيلة**"[7]، وأرض فجيج "**بلاد خصبة فيها نخل كثير وتسكنها أمم شتى**"[8].

وإلى جانب خصوبة التربة، فقد كان لوفرة المياه ببعض المناطق الصحراوية الدور الكبير في الازدهار الزراعي بها، فقد كانت المدن الثلاث لبنطيوس، "**سهلة، عريضة، أريضة**"[9]، لكن الملاحظ أنّ نذرة المياه بصحراء المغرب الأوسط، دفعت السكان للاعتماد على المياه الجوفية، وممارسة النشاط الفلاحي الذي يتلاءم أساسا مع البيئة الجغرافية للمنطقة، فباقليم الزاب، "**كانت الطريق المؤدية من تقرت إلى ورقلة، وهي منطقة شديدة الحرارة، رملية لما يوجد بها إلاّ يسير من الماء وقليل من الأراضي الصالحة للحبوب، لكن عدد حدائق النخيل بها لا تحصى**"[10].

نستنتج مما سبق أن توزيع التربة ببلاد المغرب الأوسط تختلف بين شمال ووسط وجنوب البلاد، وكانت التربة التلية، خاصة تلك المحاذية للبحر عالية الخصوبة والأكثر ملائمة للزراعة، لكن هذا لا ينفي عدم صلاحية ترب المنطقتين الوسطى والجنوبية، إلاّ أنّها تحتاج إلى استصلاح وعناية أكبر لممارسة النشاط الفلاحي بها[11].

---

[1] _البكري: **المصدر السابق**، ص:144، الحميري: **المصدر السابق**، ص:76.

[2] _البكري: **المصدر السابق**، الصفحة نفسها.

[3] _**نفسه**، ص:74، مجهول: **المصدر السابق**، ص:180، الحميري: **المصدر السابق**، ص:75.

[4] _الإدريسي: **المصدر السابق**، ص:155، الحميري: **المصدر السابق**، ص:280.

[5] _حليمي: **المرجع السابق**، ص:60.

[6] _مجهول(ق6هـ): **المصدر السابق**، ص:224، الحميري: **المصدر السابق**، ص:600.

[7] _الوزان: **المصدر السابق**، ص:133.

[8] _مجهول: **المصدر السابق**، ص:179.

[9] _البكري: **المصدر السابق**، ص:72.

[10] _ الوزان: **المصدر السابق**، ص:138.

[11] _**للتفصيل أكثر حول توزيع الأرياف الخصيبة ببلاد المغرب الأوسط أنظر الخريطة رقم 01، ضمن الملاحق.**

المطلب الثاني: العوامل البشرية

1_الإستقرار السكاني والتطور العمراني:

أ_الاستقرار السكاني: يصعب الحديث عن استقرار السكان بأرياف المغرب الأوسط خلال هذه الفترة لنقص التوثيق حول هذا النوع من المجتمعات من جهة؛ إلى جانب صعوبة تحديد هذا المجال نتيجة للحركة القبلية وعدم الاستقرار من جهة ثانية، وما دام موضوع دراستي هو نشاط الزراعة والبستنة فإنني سأركز على القبائل المستقرة، لأن الحياة الريفية تقوم على الاستقرار لمزاولة النشاط الفلاحي بصفة عامة، إلى جانب أنصاف الرحل الذين يجمعون ما بين نشاط الرعي وممارسة الزراعة (زراعة الحبوب من قمح وشعير على وجه التحديد).

ورغم أنني لا أعرف النسبة المئوية التي كان يمثلها العنصر الريفي بالنظر إلى مجموع السكان في المغرب الأوسط خلال هذه الفترة، إلاّ أنه يظهر من شبكة مراكز العمران الريفي خاصة القرى والظهير الزراعي المحيط بمدن المغرب الأوسط، أنّ الأرياف كانت غاصّة بأعداد هائلة من السكان والتي شكلت عاملا محفزا على ممارسة النشاط الزراعي على الخصوص وكذلك النشاط البستني[1].

ونجد في بعض المواضع إشارة الرحالة والجغرافيين، للفظ "**العمائر**"، للدلالة على مناطق الاستقرار الريفي التي كانت متواجدة بكثرة في المناطق الممتدة بين القل وبونة[2]، جبل أوراس[3]، والزاب[4]، بالإضافة بالإضافة إلى رحل الصفاصف بين تلمسان وتنس[5]، وحول قلعة ابن الجاهل[6]، وهذا دليل على التوسع السكاني وانتشاره من جهة ، إلى جانب كثافة السكان حتى في المناطق الريفية البعيدة من جهة ثانية.

ومن الأهمية بمكان الإشارة إلى أن درجة الاستقرار هذه تختلف حسب كل فترة مما كان يعطي خصوصية في ممارسة كل نشاط باختلاف الفترات الزمنية، وسترتكز دراستي هذه حول دور كلاّ من القبائل البربرية والعربية في ذلك.

أ1_القبائل البربرية: الواضح أنّ بلاد المغرب الأوسط كانت تحتوي على أعداد غفيرة من القبائل البربرية ذلك أنّ: "**البربر هم سكان المغرب القديم ملؤوا البسائط والجبال من تلوله وأريافه وضواحيه وأمصاره...ويظعن أهل العز والغلبة لانتجاع المراعي...ومعاش المستضعفين منهم بالفلح ودواجن السائمة**"[7].

---

[1]_**أنظر ص ص: 40_59 من الفصل التمهيدي.**

[2]_ الإدريسي: **المصدر السابق**، ص:170، الحميري: **المصدر السابق**، ص:65.

[3]_ الإدريسي: **المصدر السابق**، ص:165.

[4]_ مجهول(ق6هـ): **المصدر السابق**، ص:176.

[5]_ الإدريسي: **المصدر السابق**، ص:151.

[6]_البكري: **المصدر السابق**، ص:76.

[7]_ ابن خلدون: **العبر**، 116/6.

استقرت القبائل الريفية في مختلف المناطق، فحول بونة[1]، مقرة والمسيلة[2]، فحص باغاية[3] وتاهرت[4] وتاهرت[4] "**قبائل كثيرة من البربر**"، وسكان "**الغدير يعتدّون في ستين ألفا**"[5]، ولعلّ اقترانها بلفظ "**القبيلة**"، "**القبيلة**"، دليل واضح على أنّ هذه الأخيرة كانت تمثل قمة التنظيم الاجتماعي لدى سكان أرياف تلك الفترة.

كانت القبائل الثلاث (كتامة، صنهاجة وزناتة)؛ الكتل المشكلة للعنصر البربري لمجتمع ريف المغرب الأوسط خلال هذه الفترة، وبالرغم من أنه كان للقبائل الريفية المستقرة فروع وامتدادت في مختلف المناطق، إلاّ أنّ هناك من المناطق من ظلت محل استقرار وتوطين لقبائل مخصوصة وهي:

كتامة: كانت فروع هذه القبيلة "**موطنين بأرياف قسنطينة إلى تخوم بجاية غربا إلى جبل أوراس من ناحية القبلة، وكانت بتلك المواطن بلاد مذكورة أكثرها لهم وبين ديارهم ومجالات تقلبهم مثل:** إيكجان وسطيف وباغاية ونقاوس وبلزمة ويتكست وميلة وقسنطينة والسيكرة والقل وجيجل، **من حدود جبل أوراس إلى سيف البحر ما بين بجاية وبونة...وكانت بطونهم كثيرة يجمعها غرسن ويسودة...**"[6].

وكانت مراكز استقرار قبائل كتامة تقع على الساحل وفي دواخل البلاد ومعظم هذه المناطق كانت خصيبة وأريافها وفيرة مثل: مرسى الخرز[7]، القل وبونة[8]، جيجل[9]، بجاية[10]، مرسى الدجاج[11]، قسنطينة وميلة[12]، وميلة[12]، حصن إيكجان[13]، تيجيس[14]، قصر الإفريقي[15]، توبوت وبعض مدن الزاب والأوراس[16]، وجبل وانشريس[17].

صنهاجة: هذه القبيلة "**من أوفر قبائل البربر وهي أكثر أهل المغرب لهذا العهد وما بعده، لا يكاد قطر من أقطاره يخلو من بطونهم في جبل أو بسيط، حتى لقد زعم كثير من الناس أنهم الثلث من أول**

---

[1] _ البكري: **المصدر السابق**، ص:55، الحميري: **المصدر السابق**، ص:115.

[2] _ الإدريسي: **المصدر السابق**، ص: 156، الحميري: **المصدر السابق**، ص ص: 556_558.

[3] _ البكري: **المصدر السابق**، ص:144.

[4] _ **نفسه**، ص ص: 67_69.

[5] _**نفسه**، ص:60، الحميري: **المصدر السابق**، ص:427.

[6] _ **العبر**، 195/6.

[7] _البكري: **المصدر السابق**، ص:55، الإدريسي: **المصدر السابق**، ص:190، مجهول(ق6هـ): **المصدر السابق**، ص:128.

[8] _ البكري: **المصدر السابق**، ص:55، الإدريسي: **المصدر السابق**، ص، ص: 169، 190.

[9] _الإدريسي: **المصدر السابق**، ص ص: 167_168، مجهول: **المصدر السابق**، ص:128.

[10] _الإدريسي: **المصدر السابق**، ص ص: 160_161، مجهول: **المصدر السابق**، ص ص:131_132.

[11] _ البكري: **المصدر السابق**، ص:65، الإدريسي: **المصدر السابق**، ص:160، مجهول: **المصدر السابق**، ص: 131.

[12] _ البكري: **المصدر السابق**، ص:63، 64، الإدريسي: **المصدر السابق**: ص ص: 165_167.

[13] _**نفسه**، ص:170.

[14] _ البكري: **المصدر السابق**، ص: 53.

[15] _ ابن حوقل: **المصدر السابق**، ص ص: 84_85، الإدريسي: **المصدر السابق**، ص:196.

[16] _ البكري: **المصدر السابق**، ص:144.

[17] _الإدريسي: **المصدر السابق**، ص: 154.

البربر..."، وكانت أعظم قبائل صنهاجة هي تلكاتة "**وكانت مواطنهم بالمسيلة إلى حمزة إلى الجزائر والمدية وملیانة من مواطن بني يزيد وحصين والعطاف من زغبة ومواطن الثعالبة لهذا العهد...وكان معهم بطون كثيرة من صنهاجة أعقابهم هنالك من مِتنان وأنوغة وبنو مُزغنة وبنو جُعد ومَلكانة وبطوية وبنو يفرن وبنو خليل وبعض أعقاب ملكانة**" بجهات بجاية ونواحيها[1]، بالإضافة إلى جبل وانشريس، شرشال والجزائر[2] ومرسى الدجاج وسوق حمزة[3]، أشير، بجاية، القلعة وبونة[4] وجبل تيطري[5]، تيطري[5]، وكانت هذه القبيلة مجاورة لزناتة من جهة الشرق، ومواطنها بالجزائر ومتيجة والمدية وما يليها إلى بجاية، وأما بلاد بجاية وقسنطينة فهي دار زواوة وكتامة وعجيسة وهوارة، وهي اليوم ديار للعرب إلاّ ممتنع الجبال وفيها بقاياهم[6].

زناتة: التي أشار ابن خلدون إلى أن ديارها كانت "المغرب الأوسط"، وكان لمغراوة وبني يفرن ومعهم مديونة ومغيلة وكومية ومطغرة ومطماطة ثم صار من بعدهم لبني ومانوا وبني يلومي ثم صار لبني عبد الواد وتوجين من بني مادين وقاعدته لهذا العهد تلمسان، بالجهة الغربية للمغرب الأوسط[7].

وتخوم زناتة منذ أن غلبهم الهلاليون على إفريقية وضواحيها أرض مصاب ما بين صحراء إفريقية وصحراء المغرب الأوسط وبها قصور جددها فسميت باسم من ولىّ خطتها من شعوبهم[8]،"... **وبجبل أوراس بقايا منهم سكنوا مع العرب الهلاليين لهذا العهد، والأكثر منهم بالمغرب الأوسط حتى إنهم ينسب إليهم ويعرف بهم فيقال وطن زناتة...وهم لهذا العهد أهل دول وملك بالمغربين**"[9].

وهناك العديد من فروع زناتة التي استقرت بالمناطق الريفية مثل الأوراس[10]، وهران والمسيلة[11]، بونة، تيجيس، تاهرت، ملیانة، هنين، طبنة وباغاي[12]، الغدير وفحص سيرات[13]، نواحي تلمسان وجبل بني راشد[14].

---

[1]_ **العبر**، 201/6.

[2]_ الإدريسي: **المصدر السابق**، ص: 154، 158، 159.

[3]_ البكري: **المصدر السابق**، ص: 65، الإدريسي: **المصدر السابق**، ص ص: 159.

[4]_ البكري: **المصدر السابق**، ص:65، الإدريسي: **المصدر السابق**، ص ص: 154_162.

[5]_ النويري: **نهاية الأرب**، 88/24.

[6]_ ابن خلدون: **المصدر السابق**، 134/6.

[7]_ **نفس المصدر** والصفحة.

[8]_ **نفسه**، ص:29.

[9]_**نفسه**، 3/7.

[10]_البكري: **المصدر السابق**، ص:80، مجهول(ق6هـ): **المصدر السابق**، ص:33، ابن خلدون: **المصدر السابق**، 12_11/7.

[11]_البكري: **المصدر السابق**، ص،ص: 70، 144، مجهول: **المصدر السابق**، ص، ص: 133، 163.

[12]_البكري: **المصدر السابق**، ص:55، 63، 67، 69، 80، 144.

[13]_مجهول: **المصدر السسابق**، ص، ص: 167، 178.

[14]_ابن خلدون: **المصدر السابق**، 17/7.

إذا كانت مصادر الفترة قد أشارت عرضا لمعظم مناطق استقرار القبائل بالأرياف، فإنها ركزت في مواضع كثيرة على تحديد إسم القبائل وحجم الكثافة السكانية بها، إلى جانب الإشارة لمزاولة تلك القبائل البربرية لأنشطتهم الفلاحية المختلفة مثل أرياف كلّ من: بونة[1]، جزائر بني مزغناي[2]، مليانة[3]، الخضراء[4]، الخضراء[4]، مازونة[5]، فحص عجيسة والمسيلة[6]، تاهرت[7]، تلمسان[8]، بسكرة[9] وأرض فجيج[10].

والملاحظ أن أغلب أراضي القبائل المستقرة كانت موزعة بين المناطق السهلية والجبلية، بل إنّ هذه الأخيرة قد استأثرت بقسم كبير من مضارب أغلب القبائل الريفية مثل كتامة وبعض بطون زناتة، وهذه الجبال الخصيبة قد أسهمت في ازدهار حياة اقتصادية مصدرها المنتجات الزراعية والبستنية والتي كان للاستقرار السكاني الدور الكبير في انتعاشها، ولذلك فجبال المغرب كانت تعجّ بالسكان وتشهد ارتفاعا في الكثافة السكانية، كما ظلت أغلب تلك الجبال معاقل وقرى للسكان الأصليين مثل جبال الأوراس، وانشريس بالإضافة إلى جبال جرجرة[11].

ورغم عزوف المصادر عن ذكر عدد سكان المناطق الجبلية ولا حجم الكثافة السكانية بها؛ إلاّ أنّ اشتهار البعض منها بالمنتجات الزراعية والبستنية، هو دليل واضح على الاستقرار السكاني وعناية السكان بها مثل جبال بني يزناسن، جبال بني بوسعيد، جبال بجاية وجبال زواوة بالقبائل الكبرى[12]، بل إنّ خصوبة السلسلة الجبلية الشرقية (جبال كتامة، العنصل وإيكجان) ضمن بلاد كتامة هي التي جعلت الحميري[13] يطلق عليها إسم "**الجناح الأخضر**".

ومن الجبال من كانت كثيرة السكان رغم أنها فقيرة من حيث مصادر الغذاء مثل جبال مطغرة، مما يجعلنا عاجزين حول توضيح كيفية تأمين السكان الريفيين لمصادر غذائهم، والمؤكد أن العلاقات بين المجالات الحضرية وباقي المناطق الريفية هي العنصر المساهم في تغطية حاجاتهم من الغذاء، كما أنّ

---

[1]_البكري: **المصدر السابق**، ص:55.

[2]_الإدريسي: **المصدر السابق**، ص:159، الحميري: **المصدر السابق**، ص:163.

[3]_البكري: **المصدر السابق**، ص:60_61، 68، مجهول (ق6هـ): **المصدر السابق**، ص:171، الحميري: **المصدر السابق**، ص:547.

[4]_البكري: **المصدر السابق**، ص:76.

[5]_الإدريسي: **المصدر السابق**، ص:172، الحميري: **المصدر السابق**، ص ص:521_522.

[6]_مجهول (ق6هـ): **المصدر السابق**، ص، ص:167، 172.

[7]_البكري: **المصدر السابق**، ص ص: 67_68.

[8]_مجهول (ق6هـ): **المصدر السابق**، ص:176.

[9]_البكري: **المصدر السابق**، ص:52.

[10]_مجهول (ق6هـ): **المصدر السابق**، ص:179.

[11]_ إسماعيل العربي: **دولة بني حماد ملوك القلعة وبجاية**، ش، و، ن، ت، الجزائر، 1980، ص: 188.

[12]_ **انظر الملحق رقم: 03.**

[13]_ **المصدر السابق**، ص:133.

أعدادهم الغفيرة، واعتماد الدول على القبائل الريفية في الحروب مثل قبيلة كومية[1]، وقبيلتي ازداجة ولواتة[2]، دليل واضح على حاجتهم للغذاء وبالتالي التشجيع على ممارسة النشاط الزراعي والبستني.

ومن الأهمية بمكان التنويه إلى نقطة هامة وهي أن قيمة القبائل الريفية لبلاد المغرب الأوسط خلال هذه الفترة لم تكتسب بأهميتها الاقتصادية ولا بدرجة امتهانها للعمل الفلاحي، وإنما الأمر يتعلق بمحالفتها للدول والسلط الحاكمة مثل قبيلة كومية خلال الفترة الموحدية[3]، إلى جانب قيمتها في توفير العسكر للدول للدول الحاكمة وجباية المغارم، وهو ما صعّب عليّ حصر القبائل الممارسة لكلا النشاطين.

وهناك بعض الإشارات القليلة التي تشير صراحة للنشاط الفلاحي مثل قبيلة كومية التي تمتد مواطنها بالمغرب الأوسط إلى سيف البحر من ناحية أرشكول وتلمسان[4]، وكان سكانها "**أصحاب فلاحة ورعاة غنم وأصحاب أسواق يبيعون فيها اللبن والحطب**"[5]، ومديونة التي انزاحت إلى المناطق الواقعة بين جبل تاسالة وجبل وجدة، ولم يبق منها إلا صبابة "**محترفون بالفلح**"[6]، وبعض الفروع من لواتة النازلين ببسيط تاكرارت بضواحي بجاية، "**يعتمرونها فدنا لمزارعهم ومسارح لأنعامهم**"[7]، كما أنّ وقوع أغلب قبائل المغرب الأوسط ضمن مجالات خصيبة ومشتهرة بالنشاط الزراعي والبستني هو تأكيد واضح وصريح على ممارسة تلك القبائل لكلا النشاطين[8].

وبواحات المغرب الأوسط هناك أعدادا غفيرة من البربر الريفيين، الذين ارتبطت حياتهم اليومية بممارسة الغراسة والنشاط البستني(أشجار النخيل خصوصا)، فبقصور الزاب ووارکلا حيث تقطن قبائل بني ريغة وبني سنجاس وبني يفرن من زناتة، قد امتلأ عمرانها بالقصور، والتي أكّد ابن خلدون على ثرائها "**بالشجر والنخيل**"[9]، وقبائل بني واسين وفروع أخرى من زناتة (بني يادين، توجين، مصاب وبني زردال)، الموطنين بقصور مصاب[10]، والنشاط ذاته قد عُني به سكان واحات الجنوب الغربي لبلاد المغرب الأوسط، مثل بني يالدّس وسائر البربر من ورتطغير ومصاب وبني عبد الواد، ومضغرة وأمم أخرى من زناتة؛ سكان القصور الغربية من بلاد توات وتيكورارين[11]، وركان وتسابيت، وتمنطيت[12].

---

[1]_المراكشي: **المصدر السابق**، ص:423.

[2]_ ابن خلدون: **المصدر السابق**، 6/ 153، 190.

[3]_ **نفسه**، ص ص:165_166.

[4]_ **نفس المصدر** والصفحات، أنظر أيضا: السلاوي: **الاستقصا**، 89/2.

[5]_ المراكشي: **المعجب**، ص: 423، ابن سعيد: **بسط الأرض**، ص:75.

[6]_ ابن خلدون: **المصدر السابق**، 6/ 165.

[7]_ **نفسه**، ص:155.

[8]_ **قارن بين مجالات تلك القبائل ومناطق الانتاج الزراعي والبستني ضمن الفصل الثالث من هذه الأطروحة.**

[9]_ ابن خلدون: **المصدر السابق**، 64/7.

[10]_ **نفسه**، ص ص:80_81.

[11]_ **نفسه**، ص ص:76_77.

[12]_ **نفسه**، 134/6، 158.

ولمّا كان الاستقرار السكاني بالمناطق الصحراوية رهين وفرة المياه، لذلك نجد أن معظم الواحات تشهد تركزا سكانيا كبيرا مثل واحات توات[1]، وخلال القرن 8هـ/14م ولربما قبله بقليل عرفت واحات توات توسع الرقعة الزراعية نتيجة عناية سكان المنطقة بهذا النشاط وذلك من خلال استصلاح الأراضي وإحيائها، ففي هذه الفترة حُفِرت فقارت جديدة في الضفة الجنوبية لهضبة تادميت والتي ستعرف لاحقا باسم تيدكلت[2].

أ2_القبائل العربية: من المعروف أن توافد العنصر العربي لهذه البلاد كان منذ الفتح الإسلامي للمغرب وقد سكنوا مناطق ريفية عديدة مثل: سطيف، تهودة، طولقة وبنطيوس[3]، ميلة[4]، طبنة بالزاب[5]...إلخ ومعظم هذه القبائل العربية مارست الزراعة والرعي، لكن التوافد الذي كان له بالغ الأثر في التغير الاجتماعي والبشري لبلاد المغرب الأوسط هو الهجرة الهلالية خلال القرن 5هـ/11م، أين زحفوا على أقاليم الدولة الحمادية بعد انتصارهم على الناصر بن علناس الحمادي[6].

وخلال القرن 6هـ/12م استقر العرب في العديد من أرياف المغرب الأوسط؛ مثل المناطق الواقعة بين القلعة وبجاية[7]، كما تملكت العرب العديد من الحصون مثل حصن بادس، وحصن بشر[8]، ومن أهم القبائل العربية التي استقرت بأرياف المغرب الأوسط طيلة الفترة الممتدة (5_10هـ/ 11_16م) نجد:

الهلاليون: من فروعهم التي استقرت بالمغرب الأوسط نجد: **الأثبج** بمعظم بطونها كرفة، دريد وعياض[9].

وعياض[9].

رياح: من بطونهم التي استقرت بالمغرب الأوسط نجد عامر ومرداس[10]، وقد استقرت كلا من الأثبج ورياح بشرق المغرب الأوسط[11].

زغبة: إخوة رياح، ومن بطونهم نجد **يزيد** و **حصين**[12]، المستقرّين بالجهات الوسطى للمغرب الأوسط[13].

---

[1]_ أحمد جعفري: **نظام الفقارة**، ص:119.

[2]_ أعفيف: **المرجع السابق**، ص:72.

[3]_البكري: **المصدر السابق**، ص، ص: 51، 72.

[4]_**نفسه**، ص:64.

[5]_ اليعقوبي: **المصدر السابق**، ص: 130، البكري: **المصدر السابق**، ص:144.

[6]_ ابن خلدون: **المصدر السابق**، 6/27_28، ابن عذاري: **البيان**، 1/292_ 295، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري: **نهاية الأرب في فنون الأدب**، تحقيق عبد المجيد ترحيني، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (د_ت)، 24/ 122_124.

[7]_ الإدريسي: **المصدر السابق**، ص ص: 163_ 164.

[8]_**نفسه**، ص، ص: 165، 192 على التوالي.

[9]_ ابن خلدون: **المصدر السابق**، 6/31_32.

[10]_نفسه، ص:44.

[11]_Mercier: **Histoire de l'afrique septentrinale**, 2/18, Radhi Daghfous: **les hilalienset le pouvoir politique en Ifriqiya à la fin du Moyen age**, Mélanges de l'école Française de Rome, Moyen Age, Tome 115, N=°1, 2003,p.494.

[12]_ ابن خلدون: **المصدر السابق**، ص: 54_55، 58.

[13]_Radhi Daghfous : op.cit, p.494.

بنو سليم: من فروعهم المستقرة بالمغرب الأوسط نجد **عوف** ما بين قابس وبونة، وأشهر بطونهم **مرداس**[1].

المعقل: كانت فروع هذه القبيلة مجاورين لبني عامر من زغبة في مواطنهم من قبلة تلمسان، ومن أهم بطونهم ذوي عبيد الله والثعالبة، فالبطن الأول عُني بالحياة البدوية والترحال[2]، وكانت مواطن الثعالبة متيجة من بسيط الجزائر[3].

لعبت القبائل العربية دورا هاما في الإستقرار والعناية بالنشاط الزراعي والبستني على وجه التحديد، وعرفت عدة مدن وأرياف تقدما في الإنتاج الزراعي وحتى النشاط الرعوي، مثل قسنطينة[4]، كما أصبح الهلاليون أسياد عدة مناطق ريفية منتجة مثل: دار ملول، بادس، ميلة، القل، مجانة ومرسى الخرز[5].

ورغم اختلاف ظروف الاستقرار لهذه القبائل سواء بالتغلب أو الاقطاع، إلاّ أنه وبفضل هذه القبائل تم إنعاش مناطق ريفية عديدة مثل بلاد سدويكش[6]، ومدينة بونة التي كانت خلال القرن 6هـ/12م، ذات بساتين قليلة وشجر[7]، وحول أريافها يذكر الإدريسي[8]، <<ل**بونة أقاليم وأرض واسعة تغلبت العرب عليها**"، إلاّ أنّ الحموي[9] فيما بعد يذكر بأنها "**مدينة مقتدرة كثيرة الرخص والفواكه، والبساتين وأكثر فواكهها من باديتها**>>.

استمر هذا الازدهار حتى القرن 10هـ/16م، ممّا يؤكد على عناية العرب بالنشاط الزراعي والبستني بأرياف هذه المدينة، فالبادية المحيطة بعنابة كانت تسكنها قبيلة عربية تدعى مرداس، تزرع الأرض وتملك عددا كبيرا من البقر والثيران ويجود عندهم القمح بكثرة ويحملونه للبيع في المدينة[10]، وبهذا نجد أنه بعدما فرطت القبائل العربية في الترحال اعتنت بزراعة الأرض حتى أضحت المزود الأساسي للمدينة بمختلف المنتوجات الزراعية مثل الحبوب وكذلك العسل واللحم والسمن[11].

---

[1]_ ابن خلدون: **المصدر السابق**، ص ص: 94_97.

[2]_ **نفسه**، ص ص: 77_78.

[3]_ **نفسه**، ص: 84، الميلي: **المرجع السابق**، ص:159.

[4]_Allaua Amara : **Retour à la problématique**, p.16.

[5]– Ibid, p.16.

[6]_النميري: **المصدر السابق**، ص: 280.

[7]_ الإدريسي: **المصدر السابق**، ص: 192.

[8]_ **نفس المصدر** والصفحة.

[9]_**المصدر السابق**، 512/1.

[10]_ الوزان: **المصدر السابق**، 62/2، مارمول: **المصدر السابق**، 8/3.

[11]_ محمد حسن: **المدينة والبادية**، 1/ 163.

وشهدت الواحات الصحراوية أيضا انتعاشا فلاحيا خاصة بعد توافد العناصر العربية واستقرارها منذ المائة الخامسة[1]، وبعد أن استقرت رياح في منطقتي الهضاب والصحراء من عمالة قسنطينة إلى زاغر من عمالة الجزائر، عَنَوا بالفلاحة وتربية المواشي فأثروا وكثروا واعتزوا على الدولة الحفصية[2].

ومن هنا تظهر المساهمة الكبيرة لهذه القبائل في الزراعة والفلاحة عموما، حيث نجحوا في القرن 8هـ/14م في إعادة تعمير معظم المناطق الريفية بالمغرب الأوسط وزراعتها خاصة بلاد الزاب، حيث باتت تشتهر قراها وأريافها بأنواع خاصة من المحاصيل مثل اشتهار إمارات الزاب الغربية بتعدد انتاجها من الثمار، واعتمادها بصفة رئيسية على زراعة النخيل وتصنيعه، وساهم من اندمج من هذه القبائل في الحياة الاقتصادية للبلاد[3].

ومن الأهمية بمكان الإشارة إلى أنّ هناك من القبائل العربية من لم يتخذ من حياة الاستقرار كأسلوب عيش، وإنّما كانت تستقر تارة وترحل تارة أخرى، مثل قبيلة أولاد سويد إحدى فروع ذوي عبيد الله من الثعالبة، حيث كانوا يقطنون بين مستغانم ونهر شلف ضمن دواوير (قرى متنقلة)، وكانت أهم نشاطاتهم هي زراعة القمح ورعي الماشية[4].

أ3_ ظروف الاستقرار والاندماج بين الجنسين (البربري والعربي):

شهدت العديد من الأرياف اندماجا وتعايشا بين الجنسين العربي والبربري، مثل أرياف باغاية وقسنطينة[5]، وكذلك عنابة[6]، كما تغلبت القبائل العربية على العديد من الأرياف خلال القرن 6هـ/12م خاصة أرياف الجهات الشرقية مثل أرياف كلا من: مرسى الخرز[7]، بونة[8]، مجانة[9] وميلة[10]، وخلال القرنين 7و8هـ/ 13و14م، تغلبت الزواودة على ضواحي بجاية وقسنطينة، ومن بها من عياض[11] وسدويكش[12]، خاصة مجالات هذه الأخيرة التي اشتهرت سهولها بالخصوبة العالية وانتاجها الوفير من القمح وسائر الزروع[13].

---

[1]_ ابن خلدون: **المصدر السابق**، 81/7.

[2]_ مصطفى أبو الضيف أحمد عمر: **القبائل العربية في المغرب في عصري المرابطين والموحدين وبني مرين**، د،م،ج، (د_ت)، ص: 321، الميلي: **المرجع السابق**، 357/2.

[3]_ أبو الضيف: **المرجع السابق**، ص، ص: 338، 316.

[4]_ مارمول: **المصدر السابق**، 1/ 109.

[5]_ الإدريسي: **المصدر السابق**، ص، ص: 177، 166 على التوالي.

[6]_ الوزان: **المصدر السابق**، ص:104.

[7]_الإدريسي: **المصدر السابق**، ص ص: 190_191، الحميري: **المصدر السابق**، ص: 538.

[8]_الإدريسي: **المصدر السابق**، 192، الوزان: **المصدر السابق**، ص:92.

[9]_الإدريسي: **المصدر السابق**، ص:194.

[10]_الإدريسي: **المصدر السابق**، ص:171، مجهول(ق6هـ): **المصدر السابق**، ص:166، الحميري: **المصدر السابق**، ص:569.

[11]_ ابن خلدون: **المصدر السابق**، 6/ 46_47.

[12]_**نفس المصدر** والصفحات، النميري: **المصدر السابق**، ص:280.

[13]_ النميري: **نفس المصدر** والصفحة، أنظر أيضا: برنشفيك: **المرجع السابق**، 1/ 323_ 324.

وطيلة الفترة الممتدة (7_10هـ/13_16م) تغلبت رياح على المجالات الشرقية للمغرب الأوسط، والمناطق الواقعة بين الأوراس وبونة[1]، وكامل المجالات الممتدة بين قسنطينة وبجاية[2]، وكانت آخر مجالاتها المسيلة[3]، إلاّ أن هذه المناطق ظلت مشتهرة ومزدهرة من ناحية الانتاج الزراعي على وجه التحديد.

وبفضل الاندماج هذا؛ تمّ إعادة توطين وتعمير فحص سيرات الذي بات في عهد البكري[4] "**غامر غير عامر**"، إلاّ أنّ الحميري[5] ذكر بأن هذا <<**الفحص تسكنه قبائل كثيرة من البربر ومطغرة، وغيرهم من قبائل زناتة ويلادهم واسعة، ويخالطهم من جهة إفريقية بنو زغبة من العرب من بني هلال بن عامر، ومن جهة المغرب بلاد مسوفة**>>، وهذا دليل واضح على أنه قد شهد إعادة توطين وتعمير من قبل القبائل البربرية والعربية على حد سواء، أين نجد تداخل مواطن الاستقرار السكاني لقبائل العربية مع القبائل البربرية في العديد من المناطق الريفية لبلاد المغرب الأوسط طيلة فترة الدراسة[6].

والملاحظ أنّ هذا التمازج والاندماج قد كان له جانبه الإيجابي من خلال استفادة القبائل البربرية المستقرة بالواحات من تقنيات العرب في غراسة أشجار النخيل، بشهادة ابن خلدون[7].

إنّ قضية الاندماج بين الجنسين وتعمير الأرياف؛ كانا مرتبطين بالظرفية التاريخية التي عاشتها أرياف تلك الفترة والعوامل المتحكمة بها مثل: الاقطاع، التهجير والتغلب، والتي سأتناولها كالآتي:

الاقطاع كعامل توطين[8].

التهجير: إنّ عملية التهجير سواء كان طوعا أو قسرا يساهم في عمران مناطق أخرى، فمن الإجراءات التي قام بها عبد المؤمن بن عليّ وأبو يوسف يعقوب المنصور(580_595هـ/ 1184_1198م)؛ هي إقدامهما على نقل القبيلة برمّتها من أرض إلى أرض أخرى ممّا ساهم في إحياء مناطق زراعية جديدة[9]، وهذه السياسة لم تكن حكرا على حكام الدولة الموحدية فحسب؛ بل عمد حكام الدولة المرينية لهذا الإجراء أيضا مثل قبائل بني ورّا (إحدى بطون مغراوة) المستوطنين بمراكش حيث تم نقل أعداد كثيرة منهم من قبل السلطان يوسف بن يعقوب المريني (685_ 706هـ/1286_1306م)؛ في أول المائة الثامنة إلى ناحية شلف[10].

---

[1] _ ابن سعيد: **كتاب الجغرافيا**، ص: 145.

[2] _نفس المصدر والصفحة، الوزان: **المصدر السابق**، ص ص:56_57.

[3] _ ابن سعيد: **المصدر السابق**، ص: 126، ابن خلدون: **العبر**، 422/6، 586.

[4] _**المصدر السابق**، ص:143.

[5] _ **المصدر السابق**، ص:470.

[6] _ابن خلدون: **المصدر السابق**، 6/ 29، 134.

[7] _ نفسه، ص:158.

[8] _ **أنظر ص ص: 125_127 من هذا المطلب.**

[9] _ مزيان: **المرجع السابق**، ص:348.

[10] _ابن خلدون: **المصدر السابق**، 7/65_66.

وبعد ارتحال المعز للقاهرة عام 357هـ/969م؛ ارتحل معه جموع كثيرة من قبائل كتامة، "**وبقي القليل منهم فقط بجبل أوراس وجوانبه من البسائط، وكلهم رعايا معبّدون للمغارم إلاّ من اعتصم بقمم الجبال مثل بني زلدوي، وأهل جبال جرجرة وزواوة**"[1]، والواضح أن رحيل تلك الجموع الكثيرة قد أدى إلى تراجع في نسب الأيدي العاملة ممّا أثر سلبا على نشاط الزراعة والبستنة، كما تلجأ بعض القبائل للهجرة بحثا عن شروط وظروف معيشية مثل قبائل بني مرين من زناتة، الذين انتقلوا من بلاد الزاب إلى المغرب الأقصى[2].

التغلب: إنّ الحديث عن استقرار القبائل العربية على حساب القبائل البربرية أو العكس، أو حتى تغلب عناصر الجنس الواحد بعضه على بعض[3]، فإن هذا الأمر يدعوني للتساؤل حول مصير المناطق الزراعية في ظل هجرة السكان المستقرين؟

تشير المصادر إلى مناطق شهدت تغلب القبائل العربية على البربرية مثل مجالات صنهاجة التي تغلبت عليها زغبة[4]، وبعد تغلب القبائل العربية على لواتة وغصب أرضهم، أقام بها عثمان بن عليّ الرياحي قصره المعروف باسم "قصر تيجمانين"[5]، واستقرار سفيان وسائر الأعراب بأرياف نقاوس وبواديها[6]، وقبائل توبة بأوطان قسنطينة[7].

ونتيجة لتغلب قبلية رياح على قبيلة الأثبج اضطرت هذه الأخيرة للاستقرار بالقرى والآطام ببلاد الزاب خلال القرن 6هـ/12م[8]، لكن استقرارها هذا قد أسفر على تشييدها للعديد من القصور ببلاد الزاب وباتت مشتهرة بمختلف أنواع المنتجات البستنية خلال القرن 8هـ/14م[9].

وهناك من الحالات التي شهدت تغلب القبائل البربرية بعضها على بعض[10]، وقضية التغلب هذه كان لها جانبها الإيجابي من خلال تعمير العديد من المناطق الريفية، فيعد تغلب العرب الهلالية على الضواحي بالهضاب العليا ورفارف الصحراء، استبحر عمران واركلا بعد أن اعتصم بها هؤلاء المعروفون

---

[1] _**نفسه**، 196/6.

[2] _ تأليف جماعي: **رسائل موحدية**، مجموعة جديدة تحقيق ودراسة: أحمد عزاوي، ط1، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، القنيطرة، 1422هـ/2001م، 2/ 258.

[3] _ابن خلدون، **المصدر السابق**: 6/30_31، 33، 46_47، 63،7، 68_69، 84.

[4] _نفسه، ص:134.

[5] _ النميري: **المصدر السابق**، ص: 415.

[6] _ **نفسه**، ص، ص: 461، 464.

[7] _ **نفسه**، ص: 474.

[8] _ابن خلدون: **المصدر السابق**، ص:31.

[9] _**نفسه**، ص:34.

[10] _**نفسه**، 7/ 76، 81، 83، 87، 207.

باسم المصر والكثير من ظواعن زناتة[1]، وأحيانا يكون استقرار القبائل بعد انقراض هذه والتغلب على تلك كما هو حال قبيلة هوارة[2].

إنّ تراجع النمو الديموغرافي لقبيلة يفسح المجال لاستقرار قبائل أخرى، مثل قبيلة عجيسة التي حلت محلها قبيلة عياض من الأثبج الهلالية[3]، وهذه العوامل جميعا قد ساهمت في تركز الكثافة السكانية في منطقة على حساب الأخرى، وبالتالي توجيه الأنشطة الزراعية والبستنية تبعا لتركز الأيدي العاملة الريفية من قبل السكان المستقرين.

ب_التطور العمراني: يلعب التطور العمراني الدور الكبير في التأثير على النشاط الزراعي والبستني من حيث التقدم أو التراجع، وخلال هذه الفترة نجد أن المراكز العمرانية ببلاد المغرب الأوسط قد شهدت تغيرات كثيرة، تبعا لتطورات الأحداث التي عاشتها هذه البلاد مما يؤثر بصفة مباشرة أو غير مباشرة على نشاط الزراعة والبستنة.

فهناك مدن خربت[4]، ومدن تحولت إلى قرى[5] أو حصون[6] أو قصور[7]، بل حتى تحول قرى إلى مدن[8]، مدن[8]، وهناك مدنا خالية(مخربة) تحولت إلى قرى[9]، أو صارت مدنا عامرة[1] وحصون تحولت إلى مدن[2]،

---

[1]_**نفسه**، ص ص: 69_70.

[2]_ **نفسه**، 190/6.

[3]_**نفسه**، ص،ص: 192، 227.

[4]_نذكر هنا على سبيل المثال مدينة **هاز** التي لم تكن مخربة عند اليعقوبي (ق3هـ/9م)، لكنها باتت خرابا في عهد البكري (ق5هـ/11م)، والإدريسي الذي أشار إلى أنها باتت قرية بعد تأكيده على تخريبها، أنظر: اليعقوبي: **المصدر السابق**، ص: 142، البكري: **المصدر السابق**، ص: 143، الإدريسي: **المصدر السابق**، ص: 157.

ومن المدن التي تعرضت للتخريب أيضا نجد كلا من مدينة أرشكول وتسلة، أنظر: الوزان: **المصدر السابق**، 2/ 17، 25، مارمول: **المصدر السابق**، 325/2.

[5]_من نماذج ها النوع نجد مدينة **العلويين(مدينة عظيمة)**، في عهد اليعقوبي والتي حافظت على صفتها حتى عهد البكري، لكنها باتت قرية كبيرة في عهد الإدريسي، أنظر: اليعقوبي: **المصدر السابق**، ص: 147، البكري: **المصدر السابق**، ص: 71، الإدريسي: **المصدر السابق**، ص: 151.

ومدينة بني وازلفن عند الكري التي تحولت إلى قرية كبيرة في عهد الإدريسي، أنظر: البكري: **المصدر السابق**، ص: 61، الإدريسي: **المصدر السابق**، ص: 154.

[6]_مثل **بسكرة** التي كانت كورة فيها مدنا كثيرة عند البكري، والمتميزة بإنتاجها البستني قد تحولت إلى حصن في عهد الإدريسي، أنظر: البكري: **المصدر السابق**، ص: 52، الإدريسي: **المصدر السابق**، ص: 165.

ومدينة **سطيف** "كانت كبيرة على قرى وعمارة متصلة" في عهد المقدسي واستمرت على ازدهارها في عهد البكري، إلا أن عمرانها تراجع وصارت حصنا كبيرا في عهد الإدريسي، أنظر: محمد بن أحمد بن أبي بكر المقدسي: **أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم**، مطبعة بريل، ليدن،1877م، ص:39، البكري: **المصدر السابق**، ص: 76، الإدريسي: **المصدر السابق**، ص ص: 169_170.

[7]_مثل مدينة **تامزكيدا** عند ابن حوقل التي صارت قصرا "**قصر تامزيزدكت**" عند الوزان، أنظر: ابن حوقل: **المصدر السابق**، ص: 89، الوزان: **المصدر السابق**، 2/ 11_12.

[8]_مثل **قرية مرسى الخرز** عند ابن حوقل التي تحولت إلى مدينة في عهد البكري، وحافظت على عمرانها بأن بقيت مدينة خلال القرن 6هـ/ 12م رغم سيطرة الأعراب على أريافها، انظر: ابن حوقل: **المصدر السابق**، ص: 76، البكري: **المصدر السابق**، ص: 55، الإدريسي: **المصدر السابق**، ص: 190.

[9]_مثل مدينة **أرزاو** التي كانت خالية في عهد البكري وتحولت إلى قرية كبيرة خلال القرن 6هـ/ 12م، أنظر: البكري: **المصدر السابق**، ص: 70، الإدريسي: **المصدر السابق**، ص: 171.

مدن[2]، وخلال هذه الفترة بالذات تعرضت الكثير من المراكز العمرانية إلى تغيرات حسب القرون ما بين التخريب والتطور لنفس المدينة أو المجال العمراني[3].

ب1_تطوير العمران المدني (إتساع المدن وعلاقته بنشاط الزراعة والبستنة):

لمّا كان وصف المدن أو الريف عادة ما يرتبط بالانتاج المادي وبالثروات[4]، فقد كان اقتران المدن بالكبر والاتساع وظهيرها الزراعي بالازدهار؛ هو من المؤشرات الدالة على انتعاش الأرياف المحيطة بها وهذا الازدهار كان عاملا إيجابيا ومحفزا على زيادة الانتاج، لكونها مراكز إنتاج كبيرة وتجمعات تقطنها أعداد هائلة من السكان، سواء كانوا من الطبقات المتوسطة الكثيرة العدد أو من فئة الأثرياء[5].

والحديث عن اتساع المدن ومجالها الحضري بالمغرب الأوسط؛ يجعلني أتساءل حول علاقة المدن بازدهار أو تراجع نشاط الزراعة والبستنة؟

لقد كان لازدهار المدن وتزايد السكان بها وما تبعها من اشتغال في المجالات الاقتصادية الأخرى(صناعة وتجارة)، قد أوجد مستهلكين جدد ولم يعد الفلاحون ينتجون للاستهلاك المحلي فحسب مثلما هو الحال في المجتمعات القبلية، بل أصبحوا يتوسعون في الإنتاج لسد حاجيات المدن من الغذاء، وانفتاح باب التصدير هذا قد أسهم في الازدهار الزراعي والبستني[6].

وإذا كانت المصادر الجغرافية قد أسهبت في الحديث عن المزارع والبساتين المقترنة بأغلب مدن المغرب الأوسط؛ فإن هذه الأخيرة وعلى غرار باقي مدن العصر الوسيط كانت تعتمد بشكل رئيسي على أقاليمها التي تزودها بالغذاء، فلا توجد مدينة إلاّ ولها ظهيرها الزراعي (أرباض، فحوص، ...إلخ)[7].

---

[1]_لقد مدينة **أشرشال(شرشال)** خالية في عهد ابن حوقل والبكري، وصارت مدينة صغيرة في عهد الإدريسي لتصبح مدينة كبيرة خلال القرن 10هـ/ 16م(عهد الوزان)، أنظر على التوالي: ابن حوقل: **المصدر السابق**، ص: 78، البكري: **المصدر السابق**، ص ص: 81_82، الإدريسي: **المصدر السابق**، ص ص: 158_159، الوزان: **المصدر السابق**، 34/2.

[2]_مثل حصن **هنين** عند البكري الذي بات مدينة صغيرة عند الوزان، انظر: البكري: **المصدر السابق**، ص: 80، الوزان: **المصدر السابق**، 2/ 15.

[3]_مثل مدينة **مقرة** التي كانت "ذات حصون كثيرة" خلال ق 3هـ/9م وباتت مجرد منزل عند ابن حوقل، لتصبح بلدا كبيرا في القرن 5هـ/11م، وتصير مجرد قرية من قرى الزاب خلال القرن 8هـ/ 14م، أنظر على التوالي: اليعقوبي: **المصدر السابق**، ص: 141، ابن حوقل: **المصدر السابق**، ص: 85، البكري: **المصدر السابق**، ص: 151، المقري: **نفح الطيب**، 203/5، ابن القاضي: **ذرة الحجال**، 2/ 43_44، التنبكتي: **المصدر السابق**، ص: 420، الحفناوي: **المرجع السابق**، 2/ 493_494.

وبسكرة التي كانت كورة عند البكري، وتحولت إلى حصن عند الإدريسي، وباتت مدينة في عهد الوزان، أنظر: البكري: **المصدر السابق**، ص: 52، الإدريسي: **المصدر السابق**، ص: 165، الوزان: **المصدر السابق**، 2/ 138.

[4]_ خلف محمد نجيب: **المغرب الأوسط في كتابة الرحالة والجغرافيين العرب**، مقال ضمن كتاب: **تاريخ الجزائر في العصر الوسيط من خلال المصادر**، رئيس المشروع: صالح بن قربة، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954م، الجزائر ، 2007م، ص: 207.

[5]_**نفسه**، ص: 206.

[6]_جودت عبد الكريم: **المرجع السابق**، ص: 26.

[7]_**أنظر ص ص: 35_ 40 من الفصل التمهيدي.**

حافظت العديد من مدن وحواضر المغرب الأوسط على طابعها وميزاتها الحضارية بالرغم من الحروب والفتن، ويعود الأمر لما امتازت به ناحيتها من ثراء في المنتجات الزرعية والبستنية، فرغم تدهور المدن الساحلية جراء الغزو النورماني خلال القرن 6هـ/12م، وأرهقها الغزو العربي المتجه إليها من الداخل[1]، إلاّ أنّ الأمر كان ظرفيا بدليل انتعاشها في أغلب الفترات، ويعزى الأمر لاعتمادها على ظهيرها الزراعي مثل المسيلة التي حافظت على ازدهارها طيلة فترة الدراسة حيث كانت محاطة بالمراعي الخصيبة والمزارع المتنوعة الانتاج[2]، وظلت كلاّ من الجزائر، المدية وملیانة من أعظم مدن المغرب الأوسط منذ تأسيها حتى نهاية العصر الوسيط[3].

ومن الأهمية بمكان الإشارة إلى أنّ ازدهار النشاط الصناعي والتجاري يخدم الزراعة لاعتماد القطاعين الأوليان على القطاع الأخير، سواء بالغذاء أو بالمواد الأولية ذات الأصل النباتي وحتى الحيواني، مما أكسب أهاليها الغنى والرفاه خصوصا تلك المدن التي امتازت بموقعها الجغرافي الممتاز وحصانتها الطبيعية مثل بجاية[4] وتلمسان[5]، خصوصا ونحن نعلم الازدهار الكبير الذي تمتعت به هاتين الحاضرتين من الناحية الزراعية والبستنية طيلة فترة الدراسة.

ب2_ إتساع مراكز العمران الريفي وعلاقته بنشاط الزراعة والبستنة:

شكل الاستقرار البشري الكبير وتركز الكثافة البشرية بمراكز العمران الريفي خلال هذه الفترة،عاملا مساعدا على ممارسة الأنشطة الزراعية والبستنية على نطاق واسع، رغم تركيز المصادر على **القرى** التي يغلب عليها طابع الانتاج الزراعي وإن كانت أحجامها تختلف بين الكبر والتوسط والصغر.

والملاحظ أنّ القرى قد تأثرت بالظروف المحيطة بالريف فتراجع عددها مثل القرى الواقعة حول باغاية[6]، ورغم تعرض البعض منها للتخريب والجلاء مثل قرية الجمعة خلال القرن 9هـ/15م[7]، إلاّ أنه قد أعيد إصلاحها وتعميرها خلال القرن 12هـ/18م[8].

---

[1]_ برنشفيك: **المرجع السابق**، 39/1، Paul Louis Campuzat : **L'évolution des cités du Tell en Ifrikya du 7e au 11e** siécles, Office des publications universitaires, Alger, Tome 1, p.153, 199.

[2]_البكري: **المصدر السابق**، ص:59، مجهول(ق6هـ): **الاستبصار**، ص:176، الحميري: **المصدر السابق**، ص:558، برنشفيك:**المرجع السابق**، 321/1.

[3]_ ابن خلدون: **العبر**، 204/6.

[4]_لسان الدين بن الخطيب السلماني: **أعمال الأعلام**، القسم المغربي، طبع باسم: **تاريخ المغرب العربي في العصر الوسيط**، تحقيق أحمد مختار العبادي، محمد إبراهيم الكتاني، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1964م، 94/3، مجهول: **المصدر السابق**، ص ص: 129_130، الحميري: **المصدر السابق**، ص ص: 80_81، العمري: **المصدر السابق**، 91/4، 107، القلقشندي: **المصدر السابق**، 109/5، 151.

[5]_الإدريسي: **المصدر السابق**، ص:150، أبو الفدا: **المصدر السابق**، ص: 123، ابن سعيد: **كتاب الجغرافيا**، ص:140، يحي بن خلدون: **المصدر السابق**، 85/1.

[6]_الإدريسي: **المصدر السابق**، ص:177، الحميري: **المصدر السابق**، ص:77.

[7]_التنبكتي: **المصدر السابق**، ص:162، الحفناوي: **المرجع السابق**، 132/2.

[8]_ الحفناوي: **المرجع نفسه**، ص:62.

والواضح أنّ فترات الفتن والقلاقل ليست كلّها بلاء على اقتصاد الأرياف، فهناك الأرياف والحواضر الآمنة التي ازدهر اقتصادها وذلك لهجرة الفلاحين والتجار إلى هذه المناطق مثل: أرياف القلعة وبجاية[1] خلال القرنين 5و6هـ/ 11و12م، وأحيانا تشجع الحروب والثورات على استقلال المدن وما يتبعها من قرى وبوادي[2]، لذلك فنجد أنّ هناك تلازما وارتباطا بين تطور المدن والقرى المحيطة بها.

ومن الأهمية بمكان الإشارة إلى فضل سكان الريف في تشييد العديد من المراكز العمرانية مثل قلعة هوّارة خلال الفترة الحمادية[3]، بالإضافة إلى تعمير العديد من الحصون والمعاقل من طرف قبائل صنهاجة وزناتة بعد تغلب القبائل العربية عليها[4].

شكلت القصور مناطق عمرانية لاستقرار شريحة هامة من سكان الصحراء، وممارسة النشاط الزراعي والبستني على نطاق واسع إذ شهدت العديد من الواحات الصحراوية استبحارا عمرانيا وللبربر المستقرين (العديد من فروع زناتة)؛ الفضل في ذلك، فقد شيّدوا الكثير من "**الحصون والآطام مثل قصور توات، تيكورارين وفيجيج ومصاب ووارکلا وبلاد ريغة والزاب ونفزاوة**"[5].

ونلمح التلازم الواضح بين استبحار العمران ذاك والازدهار البستني لتلك المناطق؛ فوطن توات فيه قصور متعددة تناهز المائتين حتى تمنطيت من جهة الشرق، وقد اتخذ السكان به "**الجنات من النخيل والأعناب وسائر الفواكه**"[6]، وكذلك قصور تيكورارين التي تقارب المائة، والمشتهرة أيضا بانتاج التمور[7].

ويستطرد ابن خلدون بالذكر المفصّل للقصور الواقعة قبلة تلمسان وتاهرت[8]، وعن بلد وارکلي قبلة بجاية يقول: <<**بلد مستبحر العمران كثير النخل، وفي سمته إلى جهة التلول بلاد ريغ تناهز الثلاثمئة منتظمة على حفافي واد ينحدر من المغرب إلى المشرق يناهز المائة من البلاد، فأكثر قاعدتها بسكرة من كبار الأمصار بالمغرب وتشتمل كلها على النخل والأنهار والفدن والقرى والمزارع**>>[9]، كما لعب التطور العمراني ببلاد الزاب والأوراس (قصور، قلاع، حصون،...إلخ) واستقرار القبائل العربية بالمنطقة إلى العناية أكثر بالنشاط البستني إلى جانب النشاط الزراعي، كما ذكرت سابقا.

إنّ اتساع مراكز العمران الريفي من قرى، حصون وقصور كان رهين الظروف التي عاشتها بلاد المغرب الأوسط خلال الفترة قيد الدراسة، لذلك فكثيرا ما كانت تظهر مراكز عمرانية ذات الطابع الظرفي.

---

[1] _ ابن الخطيب: **أعمال الأعلام**، 3/ 85_86، 94.

[2] _ أبو المعاطي: **المرجع السابق**، 384/1.

[3] _ ابن خلدون: **المصدر السابق**، 190/6.

[4] _**نفسه**، 63/7.

[5] _**نفسه**، 136/6، وللتفصيل أكثر حول الزاب، ينظر: **المصدر نفسه**: 585/6، 64/7، وحول وارکلا: ينظر: 69/7.

[6] _**نفسه**، 76/7_77.

[7] _**نفسه**، ص:77.

[8] _**نفسه**، 6/ 131.

[9] _ **نفسه**، ص ص:131_132.

***العمران الظرفي:** نجم عن تراجع حركة العمران المدني في بعض الفترات أن حلّ التحصين محله من خلال بناء الحصون والقلاع والأربطة بالإضافة إلى القصور، وتدل أوصاف الحصون والقصور أنها كانت في بسيط زراعي أو أنها قرى محصنة[1].

وبأرياف المغرب الأوسط تم تشييد العديد من المراكز العمرانية ذات الطابع الظرفي والمتعلقة **بالحصون** خصوصا، والتي احتوت على منتجات زراعية وبستنية هامة لتحقيق الاكتفاء الذاتي لسكانها وتغطية حاجاتهم الغذائية، مثل **الحصن الواقع بظاهر وهران؛** الذي التجأ إليه تاشفين بن عليّ عام 537هـ/ 1143م، وموقع هذا الحصن "على رابية وله فيه بستان كبير فيه من كل الفواكه"[2].

وبسبب حروب الدولة الزيانية العديدة والمتكررة مع القبائل المناوئة[3] أو مع الثغور الغربية، خاصة بجاية وقسنطينة[4]، فقد قاموا بتشييد العديد من الحصون ولكنها ارتبطت بالوظيفة العسكرية، أكثر من كونها مواطن للاستقرار والتوطين، والإجراء ذاته اعتمدته الدولة الحفصية بجبل بني ثابت عام 713هـ/1313م[5]، لتجنب تمرد القبائل الجبلية.

ولم يكن تشييد الحصون حكرا على الدول الحاكمة فحسب؛ بل حتى من قبل السكان أيضا إذ كانت الحصون، هي النمط العمراني المميز بجبل وانشريس موطن استقرار قبيلة توجين التي لم تتوان الدولة الزيانية في تهديمها كلما سنحت الفرصة لذلك مثل عام 702هـ/1302م[6].

يتضح مما تقدم أنّ اتساع شبكة العمران بالمغرب الأوسط سواء تعلق الأمر بالعمران المدني أو العمران الريفي، قد شكل عاملا هاما ومساعدا على استقرار سكان المغرب الأوسط من جهة، كما حفّز على ممارسة كلاّ من النشاط الزراعي والبستني لتغطية حاجات السكان من الغذاء، وإنعاش الأنشطة الحرفية والتجارية من جهة ثانية.

2_سياسة الحكام في ميدان النشاط الزراعي والبستني: يمكن إجمال جهود الحكام لتدعيم النشاط الزراعي والبستني بأرياف هذه الفترة من خلال:

أ_ توفير الأمن: رغم فترات الحروب والثورات التي ميزت تاريخ البلاد طيلة العصر الوسيط، إلاّ انّ حكام الفترة قد حرصوا على توفير الأمن والأمان بمختلف النواحي، فما هي أهم الدول التي شهدت فترات الاستقرار الطويلة؟ وما هي جهود الحكام في هذا الإطار؟، وما مدى انعكاس هذا الجانب على النشاط الزراعي والبستني؟

---

[1]_ أبو المعاطي: **المرجع السابق**، 832/2.

[2]_ النويري: **المصدر السابق**، 161/24.

[3]_ يحي بن خلدون: **المصدر السابق**، 213/2.

[4]_**نفسه**، ص:217، ابن خلدون: **المصدر السابق**، 143/7، 232، التنسي: **المصدر السابق**، ص: 143.

[5]_ ابن خلدون: **المصدر السابق**، 478/6.

[6]_**نفسه**، 295/7.

بذل حكام **الدولة الحمادية؛** جهودا في توفير الأمن؛ فهذا الناصر بن علناس الحمادي (454_481هـ/1062_1089م)، قد حالف الأثبج الهلالية عام 457هـ/1065م، لمداراتهم واتقاءا لشرهم والاهتمام برخاء البلاد[1]، ومنشآت هذا الحاكم كان لها بالغ الأثر على المناطق الريفية والمجالات التي تهتم بالإنتاج الزراعي والبستني "**فاعتز آل حماد هؤلاء بأيام الناصر هذا**"[2]، كما شهدت الدولة في عهد العزيز الحمادي (498_515هـ/1105_1121م)، استقرارا لطول ملكه، "**وكانت أيامه هدنة وأمنا**"[3].

وكان للصلح الذي تم بين تميم(453_501هـ/1061_1107م)، وابن عمه الناصر عام 470هـ/1078م[4]، بالغ الأثر في إشاعة الأمن وتحسن لأوضاع الإقتصادية والإجتماعية بأرياف المغرب الأوسط آنذاك، ممّا شجع الفلاحين على العمل في هذا القطاع الحيوي باعتباره المصدر الوحيد للمواد الغذائية، وحتى التجارية والحرفية للأرياف والمدن على حد سواء[5]، فنشطت الفلاحة خلال هذه الفترة أيما نشاط وازينت البوادي وضواحي المدن والقرى بالمزارع على اختلاف أنواعها ونصبت الأرحاء بضفاف الأودية والجداول وغرست البساتين الجامعة لأنواع الأشجار والأزهار[6].

الدولة المرابطية: كان لاستقرار الأوضاع في عهد علي بن يوسف بن تاشفين (500_537هـ/1106_1142م)[7] وابنه أبو الحسن علي بن يوسف بن تاشفين اللمتوني(537_539هـ/1142_1144م) الذي ورث عن أبيه مملكة يسودها الرخاء والأمن[8]، الأثر البالغ في إصلاح الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية خاصة بعد وقف توسع عرب بني هلال، حيث كسروا شوكة العرب النازلين بنوميديا (المغرب الأوسط)، وغرّبوهم إلى قفار الصحراء حيث اقتصروا على الإشتغال بفلح الأراضي ورعي السائمة[9].

وفي **العهد الموحدي**، ونتيجة لتفوق الموحدين على مناوئيهم في الداخل والخارج، الأمر الذي دفعهم إلى تعزيز الأمن ونشره في ربوع دولتهم[10]، وتشيد المصادر بشيوع الأمن والإستقرار في عهد كلّ من: عبد المؤمن بن علي[11]، وأبا يعقوب يوسف بن عبد المؤمن[1]، وأبا يوسف يعقوب المنصور

---

[1]_ المراكشي: **المعجب**، ص:294، ابن خلدون: **المصدر السابق**، 27/7.

[2]_ **نفسه** ، 232/6.

[3]_**نفسه**، ص:234، ابن الخطيب: **أعمال الأعلام**، 99/3.

[4]_ ابن عذاري: **البيان**، 300/4، ابن خلدون: **المصدر السابق**، 228/6.

[5]– Allaoua Amara : **retour à la problématique**, p.6.

[6]_ الميلي: **المرجع السابق**، 259/2.

[7]_ ابن الخطيب: **أعمال الأعلام**، 253/3.

[8]_ علي بن أبي زرع الفاسي: **الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس**، صور للطباعة والوراقة، الرباط، 1972م، ص، ص:157، 167، السلاوي: **الإستقصا**، ص: 124.

[9]_ مارمول: **المصدر السابق**، 338/2.

[10]_ **رسائل موحدية**، 74/2، عز الدين عمر موسى: **الموحدون في المغرب الإسلامي، تنظيماتهم ونظمهم**، دار الغرب الإسلامي، (د_ت)، ص: 51.

[11]_ ابن أبي زرع: **المصدر السابق**، ص:198.

(580_595هـ/1184_1198)[2]، ونتيجة لهذا الاستقرار اتسعت الزراعة ونلمح ذلك من خلال ما تناوله صاحب كتاب الإستبصار في مؤلفه من تنوع المحاصيل الزراعية والبستنية التي زخرت بها حقول وبساتين الأرياف في تلك الفترة.

وبالنسبة **للدولة الحفصية؛** فالمصادر تشير إلى فترات الهدوء والأمن التي ميزت حكم العديد من الملوك الحفصيين مثل الملك أبا محمد عبد الواحد ابن الشيخ أبي حفص[3] وابنه أبا زكريا يحي الأول[4] الذي يعتبر المؤسس الحقيقي للدولة الحفصية؛ فيصف ابن قنفذ أيام هذا الحاكم "**بأنها خير الأيام وأكثرها سعادة، اكتسب الناس الأموال وأكثروا الغراسات**"[5]، وبفضل هذا الملك صلحت البلاد ورخصت الأسعار وما زاد في قوته هو إحكام سيطرته على بلاد المغرب الأوسط وفرض على يغمراسن بن زيان (633_681هـ/1235_1282م)؛ دفع جباية سنوية[6]، وعلى هذا الاعتبار هل شملت إصلاحات هذا الحاكم أرياف المغرب الأوسط؟

الواضح أنّ هذه السيطرة كانت سياسية وإسمية لأن العلاقة مع الزيانيين كانت جبائية مالية وهذه المغامرة لم تدم طويلا فسرعان ما استعاد الزيانيون استقلالهم الذاتي، كما أن أبا زكريا أثناء عودته إلى تونس أقام في طريقه ملوكا من تجين ومغراوة ومليكش وجعلهم أسوارا حاجزة بينهم وبين يغمراسن[7]، فهل كان هذا الحاكم يستفيد من خيرات مجالات هذه القبائل؟، أم أنّ هذا الإجراء قد أقامه خصيصا لكي يمنع يغمراسن من السيطرة عليها؟، والأكيد أن جميع التخمينات واردة بدليل ثراء بيت مال هذا الحاكم بالأموال الطائلة[8].

استمرت فترات الأمن ورخاء البلاد في عهد ابنه أبا عبد الله محمد المستنصر(647_675هـ/ 1249_1276م)[9]، وعهد كلا من السلطان أبا عبد الله محمد الثاني المستنصر بن يحي الثاني المعروف

---

[1]_ عبد الملك بن صاحب الصلاة: **المن بالإمامة تاريخ بلاد المغرب والأندلس في عهد الموحدين**، تحقيق عبد الهادي التازي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1،ط2،ط3، 1964م، 1979م، 1987م، ص:165، المراكشي: **المعجب**، ص:330، ابن عذاري: **البيان، قسم الموحدين**، ص:83.

[2]_ابن عذاري: **المصدر السابق**، ص ص: 236_237، أنظر أيضا، ابن أبي زرع: **روض القرطاس**، ص:217، السلاوي: **الاستقصا**، 181/1، محمد المغراوي: **الموحدون وأزمات المجتمع**، ط1، جذور للنشر، الرباط، 2006م، ص:164.

[3]_ أبو العباس أحمد بن الحسن بن قنفذ القسنطيني: **الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية**، تقديم وتحقيق محمد الشاذلي النيفر، عبد المجيد التركي، الدار التونسية للنشر، 1968م، ص:108.

[4]_ ابن الخطيب: **الإحاطة**، 313/1.

[5]_ ابن قنفذ: **المصدر السابق**، ص:112.

[6]_ التنسي: **المصدر السابق**، ص ص:117_118.

[7]_ **نفسه**، ص:118.

[8]_ ابن قنفذ: **المصدر السابق**، ص:112.

[9]_ الميلي: **المرجع السابق**، 384/2.

بأبي عصيدة (694_709هـ/ 1295_1308م)[1]، وأبا يحي أبو بكر بن أبي زكريا بن أبي إسحاق المكنى بالمتوكل على الله،(718_747هـ/ 1318_1346م)[2].

ورغم الجو المشحون بالفوضى والحروب إلاّ أنّ القرن 9هـ/15م قد شهد فترات استقرار وأمن في عهد السلطان أبا العباس أحمد بن محمد بن أبي بكر الملقب بأبي السباع (772_796هـ/ 1370_1393م)، الذي امتدت سيطرته حتى بلاد الزاب[3]، وابنه أبا فارس عبد العزيز المتوكل (796_837هـ/ 1393_1436م)، الذي استولى على بجاية وقسنطينة وسائر أعمالها[4]، حيث شهدت الدولة في عهده سلامة في حدودها الترابية ومناعة قوتها ومتانة علاقاتها التجارية حيث كان محترما في الداخل ومهابا في الخارج[5]، وحفيده أبا عمرو عثمان بن محمد الرابع (839_893هـ/1435_1487م)، الذي طالت مدته حتى جاوزت الخمسين عاما[6].

ورغم الحروب الكثيرة التي ميزت تاريخ **الدولة الزيانية** من خلال صراعاتها الداخلية والخارجية، وتداخل أيام هذه الدولة مع الدولة المرينية طيلة القرن 8هـ/14م، إلاّ أنّ هذه الدولة شهدت فترات أمن انتعش خلالها النشاط الفلاحي، ففي عهد أبا حمو موسى الأول(707_ 718هـ/1307_1318م) وبانتهاء الحصار المريني لتلمسان أصبح الزيانيون في عهده يتمتعون بالسيادة الكاملة على أراضي المغرب الأوسط[7]، فساد الأمن بلادهم[8]، كما نلمح إرادة السلطة في التعمير من خلال استبحار عمران تلمسان في عهد آل زيان حيث "**اختطوا بها القصور المؤنقة والمنازل الحافلة، واغترسوا الرياض والبساتين وأجروا خلالها المياه**"[9].

بلغت الدولة الزيانية أوج ازدهارها الاقتصادي في عهد السلطان أبا حمو موسى الثاني (760_791هـ/1358_1388م)، بسبب توسعاته الشرقية والغربية، وإخضاعه للعديد من القبائل المناوئة،

---

[1] _ محمد بن أحمد بن الشماع التونسي: **الأدلة البيّنة النورانية في مفاخر الدولة الحفصية**، تقديم وتحقيق الطاهر بن محمد المعموري، الدار العربية للكتاب، 1984م، ص:83، الزركلي: **الأعلام**، 138/7.

[2] _ ابن قنفذ: **المصدر السابق**، ص:195، لسان الدين بن الخطيب السلماني: **رقم الحلل في نظم الدول**، المطبعة العمومية، تونس، 1371هـ، ص:68.

[3] _ ابن الشماع: **المصدر السابق**، ص ص: 109_110، الزركلي: **المرجع السابق**، 225/1.

[4] _ القلقشندي: **المصدر السابق**، 133/5.

[5] _ برنشفيك: **المرجع السابق**، 269_268/1، Dhina Atallah :**Les états de l'occident musulman au 13,14,15 siécles, institutions gouvernementales et administratives**, O,P,U, Alger,p.39.

[6] _ أبا عبد الله محمد بن إبراهيم الزركشي: **تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية**، تحقيق وتعليق محمد ماضوري، ط2، المكتبة العتيقة، تونس، (د_ت)، ص: **ج** من مقدمة التحقيق، أنظر أيضا: Atallah : op.cit, p.39.

[7] _ فيلالي: **المرجع السابق**، 40/1.

[8] _ الزركلي: **المرجع السابق**، 325/7.

[9] _ ابن خلدون: **المصدر السابق**، 105/7.

فانتظمت دولته واستقرت[1]، وكذلك عهد دولة السلطان أبي عبد الله محمد المعروف بابن خولة (803_814هـ/1400_1411م[2]، ودولة أبي عبد الله محمد المدعو ابن الحمراء (827_831هـ/ 1423_1427م)[3]، والمؤكد أن الأرياف قد استفادت من حالة الأمن هذه؛ مما انعكس إيجابا على انتعاش المنتجات الريفية خلال هذه الفترة.

والواضح أنّ استقرار الجماعات المرابطية* يعتبر سندا للسلطة المركزية، ذلك أنّ تحالف ودعم الدولة للمرابطين يساهم في تطور المجموعة الريفية، ويساعد على شيوع الأمن وضمانه بالطرق وتوسيع المساحات المراقبة من قبل السلطة الحاكمة[4].

وبشأن **الدولة المرينية**؛ فقد عمل السلطان أبا الحسن على إشاعة الأمن بإقامة محارس ومناظر من آسفي إلى جزائر بني مزغناي فأمن أهل الحواضر والبوادي بالسواحل ودواخل البلاد، فاطمئن الناس بأيامه السعيدة الآمنة[5]، وعند دخوله لتلمسان حرص أيضا على على توفير أدوات العمل الفلاحي خدمة لأهل الفلاحة كل بقدر حاجته[6].

ولما قضى أبا عنان حركته الزابية، عمد إلى الأوطان القسنطينية وما جاورها من الأقاليم باستصلاحها، والقضاء على شأفة الأعراب المفسدين بكل من تبسة، سطيف، المسيلة،[7]...إلخ.

ب_التخفيف من الضرائب المجحفة: ضمانا لاستمرار الأمن؛ فقد كان التخفيف في فرض الضرائب المجحفة على الرعية من أبرز الطرق التي اعتمدها حكام الفترة كإجراء مشجع على استقرار السكان من جهة إلى جانب تشجيع الفلاحين على الإنتاج من جهة ثانية.

بعدما افتتح **الناصر بن علناس الحمادي** جبل بجاية واختط مدينة الناصرية(بجاية) ونقل الناس إليها، قام بإسقاط الخراج عن ساكنيها[8] لتحفيز السكان على الإستقرار بالمنطقة، كما أجرى **يوسف بن**

---

[1]_ ابن الخطيب: **الإحاطة**، 286/3، الزركلي: **المرجع السابق**، 331/7، أنظر أيضا: خليلي بختة: **دور بعض السلاطين والفقهاء والوجهاء الزيانيين في مواجهة ظاهرة الفقر بالمغرب الأوسط**، مجلة الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية، قسم العلوم الاجتماعية، العدد 15، 2016م، ص:25.

[2]_ التنسي: **المصدر السابق**، ص ص:230_232.

[3]_ **نفسه**، ص:242.

(*) تكونت الجماعات المرابطية حول ولي صالح (متصوف)، استقر في مكان مهجور وقام باستغلال الأراضي الموات في النشاط الزراعي، أو أن هذا المكان المهجور واقع أساسا على خط تجاري مما ساعد على قيام مبادلات تجارية بين مختلف الأطراف، الأمر الذي ساهم في استقرار معظم القبائل، واتساع تلك المجالات ساهم في تغلغل نفوذ الزوايا بالمناطق الريفية. أنظر: Elise Voguet : chefs de tribus et murabitun, des élites rurales du Maghreb médiéval ?, MEFRM_124/2_2012 ? p.377.

[4]– Ibid, P : 377, **Appropriations et distributions de biens fonciers : L'enjeu politique et économique des terres mortes (mawat) au Maghreb médiéval à la fin du moyen age**, Revue du nord, n=°18, hors série collection art et archéologie, 2013,p.132_133.

[5]_ ابن مرزوق: **المسند**: ص،ص: 398، 429.

[6]_ نفسه، ص: 193.

[7]_ النميري: **المصدر السابق**، ص: 472، 474_476.

[8]_ ابن خلدون: **المصدر السابق**، 232/6.

تاشفين المرابطي (453_500هـ/1061_1107م)، أحكام الإسلام وعدّل في الجباية وأقام الشريعة فانتشر الأمن في بلاده كلها، فرخيت الأحوال وأمن الناس ونشطت النفوس[1] وعمّ الإستقرار والأمن بشكل لم تشهده البلاد من قبل؛ فانصرف الناس إلى الإنتاج وتحسنت الأحوال الإقتصادية[2].

كما عمد الموحدون في بداية عهدهم بملك المغرب الأوسط وإفريقية إلى إلغاء المكوس والقبالات[3].

وخلال **الفترة الحفصية**؛ يشيد ابن قنفذ بسياسة السلطان المتوكل على الله في هذا المجال، حيث رفع المظالم على السكان وبذل المال الكثير للضعفاء، والواضح أن هذا الأمر هو الذي ساهم في استتباب الأمن والرخاء الزراعي في عهد هذا الحاكم، وكذلك السلطان أبا فارس الذي قطع المكوس من بلاده[4].

وفي عهد **الزيانيين**، كان من الأسس التي اعتمدها يغمراسن بن زيان خدمة ومراعاة للمزارعين؛ أن وفّر لهم الأمن وخفف عنهم الجبايات[5]، بالإضافة إلى طول فترة حكمه التي ميزها الاستقرار والعدل.

وخلال **السيطرة المرينية** على بلاد المغرب الأوسط، كان تخفيف الضرائب من أسهل السبل لإحكام السيطرة على القبائل الجبلية، فقد أزال أبا الحسن الضرائب المفروضة على سكان جبال سدويكش من قبل الأعراب، فاستقرت النفوس وتسامعوا بالأمن في الحواضر والبوادي[6]، وقبلها قام هذا السلطان بإسقاط المظالم والمكوس عن سكان تلمسان وأحوازها عند احتلاله لها عام 735هـ/1334م[7]، فزادت البركات وصلحت أمور العباد[8].

ومن الأهمية بمكان الإشارة إلى أنّ قضية الأمن كانت ظرفية من جهة ومناطقية من جهة ثانية، إلى جانب إرتباط موضوع دراستي بما تناولته المؤلفات المصدرية، وتجنبا للتعميم والإسقاطات العشوائية فقد ارتبطت أغلب نقاط هذا العنصر بشكل رئيسي بالأحواز والأرياف القريبة من أغلب المدن الرئيسية، رغم أن أغلب الأرياف لم تكن بمنأى عن الحروب والصراعات التي شهدتها بلاد المغرب الأوسط طيلة فترة الدراسة[9].

جـ_ توسيع المساحات الزراعية: رغم أنّ المصادر تبخل علينا بالمراسيم الرسمية المتعلقة بإستصلاح المناطق الريفية لبلاد المغرب الأوسط، إلاّ أنّها تقدم معلومات هامة حول بعض الجهود الميدانية لهؤلاء خاصة فيما يتعلق بتوسيع المساحات المزروعة واتخاذ البساتين السلطانية بالريف، وإنعاش الغراسات خاصة بالقرب من المدن ومراكز الحكم.

---

[1]_ ابن أبي زرع: **المصدر السابق**، ص:137، السلاوي: **المرجع السابق**، 70/2.

[2]_ عصام الدين عبد الرؤوف الفقي: **تاريخ المغرب والأندلس**، مكتبة نهضة الشرق، القاهرة، (د_ت)، ص:253.

[3]_ **رسائل موحدية**، 74/2.

[4]_ القلقشندي: **المصدر السابق**، 133/5.

[5]_ ابن الأحمر: **تاريخ الدولة الزيانية**، ص:38.

[6]_ النميري: **المصدر السابق**، ص ص: 282_283.

[7]_ ابن مرزوق: **المسند**، ص ص، ص:282_283، 285.

[8]_العمري: **المصدر السابق**، 117/4، القلقشندي: **المصدر السابق**، 97/8.

[9]_ **للتفصيل أكثر أنظر ص: 149_150، 154_159 من المبحث الثاني ضمن هذا الفصل.**

بالنسبة **للدولة الحمادية**؛ ونتيجة لانتفاع الحماديين بخبرة التيهرتيين والعبيديين، وزادوا عليها واهتموا بالفلاحة فأحيوا موات الأرض وغرسوا الأشجار واعتنوا بالبساتين[1]، مثل حماد بن بلكين بن زيري (405_405 _ 419هـ/1004_1028م)[2]، الذي كان يهتم كثيرا بالثروة الداخلية للبلاد ويبدو أنه قد نجح في تحقيق رخاء اقتصادي لدولته[3].

والقائد بن حماد (419_ 446هـ/1028_1054م)، الذي ترك مملكة يسودها الرخاء والإزدهار بعد وفاته عام 446هـ/1054م، وبالضبط أثناء عهد إبنه بلكين (447_454هـ/1055_1062م)،الذي كان عهده إمتدادا لهذا الإستقرار الإقتصادي[4]، و**المنصور بن الناصر**(481_489هـ/1089_1104م)، هو الآخر كان: "**جمّاعة مولعا بالبناء وهو الذي حضر ملك بني حماد وتأنّق في اختطاط المباني وتشييد المصانع واتخاذ القصور وإجراء المياه في الرياض والبساتين...**"[5]، وأخذت البساتين السلطانية قسطا واسعا من تلك الإصلاحات والتي كانت مفخرة لحكامها، مثل جنات بجاية التي استضاف بها المنصور الحمادي؛ ابن صمادح قبل إقطاعه لبلاد تدلس[6].

وهذه الجهود والإصلاحات قد ساهمت في تطوير الوضع العام بشهادة معظم الدراسات[7] التي أشادت بالتقدم الإقتصادي للدولة الحمادية والذي له علاقة بالأنشطة الزراعية والبستنية من خلال حفظ الحبوب، وإدخال الزراعات المشرقية،.....إلخ.

وخلال فترة الإستقرار التي عاشها **المرابطون** منذ تأسيس الدولة وحتى بداية الثورة الموحدية عام 515هـ/1121م، استطاع المرابطون حماية السهول الزراعية من غارات أهل الجبال والبوادي كما قاموا بتشييد الحصون[8]، التي كانت من عوامل الإزدهار الزراعي خلال هذه الفترة وأوجد الحكام أيضا أنواعا من التعاون بين الطبقات الاجتماعية[9]، ومن المؤكد أن أرياف المغرب الأوسط خاصة تلك القريبة من المدن والحواضر الكبرى لم تكن بمنأى عن تلك الإصلاحات.

---

[1]_عويس: **دولة بني حماد**، ص:219، معروف بلحاج، مبخوت بودواية: **كتاب مرجعي حول تاريخ الجزائر في العصر الوسيط**، رئيس المشروع عبد الحميد حاجيات، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر، (د_ت)، ص:145.

[2]_ ابن الخطيب: **تاريخ المغرب العربي**، 71/3.

[3]_عويس: **المرجع السابق**، ص:220، رشيد بورويبة: **الدولة الحمادية، تاريخها وحضارتها**، د،م،ج، الجزائر، 1397هـ/1977م، ص:143.

[4]_ عويس: **المرجع السابق**، الصفحة نفسها.

[5]_ ابن خلدون: **المصدر السابق**، 232/6، أنظر أيضا: الميلي: **المرجع السابق**، **2**/274.

[6]_الفتح بن محمد بن عبد الله ابن خاقان: **قلائد العقيان ومحاسن الأعيان**، حققه وعلّق عليه: حسين يوسف خريوش، ط1، مكتبة المنار لـ ط،ن،ت، الأردن، 1409هـ/1989م، المجلد 1، ج1، ص: 149.

[7]–Allaoua Amara : **retour à la problématique**, p.15_19.

[8]_ عيسى بن الذيب: **التجارة في عصر المرابطين(430_450هـ/1056_1045م)**، مذكرة ماجستير، جامعة مصر، 1990م، ص:1.

[9]_ حسن علي محمود: **الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس (عصر المرابطين والموحدين)**، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، (د_ت)، ص ص: 370_371.

كما حظي النشاط الزراعي والبستني بعناية **الخلفاء الموحدين**، أين عرفت بلاد المغرب تطورا كبيرا في ميدان الزراعة[1]، فكان بمجرد استقرار الموحدين بالمدينة كان من اللازم خلق مشاريع إقتصادية مرتبطة بالفلاحة[2]، والواضح أنّ هذه الإجراءات كانت تخدم بالخصوص أحواز المدن أكثر من الأرياف والمناطق الجبلية البعيدة، فماهو نصيب المناطق الريفية من إصلاحات حكام هذه الدولة؟

استعان عبد المؤمن بن علي بخبراء الزراعة والفلاحة من أهل الأندلس، واهتم أبا يعقوب يوسف بغراسة البساتين وتخزين المياه اللازمة لها في صهاريج ضخمة[3]، كما حرص الموحدون على غرس أشجار كثيرة حول الصهاريج للتقليل من درجة تبخر المياه وتفريع هذه المياه لمجموعة جداول للسقي، إذ يسقي الجدول الواحد عشرة فراسخ في بعض المناطق[4].

وركز المنصور الموحدي جهوده في استصلاح الأراضي على بجاية والناصر على تلمسان وقسنطينة، ويبدو أن مساحة كل بحيرة كانت واسعة[5]، بالإضافة إلى اهتمام الولاة باستصلاح الأراضي وغرسها كما هو حال ولاة بجاية وتلمسان[6]، وهذه الإجراءات ساهمت في ازدهار البلاد[7].

كما نظم قانون الخراج زراعة الأرض[8] ولم يهمل جزءا من الأراضي الصالحة للزراعة وأصبح لزاما على الزُرّاع أن ينهضوا بزراعتهم ليفوا بما تتطلبه معايشهم وبما تستحقه الحكومة الموحدية منهم[9]، وهذه الإدارة المالية المحكمة هي التي حثت السكان على العمل والإنتاج.

ويبدو من الرسالة التي وجهها الخليفة يوسف بن عبد المؤمن إلى الطلبة الغزاة بإفريقية والمؤرخة عام 564هـ/1168_1169م، أنّها تدل على وجود إتصالات مستمرة بين السلطة المركزية والسلطة الجهوية بإفريقية[10]، ودليل على حرص الدولة واهتمامها بقطاع الزراعة وشؤونها.

وخلال **الفترة الحفصية؛** فقد شهد عهد أبا زكريا تشييد الكثير من القصور والحدائق والغروس[11]، ولمواجهة الظروف والأعداء المتربصين كان تأمين الغذاء أكبر شاغل لحكام الدولة الحفصية أيضا، فقبل حصار النصارى لتونس عام 669هـ/1270م كان السلطان المستنصر الحفصي عازما على سكنى

---

[1] _ يوسف عابد: **الموحدون في بلاد المغرب(515_595هـ/1120_1199م)، دراسة في الحياة الاقتصادية والاجتماعية**، أطروحة دكتوراه الدولة الدولة في التاريخ الإسلامي، إشراف عبد العزيز فيلالي، 2006_2007م، 352/2.

[2] _ قدور أحمد: **المدن الموحدية**، 114/1.

[3] _هشام أبو رميلة: **علاقات الموحدين بالممالك النصرانية والدول الإسلامية في الأندلس**، ط1، دار الفرقان للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 1404هـ/1984م، ص: 389.

[4] _ عز الدين أحمد موسى: **النشاط الاقتصادي**، ص:182.

[5] _**نفسه**، ص:184.

[6] _ حسن علي حسن: **المرجع السابق**، ص:237، أبو رميلة: **المرجع السابق**، ص ص: 389_390.

[7] _ الميلي: **المرجع السابق**، 334/2_335.

[8] _ ابن خلدون: **المصدر السابق**، 32/6، ابن أبي زرع: **المصدر السابق**، ص:137، 199، السلاوي: **المرجع السابق**، ص:56.

[9] _ عبد الله علي علام: **المرجع السابق**، ص:254، حسن علي محمود: **المرجع السابق**، ص:182.

[10] _ **رسائل موحدية**، 54/2، 56.

[11] _ ابن منصور: **المرجع السابق**، 170/1.

قسنطينة، إذ أمر بالحرث الكثير في جميع البلاد وكانت رماة المسلمين 40 ألفا[1]، والواضح أن هذا الحاكم الحاكم كان يسعى لتحقيق الأمن الغذائي لتلك الأعداد الكبيرة خوفا من حالات التمرد والعصيان، كما شهدت أيام السلطان أبا عصيدة هدنة وسلم، وفيها "**غرست الغراسات، وبنيت بها الأبراج وامتدت الآمال**"[2].

والواضح بأن جهود الحكام الحفصيين كانت جزئية في هذا الميدان، لأن أغلب المناطق الريفية كانت محل تجاذب وصراع مع الأطراف المنافسة للدولة، فأغلب المعلومات الواردة حولها تمس عناية الحكام بالبساتين السلطانية، فقد كان الأمير أبا زكريا بن السلطان المعلم أبي يحي قد بنى الرياض الجديدة بحوز بجاية، "**والتي أخذت بالحسن بطرف وحازت من بدائع الغرب ببعض طرف**"، بعد وصوله من حضرة أمير المسلمين أبا الحسن[3]، وأقام السلطان المتوكل على الله رياضا بظاهر قسنطينة يسمى بالدكان[4].

وفي عهد **الدولة الزيانية**؛ حرص السلطان يغمراسن على تشجيع المزارعين على خدمة الأرض بالمناطق الواقعة تحت نفوذه[5]، وشجع هذا الحاكم على استخراج المياه واستجلابها من خلال شق القنوات المائية وبناء الخزانات مثل الصهاريج الكبيرة وأمر بشراء المحاصيل من المزارعين لتخزينه في مطامير لوقت الحاجة[6].

وجهود الحكام كانت واضحة للعيان بشهادة أعدائهم من المرينيين، فقد جاء في الرسالة التي بعثها السلطان المريني أبا سعيد بن أبي يوسف يعقوب بن عبد الحق (614_637هـ/1217_1239م)؛ من منصورة تلمسان إلى سلطان الدولة المملوكية بالديار المصرية، محمد بن السلطان سيف الدين قلاوون، على لسان صاحبها بقوله:**<< فتملكنا ما دارت عليه الأسوار الخارجة، كقرار السبع والملعب وجميع الجنان والعروش التي ما انفك الشقي يجتهد في عمارتها ويتعب>>**[7]، وهذه الفترة كانت في عهد السلطان الزياني أبا سعيد عثمان بن يغمراسن (681_703هـ/1282_1303م) وابنه أبا زيان محمد.

وبعدما تمكن السلطان أبا زيان بن السلطان أبي سعيد بن يحي بن يغمراسن (703_707هـ/1303_1307م) من إخضاع قبائل الشرق(مغراوة)، واعتماد الأعراب وتأمين السبل أمر "**برم ما تثلم من أبنية رياضه وإحياء ما انقعر من غروسها مطاردة للأمل وطمأنينة للدنيا**"[8]، ولعل الازدهار والخصب الذي

---

[1]_ ابن قنفذ: **الفارسية**، ص:132.

[2]_ ابن الشماع: **المصدر السابق**، ص:83.

[3]_ النميري: **المصدر السابق**، ص ص: 268_269.

[4]_ ابن قنفذ: **المصدر السابق**، ص:163.

[5]_ ابن الأحمر: **المصدر السابق**، ص:38.

[6]_ خليلي بختة: **المرجع السابق**، ص:25.

[7]_ القلقشندي: **المصدر السابق**، 8/ 88_89.

[8]_ يحي بن خلدون: **المصدر السابق**، 212/2.

عاشته تلمسان في عهد السلطان أبا حمو موسى الأول(707_718هـ/1307_1318م)، دليل واضح على عناية هذا الأخير بها.

وكان السلطان أبا تاشفين "**ولعا بتحبير القصور وتشييد المصانع واغتراس المنتزهات مستظهرا على ذلك بآلاف عديدة من فعلة أسرى الروم**"[1]، وأغرى دولته بتشييد القصور واتخاذ الرياض والبساتين[2] من سائر أنواع الثمار[3]، وأولى هذا الحاكم أيضا عناية بالمنشآت المائية فقام بإنشاء الصهريج الأعظم[4]، الذي تمّ استغلال مياهه في ريّ البساتين الواقعة شمال المدينة[5]، ونتيجة لجهود هذا الحاكم في عمران بلاده من القصور والبساتين والحدائق والمنتزهات، فقد كان من أكثر سلاطين هذه الدولة آثارا[6].

وسعيا منهم لتحقيق الرخاء والأمن الغذائي والحد من تفشي ظاهرة الفقر، فقد حرص حكام الدولة الزيانية على تقوية الزراعة لأنها السبيل الوحيد لمواجهة جميع الأزمات التي تمس الحواضر والبوادي على حد سواء، ونلمح هذا الحرص في الوصايا التي صاغها السلطان أبا حمو موسى الثاني(760_761هـ/ 1358_1359م)[7] في كتابه "**واسطة السلوك**"، بقوله:<<**إن كان زمن القحط ومحل ومجاعة واقعة وأزل فترفق بهم في المخازن والمجابي، وتحسن لضعفائهم المحتاجين وتحابي وتؤثرهم مما ادخرته لشدائدهم في زمن الرخاء من فوائدهم، فتعمر أسواقهم بما اختزنته من الطعام مما يقام به أود الناس في ذلك العام فإذا كنت يا بني عاملا على هذا الأسلوب جلبت محبتك كل القلوب، ودعت لك الرعية ببقاء الدولة والتمهيد والنصر والتأبيد وفي ذلك الصلاح التام لدولتك والخير العام لرعيتك**>>.

ونلمح عناية الحكام الزيانيين بالنشاط الزراعي بالمناطق الجبلية البعيدة؛ فجبل أغبال الواقع بالقرب من وهران، سكانه كلهم من الفلاحين والحطابين، وكانوا في عيشة راضية يوم كانت المدينة بأيدي المسلمين، لكن عندما احتلها النصارى أصيب الجبليون بفقر مذقع ولحقهم أذى كثير من المحتلين[8]، كما حظيت القصور بعناية كبيرة من حكام هذه الدولة باعتبارها من المراكز العمرانية الريفية تجبى منها

---

[1] _ **نفسه**، 216/2، التنسي: **المصدر السابق**، ص:140، أنظر أيضا: ابن الخطيب: **الإحاطة**، 539/1، **اللمحة البدرية**، ص:**103**.

[2] _ابن خلدون: **المصدر السابق**، 142/7.

[3] _العمري: **المصدر السابق**، 125/4.

[4] _ التنسي: **المصدر السابق**، ص:140.

[5] –Richard I lawless :**Tlimcen capitale du Maghreb central,Analyse des fonctions d'une ville islamique médiévale**, Revue de l'occident musulman et de la méditérranée, N=°20, 1975, p.50.

[6] _الزركلي: **المرجع السابق**، 339/3.

[7] _موسى بن يوسف بن زيان العبد الوادي: **واسطة السلوك في سياسة الملوك**، مطبعة الدولة التونسية، 1279هـ، تونس، Indian Institute, OXFORD, 1886, ص ص: 87_88.

[8] _ الوزان: **المصدر السابق**، 44/2.

الخيرات الوفيرة، مثل قصر تمزيزدكت الذي كان موضع صيانة تامة من قبل حاكم تلمسان[1]، وكان هذا القصر يقع ضمن بلاد خصيبة صالحة للقمح وتحتوي على مراع كثيرة يجوب فيها الأعراب[2].

وخلال فترات **احتلال المرينيين للمغرب الأوسط؛** شهدت البلاد رخاءا وازدهارا نتيجة لعناية المرينيين بها[3]، فكان من جملة الإنشاءات المائية التي استفاد منها سكان المغرب الأوسط بحواضره وبواديه تلك القناطر التي أقامها أبا الحسن، مثل قنطرة وادي سطفسيف بتلمسان وقنطرة باب الجياد وسد سيرات وقنطرة ميناء، والتي أنفق فيها أموالا طائلة، فكانت من أهم الآثار التي خلدها حكام هذه الدولة[4].

ورفقا بالأيتام وخدمة لفقراء البوادي، سوّغ لهم أبا الحسن "**محرث زوجين ومجباها في كل وطن بحسب خراجه وجبايته وفيه كفايته حتى إذا بلغ حد الخدمة ألحق بمن عاده فلا يكاد يقع بصرك على يتيم في بلاد المغرب إلاّ وهو مكفول**"[5].

د_ سياسة الاقطاع وتوطين القبائل:

إذا كانت عملية الاقطاع متعلقة بالقبائل العربية والبربرية على وجه التحديد، فإلى أيّ مدى كان الاقطاع عاملا إيجابيا فيما يتعلق بتوطين القبائل؟ واستغلال الأراضي في الانتاج الزراعي والبستني؟

منذ عهد المنصور بن الناصر الموحدي باتت سياسة توطين القبائل من الوسائل الناجعة الخاصة بالدولة الموحدية خاصة بعد الفوضى التي طالت البلاد الشرقية جرّاء غزو بني غانية المتحالفين مع العرب والأغزاز، فلما حافظت زغبة على ولائها للموحدين كافأها المنصور بإقرارها على مشاركة بني باديس حلفاء الموحدين من زناتة في السكن بين المسيلة وقبلة تلمسان[6].

وسعيا من السلطان أبا الحسن لتأمين السبل في كامل مملكته، عمد إلى منح إقطاعات من الأراضي لتعميرها من قبل السكان، ثوابا على سكنى تلك المواضع أين يقومون فيها ببيع الشعير والطعام ومما يحتاج إليه المسافرون من الأدم وسائر مرافق المسافرين ودوابهم[7]، والمؤكد أن استقرار السكان بهذه المواضع، خاصة حول الأراضي المحيطة بتلمسان قد شكل عنصرا محفّزا على استغلالها في النشاط الزراعي خاصة وكذلك أعمال البستنة.

ولمّا كان بني عبد الواد الزناتيين أصدق ولاءا للموحدين فنالوا ثقتهم وحصلوا منهم على اقطاعات وفيرة بتلمسان واستقروا فيها[8]، وكانت هذه العملية وسيلة ناجعة لتحكم السلطان في القبائل واحتوائها،

---

[1] _ **نفسه**، ص ص: 11_12.

[2] _ مارمول: **المصدر السابق**، 293/2.

[3] _ محمد عيسى الحريري: **تاريخ المغرب الإسلامي والأندلس في العصر المريني(610_869هـ/1213_1465م)**، ط1،ط2، دار القلم للنشر والتوزيع، الكويت، 1405هـ/1985م، 1408هـ/1987م، ص:221.

[4] _ ابن مرزوق: **المسند**، ص:418.

[5] _ **نفسه**، ص:420.

[6] _ عز الدين أحمد موسى: **النشاط الاقتصادي**، ص ص:98_99.

[7] _ ابن مرزوق: **المصدر السابق**، ص:429.

[8] _ ابن خلدون: **المصدر السابق**، 7/97_100، أنظر أيضا: أو الضيف: **المرجع السابق**، ص:151، الميلي: **المرجع السابق**، 328/2.

فعبارة "**توبة الأعراب**" على حد تعبير محمد حسن[1]؛ تعتبر بداية اندماج القبيلة واستقرارها وهو ما يعني بدوره حاجتها إلى الأرض وزراعتها ويأتي إقطاع السلطان مناسبا لهذا السياق، ذلك أن الاقطاع مرتبط بحاجة المزارعين الجدد إلى الأرض تقابلها غاية مزدوجة للسلطان: تسكين هذه القبائل والتشجيع على زراعة الأرض وتعميرها.

واستعمال الدولة للنخب الريفية (شيخ القبيلة والمرابطين) ساهم في تغلغل نفوذها وثرائها باعتبار هؤلاء نخبا اقتصادية سواءً بإقطاعهم الأراضي أو باستخدامهم لجمع العائدات الجبائية من الأرياف[2].

والواضح أنّ تشجيع السلاطين على إحياء الموات كان إجراءً ناجعا من أجل إحكام سيطرتهم وضمان وفاء الجنود، وأيضا من أجل إخضاع الريفيين وربطهم بالأرض وإقرار القبائل في أقاليمها وتسهيل مراقبتها، وهذه الآلية سهّلت الحصول على المجابي كما ساهمت في توسيع سيطرة الدولة على الريف ومواجهة المجموعات الريفية[3].

ومن الأهمية بمكان الإشارة إلى أن الكثير من الأراضي الخصبة لم يخضع أصحابها لهذا النظام بسبب قوة جماعتهم أو عصبية قبيلتهم[4]، وهي من سمات المجتمعات الجبلية مثل سكان الجبال المحيطة بكل من: مليانة، القل[5]...إلخ، وكذلك القبائل القاطنة بجبال بجاية خاصة بعد سقوط المدينة في يد المسيحيين[6]، والسمة ذاتها تحلى بها سكان جبال كلا من دولة الجزائر وقسنطينة[7]، وجبل بني يزناسن وجبل مطغرة[8].

وحب الحرية الذي جبل عليه أهل جبل الأوراس طيلة العصر الوسيط[9] هو الذي جعل الوزان يشير يشير إلى أنه لا يستطيع أحد أن يتصل بسكان هذا الجبل لأنهم لا يريدون أن يعرف مسالك جبالهم، اتقاء من أعدائهم الأعراب ومن الأمراء المجاورين لهم[10]، والواضح أن هذا الرحالة لم يحتك هو نفسه بسكان المنطقة بدليل أن المعلومات التي أوردها على هذا الجبل كانت سطحية وبدون تفصيل.

*** <u>غياب السلطة فرصة للانتاج:</u>** الواضح أن ازدهار النشاط الزراعي والبستني لايتوقف فقط عند عناية الحكام وإصلاحاتهم، بل أحيانا نجد أن غياب السلطة فرصة للانتاج في بعض المناطق، وتشيد المصادر

---

[1] _ **المدينة والبادية**، 329/2.

[2] –Voguet : **Chefs de tribus**, p.377_378.

[3] – Voguet : **Appropriations et distributions de biens fonciers**, p.131_133.

[4] _ مزيان: **المرجع السابق**، ص:146.

[5] _ الوزان: المصدر السابق، 35/2، 54.

[6] _**نفسه**، ص:101.

[7] _ **نفسه**، ص، ص: 46، 104.

[8] _**نفسه**، ص: 43.

[9] _ البكري: **المصدر السابق**، ص:144، الدمشقي: **المصدر السابق**، ص:241، الإدريسي: **المصدر السابق**، ص ص: 164_165، الحميري: **المصدر السابق**، ص:65، 579، ابن سعيد: **المصدر السابق**، ص:145.

[10] _ **المصدر السابق**، 102/2_103.

بازدهار العديد من المناطق بفضل عناية السكان مثل **بني مزني**، من عرب الأثبج أشهر الأسر العربية التي انتقلت إلى إفريقية أحلافا لبني هلال في القرن 5هـ/11م.

وخلال الفترة الموحدية استقرّوا بقرية حيّاس إحدى قرى بسكرة حيث تناسلوا وكثروا وأخذوا مع أهل بسكرة بحظ وافر من تملك العقار والمياه[1]، ثم انتقلوا للإستقرار في المدينة مع أهلها من بربر بني رمّان حيث انضموا إلى مجلس الشورى بها[2]، وبعد اتساع إمارة منصور بن فضل بن مزني "**جرّد عن ساعد كفايته في جبايتها فلقّح عقيمها وتفجرت ينابيعها**"[3].

ونتيجة لاستقرار القبائل العربية ببلاد الزاب والأوراس وتسييرهم لحياتهم الاقتصادية والاجتماعية بعيدا عن إدارة السلط الحاكمة أثناء تلك الفترة، نرى كيف قاموا بتشييد العديد من القصور والقلاع والحصون، والتي زادت في الازدهار البستني والزراعي بالمنطقة[4].

وبالنسبة لواحات توات فقد كان لبعد هذه الأخيرة عن مراكز السلطة بشمال إفريقيا أثر كبير في تنوع عناصر سكانها، وفي خلق نظام من التسيير الذاتي لشؤونهم الداخلية من خلال خصوصية المجتمع التواتي الزراعي[5]، فنتيجة للتشتت السياسي والأزمة التي كانت تعيشها دول المغرب عامة قد فسح المجال لاستقلال دول الواحات وعدم خضوعهم لأي من السلط المركزية فهم "**أهل عديد وعدة وبعد عن هضيمة الأحكام وذل المغارم**"[6].

3_الهجرة الأندلسية ودورها في جلب اليد العاملة الفنية: بالرغم من تأكيد معظم الدراسات على الدور الحضاري للجالية الأندلسية ببلاد المغرب الأوسط من النواحي (الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والثقافية)[7]، إلاّ أنّ التواجد الأندلسي بالمغرب الأوسط يبدو ضعيفا إذا ما قورِن بمثيله في المغرب الأقصى الأقصى وتونس[8].

---

[1]_ابن خلدون: **المصدر السابق**، 586/6.

[2]_ أبو الضيف: **المرجع السابق**، ص:140.

[3]_ابن خلدون: **المصدر السابق**، ص:588.

[4]_ النميري: **المصدر السابق**، ص: 414_416، 426، 428_429، 442، 445 على التوالي.

[5]_أعفيف: **المرجع السابق**، ص ص:6_7.

[6]_**نفسه**، ص:71.

[7] _ من بين تلك الدراسات نذكر على سبيل المثال لا الحصر: محمد رزوق: **دراسات في تاريخ المغرب**، ط1، افريقيا الشرق، 1991، ص ص:32_65، مريم بوخاوش: **آثار سقوط الأندلس على بلاد المغرب الأوسط (6_10هـ/12_16م)**، أطروحة دكتوراه علوم في التاريخ الإسلامي الوسيط، إشراف مبارك بوطارن، المدرسة العليا للأساتذة، بوزريعة، 2014_2015م، ص ص:135_294، سعداني محمد: **الأندلوسيون وتأثيراتهم الحضارية في المغرب الأوسط من القرن 7_9هـ/13_15م**، أطروحة دكتوراه في التاريخ والحضارة الإسلامية، إشراف محمد بن معمّر، جامعة أحمد بن بلة، وهران، 1436_1437هـ/ 2015_2016م، ص ص: 120_210، محمد الأمين بلغيث: **الأندلسيون وآثارها بفحص الجزائر ومتيجة**، مقال ضمن كتاب دراسات وبحوث مغربية أعمال مهداة إلى أ.د: موسى لقبال الاعداد وتنسيق اسماعيل سامعي، عمارة علاوة، اشراف: بوبة مجاني، دار بهاء الدين ل ن.ت، قسنطينة،2008م، ص ص:161_175.

[8] _رزوق: **المرجع السابق**، ص:25.

والتواجد الأندلسي بالمغرب الأوسط تم عبر فترات[1]، ولعل أهمها تلك التي تمت خلال القرن 6هـ/12م[2]، لكن الموجة الكبيرة لمهاجري الأندلس تمت بعد سقوط غرناطة، وفي هذا الصدد يذكر ابن غالب نقلا عن المقري التلمساني[3] :<<**ولما نفذ قضاء الله تعالى على الأندلس بخروج أكثرهم عنها في هذه الفتنة الأخيرة المبيرة، تفرقوا ببلاد المغرب الأقصى من بر العدوة مع بلاد افريقية، فأما أهل البادية فمالوا في البوادي إلى ما اعتادوه وداخلوا أهلها وشاركوهم فيها فاستنبطوا المياه وغرسوا الأشجار واحدثوا الأرحيّ الطاحنة بالماء وغير ذلك، وعلموهم أشياء لم يكونوا يعلمونها ولا رأوها، فشرقت بلادهم وصلحت أمورهم وكثرت مستغلاتهم وعمتهم الخيرات، وأما أهل الحواضر فمالوا إلى الحواضر واستوطنوها**...>>، وهذه الشهادة تؤكد على الدور الكبير الذي أحدثته الهجرات الأندلسية وتأثيرها الايجابي في النشاط الزراعي والبستني لبلاد المغرب الإسلامي ككل.

استقر الأندلسيون بعد عام 897هـ/1491م بمعظم مناطق المغرب الأوسط شرقا وغربا، "...**فخرج أهل المرية إلى تلمسان...وخرج أهل دانية وأهل جزيرة صقلية في أربعة أيام إلى تونس والجزائر والقيروان...وخرج ما بقي من أهل غرناطة في خمسة عشر يوما إلى بجاية ووهران وبرشد زوالة ومازونة...**"[4]، وبحكم القرب الجغرافي وطرق المواصلات البحرية، كانت السواحل الغربية والوسطى هي الأكثر استقطابا لتلك الهجرات مثل: وهران، تلمسان، ومتيجة والجزائر[5]، وقد شكل التواجد الأندلسي عنصرا هاما فاكتظت المدن والأرياف بالجاليات الأندلسية[6]، ممّا انعكس إيجابا على وفرة اليد العاملة.

استقر أغلب الأندلوسيون الممتهنين للفلاحة بالمناطق الريفية، وكانت هذه الفئة تنتشر عبر سهول متيجة، ومرتفعات الساحل، وسفوح الأطلس أين مارسوا الزراعة وغرس الأشجار المثمرة[7]، وقد لعبوا دورا هاما في ازدهار النشاط الزراعي والبستني، ومن مجهوداتهم في هذا المجال أنهم قاموا بإحياء المنطقة الواقعة بأعالي الجزائر وتسمى بحي أو حومة الثغريين والقضاء على أحراش بوزريعة واستصلاح غابات المنطقة أيام علي بن يوسف بن تاشفين(500_537هـ/1106_1143م)[8]، كما قاموا باستصلاح الأراضي واستخراج المياه، ونظموا الرعي بفحص باب الوادي وفحص باب عزون[9].

---

[1] _**نفسه**، ص:51، مرين بوخاوش: **المرجع السابق**، ص:220_221، 241_250، بلغيث: **المرجع السابق**، ص ص: 162_163.

[2] _بلغيث: **المرجع السابق**، ص:162.

[3] _**نفح الطيب**، 152/3.

[4] _مجهول (ق9هـ): **كتاب نبذة العصر في أخبار ملوك بني نصر، تسليم غرناطة ونزوح الأندلوسيون إلى المغرب**، ضبطه وعلّق عليها ألفريد البستاني، ط1، مكتبة الثقافة الدينية، بورسعيد، 1463هـ/2002م، ص:48.

[5] _المقري: **المصدر السابق**، 528/4.

[6] _مريم بوخاوش: **المرجع السابق**، ص:282.

[7] _**نفسه**، ص:273.

[8] _بلغيث: **المرجع السابق**، ص:162، أنظر أيضا: بوخاوش: **المرجع السابق**، ص:324.

[9] _ بلغيث: **المرجع السابق**، ص:170.

وخلال منتصف القرن 6هـ/12م كانت بجاية الناصرية محطة استقرار سكان المرية، ثم تحولوا بعدها إلى فحص الجزائر أين كان استقرارهم ببساتين تامنتفوست لقرب سهول المنطقة من المرافئ البحرية للجزائر الشرقية[1]، وعمد الندلوسيون المستقرين بمدينتي القليعة والبليدة إلى استغلال الأراضي المحيطة بوادي الزعفران، وغرسوا بها أشجار البرتقال والتوت فازدهرت بها الصناعة والزراعة[2].

والجدير بالذكر أن هذا النشاط لم يمارس فقط من قبل الطبقة المتوسطة وعامة الناس؛ بل كان هناك من رجال المال وأصحاب الجاه والرفاه من الأندلسيين الذين بلغوا حظوة كبيرة والتمتع بالاستقلالية التامة في الدولة العبد الوادية واعتنوا بالفلاحة وهؤلاء هم بنو ملاح الذين وفدوا على بغمراسن بن زيان من قرطبة، وتولوا مناصب هامة في هذه الدولة[3]، وقُتِلوا مع أبي حمو موسى الأول عام 718هـ/1318م وانتهبت أموالهم[4].

كما نالت العامة وفئة الفلاحين من الجالية الأندلسية نصيبها من ضواحي تلمسان وأحوازها لاسيما وادي الوريط، فانتشروا على ضفتيه وشيدوا قرى وبساتين...وغرسوا الحقول والمزارع المختلفة الثمار[5].

عمد الأندلوسيون أيضا إلى إعمار واستصلاح العديد من الأراضي وبناء المدن التي اكتسبت قيمتها الزراعية مثل مدينة القل التي بناها حسان باشا وسكانها من قشتالة والأندلس وبلنسية[6]، واستفاد سكان المدينة من خبرة الأندلسيين في تربية دودة القز وإنتاج الحرير فكانوا يكسبون ثروات عظيمة من هذا النشاط البستني[7].

وتم استصلاح شرشال أيضا والسهل المحيط بها على أيدي المدجنين وأهل تاكارت ومسلمي الأندلس حتى صارت لهم الأراضي المزروعة الممتدة، كما قاموا بغرس عدد من أشجار التوت لتقتات منها دودة القز وصار الحرير أهم مواردهم لأن البلد طيب لمثل هذا النشاط[8]، وعملت الجالية الأندلسية على تشييد الكثير من القرى التي وصلت حتى جبل بيدر وإلى مدشر (الشولي) وعين تالوت وعين فزة وغيرها من المداشر بضواحي تلمسان وأحوازها[9].

ونتيجة للتقنيات المتطورة التي اعتمدها الأندلوسيون، فقد ساهموا في تحسين أنواع عديدة من الأشجار المثمرة كالعنب، البرتقال، الزيتون، التفاح، الجوز، اللوز والمشمش[10].

---

[1] _نفسه، ص:163.

[2] _مريم بوخاوش: **المرجع السابق**، ص:324.

[3] _ابن خلدون: **المصدر السابق**، 140/7_141.

[4] _الميلي: **المرجع السابق**، 454/2.

[5] _فيلالي: **المرجع السابق**، 176/1.

[6] _مارمول:**المصدر السابق**، 362/2.

[7] _**نفس المصدر** والصفحة.

[8] _**نفسه**، ص:356.

[9] _فيلالي: **المرجع السابق**، ص:176.

[10] _بلغيث: **المرجع السابق**، ص:170، مريم بوخاوش: **المرجع السابق**، ص ص:325_326.

4_انتعاش الحركة التجارية: ارتبط النشاط التجاري الريفي بشكل أساسي بالنقل البري، الذي تحكمت فيه جملة من العوامل كوفرة الدواب، الاستقرار والأمن...إلخ[1].

وكانت الطرق الرئيسية تمر بالمناطق الأكثر نشاطا لإفريقيا الشمالية خلال هذه الفترة[2]، وما زاد في انتعاش الحركة التجارية بين المدن والأرياف والبوادي هو ارتباط معظم القرى بالمدن والحواضر الكبرى، كما أنّ وقوع معظم القرى على أهم الطرق التجارية واحتوائها على أسواق دائمة ومعلومة[3]، دليل على ثرائها بمختلف المنتجات.

ولا يتعلق الأمر بالقرى فحسب؛ بل إنّ الأمر يشمل حتى سائر المراكز العمرانية الريفية الأخرى من حصون، قلاع، قصور،...إلخ[4]، والتي زاد من أهميتها الفلاحية هو ارتباطها بشبكة من الطرق البرّية الحيوية التي ربطت أرياف المغرب الأوسط بمختلف الآفاق.

ونتيجة لذلك الازدهار فقد تحولت العديد من القرى العامرة إلى شبه مدن متحضرة، مثل وارجلان التي باتت من أهم المنافذ التجارية، فازداد عدد سكانها واستقرت العديد من القبائل وتحولت من حياة الترحال إلى الاستقرار، مثلما هو الحال بالنسبة لقبائل لواتة ومزاتة وسدراتة وهوّارة ولمايّة، التي استقرت في القرى حول تاهرت وتركوا حياة الرعي والترحال[5].

وإلى جانب الازدهار الفلاحي بواحات توات، فقد زاد من قيمتها الاقتصادية وازدهارها، هو وقوعها ضمن أهم الخطوط التجارية بين المغرب والسودان، وخلال القرن 8هـ/14م، كانت المسالك المارة بها تعرف نشاطا وانتعاشا على حساب المسالك الغربية، وكانت أهم القصور التي تمتلك وضعا متميزا في التجارة هو قصر تمنطيت أقدم قصور الواحات ومقر الجالية اليهودية[6]، بل إن موقع هذه الواحات في حد حد ذاتها قد جعلها مهيئة بصورة طبيعية لتكون محطة هامة في طريق القوافل التجارية سواء العابرة من الشمال إلى الجنوب، أو المتجهة من الغرب إلى الشرق[7].

---

[1]_ كمال استيتو، مصطفى نشاط: **الديموغرافيا التاريخية في أدب الرحلة**، مجلة كنانيش، مجلة متخصصة في الديموغرافيا التاريخية، منشورات كلية كلية الآداب والعلوم الأنسانية، جامعة محمد الأول، العدد 3، 2001م، ص:174_175.

[2]– Claudette Vanacker : **Géographi économique de l'afrique du nord, selon les auteurs arabes du 9eme siécles aux millieu du 12eme siécles**, Annale E,S,C, Année 1973, Vol : 28, N=°3,p.663.

[3]_ **أنظر ص ص: 345_347 من الفصل الثالث.**

[4]_ **أنظر: ص ص: 48_56 من الفصل التمهيدي.**

[5]_ أبو المعاطي: **الملكيات**، 2/ 512.

[6]_أعفيف: **المرجع السابق**، ص:70.

[7]_**نفسه**، ص:6.

المبحث الثاني: معوّقات النشاط الزراعي والبستني:

المطلب الأول: العوامل الطبيعية:

1. التقلبات المناخية (المناخ القاسي):

الواقع أن اختلاف المناطق في طبيعة العيش والغذاء وكل ما تجود به الطبيعة، إنما يكون بسبب اختلاف المناخ، فرغم أنّ مناخ البحر الأبيض المتوسط يساعد على تنوع المنتجات الفلاحية؛ إلاّ أنه يطرح صعوبات عديدة للحياة الزراعية وخاصة البستنية، نتيجة لعدم انتظام التساقط وتذبذب سقوط الأمطار[1]، ويقدم الوزان[2] إشارة هامة حول هذا الموضوع بقوله: **<<إذا لم ينزل مطر فيما بين 25 أبريل و5 ماي تضرر محصول السنة كثيرا >>.**

ومن أكثر المناطق المتضررة من المناخ القاسي هي تلك الواقعة ضمن المناخ القاري الذي يشمل أراضي النجود والأطلس الصحراوي الذي يمتاز بفوارق حرارية يومية وشهرية متطرفة وأمطار قليلة ورطوبة نسبية[3]، ففي فصل الشتاء تنخفض درجة الحرارة في المنطقة ليلا ونهارا إلى درجة الصفر والبرودة الليلية التي تؤثر على مساحات التربة وتقضي على كل ما هو حيّ، وهذا الصقيع يؤثر على الزراعة، وفي فصل الصيف فإن الحرارة والتبخر منتشرة كثيرا[4].

والتطرف المناخي لمنطقة الهضاب العليا يعود أساسا لهوائها الجاف لأن جبال الأطلس التلي تمسك عنها السحاب وجبال الأطلس الصحراوي لتفرقها لا تمسك عنها الرياح السمائم[5]، وهذه الاضطرابات المناخية تؤثر سلبا على المردود الفلاحي بشكل عام.

أما عن المناخ الصحراوي فيسوده الجفاف طول العام ممّا يعيق الحياة الزراعية والبستنية بها ماعدا بعض الواحات، لذلك نجد أن وفرة الأمطار وقلتها ببلاد المغرب الأوسط قد فرضت تخصصا في بعض المناطق بنوع معين من الإنتاج الزراعي.

2. الكوارث الطبيعية (الجوائح)*:

تتعرض المحاصيل للكثير من الجوائح، فما أصاب الثمرة من السماء مثل البرد والقحط وضده، والعفن والعطش فهو من الجوائح وكذلك الجيش[6]، وهي من العوامل التي تؤثر سلبا على مردودية

---

[1] _الوزان: **المصدر السابق**، 1/79_81، مارمول: **المصدر السابق**، 1/31_32.

[2] _**المصدر السابق**، 1/79.

[3] _ حليمي: **المرجع السابق**، ص:94.

[4] _Gsell: op_sit,p:42.

[5] _الميلي: **المرجع السابق**، 1/53.

(*) الجائحة هي الآفة أو المصيبة التي تجتاح الأموال والثمار وتأتي عليها، وقد عرّفها الفقهاء بأنها: "كل أمر لا يمكن دفعه ولا يقدر على الاحتراز منه كالريح والمطر والبرد والجليد والطير والدود والعفن والنثرية والنار، أي أنّ الجائحة في عرف الفقهاء: من أمر السماء لا من فعل الناس، وإذا كان الفقهاء يختلفون حول اعتبار ما يترتب من الأفعال البشرية جوائحا، فإنهم يتفقون على الأضرار المترتبة عن تقلبات الطبيعة تدخل

المحاصيل، كما كانت الأجنة[1] والمزارع[2] عرضة للحرائق، والسيول[3]، فإذا أصابت الجائحة من الثمرة ثلثها فصاعدا أسقط عن المبتاع من الثمن بقدر ذلك، وإن كانت دون الثلث لم يضع منه لذلك لا قليلا ولا كثيرا[4]، ما عدا جائحة البقول فلا ينظر فيها إلى الثلث على قول مالك[5]، فقيل في القليل والكثير[6].

والواضح أنّ الفلاحة هي أولى القطاعات المستهدفة من هذه الكوارث الطبيعية، ذلك أن تعرض الزرع للآفة (الجائحة)؛ يتسبب في هلاكه[7]، وحول إصابة الزرع بالجوائح أو الآفة، فقد انقسم الفقهاء بين من يرى ضرورة تقاسم العتاد والقيمة بين المتشاركين في الزرع فيما تمكن فيه؛ وبين مالا يدرك كل واحد منهم على الآخر شيئا أو من مات منهم فورثته بمقامه[8].

وكثيرا ماكانت الجوائح تحدث نزاعات بين الفلاحين، لذلك فقد كان الفقهاء والقضاة يطلبون من الفلاحين المُجَاحة أراضيهم تقديم دليل ملموس على مايدعونه عن طريق الشهود[9]، مع التأكيد على ضرورة تحرير عقود خاصة بالجوائح[10]، وعموما يمكن حصر هذه الأزمات الطبيعية في:

أ_ الجفاف والقحط: كانت الأزمات الطبيعية بمختلف أنواعها ظاهرة ملازمة لتطور المجتمع المغربي، وإن كانت الأزمة الأكثر ترددا هي الجفاف وما يرافقه من مجاعات وصعوبات[11].

ولمّا كانت معظم أرياف المغرب الأوسط تعتمد في النشاط الزراعي على السقي بالأمطار بشكل أساسي[12]، فكان لتوقف سقوطها الأثر الكبير في تردي الزراعة وتراجع المحاصيل[1]، مما يعرض المنطقة

في باب الجوائح. أنظر: محمد عمارة: **المرجع السابق**، ص:139، بولقطيب: **المرجع السابق**، ص:26، قلعة جي، قنيبتي: **المرجع السابق**، ص،ص:36، 157.

[6]_ابن رشد الجد: **فتاوى ابن رشد**، 1614/3، أبو الوليد محمد بن أحمد بن رشد الحفيد: **شرح بداية المجتهد ونهاية المقتصد**، وبهامشه السبيل المرشد إلى بداية المجتهد ونهاية المقتصد، شرح وتحقيق وتخريج: عبد الله العبادي، ط1، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، 1416هـ/1995م، 1698/3، فتوى محمد بن العباس، المازوني: **الدرر المكنونة**، 49/2ظ.

[1]_فتوى أبراهيم العقباني(ق9هـ)، الونشريسي، **المصدر السابق**، 104/5.

[2]_فتوى سعيد العقباني(ق9هـ)، المازوني: **المصدر السابق**، ورقة 84ظ.

[3]_فتوى بعض الشيوخ، **المصدر السابق**، 164/8.

[4]_سحنون: **المدونة**، 581/3، 586، ابن أبي زيد: **النوادر والزيادات**، 203/6، أبو الوليد سليمان بن خلف الباجي الأندلسي: **فصول الأحكام وبيان ما مضى عليه العمل عند الفقهاء والحكام**، تحقيق وتقديم محمد أبو الأجفان، ط1، مكتبة التوبة، الرياض، السعودية، دار ابن حزم لط،ن،ت. بيروت، لبنان، 1422هـ/2002م، ص:226، أبا إسحاق إبراهيم بن أحمد بن عبد الرحمن الغرناطي: **الوثائق المختصرة**، تحقيق إبراهيم بن محمد السهلي، ط1، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، 1432هـ/2011م، ص:184.

[5]_سحنون: **المصدر السابق**، 587/3، الغرناطي: **المصدر السابق**، الصفحة نفسها.

[6]_ابن أبي زيد: **المصدر السابق**، 203/6، ابن رشد الحفيد: **المصدر السابق**، 1700/3.

[7]_ الفرسطائي: **المصدر السابق**، 376/6.

[8]_ **نفسه**، ص:331.

[9]_بولقطيب: **المرجع السابق**، ص:27.

[10]_الغرناطي: **المصدر السابق**، ص ص:183_186، أبا محمد عبد الله بن عبد الله بن سلمون الكناني: **العقد المنظم للحكام فيما يجري بين أيديهم من العقود والأحكام**، عناية وتعليق: محمد عبد الرحمن الشاغول، ط1، دار الآفاق العربية، القاهرة، 2011م، ص ص: 294_297.

[11]_المغراوي: **المرجع السابق**، ص:155.

[12]_الوزان: **المصدر السابق**، 81/80/1، مارمول: **المصدر السابق**، 31/1_32.

لحالة جفاف، فينتشر القحط فيلحق خسائر فادحة بالمحاصيل مع ما يصاحبه من مجاعات وغلاء في الأسعار إذ "**كثيرا مايتسبب الصر أو القحط في إحداث أضرارا جمة بالزرع**"[2].

والجدول التالي يمثل أهم سنوات الجفاف والقحط التي طالت مجال المغرب الأوسط (5_10هـ/11_16م) والآثار المترتبة عنها:

السنة	النص الخاص بالجفاف والقحط	المصدر والصفحة
407هـ/ 1016م	"كان بالمغرب والأندلس وافريقية قحط شديد ومصغبة عامة ووباء كثير"	ابن أبي زرع: روض القرطاس، ص:118
418هـ/ 1027م	"اشتد القحط ببلاد المغرب كلها من تيهرت إلى سجلماسة وكثر الفناء في الناس"	نفس المصدر والصفحة
537_ 541هـ/ 1142_ 1146م	"كان قد حصل بافريقية غلاء شديد حتى أكل الناس بعضهم بعضا ودام من 537_541هـ، ففارق الناس القرى ودخل أكثرهم جزيرة صقلية..."	أبو الفدا: المختصر في أخبار البشر، 28/3.
542هـ/ 1147م	"فيها كان الغلاء المفرط بل وقبلها بسنوات بافريقية حتى أكلو لحوم الآدميين"	الذهبي: العبر في خبر من غبر، 461/2
543هـ/ 1148م	"فيها كان شدة القحط بافريقية فانتهز رجار صاحب صقلية الفرصة وأقبل في 250 مركبا واستولى على المهدية..."	المصدر نفسه، ص:464
571هـ/ 1175م	"كان بافريقية هذا العام من قلة اصابتها وخلو مخازنها..."	رسائل موحدية، 159/1
رمضان 590هـ/	"في رمضان من هذه السنة كثر حمل الغلة من البحيرة (مصر) إلى بلاد المغرب لشدة الغلاء بها"	المقريزي: السلوك

[1] _**نفسه**، ص:81.

[2] _ابن رشد الجد: **الفتاوى**، 1284/3.

1194م		لمعرفة دول الملوك، 233/1.
591_ 592هـ/ 1196م	فيها "ورد الخبر بأن عربان الغرب (المغرب) الذين نزلوا إلى البحيرة لشراء القمح (كل ويبة بدينار)، وكانت بلاد الغرب قد عدمت فيها الأقوات في السنة الخالية وانقطعت عنها الأمطار في السنة الحاضرة".	المصدر نفسه، ص:244.
610هـ/ 1214م	"ووقع مجاعة ببجاية...إلى أن أخصب الناس في العام التالي"	الغبريني: الدراية، ص:135، التادلي: التشوف، ص:429، رسائل موحدية، 182/2
617هـ/ 1220م	"فيها كان الغلاء الشديد بالمغرب والقحط والجراد"	ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص:573
624هـ/ 1226م	"اشتد الغلاء بالمغرب والأندلس فبيع قفيز القمح ب15 دينار"	ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص:573
630هـ/ 1232م.	"فيها خلت بلاد المغرب وكثر فيها الجوع والوباء، وصل فيها وسق القمح 30دينار"	المصدر نفسه، ص:276

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

I½ ق7هـ/ 14م	أصاب الناس ببجاية "جفوف عظيم وقلت المياه وجف أمسيون ووصل الزق إلى أربعة دراهم وكان الناس يملؤون الماء من الوادي الكبير..."	الغبريني: المصدر السابق، ص:149، التنبكتي: نيل الابتهاج، ص:320.
679هـ/ 1280م.	"في هذه السنة رأى الناس آية عظيمة في الزرع، أكل القمح فريكا ثم عدم في سنبله، فإذا حصد جمعت الأغمار ولم يوجد فيها شيء فكان البقر الذي أكل ذلك الزرع تلف وكان ذلك في جميع افريقية"	الزركشي: تاريخ الدولتين، ص ص:44_45
آخر 687هـ/ 1288م.	"كانت الريح الشرقية المتوالية والقحط الشديد وتوالا ذلك إلى آخر عام تسعين، فحرث الناس عند ذلك وحصدوا ما حرثوه من زرع عن أربعين يوما"	ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص:408
693هـ/ 1294م.	"فيها كانت المجاعة الشديدة والوباء العظيم بالمغرب وافريقية ومصر، هلك فيها خلق كثير وبلغ القمح فيها عشرة دراهم للمد، والدقيق ست أواقي بدرهم، ثم دخلت 694هـ فيها صلح أمر الناس ورخصت الأسعار"	ابن أبي زرع: روض القرطاس، ص:409، انظر أيضا: ص:384.
723هـ/ 1323م.	"وفيها كان القحط واستسقا الناس وارتفع السعر وبدأت المجاعة"	المصدر نفسه، ص، ص:401، 413
724هـ وصدر من 725هـ/	"كانت المجاعة بالمغرب وارتفع السعر في جميع البلاد وغلت الأسعار في جميع الأمصار، فوصلت صحفت القمح تسعين دينار ومد القمح خمس عشرة درهما، والدقيق أربعة أواقي بدرهم، واللحم خمسة أواقي بدرهم، والزيت أوقيتان بدرهم، والعسل كذلك، والسمن أوقية ونصف بدرهم، وعدمت الخضر	المصدر نفسه، ص:401

1324_ 1325م.	بأسرها"	
825هـ/ 1422م.	"فيه ورد الخبر بأن المطر تأخر نزوله ببلاد افريقية وأن الغلاء بها موجود"	الظاهري: نيل الأمل، ق4، ج1، ص:112

التحليل:

_ يتضح من المؤلفات المصدرية الطابع الدوري والمنتظم لظاهرة الجفاف والقحط التي تجتاح بلاد المغرب الأوسط على وجه التحديد، وإن كان أغلبها تشير إلى عموم بلاد المغرب وكذلك إفريقية المشتملة على الأطراف الشرقية لبلاد المغرب الأوسط.

ولمّا كانت فترات الجفاف مرتبطة أساسا بالتقلبات المناخية، لذلك نجد أن هذه الظاهرة لاتجتاح فقط المناطق الجافة وشبه الجافة، بل حتى المناطق الساحلية والقريبة من السواحل كانت عرضة لهذا النوع من الكوارث الطبيعية مثل بجاية وتلمسان.

_ القرون التي استأثرت بالقسط الأكبر لهذه الظاهرة مع ماكانت تخلفه من آثار مادية هي القرنين 5و6هـ/11_12م، وهو ما أثار عدة أزمات اقتصادية وكوارث، فقد عاش المغرب الأوسط وافريقية من نهاية ق5هـ إلى نهاية ق6هـ فقط؛ أربع فترات للجفاف والذي أثر على البنى الزراعية ودمّر الحياة الزراعية ليخلف آثار سلبية على اقتصاد البلاد خصوصا في السنوات الأخيرة من النصف الأول للقرن 6هـ/12م[1].

_ونجد أنّ القرن 7هـ/13م أيضا قد شهد موجات متكررة من حالات الجفاف والقحط، والواضح أنه استأثر بجزء كبير من التأريخ لهذا النوع من الكوارث، ولعل الأمر مرتبط أساسا بطبيعة المصادر التي أرّخت لهذه الفترة بالتحديد.

_ حالات الجفاف التي عاشتها بلاد المغرب الأوسط خلال هذه الفترة لا ترتبط بانحباس الأمطار وبالتالي حدوث القحط، وإن كانت السبب الرئيسي، بل أيضا يزيد في استفحالها ظواهر مرافقة لها مثل الجراد والرياح الجافة، فكثيرا ماكانت تساهم هذه الأخيرة في تفاقم الخطر بسبب الأضرار التي تحدثها بالمحاصيل وحياة الإنسان واقتصادياته.

_ وعلى صعيد آخر نلمح الحضور الدائم لكرامات الصلحاء أثناء فترات الجفاف والمسغبة التي يعيشها معظم سكان المغرب الأوسط حتى أواخر العصر الوسيط[2]، مع تركيز المصادر على مجالات محددة في

[1]_Allaoua Amara: **retour à la problématique**, p.9_11.

[2]_ أنوّه هنا بالدور الذي قام به الولي الصالح سيدي محمد بن عبد الجبار بن ميمون بن هارون المسعودي الفجيجي (ت950هـ)، في عام أخذ النصارى لتلمسان، ولهذا الولي زاوية في وطنه المعروف بحدوش من تاسّالة.أنظر: ابن مريم: **المصدر السابق**، ص ص:217_218.

أغلب الأحيان وبالضبط ضمن الحواضر الكبرى، فببجاية نلمح كرامة الفقيه الصالح أبو الحسن على بن أحمد بن الحسن بن ابراهيم الحرالي التجيبي* (ت638هـ/1241م)، في سقوط الأمطار بعد الجفاف العظيم الذي طال بجاية في فترة حياته[1]، واستسقى أهل تلمسان بأبي زكرياء بن يوغان الصنهاجي (ت537هـ/ 1142م)**، حين أصاب القحط سكان تلمسان في فترة حياته، فسقوا بفضل كرامة الشيخ على حد تعبير صاحب كتاب التشوف[2].

والطابع الدوري للجفاف والقحط، لم ينحصر في الالتفاف حول الصلحاء والمتصوفة فحسب، بل إنّ المجتمع (سلطة ورعية) بات دائم التأهب لمثل هذه الكوارث، عن طريق تخزين الزرع في الأهراء؛ الريفية[3] أو بداخل المدن[4]، بل إنّ الملعب الكبير بخارج تلمسان كان إلى جانب استخدامه في سباقات الخيل والاستعراضات العسكرية، كانت تقام به صلاة العيدين والاستسقاء في أيام الجذب والجفاف[5].

_ ومن خلال الجدول نلمح عزوف المصادر التاريخية تحديدا عن الإشارة إلى الأضرار المباشرة على النشاط الزراعي والبستني بسبب الجفاف وإنما اكتفى مؤلفو هذه المصادر بالإشارة فقط إلى حدوث المجاعات كدليل واضح وبديهي على قلة إنتاج الأقوات التي مصدرها المحاصيل الزراعية، وعلى رأسها المادة الغذائية الاستراتيجية وهي "القمح".

_كان الغلاء والتهاب أسعار القمح نتيجة حتمية لظاهرة الجفاف والقحط، فما تفتئ المؤلفات المصدرية التي تؤرخ للجفاف إلاّ وتشير "**للغلاء**" وتسعيرة بيع "**القمح**"، كما أن لجوء الدول الحاكمة لاستيراد هذه المادة الغذائية من صقلية، مصر،...الخ، دليل على أنّ خطر الجفاف كان كارثة عامة تداهم أقاليم المغرب الإسلامي أجمع.

_كان سكان الأرياف والبوادي أكثر عرضة لانعكاسات المجاعة والقحط من أهل الحواضر، لأن هؤلاء لايجدون ما يقتاتونه رغم اشتغالهم بالزراعة، فيما تخزن المدينة الطعام الوافد إليها من الريف، ممّا يجعل أهل البادية في تبعية للحضر فيما يتعلق باقتناء الأقوات[6].

(*) كان بدء أمره بمراكش ثم تخلى عن الدنيا ورحل إلى المشرق ولقي هناك جلة العلماء ونقاية الفضلاء، وهو صاحب كرامات عديدة تجلت معظمها أثناء إقامته ببجاية، مثل كرامة سقوط المطر بفضل دعواته، وكرامة سد الفاقة والحاجة لأصحاب العوائل،...إلخ. أنظر: الغبريني: **المصدر السابق**، ص، ص: 143، 148_149.

[1] _الغبريني: **المصدر نفسه**، ص:149.

(**) تلميذ أبي محمد عبد السلام التونسي، وكان من أمراء صنهاجة، ولما تاب ابن بوغان أقبل بهمته على الله تعالى وزهد في الدنيا وانتهى إلى أعلى مقامات، الأولياء، ولما مات أبو محمد عبد السلام التونسي، انتقل ابن بوغان من تلمسان إلى الصحراء، بعدها عاد لتملسان مدة شهرين ثم مات ودفن بالعباد في روضة عبد السلام التونسي، أنظر: ابن الزيات: **المصدر السابق**، ص ص: 123_124.

[2] _ ابن الزيات: **المصدر نفسه**، ص:124.

[3] _ابن أبي زرع: **المصدر السابق**، ص:401.

[4] _ابن مرزوق: **المناقب المرزوقية**، ص:190.

[5] _فيلالي: **المرجع السابق**، 153/1_154.

[6] _محمد حسن: **المدينة والبادية**، 627/3.

_تنعدم الإشارات حول الأضرار المترتبة على الأرياف لأن الجفاف والقحط كان عاما وشاملا بدليل ترابط المجالات الريفية والحضرية، فقلة الأقوات وانتشار المجاعات كانت تؤدي إلى الهجرة من الأرياف إلى المدن، مثل المجاعة الشديدة التي أصابت بجاية في فترة حياة الولي الصالح أبو زكريا يحي بن علي الزواوي (ت611هـ/1214م)*، والدور الذي لعبه في التخفيف من حدة هذه المجاعة عن طريق كراء فندق لايواء المساكين والمتسولين ومنحهم(لباس، أكل،...الخ) وجعل عليهم فيما يقوم بهم وأغناهم عن السؤال إلى أن أخصب الناس في العام الثاني فانصرفوا إلى مواضعهم[1].

ونلمح جهود الصلحاء في تقديم القمح وسائر المواد الغذائية للسكان[2]، إلى جانب جهود الحكام في مواجهة الكوارث[3]، من خلال فتح الأهراء لعامة الناس، بل إنّه في مثل هذه الظروف ورغم سيطرة المدينة على الريف، نجد أن حالة المجاعات الشديدة تسبب في انقلاب الوضع، ففي عهد السلطان أبي سعيد عثمان الأول، "**تعرضت تلمسان لغلاء كبير حتى تعطلت منه المساجد وانغلقت، وبعث السلطان لأهل البلد وطلبهم في الزرع للشراء فلم يجده عند أحد**"[4]، والمجاعة العظيمة التي ضربت تلمسان عام 776هـ/1374م[5].

إنّ ظاهرة الجفاف والقحط لا تتسبب في الهجرة الداخلية فحسب، بل كان لها دورا في الهجرة الخارجية أيضا مثل جفاف عام 537هـ/1142م و541هـ/1146م، وفي عام 430هـ/1038م، وقعت مجاعة شديدة في بلاد طرابلس لشدتها سميت بسنة "فروارر"، وانجلى أهل طرابلس في الآفاق[6] والمرجح أن أراضي المغرب الأوسط وواحاته خصوصا كانت ملجأ لتلك الهجرات.

_ يتضح من موجات الجفاف والقحط الآنفة الذكر أيضا، أن تأثيرها كان بالغا على اقتصاد السلط الحاكمة مما تسبب في إضعافها وتعرضها للغزو مثل غزو روجار بسبب جفاف 542هـ/1147م و543هـ/1148م، وشراء قمح صقلية وأيضا ضعف الدولة الموحدية وانشطارها خلال القرن 7هـ/13م.

ب_ <u>الجراد</u>: يعتبر الجراد من الآفات الضارّة التي تتسبب في إحداث أضرار جمة للزراعة والفلاحين، نتيجة للخسائر التي تستهدف الإنتاج الزراعي والبستني وحدوث المجاعات، ففي سنة 406هـ/1087م التي عمّها الجراد هلك كل ما فيها من الزروع والمحاصيل[7].

(*) من أهل أمسيون: خارج مدينة بجاية، وبه مات بعد صلاة العصر من يوم الجمعة، رحل إلى المشرق فأخذ عن العلماء ثم عاد إلى المغرب وكان عبدا صالحا زاهدا ورعا شديد الخوف من الله، وكان له كرامات عديدة ومن أعمال البر والخير الشيء الكثير، أنظر: ابن الزيات: **المصدر السابق**، ص ص:428_429.

[1] _ ابن الزيات: **المصدر نفسه**، ص:429.

[2] _الغبريني: **المصدر السابق**، ص:148، ابن مرزوق: **المناقب المرزوقية**، ص ص:190_191.

[3] _ابن أبي زرع: **المصدر السابق**، ص:401.

[4] _ابن مريم: **المصدر السابق**، ص:307.

[5] _ فتوى قاسم العقباني(ق9هـ)، الونشريسي، **المصدر السابق**، 99/5، 100، السلاوي: **المرجع السابق**، 83/4.

[6] _ الدرجيني: **طبقات المشايخ**، 403/2، الشماخي: **السير**، 163/2.

[7] _ابن أبي زرع: **المصدر السابق**، ص:116.

وشهدت بلاد المغرب عام 624هـ/1228م موجة جراد، الذي أتى على المحاصيل بجميع أنواعها فارتفع ثمن القمح والمواد الغذائية[1]، وفي عام 677هـ/1278م "**فيها كان الجراد العام بالمغرب، أكل الشجر والزرع ولم يترك خضراء على وجه الأرض، وبلغ القمح عشرة دراهم للصاع**"[2].

والملاحظ أنّ خطر زحف الجراد يتفاوت من سنة لأخرى حسب آثاره، وإن كانت المصادر تعزف أحيانا عن ذكر الأضرار الناجمة عنه مثل الجراد الذي اجتاح بلاد المغرب عام 624هـ/1227م[3]، إلاّ أنّ هناك هناك من السنوات من تشهد تلازما واضحا بين كارثة القحط وآفة الجراد، ففي عام 617هـ/1220م؛ "**كان فيها الغلاء الشديد بالمغرب والقحط والجراد**"[4].

إذا كانت كرونولوجيا الجراد الآنفة الذكر قد استهدفت بلاد المغرب الإسلامي ككل والمرجح أن بلاد المغرب الأوسط لم تكن بمنأى عنها، إلاّ أنّ هناك موجات من الجراد قد استهدفت بلاد المغرب الأوسط بالتحديد، مثل الجراد الذي اجتاح قرية "**تين يسلي**" بوارجلان والذي تسبب في اتلاف العديد من الضياع[5] وأرياف المنطقة.

والملاحظ أن هذه الآفة باتت ظاهرة مألوفة في عهد الوزان (ق10هـ/16م)، فكانت أسرابه كبيرة لدرجة أنها تحجب ضوء الشمس عندما تطير، فتأكل من الأشجار الفواكه والأوراق وتترك عند ذهابها بيض يتولد منه جراد آخر لايطير، لكنه أسوأ من أمهاته يلتهم حتى لحاء الأشجار[6].

وغالبا ما كان يصاحب هذه الآفة ظهور القحط وانتشار المجاعات، "**فحيثما مرّ الجراد ترك مجاعة كبيرة**"[7]، والذي لاينفك أن ينتقل إلى المدينة بحكم علاقة الترابط بين المجالين وتبادل المصالح الاقتصادية الاقتصادية بينهما[8]، كما أنّ كثرة المجاعات الناجمة عن الجراد دليل على عجز سكان الأرياف على التصدي لها.

وإلى جانب الجراد كانت هناك حشرات وحيوانات تهدد محاصيل فلاحي المغرب الأوسط مثل الديدان[9]، الطيور، والخنازير[10]، والسباع والأسود، والقردة[11]، هذه الأخيرة التي كانت تهدد حقول الفلاحين، الفلاحين، خاصة تلك المتواجدة بجبال قسنطينة[1].

---

[1] _**نفسه**، ص:274.

[2] _السلاوي: **المرجع السابق**، 89/3.

[3] _ابن أبي زرع: **المصدر السابق**، ص:274.

[4] _**نفسه**، ص:573.

[5] _الدرجيني: **المصدر السابق**، ص:385.

[6] _الوزان: **المصدر السابق**، 278/2_279.

[7] _نفسه، ص:279.

[8] _نلمح من الاشارات الآنفة الذكر عدم تحديد المجالات، مما يؤكد تضرر كلا من الأرياف والمدن على حد سواء من آفة الجراد.

[9] _فتوى ابن عرفة، المازوني، **المصدر السابق**، 171/1ظ.

[10] _فتوى الصائغ(5هـ): الونشريسي، **المصدر السابق**، 351/5، فتوى أبو بكر بن مغيث، **المصدر نفسه**، 266/8.

[11] _الوزان: **المصدر السابق**، 51/2.

وتشير كتب الفلاحة لطرق عديدة لقتل السباع والخنازير والكلاب[2]، ومن دون شك أنّ فلاحي المغرب الأوسط كانوا على دراية بهذه التقنيات، رغم تغييب ذكرها من قبل مصادر الفترة.

ج_الرياح والأعاصير، الثلوج والبرد، الضباب:

✓ **الرياح والأعاصير**: خلفت الرياح والأعاصير أيضا آثارا سلبية وكوارث كبيرة، لتضرر الزروع والحيوانات والإنسان منها، ففي عام 485هـ "**كانت الرياح الهائلة التي هدمت المباني لمدينة تلمسان وأحوازها واقتلعت الأشجار العظام ونظر الناس إلى البهائم وهي تمر بين السماء والأرض**"[3]، وكانت الرياح أيضا من الآفات التي تهلك زروع تاهرت[4].

والرياح ذوات الأعاصير التي ضربت المغرب كانت تتسبب في حدوث المجاعات وهلاك كثير من الناس[5]، مثل التي حدثت بتلمسان عام 776هـ/1364م وعموم بلاد المغرب، وبسبب هذه المجاعة عمّ الغلاء والخراب بالبلاد، كما انعدم الأمن في المسالك والطرق[6].

وكانت بلاد المغرب الأوسط عرضة؛ للرياح الثلاث التي تهب من الشرق والجنوب الشرقي والجنوب وكانت بالغة الضرر لاسيما في شهري مايو ويونيو، لأنها تفسد جميع الغلات وتمنع الفواكه من النضج[7]، فالرياح الشرقية كان يصاحبها قحط شديد، فتتسبب في اتلاف المحاصيل الزراعية، مثل تلك التي عاشتها بلاد المغرب عام 687هـ/1288م[8]، والرياح الجنوبية القادمة من الصحراء الكبرى والمعروفة الآن برياح السيروكو والتي تمتاز بالحرارة الشديدة والجفاف فإنها تؤثر على التربة وبالتالي على الأهمية الاقتصادية في المناطق الصالحة للزراعة وغرس الأشجار، ذلك أن استمرار هبوبها لمدة طويلة، يتسبب في اتلاف المحاصيل الزراعية وحرقها[9].

ومن أبرز المناطق المعرضة لهذا النوع من الرياح، نجد منطقة الهضاب العليا[10]، أين يقل الغطاء النباتي مما يؤثر على نشاط الرعي أيضا، ويكون مصير هذه المناطق في النهاية التصحر[11].

✓ **الثلوج والبَرَد والصقيع***: تتسبب كثرة الثلوج والبَرَد في قتل المحاصيل الزراعية، والملاحظ أنه

---

[1]_**نفسه**، ص ص: 267_268.

[2]_ابن العوام: **الفلاحة الأندلسية**، 191/5_197.

[3]_ابن أبي زرع: **المصدر السابق**، ص:116.

[4]_اليعقوبي: **المصدر السابق**، ص:149.

[5]_عز الدين أبو الحسن بن أبي المكارم المعروف بابن الأثير: **الكامل في التاريخ**، ط4، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1424هـ/2003م، 373/9.

[6]_ابن قنفذ: **أنس الفقير**، ص:105.

[7]_الوزان: **المصدر السابق**، 80/1، مارمول: **المصدر السابق**، 31/1.

[8]_ابن أبي زرع: **المصدر السابق**، ص:408.

[9]_الوزان: **المصدر السابق**، الصفحة نفسها، مارمول: **المصدر السابق**، الصفحة نفسها.

[10]_Gsell: op.cit, p.163.

[11]_Ibid,p.40.

كثيرا ما يتكرر حدوثها خلال السنة "**ففي آخر الخريف وأوائل الربيع، وفي أثناء الشتاء كله، وبعض فصل الصيف كانت الكثير من مناطق بلاد البربر تهب عليها عواصف مصحوبة بالبرد، والصواعق والبرق وينزل الثلج**"[1].

وتأثير الثلوج يكون بدرجة كبيرة في المناطق السهلية[2] مثل تلمسان التي "**كانت باردة المشتى لكثرة ثلجها**"[3]، بل إنّها أشد بلاد العدوة "**بردا وتجلدا**"[4]، لذلك كثيرا ما كانت الثلوج[5] تحدث بها أضرارا بالغة مثل مثل الثلجة التي شهدتها خلال القرن 9هـ/15م، حيث "**نزلت ثلجة عظيمة وتعطلت منها الأسواق وانهدمت منها الديار**"[6].

وضمن مناطق الهضاب العليا فإن البرودة تؤخر الخضر عن النضج والجليد الربيعي كان يؤثر سلبا على المحاصيل الزراعية والبستنية[7] مثل تاهرت لما تمتاز به من شدة البرودة وكثرة الثلوج[8]، وقسنطينة أيضا "**شديدة البرد والثلج كثيرة الرياح لعلوها وارتفاعها**"[9]، وفحص عجيسة الذي كان هو الآخر شديد البرد والثلج لدرجة أن الجليد ينزل فيه بالغدو وفي الشتاء فسكرات الموت[10]، لانخفاض درجة الحرارة.

ولا يتعلق الأمر بالمناطق الشمالية فحسب؛ بل حتى واحات الصحراء كانت عرضة للبرد، الذي يسبب أضرارا بالغة للبذر، وأحيانا "تحصه الحوّاصة" أي تحرقه الليلة الباردة ذات الجليد[11].

✓ **الضباب:** الضباب هو الآخر يحدث أضرارا بالغة بالمحاصيل الزراعية، خاصة الحبوب، لاسيما إذا وقع وقت الإزهار لأنه يستمر أحيانا النهار كله[12].

(*)الصقيع هو ترسب جليدي في صورة ريشية رقيقة نتيجة التكثف المباشر لبخار الماء في شكل بلوري ويكون ذلك فوق أجسام أرضية تقل حرارتها عن درجة التجمد. أنظر: مصطفى محمود القاضي: **معجم الهيدرولوجيا**، تنفيذ أوديت إلياس، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، 1404هـ/1984م، ص:61.

[1] _الوزان: **المصدر السابق**، 80/1، مارمول: **المصدر السابق**، 31/1.

[2] _ابن أبي زرع: **المصدر السابق**، ص:412، السلاوي: **المرجع السابق**، 179/3.

[3] _البكري: **المصدر السابق**، ص:67، مجهول(ق6هـ): **الاستبصار**، ص:178، الحموي: **المصدر السابق**، 19/2.

[4] _ابن مرزوق: **المسند**، ص:222.

[5] _ابن مريم: **المصدر السابق**، ص:104.

[6] _**نفسه**، ص:40.

[7] _Gsell: op.cit, p.163.

[8] _اليعقوبي: **المصدر السابق**، ص:149، القلقشندي: **المصدر السابق**، 111/5، الحميري: **المصدر السابق**، ص:126، القزويني: **المصدر السابق**، ص:169.

[9] _مجهول(ق6هـ): **المصدر السابق**، ص ص،ص:166_167، 178.

[10] _**نفسه**، ص:167.

[11] _الفرسطائي: **المصدر السابق**، 408/6.

[12] _الوزان: **المصدر السابق**، 80/1، مارمول: **المصدر السابق**، 31/1.

د_السيول والفيضانات:

نتيجة للتقلبات المناخية وعدم انتظام سقوط الأمطار بالمغرب الأوسط، فإن المناطق الساحلية خاصة؛ كانت عرضة للفيضانات والسيول بسبب التساقط الكثيف للأمطار، فتجتاح السيول الجارفة القرى والمساكن وتدمر الحقول والمزارع، بل حتى المناطق الجبلية الداخلية لم تسلم من تلك السيول مثل جبال الأوراس التي ينجم عنها اقتلاع الأشجار[1].

وباستثناء سهول سطيف وحمزة (البويرة حاليا)، فإن جميع الأراضي التي يمر بها نهر بجاية تتكون من أرض جبلية صخرية، الأمر الذي ينجم عنه فيضان وسيول لا سيما في فصل الشتاء وخسائر في الأرواح والممتلكات لسكان المناطق المحيطة به[2].

والفيضانات الناجمة عن كثرة الأمطار تتسبب أيضا في حدوث المجاعات الناجمة عن هلاك المحاصيل، ففي عام 723هـ/1323م كانت "**أمطارا عظيمة ببلاد المغرب وثلوج كثيرة وعدم فيها البياض والحطب**"[3]، كما أنّ نزول الأمطار في بعض الأشهر يفسد الغلات مثل نزولها في سبتمبر فيؤدي فيؤدي إلى فساد التمر ويؤثر على الغلات[4].

يذكر الدباغ[5] بأنّ: **<<الحرث في الأراضي التي تأتي إليها الوديان فغير مأمون، فإن جاء زرعها في عام طيب، يبقى أعواما لا يجئ فيها الزرع طيبا في الأعم الأغلب يفتقر الحارث فيها وقد خسر دنانير كثيرة بسبب الحرث فيها مرارا>>**، ولعل هذا الأمر ينطبق على نهر طبنة المسمى بيطام الذي يحمل فيسقي جميع بساتينها وفحوصها[6]، وربما كان في فترات الشتاء وكثرة الأمطار يتسبب في فيضانات فيضانات وكوارث تطال الزرع والضرع على حد سواء.

كانت المناطق الداخلية أيضا عرضة لاجتياح السيول مثل التي حدثت بقسنطينة عام 758هـ /1356م أثناء حملة أبا عنان المريني لها[7]، وبالرغم من عدم إشارة المصادر للآثار السلبية على المحاصيل، فالمرجح أنها قد أخذت بقسط كبير منها، كما أنّ الواحات الصحراوية هي الأخرى كانت عرضة للسيول التي كثيرا ما تسبب في اقتلاع الأشجار، بل أحيانا تأخذ بمكانها[8].

---

[1] _ النميري: **المصدر السابق**، ص: 411_412.

[2] _ إسماعيل العربي: **بجاية من خلال النصوص العربية**، مجلة الأصالة، العدد19، 1394هـ/1974م، مكتبة البعث قسنطينة، ص:81.

[3] _ابن أبي زرع: **المصدر السابق**، ص:412، السلاوي: **المرجع السابق**، 179/3.

[4] _الوزان: **المصدر السابق**، 80/1_81، مارمول: **المصدر السابق**، 31/1_32.

[5] _أبو زيد عبد الرحمن بن محمد الدباغ الأنصاري: **معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان**، أكمله وعلّق عليه أبو الفضل أبو القاسم بن عيسى بن ناجي التنوخي، تصحيح وتعليق إبراهيم شبوح، ط2، مكتبة الخانجي، مصر، 1388هـ/1968م، 232/1_233.

[6] _البكري: **المصدر السابق**، ص:51.

[7] _النميري: **المصدر السابق**، ص ص:258_259، ابن مريم: **المصدر السابق**، ص:177.

[8] _الفرسطائي: **المصدر السابق**، 267/4.

هـ_الزلازل: كانت نواحي إفريقية دائمة التعرض للزلازل العظيمة والأحوال الشديدة[1]، والمؤكد أن مزارع وبساتين المنطقة قد تضررت منها.

والواقع أنني لمحت قلة التأريخ لهذا النوع من الكوارث الطبيعية بشأن بلاد المغرب الأوسط ماعدا بعض الإشارات القليلة التي وردت بشأن الزلزلة التي ضربت بلاد المغرب دون تحديد للمجال بالضبط مثل: زلزال473هـ/1080م[2]، والزلازل التي كانت تضرب بعض نواحي إفريقية[3] والتي تخلف أضرارا مادية مادية (تهديم المباني، وتدمير المدن) وبشرية (الوفيات والهجرة)، فهل غياب الحديث عن تأثير هذه الزلازل يعود لقلة حدوثها؟ أم أن الأضرار التي كانت تحدثها كانت تقاس بحجم فداحتها بشأن المدن دون الأرياف؟

كانت هذه أهم العوامل الطبيعية التي أثرت سلبا على النشاط الزراعي والبستني بأرياف المغرب الأوسط خلال Π½ من العصر الوسيط، وإن غلب عليها التعميم لقلة الإشارات حول مجال المغرب الأوسط ومجال الريف على وجه التحديد.

3_النباتات الضارّة:

للنباتات الضارّة دور كبير في التأثير السلبي على مردودية المحاصيل، حيث تنبت بين الزروع والأشجار مثل حشيشة أراقوا التي تنبت بين العدس[4]، ونبتة الأفيقون[5] والأطيني[6] التي تنبت بين الحنطة، الحنطة، والشيلم (الزؤان) الذي يكون بين الحنطة فيفسدها[7]، وسبع الكتان التي تضرّ كثيرا بمحصول الكتان[8]، بالإضافة إلى النبتة المعروفة باسم "أورولقجي" أو الهالوك التي تهلك جميع ما يقاربها من الحبوب[9]، وحشيشة الشقاقل التي تنبت في أول الحصاد وتختلط مع الحبوب[10]، اللبلاب الذي ينبت بين الزروع، إلى جانب الجنات وأمرجة الكروم[11].

ومن النباتات المضرّة بالأشجار نجد الأشنة التي تنبت على أشجار الجوز وأشجار الزيتون القديمة[12]، ونبات بنتومة على أشجار الزيتون والكمثرى وأشجار اللوز من غير أصل له في الأرض[1].

---

[1]_الدرجيني: **المصدر السابق**، 369/2.

[2] _ابن أبي زرع: **المصدر السابق**، ص:168.

[3] _الدرجيني: **المصدر السابق**، ص: 368_369، 354.

[4]_ابن البيطار: **الجامع لمفردات الأدوية والأغذية**، 26/1.

[5]_**نفسه**، ص:61.

[6]_**نفسه**، ص:72.

[7] _**نفسه**، 199/3، الغساني التركماني: **المعتمد في الأدوية المفردة**، 199/1.

[8]_ابن البيطار: **المصدر السابق**، 6/3، 334/4.

[9] _ **نفسه**، 95/1.

[10] _**نفسه**، 187/3.

[11] _**نفسه**، 362/4، الغساني التركماني: **المصدر السابق**، 320/2، الغساني الشهير بالوزير: **حديقة الأزهار في ماهية العشب والعقار**، ص:160.

[12]_الغساني الشهير بالوزير: **المصدر نفسه**، ص ص:39_40.

والواضح أن النباتات الضارّة كانت تؤثر بشكل كبير على المحاصيل الزراعية لصعوبة التخلص منها مقارنة بالجنات والأشجار المثمرة.

وإلى جانب العوائق الطبيعية؛ فإن للتواجد البدوي أيضا الدور في التأثير سلبا على نشاط الزراعة والبستنة إلى جانب الحروب الداخلية والخارجية على مجال المغرب الأوسط بأطرافه الشرقية والغربية[2]، والتي سأتناولها بالتفصيل ضمن المطلب الآتي:

المطلب الثاني: العوامل البشرية:

1_الحروب والصراعات: بالرغم من الجهود التي بذلها سكان المناطق الريفية وحكام الفترة لتعزيز وإنعاش النشاط الزراعي والبستني، إلاّ أنّ هذه البلاد تعرضت للكثير من الأحداث التي أثرت سلبا على كلا النشاطين، فقد عاش المغرب الأوسط بمجالاته الحضرية والريفية خلال ½ الثاني من العصر الوسيط جوّا مضطربا، ومليئا بالصراعات والحروب، هذه الأخيرة التي لاتكاد تنتهي حتى تبدأ من جديد، والتي يمكن حصرها في:

أ_الحروب بين الأطراف الداخلية: لقد تقاسمت جميع الأطراف المشارِكة في الحروب مسؤولية إلحاق الضرر والتخريب الذي طال أرياف تلك الفترة[3]، ولعل أهم تلك الأطراف هي:

الصراعات بين الدول الحاكمة:

رغم تعدد جبهات الحروب إلاّ أنّ أكثر فترات الفتن هي الصراعات بين الدول الحاكمة، والتي نجم عنها تضرر العديد من المحاصيل الريفية التي كانت في طريق الحملات العسكرية، ممّا ساهم في عرقلة النشاط الزراعي، نتيجة لتخريب المزارع وعزوف الناس عن خدمة الأرض وزراعتها وقد عدّ الفقهاء الحروب من الجوائح[4].

وفي المقابل نجد بعض المناطق التي تعتبرها الدولة المجتاحة ضمن مجال السلطة الفعلية لها تُستثنى من عمليات التخريب، بدليل وصية الحكام بحماية الزرع[5]، ففي أثناء توجه جيوش عبد المؤمن بن علي من مراكش إلى المهدية عام 554هـ/1159م قد بلغ "**من حفظه لعساكره، أنهم كانوا يمشون بين الزروع فلا تتأذى بهم سنبلة، وإذا نزلوا صلوا جميعا بإمام واحد، بتكبيرة واحدة**"[6]، ومن تاريخ إبن شداد

---

[1] _ **نفسه**، ص:60.

[2] –Dhina Attalah : op.cit, p.344.

[3] _**أنظر الملحق رقم: 02.**

[4] _ ابن رشد الجد: **المصدر السابق**، 1614/3.

[5] _ ابن أبي زرع: **المصدر السابق**، ص:198.

[6] _ ابن الأثير: **المصدر السابق**، 428/9، السلاوي: **المرجع السابق**، 121/2.

نقلا عن التيجاني[1]؛ "**أن عبد المؤمن لما سار إلى تونس بالجموع العظيمة كانوا يمرون بالمزارع في الطرق الضيقة فلا يؤذون شيئا منها**".

وفي عام 798هـ/1395م، وأثناء حصار السلطان الحفصي المتوكل على الله لقسنطينة مدة عشرون يوما، "**وفعل أمير المؤمنين في حصاره ما لم يفعله ملك محاصر من حفظ زرع البلد وجناته ودفع المضرة من جميع جهاته، ودخل السلطان وملك قسنطينة...**"[2]، وهذه الروايات جميعا وإن كان فيها شيئ من المبالغة إلاّ أنها تعطينا إشارة لمدى حرص الحكام والولاة على حماية المزروعات والحفاظ عليها أوقات الحروب.

والملفت للإنتباه أن أغلب المصادر ركزت على التخريب الناجم عن الهجرة الهلالية _ وهو أمر لايمكن إنكاره_ وغزو بني غانية، أكثر من الحملات التي تشنها الدول الحاكمة ضد بعضها البعض[3]، ويعزى هذا الأمر لتبرير تلك الحملات على أنها تأديبية أو لإخضاع الخصم ، لذلك نجد أن عمليات التخريب والتدمير كانت من السمات البارزة لهذه الحملات، فقد تم إضرام النيران بالمحمدية عام 406هـ/1015م، من قبل الجيوش الزيرية في حروبها مع الحماديين[4] وتعرضت تلمسان للتخريب عام 472هـ/1079م، على يد مزدالي التكلاتي اللمتوني الذي زحف عليها في نحو 20 ألف مقاتل وعاثوا في تلك البلاد فسادا[5].

وفي عام 732هـ/1331م، قام المرينيون بتهديم وتخريب مدينة تمزيزدكت التي شيدها الزيانيون على أنقاض تيكلات قرب بجاية[6]، وبعد نهاية الحصار المريني أقدم السكان من بني عبد الواد بتخريب المنصورة بعد مغادرة المرينيين منها عام 706هـ/1307م[7]، وساهمت الحروب بين الحفصيين والزيانيين في تدمير شرشال والأرياف المحيطة بها، وبقيت خالية من السكان زهاء ثلاثمئة سنة، حتى سقوط غرناطة في يد المسيحيين[8].

والواقع أن إشارات التخريب هذه على قلتها مقارنة بفترة الدراسة الطويلة والتي تغطي مدة خمسة قرون؛ تعود أساسا لكون تاريخ الريف مهمش، فكثيرا ما يتم إهمال الحديث عنها والحروب التي تطالها خصوصا من باب أنها كانت ضمن مجالات العدو أو لأنها كانت مستقلة عن هذه الدولة أو تلك وهو ما يبرر ما قام به أبا عنان بشهادة النميري، إذ أن أغلب المناطق المدمرة تكون بإرادة السلطة الحاكمة .

---

[1] _ أبا محمد عبد الله بن محمد بن أحمد التيجاني: **رحلة التيجاني**، قدم لها: حسين حسني هبد الوهاب، الدار العربية للكتاب، ليبيا، تونس، 1981م، ص:346.

[2] _ ابن قنفذ: **الفارسية**، ص ص:192_194، الزركشي: **المصدر السابق**، ص:119.

[3] _**أنظر الملحق رقم: 02**.

[4] _ النويري: **المصدر السابق**، 109/24، ابن الأثير: **المصدر السابق**، 87/8، ابن خلدون: **المصدر السابق**، 228/6.

[5] _النويري: **المصدر السابق**، 24/ 159، ابن أبي زرع: **المصدر السابق**، ص: 113، 143، 168، الميلي: **المرجع السابق**، 283/2.

[6] _ ابن خلدون: **المصدر السابق**، 335/7_336، التنسي: **المصدر السابق**، ص:145.

[7] _ التنسي: **المصدر نفسه**، ص:146.

[8] _ الوزان: **المصدر السابق**، 34/2.

وهو الأمر الذي جعلني عاجزة عن معرفة وضع الأرياف غير المذكورة من قبل المصادر، رغم أنها لم تكن بمنأى عن تلك الحروب، **فجبال المغرب الأوسط** خلال هذه الفترة لم تكن بالمناطق النائية، أو لاتقتصر على كونها ملجآ للفارين أو المنهزمين[1]، أو في حالة رفض أو تمرد ضد السلطة المركزية[2] فحسب؛ بل كان سكان الجبال ذخرا للجنود ودعما للدول في أوقات الحروب[3]، كما لعبت أدوارا تاريخية هامة، لكون أن أغلبها كانت **مجالا للحروب.**

✓ **<u>الجبال مجالا للحروب بين الدول الحاكمة:</u>**

كانت السلط الحاكمة تسعى لتدمير الأرياف الواقعة ضمن مناطق الثورات أو مجالات حكم الدول المنافسة، ففي أثناء سير جيش الموحدين إلى بجاية لحرب ابن غانية بقيادة السيد أبا زيد بن السيد أبا حفص، كانت أغلب المناطق الريفية مشتعلة فتنا وحروبا، ويصور لنا ابن عذاري[4] أوضاع الجبال الثائرة بحلفاء ابن غانية بقوله <<**وخيل يدّر بن عائشة صاحب مليانة تضرب إلى مازونة ونواحيها وقد أضرم نار الفتنة في بطون تلك الجبال وأعاليها، فأخذ الناس من تلمسان أهبتهم واستوفوا منها أقواتهم وأزودتهم...>>**، إلاّ أنّ القوات الموحدية إستطاعت القضاء على رؤوس الفتنة بعد مُعاركة ومُحاربة، وزحفوا إلى بجاية ودخلوها[5]، كما كانت الجبال المحيطة بأشير مجالا لمعارك طاحنة بين القوات الموحدية الموحدية وبني غانية عام 588هـ/1192م[6].

وجبل بني ورنيد وصل إليه أبا زكريا الحفصي أثناء غزوه لتلمسان عام 646هـ/1248م[7]، وهذا الجبل أيضا شهد معركة حُمي لها الوطيس عام 791هـ/1389م، بين جيوش أبا حمو الزياني وابنه أبا تاشفين المدعوم بالقوات المرينية[8]، وفي عام 695هـ/1295م، ونتيجة لطاعة جبل كيدرة وتاسكدلت_رباط عبد الحميد ابن الفقيه أبي زيد اليزناسني_ ليوسف بن يعقوب المريني عدو عثمان بن يغمراسن، فخرج هذا الأخير لتلك الجبال وأثخن فيها لطاعتهم عدوه فاستباح رباط تاسكدلت[9].

والملاحظ أنّ أكثر فترات الفتن التي أثرت على الأرياف هي القرنين 7و8هـ/13و14م، وحتى أواخر العصر الوسيط، ذلك أن أوج الإضطرابات والفوضى التى عاشتها بلاد المغرب الأوسط كانت في

---

[1]_ ابن الخطيب: **تاريخ المغرب العربي**، 3/71_72، 86، ابن الأثير: **المصدر السابق**، 8/86_87، ابن عذاري: **المصدر السابق**، ص ص:180_181، ابن خلدون: **المصدر السابق**، 7/ 185، 192، 437، الزركشي: **المصدر السابق**، ص:129.

[2]–Elise Voguet : **Le Maghreb central au(9eme_15eme siécles), Résistance à l'ideal islamique d'unité**, édition de la sorbone/ hypothêse, 2004, p.229.

[3]_مجهول (ق8هـ): **زهر البستان في دولة بني زيان**، تحقيق وتقديم بوزياني الدراجي، نؤسسة بوزياني للنشر والتوزيع، الجزائر، (د_ت)، 2/376.

[4]_ **البيان، قسم الموحدين**، ص ص: 177_178، أنظر أيضا: ابن خلدون: **المصدر السابق**، 6/234.

[5]_ ابن عذاري: **المصدر السابق**، ص ص: 177_178

[6]_**نفسه**، ص:181.

[7]_ التنسي: **المصدر السابق**، ص ص:117_118.

[8]_**نفسه**، ص ص: 180_181.

[9]_ ابن خلدون: **المصدر السابق**، 7/126.

فترة حكم الدويلات الثلاث[1]، وقد أدى الصراع الدائم بينها والذي استمر لمدة ثلاث قرون إلى حالة من الضعف والفراغ السياسي.

ليتفاقم الانحطاط بالمغرب الأوسط خلال السنوات الأخيرة للحفصيين، إذ شهد القرن 8و9هـ /14 و15م حروبا طاحنة بالأجزاء الشرقية لبلاد المغرب الأوسط جرّاء الحرب بين حكام قسنطينة وبجاية[2]، ونجم عن تلك الاضطرابات إنحسار المساحات المزروعة وتراجعها حتى أضحت مقتصرة على النواحي القريبة من المدن والمناطق الآمنة[3].

لقد كان الحصار من أبرز التكتيكات العسكرية المستخدمة من قبل الدول المتصارعة، خاصة حصار تلمسان الطويل من قبل المرينيين[4]، بالإضافة إلى حصار بجاية[5] وقسنطينة[6] من قبل الزيانيين، الزيانيين، وحصار أبا عنان لقسنطينة[7]،....إلخ، وفي إطار هذه الحصارات جميعا فإنني أتساءل عن حال تلك المدن المُحاصَرة وانقطاعها عن الأرياف المحيطة بها؟، إذ كانت هذه الحصارات تخلف ضررا كبيرا كانتشار المجاعات والأوبئة وغلاء الأسعار، لقلة المؤن وصعوبة الاتصال مع الأرياف المركز الرئيسي للإنتاج.

ولايتعلق الأمر بتخريب المناطق الريفية وتهميش الأراضي الزراعية فحسب؛ فحالة المد والجزر في امتداد مجال كل دولة، يؤدي حتما إلى تهميش تلك المناطق وإبعادها عن هامش الدورة الإنتاجية بدليل أن الأمر قد يطول في إحداث إصلاحات وإدخالها في مجال سلطة الدولة الحاكمة، مع ما يتطلبه الامر من قمع المتمردين، هذا إن لم تعد تلك الأرض لحكم الدولة السابقة.

والواضح أن استنزاف ثروات الأرياف لتمويل الحملات العسكرية، كان أمرا مؤكدا؛ ففي عام 554هـ/1159م، وأثناء توجه عبد المؤمن بن علي إلى المهدية الواقعة تحت السيطرة الإفرنجية، كان هذا الخليفة قد أمر **<<بعمل الروايا والقرب وما يحتاج إليه العساكر في السفر، وكتب إلى جميع نوابه في الغرب وكان قد ملك إلى قريب تونس، يأمرهم بحفظ جميع ما يتحصل من الغلات وأن يترك في سنبله، ويخزن في مواضعها وأن يحفروا الآبار في الطرق، ففعلوا جميع ما أمرهم به، وجمعوا الغلات ثلاث سنين، ونقلوها إلى المنازل وطينوا عليها، فصارت كأنها تلال فلما كان في صفر من هذه**

---

[1] _ **أنظر الملحق رقم 03.**

[2] –Dhina Atallah : op.cit, p.38_39.

[3] _ محمد حسن: **المدينة والبادية**، 433/2.

[4] _ يحي بن خلدون: **المصدر السابق**، 210/2_211، ابن خلدون: **المصدر السابق**، ص: 126_127، 292، التنسي: **المصدر السابق**، ص ص: 129_130.

[5] _من قبل أبا حمو وابنه أبا تاشفين خلال أعوم: 718هـ/م، 723هـ/م، أنظر: ابن خلدون: **المصدر السابق**، ص، ص:332، 145 على التوالي.

[6] _ وذلك خلال أعوام: 728هـ/م، 756هـ/م، أنظر: ابن خلدون: **المصدر نفسه**، 492/6، 388/7.

[7] _نفسه، 392/7.

السنة(554هـ)، سار عن مراكش..>>[1]، وقد قدرت أعداد جيوش هذه الحملة وحدها بمائة ألف مقاتل[2]، ومقدمة العسكر وحده ب12 ألف مقاتل[3]، وهذه الأعداد الغفيرة تؤكد بشكل جليّ مدى مساهمة الأرياف في تمويل هذا النوع من العمليات العسكرية.

وإلا كيف نفسر عبور يعقوب المنصور للأندلس عام 591هـ/ 1195م، بقوات "**يضيق عنها الفضاء**"، على حد تعبير ابن الأثير[4]، رغم الغلاء الذي عاشته إفريقية خلال هذا العام بالذات، وفي عام 571هـ/ 1175م، وأثناء حصار الموحدين لقفصة وعلى طول مقامهم عليها ومدة حصارهم لها كانت "**تترادف الأرفاق عليهم وتنساق الأرزاق إليهم، وتعتمدهم الأرزاق من كل جهة وتجلب عليهم من كل ناحية على ما كان بإفريقية في هذا العام من قلة إصابتها وخلو مخازنها**"[5]، وعلى هذا الإعتبار ألا يمكن أن تكون أرياف المغرب الأوسط من الممولين لهذه الدولة أثناء هذا الحصار وغيره؟

عندما قام أبو تاشفين الزياني بتشييد مدينة تامزيزدكت عام 726هـ/1326م ؛ بمكان سوق الخميس بوادي بجاية باسم الحصن القديم الذي كان لبني عبد الواد قبلة وجدة، "**وأنزل بها عساكر تناهز ثلاثة آلاف وأوعز السلطان إلى جميع عماله ببلاد المغرب الأوسط بنقل الحبوب إليها حيث كانت، والادم وسائر المرافق حتى الملح، وأخذ الرهن من سائر القبائل على الطاعة واستوفوا جبايتهم، فثقلت وطأتهم على بجاية واشتد حصارها وغلت أسعارها**"[6].

وفي عام 758هـ/1357م قام يوسف بن مزني بتمويل جيوش أبا عنان أثناء زحفه على بلاد الزاب، "**وحمل له ابن مزني جباية الزاب بعد أن ردّ عامة معسكره بالقرى من الأدم والحنطة والحملان والعلوفة ثلاث ليال نفذت في ذلك، وكافأه السلطان على صنيعه فخلع عليه وعلى أهله وولده وأسنى جوائزهم ورجع إلى قسنطينة واعتزم على الرحلة إلى تونس**"[7].

ولهذه الأسرة باعا طويلا في هذا الجانب ففي عام 716هـ/1316م، قام منصور بن فضل بن مزني عامل الزاب بتمويل حملة السلطان أبا بكر على تونس[8]، وفي عام 766هـ/1364م، ونتيجة للحرب التي أضرمت بين السلطان أبا عبد الله صاحب بجاية وابن عمه السلطان أبا العباس صاحب قسنطينة بإيعاز من عرب الأوطان(الدواودة بالتحديد)، تم إنفاق أموال كثيرة في هذه الحرب إلى الدرجة التي جعلت ابن

---

[1]_ ابن الأثير: **المصدر السابق**، 9/ 428، ابن خلدون: **المصدر السابق**، 238/5، التيجاني: **المصدر السابق**، ص: 346، السلاوي: **المرجع السابق**، 121/2.

[2]_ ابن خلدون: **المصدر السابق**، 238/5.

[3]_ التيجاني: **المصدر السابق**، 346/5.

[4]_**المصدر السابق**، 237/10.

[5]_**رسائل موحدية**، الرسالة 30و31، 1/ 159.

[6]_ يحي بن خلدون: **المصدر السابق**، 216/2_217.ابن خلدون: **المصدر السابق**، 144/7، أنظر أيضا، ص ص: 335_336.

[7]_ابن خلدون: **المصدر نفسه**، 394/7، أنظر أيضا ص: 582، النميري: **المصدر السابق**، ص:434_435، السلاوي: **المرجع السابق**، 202/3.

[8]_ ابن خلدون: **المصدر السابق**، 480/6.

خلدون يخرج بنفسه "**إلى قبائل البربر بجبال بجاية الممتنعين من المغارم**"، وتم استيفاء الجباية منهم حتى تكون مددا لهذه الحرب[1].

وإلى جانب عمليات التمويل هذه؛ فقد كانت عمليات المصادرة من أنجع السبل للحصول على المؤن، فبعد انتصار الجيوش المرينية على الدولة الزيانية عام 670هـ/1271م، احتوت جيوش بني مرين على جميع ما بخارج تلمسان من القرى والضياع، والفواكه والثمار والزروع[2]، وبعد انتصار جيوش أبا عنان على عرب أرياف نقاوس وأوطانها تم مصادرة زروعها للجيوش المرينية[3].

ويفيدنا النميري[4] بمعلومة هامة بعد المصادرة وهي لجوء الدول المرينية لبيع الزروع المصادرة بأبخس بأبخس الأثمان، وبعد سقوط وهران في يد الإسبان كان من جملة ما استحوذ عليه هؤلاء عشرات الآلاف من رؤوس الماشية وتحصيل كميات كبيرة من الحبوب، وقام الإسبان في وهران إلى جانب التخزين بتوجيه المنتوج الزائد إلى بلادهم[5].

لذلك نجد أن عمليات المصادرة، فرض الضرائب والتمويل سواءا كانت طوعا أو كرها، كانت من أساليب الإقتصاد الحربي[6]، مما جعل هذا النوع من الإقتصاد يقع على عاتق الريف بالأساس لأن الدولة توفر للجنود حوافز كثيرة مثل الإطعام من قبل المدن والقرى التي يمر بها الجيش، بالإضافة إلى الرواتب الجارية والهبات الظرفية ومتحصلات الغنائم، الأمر الذي جعل العمل الحربي أكثر مردودية من العمل الفلاحي أو الحرفي أو التجاري[7].

ونتيجة لهشاشة هذا النوع من الإقتصاد فقد عرقل ممارسة النشاط الزراعي والبستني وأثر سلبا عليه، ممّا انعكس على مختلف قوى الإنتاج، فالزراعة ظلت خاضعة لتقنيات متخلفة وسرعان ما عرفت انحطاطا

---

[1]_ أبو زيد عبد الرحمن بن خلدون: **رحلة ابن خلدون**، عارضها بأصولها وعلّق على حواشيها: محمد بن تاويت الطنجي، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1425هـ/ 2004م، ص:95.

[2]_ ابن أبي زرع الفاسي: **الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية**، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1392هـ/ 1972م، ص:132.

[3]_ النميري: **المصدر السابق**، ص: 461.

[4]_**نفسه**، ص: 461.

[5]_ مريم بوخاوش: **المرجع السابق**، ص ص:302_303.

[6]_ إن أسلوب الإنتاج الحربي(إقتصاد المغازي)، الذي يقوم أساسا على الغزو، وقد شكل هذا النوع من الإقتصاد حجر الزاوية لدى كلا من الدولة المرابطية، الموحدية والدول الثلاث(الحفصية، الزيانية والمرينية)، كما يعتمد على الموارد الحربية المتكونة من غنائم المعارك والضرائب الشرعية وغير الشرعية والجزية ومداخيل السودان، ويكون الجيش هو أساس هذا النوع من الاقتصاد، كما أن امتداد الدولة يتوقف على المكاسب الترابية التي يحصلها الجيش وليس على عناصر الإقتصاد الأخرى(تجارة، صناعة، ...إلخ).

_ونتيجة لظرفية هذا النوع من الإقتصاد فقد ظل مهزوزا لعدم ارتباطه بالقاعدة البشرية من أفراد المجتمع، وإنما بقوة الدولة مما جعله عرضة لهزات عنيفة كلما ضعفت الدولة التي احتكرته لصالحها، لذلك تميز بهشاشته وعدم استمرارية ازدهاره، وهو ما يفسر ما آلت إليه قوى الإنتاج في أواخر عهد الدول التي اعتمدت على هذا النوع من الإقتصاد.أنظر: إبراهيم القادري بوتشيش: **المغرب والأندلس في عصر المرابطين، المجتمع والذهنيات، والأولياء**، ط1، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1993م، ص:126، بولقطيب: **المرجع السابق**، 111_112.

[7]_ بولقطيب: **المرجع نفسه**، ص:113.

تمخض عنه انقباض الفلاحين عن زراعة أراضيهم، وكذلك الصناعة التي اقتصرت على الصناعات البسيطة المعدة للإستهلاك[1].

حركات التمرد والثورات:

ينفرد النميري[2] بمعلومة هامة حول سياسة جديدة اتبعها المرينيون في قمع الثورات وحركات التمرد من قبل الأعراب وهي **تقنين الغذاء**، ففي هذا الشأن يقول: **<<وتفقد أيده الله أحوال بلاد الزاب فإذا مخازنها مملوءة بالأطعمة، مترعة بالحبوب المستكرمة والزروع المحسبة أعواما الكافية طعنا....وإلى ما ادخروه من التمر المختلف الأنواع...فأمر أيده الله برفع الحراثة عن مزارع صحاريها والاقتصار على ما يبدر بغاباتها الممنوعة عن أعاديها، وبرئت الوعيد على من خالف الأمر ووضع البذر بالمواضع التي عرفت الخطر حيث يتأتى للعربان أن يعملوا العذر...وأوعز أيده الله لشيخ الدوس أن يثقف جميع ما بتلك البلدان من خزين العربان وتقدم إليه من إضاعة الحزم في ذلك الشان، وكذلك صدرت المراسيم لأهل بلاد الزاب بتثقيف ما يكون بكل بلد منها من أملاك الأعراب واعتصارها مدى الأحقاب...>>.**

وهذا الإجراء العقابي أيضا طبق على أرياف نقاوس، حيث قام بمصادرة واسترجاع جميع ما فيها من "**مدخور ومخزون ومكيل وموزون...إلى ما كان لهم بخارجها من جنات**"[3].

صراع الدول الحاكمة مع القبائل[4]: من تلك الحروب نجد:

- **الصراع مع القبائل البربرية:** نالت القبائل البربرية وعلى رأسها قبيلة زناتة حظها من الحروب مع الحماديين[5]، خاصة القبائل الريفية القاطنة بالقرب من العواصم والمدن، والتي كثيرا ما ينتهي الصراع بنزول الجيوش بأقاليمها ومعاقل جبالها، لتأديبها وإخضاعها مثل إغارة حماد على وغلانة ببلاد أريغ[6] وتدميرها وتهجير سكانها[7]، وإخضاع المناطق الممتدة ما بين تلمسان وتاهرت[8].

وكانت زناتة بقيادة المخضب بن عسكر بن محمد_ملك جميع بوادي زناتة وبلاد الزاب[9]_، "**تُغير على تلمسان وبجاية والقلعة وغير ذلك من البلاد، يضرمون وينهبون حتى قضى على شأفتهم الموحدون بعد تملك تلمسان ووهران، وقتل المخضب عام 540هـ**"[10]، وفي إطار هذا النوع من

---

[1]_ **نفس المرجع** والصفحة، بونشيش: **المرجع السابق**، ص:127.

[2]_ **المصدر السابق**، ص ص: 451_452.

[3]_**نفسه**، ص ص: 455_460.

[4]_**أنظر الملحق رقم: 02**.

[5]–Cambuzat : op.cit, p.134.

[6]_ الدرجيني: **المصدر السابق**، 2/473_474.

[7]_الشماخي: **المصدر السابق**، 2/75، الوسياني: **المصدر السابق**، 1/348_355.

[8]_ ابن خلدون: **المصدر السابق**، 6/227_228.

[9]_ ابن أبي زرع: **الذخيرة السنية**، ص ص:19_20، ابن مرزوق: **المسند الصحيح**، ص:110.

[10]_ ابن أبي زرع: **المصدر السابق**، ص:20.

الصراعات عاثت عساكر المنصور الحمادي بقبائل زناتة القاطنة بأرياف تلمسان عام 476هـ/1083م، وبعد عودته أثخن بجبال بجاية[1].

ليتجدد الصراع مع الموحدين الذين أخضعوهم حتى دخلت قبائل بني عبد الواد في طاعة الموحدين[2]، ونتيجة لرفض زناتة لطاعة يغمراسن بن زيان بعد استقلاله بأمر تلمسان "**شمّر لحربهم ونازلهم في ديارهم وأحجرهم في أمصارهم ومعتصماتهم من شواهق الجبال وممتنع الأمصار**"[3]، كما شهد عهد هذا الحاكم على وجه التحديد صراعا طويلا ومستميتا مع قبائل مغراوة وتجين بمعاقل جبالهم[4].

نالت القبائل الريفية حظها أيضا من عيث الغزو الخارجي، فلما توجه السلطان أبا سعيد المريني إلى تلمسان لإخضاع بني عبد الواد، غلب على معاقلها وضواحيها[5]، وفي عام 670هـ/ 1271م، وبعد انتصار السلطان المريني على يغمراسن، بيّت الجيوش في جبالها وقبائلها المجاورين لها[6]، والواضح أن هذه العملية كانت عبارة عن إجراء وقائي وأمني تحسبا لأي ثورة أو تمرد من قبل تلك القبائل الريفية، كما لم تسلم أرياف المغرب الأوسط من حرب وعيث المرينيين أثناء الحصار الطويل لتلمسان[7]، وفي عام 713هـ/1313م، نزلت قوات أبا العباس الحفصي بجبل بني ثابت وأثخنوا فيها واستولوا عليه واستباحوه[8].
واستباحوه[8].

ومن الأهمية بمكان الإشارة إلى أن المجال الترابي للقبائل كان السبب الرئيسي لهذا النوع من الحروب؛ فجبل ونشريس كان محل تجاذب وصراع بين قبائل تجين تارة[9]، وبين السلطة الزيانية وتجين تارة أخرى[10]، بل حتى بين هذه الأخيرة وبين السلطة المرينية[11]، لتتم السيطرة الزيانية على الجبل بعد مهلك يوسف بن يعقوب التجيني، وتمكن بنو يغمراسن من دفع المتغلبين عنها حتى عام 783هـ/1381م[12]، وفي عهد أبا حمو بات هذا الجبل مختلف في الطاعة والخلاف[13].

---

[1] _ **المصدر السابق**، ص:234.

[2] _**نفسه**، 97/7.

[3] _ **نفسه**، ص:107.

[4] _ يحي بن خلدون: **المصدر السابق**، 207/2، 213، ابن خلدون: **المصدر السابق**، 109/7، 113،117، 116.

[5] _ الزركلي: **المصدر السابق**، 215/4.

[6] _ ابن أبي زرع: **الذخيرة السنية**، ص:132.

[7] _ ابن خلدون: **المصدر السابق**، 292/7_294.

[8] _ **نفسه**، 478/6.

[9] _**نفسه**، ص ص: 211_212.

[10] _ يحي بن خلدون: **المصدر السابق**، 208/2_209، 216، ابن خلدون: **المصدر السابق**، 211/7.

[11] _ ابن خلدون: **المصدر نفسه**، 212/6.

[12] _ يحي بن خلدون: **المصدر السابق**، 213/2، ابن خلدون: **المصدر السابق**، ص:212، التنسي: **المصدر السابق**، ص:143.

[13] _ ابن خلدون: **المصدر السابق**، ص،ص: 214، 331_332.

وكان الجبل المشرف على تنس مجال للحرب بين الأمير أبا ثابت الزياني وقبائل مغراوة[1] وأيضا صراع الدولة الزيانية بقيادة أبي مالك عبد الواحد المدعوم من الحفصيين مع جبال برشك وتنس خلال الفترة الممتدة من (831_833هـ/1427_1429م)[2]، والواضح أن هذه التجاذبات الكثيرة والمستمرة كانت تؤثر حتما على المجالات الريفية.

- **الصراع مع القبائل العربية:** تضرّر النشاط الزراعي والبستني أيضا جرّاء الحروب التي شهدتها أرياف المغرب الأوسط بين الدول الحاكمة والقبائل العربية، منذ دخول هذه الأخيرة وحتى أواخر العصر الوسيط، مثل صراع هلال بن عامر مع الدولة الحمادية[3]، وكذلك الدولة الموحدية[4]، ليحتدم الصراع على على أشده في عهد الدويلات الثلاث، فيغمراسن وحده خاض 72 غزوة مع العرب[5]، إلى جانب صراعها مع الدولة الحفصية والمرينية على مجال المغرب الأوسط[6]، وهذه الصراعات أيضا أسفرت على الكثير من من التخريب مثل الذي طال مدينة مازونة من قبل الثوار من الأعراب، حيث باتت قليلة السكان في عهد الوزان، إلى جانب الفقر الذي أصابهم[7].

والواقع أن حالة الفوضى والاضطراب السياسي التي آلت إليها الدولة الزيانية خاصة فيما يتعلق بصراعها مع العرب وزناتة، والدولة المرينية، تضعنا أمام الجزم بحالة الإنحطاط والإنهيار التام الذي باتت تعيشه المناطق الريفية للمغرب الأوسط، مما كان يعرقل النشاط الزراعي والبستني بها، لعدم الاستقرار القبلي من جهة، ولتسخير إمكاناتها القليلة بهذه الحروب من جهة أخرى.

بل إنّ هذه الصراعات تؤثر حتى على فترات الازدهار التي تعيشها هذه الدولة أو تلك، فدولة أبي العباس أحمد العاقل ابن المولى أبا حمو (834_866هـ/1430_1461م)، تميزت بالازدهار في بداية عهده ثم تلاشت لكثرة الثوار ضده من الزناتية والعربان، حيث دامت دولته 32 سنة على هذه الحال[8].

الصراعات القبلية: من أهم الصراعات القبلية التي ميزت هذه الفترة نجد:

- ✓ **الصراعات بين القبائل البربرية:** مثل الصراع بين صنهاجة وكتامة[9]، في عهد الدولة الحمادية

---

[1] _ يحي بن خلدون: **المصدر السابق**، 212/2، التنسي: **المصدر السابق**، ص ص: 152_153.

[2] _ التنسي: **المصدر السابق**، ص ص:243_245.

[3] _ ابن خلدون: **المصدر السابق**، 83/7.

[4] _ السلاوي: **المرجع السابق**، 108/2، محمد مغراوي: **الموحدون وأزمات المجتمع**، ص ص:97_98، Radhi Daghfous : **les hilaliens hilaliens et le pouvoir politique en Ifriqiyia**, p.495.

[5] _ يحي بن خلدون: **المصدر السابق**، 207/2.

[6] _**أنظر الملحق رقم: 03**.

[7] _ الوزان: **المصدر السابق**، 36/2، مارمول: **المصدر السابق**، 359/2.

[8] _ التنسي: **المصدر السابق**، ص ص: 247_248.

[9] _ النويري: **المصدر السابق**، ص ص:120_121، ابن الخطيب: **تاريخ المغرب العربي**، 69/3_71، ابن عذاري: **البيان**، 268/3، يحي بن خلدون: **المصدر السابق**، ص، ص: 169،246، مجهول(ق8هـ): **مفاخر البربر**، دراسة وتحقيق عبد القادر بوباية، ط1، دار أبي الرقراق للطباعة والنشر، الرباط، 2005م، ص:126، ابن خلدون: **المصدر السابق**، 108/4، 207/6، 233، 54/7_55، 103.

والصراع بين صنهاجة وزناتة[1]، لرغبة زناتة في تزعم بلاد المغرب الأوسط واحتوائه، وكان لبني سنجاس من قبائل مغراوة في "**فتنة زناتة وصنهاجة آثار بإفريقية والمغرب، وأكثرها في إفساد السبيل والعيث في المدن**"[2]، وأحيانا نجد الصراع بين بطون القبيلة نفسها مثل الصراع بين بني يفرن ومغراوة[3]، والصراع بين بين مغراوة وتجين[4]، وبين بني يمانوا وبني يلومي من زناتة[5].

- ✓ **الصراع بين القبائل العربية والبربرية[6]:** سواء مع قبيلة صنهاجة أو زناتة[7]، ليشهد القرن8هـ/14م، صراعا حادا بين أولاد سواق وعرب إفريقية وقبائل رياح[8].
- ✓ **الصراع بين القبائل العربية:** حول مجال المغرب الأوسط مثل الصراع بين عثمان الرياحي وأخيه يعقوب[9]، والحرب بين زغبة وسويد عام 775هـ/1373م[10].

والملفت للإنتباه أنّ التخريب الناجم عن الصراعات القبلية قليل جدا مقارنة بفترة الدراسة الطويلة، خصوصا ونحن نعلم أن الريف كان مجالا لتلك الحروب، ويعزى الأمر لتهميش هذا النوع من المجالات وإهمال ذكرها من قبل مصادر الفترة إلاّ ناذرا، أو ذكرها مقترنة بالمعارك التي تدور مع الدول الحاكمة.

الهجرة الهلالية لبلاد المغرب:

شكل تواجد هذه القبائل وحضورها في معظم المناطق الريفية ظاهرة خطيرة طيلة فترة الدراسة[11]، فمع نهاية القرن 5هـ/11م تمكن العرب من السيطرة على أرياف العديد من المدن الحمادية مثل: القلعة، قسنطينة، بونة، بجاية،...إلخ[12]، لذلك أتساءل عن مصير المنتجات الزراعية والبستنية في ظل التطور الحاصل والمصاحب للغزوة الهلالية؟

يذكر الإدريسي مواضع كثيرة متضررة من الأعراب الذين تغلبوا عليها مثل بونة وطبنة[13]، كما أشار إلى تحول القل إلى قرية صغيرة بعد أن كانت مدينة[14]، وكانت جميع الحصون التي على الطريق ما بين

---

[1] _ النويري: **المصدر السابق**، 120_121، ابن عذاري: **المصدر السابق**، 268/3، يحي بن خلدون: **المصدر السابق**، ص، ص: 169، 246، مجهول(ق8هـ): **المصدر السابق**، ص:126، ابن خلدون: **المصدر السابق**، 4/ 108، 6/ 207_209، 7/ 54_55، 103.

[2] _ ابن خلدون: **المصدر نفسه**، 63/7.

[3] _**نفسه**، ص ص: 29_30، 40.

[4] _**نفسه**، ص: 87، 166، 207.

[5] _**نفسه**، ص:75.

[6] –Mercier : **Histoire de l'afrique**...,2/379.

[7] _ ابن خلدون: **المصدر السابق**، ص،ص: 22، 27.

[8] _ النميري: **المصدر السابق**، ص ص: 399_402.

[9] _نفسه، ص:415.

[10] _ ابن خلدون: **المصدر السابق**، 181/7.

[11] _ بات عيث وفساد الأعراب ظاهرة يومية مألوفة بمعظم مناطق المرغب الأوسط، أنظر: ابن خلدون: **المصدر السابق**، 506/6_507.

[12] _Cambuzat, op.cit, p.149.

[13] _**المصدر السابق**، ص ص: 164_165.

[14] _**نفسه**، ص:167.

بجاية والقلعة كلها تحت تملك الأعراب وتضررها من عيثهم وفسادهم[1]، كما أشار إلى مناطق أخرى مثل دار ملول التي كانت من المراكز العمرانية التي لم تحافظ على ازدهارها، وهي على مرحلة كبيرة بشرق مقرة وسط سهول زراعية فسيحة[2]، وكذلك باغاية بقوله:**<<أصبحت الأسواق في المدينة والأرباض خالية بإفساد العرب لها وكانت لها بواد وقرى وعمارات، والآن كل ذلك قليل>>**[3]، وساهموا في تخريب تبسة[4] وبادس[5]،...إلخ.

وجبل الزاب(جبل أوراس)؛ الذي بات معقلا ومستقرا للأعراب الذين يقومون بقطع الطريق أمام المارّة[6]، وبسبب عيثهم وفسادهم للأقاليم الشرقية لبلاد المغرب الأوسط؛ بظاهر قسنطينة[7] والزاب والأوراس[8] اضطر أبا عنان للمسير بجيوشه لتأديبهم[9]، لكنهم عاودوا الكرّة خاصة من قبل عرب الدواودة في منطقة قسنطينة بقيادة زعيمهم يعقوب بن علي ثم إبنه محمد، فأتلفوا الحرث في مساحات شاسعة واضطر السلطان أبا إسحاق عام 791هـ/1389م، للتدخل وإقصائهم من التل لصائفتين متتاليتين حتى وفاة هذا الأمير عام 793هـ/1390م[10]، وحالة التخريب هذه طالت أيضا معظم أراضي الدولة الزيانية من قبل عرب المعقل[11].

وتشير القضايا الفقهية إلى مغتصبات القبائل الهلالية واقتسامها للأراضي الفلاحية وطردها للسكان المحليين[12]، وتؤكد المصادر الجغرافية ما جاء في الكتب الفقهية، فالمناطق الزراعية الخصيبة الواقعة شرق جبال قسنطينة غير مسكونة بسبب الأعراب[13]، وكذلك قصر تمزيزدكت المحاط بأراض خصيبة، قد خربته الأعراب وحولته لشبه إصطبل لايدخرون فيه سوى قمحهم وبرادع جمالهم[14].

---

[1] _**نفسه**، ص: 164، أنظر أيضا: مجهول(ق6هـ): **الاستبصار**، ص ص: 161_162.

[2] _**نفسه**، ص ص: 164_165.

[3] _**نفسه**، ص:177، أنظر أيضا: مجهول(ق6هـ): **المصدر السابق**، ص ص: 162_163.

[4] _ الحموي، **المصدر السابق**، مادة تبسة، 16/2، أنظر أيضا: مجهول(ق6هـ): **المصدر السابق**، ص:163.

[5] _ جورج مارسيه: **بلاد المغرب وعلاقتها بالمشرق الإسلامي عبر العصور**، ترجمة محمود عبد الصمد هيكل، راجعه واستخرج نصوصه مصطفى مصطفى أبو الضيف، توزيع منشأة المعارف، الإسكندرية، 1991م، ص:243.

[6] _أبو القاء خالد بن عيسى البلوي الغرناطي: **تاج المفرق في تحلية علماء المشرق**، مقدمة وتحقيق الحسن محمد السائح، طبع تحت إشراف اللجنة العلمية لنشر التراث الإسلامي بين المملكة المغربية ودولة الإمارات العربية المتحدة، مطبعة فضالة المحمدية، المغرب، (د_ت)، 144/2_145، 147.

[7] _ النميري: **المصدر السابق**، ص: 410.

[8] _**نفسه**، ص: 399_402، 417، 420، 428_429، 450، 461.

[9] _**نفسه**، ص،ص: 70،89.

[10] _ برنشفيك: **المرجع السابق**، 226/1.

[11] _ ابن خلدون: **المصدر السابق**، 56/6.

[12] _ فتوى المازري(ق6هـ): البرزلي: **جامع مسائل الأحكام**، 545/1_546، 169/3، 159/5، فتوى السيوري(ق5هـ):الونشريسي: **المصدر السابق**، 364/1، 593/9، ، أنظر أيضا: Allaoua Amara : **Retour à la problématique**, p.15_16

[13] _ الوزان: **المصدر السابق**، 104/2.

[14] _**نفسه**، ص ص: 11_12، مارمول: **إفريقيا**، 293/2.

ونتيجة لإغارة الأعراب الدائمة على الناس وممتلكاتهم[1]، بما فيها الزرع والثمار، وتخوف الفلاحين من ضياع المحاصيل الأمر الذي يدفع بهؤلاء إلى قطع الثمر أو الحصاد قبل تمام طيبه[2]، مما كان يؤثر سلبا على مردودية المحاصيل من جهة ويساهم في تفاقم الفقر والجوع في أوساط الفلاحين إلى جانب جهلهم لكمية الزكاة المفروضة عليهم أو حتى عجزهم عن دفعها.

لقد كان للقبائل الهلالية دورا كبيرا في تدهور الأرياف وتوسيع نطاق الترحال، ونتيجة لذلك تم تعويض زراعة الأرض بتربية الماشية(الإبل والغنم ثم البقر والخيول)، في العديد من المناطق الريفية[3]، وهنا أتساءل عن مصدر الأعلاف والمراعي لتغذية تلك الجموع الكبيرة من المواشي؟، وعلى صعيد آخر ما مصير الأزبال الناتجة عن تربية تلك القطعان الكبيرة؟، وهل تم استغلالها في تخصيب مناطق زراعية أخرى أم لا؟، وهذه النقطتين الأخيرتين بالذات تجعلني أعيد النظر فيما روّجت له المؤلفات التي أسرفت في تحميل القبائل العربية مسؤولية التبدي، وتدهور مساحات شاسعة من الأراضي الصالحة للزراعة.

وانطلاقا من الصراعات والحروب السابقة؛ ألا يمكن أن يكون الصراع الاقتصادي هو أساس الصراع القبلي؟، وعلى مستوى أوسع الصراع بين الدول الحاكمة؟، والأمر مؤكد والنماذج كثيرة: تقنين الغذاء، مصادرة الحبوب وتخوف أبا عنان من ازدهار القبائل العربية ببلاد الزاب، وهي مؤشرات تدل على أنها ذات صراع اقتصادي، لذلك فيجب على الباحث في المجتمعات الإسلامية أن ينتبه إلى تاريخيتها وقوة ثباتها، وسرعة حركيتها بسبب تناقضاتها الداخلية، وأن القبلية والأعراف التي تتطمس معالمها في هذه التناقضات لا تفسر الأحداث والصراعات بقدر ما يفسرها التباين الاقتصادي[4].

ب_الحروب مع الجبهات الخارجية:

تعددت الأطراف الخارجية التي جابهتها دول المغرب الأوسط من خلال الحروب التي خاضتها على مجال المغرب الأوسط[5] خلال هذه الفترة مثل غزو النورماند[6]، وبني غانية[7] بالإضافة إلى حروبها مع النصارى خاصة خلال الفترة الموحدية والفترة الحفصية مثل عام679هـ/1280م[8]، وعام 801هـ/

---

[1]_فتوى قاسم العقباني(ق9هـ)، الونشريسي، **المصدر السابق**، 115/2_116، فتوى عبد الرحمن الواغليسي(ق8هـ)، **المصدر نفسه**، 116/2.

[2]_أبو عبد الله محمد المازري: **فتاوى المازري**، تقديم وجمع وتحقيق الطاهر المعموري، الدار التونسية للنشر، تونس، 1994م، ص:109، فتوى المازري(ق6هـ)، البرزلي، **المصدر السابق**، 546/1.

[3]_ برنشفيك: **المرجع السابق**، 457/2_458، محمد حسن: **المدينة والبادية**، 454/2.

[4]_مزيان: **المرجع السابق**، ص ص:381_382.

[5]_**أنظر الملحق رقم: 02**.

[6]_ ابن الأثير: **المصدر السابق**،391/9، ابن خلدون: **المصدر السابق**، 235/5_236.

[7]_ ابن عذاري: **البيان، قسم الموحدين**، ص ص:252_254، ابن خلدون: **المصدر السابق**، 378/6_380، التيجاني: **المصدر السابق**، ص:354.

[8]_شهد هذا العام استهداف مرسى القل من قبل النصارى، أنظر: ابن خلدون: **المصدر السابق**، ص ص: 439_440، ابن قنفذ: **الفارسية**، ص ص:139_140.

1398م[1]، وصراعها مع الإسبان خاصة أواخر القرن 9هـ/15م بعد سقوط غرناطة[2]، كما شكل القرن 10هـ/16م بالنسبة لدول المغرب الإسلامي فترة احتضار بسبب الصراع بين الإسبان والأتراك ثم التفكك في الأخير[3].

وفي ظل هذه الظروف فإنني أتساءل عن وضع أرياف المغرب الأوسط في فترات الفوضى وتجادب الحدود والمكاسب الترابية لدى هذه الدولة أو تلك؟

لقد كانت أكثر الفترات ضررا للأرياف جراء الحروب الخارجية؛ هي تلك التي جرت مع بني غانية لطول فترة هذه الحرب واتساع نطاقها[4]، فقد خاضت الدولة الموحدية حروبا طويلة معها طيلة خمسين عاما، أين دارت رحى أغلب المعارك على مجال المغرب الأوسط، ونجم عنها تخريب بجاية والقلعة وأقفرت سائر المناطق الريفية المحيطة بها، بتحالفها مع الأعراب وعدمت المؤن والأقوات وعاثوا في البلاد فسادا[5]، حتى قال عنها الرحالة التيجاني[6] نقلا عن ابن شداد **<<إنّه هلك العباد وخراب البلاد>>**، فكان سقوط هاتين العاصمتين بداية لمحنة طويلة، طالت مناطق أخرى وأثرت على المغرب الأوسط بحواضره وأريافه، فقد كان ابن غانية كثيرا "**ما يجلب على ضواحي تلمسان وبلاد زناتة ويطرقها معه من ناعق الفتنة...**"[7].

وبسبب هذه الحرب تم تخريب الكثير من القصور والمدن والقرى، مثل تاهرت، وقصر عجيسة وزرفة، والخضراء وشلف ومتيجة وحمزة ومرسى الدجاج والجعبات[8]، وقصور الصحراء بوادي ريغ[9]، وهذا وهذا الدمار ألحق ضررا كبيرا بالعمران والزراعة[10]، وساهم في الإنحطاط الاقتصادي للظهير الزراعي

---

[1]_ في هذا العام أخذ النصارى تدلس وأوقعوا بأهلها، ونزلوا أيضا بلد العناب وزحفوا إلى مرسى القل ، إلا أن حملتهم باءت بالفشل، أنظر: ابن قنفذ، **المصدر نفسه**، ص:196، برنشفيك: **المرجع السابق**، 2/250_252.

[2]_ الميلي: **المرجع السابق**، 2/436، 484.

[3]_مولاي بلحميسي: **نهاية دولة بني زيان**، مقال ضمن مجلة الأصالة، العدد 26، مج 1، 1975م، ص:30.

[4]_دامت هذه الثورة مدة خمسين سنة متواصلة(580_631هـ/1184_1233م)، وقد أنهكت قوى الدولة الموحدية لتعدد جبهات القتال بإفريقية والمغرب الأوسط، لينتهي هذا الصراع بموت الميورقي عام 631هـ/1233م وانقرض ملك المرابطين على يد أبا زكريا الحفصي(598_647هـ/1202_1249م)، ولكنها أسفرت على نتائج وخيمة، حيث أفقرت المقاطعات وساهمت في إنشطارها، ولم ينته النصف الأول من القرن 7هـ/13م، حتى انقسمت دولة الموحدين إلى ثلاثة أقسام، أنظر: الزركلي: **المرجع السابق**، 8/155، أبو الضيف: **المرجع السابق**، ص: 333، مارسييه: **المرجع السابق**، ص: 267، المغراوي: **المرجع السابق**، ص: 102.

[5]_ ابن خلدون: **المصدر السابق**، 6/326_329، المراكشي: **المعجب**، ص:374، ابن عذاري: **المصدر السابق**، ص:164، مجهول(ق6هـ): **الإستبصار**، ص:131، الحميري: **المصدر السابق**، ص: 142، أبو الضيف: **المرجع السابق**، ص ص: 76_78.

[6]_ **المصدر السابق**، ص:14.

[7]_ ابن خلدون: **المصدر السابق**، 7/105.

[8]_**نفس المصدر** والصفحة.

[9]_ الدرجيني: **المصدر السابق**، 2/453_454.

[10]_ محمد حسن: **المدينة والبادية**، 1/52، جورج مارسييه: **المرجع السابق**، ص: 266، أبو رميلة: **المرجع السابق**، ص: 378.

بمعظم مدن المغرب الأوسط[1]، فخربت الأراضي الزراعية وتوقفت الصناعة وانعدم الأمن[2] لضعف الدولة الدولة الموحدية وعجزها في مجابهتها.

وبالنسبة **للغزو النورماندي**، فرغم الدور الإقتصادي والحربي الذي لعبه مرسى بجاية في مواجهة غارات النورمان؛ إلاّ أنّ سكان مدن ومراسي مجاورة وبعيدة عانت كثيرا من غاراتهم المخربة منذ القرن 5هـ/11م، ولعل أهمها مرسى القل، مرسى جيجل، مرسى الدجاج(بين مستغانم وأرزيو)[3]، وقد كان سكان تلك المراسي يضطرون في فصلي الربيع والصيف لمغادرة مدنهم خوفا من تلك الغارات، ورغم أن بقاءهم لم يدم طويلا، إلاّ أنّ غاراتهم أحدثت أضرارا جمّة كما تسببت في الانحطاط الاقتصادي للظهير الزراعي لبلاد المغرب الأوسط خلال القرنين 5و6هـ/11و12م[4].

والملاحظ أن هذه الفترة والمتزامنة مع غارات النورماند كانت هي فترة الذروة للعناية بالمزروعات وحصادها، إلى جانب جني الثمار، مما شكل عائقا لممارسة النشاطين، خصوصا ضمن الأرياف المحيطة بالمدن المذكورة أوالقريبة منها، وهنا أتساءل عن مصير السكان عند فرارهم إلى الجبال، فهل اتخذوا بتلك الجبال مناطق زراعية لممارسة نشاطاتهم؟، أم أنهم كانوا يذخرون هذه المنتجات الغذائية، ويأخذونها معهم أثناء رحيلهم؟

وبالنسبة **للغزو الإسباني** فقد تضررت بسببه العديد من المناطق الريفية؛ فسكان الجبال المحيطة بمدينة هنين، وهم برابر كانوا يعيشون في خوف دائم عندما احتل الإسبان هذه المدينة، لكنهم أصبحوا أكثر أمنا عندما غادروها[5]، كما تضرر الجبليون بعد احتلال تلمسان وأصيبوا بفقر مذقع ولحقهم أذى كبير كبير من هؤلاء المحتلين[6]، بالرغم من الخصب والوفرة والإزدهار الزراعي والبستني الذي كانت تنعم به تلمسان من قبل، والواضح أن هؤلاء المحتلين قد سيطروا على أهم مراكز الإنتاج الرئيسية للمنطقة مما انعكس سلبا على فلاحة السكان الجبليين.

والواضح أن حالة الفقر التي طالت سكان مدينة تبحريت الواقعة على ساحل البحر بـ12 ميل عن ندرومة، تعود أساسا إلى انقطاع الإتصال مع الأرياف والخوف لانعدام الأمن، مما عرقل النشاط الفلاحي بالمنطقة، والذي كان مرده للهجومات المتكررة من قبل النصارى عليها[7].

استمر التدهور وتحرشات الأوروبيين على سواحل المغرب الإسلامي إلى نهاية العصور الوسطى وبداية العصور الحديثة، مع دخول الأتراك العثمانيين للأجزاء الشرقية والوسطى من المغرب العربي[1]،

---

[1]–Allauoa Amara : op.cit, p.19.

[2]_ أبو رميلة: **المرجع السابق**، ص:378.

[3]_ موسى لقبال: **ميزات بجاية**، ص: 7.

[4]–Amara : op.cit, p.19.

[5]_ مارمول: **المصدر السابق**، 2/ 296.

[6]_ الوزان: **المصدر السابق**، 2/ 44، مارمول: **المصدر السابق**، ص:352.

[7]_ الوزان: **المصدر السابق**، ص ص: 14_15.

وهذه التجادبات الكثيرة والمتزامنة مع حالة الفوضى والفراغ السياسي قد زادت من تقوقع الأرياف على نفسها، وتهميشها لانعدام سلطة فعلية متحكمة في تسيير شؤون البلاد.

جـ_نتائج الحروب والصراعات:

جـ1_حدوث المجاعات والأوبئة والغلاء:

الواضح أنّ للحروب والصراعات انعكاسات آنية وبعيدة المدى ذلك أنّ حملات التدمير تساهم في تعطيل الأراضي وتقلل من إنتاجيتها، وإذا كان تخريب الزروع يعرقل الموسم الفلاحي فقط؛ فإن قطع الأشجار من أصولها يتطلب عشر سنين أو أقل من ذلك أو أكثر لكي تعاود الإنتاج من جديد[2]، ومن هنا تظهر الخطورة الناجمة عن تلك الحروب، لذلك فحالة الحرب الدائمة كثيرا ما تتسبب في التدهور الاقتصادي خاصة بعد نهاية كل دولة.

ويلخص ابن خلدون[3] أبرز النتائج الناجمة عن الحروب والفتن بقوله: **<<إنّ المجاعات والموتان تكثر عند ذلك في أواخر الدول والسبب فيه، إما المجاعات فلقبض الناس أيديهم عن الفلح في الأكثر بسبب ما يقع في آخر الدولة من العدوان في الأموال والجبايات أو الفتن الواقعة في انتقاص الرعايا وكثرة الخوارج لهرم الدولة، فيقل احتكار الزرع غالبا....فإذا فقد الاحتكار عظم توقع الناس للمجاعات فغلا الزرع وعجز عنه أولو الخُصاصة فهلكوا، وكان بعض السنوات الاحتكار مفقودا فشمل الناس الجوع، وأما كثرة الموتان فلها أسباب من كثرة المجاعات كما ذكرناه أو كثرة الفتن لاختلال الدولة فيكثر الهرج والقتل أو وقوع الوباء...>>.**

فبعد وفاة أمير المرابطين علي بن يوسف عام 537هـ/ 1142م، ومع تتابع ثورات الموحدين ضدها ساءت أحوال بلاد المغرب كلها وتدهور الوضع الاقتصادي وكسدت التجارة وانحطت الزراعة، فانتشرت المجاعات والأمراض، وعمّ القحط وارتفعت الأسعار[4].

وبسبب غزو بني غانية لبجاية عام 588هـ/1192م،انتشرت العديد من المجاعات بالمغرب الأوسط[5]، كما بلغت الدولة الموحدية في أواخر عهدها مرحلة من الضعف والفوضى، لكثرة الحروب فضعفت الإدارة واختل الجيش وانهارت الأوضاع الإقتصادية وتوقفت الحراثة[6]، وحركة العمران[1]، فكانت النتيجة هي انتشار الخراب والدمار والقحط والغلاء الشديد وانعدام الأمن بالطرقات[2].

---

[1]_ نفسه، ص ص:488_489.

[2]_برهان الدين إبراهيم بن علي اليعمري المعروف بابن فرحون: **تبصرة الحكام في أصول الأقضية ومناهج الأحكام**، خرّج أحاديثه وعلّق عليه وكتب حواشيه: الشيخ جمال الدين مرعشلي، طبعة خاصة، دار الكتب للطباعة والنشر والتوزيع، الرياض، 1423هـ/2003م، 139/2.

[3]_ **المقدمة**، ص: 376.

[4]_ ابن عذاري: **البيان، قسم الموحدين**، ص: 16، عصام الفقي: **المرجع السابق**، ص: 266، بوتشيش: **المرجع السابق**، ص:128.

[5]_ ابن عذاري: **المصدر السابق**، ص ص:181_182.

[6]_ ابن أبي زرع: **الذخيرة السنية**، ص:35.

ولعل القحط المصاحب لارتفاع الأسعار الذي عاشته بلاد المغرب الإسلامي عام 637هـ/1239م، كان جراء الفتن والحروب بشهادة ابن عذاري[3] الذي قال: **<<وكانت أكثر بلاد المغرب غالية الأسعار بسبب كثرة الفتن وقلة الأمطار في تلك الأمصار>>.**

وأحيانا نجد أن فترات انقطاع الأرياف عن المدن يؤدي إلى حدوث اختلالات ومشاكل جمة ولنا في حصار تلمسان الطويل من قبل السلطان المريني يوسف بن يعقوب (698_706هـ/1298_1306م) ، خير مثال على ذلك من كثرة الموتان وارتفاع الأسعار[4] وحدوث المجاعة[5]، حيث "**نالهم فيها من الجهد ما لم ينله أمة من الأمم واضطروا إلى أكل الجيف والقطوط والفئران حتى أنهم زعموا أنهم أكلوا فيها أشلاء الموتى من الناس، وخربوا السقف للوقود**"[6].

وببلاد الزاب اجتاحت جيوش أبا عنان بالنسف والقطع لنخيلها وأشجارها[7]، لذلك فالمؤكد بأن هذا الإجراء قد تسبب في إتلاف ثروة بستنية هامة بالمنطقة، وكميات لايستهان بها من المنتجات الزراعية والبستنية، مما أدخل بلاد الزاب في أزمة اقتصادية حقيقية (قلة المنتجات الفلاحية وشلل الحركة التجارية لنذرة الغذاء)، بل أيضا أزمة غذائية على المستوى الاجتماعي، وشيئا فشيئا ونتيجة لاتلاف الأشجار، تتعرض معظم الأراضي الخصبة للتدهور فيقل إنتاجها ويكون مآلها البوار.

وإذا كان ارتفاع الأسعار له علاقة وطيدة بحالات التدمير الناجمة عن الحروب والحملات العسكرية، فإن الإستعدادات الضخمة للقيام بحرب أو حملة عسكرية لها جانبها الواضح في ارتفاعها أيضا، لما تتطلبه من تجنيد ثروات البلاد لتجييش الجيوش مما يؤدي إلى قلة المواد الغذائية نتيجة للضغط المفروض على الفلاحين ومراكز الإنتاج لتوفيرها[8].

ونلمح غلاء الأسعار وضيق العيش الذي نال سكان بجاية عام726_727هـ/1325_1326م، جرّاء حصارها من قبل الزيانيين[9]، وكذلك قسنطينة جراء الحصار المريني لها عام 750هـ/1349م[10]، حتى بلغ الفول ثمانية بدرهم وعظم الحال[11]، والآثار الآنفة الذكر تؤكد على انقطاع الاتصال مع المناطق

---

[1]_ عز الدين عمر موسى: **الموحدون، تنظيماتهم ونظمهم**، ص:56، حسن علي حسن: **المرجع السابق**، ص:49.

[2]_ ابن أبي زرع: **روض القرطاس**، ص:250، عزالدين عمر موسى: **المرجع السابق**، 55.

[3]_ **المصدر السابق**، ص:351.

[4]_ يحي بن خلدون: **المصدر السابق**، 2/ 210_211.

[5]_ ابن الأحمر: **المصدر السابق**، ص: 69، ابن الخطيب: **رقم الحلل**، ص ص: 72_73.

[6]_ ابن خلدون: **العبر**، 7/126_128، 292، حول هذا الموضوع، أنظر أيضا: التنسي: **المصدر السابق**، ص ص: 131_134، ابن الخطيب، **المصدر السابق**، ص: 90،التنبكتي: **المصدر السابق**، ص ص: 241_242، المقري: **نفح الطيب**، 5/265.

[7]_**أنظر الملحق رقم: 02.**

[8]_ حسن علي حسن: **المرجع السابق**، ص ص: 254_255.

[9]_ يحي بن خلدون: **بغية الرواد**، 2/217.

[10]_ ابن قنفذ: **الفارسية**، ص:180_181.

[11]_ التنبكتي: **المصدر السابق**، ص:440، ابن مريم: **المصدر السابق**، ص:177، الحفناوي: **المرجع السابق**، 1/118.

الريفية، إلاّ أنني أجهل إن كانت تلك الأرياف قد نالها الضرر والعيث من هذه الحملات بالذات؟، أم أنها ساهمت في تقوقعها واستقلالها؟

جـ2_ كثرة الموتان والقتل:

تسببت الحروب والمعارك في خسائر بشرية فادحة، ففي عام 457هـ/1065م وجراء الحرب التي دارت بين الناصر بن علناس وعرب بني هلال تسببت في موت أربع وعشرون ألفا من صنهاجة وزناتة، وعلى إثرها تم لهم ملك البلاد[1]، والمؤكد أنّ هذا الأمر قد أثر على الوضع الديموغرافي للسكان ولا يُستبعد يُستبعد تأثيرها السلبي على اليد العاملة الريفية، والتي كانت من الأسباب التي جعلت هذا الحاكم يصانعهم على نصف غلة البلاد من القمح والتمور[2].

وانتهى صراع عجيسة مع ملوك القلعة بإبادة هذه القبيلة، على حد تعبير صاحب العبر[3]، ومغراوة التي أكلتها الحروب وانتهت على يد المرينيين وبقيت أشلاءا خلال القرن 8هـ/14م[4].

جـ3_الهجرة: ساهمت الحروب والصراعات في تفشي ظاهرة الهجرة في أوساط السكان الريفيين، ممّا أثر في تراجع النشاط الزراعي والبستني لتلك المناطق، فنتيجة لعيث زناتة وفسادها ببلاد المغرب الأوسط تم إجلاء سكان فحص سيرات جرّاء الحروب الصنهاجية الزناتية بشهادة البكري[5]، وبنو يزناتن هُجّروا أيضا بعد تخريب هاز وهم أصحاب هذه المدينة[6]، كما تسببت الغزوة الهلالية في هجرة الكثير من سكان المغرب الأدنى(مجال الدولة الزيرية)، إلى الساحل والمناطق الجبلية الخصيبة خاصة بلاد بني حماد[7].

وبعد استقرار هذه القبائل بالمغرب الأوسط في الفترات اللاحقة ساهموا أيضا في إجلاء جموع غفيرة من السكان المستقرين وتشتيتهم، وتقلص عدد سكان المدن والقرى[8]، ومن جانب آخر ونتيجة لسيطرة قبيلة قبيلة صنهاجة والقبائل العربية على زناتة، اضطرت هذه الأخيرة إلى اللجوء إلى المناطق التي تضعف فيها قبضة هاتين القبيلتين مثل هضبة الشطوط وصحراء الزاب[9].

والمؤكد أن أرياف البلاد القريبة والبعيدة، قد استقطبت أعدادا كبيرة من هؤلاء، وخلال حملة أبا عنان لبلاد الزاب وجرّاء تهديم آثار ضيعة فرفر وقصبة طولقة، لاذ الكثير من أعراب المنطقة للهروب والتوغل

---

[1]_ النويري: **المصدر السابق**، 24/ 123، ابن الأثير، **المصدر السابق**، 8/ 372_373، شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي: **دول الأسلام**، حققه حققه وعلّق عليه إسماعيل مروة، قرأه وقدّم له محمود الأرناؤوط، ط1، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1999م، 1/ 392.

[2]_ ابن خلدون: **المصدر السابق**، 6/ 27.

[3]_**نفسه**، ص:192.

[4]_**نفسه**، 95/7.

[5]_**المصدر السابق**، ص:70.

[6]_**نفسه**، ص:143.

[7]_ابن الأثير: **المصدر السابق**، 457/9، عز الدين أحمد موسى: **المرجع السابق**، ص:44، 82_83.

[8]_ برنشفيك: **المرجع السابق**، 163/2.

[9]_ عز الدين أحمد موسى: **المرجع السابق**، ص:83.

في القفار ورمال الصحراء[1]، كما ساهمت هذه الحملة أيضا في تهجير أعداد غفيرة من العرب من الكثير من قلاع وقرى وأرياف بلاد الزاب، ومستغانم التي فقدت ثلثي أهلها بعد ضعف سلطة ملوك تلمسان في عهد الوزان[2].

وبالنسبة للغزو الخارجي؛ ونتيجة لتعرض المدن الساحلية للتخريب والغارات الأمر الذي كان يؤدي إلى هجرة سكانها إلى الجبال والأرياف المجاورة ، فبعد سيطرة النورمان على بونة عام 548هـ/1153م، أعفى روجار جماعة من العلماء والصالحين حتى خرجوا بأهليهم وأموالهم إلى القرى[3]، ولما ملك عبد المؤمن بجاية وسارت جيوش الموحدين إلى قلعة بني حماد، هرب سكان هذه المدينة واعتصموا برؤوس الجبال المحيطة بها[4]، وهو الأمر الذي لجأ إليه سكان بجاية هروبا من جيوش بني غانية[5].

ومدينة مرسى الدجاج التي تعرضت "**للتخريب وهتك الأستار من قبل يحي بن إسحاق الميورقي**"[6]، الأمر الأمر الذي جعل سكانها في خوف دائم ولجوئهم إلى الفرار خاصة في الصيف خوفا من قصد الأساطيل إليها[7]، وهو الأمر الذي لفت انتباه أبو الفدا بقوله "**كبيرة القطر، لها حصن دائر بها وبشرها قليل**"[8]، ومدينة جيجل التي فرّ سكانها بعدما ظفر بها روجار وارتفع أهلها إلى الجبل على بعد ميل منها[9].

كما تسببت الفتن والحروب بين ملوك تلمسان والإسبان في إخلاء الجبل من السكان ومن بقي منهم بات يعيش في فقر ورعب دائم[10]، ومع تقدم الهجمات المسيحية بدواخل المغرب الأوسط، كان السكان يلجؤون إلى المناطق الريفية للاستقرار فيها بدون أمل للعودة[11]، وعلى هذا الإعتبار فهل ظهرت مدن ومناطق ريفية جديدة احتوت هؤلاء السكان الفارين؟ وما هي أغلب الأنشطة الفلاحية الممارسة من قبل هؤلاء السكان إن وجدت؟

جـ4_ التهجير: الحديث عن هذه النقطة بالذات ينطلق من نقطتين هما:

- ✓ **تهجير السكان بإرادة الدولة المنتصرة(التهجير القسري):** بعد انتهاء الحروب والحملات التأديبية

---

[1]_ النميري: **المصدر السابق**، ص ص: 450_451.

[2]_ **المصدر السابق**، 32/2.

[3]_ ابن الأثير: **المصدر السابق**، 391/9، ابن خلدون: **المصدر السابق**، 235/5_236.

[4]_ النويري: **المصدر السابق**، 167/24، ابن الأثير: **المصدر السابق**، 373/9.

[5]_ابن عذاري: **المصدر السابق**، ص ص: 180_181.

[6]_ الحميري: **المصدر السابق**، ص:132.

[7]_**نفسه**، ص: 539، أبو الفدا: **تقويم البلدان**، ص: 126.

[8]_ أبو الفدا: **نفس المصدر** والصفحة.

[9]_ الإدريسي: **المصدر السابق**، ص ص: 168_169، الحميري: **المصدر السابق، ص**: 184.

[10]_ مارمول: **المصدر السابق**، 353/2.

[11]_مارسييه: **المرجع السابق**، ص: 336.

من قبل الدول الحاكمة، تلجأ هذه الأخيرة إلى تهجير القبائل المنهزمة بشكل قسري، فبالنسبة **للقبائل البربرية**، وعلى إثر نزول حماد على بلاد أريغ بعسكره قام بإجلاء قوم بني غمرة ودمرهم تدميرا[1]، كما أسفرت صراعات الدولة الزيانية مع قبيلتي مغراوة وتجين إلى تهجيرهم، ففي عام 693هـ/1294م، زحف عثمان بن يغمراسن إلى بلاد مغراوة وتجين "**فاستولى على أمصارهم وضواحيهم، وأخرجهم عنها وألجأهم إلى الجبال**"[2]، ونفس المصير لقيته هاتين القبيلتن عام 770هـ/1368م[3].

والجدير بالذكر أن الفرار والتشريد بات مصير قبائل مغراوة في أغلب المعارك التي خاضتها مع بني زيان مثل أعوام 694هـ/1294م، 701هـ/1301م[4]، 752هـ/1351م[5]، والمؤكد أن هذه الاجراءات قد أثرت سلبا على ممارسة النشاطين خاصة في المناطق الخصبة والمشتهرة بالاستقرار السكاني.

وبغض النظر عن تراجع هذه العائدات؛ فالتهجير في حد ذاته يساهم في قلة الكثافة السكانية بمعظم المناطق الريفية، فقد كان لمغراوة وبني يفرن التقدم على قبيلتي بني ومانوا وبني يلومي في الكثرة والعدد، ولما غلب بلكين بن زيري مغراوة وبني يفرن على المغرب الأوسط وأزاحهم إلى المغرب الأقصى بقيت هاتان القبيلتان بمواطنهما[6]، وأثناء غزو أبا الحسن لتلمسان نقل بنو مرين رؤوس زناتة أجمع إلى المغرب الأقصى وأوطنوه إلى أن صار الأمر لبني عبد الواد الكرة الثالثة[7].

أما عن **القبائل العربية** فقد تم تهجير أعداد كبيرة منهم في عهد عبد المؤمن بن علي سواء إلى المغرب الأقصى[8] أو الأندلس[9]، ليشهد عهد ابنه يوسف وعهد الناصر[10] والمنصور عام 588هـ/1192م، 588هـ/1192م، نفس الإجراء لإعادة الهدوء إلى منطقة إفريقية[11]، والواضح أن هذا النوع من التهجير كان له جانبه الإيجابي على المناطق الريفية المُهجّر منها، في مقابل تدهور مناطق ريفية عديدة من المغرب الأقصى التي استقرت فيها تلك القبائل[12].

وعملية التهجير القسري لاتستهدف القبائل الثائرة والمنهزمة فحسب، بل إنّ هذه العملية شملت حتى الأسر الحاكمة المخلوعة مثل تغريب أسرة بني حمدون من بجاية إلى سلا عام 588هـ/1192م،

---

[1] _ الدرجيني: **المصدر السابق**، 413/2.

[2] _ ابن خلدون: **المصدر السابق**، 90/7.

[3] _ **نفسه**، ص،ص: 132، 176.

[4] _ **نفسه**، ص،ص/ 293، 295.

[5] _ **نفسه**، ص، ص: 94، 160.

[6] _**نفسه**، ص ص: 74_75.

[7] _**نفسه**، ص:204.

[8] _ النويري: **المصدر السابق**، 168/24_169، ابن الأثير: **المصدر السابق**، 316/9، 390_391، ابن خلدون: **المصدر السابق**، 28/6، 43_44، **رسائل موحدية**، 69/2، 238، ابن أبي زرع: **روض القرطاس**، ص ص:199_200.

[9] _ المراكشي: **المعجب**، ص ص: 294_295، علام: **المرجع السابق**، ص ص: 237_238، 261.

[10] _ ابن خلدون: **المصدر السابق**، 43/6_44.

[11] _نفس المصدر والصفحات، ابن عذاري: **المصدر السابق**، ص:242، **رسائل موحدية**، 172/2، 238.السلاوي: **المرجع السابق**، 151/2.

[12] _**رسائل موحدية**، 238/2، عز الدين أحمد موسى: **المرجع السابق**، ص:99.

وإجبارهم على بيع أموالهم وديارهم[1]، رغم أن المصادر لم تقدم لنا معلومات حول أملاك هذه الأسرة بالمناطق الريفية، ممّا صعّب علي معرفة مصيرها بعد تهجيرهم.

وأحيانا يكون التهجير لغرض أمني مثل استقدام عبد المؤمن بن علي لقبيلة كومية لتحمي ظهره وتشد أزره بعد كثرة الأعداء والقلاقل حول ملك الدولة الموحدية[2]، فنزلت في557هـ/1161م، بأحواز مراكش (40 ألف فارس)، ولم يبق منهم إلاّ بقايا من بني عابد[3]، وهنا أيضا أتساءل عن مصير أملاك هذه القبيلة خصوصا ونحن نعلم أن سكانها اشتهروا منذ القدم بالفلاحة.

✓ **التهجير بسبب الصراعات القبلية:** للصراعات القبلية الدور الكبير في التهجير، سواء تعلق الأمر بتغلب **قبيلة عربية** على أخرى **بربرية**، مثل تغلب الهلاليين على زناتة وتهجيرهم[4]، وأيضا فرار سكان قصر تمزيزدكت من تعسفات الأعراب[5]، أو نتيجة لتغلب **القبائل البربرية** على بعضها البعض، مثل تغلب توجين على مغراوة بعد وفاة منديل بن عبد الرحمن المغراوي عام 623هـ/1226م، حيث أزاحتهم من جبل وانشريس وضواحي المدية فانقبضوا إلى مركزهم الأول بشلف[6]، وخلال القرن 7هـ/13م تغلب بنو راشد على بسائط مديونة وبني ورنيد وهجّروهم عنها[7].

وبعد وفاة يغمراسن عام 681هـ/1282م، استوسق الملك لمحمد بن عبد القوي أمير تجين، فتغلب على أوطان صنهاجة بجبال المدية وأخرج الثعالبة من جبل تيطري، فانزاحوا عنه إلى بسائط متيجة وأوطنوها واستولى محمد على حصن المدية[8].

وأحيانا يكون هذا التهجير بسبب الحرب بين فروع القبائل العربية؛ فلما اشتعلت الحرب بين بني يعقوب بن عامر بزعامة داوود بن هلال ومعرف بن سعيد بن رباب انقسم بنو عامر على أنفسهم بين بني يعقوب وبنو حميد، وتمكن بنو حميد من طرد بني يعقوب إلى المغرب الأقصى فتحالفوا مع المرينيين وعادوا في جيوش أبا الحسن لغزو تلمسان[9].

جـ5_الاقطاع كعامل ضعف:

كان لانقسام البيت الصنهاجي والهجرة الهلالية وظهور سلط محلية الدور الكبير في في بروز إقطاعيات ساهمت في انشطار الكثير من الأراضي[10]، والواضح أن **الاقطاع الحفصي** في البداية كان من

---

[1]_ابن عذاري: **المصدر السابق**، ص ص: 181_182.

[2]_ ابن خلدون: **المصدر السابق**، 168/6، علام: **المرجع السابق**، ص:227_228، 391.

[3]_ السلاوي: **المرجع السابق**، 157/1.

[4]_ ابن خلدون: **المصدر السابق**، 84/7.

[5]_الوزان: **المصدر السابق**، 12_11/2، مارمول: **المصدر السابق**، 293/2.

[6]_ ابن خلدون: **المصدر السابق**، 87/7.

[7]_نفسه، ص:203.

[8]_نفسه، ص:210.

[9]_نفسه، 70/6، أبو الضيف: **المرجع السابق**، ص:230.

[10]– Cambuzat, op.cit, p.149.

باب الاصطناع والمداراة فحسب، لكن بعد تغلب الأعراب على الدولة وعجز هذه الأخيرة أمامها منحتهم إقطاعات من نوع التمليك، ويعتبر السلطان أبا إسحاق أول من كتب البلاد الغربية للعرب **بالظهائر**، فقلّت المجابي في أيامه وكثر الإخراج والإنفاق[1].

ولجأت الدولة الزيانية أيضا إلى هذا الإجراء قصد استجلاب القبائل إلى صفها[2]، ويوضح ابن خلدون[3] ذلك بقوله: **<<وانبسطت أيدي العرب على الضاحية وأقطعتهم الدولة حتى الأمصار وألقاب الجباية ومختص الملك...وقاسموهم في جبايات الأمصار بالإقطاع ريفا وصحراء وتلولا وجريدا>>.**

لقد بلغ الاقطاع أوجّه في عهد السلطان أبي حمو موسى الثاني، حيث أصبحت الدولة عبارة عن إقطاعات للقبائل والأشخاص، سواء كانوا من الأسرة الحاكمة أو من أنصارها[4]، ونتيجة لحالة الحرب مع عمه أبا زيان، "**أقطع أبا حمو موسى الثاني للعرب البلاد على أشطاط منهم في الطلب**"[5].

والواضح أنّ سياسة إقطاع الأراضي من قبل حكام الدولة الزيانية لصالح أمراء العرب قد جعلهم ينتفعون بجباية أموال المناطق الريفية[6]، بل تعدى الأمر للإستيلاء على القرى ذلك أنّ تملك وسيطرة العرب على القرى الريفية باتت ظاهرة مألوفة في عصر المازوني[7]، أين نال السكان حظهم من الشطط الجبائي المفروض عليهم[8].

وفي هذا الصدد يذكر المازوني: **<<سألت الفقيه سيدي محمد بلقاسم المشدّالي عن مسألتنا أهل قرية استولى عليها بعض الأعراب ولا يخف عنكم حال العرب مع الرعية يطالبونهم بوظائف شتى كغرائم الجنات ووجائب الحرث يوظفون على الرجل حرث مضمن مثلا كل سنة، ويعينون له الأرض ويغرم عليها، حرثها أو لم يحرثها>>**[9].

وهناك من القبائل التي يرتكز عليها السلطان في حراسة السكان المناوئين مقابل إقطاعها أراضي معينة ومحدودة لفائدة تلك القبيلة الموالية، التي غالبا ما تتيح لها السلطة افتكاك الأراضي عنوة من يد أصحابها فيشردونهم أو يفرضون عليهم خراجا فتتكرس "**الاقطاعية المحلية**"[10]، فمع مطلع القرن 8هـ/14م

---

[1]_ ابن قنفذ: **الفارسية**، ص: 139.

[2]–Elise Voguet : **Le Mahgreb central**, p.228.

[3]_ **المصدر السابق**، 103/6.

[4]_ فؤاد طوهارة: **النشاط الاقتصادي في تلمسان خلال العصر الزياني (7_9هـ/13_15م)**، مجلة جيل العلوم الانسانية والاجتماعية، العدد2، 2014م، ص:73.

[5]_ابن خلدون: **المصدر السابق**، 174/7.

[6]_فتوى أبا الفضل العقباني (ق9هـ)، المازوني: **المصدر السابق**، 3/2ظ، فتوى عبد الرحمن الواغليسي (ق8هـ)، **المصدر نفسه**، ورقة 133و.

[7]_فتوى أبا الفضل العقباني، **المصدر نفسه**، ورقة: 3ظ، 7ظ، 11ظ، 15و، 33ظ_34و، 38و، أنظر أيضا: فتى عبد الرحمن الواغليسي، **المصدر نفسه**، ورقة 39و.

[8]_فتوى محمد العقباني (ق9هـ)، **المصدر نفسه**، ورقة 37و.

[9]_**نفسه**، 496/1و.

[10]_ مزيان: **المرجع السابق**، ص:178.

أصبحت أوضاع الملكيات الزراعية ببلاد المغرب الإسلامي تتأثر بعلاقة الحكام بالقبائل العربية لا سيما بعد أن أصبح الحكام يعتمدون في فرض نفوذهم بالأرياف على الأحلاف القبلية القوية، فاستعان **الموحدون** برياح[1] **وبنو عبد الواد** ببني عامر من سويد[2] و**المرينيون** بالخلط وسفيان[3] و**الحفصيون** بكرفة بكرفة من الأثبج والكعوب من مرداس[4].

والملاحظ أن اتساع مجال هذا النوع من الاقطاع وتمادي السلاطين في منحه للمقطعين من العسكريين وشيوخ القبائل قد حوّل المجال الخاضع لها إلى مجموعة من الاقطاعيات التي كان المستفيدون منها يغيّرون تحالفاتهم تبعا لمصالحهم الظرفية، وهي السياسة التي ميزت عائلة بني مزني[5]، والعرب القاطنين ببلاد سدويكش[6].

ونلمح من إشارات المصادر أن أراضي الإقطاع لم تستغل جميعها في النشاط الزراعي والبستني، بل بالعكس فقد كانت عامل فوضى في العديد من المناطق الريفية، لأن حالة الحرب التي ميزت عالم تلك الفترة خاصة القرون الثلاث الأخيرة من العصر الوسيط قد جعلت السلط الحاكمة تداري وتصانع القبائل بالاقطاعات، ولكن انتزاعها أو استرجاعها من قبل الدولة ينقلب الأمر، فبعد تملك السلطان أبا الحسن لإفريقية التي كانت بأيدي الأعراب "**أسف العرب بمنعهم من الأمصار التي ملكوها بالاقطاعات والضرب على أيديهم في الإتاوات**"، مما زاد في حنقهم وشنّ الغارات ضده[7]، وإشعال إفريقية نارا[8].

وبعد فشل ريح زناتة وضعف بني عبد الواد ازدادت قوة **حصين** واستولت على تيطري، وملكوه وتحصنوا به وكان لهم دور كبير في تأجيج الصراع داخل البيت الزياني، وهزموا وأوقعوا بالسلطان أبا حمو "**فاضطرت الدولة الزيانية لاقطاعهم ما ولّوه من نواحي المدية وبلاد صنهاجة**"[9].

ومنذ بداية النصف الثاني من ق8هـ/14م، وبعد الهزائم التي مُنِي بها السلطان أبا حمو موسى الثاني، ازدادت قوة عرب بني عامر وحلفائهم من العرب وضعفت قبائل زناتة، فتغلبت زغبة على كثير من قبائل التلول، فنالت اقطاعات كثيرة من السلطان طوعا أو كرها، وتقوّت بهذه الاقطاعات ووضعت عنها ذلّ

---

[1]_المراكشي: **المعجب**، ص:294، ابن خلدون: **المصدر السابق**، 6/46_47، 54، 316، أنظر أيضا: الميلي: **المرجع السابق**، 2/119.

[2]_ابن خلدون: **المصدر السابق**، ص،ص: 59، 61، أنظر أيضا: أبو الضيف: **المرجع السابق**، ص:166.

[3]_ابن خلدون: **المصدر السابق**، ص ص:37_38.

[4]_**نفسه**، ص: 45_46، 96_97، أنظر أيضا: أبو الضيف: **المرجع السابق**، ص:334.

[5]_ابن خلدون: **المصدر السابق**، 6/574، 588، 590، **رحلة ابن خلدون**، ص: 179، أنظر أيضا: أبو الضيف: **المرجع السابق**، ص، ص: 140، 143.

[6]_النميري: **المصدر السابق**، ص: 395، 399_403.

[7]_ ابن خلدون: **المصدر السابق، ص: 523**.

[8]_ **نفسه**، 7/363_366.

[9]_**نفسه**، 6/58.

المغارم وجبت من في أراضيها من البربر[1]، كما تمكن بنو يزيد من الاستقلال بأوطانهم بنواحي بجاية(اوطان حمزة)، وتوزيع جبايتها على بطونهم خلال فترة ضعف الدولة[2].

د_الصراعات بين المجالات الحضرية والبدوية/ والحضرية الريفية:

د1_الصراعات بين المجالات الحضرية والبدوية:

إنّ ممارسة كلّ من نشاط الزراعة والبستنة ونشاط الرعي كما هو معروف ناتج عن البيئة الطبيعية إذ نجد أنّ المزراعين المستقرين والمرتبطين بالأرض كانوا دائما في صراع مع البدو الرحل لأن هؤلاء الأخيرين كانوا يهددون مزارعهم ومحاصيلهم، فاستقرار العرب في عدة مناطق من المجال الحمادي، الباب، سوق الخميس (جنوب بجاية)، بادس، باغاي...الخ، قد عرّض هذه الأخيرة للغارة والنهب من قبل الهلاليين على المسافرين والسكان الحضريين[3].

ولم تكن المناطق الريفية مستهدفة من عيث العرب وحدهم، بل أيضا نالت حظها من هجومات وعيث القبائل البربرية، التي تحركها الصراعات القبلية خصوصا الصراع بين مغراوة وتجين خلال القرن 7هـ/13م، حيث كان جبل وانشريس وضواحي المدية مجالا لعيث تجين جراء هذه الحرب[4]، ولا يتعلق الأمر فقط بالمناطق الشمالية فحسب؛ فواحات الصحراء لم تسلم من الصراع بين هذين الصنفين، فكان قوم بني غمرة ببلاد أريغ فتاكون "**أهل فساد وغارات**"[5] على جميع النواحي ومنها جبال بني مصعب حيث كانت تستهدف قطع السبيل وسرقة الغنم[6]، بالإضافة إلى غارات الأعراب الدائمة وتربصهم بالطريق الرابط الرابط بين وارجلان وأريغ[7].

د2_الصراعات بين المجالات الحضرية والريفية:

إنّ استمرار العلاقة بين المدن وضواحيها أو انقطاعها يتوقف أيضا على درجة الأمن وسياسة الحكام، فكان للحروب والقلاقل الدور الكبير في إحداث قطيعة بين المدينة وناحيتها، وهذه الحروب تأتي على مظاهر العمران والزراعة، فتعم الحقول والملكيات الزراعية؛ الفوضى والخراب[8]، فقد صاحب انشطار انشطار البيت الصنهاجي والهجرة الهلالية ضعفا في العلاقة بين المدن والأرياف، ومع مرور الوقت انقطعت أغلب المراكز الحضرية مع ظهيرها الزراعي الأمر الذي ساهم في اختناق المدن وتقوقع البلاد على نفسها[9].

---

[1] _ **نفسه**، ص ص: 47_48، 302/7، أبو الضيف: **المرجع السابق**، ص:158، الميلي: **المرجع السابق**، 374/2.

[2] _ ابن خلدون: **المصدر السابق**، **6**/41، أبو الضيف: **المرجع السابق**، ص:156.

[3] _Amara, op.cit, p.15.

[4] _**المصدر السابق**، 87/7.

[5] _الدرجيني: **المصدر السابق**، 413/2.

[6] _**نفسه**، ص:390.

[7] _ **نفسه**، ص:462.

[8] _أبو المعاطي: **الملكيات الزراعية**، 348/1.

[9] –Cambuzat, op.cit, p.221.

ونجد أنّ الفلاحين القاطنين بالأقاليم الريفية للمدن، كانوا خاضعين مباشرة لنظام السلطة الحضرية وأراضيهم كانت دائما عرضة للمصادرة في حال الثورات والصراعات[1].

وعمليات التخريب لم تكن فقط من قبل الدول الحاكمة، بل أحيانا يكون لسكان الريف دور في ذلك الخراب، فقد خلف الصراع بين ملوك تلمسان وسكان جبل وانشريس من بني توجين؛ تدمير العديد من المناطق المحيطة بتلمسان وإحراقها بالإضافة إلى خراب البطحاء[2].

لم يكن للحروب فقط الدور في إحداث القطيعة بين المدينة وناحيتها وحدوث الصراع بين المجالين، بل إنّ هذا الصراع يكون أيضا حينما تقوى المجالات الريفية على المدن، فجبل ولهاصة كانت تسكنه قبيلة ريفية عاتية كثيرا ما حاربت أهل هنين حتى خربت مدينتهم[3]، ومن أبرز العوامل المساهمة في توتر العلاقة بين الأرياف والمدن هي محاولة هذه الأخيرة رفض دفع قسم من منتجاتها لخزينة الحكومة الحضرية[4].

مما تقدم نستخلص أن الصراعات بين هذه المجالات هي ظاهرة طبيعية ومألوفة عاشتها معظم المناطق الريفية خلال هذه الفترة، لكن الصراع كان على أشده خاصة مابين البدو وسكان الحضر لاتساع هوّة الاختلاف بين المجالين مقارنة بالمجالات الحضرية والريفية، التي كانت ظرفية وقليلة لتشابه أسلوب العيش وارتباط المصالح بين الطرفين.

2_قلة اهتمام الحكام بالأنشطة الفلاحية:

إذا كنت قد أشرت ضمن المبحث الخاص بعوامل ازدهار النشاط الزراعي والبستني بالمغرب الأوسط إلى جهود الحكام فيما يتعلق بالتنظيمات والإصلاحات التي تخدم كلا من النشاطين، إلاّ أنّ هناك صنف آخر من الحكام كان عاملا مثبطا لهذا النشاط، ويعتقد دهينة نقلا عن علاوة عمارة[5] بأن "**السلطة الضعيفة للحكام المسلمين المتأخرين وتجاهلهم وعدم اهتمامهم بالمشاريع الحقيقية**"، كانت السبب المباشر لضعف اقتصاد المغرب الأوسط، والواقع أن فترات الحكم القصيرة كثيرا ماكانت تؤدي إلى انقلاب الأمور وعدم العناية بشؤون البلاد، وهذا الأمر يكون أساسا نتيجة للصراعات والحروب، بين الدول أو حتى داخل البيت الحاكم.

ونلمح هذه الظاهرة كثيرا خلال الفترات الأخيرة من العصر الوسيط، فأبو ثابت يوسف بن أبي تاشفين قتل بعد أربعين يوما من تقلده الملك مسموما على يد عمه أبو حجاج[6]، وهذا الأمير بقي فقط 10 أشهر

---

[1]–Allaoua Amara : **Communautés rurales**, p.189.

[2]_ الوزان: **المصدر السابق**، 28/2، مارمول: **المصدر السابق**، 326/2.

[3] _الوزان: **المصدر السابق**، ص:44، مارمول: **المصدر السابق**، ص:351.

[4]–Amara : op.cit, p.195.

[5]– **Retour à la problématique**, p.6.

[6] _التنسي: **المصدر السابق**، ص ص:206_207.

ثم خلعه أخوه المولى أبي زيان[1]، وعبد الرحمان بن محمد بن خولة ابن أبي عبد الله الذي شق عصا الطاعة من عمه السعيد وخلعه لشهرين وأيام من ولايته[2].

وتميزت فترة حكم أبا حمو الزياني (760هـ_789هـ/1358_1387م)، بعدم الاستقرار وتخللتها الهجرة والحرب والفرار والتشريد إلى الصحراء والعودة لتلمسان عدة مرات[3]، مما يؤكد على إهمال الأرياف المحيطة بالعاصمة فما بالك بتلك البعيدة، إلى جانب عدم الاهتمام بالنشاط الزراعي والبستني مع مايصاحبها من إحداث قطيعة بين أرياف هذه الفترة والمجالات الحضرية التابعة لها.

وإنه لمن الانصاف الإشارة إلى أنّ الظرفية التاريخية التي عاشتها أرياف المغرب الأوسط خلال هذه الفترة _كثرة الحروب وتعدد جبهاتها_ قد شغلت الحكام عن إدارة شؤون البلاد خاصة المناطق الريفية التي كانت في حاجة للإصلاح وإحياء الموات ممّا أثر سلبا على نشاط الزراعة والبستنة.

***إهمال المجتمع الحضري للنشاط الزراعي والبستني:**

لعل الظرفية التاريخية التي امتازت بها بلاد المغرب الأوسط طيلة Π½ من العصر الوسيط، والجو المشحون بالاضطرابات والفوضى التي طالت معظم الأرياف والبوادي، قد شكلت عاملا مطبطا لممارسة النشاط الزراعي والبستني بها، مما خلق حالة من التشاؤم الاقتصادي لدى كبار التجار وأرباب رؤوس الأموال، فيتحول هؤلاء من مستثمرين إلى مجرد مكتنزين خائفين من التقلبات السياسية[4].

لذلك نجد أنّ عزوف أفراد الطبقة العليا (أرباب الأموال) وكذلك الطبقة الوسطى (أصحاب المهارات الفنية، صناعية وكتابية) عن الاستثمار في الجانب الزراعي ولجوئهم لمراكز الثقل السياسي "**مراكز السلطة السياسية**"[5]؛ قد كان له الدور الكبير في تقوقع الأرياف على نفسها وبقاء اقتصادها هامشيا.

وهذه الرتابة والهشاشة الملازمة للأرياف قد حافظت إلى حد كبير على الهياكل التقليدية للمجتمع المقسم إلى بدو_حضر بكيفية تكاد تكون جامدة دون إمكانية الإندماج بين الطرفين[6]، فغلبت سمة أو مصطلح البداوة بمفهومها المغربي الشامل للزراعة والرعي، لذلك نجد أن مناطق الإنتاج عند ابن خلدون مقتصرة على عالمين (طبقتين) فحسب هما عالم البداوة الفقير وعالم الإقطاعية السلطانية المترفة في الغنى والترف[7].

---

[1] _**نفسه**، ص:210.

[2] _ **نفسه**، ص:234.

[3] _ابن الأحمر: **المصدر السابق**، ص ص:76_80.

[4] _إنّ الظروف السياسية العامة الناشئة عن تصارع العمرانين البدوي والحضري هي التي تفرض على هؤلاء ألاّ يفكروا في تضخيم رأسمالهم، ولا في في توسيع منشآتهم على الأمد البعيد، وهذه هي أبرز صفات الرأسمالية التجارية عند المسلمين وهي أسباب إلجامها عن التوسع الاقتصادي الخلاق، رغم اتساع نشاطاتها التبادلية إلى جميع بقاع العالم المتحضر في القرون الوسطى. أنظر: مزيان: **المرجع السابق**، ص ص:99_100.

[5] _عز الدين أحمد موسى: **المرجع السابق**، ص:339.

[6] _محمد حسن: **المدينة والبادية**، 455/2.

[7] _مزيان: **المرجع السابق**، ص:360.

3_كثرة الضرائب والمغارم:

كان المزارعون الشريحة الأكثر تضررا من الإجراءات الضريبية المفروضة عليهم[1]، والواضح أنّ سكان المغرب الأوسط قد عانوا من الضرائب المجحفة المفروضة عليهم من قبل عدة أطراف:

أ_فرض الضرائب من قبل الدول الحاكمة: الواقع أنّ الإجحاف في فرض الضرائب هي ظاهرة عادية في أواخر عهد الدول نتيجة لقلة الغنائم والعوائد، فتُحدِث أنواعا من الجباية[2]، وبدون شك فسيتأثر النشاط الفلاحي تأثرا كبيرا بهذه السياسة المالية لكثرة "**الوظائف والوزائع على الأكرّة والفلاحين وسائر أهل المغارم**"[3].

✓ **خلال الفترة الحمادية:** كانت أوضاع المُلاّك والزُرّاع قاسية لأن العرب الهلاليون مشاركون للناس في غلاتهم مناصفة، كما عمل بنو حماد على جباية الخراج من السكان الذي أسقطه الناصر بن علناس عن أهل بجاية لما أسسها عند تعميره[4].

✓ **خلال الفترة المرابطية:** كان الإجحاف في فرضها من العوامل التي ساعدت على التفاف الرعية حول المتصوفة الذين طالما حاولوا التخفيف منها لأنها أثقلت كاهل العوام[5]، خاصة في أواخر عهد هذه الدولة والتي تزامنت مع "**كثرة الفتن والحروب وغلاء الأسعار وتوالي الحروب، فعمّ الجذب وقلّت المجابي وكثر على أهل الإسلام المحن بالعدوتين**"[6].

✓ **خلال الفترة الموحدية:** نتيجة للأزمة التي عاشتها هذه الدولة بعد موقعة العقاب مع ما صاحبها من توالي القحط والمجاعات وكثرة الفتن والثورات "**فتعذرت الجباية وتناقص الخراج**"[7]، فاستحدث الموحدون ضرائب ومغارم جديدة لتجاوز هذه الأزمة وسد نفقات الجيش، ممّا ساهم في تراجع العائدات الفلاحية وهجرة السكان لهذا النشاط.

✓ **خلال الفترة الحفصية:** أكدت المصادر[8] على تعدد المجابي والتعدى في المغارم زمن الحفصيين، ممّا دفع بالرعية إلى الامتناع عن دفعها، بعدما ضاقوا درعا منها، ونلمح ذلك من شكوى أمير بجاية للسلطان أبا عنان المريني أيام دخوله إلى المغرب الأوسط وما يتلقاه من أهل عمله من "**الامتناع من الجباية والسعي في الفساد**"[9].

---

[1] _عز الدين أحمد موسى: **المرجع السابق**، ص:162، فتحة: **النوازل الفقهية**، ص:341.

[2] _ابن خلدون: **المقدمة**، ص: 346.

[3] _**نفسه**، ص ص: 344_345.

[4] _عز الدين أحمد موسى: **المرجع السابق**، ص:162.

[5] _بوتشيش: **المرجع السابق**، ص:156.

[6] _ابن عذاري: **البيان، قسم الموحدين**، ص: 16، مجهول (ق12هـ): **الحلل الموشية**، ص ص: 119_120.

[7] _ابن عذاري: **المصدر السابق**، 252_253، 266_267، 339، المغراوي: **المرجع السابق**، 164_173.

[8] _ابن خلدون: **العبر**، 6/81_85، البرزلي: **المصدر السابق**، 5/205_206، ابن مريم: **المصدر السابق**، ص ص: 14_16.

[9] _ابن خلدون: **المصدر السابق**، 7/601، **رحلة ابن خلدون**، ص:93.

وكان الاجحاف في فرض الضرائب السبب في قيام العديد من الثورات مثل ثورة سعادة الرحماني (703_713هـ/1303_1313م) ضد عامل الزاب يومئذ "**منصور بن فضل بن مزني**" حين رفض إعفاء الرعايا "**من المكوس والظلامات**"، حيث عزم على قتله وبموجبها تم إشعال الثورة التي امتدت لعدة سنوات بإيعاز من رؤساء الدواودة وأصحابه المرابطين[1].

✓ **خلال الفترة الزيانية:** لا يتعلق الأمر بكثرة المغارم والوظائف المفروضة على الأرياف من قبل هذه الدول أو العمال وأمراء العرب وأشياخ القبائل الظلمة[2] فحسب؛ بل إنّ الأمر تعدى إلى فرض مغارم على على معظم السلع ذات الأصل الريفي بأسواق المدن، مثل: "**الحطب والبيض والدجاج والتين وسائر المرافق التي يفتقر إليها القوي والضعيف وإجحاف الضعيف بها أشد**"[3]، والمؤكد أنّ هذه الاجراءات التعسفية، قد أثرت سلبا على العلاقات الإنتاجية بين المدن والأرياف خلال هذه الفترة.

ب_فرض الضرائب أثناء الحملات العسكرية وبعدها: يمكن إجمال أهم الضرائب المفروضة ضمن الجدول التالي:

السنة	النـــــــــــــص	المصدر والصفحة
أثناء الحصار المريني	بعث السلطان أبا يعقوب المريني الحسن بن علي بن أبي الطلاق من بني عسكر وعلي بن محمد من بني ورتاجن ومعها الكاتب منديل بن محمد الكتاني لضبط الجباية واستخلاص الأموال.	ابن خلدون: **رحلة ابن خلدون**، ص ص:46_47.
701هـ/ 1301م	لما غلب عثمان بن يغمراسن على مواطن بني توجين أخذ منهم الإتاوة، واستعانوا بعد ذلك بقبائل هوارة في فرض المغارم على تلك القبائل المنهزمة.	ابن خلدون: م،س، 295/7، 140/6 على التوالي.
715_716هـ/ 1315_ 1316م.	"ارتحل سلطان بجاية إلى قسنطينة غازيا بلاد هوارة وأجفل عنها ظافرا، فاستوفى جباية هوارة وقفل إلى قسنطينة عام 716هـ، واستبدا بن غمر ببجاية ومراجعة زناتة.	ابن خلدون: **المصدر السابق**، 497/6.
752هـ/ 1351م.	كانت بلاد هوارة مجال التقاء جيش صاحب قسنطينة المولى أبو زيد عبد الرحمان، تحت إمرة القائد ميمون، وجيش صاحب تونس ابن تافراجين يتخالف مع أولاد أبي البيلقي كانت الدائرة عليهم، ورجع فلهم إلى تونس "**وامتدت العساكر في البلاد والأوطان وجبوا الأموال وانتهوا إلى المدية ثم قفلوا إلى قسنطينة**"	الزركشي: **تاريخ الدولتين**، ص:93.

[1] _ابن خلدون: **المصدر السابق**، 6/51_52، 589، الحفناوي: **المرجع السابق**، 2/149_150.

[2] _حول كثرة الضرائب المفروضة، ينظر: فتوى عبد الرحمن الواغليسي (ق8هـ)، المازوني: **المصدر السابق**، 153/1ظ، فتوى علي بن عثمان البجائي(ق8هـ)، **المصدر نفسه**، ورقة 248و، فتوى محمد بن مرزوق (ق9هـ)، **المصدر نفسه**، ورقة 509ظ.

[3] _ابن مرزوق: **المسند**، ص:285.

759هـ/ 1358م.	لما نازلت جيوش ابن مزني حليف أبا عنان جبل أوراس، أخضعوا قبائل الجبل واقتضوا جبايته ومغارمه.	ابن خلدون: م،س، 395/7، السلاوي: المرجع،س، 204/3.
760هـ/ 1359م	في هذه السنة استنهض أبا عنان سليمان بن داوود المريني لتغريم الجهات القسنطينية وتلك الأوطان، فنال منها غراملت وجبايات كثيرة.	مجهول (ق8هـ)، زهر البستان، 2/ 34.
769هـ/ 1367م.	في هذه السنة عقد السلطان أبا اسحاق ابراهيم لابني أبي البقاء خالد على عسكر وبعثه مع منصور بن حمزة وأمرهم "**بتدويخ ضواحي بونة وجباية أموالها، فساروا إليها وشرح المولى أبو يحي صاحب بونة عسكره مع أهل الضاحية فأغنوا في مدافعتهم وانقلبوا على أعقابهم**".	**نفسه**، ص:103، أنظر أيضا: ابن خدلون: **المصدر السابق**، 553/6.
774هـ/ 1372م.	بعد تغلب السلطان عبد العزيز المريني على قبائل حصين والثعالبة بتيطرا، ضرب وزيره _أبا بكر بن غازي_ على المنهزمين "**المغارم الثقيلة فأعطوها عن يد وجهضهم باقتضائها**"	ابن خلدون: م،س، 179/7، 439.
798هـ/ 1395م.	بعدما أظهر أمير قسنطينة العصيان، نزل السلطان الحفصي المتوكل على الله وحاصر قسنطينة عشرون يوما ثم دخلها وملكها وعين لقيادة البلد مملوكه نبيل، واستقل هذا الأخير بالبلد داخلا وخارجا، "**وتمهدت له خمس سنين الجباية من قرب بونة إلى قرب بجاية**".	ابن قنفذ: **الفارسية**، ص ص:192_194، الزركشي: **المصدر السابق**، ص:119.
804هـ/ 1401م.	في عهد إمارة محمد بن أبي حمو أخو الأمير عبد الله بن أبي حمو، الذي بعثه السلطان عثمان مع الجيش المريني لتلمسان وهو الآن ملك بها يعطي الخراج للمولى السلطان عثمان.	ابن الأحمر: **تاريخ الدولة الزيانية**، ص:84.
865هـ/ 1460م.	في هذه السنة ملك الأمير محمد بن محمد بن أبي ثابت مدينة تلمسان وأخرج عنها صاحبها عم أبيه السلطان أبا العباس أحمد بن أبي حمو، فلما سمع به السلطان الحفصي أبي محمد عبد الحق بن أبي سعيد سار إليه قاصدا تلمسان ولما نزل بأرض بني راشد على نحو يومين من تلمسان فرّق قوادة، "**في أرض تلمسان**	الزركشي: **المصدر السابق**، 152_153، 155.

	ففزعت الرعايا وأتت بجبايات الأوطان...".	
869هـ/ 1464م.	"خرج السلطان بمحلته ونزل بالزعترية وسار إلى بلاد ريغ وهدم سور تقرت لأجل فساد وأهلها ومخالفتهم لقواده وألزمهم مالا عقوبة لهم فدفعوه، ثم سار إلى قرب وركلة...وأخذ منها ومن بلاد مزاب ملا جليلا وعاد إلى حضرته".	الزركشي: **المصدر السابق**،ص:156.
870هـ/ 1465م.	في هذه السنة خرج السلطان الحفصي قاصدا تلمسان أيضا بعدما بلغه من سوء سيرة سلطانها ابن أبي ثابت الزناتي ونكثه للبيعة، "فاجتاز بجبل أوراس فأخذ بعض القلاع الممتنعة به واستباح عسكره أموالهم، ثم سار في الصحراء إلى أوطان تلمسان...وفرق قواده في الأوطان فأثبت بالجبايات والضيافات، فحاصر تلمسان عام 871هـ".	**نفسه**، ص:155_156، الظاهري: ق6، ج2، ص:254.
	أثناء استقلال أبا سالم بن إبراهيم كبير الثعالبة على الجزائر، استأثر جبايتها لصالحه وفي هذا يقول ابن خلدون:"**وأقام سالم على أمره من الاستبداد بتلك الأعمال واستضافة جبايتها لنفسه**".	ابن خلدون: العبر، 184/7.

التحليل:

_ نلاحظ من خلال الجدول أن أكثر الفترات التي كانت الضرائب تُفرض فيها هي القرنين و8و9هـ/14 و15م، والتي تتوافق مع حالة الحرب الدائمة، التي ميزت هذه الفترة، وهو ما يبرر سعيها لتأمين مداخيل إضافية لتغطية نفقات الحروب الكثيرة التي شهدتها هذه المرحلة.

_لطالما سعى حكام الدولة الحفصية[1] والمرينية[2]، أثناء حروبهم مع الدولة الزيانية إلى إجبار هذه الأخيرة على دفع عائدات جبائية لصالح الدولة المنتصرة، وهذه النقطة الأخيرة تدفعني للتساؤل حول الغاية من فرض الجباية على الدول المنهزمة، هل من أجل إخضاعها وإضعافها؟ أم أنّ حكام تلك الفترة كانوا في حاجة ماسة لهذه العائدات الإضافية، في ظل غياب ظروف ملائمة للإنتاج؟ لكن المرجح أن هذه الدول سعت لتحقيق كلا الغايتين معا.

لقد كان فرض المغارم من أبرز المؤشرات الدّالة على الخضوع والإذعان للطرف المنتصر، فكانت بين يغمراسن وذوي عبيد الله من المعقل حروب كثيرة حتى اعتزت عليهم الدولة وأعطوا الصدقة والطوائل وعسكروا مع السلطان في حروبه[3]، وفي عام 687هـ/1288م، لما غلب عثمان بن يغمراسن بني توجين،

[1] _الزركشي: **المصدر السابق**، ص:29.

[2] _ابن خلدون: **المصدر السابق**، 196/7، 481.

[3] _ **نفسه**، 6/ 80_81.

وصلوا أيديهم بعثمان وألزموا رعاياهم وعمالهم المغارم له[1]، وفي عام 688هـ/1289م، صالح عثمان بن يغمراسن قبائل المدية بصنهاجة على الإتاوة والطاعة، فملك عثمان بن يغمراسن عامة بني توجين[2].

وبعد سقوط وهران في يد الإسبان فرضت على أهاليها العديد من الضرائب القاسية، واضطرت بعض القبائل التي تمتهن الزراعة وتربية المواشي إلى دفع الضريبة للإسبان بدل ترك أراضيهم[3].

ـ لم تكن الدول المنتصرة وحدها تفرض الضرائب أثناء الحملات العسكرية، بل هناك من الأقاليم أو الثوار المناهضين من كانوا يلجأون لهذا الإجراء بعد سيطرتهم على المناطق الخاضعة لنفوذهم، ونلمح الطابع القسري لتلك الضرائب واستنزافها لثروات الأرياف، رغم صمت المصادر عن الآثار الناجمة عنها.

_أكثر الأقاليم التي نالت حظها من هذه الإجراءات هي الثغور الغربية لأنها كانت في حالة حرب دائمة مع السلطة الحفصية[4] من جهة، إلى جانب أنها كانت محل تجادب وصراع بين السلطة الحفصية والزيانية[5] وأحيانا مع الدولة المرينية[6].

_ أكثر المناطق الريفية الخاضعة لهذه النوع من الضرائب هي تلك المشتهرة برفضها الدائم لدفع المغارم والجباية عموما مثل جبل أوراس، وبلاد هوارة،...ممّا يفسّر سعي الدول الحاكمة إلى استغلال هذه الظروف، ويؤكد هدفها الرئيسي من قيامها لهذه الحملات على مجال تلك المناطق.

_ رغم عزوف المصادر عن إفادتنا بمعلومات دقيقة حول حجم العائدات الجبائية المفروضة على المناطق الريفية، وما إذا كانت تلك الأرياف قد عارضتها أم دفعتها؟ والواضح أنها كانت تدفعها قسرا، أمام نزول الحملات العسكرية وإجبارها على دفعها، وبعد محالفة أولاد سلامة من بني توجين وطاعتهم لعثمان بن يغمراسن فرضوا لهم المغارم على بني يدللتن كسياسة لتضريب قبيلة على أخرى عام 686هـ /1287م[7].

وأحيانا ولكثرة الفوضى يصعب حتى تحديد الأطراف المسؤولة عن هذا الشطط الجبائي ونلمح ذلك من السؤال الذي بعث به أبو العباس أحمد البجائي للفقيه أحمد بن محمد بن محمد بن عثمان بن يعقوب

---

[1] _**نفسه**، 7/ 184.

[2] _**نفسه**، ص:211.

[3] _مريم بوخاوش: **المرجع السابق**، ص:303.

[4] _نذكر هنا على سبيل المثالا حصر: صراع تونس مع قسنطينة عام 752هـ، أنظر: ابن خلدون: **المصدر السابق**، 531/6، وفي عهد السلطان أبي عصيدة: أنظر: ابن خلدون: **المصدر نفسه**، ص ص:456_458، الزركشي: **المصدر السابق**، ص:54.

_صراع تونس مع بجاية، عام 770، 840هـ، 843هـ، أنظر: ابن خلدون: **المصدر السابق**، 555/6، الزركشي: **المصدر السابق**، ص:139، الظاهري: **نيل الأمل**، ق4، ج1، ص:412.

[5] _ابن خلدون: **المصدر السابق**، 143/7، 145، 332.

[6] _**نفسه**، 535/6، 551.

[7] _**نفسه**، 211/7، 216.

بن سعيد بن عبد الله المناوفي المعروف بابن الحاج*، عن موضع كثير فيه الظلم والأشرار...وعز فيه الجور والظلم واتضع فيه أهل المعرفة والعلم تمكس فيه جل المبيعات على المسلمين[1].

ومن جملة الضرائب المفروضة على تلك الأرياف نجد ضريبة الخرص في الجنات ولعظم المضرة الناجمة عنها كان البعض يلجأ إلى قطع الكثير من الجنات ليسقط عنه وظيف الخرص[2]، وهذا ما كان له الأثر السلبي على الكثير من الأنشطة البستنية.

ومازاد في تأزم الوضع هو أنّ حملات المحلة السلطانية التي تتولى جمع الضرائب في القرى والبوادي كثيرا ماتترك آثارها السلبية خاصة مع الأقاليم الرافضة لدفع الضرائب، أين تقوم بحملات تأديبية ضدها فتكثر بذلك أعمال النهب لانتزاع الأموال عنوة، وإتلاف المزروعات والمواشي[3].

ج_فرض الضرائب من قبل القبائل البربرية والعربية:

✓ **القبائل البربرية:** قليلة هي الإشارات المتعلقة بهذه القبائل، فقد فرضت زناتة قبل قيام المرابطين ماشاءت من ضرائب وتميزت جبايتها بالعنف والقسوة[4].

✓ **القبائل العربية:** الواقع أنّ نفوذ القبائل العربية بدأ بتغلغل منذ دخولهم لبلاد المغرب الأوسط حينما صالحهم الناصر الحمادي على "**نصف غلة البلاد من تمرها وبرّها**"[5]، وهذا الإجراء كان له الأثر السلبي السلبي على حساب فلاحي المغرب الأوسط الذين ارتبطت حياتهم بمهنة الزراعة وخدمة الأرض، وبعد تغلغل نفودهم فرضوا العديد من الضرائب والمغارم على صنهاجة وزناتة[6]، خاصة قبائل بني سنجاس إحدى فروع مغراوة القاطنين، أرض المشنتل من جبل بني راشد[7]، والفروع القاطنة ببلاد الزاب، وقبائل القلعة التي فُرضت عليهم الجبايات بعد تغلب عياض عليهم[8].

ولما ملك بنو عبد الواد بلاد المغرب الأوسط ونزلوا أمصاره، دخلت زغبة للتلول وتغلبوا فيها ووضعوا الإتاوة على الكثير من أهلها بسبب تحالفهم مع زناتة[9]، وبعد سيطرة عرب المعقل على قصور الصحراء (قصور توات وجودة وتامنطيت ووارکلا وتسابيت وتيكورارين)، التي كان أكثر سكانها من زناتة

(*) يعرف أيضا بسيدي أحمد الجبالي من جبل بني ورنيد (ت حوالي 930هـ)، أنظر ابن مريم: **المصدر السابق**، ص ص:23_24.

[1] _**نفسه**، ص ص:14_15.

[2] _ابن مرزوق: **المسند الصحيح**، ص ص:282_283.

[3] _محمد حسن: **المدينة والبادية**، 531/2.

[4] _عز الدين أحمد موسى: **المرجع السابق**، ص:162_163.

[5] _المراكشي: **المعجب**، ص:157، ابن خلدون: **المصدر السابق**، 27/6.

[6] _**نفسه**، 7/ 63.

[7] _**نفسه**، ص ص: 63_64.

[8] _**نفسه**، 33/6.

[9] _**نفسه**، ص:54.

وضعوا على أهلها الإتاوات والضرائب وصارت لهم جباية يعتدون فيها ملكا، وقبلها كانوا هم الذين يعطون الصدقات لملوك زناتة ويأخذون بالدماء والطوائل ويسمونها حمل الرحيل[1].

والواضح أن سيطرتهم بلغت أقصاها بعد حصولهم على إقطاعات واسعة خلال الفترة الموحدية، والدويلات الثلاث خاصة، حيث خوّلت لهم جمع الضرائب في المناطق الزراعية البعيدة، إلاّ أنّ القبائل استأثرت بجمعها في فترة ضعف الدول[2]، حيث أرهقوا الأرياف والبوادي بفرض الخفارات وأنواع أخرى من من الجبايات الثقيلة[3]، فقد فرض يعقوب بن عليّ الرياحي على بلاد الزاب ما شاء من إتاوات على عرب المنطقة، خاصة أرياف مقرة والواضح أنّ هذا الشطط الجبائي قد ساهم في إفقار السكان الأمر الذي دفعهم للاستعانة ببني مرين وكفّ أيدي الأعراب عنهم[4]، كما كانت قبائل ريغة تقوم بتغريم سكان أرياف نقاوس[5].

ظلت هذه القبائل العربية تفرض سلطتها على سكان الأرياف والمناطق البعيدة في الفترات المتأخرة من العصر الوسيط، مثل سهل سيرات[6]، والأراضي المحيطة بتلمسان[7]، كما كان بنو عامر إحدى عمائر عمائر بني هلال، وهم شرفاء مليانة القاطنين ما بين تلمسان ووهران "**مسيطرون على برابر الحقول**"[8].

ونتيجة لغياب سلطة مركزية بواحات توات استغلت القبائل المعقلية هذا الفراغ، وفرضت هيمنتها على الواحات حيث كانت تجبي منها الإتاوات سنويا، وفي المقابل كان حكام توات من القبائل الزناتية يفرضون بدورهم إتاوات على قبائل بني معقل مقابل السماح لهم باستغلال مجال الواحات[9]، والواضح أن السيطرة المعقلية استمرت من القرن 8هـ/14م إلى 10هـ/16م، حيث يشير الوزان إلى أن الواحات كانت تدفع إتاوات لبني معقل[10].

إنّ هذا الشطط الجبائي وخوف الفلاحين الدائم من الجباة[11] يدفع بالمزارعين إلى التواني في ممارسة أنشطتهم الفلاحية مما يؤثر سلباعلى النشاط الزراعي والبستني وتراجع المحاصيل، فمن أجل دفع الضرائب والمستحقات المالية المفروضة، كثيرا ما يلجأ الفلاحون لشراء الأقوات بالدين[12] أو قطف الثمار

---

[1] _**نفسه**، ص ص: 77_78.

[2] –Elise Voguet : **Le Maghreb central**, p.228.

[3] _النميري: **المصدر السابق**، ص:89.

[4] _**نفسه**، ص،ص: 426، 466.

[5] _**نفسه**، ص: 463.

[6] _ مارمول: **المصدر السابق**، 2/325_326.

[7] _ **نفسه**، ص:291.

[8] _ **نفسه**، **1**/ 103.

[9] _ أعفيف: **المرجع السابق**، ص:71.

[10] _ **المصدر السابق**، 2/134_135، 137.

[11] _فتحة: **المرجع السابق**، ص:395، 397.

[12] _فتوى المازري:، البرزلي، **المصدر السابق**، 3/169.

أو الحصاد قبل أوانه[1]، وهو ماساهم في تفاقم مشكل الفقر في أوساط الفلاحين[2] وتأزم أوضاعهم المعيشية، بسبب الإتاوات المفروضة عليهم من قبل هؤلاء، فرغم أن سكان المسيلة كانوا من الفلاحين[3]، إلاّ أنهم كانوا يعيشون في فقر مذقع لأن "**جيرانهم الأعراب الذين سلبوهم مداخيلهم، وملك بجاية الذي أثقل كاهلهم بالضرائب**"[4]، وكذلك مازونة التي كان سكانها في الماضي على درجة من الغنى لأن بلادهم كثيرة القمح والماشية[5]، لكن انقلبت أوضاعهم بعد سيطرة الأعراب وأصيبوا بفقر شديد أيضا[6].

4_استخدام الطرق والتقنيات العتيقة:

إذا كانت أغلب المؤلفات المصدرية لم تتطرق للطرق والأدوات التي استعملها الفلاحون في العملية الإنتاجية إلاّ ناذرا[7]، فقد كان لاستخدام بعض الطرق والتقنيات العتيقة في العملية الإنتاجية الأثر السلبي على ممارسة النشاط الزراعي والبستني، فجبال الأوراس وبسبب تضاريسها الوعرة، قد أبقت مجتمعاتها الزراعية محافظة على خصوصياتها سواء من حيث طرق استغلال الأرض وحتى تقنيات الريّ[8].

ومن العوامل المضبطة لممارسة كلا النشاطين، هي أن نمط استغلال السكان للأرض كان جد متدنيا إلى درجة أنّ ما تنتجه لم يكن في كثير من الأحيان يكفي السكان لسد حاجاتهم، ويمكن تلخيص الوضعية العتيقة لوسائل الانتاج آنذاك في نوع المحراث الخشبي وشكله الذي لا يسمح إلاّ بعملية حرث سطحية، وفي نوع الحقول المليئة بالأحجار والأعشاب وفي هزال حيوانات الجر[9].

والواضح أن جهل سكان بعض المناطق الريفية لبعض التقنيات بشهادة الوزان[10]، مع إهمال وعزوف الحكام عن تطوير النشاط الفلاحي بالأرياف خلال هذه الفترة، قد جعل الزراعة تتدهور، ونتيجة لاستخدام الأساليب العتيقة المتبعة في الانتاج الفلاحي[11] وتقنية الري التقليدية قد أثر سلبا على مردوديته، وعلى تطور المستوى المعيشي لسكان المغرب الأوسط، أين نلمح حالة الفقر المنتشرة في أوساط السكان لقلة الغذاء، المرتبط أساسا بمردودية الانتاج الزراعي والبستني، كما أشرت ضمن المباحث السابقة.

---

[1] _نفسه، 546/1.

[2] _فتوى السيوري(ق5هـ): البرزلي، **المصدر نفسه**، ص:559.

[3] _الوزان: **المصدر السابق**، 52/2، مارمول: **المصدر السابق**، 381/2.

[4] _الوزان: **المصدر السابق**، الصفحة نفسها.

[5] _مارمول: **المصدر السابق**، 359/2.

[6] _الوزان: **المصدر السابق**، 36/2، مارمول: **المصدر السابق الصفحة نفسها**.

[7] _**أنظر ص ص: 236_ 240 من الفصل الثاني.**

[8] –Richard.l.Lawless : **L'évolution du peuplement de l'habitat et des paysages agraires du Maghreb**, Annales de géographie, T81, N=°446, 1972, p.453, 459_460.

[9] _ عبد الجليل حليم: **التحديث القروي ورأسملة الزراعة المغربية**، مقال ضمن كتاب **تطور العلاقات بين البوادي والمدن في المغرب العربي**، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، 1988م، ص:57.

[10] _**المصدر السابق**، 58/2، أنظر أيضا: مارمول: **المصدر السابق**، 12/3.

[11] _بوتشيش: **المرجع السابق**، ص:127، بولقطيب: **المرجع السابق**، ص:111.

خلاصة القول أن ممارسة النشاط الزراعي والبستني بأرياف المغرب الأوسط خلال الفترة الممتدة (5_10هـ/11_16م) لم تكن رهينة الظروف الطبيعية فحسب، وإنما كان للحروب والصراعات والسياسات السلبية للدول والقبائل(السكان) الأثر البالغ في تراجع هذين النشاطين، وأحيانا التحول من ممارسة النشاط الزراعي إلى النشاط البستني، وهو ما سأتناوله ضمن المبحث الأخير لهذا الفصل.

المبحث الثالث: عوامل التحول من النشاط الزراعي إلى النشاط البستني

رغم أن معظم المناطق الريفية قد شهدت تلازما بين ممارسة النشاط الزراعي والبستني، وهو ما صعّب عليّ الفصل بين العوامل المحيطة بكل نشاط على حدى، إلاّ أنّ هناك بعض المناطق ونتيجة للعوامل الطبيعية على وجه التحديد قد اشتهرت بنشاط دون آخر، ويتعلق الأمر هنا على سبيل المثال بزراعة القمح وسائر الحبوب عموما بالمناطق الداخلية واشتهار الواحات الصحراوية بالإنتاج البستني (التمور وبعض الفواكه)[1]، وبغض النظر عن هذا النشاط أو ذاك، إلاّ أنّ هناك عوامل تدفع ببعض السكان للتحول من ممارسة النشاط الزراعي إلى النشاط البستني.

لقد تأثر اتساع أو انحسار النشاط البستني بالعديد من العوامل طبيعية كانت أو بشرية، فقد كان لقيام الدولة الحمادية الدور الكبير في تراجع اقتصاد البادية، وظهور اقتصاد البستنة في المدن حيث نلمح غياب لفظ البادية في مؤلف البكري، لأن القبائل الرحل قد تحولت إلى المدن[2]، كما تركزت البساتين ضمن أغلب المدن المذكورة في جغرافية هذا المؤلف.

ونتيجة للظرفية التاريخية وتطورات الأحداث نجد اقتران البستنة بأغلب المراكز العمرانية (حصون، قصور، قلاع،...إلخ)، ورغم أنّ أغلب البساتين والأجنة كانت قرب المدن والحواضر الكبرى إلاّ أنها لم تنج من فترات الحروب والقلاقل وتدميرها من قبل بعضها البعض[3].

ولمّا كانت زراعة الأشجار المثمرة والبقول تتطلب عناية أكبر وانتباه أشد من زراعة الحبوب، وبالرغم من العوائق الطبيعية والبشرية، لم يتوان السكان المستقرون عن تعاطي هذا النوع من النشاط الفلاحي في كل زمان وأحيانا في مساحات محدودة[4]، كما أن الحروب والصراعات التي طبعت فترة الدراسة، كان لها الدور الكبير في تدبدب الإنتاج الزراعي والبستني، وإن كان هذا الأمر يختلف من منطقة إلى أخرى وحسب الفترات أيضا، وقد تبين من تلك الحروب على اختلاف جبهاتها وأطرافها؛ الأثر السلبي الواضح على المنتجات الزراعية (القمح) على وجه التحديد.

إنّ التوجه نحو البستنة، في ظل هذه الظروف يؤكد على صمود الزُرّاع في وجهها إلى جانب استثمار الأراضي الزراعية في النشاط البستني، ويبدو أن الدافع للاتجاه نحو البستنة دون الزراعة

---

[1] _ **أنظر على التوالي؛ ص: 284_293، 314_316،...إلخ من الفصل الأخير لهذه الاطروحة.**

[2] _ قويسم: **الزراعة في منطقة الأوراس**، ص ص: 101_102.

[3] _**أنظر الملحق رقم: 02.**

[4] _برنشفيك: **المرجع السابق**، 216/2.

بالإضافة إلى اضطراب الأمن، هو الهجرات من البلاد الشرقية بسبب الغزو الهلالي والنورماندي فقلت اليد العاملة حتى أنّ الناس كانوا يضطرون لاستئجار عمال زراعيين للحصاد أو لقطف الزيتون وحمله للمدن بما يقارب نصف ثمن المحصول[1].

ومن الأهمية بمكان الإشارة إلى أنه ليست الحروب وحدها المسؤول عن هذا التحول فحسب، بل حتى عناية السكان وإقبالهم على هذا النشاط كان له الدور البالغ في اتساعه وانتشاره مثل أرياف بونة وبلاد الزاب التي شهدت ازدهارا حتى نهاية العصر الوسيط، وعرف نطاق البستنة انتشارا أوسع نتيجة للاستفادة من الخبرات الأندلسية في معظم المناطق الريفية.

وإذا كان محمد حسن[2] قد أشار إلى أن حركة البستنة قد عرفت فتورا خلال ق 8هـ/14م "**حول المدن الكبرى إلاّ في عهد السلطان أبا فارس عبد العزيز والسلطان أبو عمر عثمان**"، فإن هذا القرن بالذات قد شهد أوج الازدهار البستني، بل حتى الزراعي ببلاد الزاب، معقل استقرار غالبية القبائل العربية بشهادة النميري في مؤلفه.

والواقع أن العوامل البشرية، لم تكن دائما هي المتحكم الرئيسي في التوجه من الزراعة إلى البستنة، بل حتى الظروف الطبيعية قد فرضت على سكان بعض المناطق التوجه إلى الزراعة الشجرية (البستنة بالريف)، خاصة بعض المناطق الجبلية، إذا كان لفقر التربة بهذه المناطق التي تحتوي على أمطار معتبرة، الدور الكبير في انتشار الزراعة الشجرية لبعض الأصناف المثمرة مثل: الزيتون، التين، اللوز، التي تتلائم مع فترات الجفاف الطويلة لأن جذورها تمتد في أعماق التربة بحثا عن الرطوبة[3]، لذلك امتدت أغلب أشجار المغرب الأوسط واتسعت في شكل غابات ضمن أغلب الجبال الريفية والمتلائمة مع مناخ المغرب الأوسط[4].

وبغض النظر عن فترات الازدهار أو التراجع والمرتبطة بالعوامل المساهمة في ذلك فإن سكان أرياف المغرب الأوسط قد مارسوا أنشطتهم الزراعية والبستنية باستغلال ما توفر لديهم من أراضي زراعية وامكانات (تقنيات الزراعة والريّ....إلخ) وهو ماسأتناوله بإذن الله ضمن الفصل الثاني.

---

[1] _عز الدين أحمد موسى: **المرجع السابق**، ص: 194.

[2] _**المدينة والبادية**، 74/1.

[3] _Gsell: op.cit, p.165.

[4] _**أنظر الملحق رقم03**.

الفصل الثاني:

نظام الأرض والريّ بأرياف المغرب الأوسط من القرن 5_10هـ/11_16م

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الأول: أنواع الأراضي واستغلال الأملاك الزراعية بأرياف المغرب الأوسط.

المطلب الأول: أنواع الأراضي وطرق التملك (مقاربة حول المفاهيم والخصائص)

1_أراضي الدولة.

2_أراضي الموات.

3_أراضي المشاعة (الجماعية).

4_أراضي الملك.

5_أراضي الحبس (الوقف).

المطلب الثاني: استغلال الأراضي في النشاط الزراعي والبستني.

1_استغلال الأراضي في النشاط الزراعي.

2_أساليب استغلال الأرض في النشاط الزراعي.

3_استغلال الأراضي في النشاط البستني.

4_أساليب استغلال الأرض في النشاط البستني.

المبحث الثاني: التنظيمات الزراعية بأرياف المغرب الأوسط.

المطلب الأول: طرق الانتاج والتقنيات الزراعية والبستنية.

1_ إعداد الأرض للزراعة.

2_ طرق الزراعة والبستنة (التقنيات الزراعية والبستنية.

3_حماية المزارع والبساتين.

4_ أدوات العمل الفلاحي.

5_أسلوب عمل الفلاحين.

المطلب الثاني: استغلال الحيوانات في النشاط الزراعي والبستني.

1_ الحيوانات المستخدمة في الحرث.

2_ الحيوانات المستخدمة لتوفير الأزبال والسماد.

3_ مشاكل استغلال الحيوانات في العمل الفلاحي.

المبحث الثالث: نظام الريّ والتقنيات المائية بأرياف المغرب الأوسط.

المطلب الأول: مصادر الريّ بأرياف المغرب الأوسط.

1_الأمطار.

2_الأنهار والأودية.

3_العيون والآبار.

4_البرك والبحيرات والينابيع.

المطلب الثاني: نظام الريّ وكيفية توزيع واستغلال المياه بأرياف المغرب الأوسط (التقنيات المائية).

1_ أهمية السقي (الريّ).

2_ عوامل تطور نظام الريّ بأرياف المغرب الأوسط.

3_ كيفية توزيع واستغلال المياه بأرياف المغرب الأوسط (طرق السقي).

4_ استغلال المياه في عمليات مكملة للعمل الفلاحي.

5_ أدوات الريّ ووسائله بأرياف المغرب الأوسط.

المطلب الثالث: مشاكل الريّ والسقاية بأرياف المغرب الأوسط (النزاع على المياه).

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الأول: أنواع الأراضي واستغلال الأملاك الزراعية بأرياف المغرب الأوسط.

المطلب الأول: أنواع الأراضي وطرق التملك(مقاربة حول المفاهيم والخصائص):

اختلف المشرعون في حكم أرض المغرب فقيل عنوية وقيل صلحية[1]، وقيل إنّ البلاد الغربية لم تجر في الافتتاح على قانون واحد بل منها ما افتتح عنوة، ومنها ما افتتح صلحا، فبلاد الأندلس أكثرها افتتح عنوة وأما بلاد إفريقية وهي معظم المغرب فيها بلاد ليست بصلحية ولا عنوية[2].

وفي المقابل أقرّ الداودي بأنّ الذي يوجب النظر فيها هو أن تجري على ما تواطأت عليه القرون في أمرها، من بيع وشراء، وتحديدها فتحمل تلك الأرض عليه، إلاّ ما تواترت الأخبار أنه اغتصب أو أُجلي عنه أهله[3].

وفي هذا الصدد يذكر الونشريسي في معياره[4] أن الفقيه أبو بكر عبد الرحمن أكّد أنه **<<إذا خفي خبر الأرض ولم يعلم أهي صلح أم عنوة أو أسلم عليها أهلها فهي لمن وجدت بيده، وإن كان لا يدري بأي وجه صارت إليه>>**، ورغم اختلاف إجابات فقهاء المالكية وبعيدا عن ملابسات الوضعية الشرعية لأرض المغرب، فالغالب عليها أنها ليست بالعنوية ولا بالصلحية وإنما أسلم عليها أهلها[5].

ويؤكد العقباني[6] على نقطة هامة بقوله:**<<أنّ أرض مغربنا وخصوصا السهل منها استمرت القرون السالفة والأمم الغابرة على تصرف الأئمة منها لبيت المال وحده على استبدادهم بالخراج دون أن يكون لقبائل العمران فيها شبهة مالك يسندون إليها سوى التغلب وإظهار الفساد بحماية بعضهم لبعض بطريق التعصب>>**، وهذه المعطيات تؤكد أنّ هذه النقاشات كانت ذات أبعاد تاريخية وارتبطت بظروف استقرار الدول وعلاقتها بالرعية في المجال الجبائي[7].

خلال الفترة قيد الدراسة وجدت عدة أنواع للأراضي من حيث طريقة التملك منها:

1_أراضي الدولة: أراضي الدولة تماثل في وضعها القانوني الأراضي التي فتحت عنوة والتي يعود استغلالها لبيت المال أو تترك لساكنيها مقابل أداء الجزية والخراج[8]، وتشتمل أيضا عمّا جُلي عنها أهلها بغير قتال، وهي للمسلمين يقطعها الإمام إقطاع تمليك إن ظهر له وجه للمصلحة في ذلك[9]، ويبدو أن

---

[1]_الونشريسي: **المعيار**، 134/6، 73/9، العقباني: **تحفة الناظر**، ص: 153.

[2]_ الونشريسي: **المصدر السابق**، 134/6، 73/9.

[3]_**كتاب الأموال**، 79/2، أنظر أيضا: العقباني: **المصدر السابق**، ص:153.

[4]_**المصدر السابق**، 134/6، 73/9_74.

[5]_محمد فتحة: **النوازل الفقهية والمجتمع**، ص:333، 335.

[6]_**المصدر السابق**، ص:154.

[7]_ فتحة: **المصدر السابق**، ص:336.

[8]_سعيدوني: **دراسات تاريخية في الملكية والوقف والجباية**، ص:31.

[9]_العقباني: **المصدر السابق**، ص:153.

تعاقب الحقب التاريخية واختلاف الدول لم يغيّرا جذريا التوزيع الجغرافي لأراضي الدولة التي كانت تتعرض للاتساع أو التقلص حسب قوة أو ضعف كل دولة من جهة، وحسب عمليات المصادرة (أراضي الملك وأراضي القبائل)، وإحياء أراضي الموات وإقطاع الأراضي من جهة ثانية[1]، ومن أنواعها:

أ_الأرض الخراجية (العنوية): تبخل علينا المصادر حول عمليات مسح الأراضي المنتهجة من قبل الدول الحاكمة، باستثناء الدولة الموحدية من خلال عملية التكسير التي قام بها عبد المؤمن بن عليّ، وقد عمد الموحدون إلى إعادة طرح هذه القضية وإخضاعها إلى المستجدات السياسية المتمثلة في كيفية فتحهم لبلاد المغرب والأندلس[2]، وتعاملوا مع هذه البلاد من هذا المنطلق، فقاموا بإقطاع الأراضي العنوية تارة وأخذ جباية ثقيلة عليها طورا[3]، ممّا يؤكد على أنّ الاهتمام بوضعية الأرض عموما متعلق أساسا بنوعية الضرائب التي يمكن لبيت المال تحصيلها[4].

وكان هذا النوع من الأراضي عرضة للإتساع تارة والتقلص تارة أخرى؛ فعلى سبيل المثال أنه بعد الغزو الهلالي تقلصت الأراضي في البوادي والسهول حتى لم يبق للدولة إلاّ ما ضمته أسوار المدن[5]، فيذكر الإدريسي أن من بسكرة إلى حصن بادس وهو في أسفل جبل أوراس بثلاث مراحل والعرب تملك أرضه[6]، وكذلك حصن بشر الذي كان قلعة عامرة من أعمال بسكرة ذا معقل منيع وهي الآن _ق6هـ/12م_، في أيدي العرب[7]، وكانت البلاد الممتدة من حدود قسنطينة حتى بجاية ضمن مجالات عرب رياح[8]، بالإضافة إلى ما تخلى عنه الحكام بالهبات والاقطاعات[9].

ب_أراضي الإقطاع: أراضي الاقطاع هي الأراضي التي يمنحها الإمام أو الحاكم لأحد الأشخاص أو القبائل لاستغلالها أو الانتفاع بها، والإقطاع أنواع منها: إقطاع تمليك وإقطاع استغلال[10] وإقطاع الأرقاق وهذا النوع الأخير لا يدخل ضمن مجال دراستي لأنه متعلق باستغلال أماكن البيع والشراء من أسواق وطرقات،...إلخ[11]، ويطلق على أراضي الاقطاع عدة تسميات منها:

---

[1]_ محمد حسن: **المدينة والبادية**، 308/2.

[2]_أبا عبد الله محمد بن أحمد بن محمد بن غازي المكناسي: **الروض الهتون في أخبار مكناسة الزيتون**، شارع المامونية، الرباط، 1371هـ/ 1952م، ص:9.

[3]_محمد حسن: **المصدر السابق**، ص:307.

[4]_فتحة: **المصدر السابق**، ص:334.

[5]_عز الدين أحمد موسى: **النشاط الاقتصادي**، ص:130.

[6]_**نزهة المشتاق**، ص:171.

[7]_**نفسه**، ص:165.

[8]_ابن سعيد: **كتاب الجغرافيا**، ص:145.

[9]_عز الدين أحمد موسى: **المرجع السابق**،ص:130.

[10]_ أبو الحسن بن محمد بن حبيب البصري الماوردي: **الأحكام السلطانية والولايات الدينية**، تحقيق أحمد مبارك البغدادي، ط1، مكتبة دار ابن قتيبة، الكويت، 1409هـ/ 1989م، ص، ص ص: 248، 252_254.

[11]_ أبو المعاطي: **الملكيات الزراعية**، 33/1.

أراضي المخزن: يخضع هذا النوع من الأراضي مباشرة لتصرف السلاطين وتمنح على شكل إقطاعات[1]، لمن يواليهم من جند وغيرهم[2].

أراضي الظهير: هذا النوع من الأراضي كان يقتطع لمن يؤدي خدمات للدولة[3]، وكان اقطاعها منفعة لا تمليك[4]، بمعنى عدم توريثها فهي منفعة لصالح المقطع دون ورثته[5]، حيث تُعطى لمستغلها بمقتضى مرسوم يسمى الظهير، يصدر عن السلطان وسميت بأراضي الظهير نسبة إليه[6].

وتسمى أيضا "**المزية الجبائية والعقارية**"[7]، حيث ترخص الدولة للمنتفعين استخلاص الضرائب الموظفة على السكان المستقرين لفائدتهم، وأحيانا الضرائب الموظفة على قبائل الأعراب الرحل الأضعف منهم، وأحيانا على أراضي المراعي والضيعات الزراعية[8]، لكن هذا النوع من الاقطاع كان يتجدد حسب ظروف كل دولة وحكامها، فبعد سيطرة أبا عنان على المغرب الأوسط (بجاية وقسنطينة) عام 754هـ/ 1353م، وفد عليه يوسف بن مزني صاحب الزاب ومشيخة الزواودة وبعد تجديد الطاعة "**أوسعهم حباءا وإقطاعا وأنفذ لهم الصكوك والسجلات**"[9]، وكذلك الحال مع عائلة ابن مزني من خلال تداول السلاطين بالمراسيم والتقليد والخلع لهذه العائلة[10].

والسلطة المخزنية التي منحت الأرض إقطاع منفعة لا تمليك كانت حريصة بذلك على إبقاء التصرف في الملكيات المحيطة بالمدن الكبرى بيدها والتحكم في كيفية توزيعها وإقطاعها بموجب صك الظهير، لكن الواقع لم يكن دائما مطابقا للنظرية فاقطاع الاستغلال قد يتحول إلى تملك نهائي[11]، فعندما أقطع الموحدون أراضي نقاوس لأحد أحلافهم من العرب وهو محمد بن يحي شيخ أولاد عسكر، فتحول ذلك الاقطاع إلى إسهام دائم بيد هؤلاء الأعراب ومن جاؤوا من بعده حتى ألغاها أبا عنان بعد سيطرته على نقاوس[12]، وبعد تمادي العرب في استخلاص الإتاوات من سكان أرياف مقرة قام أبا عنان بتحديد مناشيرهم وظهائرهم[13].

---

[1]_ برنشفيك: **المرجع السابق**، 185/2.

[2]_ فتوى حمو الشريف (ق9هـ)، المزوني: **الدرر المكنونة في نوازل مازونة**، 44/2و.

[3]_ برنشفيك: **المرجع السابق**، 189/2، كمال السيد أبو مصطفى: **جوانب من حضارة المغرب الإسلامي من خلال نوازل الونشريسي**، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 1997م، ص:62.

[4]_ الماوردي: **المصدر السابق**، ص:252.

[5]_أبو مصطفى: **المرجع السابق**، ص:62.

[6]_ فتوى أبا الفضل العقباني (ق9هـ)، المازوني: **المصدر السابق**، ورقة 45و، فتوى ابن عرفة، الونشريسي: **المصدر السابق**، 334/7.

[7]_برنشفيك: **المرجع السابق**، 189/2.

[8]_ فؤاد طوهارة: **النشاط الاقتصادي في تلمسان خلال العصر الزياني**، ص:73.

[9]_ابن خلدون: **المصدر السابق**،ص:534.

[10]_**نفسه**، ص: 590_591، 593.

[11]_ محمد حسن: **المرجع السابق**، ص:310.

[12]_ النميري: **المصدر السابق**، ص: 455.

[13]_نفسه، ص: 467.

الأرض القانونية: وهي إحدى أنواع أراضي الظهير، يمنحها السلطان لأفراد نظير خدمات قدموها للدولة تتميز بملكية خاصة[1]، ويسمى أصحاب هذه الأرض بأهل القانون نسبة إليها[2]، وقد جرت العادة ببلاد المغرب الأوسط على بيع أرض القانون وإرثها، ولا يجبر الورثة لهذا النوع من الأراضي على بيع ما ورثوه[3].

وبشرق المغرب الأوسط؛ هناك مصطلح مرادف لأرض القانون وهو "**أرض الجزاء**"، وهي بمثابة استئجار يدفعه المستغلون للأراضي والعقارات، التي آلت إلى الدولة بسبب غياب الورثة أو الجلاء عنها[4]، عنها[4]، وشهد هذا النوع من الأراضي تطورا نحو التملك، وتفريط السلطة المخزنية فيه والتخلي عنه لأسباب متنوعة منها رغبة المستغلين له في تملكه وبيعه ونقله لارتفاع كراء الجزاء أو لكثرة الجوائح والخوف من الغارات االبدوية تجنبا لإهمال هذه الأراضي أو تركها بورا[5].

الأرض الموظفة: وهي الأرض التي فرض عليها وظيف (الضريبة) للدولة، ويلاحظ أنه في حالة شراء تلك الأرض لا يلزم المشتري دفع الوظيف إلاّ من يوم الشراء فما بعده وليس قبل ذلك[6]، فلا يجوز أن تباع تباع الأرض المغرّمة بشرط أن يحتمل المبتاع مغرمها وأصلهم في ذلك ما رواه ابن القاسم عن سحنون في أصل الصلح بعدم جواز أن يبيع أحدهم أرضه ويشترط خراجها على المبتاع[7].

ورغم أن أراضي الاقطاع هي ملك للدولة ولا يحق التصرف فيها إلاّ من قبل السلطان، إلاّ أنّ المفهوم توسع ليشمل جباية الأعشار واستغلال الأراضي الفلاحية واستخلاص فوائد الرعي وقبض الرسوم، ومقابل هذه الامتيازات كان المستفيد من الاقطاع يتحمل مسؤوليتين: الأولى دفاعية ردعية يحارب بموجبها أعداء السلطان، والثانية جبائية يرغم بموجبها السكان على دفع ما بذمتهم للخزينة العامة[8].

2_أراضي الموات: قال الرسول صلى الله عليه وسلم: **<<من أحيا أرضا ميتة فهي له، وليس لعرق ظالم حق>>**[9]، والموات هي الأرض التي لاعمارة فيها ولا يملكها أحد، وإحياؤها يكون بشق العيون وحفر الآبار وغرس الشجر وبناء البنيان والحرث[10]، فإن كانت قريبة من العمران افتقر إحياؤها إلى إذن الإمام

---

[1] _ أبو مصطفى: **المرجع السابق**، ص:63.

[2] _ فتوى محمد بن مرزوق (ق9هـ)، المازوني: **المصدر السابق**، ورقة 36ظ.

[3] _فتوى أبا عبد الله بن مرزوق الحفيد(ق9هـ)، الونشريسي، **المصدر السابق**، 97/5، 133/6، 73/9.

[4] _ ج، ف،ب، هوبكينز: **النظم الإسلامية في المغرب في القرون الوسطى**، نقله عن الإنجليزية أمين توفيق الطيبي، الدار العربية للكتاب، ليبيا، تونس، 1980م، ص: 78، محمد حسن: المرجع السابق، ص:317.

[5] _ محمد حسن: **نفس المرجع** والصفحة.

[6] _ فتوى الشعبي، الونشريسي: **المصدر السابق**، 102/6.

[7] _ابن سهل: **الأحكام الكبرى**، ص:301.

[8] _ فؤاد طوهارة: **المرجع السابق**، ص:72.

[9] _أبو عبد الله مالك بن أنس الأصبحي: **الموطأ**، رواية محمد بن الحسن الشيباني، تعليق وتحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف، أشرف على إصداره محمد علي محجوب، ط4، القاهرة، 1414هـ/ 1994م، ص:269، أنظر أيضا: ابن أبي زيد: **النوادر والزيادات**، 499/10.

[10] _سحنون: **المدونة**، 473/4، أنظر أيضا: الداودي: **كتاب الأموال**، 57/1، أبو القاسم محمد بن أحمد ابن جزي الغرناطي: **القوانين الفقهية**، نسخة إلكترونية، القسم2، الكتاب5، ص:222.

بخلاف البعيدة من العمران[1]، ورغم أن مالك أجاز ذلك ولو بدون إذن الإمام[2]، إلاّ أنّ هناك من يرى بأن بأن إحيائها بدون إذن الإمام فهي لسيت له، وللإمام حق إخراجها من يده ويصنع فيها ما رأى من الإجارة والاقطاع وغير ذلك[3].

ورغم اختلاف الفقهاء في موضوع الأرض التي يتم إحياؤها بدون إذن الإمام، ثم يقطعها هذا الأخير لشخص معين فمنهم من يرى أن ذلك لا يغير شيئا وأنّ الأرض ملك لمن بيده، واعتبر الآخر انطلاقا من مبدأ إذن الإمام أن من أحياها وغرسها يُرفع أمره إلى السلطان الذي له النظر وحده في الإبقاء أو القلع[4]، وإلى جانب ذلك نرى أن بعض فقهاء المغرب كانوا يرون في الإحياء صيغة أخرى للاقطاع، وخاضعا لوظيف غير مألوف يقدر بنصف الثمن، وهو أقرب إلى الاقطاع منه إلى الضرائب الشرعية المعروفة[5].

3_أراضي المشاعة*(الجماعية): الملكيات المشاعة تتطابق إلى حد كبير مع ما أقرته الأحكام الفقهية فيما يخص الأراضي التي فتحت صلحا وتوجب على أصحابها الخراج والجزية، مع إسقاط الجزية عند الإسلام وإبقاء الخراج ثابتا على الأرض[6]، وجميع ما يستحدث في الأرض بعدما كانت مشاعا من العيون العيون والآبار والأشجار لا يكون إلاّ مشاعا[7].

وغالبا ما يتم تملكها جماعيا عن طريق انتقاله بالميراث، وكثيرا ما تحدث الخلافات بين المتشاركين في الأرض بإحداث شركاء أجانب من قبل أحدهم دون علم جميع الورثة[8]، أو أن أحدهم يرث أرضا من أبيه ويستغلها لعشرات السنين ثم يدعي بعدها آخرون بأنهم شركاء معه بها[9].

وبالنسبة للأرض المشتركة بين قوم إذا عمر واحد من الشركاء بعضا من تلك الأرض على أن يكون له ولم يجاوز سهمه فغرس فيها أو بنى أو حفر ولم يختر أطايب الأرض، فإنه يكون ذلك له وتصير البقية لشركائه بينهم على قدر حصصهم[10].

يطلق على الأراضي الجماعية بأرياف المغرب الأوسط عدة تسميات منها: "**أناس تكون لهم أرض**"[1]، "**أرض**"[1]، "**قوم اشتركوا في حراثة زوج**"[2]، "**أرض معروفة بأناس ومنسوبة إليهم**"[3]، وكانت منتشرة بكثرة

---

[1]_ابن أبي زيد: **المصدر السابق**، 500/10، ابن جزي: **المرجع السابق**، الصفحة نفسها.

[2]_سحنون: **المدونة**، 473/4، ابن أبي زيد: **المرجع السابق**، الصفحة نفسها، الفرسطائي: **المصدر السابق**، 195/4.

[3]_أبو يوسف: **كتاب الخراج**، ص ص:63_64.

[4]_**نفسه**، ص:60، الماوردي: **المصدر السابق**، ص:403، الونشريسي: **المصدر السابق**، 117/5.

[5]_ فتحة: **المرجع السابق**، ص: 347.

(*)المشاع هو ما اختلط بين قوم حتى لا يصلوا إلى فرز ما لكل واحد منهم، وإنما يكون ذلك في شيء تلف لهم فيه الميراث ولا يصلون إلى معرفة جميع الورثة، ولا سهم كل واحد منهم والمشاع يكون في الأرض وما اتصل بها من الدور والغيران والأشجار والعيون وأشباه ذلك، ولا يكون في الحيوان ولا في جميع المقبوض. أنظر: الفرسطائي: **القسمة وأصول الأراضين**، ص:103، 593/8_594.

[6]_سعيدوني: **المرجع السابق**، ص:31.

[7]_الفرسطائي: **المصدر السابق**، 601/8.

[8]_فتوى أبو الربيع سليمان بن إبراهيم الونشريسي، الونشريسي، **المصدر السابق**، 130/5.

[9]_فتوى عبد الله العبدوسي(ق8هـ)، الونشريسي، **المصدر نفسه**، ص ص: 268_269.

[10]_الفرسطائي: **المصدر السابق**، ص:81.

بأرياف المغرب الأوسط[4]، حيث تسود هذه الملكيات في السهول الجافة والمناطق المتاخمة للصحراء أين تسود الزراعة الواسعة ونشاط الرعي الذي تعيش عليه معظم القبائل[5]، فأولاد خراج وهم من عمائر ذوي عبيد الله كانوا يعيشون في صحاري بني كومي وفجيج بنوميديا "**ويملكون أراض شاسعة ومراعي لقطعانهم**"[6].

والاشتراك في الأراضي الجماعية لا يتعلق فقط بالقبائل المستقرة فحتى تلك التي تمتاز بنمط الحياة "**نصف بدوية**"، كانت تمتلك هذا النوع من الأراضي "**فبسهول عنابة تضعن جماعات من البربر** _شريش، يني مرديس، جريد وبني عدوان وبني منصور_، **وتعيش في دواوير مثل العرب ورجالها أغنياء ويملكون من الأراضي والخيل والمواشي**"[7].

وتشير كتب الجغرافيا إلى انتشار الملكية المشتركة، فكان "**من شلف بني واطيل إلى بني واريفن لمطغرة على نهر شلف**"[8]، وملكت العديد من العشائر العربية عددا من القرى، وهذا دليل على انتقال واستقرار القبائل العربية في الأرياف وتملكها للقرى والضياع وتوسيع ملكيتهم وعددهم لحد الغلبة فيها[9].

4_أراضي الملك: أراضي الملك هي الأراضي المملوكة للأفراد ولهم مطلق الحرية بالتصرف فيها، وتتميز عادة بعدم استقرار مساحتها نظرا لخضوعها لأحكام الوراثة والبيع والشراء والمصادرة أحيانا[10]، وكانت منتشرة بأرياف المغرب الأوسط[11] وخارج المدن[12]، والمناطق السهلية والجبال ذات الكثافة السكانية المرتفعة، فأهل جبل مغراوة كانوا يملكون أراض جيدة للزراعة[13].

وما يميز الملكيات الزراعية بالواحات الجنوبية أنّ أغلبها كانت فردية[14]، كما أن اقتران الكثير من المدن بامتداد هذا النوع من الأراضي حولها دليل على أنها شكلت همزة وصل بين المجالين الحضري والريفي، كما أنها تؤكد حاجة كلا المجالين للطرف الآخر.

---

[1]_فتوى محمد بن مرزوق، المازوني: **المصدر السابق**، 8/2ظ.

[2]_فتوى أبي الفضل العقباني(ق9هـ)، **المصدر نفسه**، ورقة 24ظ.

[3]_**نفسه**، ورقة 44ظ.

[4]_فتوى سيدي قاسم العقباني(ق9هـ)، الونشريسي، **المصدر السابق**، 131/6.

[5]_ محمد حسن: **الريف المغربي**، ص: 96، **القبائل والأرياف**، ص:35، سعيدوني: **المرجع السابق**، ص: 16.

[6]_مارمول: **المصدر السابق**، 108/1.

[7]_**نفسه**، 8/3.

[8]_البكري: **المغرب**، ص:69.

[9]_نور الهدى بوخالفة: **استقرار العرب وإنشاء المدن والقرى في المغرب الوسيط**، مقال ضمن كتاب: **التغيرات الاجتماعية في البلدان المغاربية**، قسنطينة، 2001م، ص:62.

[10]_سعيدوني: **المرجع السابق**، ص ص: 48_49.

[11]_فتوى سعيد العقباني (ق9هـ)، المازوني: **المصدر السابق**، ورقة 8ظ.

[12]–Richard Lawless : **Tlemcen capitale du Maghreb**, p.63.

[13]_الوزان: **وصف إفريقيا**، 44/2، مارمول: **المصدر السابق**، 353/2.

[14]_الوسياني: **السير**، 488/1.

تعددت الطرق التي يحصل بها المُلاّك على الأرض الزراعية مثل البيع[1] والشراء[2]، الميراث[3]، التصدق والهبة والوصية[4]، المغارسة[5]، الشركة[6]، والغصب[7] وأحيانا يكون التعدي حتى على أرض الغائب[8] الغائب[8] أو اليتامى، أو المجانين أو أرض القراض[9]، بالإضافة إلى إحياء الموات[10] والكراء[11]، أين نلمح نلمح حرص السكان على توثيق عمليات الكراء بعقود رسمية[12].

وهذه هي أغلب الطرق التي حددها الإسلام، وللدولة أن تبطل الملكية الفردية إذا أصرّ صاحبها على الضرر[13]، كما أنه في حالة عجز صاحب الأرض عن استغلالها يلجأ إلى رهن أرضه[14].

لم تخل أرياف الفترة من مُلاّك فاحشي الثراء بدليل امتلاكهم لضيعات كبيرة[15]، ولهم حق التصرف في بيعها وهبتها للأبناء[16]، وهؤلاء الريفيين خاصة المالكين للأراضي[17] ومختلف المستغلات من رياض وأجنة[18] كانوا على درجة من الوعي أن وثقوا البيوع ضمن وثائق رسمية في إطار عقود "رسم"، قصد

---

[1]_ابن مريم: **البستان**، ص ص:217_218.

[2]_فتوى ابن مرزوق (ق9هـ)، المازوني: **المصدر السابق**، 65/2و، فتوى السيوري(5هـ)، ابلرزلي: **المصدر السابق**، 90/5، فتوى المازري(ق6هـ)، المازري(ق6هـ)، 85/3، ابن مريم: **المصدر السابق**، ص ص:371_372.

[3]_فتوى ابن رشد(ق6هـ)، الونشريسي: **المصدر السابق**، 132/8،فتوى ابن أبي زيد (ق4هـ)، **المصدر نفسه**، 603/9، البرزلي: **المصدر السابق**، 325/4، 85/3، الغبريني: **الدراية**، ص:245، ابن قنفذ: **أنس الفقير**، ص ص:47_48، الحفناوي: **تعريف الخلف**، 232/2_233.

[4]_فتوى عياض (ق6هـ)، الونشريسي: **المصدر السابق**، 174/9،فتوى ابن أبي زيد(ق4هـ)، **المصدر نفسه**، ص: 603، فتوى المازري(6هـ)، البرزلي: **المصدر السابق**، 86/3، 141.

[5]_ البرزلي: **المصدر السابق**، 411/3، 430، 636، الونشريسي: **المصدر السابق**، 264/4، 138/8، 141، 152، 158، 174.

[6]_الونشريسي: **المصدر نفسه**، 117/8.

[7]_ فتوى المازري (ق6هـ)، البرزلي: **المصدر السابق**، 169/3، 159/5، فتوى السيوري، **المصدر نفسه**، 545/1_546، فتوى إبراهيم العقباني (ق9هـ)، المازوني: **المصدر السابق**، ورقة 37و، الونشريسي: **المصدر السابق**، 364/1، الفرسطائي: **المصدر السابق**، 380/6_382.

[8]_فتوى عبد الرحمن الواغليسي (ق8هـ)، المازوني: **المصدر السابق**، ورقة 39ظ.

[9]_الفرسطائي: **المصدر نفسه**، ص:386.

[10]_الونشريسي: **المصدر السابق**، 35/8.

[11]_ سحنون: **المدونة**، 534/3، 553، ابن رشد الجد: **الفتاوى**، 1186/2، فتوى ابن رشد (ق6هـ)، الونشريسي: **المصدر السابق**، 169/8_170، الفرسطائي: **المصدر السابق**، 401/6، فتوى عبد الرحمن الواغليسي، المازوني: **المصدر السابق**، ورقة 46و.

[12]_ ابن سلمون: **العقد المنظم للحكام**، ص ص: 313_314، أنظر أيضا: فتوى ابن مرزوق، المازوني: **المصدر السابق**، ورقة 65و.

[13]_عبد الهادي علي النجار: **الإسلام والاقتصاد، دراسة في المنظور الإسلامي لأبرز القضايا الاقتصادية والاجتماعية المعاصرة**، عالم المعرفة، الكويت، العدد 63، 1983م، ص ص:51_52.

[14]_ الفرسطائي: **المصدر السابق**، 340/5، 387/6.

[15]_ فتوى أبا الفضل العقباني، المازوني: **المصدر السابق**، 70/2ظ.

[16]_الونشريسي: **المصدر السابق**، 46/6.

[17]_ فتوى قاسم العقباني(ق9هـ)، الونشريسي، **المصدر نفسه**، 100/5.

[18]_ فتوى قاسم العقباني، الونشريسي، **المصدر نفسه**، ص ص: 101_102.

ضمان حقوقهم واستظهارها للضمان[1]، خصوصا وأن عمليات الشراء التي تتم بعقود دون إشهاد كانت تخلف العديد من الخلافات والمشاحنات بين الطرفين[2].

وفي المقابل أثارت اغتصابات الأعراب لأراضي أرياف المغرب الأوسط خلال الفترة قيد الدراسة جزءا كبيرا من القضايا التي تناولتها النوازل[3]، وأحدثت بلبلة في أوساط البوادي التي كانت لها عواقب وخيمة على الفلاحين إذ بات من الصعب التثبت من حيازة مُلاّك شرعيين للحقول أو الزياتين[4]، ولعل الشكاوى المقدمة ضد الأعراب دليل على تشبث الناس بأراضيهم الزراعية وكذلك استعمال مصطلح "مغربنا"؛ للمطالبة بحق الأرض[5]، حيث أثارت هجومات القبائل العربية عاطفة التملك بالأرض عند السكان الريفيين[6]، وحالة اللاأمن بقرى المغرب الاوسط تدفع بالسكان إلى الهجرة مما يؤدي بهم لفقدان ملكياتهم العقارية[7].

5_أراضي الحبس(الوقف): الحبس والوقف واحد، وفي العرف هو إعطاء منافع على سبيل التأبيد[8]، ومن ومن شروط صحة الحبس حوزه عن محبسه في صحته كالصدقة والهبة وغيرهما، مما هو في معنى عطية ولا خلاف فيها بين مالك وأصحابه[9].

وأراضي الحبس كانت أصولها من الملكيات الخاصة التي أوقفها أصحابها لأغراض دينية، وكانت تحبّس على المرافق الدينية: أغلبها للمساجد[10] أو لصالح ذرية المحبس[11] أو المساكين[12]، والنساء والمرضى[13]، ومع انتشار التصوف كثر التحبيس دلالة على الزهد والورع[1].

---

[1]_فتوى عبد الله العبدوسي(ق8هـ)، الونشريسي، **المصدر نفسه**، ص: 268، فتوى بعض شيوخ تلمسان، **المصدر نفسه**، 168/10.

[2]_فتوى سليمان بن إبراهيم الونشريسي، الونشريسي، **المصدر نفسه**، 128/5.

[3]_نذكر على سبيل المثال: فتوى أبا الفضل العقباني، المازوني: **المصدر السابق**، 3/2ظ، 7ظ، 11ظ، 15و، 38و، ولكثرة عيث الأعراب وضررهم بسكان الأرياف وردت مسألة من أبي العباس أحمد المريض لشيخه ابن عرفة عام 796هـ حول قتال بني عامر وسويد بغرب المغرب الأوسط، أنظر المازوني، **المصدر نفسه**، 180/1ظ، فتوى المازري: البرزلي: **المصدر السابق**، 159/5، 545_546، 169/3، 215/2، فتوى السيوري: الونشريسي: **المصدر السابق**، 364/1.

[4]_الهادي روجي إدريس: **الدولة الصنهاجية، تاريخ إفريقية في عهد بني زيري من القرن 10 إلى 12م**، نقله إلى العربية حمادي ساحلي، ط1، دار الغرب الإسلامي، 1992م، 215/2.

[5]–Amara : **Retour à la problématique**, p.15_16.

[6]– Jacque Berque : **En lisant les Nawazil Mazounna** ; Studia Islamica, 1970, 32, G,P, Maisonneuve_Larose, Paris, MCMLXX, p.32.

[7]_فتوى أبا الفضل العقباني، المازوني: **المصدر السابق**، 15/2و، 27ظ.

[8]_البرزلي: **المصدر السابق**، 316/5.

[9]_ابن سهل: **الأحكام الكبرى**: ص: 562، ابن رشد الجد : **الفتاوى**، 200/1.

[10]_فتوى أبا الفضل العقباني، المازوني: **المصدر السابق**، ورقة 59و، فتوى أبو العباس القباب، الونشريسي: **المصدر السابق**، 62/7، فتوى ابن لب، **المصدر نفسه**، ص ص: 112_113، الفرسطائي: **القسمة**، 458/7.

[11]_فتوى وردت على الونشريسي من تلمسان، **المعيار**، 354/7_355، محمد فتحة: **المرجع السابق**، ص:315، برنشفيك: **المرجع السابق**، 195/2_196.

[12]_ فتوى السيوري، الونشريسي: **المصدر السابق**، 332/7،63.

[13]_فتوى ابن المكوي، الونشريسي: **المصدر السابق**، 435/7.

ورغم قدسية هذه الأراضي والممتلكات المتعلقة بها إلاّ أنّها كانت عرضة للتجاوزات من قبل الملوك والأمراء وحتى بعض الأشخاص[2]، وكذلك نتيجة للحروب والأزمات أو حتى الظروف العادية، وتعدى الأمر إلى كراء بعض أراضي الوقف الخاصة بالمساجد[3].

ومسألة التعدي هذه؛ سواء من قبل رجال السلطة أو من قبل أطراف أخرى ازدادت تسارعا خلال الثلث الأخير من العصر الوسيط[4]، وهو ما يفسّر كثرة أشكال الحيازة والتأرجح بين رسوم الملك وبقاء الأرض على الشياع، أي في حمى الجماعة أو حماية الملك بالحبس أو اللجوء إلى الحبس، الذي يرتبط طبعا بمدى احترام المخزن لأملاك الأحباس[5]، وهذا يعني أنه حتى أراضي الوقف كانت تزداد أو تنقص تبعا للظروف المحيطة بالأرياف لكن هذا لاينفي بأي حال من الأحوال أن الوقف كان يتم ابتغاء مرضاة الله تعالى.

المطلب الثاني: استغلال الأراضي في النشاط الزراعي والبستني بأرياف المغرب الأوسط:

من الصعب قياس مدى اتساع أو تراجع كل مجال من مجالات الاستغلال الزراعي والبستني لعدم توفر وثائق تشتمل على المعلومات الخاصة بمسح الأراضي الزراعية خلال هذه الفترة من جهة، ومن جهة ثانية لنذرة المعلومات التي تشير إلى كمية الانتاج بالضبط خاصة في الأرياف البعيدة المعتمدة على نمط الانتاج العائلي، وما وجد منها فهو متعلق بتلك الأرياف القريبة من الحواضر الكبرى، بل تلك الواقعة تحت سيطرة الدولة مباشرة فالأرياف المحيطة بتلمسان "**كريمة الفلح زاكية الإصابة وربما انتهت في الزوج الواحد بملاتة** _سهل بناحية وهران_، **منها إلى أربعمئة مد كبير وهو ستون برشالة، زنتها ثلاث عشر رطلا من البر، سوى الشعير والباقلا حسبما تضمن رسم 758هـ**"[6].

ومن الأهمية بمكان التنويه إلى نقطة هامة وهي أنّ عملية استغلال الأرض تختلف باختلاف نوعية التربة من جهة، والأدوات المستخدمة (محاريث، فؤووس،....)، بل حتى الحيوانات أيضا[7].

1_استغلال الأراضي في النشاط الزراعي:

أ_استغلال أراضي الدولة (أراضي الاقطاع): أكدّ الفقهاء بأنّ منح الأراضي بالإقطاع إنما يكون بالإنتفاع لا الملك، وذلك عن طريق ظهير يثبت حق الانتفاع بها وتنتهي بموت المنتفع، وإذا جدد ظهيرها بعض

---

[1]_عز الدين أحمد موسى: **المرجع السابق**، ص:155.

[2]_ فتوى الحفار، الونشريسي: **المصدر السابق**، 150/7.

[3]_ ابن رشد الجد: **المصدر السابق**، 1268/3، فتوى سيدي عبد الله العبدوسي، الونشريسي: **المصدر السابق**، 298/7_299، فتوى ابن لب، **المصدر نفسه**، ص ص:112_113.

[4]_ عبيد بوداود: **الاعتداء على الأحباس، نماذج من تاريخ المغرب الاسلامي**، مجلة كلية الآداب والعلوم الانسانية، جامعة الأمير عبد القادر، المطبعة العربية، غرداية، العدد 11، 2010م، ص،ص: 44، 61.

[5]_ فتحة: **المرجع السابق**، ص: 352.

[6]_يحي بن خلدون: **المصدر السابق**، 90/1_91.

[7]– Jean Despois : **La culture en terraces dans l'afrique du nord**, Annale E,S,C, 11eme année, N=° 1, 1956, p.48.

الورثة يكون الإقطاع الثاني ناسخ للأول[1]، ذلك أن الإقطاع في الأصل وفي التطبيقات الإسلامية الأولى هو تمليك للمنفعة لا الرقبة[2].

واعتمادا على ذلك فقد اعتنى الحكام المرابطون بالزراعة حيث قرّروا القبائل البدوية المتواجدة بشرق المغرب الأوسط وحولوهم إلى الزراعة فانتشرت الكثير من الملكيات العقارية بالمناطق الخصبة التي تقاسمها أعيان الدولة وشيوخ القبائل في شكل إقطاعات، بينما فرضت الإتاوات على الأراضي الأخرى بعد اتساع نطاق أعمال الجهاد بالأندلس ولم يعودوا يقتصرون فقط على الضرائب الشرعية[3].

وفي عهد عليّ بن يوسف بن تاشفين لجأ المرابطون إلى إنعاش الزراعة بإقطاع الجند أراضي يزرعونها ويستثمرونها وينتفعون بخيراتها في مقابل آداء واجب الدفاع عن الوطن وقت الحروب، ويرى معظم المؤرخين أنهم طبقوا هذه السياسة في المغرب والأندلس[4].

وإلى جانب إهتمام الحكام الموحدين بالمزروعات وحمايتها فقد لجأ بعضهم إلى منح الأراضي الزراعية إلى الجنود وغيرهم لزراعتها واستثمارها على شكل إقطاعات مما ساعد على ازدهارها وقيامها[5].

والملفت للانتباه أن ضعف بعض القبائل جعلها تركن للاستقرار وخدمة الأرض وبالتالي ممارسة النشاط الزراعي والبستني مثل قبيلة الأثبج، فيذكر ابن خلدون[6] **<<بأنهم قعدوا عن الظعن وأوطنوا بالقرى بالقرى والأطام>>**، والملاحظ أنها استفادت من اقطاع الاستغلال هذا، وتحولت إلى النشاط الزراعي وخدمة الأرض مقابل دفع الجباية، فكان لتراجع قبيلة زغبة وانقسامها واستفحال الحروب بين بطونها في أواسط القرن6هـ/12م، الأمر الذي جعلها تركن هي الأخرى للاستقرار بقرى الزاب وجبل أوراس وانتقالها من قبيلة محاربة إلى قبيلة غارمة[7].

والواضح أن قبائل بني عبد الواد وبني توجين وبني راشد لم تكتف باستخلاص جباية الأراضي التي نالتها بالاقطاعات من الموحدين فحسب؛ بل إنّهم ولكون تلك الأراضي كانت عالية الخصوبة لذلك فإذا خرجوا إلى مشاتيهم بالصحراء خلّفوا أتباعهم وحاشيتهم "**لاعتمار أرضهم وازدراع فدنهم....خاصة بني عبد الواد الذين استحوذوا على كامل المنطقة الممتدة ما بين البطحاء إلى ملوية ساحله وريفه وصحراءه**"[8].

---

[1]_فتوى أبو القاسم الغبريني(ق9هـ)، البرزلي، **المصدر السابق**، 458/4، فتوى ابن عرفة، الونشريسي: **المصدر السابق**، 73/9.

[2]_محمد عمارة: **قاموس المصطلحات الاقتصادية**، ص:61، أحمد الشرباصي: **المعجم الاقتصادي الإسلامي**، ص ص:37_38.

[3]_عبد الله عنان: **عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس** ص: 420.

[4]_ حسن أحمد محمود: **قيام دولة المرابطين، صفحة مشرقة من تاريخ المغرب في العصور الوسطى**، ط2، دار الكتاب اللبناني، الكويت، 1416هـ/ 1996م، ص: 360.

[5]_ حسن علي حسن: **الحضارة الإسلامية**، ص:238.

[6]_ **العبر**، 31/6.

[7]_ **نفسه**، ص ص: 54_57.

[8]_**نفسه**، 104/7.

وبشأن المتصوفة المستفيدين من الاقطاع؛ فقد كانوا يستغلون الأرض الممنوحة لهم استغلالا مباشرا فيذكر الغبريني[1] بأن الفقيه أبو النجم هلال بن يونس الغبريني كان يعيش من مستغلات أرض كانت محررة بظهائر من قبل عبد المؤمن بن عليّ، وكان يصرف أكثرها في الصدقات.

تشير المصادر إلى العوائد الضخمة التي ينالها كبار رجال الدولة من مداخيل هذا النوع من الأراضي[2]، فتكون جملة ما لكل واحد من طبقة الأشياخ الكبار في كل سنة 120 دينارا أسماه عنها ألف ومائتا درهم مغربية، "**وما يتحصّل من مغل عشرون فدانا لعله لا يكون بأكثر من مثلها**"، فيكون تقدير جملة ما لهذا الرجل الكبير في الدولة في كل سنة 1310 دراهم وهذا بمنزلة أحد الأمراء الألوف بمصر والشام[3]، وأما الأشياخ الصغار فلهم مع ذلك البركات **لكل محرث خمسة أزواج من البقر**[4].

ونتيجة لذلك فإن كبار المشايخ يتحصلون على 20 شعبة أو فدان أي نحو 240 هكتار، فيما يأخذ صغار المشايخ نصف ذلك المبلغ أي 120 هكتار وهي مساحات شاسعة، أما الوقافون (الوكلاء على الأراضي السلطانية) وفئة الجند فإنهم يتحصلون عند الحصاد على عطاءات سلطانية في شكل غلة تفرق عليهم وهي المواساة ومبلغ نقدي[5].

وعلى هذا الأساس هل يمكن القول بأن تغلغل نفوذ هذه الاقطاعات بأرياف المغرب الأوسط قد هيمن على علاقات الإنتاج بها؟ وإلى أي مدى بلغت هذه الهيمنة؟

تشير مصادر الفترة إلى استغلال أراضي الإقطاع بطرق شتى؛ ذلك أنّ سلاطين الدولة كانوا يقومون بإعطاء أرض القانون عن طريق الكراء لمن يريد استغلالها[6] في النشاط الزراعي[7] أوالبستني[8]، وكان الجنود المستفيدين من أراضي المخزن يقومون إما باستغلالها في الحراثة وغيرها[9]، أو بكرائها للمزارعين لاستغلالها مقابل مبلغ معين يدفع زمن الربيع أو زمن الصيف[10].

كما نالت فئة المرابطين[11] وأهل الصلاح والعلم[1] حظها من هذا النوع من الأراضي، وكان الغرض من إمتاع السلاطين لهؤلاء، ولعامة الناس هو زيادة العائدات المالية من خلال فرض الجباية على مستغلي هذه الأراضي.

---

[1]_ **المصدر السابق**، ص:120.

[2]_ العمري: **المصدر السابق**، 96/4، 130، القلقشندي: **المصدر السابق**، 140/5.

[3]_ نفسه، ص ص : 96_97، القلقشندي: **المصدر السابق**، الصفحة نفسها.

[4]_ العمري: **المصدر السابق**، ص:97، القلقشندي: **المصدر السابق**، الصفحة نفسها.

[5]_ محمد حسن: **المدينة والبادية**، 322/2.

[6]_فتوى محمد بن مرزوق، المازوني: **المصدر السابق**، 36/2ظ، 46ظ.

[7]_فتوى أبا الفضل العقباني، **المصدر نفسه**، ورقة 44ظ.

[8]_نفسه، ورقة 43ظ، فتوى حمو الشريف (ق9هـ)، **المصدر نفسه**، ورقة 44و.

[9]_فتوى أبا الفضل العقباني، **المصدر نفسه**، ورقة 44ظ.

[10]_فتوى عبد الرحمن الواغليسي، **المصدر نفسه**، ورقة 24ظ.

[11]_فتوى أبا الفضل العقباني، **المصدر نفسه**، ورقة 30ظ.

وفي نازلة للفقيه أبا عبد الله نزيل تلمسان بشأن وراثة عشرة أزواج من أرض المخزن بسبب صلاح أبيهم، فقد أكّد الفقيه أنّ القسمة تكون انتفاعا لا تمليكا[2]، ورغم تأكيد الفقهاء على ذلك وبالتالي لا يجوز توريثها كذلك لأنها ترجع لبيت مال المسلمين[3]، إلاّ أنّ هناك تجاوزات بشأن هذا النوع من الأراضي مثل انتقال ملكية أرض القانون بالشراء وتملكها فرديا من قبل الشيوخ الزناتية[4]، أو يتم استغلال أراضي المخزن بالغراسة تعديا[5]، أو أنها تؤخذ من أناس وتمنح لرجل من شيوخ العرب "**تمليكا مطلقا عاما**"[6].

ب_إحياء أراضي الموات بالنشاط الزراعي: بالرغم من جهود الرعية والحكام في إنعاش النشاط الزراعي إلاّ أنّ أغلب أراضي المغرب الأوسط قد تضررت كثيرا من جراء الغزو الهلالي الذي اكتسح البسائط والتلال وعاثوا فيها فسادا[7]، لذلك فقد تحولت الكثير من الأراضي الزراعية إلى أراضي موات.

ولم يقترن هذا الوضع بالهجرة الهلالية فحسب؛ فحتى الحروب التي عاشتها بلاد المغرب الأوسط من صراعات قبلية وحروب بين الدول الحاكمة والمجاعات والكوارث الطبيعية طيلة فترة الدراسة قد كان لها الدور الكبير في إلحاق الضرر بالأراضي الزراعية وتحويلها إلى أراضي موات[8].

والواضح أنّ إقطاع أراضي الموات أو تجميعها عن طريق الإحياء كانت من الإجراءات المطبقة من قبل السلط الحاكمة ببلاد المغرب الأوسط أواخر العصر الوسيط[9]، فقد استفاد المرابطون من إقطاع التمليك، وما يميز هذه الأراضي الموات أو تلك غير المزروعة أنها كانت عالية الخصوبة وغنية وتحتوي على شبكة هيدروغرافية وفيرة، أين عمد هؤلاء لاستغلالها في النشاط الزراعي والبستني لصالح السلطة المركزية مقابل فوائد (عائدات جبائية)[10].

وما ساعد على استصلاحها أيضا هو حضور الأندلوسيين ثم الموريسكيين الذين شكلوا القوى العاملة في ميدان الفلاحة واستقروا في أخصب الأراضي مثل أرياف تنس، شرشال،...إلخ[11].

ج_استغلال الأراضي الجماعية: لمّا كان التركيب الاجتماعي المميز لبلاد المغرب الأوسط هو تركيب قبلي، فقد كانت أراضي المشاعة ترتبط بالنمط الرعوي والنظام القبلي لأنها ليست ملكا لأحد، وبالتالي

---

[1]_**نفسه**، ورقة 31و، 60و.

[2]_**المصدر نفسه**، ورقة 31و، أنظر أيضا: فتوى ابن مرزوق، **المصدر نفسه**، ورقة 67و.

[3]_فتوى أبا القاسم الغبريني، البرزلي: **المصدر السابق**، 458/4، فتوى ابن عرفة، الونشريسي: **المصدر السابق**، 93/9.

[4]_فتوى أبا الفضل العقباني، المازوني: **المصدر السابق**، ورقة 16ظ.

[5]_فتوى سعيد العقباني، **المصدر نفسه**، ورقة 45و.

[6]_فتوى أبا الفضل العقباني، **المصدر نفسه**، ورقة 44ظ.

[7]_ابن خلدون: **المصدر السابق**، 27/6، ابن عذاري: **البيان**، 292/1_295، النويري: **نهاية الأرب**، 122/24_124، عبد العزيز سالم: **تاريخ المغرب العربي**، مؤسسة شباب الجامعة لـ ن،ت، الاسكندرية، 1982م، ص:598، موسى لقبال: **طبنة مدينة الزاب والأوراس في العصور الوسطى**، مجلة الأصالة، العدد 60_61، 1391هـ/ 1971م، ص ص:90_91.

[8]_**للتفصيل أكثر، أنظر ص ص: 131_177 ضمن العنصر الخاص العوامل المؤثرة سلبا على النشاط الزراعي والبستني.**

[9]–Voguet : **Appropriations et distributions....**, p.133.

[10]– Voguet: **Chefs de tribus...**, p.378.

[11]_ محمد حسن: **الريف المغربي**، ص:101.

تستغل جماعيا بحيث تسكن القبيلة في منطقة مخصصة لها ويوزع الإنتاج بها حسب أعرافها[1]، وما يميز هذا النوع من الأراضي هو سعة رقعتها وتخصيص معظم مساحتها للرعي والغرس وزراعة الحبوب[2]، ولا يحق للمستفيد من هذه الأراضي بيعها ولا هبتها ولا تأجيرها لفرد آخر من خارج القبيلة أو الأقارب[3].

وجرت العادة بأرياف المغرب الأوسط على استغلالها في الحرث، إذ يجوز اقتسام منافع المشاع بين الفلاحين[4]، ويكون استغلالها بين الشركاء في الحرث والبذر كل وسهمه، وإن أراد قوم حرث أرض المشاع المشاع كل سنة فلابد أن يعيدوا القسمة كل سنة للحرث[5]، ويجوز الاتفاق بين القبائل على الحرث في أرض المشاع بالتناوب، بعضهم سنة والآخرون سنة أخرى، أو حتى سنة واحدة بعضهم في الصيف وآخرون في الشتاء[6]، وتشير المصادر إلى استغلالها في النشاط الزراعي (الحبوب والقطاني)[7].

د_استغلال أراضي الملك: الواضح أنّ مساحة هذا النوع من الأراضي لم تكن بالكبيرة[8]، ويُستغل أغلبها في الزراعة[9] على نطاق عائلي وأحيانا على المستوى القبلي[10]؛ فسكان دلّس (تدليس) يملكون أراض زراعية كثيرة تنتج القمح بوفرة[11]، وسكان جبل مغراوة "**تبلاء أشدّاء يملكون أراض جيدة**"[12]، والحال ذاته بالنسبة للقبائل القاطنة بالمناطق الجنوبية لجبال دولة الجزائر[13].

ويبدو أنّ الملكيات ذات المساحة الصغيرة هي الأكثر انتشارا وشيوعا، ويتملكها معظم الفلاحين في الأرياف وحول المدن، حيث كانوا يعملون فيها بكد أيديهم لأنها مصدر عيشهم، فبقصر تمزيزدكت به أراض جيدة أيضا، كانت تزرع فيه حاجات الناس[14].

ومن الشرائح التي تملكت هذا النوع من الأراضي هم الفقهاء والمتصوفة[15]، فهذا أبا محمد عبد السلام التونسي[1] نزيل تلمسان والمتوفي بها كان يلبس كساءا أعرّ جلده ويأكل الشعير الذي يحرثه بيده[2]، بيده[2]، ويذكر ابن قنفذ[3] أيضا بأنّ جدّه قد ترك لوالده عددا من الدور والجنات والأرضين.

---

[1]_ أبو المعاطي: **المرجع السابق**، 581/2.

[2]_ البكري: **المصدر السابق**، ص ص: 69_70، الحميري: **المصدر السابق**، ص: 470.

[3]_ ابن رشد الجد: **المصدر السابق**، 206/1.

[4]_الفرسطائي: **المصدر السابق**، ص ص:103_104.

[5]_**نفسه**، 597/8_599.

[6]_**نفسه**، ص:603.

[7]_**نفسه**، ص:599.

[8]_فتوى قاسم العقباني(ق9هـ)، الونشريسي، **المصدر السابق**، 97/5، 262، فتوى عبد الله العبدوسي، **المصدر نفسه**، ص:268.

[9]_فتوى عبد الله العبدوسي(ق8هـ)، الونشريسي، **المصدر السابق**، 269/5.

[10]–Ammara : **Communautés rurales**, p.190.

[11]_الوزان: **المصدر السابق**، 42/2.

[12]_**نفسه**، ص:45، مارمول: **المصدر السابق**، 353/2.

[13]_**نفسه**، ص:46.

[14]_**نفسه**، ص ص: 11_12، مارمول: **المصدر السابق، ص:293**.

[15]_الغبريني: **المصدر السابق**، ص:245، الحفناوي: **المرجع السابق**، 232/2_233.

والملاحظ أنّ عوائد أراضي الملك كانت تختلف من منطقة إلى أخرى، والغالب أن مردودها لا يتعدى الشيء القليل، فهذا أبا محمد عبد الله بن حجاج بن يوسف (توفي بعد 640هـ/1242م)[4]؛ كان طيلة مدة قضائه ببجاية "**لا يأكل من مرتبه شيئا وإنما يصرفه في الصدقة وصلة أهل البر والخير وما كان يتناول إلاّ من شيء يصله من فوائد عقاره ببلد الجزائر مما ورثه عن أبيه**"[5]، والعالم الفقيه أبا عبد الله بن أبي بكر بن مرزوق، الذي كان يكتال من زرعه للضعفاء طول السنة[6]، وعرف والده أبا العباس بن مرزوق (ت741هـ/1340م) الذي كانت له مطامير من القمح والفحم والخليع والزيت يقوم بالتصدق بها أيام الثلج والبرد القارس[7].

كما تشير مصادر الفترة إلى استغلال هذا النوع من الأراضي في النشاط الزراعي من قبل خليفة اليتيم أو المجنون[8]، وبالنسبة لكراء الأرض فهي تختلف حسب نوعية الإستغلال، فأرض السقي تكرى على الشهور والسنين التي يعمل فيها الشتاء والصيف، فهي للمتكاري حتى تتم السنة، وإذا كانت أرض المطر ومما أشبهها مما هي للزرع خاصة فمحملها منتهى سنته رفع زرعه[9].

وأما الأحباس المحبسة على المساجد والمساكين وما أشبه ذلك فلا ينبغي لمتولي النظر فيها أن يكريها لأكثر من أربعة أعوام إذا كانت أرضا أو لأكثر من عام إذا كانت دارا[10].

إنّ عدم امتلاك الفلاحين للعقار يدفعهم لكراء الفدّان أو الأرض للقلب والزراعة[11]، وقد تعددت الصور والأشكال التي يتم بها الكراء إذ تشير إحدى النوازل عن رجل "أكرى أرضه لمن يحرثها سنة ثم أراد تصييرها لغريم في دين له عليه قد حل أو لم يحل"، وكانت الإجابة بجواز ذلك لأنه ليس دينا بدين، لأن المصيّر إليه يقدر على التصرف فيها بوجوه: ببيع أو هبة أو صدقة أو غيرها[12].

---

[1]_أصله من تونس وصحب عمه عبد العزيز التونسي بأغمات، فلما مات بها عمه نزل هو إلى تلمسان وبها توفي ودفن بالعبّاد في الرابطة المعروفة برابطة التونسي، وكان عارفا بالمسائل زاهدا في الدنيا متقشفا صليبا في الحق مغلظا على الأمراء، أنظر: التادلي: **التشوف**، ص ص:110_111.

[2]_**نفسه**، ص:110، يحي بن خلدون: **المصدر السابق**، 125/1، ابن قنفذ: **أنس الفقير**، ص:108، ابن مريم: **المصدر السابق**، ص:122.

[3]_ **المصدر السابق**، ص ص:47_48.

[4]_هو الشيخ الفقيه القاضي العدل المرضي، أخذ عن أبي بكر بن العربي وغيره، وكان قاضيا بالجزائر وبها نشأ أبو محمد عبد الله ثم انتقل إلى بجاية قاضيا بعد تأخير أبي عبد الله بن إبراهيم الأصولي. أنظر: الغبريني: **المصدر السابق**، ص:245، الحفناوي: **المرجع السابق**، 232/2_233.

[5]_الغبريني: المصدر السابق، الصفحة نفسها.

[6]_خليلي بختة: **دور بعض السلاطين والفقهاء والوجهاء**، ص: 28.

[7]_ابن مرزوق: **المناقب المرزوقية**، ص ص: 190_191.

[8]_الفرسطائي: **المصدر السابق**، 361/5.

[9]_سحنون: **المدونة**، 543/3، ابن رشد الحفيد: **شرح بداية المجتهد**، 1810/4.

[10]_ابن رشد الجد: **فتاوى ابن رشد**، 293/1.

[11]_فتوى بعض الشيوخ، البرزلي، **المصدر السابق**، 418/3، فتوى أبا الفضل العقباني، المازوني: **المصدر السابق**، ورقة 46ظ.

[12]_فتوى قاسم العقباني(ق9هـ)، الونشريسي، **المصدر السابق**، 103/5.

ونتيجة لتعرض الزروع للعديد من الآفات خاصة الصرّ (شدة البرد)، في الربيع ثم أصابه القحط بعد ذلك وكذلك الريح، فقد أفتى الفقهاء بإسقاط الكراء عن صاحبه باعتبار كلاّ من الصرّ والريح والقحط من الجوائح[1]، لكن أبا القاسم ابن سراج أكّد أنه في حالة إصابة الزرع بالبرد، يغرم المكتري الكراء كلّه ولا يحط عنه شيء بسبب جائحة البرد لأنه لا يقام في الكراء بالجائحة إلاّ إن كانت من الأرض وما يرجع إليها[2].

وفي حال ما اكترى أحدهم أرضا فأمطرت بعد أن زرع، فغرق أياما أو شهرا فأهلك؛ فإن إسقاط الكراء من بقائه مرتبط بحالة الزرع فإذا كان بعد إبان الزراعة فهو كالجليد، وإن كان في الإبان لو انكشف عنها أدرك الزرع ثانية فلم ينكشف حتى فات فهو كغرقها في الإبان فلا كراء عليه، وإن انكشف في الإبان لزمه الكراء[3]، ومن اكترى أرضا سنة فقبضها ثم غصبها منه السلطان فمصيبتها من ربّها، ولا كراء له فيما بقي[4].

لم تسلم أراضي الملك من وضع وظائف مخزنية عليها[5]، وكان التسلط الجبائي من قبل حكام الفترة الفترة السبب في استفحال عملية كرائها، ذلك أن منطق الغالب بالمغلوب قد جعل من المُزَارِع أداة جبائية مهمة بالنسبة لبيت المال[6]، الأمر الذي جعل أغلبهم يلجأ إلى ذوي الوجاهة والسطوة أين يعمد لإقامة شراكة مع هؤلاء قصد تأمين المحصول الفلاحي من المظالم والمغارم الكثيرة التي يفرضها العمال، والتي أثقلت كاهلهم وعجزوا عن تأديتها، مقابل التزام صاحب السطوة بجميع المغارم وتكون الخدمة على صاحب الأرض[7]، لكن الفقهاء لم يجيزوا هذه الشركة؛ وفي حالة وقوعها يكون الزرع بينهما بقدر جهد كل كل منهما من العمل[8].

هـ_ استغلال أراضي الحبس: شهدت عديد المناطق الريفية تحبيس الأراضي على المساجد واستغلالها بالحرث والزراعة[9]، بل هناك من يلجأ لكراء أرض الحبس من أجل زراعتها[10]، وفي حال تحبيس الأرض

---

[1]_سحنون: **المدونة**، 534/3، ابن رشد الجد: **المصدر السابق**، 1284/1_1285، فتوى ابن رشد(ق6هـ)، البرزلي، **المصدر السابق**، 391/3، فتوى محمد بن مرزوق (ق9هـ)، المازوني: **المصدر السابق**، ورقة 45و، الونشريسي، **المصدر السابق**، 165/8_166.

[2]_أبو القاسم ابن سراج الأندلسي: **فتاوى قاضي الجماعة أبو القاسم بن سراج**، جمع ودراسة وتحقيق: محمد أبو الأجفان، المجمع الثقافي أبو ظبي، الإمارات العربية المتحدة، 1420هـ/ 2000م، ص:213.

[3]_فتوى بعض الشيوخ، الونشريسي، **المصدر السابق**، 164/8.

[4]_ابن فرحون: **تبصرة الحكام**، 167/2.

[5]_ فتوى عبد الله العبدوسي(ق8هـ)، الونشريسي، **المصدر السابق**، 269/5.

[6]_فتحة: **المرجع السابق**، ص ص:340_341.

[7]_ المازوني: **المصدر السابق**، 25/2ظ.

[8]_ **نفس المصدر** والصفحة.

[9]_فتوى قاسم العقباني، الونشريسي(ق9هـ)، **المصدر السابق**، 478/7.

[10]_فتوى أبا الفضل العقباني، المازوني: **المصدر السابق**، ورقة 44ظ، فتوى عيسى بن علال، **المصدر نفسه**، ورقة 50ظ.

على المساكين، فإن غلتها تكون لهم[1]، لكن في أوقات الحاجة والخصاصة يجوز بيعها لعيشهم وحياة أنفسهم، وقد تم بيع العديد منها في مثل هذه الظروف[2].

لقد صارت أراضي الوقف تشكل نسبة مرتفعة من مجموع الأراضي المزروعة، وازدادت أهميتها ابتداءا من القرن 7هـ/13م في خط مواز لانتشار الزوايا والمدارس وتدعيم سلطتها ببلاد المغرب[3]، وجرت وجرت العادة على استغلال أراضي الحبس وفقا لشركة المزارعة بين الفلاحين[4].

ولما سافر سيدي يحي بن محمد المديوني أبو السادات التلمساني إلى بني راشد، بنى هناك مدشرا وحبّس عليه السكان أرضا إلى زمان الحرث وحرثوا له تويزة، كل **مضمد** يأتي بثوريه وزريعته وخماسه مائة مضمد أو أزيد إلى زمان الصيف فحصدوا له ذلك الزرع، وخزنوا منه مطامير كثيرة[5].

2_أساليب استغلال الأرض في النشاط الزراعي:

أ_شركة المزارعة:

تعريفها: المزارعة هي أن يدفع رجل لآخر أرضا يزرعها على جزء معين مشاع فيها يتم تحديده مسبقا، كالنصف أو الثلث أو الربع لمدة معينة[6]، والمزارعة هي الشركة في الزرع وإن شئت قلت في الحرث[7]، وأكثر الفقهاء يعدون المزارعة إجارة ابتداء وشركة انتهاء، فهي "**شركة لأن المحصول الخارج من الأرض يكون مشتركا بين المالك والمزارع على شروط العقد بينهما**"[8]، وبالتالي فالمزارعة دائرة بين الإجارة والشركة[9].

أركانها (شروطها): يقوم عقد المزارعة على عناصر أساسية هي:الأرض والزريعة والآلة (زوج البقر) والعمل (الحرث)[10]، ويكون ذلك على الاعتدال والتساوي بين الشريكين[11]، وعقد المزارعة هو عقد لازم بعد إلقاء البذر فلا يستبد إحداهما بفسخه، كما أن آلات السقي كالمضخات ونحوها على صاحب الأرض، كما يلتزم بتسليم الأرض إلى المزارع[12]، والملاحظ أن المزارعة تكون وفق فترة زمنية معينة لمدة سنة أو تمتد لعدة أعوام[13].

---

[1]_فتوى السيوري(ق5هـ)، الونشريسي، **المصدر السابق**، ص:63.

[2]_فتوى أبو الحسن سيدي علي محسود، الونشريسي، **المصدر نفسه**، ص:332.

[3]_محمد حسن: **الريف المغربي**، ص:96.

[4]_ابن سراج: **المصدر السابق**، ص:162.

[5]_ ابن مريم: **المصدر السابق**، ص ص:305_306.

[6]_ فتحة: **المرجع السابق**، ص: 374، 384.

[7]_ابن جزي: **القوانين الفقهية**، القسم 2، الكتاب 4، ص:185، ابن سلمون: **المصدر السابق**، ص:354.

[8]_ أبو المعاطي: **المرجع السابق**، 189/1.

[9]_الونشريسي: **المصدر السابق**، 149/8_150، فتوى ابن زرب، **المصدر نفسه**، ص:143.

[10]_ محمد حسن: **المدينة والبادية**، 413/2.

[11]_ فتوى ابن زرب القرطبي (ق4هـ)، الونشريسي، **المصدر السابق**، ص:158.

[12]_مناع مرار خليفة: **المزارعة والمساقاة في الشريعة الإسلامية**، رسالة ماجستير، دار الرسالة للطباعة، بغداد، 1395هـ/ 1975م، ص:574.

[13]_فتوى ابن زرب، الونشريسي: **المصدر السابق**، الصفحة نفسها.

وإذا عقدت المزارعة بين شريكين لأعوام ثم أراد أحدهما حل الأمر قبل أن يشرعا في العمل، فيجوز له ذلك لكن إن شرعا في حرث أو زرّيعة لم يكن له ذلك، وكذلك إن مرت منها سنة ثم أراد أحدهما الخروج بعد أن عمل العامل سنة لم يكن له ذلك، لأن المزارعة انعقدت في أعوام، وقد لزمه بعمل السنة عمل الباقي[1]، والواضح أنّ معظم فلاحي المغرب الأوسط قد عمدوا إلى توثيق عقود الشركة في الزرع[2].

أشكال المزارعة: تشير نوازل الفترة إلى اختلاف أشكال المزارعة؛ فخلال هذا العقد وحسب الإتفاق بين الشريكين إما أن يشتركا على أساس التساوي في أزواج الحرث والزرع والعمل في الأرض[3]، أو التساوي في الزريعة[4]، وإما أن يدفع أحد الشريكين الزريعة والآخر البقر[5].

ونجد في حالات أخرى لهذه الشركة أن يدفع أحدهما أرضه والبقر وآلة الحرث بجزء ليحرث له زريعة الكتان[6]، أو أن يخرج أحد الشريكين الدواب والزريعة والسكة والمحراث والآخر يحبس الزوج بيده ويخدم الزرع مع الخديم الذي لرب الزوج مقابل خمس الزرع[7]، وهناك من يحتسب عمل يده بأن يدفع أحد الشريكين الزريعة والآخر البقر والعمل على الأرض لغيرهما أو إعطاء الأرض لمن يخدمها[8]، أو أن يكون يكون له الربع وللآخر ثلاثة أرباع[9].

وسئل بعض المتأخرين عن شريكين أحدهما ببقره والآخر بيده ففني تبن البقر، فأعطاه شريكه تبنا للبقر على السكت وصاحب البقر يدق الطوب خلف الزوج، فطلب كراء يده وطلب الآخر ثمن تبنه، والإجابة أن يُحمل على الطوع، وإن أراد كل واحد أن يأخذ طلبه يحلف على ذلك، فيأخذ الأول ثمن تبنه ويأخذ الثاني أجرة دقّ الطوب[10].

كما نجد أشكالا أخرى للتعامل بين الفلاحين ضمن شركة المزارعة كأن يدفع كل طرف نصيبه من البذر والغرامة وسائر الملازم[11]، أو أنّ صاحب الأرض ممن أنعم عليهم السلاطين يقوم باستغلالها بإدخال شركاء معه، فيخرج كل واحد منهم حظه من الزرّيعة وعمل البقر وتوابع ذلك على الشركاء، مقابل أن

---

[1] _ **المصدر نفسه**، ص ص: 158_159.

[2] _فتوى أبا الفضل العقباني، المازوني: **المصدر السابق**، ورقة 23و.

[3] _نفس المصدر والصفحة، أنظر أيضا: فتوى حمو الشريف، **المصدر نفسه**، ورقة 24و.

[4] _فتوى أبا عبد الله الزواوي، المازوني: **المصدر نفسه**، ورقة 25ظ، أنظر أيضا: فتوى السيوري (ق5هـ)، الونشريسي: **المصدر السابق**، 264/4.

[5] _البرزلي: **المصدر السابق**، 411/3، فتوى السيوري، الونشريسي: **المصدر السابق**، 138/8.

[6] _فتوى عبد الله الشريف التلمساني، المازوني: **المصدر السابق**، ورقة 25و.

[7] _فتوى عبد الرحمن الواغليسي، **المصدر نفسه**، ورقة 23ظ.

[8] _فتوى ابن أبي زيد (ق4هـ)، الونشريسي: **المصدر السابق**، ص ص:157_158، ابن سهل: **المصدر السابق**، ص:129.

[9] _ابن رشد الجد: **المصدر السابق**، 1011/1_1012، البرزلي: **المصدر السابق**، 405/3، الونشريسي: **المصدر السابق**، ص:152.

[10] _فتوى فقيه غير محدد، الونشريسي: **المصدر السابق**، ص ص:139_140.

[11] _فتوى محمد بن مرزوق (ق9هـ)، المازوني: **المصدر السابق**، ورقة 23و.

يتولى صاحب الأرض ما يُجبى عليه من المغرم، وهي عادة مستمرة بالبلاد مع كل من هو محروس من قبل السلطان[1].

وقد أجيزت الشركة بين رجل عنده أرض مع آخر في الحرث، فيخرج ربّ الأرض الثور والزرّيعة وما ينوبه في آلة الحرث، ويخرج شريكه أيضا مثلما أخرج من الثور والزرّيعة وغير ذلك، ويكري عليه العمل في مقابل الأرض أي الخدمة زمان الحرث وزمان الصيف[2]، وأشارت نازلة لرجل دفع لرجل ثورا ليحرث به في بلده على وجه الشركة، وضم له الرجل ثورا آخر وجميع آلة الحرث وزرع الزرّيعة ويده مع يد صاحب الثور، ولما فرغا من الحرث قال الزارع لشريكه ردّ علي نصف ما زرعت من بذر فامتنع ولم يعطه شيئا، فكانت الإجابة أنّ الزرع كله لصاحب الزرّيعة وعليه لصاحب الثور، والعمل معه أجرته[3].

وسئل الفقيه محمد ابن مرزوق عمّن يعطي الثور للحراثة بجزء من الزرع، يحرثه من غير أن يزرع صاحب الأرض شيئا، ويخدم الثور رجل بجزء مما يحرثه أيضا من غير أن يزرع الخادم للثور شيئا، والجواب هو المنع لكن تجوز إذا كان كراء الثور مساو لقيمة الزرع[4].

ومن صور المزارعة التي أجازها الفقهاء تلك المنعقدة على السلف في الزرّيعة على أحد الشريكين أثناء الشروع في عملية الحرث على أن يتم إرجاعها لاحقا[5]، أو أخذ زوج البقر بنصف العشر أو أكثر شريطة أن تتقارب قيمة عمل الزوج مع قيمة ما يخرجه صاحب الحرث معه من نسبته[6]، وفيمن يعطي الأرض لمن يخدمها بالنصف على أن تكون الزرّيعة على صاحب الأرض والنقاء والحصاد والدراس على الأجير بشرط تعادل قيمة كراء الأرض مع قيمة الزرّيعة مع عمل الأجير[7].

وأجاز بعض فقهاء بجاية الشركة في البقول إذا تعادل الشريكين في الزرّيعة وقدم أحدهما الأرض وقدم الآخر العمل[8].

ورغم إلحاح الفقهاء على ضرورة الإعتدال (التساوي) في الشركة[9]، إلاّ أنّ هناك من الحالات التي أجازوا فيها الشركة في الحرث غير المتساوي، فهذا الفقيه علي بن عثمان قد أجاز أخذ رجل لثور للحراثة من آخر مع انفراد الأول بالأرض والزرّيعة والزوج والآلة، ويكون ذلك بينهما بلفظ الشراكة عملا بما تعارف عليه الناس وتسهيلا للضرورة[10].

---

[1]_فتوى أبا الفضل العقباني، **المصدر نفسه**، ورقة 23ظ.

[2]_فتوى عبد الرحمن الواغليسي، **نفس المصدر** والصفحة.

[3]_فتوى أبا الفضل عياض (ق6هـ)، الونشريسي: **المصدر السابق**، ص ص: 164_165، أنظر أيضا: عياض: **مذاهب الحكام**، ص:241.

[4]_المازوني: **المصدر السابق**، ورقة 24و.

[5]_فتوى عبد الله الزواوي، **المصدر نفسه**، ورقة 26ظ.

[6]_فتوى عبد الرحمن الواغليسي، **المصدر نفسه**، ورقة 25و.

[7]_**نفسه**، ورقة 24ظ.

[8]_فتوى أبا عزيز البجائي، **المصدر نفسه**، ورقة 26و.

[9]_فتوى أبا عبد الله الزواوي(ق8هـ)، الونشريسي: **المصدر السابق**، ص:158، أنظر أيضا: الفرسطائي: **المصدر السابق**، 399/6.

[10]_المازوني: **المصدر السابق**، ورقة 24ظ.

ومن الأهمية بمكان الإشارة إلى أنّ شركات المزارعة المنعقدة بين فلاحي المغرب الأوسط لم تقتصر على إنتاج الحبوب فحسب؛ بل كانت هناك شركات مزارعة لزراعة القطن[1] والفول الأخضر والجلبان والفريك[2]، وكذلك القطاني[3].

وبهذا نجد أن مكونات شركة المزارعة: الأرض والآلة والعمل والماشية وجميع الأعمال المرافقة لعملية الانتاج (حرث، بذر وجني المحصول)، قد اختلفت باختلاف وضعية كل طرف فيتم اقتسام المحصول على قدر ما يساهم به كل من ربّ العمل والمزارع.

ومن صور المزارعة الفاسدة؛ نجد شريكين اشتركا على أن يخرج أحدهما الزريعة على أن يكون على الآخر نصفها، وأخرج الآخر البقر والعمل والأرض لغيرهما، وهي أيضا فاسدة من أجل شرط السلف، ويؤخذ السلف من الجملة والزرع بينهما على السوية، ويرجع من له فضل على صاحبه[4].

ومن الصور التي لا تجوز بها المزارعة هي اتخاذ رجل لأجير للحرث في الزريعة، وكان لصاحب الزوج قليب وشرط على الأجير أن يرد عليه القليب في إبانه، وشرط أيضا عليه نصف العمل في الحصاد والدرس وليس للأجير من الزرع إلاّ السدس[5].

وهناك حالات يلجأ فيها أحد الشريكين لزرع قفيز دون علم شريكه حتى وقت استحصاد الزرع، وفي هذه الحالة فإن شريكه مخير في أن يرد عليه نصف الزريعة ويكون شريكه فيما عمل دونه، أو يرجع عليه بكراء نصف القفيز في الأرض وفي نصف الزوج[6].

ب_مشاكل المزارعة: لم تخل شركة المزارعة من إشكالات عديدة كأن ينكر أحد الشريكين الاشتراك مع صاحبه في أزواج القطن والزرع[7]، أو يغيب أحد الشريكين ويترك الزراعة فيحرث الآخر الأرض وكانا قد عمراها بالقليب، ثم يقدم الغائب ويريد أخذ حقه[8]، أو يأتي الزرع أجود من زرع آخر[9].

ومن المشاكل التي تحدث أيضا أن تزرع الأرض بزريعة غير المتفق عليها[10]، أو أن يتخالف الشريكين حول الأداة المستخدمة في الحرث[11]، أو يقدم أحد الشريكين كمية من الزرّيعة فيرزع بعضها

---

[1]_فتوى أبا الفضل العقباني، **المصدر نفسه**، ورقة 23و، أنظر أيضا: فتوى ابن مصباح، الونشريسي: **المصدر السابق**، ص:145.

[2]_فتوى ابن عرفة (ق8هـ)، المازوني: **المصدر السابق**، ورقة 25ظ.

[3]_فتوى ابن مصباح، الونشريسي: **المصدر السابق**، ص ص:145_146.

[4]_فتوى بعض المتأخرين، الونشريسي: **المصدر السابق**، ص ص:141_142.

[5]_فتوى ابن لبابة القرطبي(ق4هـ)، الونشريسي، **المصدر نفسه**، ص:161.

[6]_فتوى أبو صالح، الونشريسي، **المصدر نفسه**، ص:155.

[7]_فتوى أبا الفضل العقباني، المازوني: **المصدر السابق**، 23/2و.

[8]_فتوى الشعبي، البرزلي، **المصدر السابق**، 426/3، فتوى ابن لبابة(ق4هـ)، الونشريسي، **المصدر السابق**، ص:162.

[9]_فتوى السيوري(5هـ): الونشريسي: **المصدر السابق**، ص:140.

[10]_ فتوى ابن لبابة، الونشريسي: **المصدر نفسه**، ص:161.

[11]_فتوى ابن عياض، الونشريسي، **المصدر نفسه**، ص:164.

الشريك الآخر ويترك جزءا منها[1]، وكثيرا ما كان يحدث الخلاف بين الخماس والمزارعين حول الأجرة على على الخصوص[2]، أو بسبب أعداد الأجراء الذين يأتي بهم كل شريك[3].

جـ_شركة الخماسة: يعتبر نظام الخماسة من أبرز أنماط الاستغلال الزراعي التي أضفت خاصية مميزة على طبيعة العلاقات الانتاجية بين أرباب الأراضي والمزارعين في المغرب والأندلس[4]، ونظام الخماسة من الأمور التي أثارت اختلافا واضحا في فتاوى الفقهاء ما بين اعتباره شريكا أو أجيرا.

الخماس أجير: أشارت إحدى النوازل إلى خماس قلب بعض الأرض ثم عامله آخر فمشى معه ثم جاء بعد ذلك يطلب أجرة ما حرث، فكانت الإجابة: إن خرج وشارك الغير باختياره فلا شيء له، وإن طرده فله أجر ما سبق، ينظر في قيمة ذلك أهل الفلاحة[5]، وتختلف الحالات التي يتعرض لها كلا من الخماس ورب الأرض، كأن يشترط الخماس على ربّ الزرع أن كل ما يعاونه به فلا يرجع عليه فيه بشيء، فعاونه ثم طلب أجرته من الخماس، وفي هذه الحالة فإن ثبت شرطه لزم ولا يرجع عليه بشيء وإلاّ حلف أنه ما كان ذلك منه إلاّ ليرجع به ويعطي قيمة ما عمل[6].

وتشير نازلة إلى خماس لم يقع عليه شرط الإعانة فحرث الخماس ما قدر عليه، فلما رأى صاحب البقر عجزه عن بقية الأرض ربط معه زوجا، حتى كملت الأرض فطلبه بأجرة الإعانة، وإجابة المسألة؛ إن تطوع بالإعانة فلا شيء له وإلاّ حلف ويأخذ ما يعطيه أهل المعرفة[7].

وسئل الفقيه عبد الرحمن الوغليسي (ت786هـ/1384م)، عمّا على الخماس من الخدمة فأجاب: الخماس إذا اشترط عليه خدمة النصف أو كانت العادة بذلك مستمرة واشتركا على ذلك فعلى الخماس نصف الخدمة[8]، والمزارعة لاتجوز على أن لا يكون للخماس نصيبه من التبن بل يكون بينهم على حسب شركتهم[9]، ويفهم من سياق النازلة أن هذا العقد إجارة وليس شركة.

الخماس شريك: سئل أبو علي القروي _المكناسي الفاسي الأندلسي ت:872هـ_، عن مسألة الخماس فأجاب: وأما الخماس فلا يجوز إلاّ إذا كان بمعنى الشركة وتكون قيمة عمله بقدر الجزء الذي له، ويكون

---

[1]_فتوى أبا الفضل العقباني، المازوني: **المصدر السابق**، 513/1و.

[2]_فتوى السيوري، الونشريسي: **المصدر السابق**، ص ص: 140_141.

[3]_فتوى ابن عرفة، الونشريسي، **المصدر نفسه**، 77/2.

[4]_إبراهيم القادري بوتشيش: **إضاءات حول تراث الغرب الإسلامي وتاريخه الاقتصادي والاجتماعي**، ط1، دار الطليعة للطباعة والنشر، 2002م، ص:83.

[5]_فتوى بعض المتأخرين، الونشريسي، **المصدر السابق**، ص:141.

[6]_**نفسه**، ص:141.

[7]_**نفس المصدر** والصفحة.

[8]_**نفسه**، ص:154.

[9]_فتوى الواغليسي(ق8هـ)، المازوني: **المصدر السابق**، 26/2و، الونشريسي، **المصدر نفسه**، ص:156.

له عليه من جميع ما يتعلق بالشركة بقدر جزئه، فذلك جائز وله حينئذ حظه من كل ما يكون في الزرع دون شريكه، والمستعمل منه اليوم بين الناس غالبا ما لا يجوز لكونه أجر نفسه بشيء مجهول[1].

وبهذا فالذين يعتبرون وظيفة الخماس من باب الشركة فيشترطون في ذلك: أن يختبر الخماس الأرض، ويخرج صاحب الأرض الزوج، وأن لا يطالب مالك الأرض الخماس بعمل آخر بخلاف المزارعة، وعلى الخماس أن لا يشترط على صاحب الأرض السلف أو البيع له[2].

وأشارت نازلة إلى صاحب فدادين شارك خماسا فيها، وقال نقدر على حرث جميعها، فلما حرث رآه أنه لا يقدر على إتمامها فربط معه صاحب الزرع زوجا آخر، فلما تم الحرث قال له صاحب الزرع أكون معك شريكا في خماستك بقدر ما أعنتك وطلب الآخر ما يصح بالشرع في الشركة، والإجابة: الشركة تلزم العقد ويكون رب الزرع على ما تقدم إن تطوع فلا شيء له وإلاّ فله أجرة الإعانة، قيل وعلى عدم لزومها ليس له من زرع الإعانة شيء وصاحبه أحق به[3].

والواضح أن أعراف الناس وتمسك الخماسين بهذه الشركة دليل واضح على أنهم كانوا يفضلونها على الأجرة، مما يدل ويؤكد أنّ ما يتقاضونه أكبر من نسبة الخمس، وهذه الشركة ما كانت لتستمر لو لم يجد فيها الطرفان (صاحب الأرض والخماس) منفعتهما[4].

وظيفة الخماس: كانت وظيفة الخماس تتسع أو تضيق حسب ما يشترط الخماس على صاحب الأرض، وقد حددت وظيفته في الحرث والنقا ورفع الأغمار والحصاد والدرس، ونقل السنابل إلى الأندر[5]، وبخلاف وبخلاف ذلك فهو يفسد الشركة كخدمة البقر وحمل الحطب واستسقاء الماء[6].

وتحكم العرف فيما يفرض على الخماس من الخدمة كأن يشترط عليه نصف العمل إذا كانت العادة على ذلك[7]، الأمر الذي أدى إلى اختلاف الفقهاء بشأن أحكامها ما بين متسامح ومحرّم، ميالين مع مع مرور الوقت للقبول بالأمر الواقع آخذين بعين الإعتبار أعراف الناس وعوائدهم[8]، ويطلق على الطعام المقدم للخماس إسم "العولة"، وهو من العادات المتعارف عليها في تلك الفترة[9].

والواضح أنّ الحاجة الماسّة للخماسين والتي كانت تزداد حسب الفصول تجعل من الشركاء يخضعون لشروط الخماس، فقد سئل الفقيه أبا الفضل العقباني "**عن قوم اشتركوا في حراثة زوج فطلبوا**

---

[1]_البرزلي: **المصدر السابق**، 408/3، الونشريسي: **المصدر السابق**، ص:150.

[2]_ فتوى الجزولي: الونشريسي، **المصدر نفسه**، ص ص: 151_152.

[3]_ فتوى بعض المتأخرين، الونشريسي، **المصدر نفسه**، ص:141.

[4]_ فتحة: **المرجع السابق**، ص:381، برنشفيك: **المرجع السابق**، 207/2.

[5]_البرزلي: **المصدر السابق**، 427/3، فتوى بعض الشيوخ، الونشريسي: **المصدر السابق**، ص ص:150_151.

[6]_البرزلي: **المصدر السابق**، ص ص: 427_428، الونشريسي: **المصدر السابق**، ص:151.

[7]_فتوى عبد الرحمن الواغليسي: **المصدر السابق**، ص:154.

[8]_فتحة: **المرجع السابق**، ص ص: 383_384.

[9]_فتوى ابن فرجان، المازوني: **المصدر السابق**، 24/2ظ.

خماسا يحرث ببقرهم فلم يجدوه، فصاروا يتداولون على الحراثة بأنفسهم أياماحتى وجدوا خماسا، فقال لا أحبس زوجكم إلاّ أن أدخل معكم فيما حرثتموه أو تقولوا تصرفنا عليه بما سبقنا"[1]، لكن الفقيه أكّد على عدم جواز هذه الشركة.

ولعل ما يفسر قلة اليد العاملة فيما يتعلق بالخماسين هي مطالبة هؤلاء بالزيادة على ما يأخذونه من قيمة الزرع، مثل اشتراطهم زيادة جرّة سمن أو دراهم أو جزء من الزوج، وقد أفتى الفقهاء بعدم جواز أخذهم هذه الزيادة لأنها ليست من أصل الإتفاق الواقع بين الطرفين، إلاّ أن يقوم في المقابل بخدمة الزوج من رعيها وإدخالها وإخراجها[2].

ومن الأهمية بمكان الإشارة إلى أنّ أعمال السخرة قد طالت معظم المناطق الريفية من خلال إجبار أعيان القبائل لصغار الفلاحين على القيام بأعمال شاقّة، ويتضح ذلك من خلال نازلة سئل عنها محمد بن مرزوق "**عن رجل من أعيان القبائل يعطيه السلطان أرضا ينتفع بجبايتها، فيعمد على من تحت شياخته في زمان الحرث فيأخذ منهم زرعا اغتصابا، ويأمرهم أن يحرثوه في أرض اغتصبها لآخر ببقرهم، ويكلف العمل فيه على الخماسين أو على أرباب البقر، ثم إذا حان حصاده كلفهم أيضا، وربما حوّش إليهم غيرهم بحصاده ودرسه وذروه وتصفيته وكيله، ونقله على دوابهم لمخزنه في أوعيتهم، ويجعل عليهم في ذلك بعض خدامه يحركهم فيه فيفعلوا على قهر منه لهم"**[3].

وتشير ظاهرة الخماسة أيضا إلى أنّ قسما كبيرا من العمّال (الفلاحين) لا يملكون الأراضي وأنّ المستغلين (كبار الملاّك) كانوا لا يعملون بأيديهم، مما يدل على أنّها خاصية طغت على البنية الإجتماعية لأرياف المغرب الأوسط في تلك الفترة[4].

مشاكل الخماسة: تعددت الخلافات بشأن الحالات التي يتعرض لها كلاّ من الخماس وصاحب الأرض، كأن يمرض الخماس أو يسافر إلى موضع بعيد وذلك أثناء الحرث فيأخذ رب الزرع خماسا آخر على وجه الشركة أو يستأجر من ماله لتمام بقية الحرث ونيته أن يختص ببقية الحرث دون الغائب والمريض، فيصح المريض أو يقدم الغائب فيطلب الدخول في بقية الحرث ويدفع للعامل قيمة عمله، ففي هذه الحالة فما حرث ربّ الزوج في مرض خماسه أو غيبته لنفسه فهو له، وكذلك إن أخذ خماسا آخر فحرث في مرض الأول أو غيبته فلا شيء فيه للأول، وخمسه للثاني على مذهب ابن القاسم وأنّ الشركة لا تلزم بالعقد، وأنّ لكل واحد من الشريكين أن ينزع من الشركة ما لم يبذر، كذا روى عنه أصبغ[5].

---

[1]_**نفس المصدر** والصفحة.

[2]_فتوى علي بن عثمان، **المصدر نفسه**، ورقة 26ظ.

[3]_**نفسه**، ورقة 38ظ.

[4]–Berque : **En lisant les Nawazil Mazounna**, p.36.

[5]_فتوى سيدي مصباح، الونشريسي، **المصدر السابق**، ص ص:144_145.

وتحدث المشاكل أيضا بسبب غياب الخماس وقت الحرث ثم يعود ويشترط على صاحب الزرع إشراكه فيما فاته منه[1]، أو أن يشترط الخماس على رب الأرض إعانته دون الرجوع عليه في شيئ[2].

ومن أشكال الشركة أيضا هو العمل في الزرع على الثلث أو الربع أو السدس[3]، وهي من الصور الجائزة للشركة، وإن آجر الشريك لشريكه على أن زرع له ناحية من أرضه فذهب الزرع فالمصيبة من الأجير ويلزمه العمل للمستأجر[4].

كما سادت علاقات المناصفة التي يتعاون فيها المشتركان بالتساوي[5]، والواضح أن العرف كان سائدا أكثر من الأحكام الفقهية، وهو الحال الذي كان في عهد ابن لبابة القرطبي، حيث أجاز مذهب عيسى بن دينار العمل فيمن يشترط على المناصف والمثالث والخماس ألاّ يحصد ربّ الأرض معه ولا يدرس، وأن يكون العمل عليه كلّه، وكان **مذهب مالك لا يجيز** هذه الشركة لأنه غرر ومجهول، ويكون الحصاد والدرس والعمل كله بينهما[6]، وتجوز الشركة عند مالك بين ثلاث نفر اشتركوا في زرع فأخرج أحدهم الأرض والآخر البقر والآخر العمل والبذر بينهم ثلاثا[7].

3_استغلال الأراضي في النشاط البستني.

أ_استغلال أراضي الدولة (أراضي الاقطاع): رغم وضوح الحكم الشرعي لكيفية استغلال أراضي الإقطاع؛ إلاّ أنّ هناك بعض التجاوزات من قبل السكان، فتشير إحدى النوازل إلى قوم كانت: "**بأيديهم أرض بأوامر السلاطين يغتلونها بأنواع الاغتلال من الحرث وغيره، ثم عمد رجل منهم لقطعة منها واغترسها بأنواع الشجر ثم توفي...، فعمد وارثوه للقطعة فباعوها من رجل فصار المشتري يحرثها وينتفع بها مدة طويلة، فقام أرباب الروض عليه فانتزعوها منه...**"[8]، فأفتى الفقيه بمنع بيعها، لأن هذا النوع من الأراضي الأراضي يهبها السلاطين إمتاعا لا تمليكا، باعتبارها ملكا يعود لبيت مال المسلمين[9].

وبفضل سياسة الإقطاع ساهم الأعراب في إحياء النشاط الزراعي والبستني في عديد المناطق الريفية وتخلّوا عن حياة السلب والنهب[10]، وبفضل عناية منصور بن فضل بن مزني ببلاد الزاب، حيث "**لقح عقيمها وتفجرت ينابيعها على يديه**"[1]، وبلغت منتها بليغا من الازدهار الفلاحي.

---

[1]_ فتوى أبا الحسن الصغير،الونشريسي، **المصدر نفسه**، ص:157.

[2]_ فتوى بعض المتأخرين، الونشريسي، **المصدر نفسه**، ص:141.

[3]_عبد الواحد المراكشي: **وثائق المرابطين والموحدين**، تحقيق حسين مؤنس، ط1، مكتبة الثقافة الدينية، بورسعيد، الظاهر، 1997م، ص ص:549_550، فتوى أبا صالح، الونشريسي، **المصدر السابق**، ص:165.

[4]_الونشريسي، **نفس المصدر** والصفحة.

[5]_ بوتشيش: **إضاءات حول تراث الغرب الإسلامي**، ص:81.

[6]_الونشريسي: **المصدر السابق**، ص:154.

[7]_سحنون: **المدونة**، 604/3.

[8]_ فتوى أبا الفضل العقباني(ق9هـ)، المازوني: **المصدر السابق**، 48/2ظ، الونشريسي: **المصدر السابق**، 98/5_99.

[9]_ **نفس المصدر** والصفحة.

[10]_**أنظر ص ص: 128_130 من الفصل الأول.**

وبالجناح الشرقي لبلاد المغرب الأوسط منح أبا زكريا الحفصي الإقطاعات للحسن بن محمد بن خلدون، والواضح أنّ هذا الإجراء قد أتى أُكله أمام شغف أعيان الأندلسيين بالنشاط الفلاحي، حيث ازدهرت البستنة والعناية بالأجنة ضمن المجال المحيط بالمدن الكبرى، وكان حفيده عبد الرحمن بن خلدون هو الآخر يمتلك ضيعة الرياحين بناحية تبسة[2].

ورغم اختلاف النظرة الفقهية حول بعض الأنواع من أراضي الاقطاع إلاّ أن معظمها قد تم استغلاله في النشاط البستني فقد سئل أبا الفضل العقباني عن رجل قام بشراء أرض القانون، وغرس فيها أنواعا من الغراسات (الزيتون، التين، العنب،...إلخ)، وبقيت في حوزته ما يزيد عن عشرين سنة دون أن يقوم عليه أحد يطالبه بها[3].

ب_إحياء أراضي الموات بالنشاط البستني: استصلاح الأرض الموات هو من التقاليد المتعارف عليها بالمغرب الأوسط خلال هذه الفترة، فنجد الحماديين قد اهتموا بالفلاحة فأحيوا موات الأرض وغرسوا الأشجار واعتنوا بالبساتين[4]، وعمل الموحدون على تشجيع الفلاحين على استغلال الأراضي وإحيائها وتوفير المياه اللازمة للزراعة[5]، التي كان لها الأثر الكبير في تحقيق الازدهار الزراعي في تلك الفترة.

ولم تكن عملية الاستصلاح هذه حكرا على الحكام فقط؛ فنجد أنّ السكان البسطاء ورجال العلم والفقهاء قد كان لهم الدور الكبير في هذا المجال، فقد رُوي عن عيسى بن يرصوكن قد شاور أبا يعقوب يوسف المعروف بالطرفي في نزوله المنزل المعروف ب،"تلاّعيسى"، بنواحي وارجلان المنسوب إليه فانضم الناس وسكنوها معه، وغرس بها الشيخ أشجارا كثيرة من النخيل وصار في النخيل "ودايا كثيرة"[6]، وكان هذا في فترة الموحدين أيام غزو الميورقيين لوارجلان، وشرشال التي قام الأندلوسيون باستصلاح السهل المحيط بها "**فصارت لهم الأراضي المزروعة الممتدة**"، على حد تعبير مارمول[7].

ونتيجة للظروف التي عاشتها بلاد المغرب الأوسط خاصة الحروب والحصارات، فإن الأراضي الزراعية تتعرض للكثير من التغيرات ما بين الإحياء والبيع والإهمال من فترة إلى أخرى، وكان لتدخل أحد الورثة في عمليات الاستغلال من غرس أو غيره أو حتى البيع والشراء؛ أن يتسبب في العديد من

---

[1]_ابن خلدون: **المصدر السابق**، 588/6.

[2]_محمد حسن: **المدينة والبادية**، 592/3.

[3]_المازوني: **المصدر السابق**، ورقة 16ظ.

[4]_رابح بونار: **المغرب العربي، تاريخه وثقافته**، ش،و،ن،ت، الجزائر، 1981م، ص:216.

[5]_محمد العيدروس: **المغرب العربي في العصر الإسلامي**، ص:444.

[6]_الدرجيني: **المصدر السابق**، 277/1_278.

[7]_ **المصدر السابق**، 356/2.

الإشكالات على الفقهاء بسبب الخلافات التي تحدث بين المستغل للأرض بعد الإحياء وسائر الورثة الآخرين[1].

ج_استغلال الأراضي الجماعية: استغل فلاحي الأرياف هذه الأراضي في النشاط البستني، خاصة ما تعلق بغراسة الأشجار المثمرة (أشجار الفاكهة)[2]، وأكد الفقهاء أن بيع أرض المشاعة لاتجوز في حال وجود أطفال وغُيّب، وأما من غرس هذه الأرض أشجارا فهو غاصب، ويقبضون قيمة الشجر مقلوعا أو يأمرون بقلعه، وإن طالبوا ببقاء الغرس في الأرض فذلك عليهم والثمرة للغاصبين[3].

وعرف استغلال هذا النوع من الأراضي خصوصية في التعامل معها لارتباطها بمصالح الجماعة فيشترط على الشركاء في الشجر والنخيل أن يتعاونوا على إزالة كل ما يضر بها، وتنقيتها من الحطب والجرائد والليف وما أشبه ذلك[4]، ويتآخذون أيضا على نزع البطم والسدر والقصب والسمّار والحلفاء والديس، ونزع ذلك كله إلى جانب منع الوحوش وطرد الطيور والجراد ومنع الفئران وما يضرهم في جناتهم من الحيات والعقارب والسباع[5].

وهناك العديد من المشاكل المتعلقة بالملكية المشتركة، فقد سئل الفقيه أبا الفضل العقباني عن سقي الجنات لأقوام من ماء مشترك بينهم، فتشاجروا فاقتسموا الماء وعيّنوا ماءً لكل جنة بحضور عدول[6].

د_استغلال أراضي الملك: كثيرة هي الإشارات حول استغلال أراضي الملك في النشاط البستني[7]، ومن التسميات التي أطلقت على هذا النوع من المستغلات نجد: الجنة أو الجنات[8]، أو الجنان[9]، أو روض ورياض[10]، أو حائط[1]، أو عرصة[2] أو بستان[3]، أو الضيعة[4]، والواضح أنّ استغلالها كان شاسعا فالقطعة فالقطعة الواحدة تصل لغراسة ثلاثمئة شجرة[5].

---

[1]_نازلة وقعت بشأن قطعة أرض موات بمقربة من العُبّاد، وعرضت على الفقيه أبا عبد الله السطي، أنظر: الونشريسي، **المصدر السابق**، 116/5_117.

[2]_الفرسطائي: **المصدر السابق**، 599/8، 613.

[3]_فتوى السيوري، الونشريسي، **المصدر السابق**، 548/9.

[4]_ الفرسطائي: **المصدر السابق**، 269/4_270.

[5]_نفسه، ص ص: 270_271.

[6]_المازوني: **المصدر السابق**، ورقة 66ظ.

[7]_فتوى علي بن عثمان (ق8هـ)، المازوني: **المصدر نفسه**، ورقة 30و، ابن مريم: **المصدر السابق**، ص:372.

[8]_ فتوى بعض الفقهاء، المازوني: **المصدر السابق**، ورقة 4ظ، فتوى أبا الفضل العقباني، **المصدر نفسه**، ورقة 8ظ، فتوى قاسم العقباني(ق9هـ)، الونشريسي، **المصدر السابق**، 97/5_99، 101، فتوى ابن الحاج (ق6هـ)، **المصدر نفسه**، 11/9، فتوى ابن رشد(ق6هـ)، **نفسه**، ص ص:15_16، فتوى عبد الله العبدوسي (ق8هـ)، **المصدر نفسه**، 10/ 262.

[9]_ فتوى محمد بن مرزوق (ق9هـ)، المازوني: **المصدر السابق**، ورقة 1ظ، فتوى أبا الفضل العقباني، **المصدر نفسه**، 513/1و، فتوى قاسم العقباني، الونشريسي، **المصدر السابق**، 97/5_99، 101، ابن مرزوق: **المناقب المرزوقية**، ص:155، فتوى السيوري(ق5هـ)، الونشريسي، **المصدر السابق**، 526/9_527.

[10]_ فتوى محمد بن مرزوق، المازوني: **المصدر السابق**، 64/2ظ، فتوى أبا الفضل العقباني، **المصدر نفسه**، ورقة 8و، الونشريسي، **المصدر السابق**، 101/5، فتوى عبد الله العبدوسي، **المصدر نفسه**، 262/10.

حظي ملوك وحكام الفترة بقسط وافر من هذا النوع من الملكيات؛ فهذا يحي بن العزيز الحمادي كانت له "**قصور حسان وبساتين في حصن تاكلات**"[6]، ولم تسلم هذه الملكيات من البيوع في فترات الفوضى، فكان الموحدون يحرصون على احترام الملكية الخاصة، حتى أن المنصور الموحدي لمّا أراد تغريب بني حمدون وبني القائد عن بجاية جرّاء تعاونهم مع الميورقيين، لم يصادر ممتلكاتهم بل أجبرهم على بيعها[7].

وحتى السكان البسطاء والميسوري الحال كانت لهم ملكيات (جنات) خاصة بهم، سواءً سكان أرياف المناطق الشمالية مثل أرياف تبحريت[8] وتلمسان[9] وأيضا سكان الواحات الجنوبية[10]، بالإضافة إلى تملك الضياع الغنية بمختلف المنتجات البستنية[11]، وكذلك العرصة[12].

ونجد في حالات مشاركة المرأة لرجل أجنبي في تملك الجنان على حصص معلومة وغراسته بالأشجار المثمرة[13]، لكن الملاحظ أن هذه المساحات الصغيرة كانت مرتبطة بالوضع المادي لصاحبها؛ بل أحيانا تبقى الأرض في ملك صاحبها والأشجار تعرف حالات مختلفة من شراء، هبة وصداق[14] ورهن[15].

وما يدل على تملك الجنات والبساتين أيضا من قبل عامة السكان هو قيامهم بالتصدق بها على الفقراء أو على بناتهم[16]، وتشير المصادر التاريخية إلى عدد من العلماء والفقهاء الذين تملكوا الكثير من الملكيات الصغيرة، وكانوا يعملون فيها بأنفسهم[17] أو بمساعدة تلامذتهم أحيانا، فهذا أبا الفضل يوسف بن محمد بن يوسف المعروف بابن النحوي (ت513هـ/1119م)، "**كان يعمل بيده في أرضه**"[18]، وكان لجدّ

---

[1]_ابن رشد الجد: **المصدر السابق**، 186/1، فتوى ابن رشد (ق6هـ)، الونشريسي، **المصدر السابق**، 476/6، 28/8، فتوى أبا عزيز البجائي: المازوني: **المصدر السابق**، ورقة 43و.

[2]_فتوى اللخمي: الونشريسي، **المصدر السابق**، 604/9_605.

[3]_فتوى أبي الضياء سيدي مصباح، الونشريسي، **المصدر نفسه**، 28/8، ابن مريم: **المصدر السابق**، ص ص:217_218.

[4]_فتوى ابن أبي زيد (ق4هـ)، الونشريسي، **المصدر السابق**، 603/9، فتوى ابن رشد (ق6هـ)، **المصدر نفسه**، 540/9، الدرجيني: **المصدر السابق**، 385/2_386.

[5]_فتوى محمد بن مرزوق، المازوني: **المصدر السابق**، 18/1و.

[6]_الإدريسي: **المصدر السابق**، ص:163.

[7]_عز الدين أحمد موسى: **المرجع السابق**، ص،ص: 130، 137.

[8]_الوزان: **المصدر السابق**، 14/2.

[9]_ابن مرزوق: **المناقب المرزوقية**، ص:155.

[10]_الدرجيني: **المصدر السابق**، 393/2_394، 439_440.

[11]_**نفسه**، ص ص:386_387، 435.

[12]_ابن مريم: **المصدر السابق**، ص:372.

[13]_فتوى عبد الله العبدوسي(ق8هـ)، الونشريسي، **المصدر السابق**، 296/5.

[14]_ الفرسطائي: **المصدر السابق**، 301/5.

[15]_**نفسه**، ص:331، 527/7.

[16]_فتوى اللخمي: البرزلي: **المصدر السابق**، 68/5.

[17]_ابن مرزوق: **المناقب المرزوقية**، ص:147، الدرجيني: **المصدر السابق**، ص:435.

[18]_التادلي: **المصدر السابق**، ص ص: 95_96، ابن قنفذ: **أنس الفقير**، ص:108.

الفقيهان العالمان أبو زيد عبد الرحمن وأبو موسى عيسى ابنا الفقيه الإمام الخطيب أبا عبد الله محمد بن عبد الله بن الإمام من أهل برشك؛ "**أريضة يعمرها بالخضر لمعاشه**"[1].

وأهل تقرت كانوا يملكون حدائق النخيل[2]، ومما يؤكد على انتشار الملكية الفردية أن مهور بناتهن كان عبارة عن "عقارات تقدم لأزواجهن"[3].

والملاحظ أنّ الأجنة بالواحات الصحراوية كانت على درجة كبيرة من التنميق حيث يعمد السكان إلى إقامة الحدائق وسط الأجنة، ولكنها كثيرا ما تحدث إشكالا على السكان في حال بيع الجنان دون الحديقة، وفي هذا الصدد يجيب الفرسطائي[4]: **<<أنّ من اشترى جنانا في وسطه حديقة مزرّبة وبابها مفتوح إلى الجنان أو خارجا، أو كانت الحديقة خارجة من الجنان وبابها مفتوح إلى داخل الجنان فإنه ليس للمشتري في الحديقة شيء في جميع الوجوه>>.**

وتجدر الإشارة إلى امتلاك اليهود لأراض زراعية بتلمسان التي خصص قسم كبير منها لزراعة الكروم قصد تصنيع الخمور التي اشتهر بها هؤلاء، ومن المحتمل أنّ اليهود لم يقتصروا على هذا النوع من الزراعات فحسب؛ بل غرسوا وزرعوا جميع أنواع المزروعات[5].

هـ_استغلال أراضي الحبس: حظي هذا النوع من الأراضي بقسم وافر من المستغلات الريفية التي كانت تحبس على المساجد مثل الجنات والدور[6]، والأشجار[7] خاصة الزيتون والنخل[8]، بالإضافة إلى أشجار الدرداء والنشم والتين[9]، ومنهم من يعطي الأرض مغارسة باشتراط تحبيس نصفها على المساجد[10]، إلى جانب تحبيس الرياض على الأولاد[11]، وعلى الصلحاء[12].

---

[1]_يحي بن خلدون: **المصدر السابق**، 130/1.

[2]_ الوزان: **المصدر السابق**، 135/2، مارمول: **المصدر السابق**، 165/3.

[3]_ مارمول: **نفس المصدر** والصفحة.

[4]_**المصدر السابق**، 254/4.

[5]_عبد الرحمن بشير: **اليهود في المغرب العربي (22_462هـ/ 642_1070م)**، ط1، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، جمهورية مصر العربية، 2001م، ص، ص: 89، 91.

[6]_ فتوى أبا الفضل العقباني (ق9هـ)، المازوني: **المصدر السابق**، 59/2ظ، فتوى بركات الباروني (ق9هـ)، **المصدر نفسه**، ورقة 58ظ، فتوى عبد عبد الله العبدوسي(ق8هـ)، الونشريسي، **المصدر السابق**، 78/7، فتوى ابن رشد (ق6هـ)، **المصدر نفسه**، 406/9.

[7]_الفرسطائي: **المصدر السابق**، 458/7، فتوى سعيد العقباني (ق9هـ)، المازوني: **المصدر السابق**، ورقة 59و.

[8]_فتوى أبا عمران، الونشريسي، **المصدر السابق**، 381/1_382، فتوى ابن عبد الحكم، **المصدر نفسه**، ص: 396، **المصدر نفسه**، 64/7_65، 64/7_65، 104، فتوى ابن لب، **المصدر نفسه**، ص:112.

[9]_فتوى محمد بن مرزوق (ق9هـ)، المازوني، **المصدر السابق**، ورقة 60و.

[10]_فتوى أبو الفضل العقباني، **المصدر نفسه**، ورقة 58ظ.

[11]_ ابن مريم: **المصدر السابق**، ص: 138.

[12]_**نفسه**، ص ص:305_306.

اهتم سكان الأرياف بتحبيس أملاكهم خاصة الأجنة والبساتين[1]، وسئل الفقيه أبو القاسم أحمد الغبريني(ق9هـ/15م): "**عمّن حبس على ابنه الجائز الأمر جميع داره وبستانه المتصل بها بجميع حقوقهما ومنافعهما وما اتصل بهما، وعلى أولاده الذكور دون الإناث وأعقابهم وأعقاب أعقابهم ما تناسلوا، فإن لم يبق منهم أحد رجع الحبس المذكور على الأقرب ثم الأقرب الإناث منهم، وعلى أعقابهن ما تناسلوا، فإن لم يبق منهم أحد فتباع الدار المذكورة بعد اجتهاد القاضي ويصرف ثمنها للفقراء والمساكين،...**"[2].

والواضح أنّ الحبس المعقّب[3](الحبس الأهلي) قد نال حصة الأسد في أملاك الريف مع استئثار السكان لمنفعة الأولاد الذكور قبل الإناث[4]، رغم وجود حالات للتحبيس لكلا الجنسين مثل تحبيس إمرأة لجنة على أبنائها (البنات والأولاد)[5]، كما يبدو واضحا رغبة صاحب الحبس وحرصه الشديد على الحفاظ على أملاكه تجنبا لضياعها في أوقات الفتن والحروب، إلى جانب الخلافات بين الورثة بعد موته.

وكان للعلماء أيضا حظهم من الحبس، لكن في العديد من الحالات تظهر بعض الخلافات والتجاوزات حول الاستئثار بهذا النوع من الأراضي، فقد أشارت نازلة سئل عنها فقهاء بجاية وتونس وفاس نزلت بالعقبانيين: الفقيه القاضي أبو سالم العقباني(ت880هـ/1475م)، وابن أخيه الفقيه الحاج القاضي أبي عبد الله محمد بن أحمد بن قاسم بن سعيد بن محمد بن محمد العقباني (ت980هـ/ 1572م)، فيما حبس السلطان الواثق بالله أبا عبد الله محمد بن أبي عمران موسى بن يوسف بن عبد الرحمن بن يحي بن زيان، على عالم من العلماء "**عقارا محتويا على جنات ومحارث وحمام، واستدام المحبس عليه الاغتلال والانتفاع بذلك طول حياته، وترك أولادا من صلبه وحفدته، وأراد الأولاد من الصلب الاختصاص بالحبس دون الحفدة، فطلب الحفدة الدخول في الحبس والمساواة بينهم فيه وبين الأعمام لكونهم اطلعوا على رسم التحبيس في حياة الجد المحبس عليه...**"[6].

والجدير بالذكر أنّ المسائل المتعلقة بأراضي الأحباس كانت متنوعة؛ فهناك من يقوم بتحبيس شجرة في ملكه ينتفع بها عابري السبيل فيقع الضرر على الوارث لهذا الملك، بسبب كثرة التردد عليه قبل الوصول إلى الشجرة المحبسة، وقد رخص الفقهاء لصاحب الأرض تجفيف الثمرة والتصدق بها على

---

[1]_فتوى ابن حماد، الونشريسي، **المصدر السابق**، 62/7.

[2]_البرزلي: **المصدر السابق**، 341/5، وحول تحبيس الرباع على الأبناء أيضا، أنظر: فتوى لنفس الفقيه ضمن هذا المؤلف، ص، ص:358، 576_577، الونشريسي: **المصدر السابق**، 60/7.

[3]_للتفصيل أكثر حول الأحكام المتعلقة بالحبس المعقب باختلاف ألفاظه، ينظر ابن رشد الجد: **المصدر السابق**، 1120/1_1130.

[4]_عياض وولده محمد: **مذاهب الحكام في نوازل الأحكام**، تقديم وتحقيق وتعليق، محمد بن شريفة، ط1،ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1990، 1997م، ص:197.

[5]_فتوى ابن حماد، الونشريسي: **المصدر السابق**، 62/7.

[6]_الونشريسي: **المصدر السابق**، 248/7_249.

مستحقيها من المساكين رفعا للضرر اللاحق به[1]، وفي المقابل لم يجز الفقهاء إعطاء أراضي الحبس على وجه المغارسة إذا كانت تلك الأرض لا يُرجى الانتفاع بها من حرث وغيره[2].

وسئل بعضهم عن حكم دفع أرض محبسة على وجه المغارسة فغرس الرجل وأدرك الغرس، فكانت الإجابة بأنها تمضي ولا ينقصها من جاء بعده من الحكام لأنه حكم بما فيه اختلاف[3]، ومن الأهمية بمكان الإشارة إلى منع الفقهاء ومنهم سيدي محمد المعروف بالقلعي من غرس الأشجار في أراضي الحبس رغم الفاقة والفقر التي كان يعاني منها بعض الفلاحين[4].

4_أساليب استغلال الأرض في النشاط البستني:

أ_شركة المغارسة:

***تعريفها*:** شركة المغارسة شبيهة بالمزارعة غير أنها لم تطبق إلاّ في الأراضي التي تغرس بالأشجار أي تزرع بالغراسة[5]، ويقصد بها عند المالكية أن يدفع الرجل أرضه لمن يغرس فيها شجرا[6]، أو هي عقد على على غرس شجر بعوض معلوم من غيرهما، إجارة أو جعالة أو بجزء شائع منهما شركة"[7].

***شروطها*:** يذكر الغرناطي أنه من شروط عقد المغارسة الصحيحة هي:

_تسمية المتغارسين والأرض وتحديدها وأنها بيضاء غير معشبة متأتية الغراسة.

_تسمية ما يغرس فيها وجنسه وحفرها ومدتها إلى الإطعام أو إلى مدة معلومة دونه، وتسمية ما لكل واحد عند ذلك من الأرض والثمرة والمعرفة بقدر ذلك والنزول وعقد الانتهاء[8].

وتكون شركة المغارسة في الأرض الخالية من الزروع وتعقد على النصف والثلث والربع، وبالتالي كل مغارسة لا تتوفر على هذه الشروط فهي غير جائزة، كأن يزرع الفول بين الأشجار المغروسة لما فيه من الضرر بالغرس[9]، وحول أشكال المغارسة الفاسدة يقول ابن الحاج: "**مثل أن تكون الثمرة بعينها خاصة او تكون الثمرة والأرض بينهما إلى غير أجل أو إلى أجل بعد الإثمار أو شباب بعده**"[10].

وتشير نوازل الدرر لبعض الصور من المغارسة الفاسدة كأن تكون تغييبية، فقد سئل الفقيه محمد بن مرزوق "**عن أقوام أتوا إلى أرض مملوكة فغرسوا فيها على أن يكون الغرس بينهم وبين صاحب**

---

[1]_ فتوى سعيد العقباني، المازوني: **المصدر السابق**، ورقة 59و.

[2]_ فتوى ابن مرزوق، **المصدر نفسه**، ورقة 60و.

[3]_فتوى بعض الشيوخ، الونشريسي، **المصدر السابق**، 436/7.

[4]_ ابن مريم: **المصدر السابق**، ص: 271.

[5]_فتوى ابن رشد، الونشريسي: **المصدر السابق**، 152/8_153، 156، فتوى ابن عياض، **المصدر نفسه**، ص:165.

[6]_ابن جزي: **القوانين الفقهية**، القسم 2، الكتاب 4، ص:185، ابن سلمون: **المصدر السابق**، ص:369.

[7]_ابن أبي زيد: **المصدر السابق**، 7/ 387.

[8]_الغرناطي: **الوثائق المختصرة**، ص ص: 198_199، البرزلي: **المصدر السابق**، 383/3.

[9]_فتوى أبا الحسن الصغير، الونشريسي، **المصدر السابق**، 174/8.

[10]_البرزلي: **المصدر السابق**، 377/3_378.

الأرض وهو غائب، فلما بلغه الخبر رضي بذلك"[1]، وفي حال وقوعها تكون قيمة الغرس على صاحب الأرض وأجرة مثله في غرسه وقيامه عليه، والغلّة على هذا لرب الأرض[2].

أشكال المغارسة: اهتم سكان الريف بعمارة الأرض بالغراسة في الأراضي الصالحة للزراعة وإن كانت غير موات[3]، ومن صور المغارسة خلال هذه الفترة أن يدفع أحد الشريكين الأرض والآخر يعمل في بحيرة بحيرة الخضر على الوجه المتعارف عليه مقابل نصيب من الغلّة[4].

وكانت شركات المغارسة تقام في أراضي الخراج[5]، حيث أقرّ الفقهاء بصحتها لأن أئمة المسلمين يتصرفون بذلك تصرف الأخذ بجواز الإقطاع[6]، وتقام أيضا في أرض المخزن حيث يؤخذ على المستثمر حين الإثمار ضريبة تسمى "نصف الأثمنا" مقابل انتفاع الغارس بغرسه، والتصرف فيه بالبيع والهبة والتوريث، وهذا النوع من المغارسة كان محل نزاع بين أصحاب الجنات والمستفيدين من هذه الأراضي عن طريق الإقطاع حول أحقية كلّ طرف في الإنتفاع بالأرض[7].

وأكّد الفقهاء في هذا الخلاف بأن من حق الغارس إمضاء المغارسة وأخذ نصيبه من الغلّة، وليس لمن أقطع الأرض أن يقلع على الغارس[8].

ومن المشاكل التي تحدث بين الشركاء هي تفريط المغارس في الخدمة بعد ظهور الغرس من الأرض، ورفض صاحب الأرض إعطاء نصيب شريكه في حال استمراره في التفريط والتماطل[9].

وبالرغم من هذا فالملاحظ أنّ شركة المزارعة كانت أوسع نطاقا من شركة المغارسة، وهو ما يفسّر تقديم زراعة الحبوب على غراسة الأشجار المثمرة خلال الفترة قيد الدراسة.

ورغم تأكيد الفقهاء على عدم جواز القيام بغرس أرض الحبس؛ فإن الحاجة لاستثمار الأراضي المحبسة تفسر تجاوز هذا التشريع وإعطاء الأرض المحبسة على المدارس والزوايا والمساجد مغارسة خاصة إذا كانت مهملة، ممّا يفسر مرونة الحلول الفقهية وتكيفها مع الواقع المتغير، فأجاز ابن الماجشون وسحنون وغيرهما إمكانية بيع الأرض المحبسة إلى الغارس إذا لم يتمكن المسجد من دفع قيمة عمل الغارس بعد تعميره لها وإقامة البنيان فيها[10]، كما قبل الفقهاء الامر الواقع وأجازوا اقتسام الأرض المحبسة

---

[1]_**المصدر السابق**، 43/2ظ.

[2]_**نفسه**، ورقة 44و.

[3]_فتوى أبا الفضل العقباني، **المصدر نفسه**، ورقة 43ظ.

[4]_فتوى محمد العقباني، **المصدر نفسه**، ورقة 42ظ.

[5]_فتوى أبا الفضل العقباني، **المصدر نفسه**، ورقة 43ظ.

[6]_**نفس المصدر** والصفحة.

[7]_فتوى حمو الشريف، **المصدر نفسه**، ورقة 44و.

[8]_**نفس المصدر** والصفحة.

[9]_فتوى عبد الرحمن الواغليسي، **المصدر نفسه**، ورقة 43ظ.

[10]_فتوى ابن الحاج (ق6هـ)، الونشريسي، **المصدر السابق**، 171/8_172، انظر أيضا: محمد حسن: **القبائل والأرياف المغربية**، ص:39.

مع المغارس "ولمثل هذا صدرت الفتوى من شيوخ تلمسان في أرض أم العلو المحبسة على المدرسة اليعقوبية[1].

ب_شركة المساقاة:

تعريفها: المساقاة مشتقة من سقي الثمرة إذ هو من معظم عملها وأصل منفعتها[2]، وهي أن يدفع الرجل شجره لمن يخدمها وتكون غلتها بينهما، وتجوز عند مالك في كل أصل ثابت كالكرم والنخيل والتفاح والرمان[3]، والتين والزيتون وما أشبه ذلك من غير ضرورة[4]، وتجوز المساقاة في جميع الأصول المنبتة نخلا أو عنبا، بعلا أو سقيا، باستثناء الإجارة المجهولة وبيع ما لم يُخلق[5].

شروطها: تجرى المساقاة على شرطين أحدهما:

1_أن تعقد المساقاة قبل بدو صلاح الثمرة وجواز بيعها ولم يشترطه سحنون ولا الشافعي.

2_أن تعقد إلى أجل معلوم وتكره فيما طال من السنين[6].

ومن شروط المساقاة أن يكون العمل على العامل، وألاّ يشترط أحدهما من الثمرة ولا من غيرها شيئا خاصا لنفسه ولا يلزم العامل إنجاز ما يتأبّد مثل إنشاء ظفيرة الماء، وإنشاء غرس تُجنى ثمرته لاحقا[7]، ويشير البعض إلى عدم جواز إعطاء المساقي الشجر لغيره بعقد مساقاة جديدة باعتبار أن شخصية المساقي لها اعتبار في عقد المساقاة الأول مع صاحب الشجر[8].

وتجوز المساقاة وتصح في شجر البعل، كما تجوز في الورد والياسمين والقطن، ولا تجوز في الزرع إلاّ أن يعجز صاحب الزرع عن سقيه، كما تصلح أيضا في المقاثي إذا عجز عنها صاحبها بمنزلة الزرع[9]، وهي عند مالك من العقود اللازمة باللفظ لا بالعمل[10]، بمعنى "ساقيتك" أو "عاملتك"[11]، وجميع عمل الحائط على العامل إلاّ إذا اشترط المساقي على ربّ النخل التلقيح فيجوز له ذلك[12].

---

[1] _ الونشريسي: **المصدر السابق**، 175/8، أنظر أيضا: محمد حسن: **القبائل والأرياف المغربية**، ص:39.

[2] _فتوى عياض (ق6هـ)، البرزلي: **المصدر السابق**، 384/3.

[3] _ سحنون: **المدونة**، 578/3، ابن جزي: **القوانين الفقهية**، القسم 2، الكتاب 4، ص:184، ابن سلمون: **المصدر السابق**، ص:365.

[4] _سحنون: **المصدر السابق**، ص ص: 577_578، ابن رشد الحفيد: **المصدر السابق**، 1851/4.

[5] _ فتوى بعض الشيوخ، المازوني: **المصدر السابق**، ورقة 43و.

[6] _سحنون: **المصدر السابق**، ص:570، ابن جزي: **القوانين الفقهية**، القسم 2، الكتاب 4، ص:184، أنظر أيضا: الغرناطي: المصدر السابق، ص ص: 199_200، المازوني: **المصدر السابق**، الصفحة نفسها.

[7] _ محمد فتحة: **المرجع السابق**، ص:388.

[8] _ابن أبي زيد: **المصدر السابق**، 303/7_304، مناع خليفة: **المرجع السابق**، ص:575.

[9] _سحنون: **المصدر السابق**، ص ص: 577_578.

[10] _ابن رشد الحفيد: **المصدر السابق**، 1860/4.

[11] _المازوني: **المصدر السابق**، الصفحة نفسها.

[12] _سحنون: **المصدر السابق**، ص:565.

وأكّد العلماء أنّ القسمة بين العامل والمساقي في التمر لا تكون إلاّ بالكيل وكذلك في الشركة، وأنها لا تجوز بالخرص وأجاز قوم قسمتها بالخرص[1]، ويشترط في المساقاة أن يأكل كل واحد من نصيبه فإن وقعت مسامحة بعد العقد فهي جائزة[2]، ومن العادات الجارية بأرياف المغرب الأوسط أنّ البعض يدفع حائطه وجنانه على وجه المساقاة[3].

مشاكل المساقاة: من مشاكل المساقاة نجد حالات عديدة مثل الاختلاف بين العامل وصاحب الأرض في دفع الثمرة[4]، ....إلخ.

ج_الشركة في علوفة الحرير: وردت العديد من المسائل حول الشركة الجائزة في علوفة الحرير، وكان الوجه الجائز فيها هو أن يستأجر صاحب الورق من يجمع له جزءا مسمى من ورقه شائعا أو معينا، أو يعلفه له بجزء آخر منها كذلك يملك الأجير بنفس العقد وذلك بعد ظهور صلاحها وحِلِّيَّة بيعها، ثم يكونان بعد العقد بالخيار بين أن تشترك في الزريعة ويعلفها الأجير مشتركة ويقتسماها حريرا، وبين أن يعلف حظ صاحب الورق وحده على حدة ويفعل بجزئه ما شاء من بيع أو غيره، ويتبعها أحكام الإجارة في سائر الوجوه هذا الوجه الذي لا شك في صحته[5].

وقد افتى ابن سراج بجواز الشركة فيها على حد المزارعة إذا دعت إلى ذلك الضرورة، ولم يجد صاحب الورق من يعملها له على الوجه المتقدم ذكره، وكان ترك ذلك يؤدي إلى تعطيلها[6].

د_الشركة في النحل: من الشركات التي كانت تقام بين فلاحي المغرب الأوسط[7]، وسئل الفقيه سيدي علي علي بن مكي من فقهاء مليانة عن الوجه الشرعي للشركة في النحل فأجاب: "**تجوز الشركة في الأجباح بأن يشتروا جزءا منها بعد معرفة عددها وقوة نحلها وضعفه وكثرة عسلها**"[8]، وأجاز الفقيه عبد الرحمن الواغليسي الإستئجار عليها بجزء منها مع ذكر الأجل المعلوم للشركة[9].

وأحيانا يلجأ صاحب الأجباح لإعطائها لمن يخدمها بجزء منها بالنصف أو الثلث أو بجزء معلوم، ولم الفقهاء مانعا في ذلك إذا تم تحديد أجل للخدمة والإتفاق عليه، وتكون الخدمة مضمونة في ذمته

---

[1]_ابن رشد الحفيد: **المصدر السابق**، 1857/4.

[2]_فتوى أبا عزيز البجائي (ق8هـ)، المازوني: **المصدر السابق**، ورقة 43و.

[3]_**نفس المصدر** والصفحة.

[4]_ فتحة: **المرجع السابق**، ص:389.

[5]_فتوى الفقيه الجعدالة، الونشريسي، **المصدر السابق**، 36/5، أنظر أيضا: ابن سراج، **المصدر السابق**، ص ص:191_192.

[6]_الونشريسي: **المصدر السابق**، 36/5_37، كما توجد هناك عديد الفتاوى التي عالجها الفقهاء ضمن مسائل مطوّلة حول الشركة الجائزة في شركات الحرير، مثل فتوى الحفار، وأبا إسحاق الشاطبي، أنظر: **المصدر نفسه**، ص ص: 59_62، ابن سراج: **المصدر السابق**، ص ص: 191_192.

[7]_فتوى عبد الرحمن الواغليسي (ق8هـ)، المازوني: **المصدر السابق**، ورقة 24و.

[8]_نفسه، ورقة 23ظ.

[9]_نفس المصدر والصفحة.

ويملك النصيب الذي يتعاقدان عليه من حين العقد يتصرف فيه بما شاء[1]، والواضح أن إعطاء الأجباح لمن يخدمها بجزء من غلتها هي من الإجارة المجهولة[2].

ويتعرض مربي النحل هو الآخر للغصب؛ فهناك من يتخذ أجباحه في الجبل فيأتي أحدهم ويأخذ الأجباح والعسل[3].

المبحث الثاني: التنظيمات الزراعية بأرياف المغرب الأوسط

المطلب الأول: طرق الانتاج والتقنيات الزراعية والبستنية:

1_إعداد الأرض للزراعة:

قسمت الأرض المخصصة للزراعة ببلاد المغرب إلى ثلاثة أنواع وهي: البور والمعمور والقليب[4]، والحديث عن أرض البور وهي عكس الأرض المحروثة دليل على وجود نظام لإراحة الأرض من قبل فلاحي الفترة[5]، ويلخص لنا الفرسطائي[6] إعداد الأرض للزراعة بـ: "**إصلاح الأرض يكون بالسماد وتسويتها للحرث وتنقيتها من الحطب والحجارة، وكل ما يضر بالحرث ويقلبها أيضا حتى تستوي للحرث، ويسوي مساقيها ويحرثها بسكة واحدة أو سكتين، أو ما أراد ويجعل لتلك الأرض ما يمنع زرعه من الفساد مثل الزرب وأشباه ذلك**".

أ_اختيار نوع التربة:

تعتبر التربة الوعاء الذي تجد فيه النباتات الاحتياجات اللازمة لوجودها ونموّها وتكاثرها[7]، كما أنّ معرفة الفلاح للتربة معرفة علمية في حدود الرصيد النظري والتجريبي لذلك العهد هو ممّا يمكن به "**تمام فلاحه وجودة معرفته**"، ذلك أنّ التربة تعتبر المقوّم الأساسي لكل زراعة أو غراسة[8]، و"**فاخر الأرض بإجماع من حذاق أصحاب الفلاحة الأرض السودة ثم الحمرة، وأبرد الأرض البيضا والصفرا**....قال

---

[1]_فتوى سيدي عبد الله الشريف التلمساني(ق8هـ)، المازوني: **المصدر نفسه**، ورقة 48ظ، الونشريسي: **المصدر السابق**، 8/235_236.

[2]_ابن سراج: **المصدر السابق**، ص:201.

[3]_فتوى ابن محسود، المازوني: **المصدر السابق**، ورقة 39ظ.

[4]_عبد الله محمد بن إبراهيم بن بصال: **كتاب الفلاحة**، نشره وترجمه وعلّق عليه خوسيه ماريا مياس بيكروسا، محمد عزيمان، مطبعة كريماديس، تطوان، المغرب، 1955م، ص:57، مجهول (ق8هـ): **مفتاح الراحة لأهل الفلاحة**، تحقيق ودراسة محمد عيسى صالحية، إحسان صدقي العمد، ط1، الطويت، 1404هـ/ 1984م، ص ص: 100_101.

[5]_ فتحة: **المرجع السابق**، ص: 340، عز الدين أحمد موسى: **المرجع السابق**، ص:189.

[6]_ **المصدر السابق**، 6/409، أنظر أيضا: **المصدر نفسه**، 4/271_272.

[7]_عبد العزيز طريح شرف: **الجغرافيا المناخية والنباتية مع التطبيق على مناخ إفريقيا ومناخ العالم العربي**، دار المعرفة الجامعية، السويس، 2000م، ص:513.

[8]_عبد اللطيف عبيد: **المدرسة الفلاحية بالأندلس في القرنين الخامس والسادس للهجرة**،ص: 415.

يوينيوس: **أجود الأرضين الأرض السودا وذلك أنها تحمل كثرة الأمطار ويتلو هذه الأرض في الجودة، الأرض البنفسجية اللون..."**[1].

اشتهرت العديد من المناطق الريفية بالجودة العالية لتربتها؛ فبين السهوب والسهول العليا تتدرج الحضنة التي تتجاوز 400م وكانت أراضيها ذات تربة طينية (كثيرة الطمي) عالية الخصوبة[2]، لكن هناك هناك من المناطق من كانت تعاني من قلة الاهتمام من قبل لسكان فالأراضي الممتدة في السهل على طول النهر المحيط بقسنطينة كانت لا تنتج كثيرا من الثمار لأنهم لايحسنون خدمتها[3]، مما كان يؤثر على المردود الفلاحي وهنا نلمح دور العناية باختيار التربة واستصلاحها للحصول على انتاج زراعي وبستني وفير.

ويمكن معرفة نوع التربة من خلال شهادة الرحالة والجغرافيين عند إشارتهم لهذه المنطقة أو تلك بأنها تصلح لمنتوج معين مثل القمح، فالبادية بخارج عنابة كانت كلها صالحة للقمح[4] وبشرقها تلال خصبة تجود بها الحنطة[5]، وتصلح زراعته أيضا بالمناطق المحيطة بكل من: نقاوس[6]، تدلس[7]، البطحاء[8] وقصر وقصر تامزيزدكت[9].

والملفت للانتباه أن أغلب ماذكرته مصادر ق 10هـ/16م بشأن هذه الفكرة متعلق بملائمة الأراضي لزراعة القمح، فهل يعود السبب إلى هيمنة هذا المنتوج على بقية المنتجات الزراعية والبستنية؟ أم أنّ درجة خصوبة تربة المغرب الأوسط قد تراجعت لعتاقة التقنيات المستخدمة؟ أم يعزى الأمر لكون هذه المادة كانت تمثل الغذاء الأساسي والرئيسي لسكان المغرب الأوسط؟

وفي المقابل أشارت المصادر الجغرافية إلى أنّ هناك مناطق لا تصلح لإنتاج القمح مثل وهران[10]، وهناك مناطق لا تصلح لإنتاج الحبوب إلاّ "القليل منها" بصفة عامة خصوصا المناطق الصحراوية مثل إقليم الزاب[11]، والمناطق الجبلية الوعرة مثل جيجل[1]،...إلخ.

---

[1]_ابن العوام: **الفلاحة الأندلسية**، 323/1، 330، أنظر أيضا: أحمد بن محمد ابن حجاج الإشبيلي: **المقنع في الفلاحة**، تحقيق صلاح جرار، جاسر أبو صفية، تدقيق وإشراف: عبد العزيز الدوري، منشورات مجمع اللغة العربية الأردني، 1402هـ/ 1982م، ص:6، مجهول (ق8هـ): **مفتاح الراحة**، ص،ص: 107، 109، عبد الغني النابلسي: **علم الملاحة في علم الفلاحة**، قرأه وعلّق عليه: يحي مراد، نسخة إلكترونية من موقع:www.kotobarabia.com، ص:6.

[2]_ Gsell : **Histoire ancienne de l'afrique du nord**, p.14.

[3] _الوزان: **المصدر السابق**، 58/2، مارمول: **المصدر السابق**، 12/3.

[4] _الوزان: **المصدر السابق**، ص:62، مارمول: **المصدر السابق**، ص:8.

[5] _مارمول: **المصدر نفسه**، ص:90.

[6] _الوزان: **المصدر السابق**، 53/2، مارمول: **المصدر السابق**، 383/2.

[7] _مارمول: **المصدر نفسه**، ص:372.

[8] _الوزان: **المصدر السابق**، ص ص:27_28، مارمول: **المصدر السابق**، ص:362.

[9] _مارمول: المصدر **نفسه**، ص:293.

[10] _**نفسه**، ص:329.

[11] _الوزان: **المصدر السابق**، ص:138.

عمل السكان الريفيين على حماية التربة من الانجراف عن طريق عملية ناجعة وفعّالة وهي "التشجير" بالسفوح والمنحدرات الجبلية بمنطقة القبائل بغرض وقاية التربة من الانجراف[2]، ومن الطرائق المستعملة من قبل الفلاحين لحماية التربة هو تعديلها بالجاروف، بنقل التراب من المكان المرتفع إلى المنخفض لتسهيل جري الماء فيها[3].

تعرضت كتب الفقه والنوازل للحديث عن التربة وأنواعها ضمن المسائل المتعلقة بقسمة الأرض في الميراث أو في مسائل الشركة أو الكراء أو غيرها من المعاملات، فالفقهاء كانوا على دراية بأن الأرض تختلف في الجودة كما تختلف في الاستواء واللون وطرق السقي، وفي قربها أو بعدها عن الحواضر[4]، كما كانوا ينبهون في كل مرة إلى أخذ هذه الاختلافات بعين الاعتبار سواء في كراء الأرض[5] وفي عقود المزارعة حيث كانت نوعية الأرض تذكر قبل بقية التفاصيل الأخرى كالموقع،ووقت الحرث وعدد القلبات...إلخ[6].

ب_الحرث:

ب1_التعريف والأهمية: بعد اختيار نوع التربة تأتي عملية الحرث، وحراثة الأرض شقها بالمحراث لزرعها، والحراثة حرفة الحرّاث، والمِحراث والمِحرَث آلة الحرث[7]، ويحمل الحرث مدلولا مرادفا للنشاط الزراعي، بل الفلاحة ككل؛ حيث يذكر ابن عبدون في باب الحرث: **<<ويأمر الرئيس بالحرث وبالمحافظة عليه وبالرفق لأهله، والحماية لهم في أعمالهم ويأمر وزراءه وأهل القدرة من أهل بلده بالحرث فيكون له ولهم أنفع، ولأحوالها أرفع، وللناس امتع وأشبع ولبلاده أطيب...، فالفلاحة هي العمران...>>**[8].

وأحيانا نجد أنّ عملية الحرث (الزراعة) توجّه بإرادة الدولة المسيطرة، فعند اجتياح جيوش أبا عنان لبلاد الزاب قد أمر "**برفع الحرث عن مزارع صحاريها والاقتصار على ما يبذر بغاباتها الممنوعة**"[9]، كإجراء وقائي لمنع استفادة الأعراب من حبوبها.

ونستشف أهمية الحرث ممّا أوردته كتب الفلاحة[10]: "**فإن الأرض إذا حرثت مرات متفرقات وفتحت آخر مرة ينقطع نباتها بكثرة حرثها فلا تتكلف تغذية شيء منه ثم يمر عليها حر الشمس والقيظ فيصل**

---

[1] _نفسه، ص ص:51_52.

[2] _جيلالي صاري: **مساهمة ابن خلدون**، ص ص:11_12.

[3] _ ابن بصال: المصدر السابق، ص:55.

[4] _البرزلي: **المصدر السابق**، 5/29_30.

[5] _ نفسه، 3/635.

[6] _المراكشي: **وثائق المرابطين والموحدين**، ص:533_534.

[7] _ **المعجم الوسيط**، ص: 164.

[8] _ **ثلاث رسائل أندلسية**، ص:5، أنظر أيضا النميري: المصدر السابق، ص،ص: 426، 465.

[9] _ النميري: **المصدر نفسه**، ص: 452.

[10] _ ابن العوام: المصدر السابق، 8/4، 222/3، أنظر أيضا: مجهول (ق8هـ): المصدر السابق، ص:105.

إلى أعماق خطوطها، فيلطف أجزاؤها وحرّها فيجتمع لذلك ثلاث خلال: الانتفاش، والرخاوة ثم إحراق الشمس وتلطيفها إياها".

وللحرث دور كبير في إخصاب التربة وكثرة الانتاج وجودته[1]، ذلك أنه يمكّن الشمس من أعماق التربة، ويخلخل الأرض لولوج الهواء ويقطع عشبها، ويزيد إمساك الأرض المحروثة للرطوبة والماء فتبرد الأصول، وكثرته تنفع ولا تضر أبدا، وكلما طُيِّبت الأرض بالحرث وكرر ذلك عليها كان ذلك أفضل وجادت به[2]، لذلك نجد المؤلفات تتحدث عن قلب الأرض للحرث والبذر ولغير البذر[3].

والإكثار من القلب يغني عن التسميد بالزبل، خاصة إذا كانت المساحة المزروعة كبيرة حيث يصبح حرثها أهون على الفلاح من تسميدها كاملة[4]، ولأن القليب يجود الأرض لذلك نجد الفلاحين يشترطونه في في كراء الأرض أو مزارعتها أو مغارستها[5].

ب2_الأعمال التي تسبق الحرث: هناك أعمال كثيرة تسبق الحرث؛ مثل التخلص من النباتات الضارة[6]، وإذا كان تكرار الحرث كفيل بالقضاء على النباتات الصغيرة[7]، بينما تحتاج نباتات أخرى مثل القصب أو أو الشوك إلى قطعها[8]، واعتمد الفلاحون على طرق أخرى مثل إطلاق النار في الأرض المراد حرثها بغرض حرق الأعشاب والحشائش الضارة، لكنها لم تكن ناجعة إلى حد كبير، فبعض النباتات الضارة لا تموت بالحرق ولا بالقطع، لأن جذورها الممتدة في التربة لمسافات طويلة سرعان ما تعاود الإنبات، لذلك يلجأ الفلاحون للحفر لقلعها من جذورها[9].

ومن الأعمال التي تسبق الحرث أيضا هي تنقية الأرض من الحطب أو الحجارة وغيرها[10]، لأن هذه الأشياء تعيق عملية الحرث كما تضر بالنبات المزروع[11]، وفي حالات أخرى فإن الحرث يسبقه إصلاح المساقي ورفع الجسور أو كنس الآبار والعيون[12].

---

[1]_ عبد اللطيف عبيد: **المرجع السابق**، ص:416.

[2]_ابن العوام: **المصدر السابق**، 17/2، النابلسي: **المصدر السابق**، ص:9، أنظر أيضا: موسى هواري: **المرجع السابق**، ص:57.

[3]_الفرسطائي: **المصدر السابق**، 335/5.

[4]_ ابن بصال: **المصدر السابق**، ص: 56، ابن العوام: **المصدر السابق**، 15/2، مجهول: **المصدر السابق**، ص:105.

[5]_ عز الدين أحمد موسى: **المرجع السابق**، ص: 189.

[6]_الفرسطائي: **المصدر السابق**، 597/8.

[7]_ ابن العوام: **المصدر السابق**، 222/3، 8/4.

[8]_ **نفسه**، 8/2.

[9]_موسى هواري: **المصدر السابق**، ص:60.

[10]_ الفرسطائي: **المصدر السابق**، 409/6.

[11]_ أبو الخير: **كتاب الفلاحة**، ص:21، ابن العوام: **المصدر السابق**، 585/1_586.

[12]_محمد حسن: **أصناف الإنتاج الزراعي بإفريقية من القرن 6هـ/12م إلى القرن 9هـ/15م**، مقال ضمن كتاب: الفلاحة والتقنيات الفلاحية بالعالم الإسلامي في العصر الوسيط، تحت إشراف حسن حافظي علوي، مؤسسة الملك عبد العزيز، الدار البيضاء، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، 2011م، ص:270.

ب3_وقت الحرث: يبدأ وقت الحرث في الغالب في فصل الخريف مع بداية الدورة الزراعية، إذ تترك الأرض لترتاح خلال فصل الصيف بعد أن يُجنى المحصول ثم ينتظر الفلاح قطرات المطر الأولى في فصل الخريف ليشرع بعدها في قلب الأرض[1]، لكن الأرض البور أو التي كانت مزروعة ثم أهملت مدة، لم تكن تخضع لهذه القاعدة فهي تقلب مرات متفرقات وفي فصول مختلفة[2].

ولما كانت هذه المرحلة أساسية في العمل الزراعي فقد استخدمها سكان معظم المناطق الريفية بالمغرب الأوسط، خاصة تلك المناطق ذات الخصوبة العالية على طول الأنهار مثل هنين[3] والمناطق الساحلية الخصبة مثل عنابة[4]، فبخارج هذه الأخيرة تحرث البادية على مساحة نحو 40 ميلا طولا و25 ميلا عرضا، وبدون شك أن هذه المساحة الكبيرة كانت تتطلب وسائل كبيرة من المحاريث والحيوانات المستخدمة في الحرث أو اليد العاملة للعناية بالمحاصيل وجنيها.

وحرص السكان على الحرث برغم كل الظروف، فبشرق عنابة منطقة صغيرة تحرثها قبائل تعيش في البادية بالرغم على الأعراب[5]، وحتى المناطق الجبلية التي تتوفر على تربة خصبة كانت تأتي بحرث جيد مثل جبل بني ورنيد[6].

وتشهد العديد من المناطق الريفية تلازما بين وفرة الأراضي الصالحة للحرث وتربية القطعان المستخدمة في العمل الزراعي من قبل السكان مثل جبل بني ورنيد[7]، وهذا دليل على ضرورة استخدامها في هذه العملية المهمة حيث تستخدم الثيران في الحرث ومعها البقر وسائر الدواب[8].

ونظرا لأن معظم سكان المغرب الأوسط لم يكونوا على درجة كبيرة من الغنى فقد كانوا يشتركون في حرث أراضيهم، وقد أجاز الفقهاء هذه الشركة حسب الاتفاق المبرم بين الطرفين[9].

وفي حال اقتناء الثور للحرث ووجد أنه لا يحرث فللمشتري الحق في ردّه[10]، وفي حال استئجار الدواب للحرث أو أي عمل فلاحي، وانفلتت أو أصابتها آفة أو ضرر فعلى من استئجرها الضمان، ومن

---

[1]_هواري: **المرجع السابق**، ص:62.

[2]_ ابن العوام: **المصدر السابق**، 4/15_17.

[3]_مارمول: **المصدر السابق**، 2/296.

[4]_الوزان: **المصدر السابق**، 2/62، مارمول: **المصدر السابق**، 3/8.

[5]_الوزان: **المصدر السابق**، ص:104.

[6]_مارمول: **المصدر السابق**، 2/352.

[7]_**نفس المصدر** والصفحة.

[8]_الفرسطائي: **المصدر السابق**، 5/357.

[9]_**نفسه**، 6/330_331.

[10]_فتوى أبو الحسن الصغير، الونشريسي، **المصدر السابق**، 8/157.

طلب الدواب ليحرث بها بمحارثها فلا يجوز أن يعطيها لشخص آخر[1]، كما أنّ من طلب زوجا ليحرث به به الأشجار فلا يحرث به البذر والعكس، وإن طلبها للحرث فلا يسوي به المساقي ومجاري الماء[2].
والاستئجار على حرث الأرض بالحبوب أو بالبقول أو بالفواكه مرة واحدة لشهر أو سنة فذلك جائز، وكذلك للبذر في أرض معلومة وإجارة الأجير في هذا كله يجب أن تكون معلومة بوزن أو بكيل أو بصفة معلومة سواء في النقد أو التأخير[3].

لقد كانت عدد مرات الحرث تخضع في بلاد المغرب لشروط خارجة عن إرادة الفلاح أو رغبته، مثل عدم سقوط المطر أو تأخره لأن بعض الأراضي لا يمكن حرثها وهي جافة لصلابتها[4]، كما يؤثر غياب الأمن على الزراعة عموما والحرث خصوصا، مثلما حدث في إفريقية عقب الزحف الهلالي، حيث كان الفلاحون يخرجون للحرث وهم خائفون ويعودون إلى ديارهم وهم في عجلة من أمرهم[5].

وتتغير عدد السكك بحسب النبات المزروع أو المغروس، فالقطاني والحبوب والقطن والكتان تحتاج إلى الإكثار من الحرث ولو بلغ العشر مرات[6]، والمتأمل ببلاد المغرب أن عدد مرات القلب في الموسم الواحد كان يتراوح بين الثلاث والأربع مرات حسب نوع التربة ونوع الزرع أو الغرس[7]، وهو العدد الذي اشترطه الفلاحون في معاملاتهم المختلفة ومنها الكراء، وقد أجاز فقهاء المغرب هذا الشرط[8]، وأوجب بعضهم ذكر عدد القلبات في عقد المزارعة[9].

ويتم الحرث من قبل صاحب الأرض[10] أو بمساعدة الأبناء[11] وأيضا مع الشريك أو الأجير[12]، وفي حال الشركة في الحرث فعلى الشركاء أن يتآخذوا على الخدمة والبذر ويجبر من امتنع عن ذلك[13]، وأحيانا يسند أمر حرث الأرض إلى الشركاء إما بصيغة المزارعة[14]، أو بصيغة الخماسة[15] التي يتولى

---

[1]_ الفرسطائي: **المصدر السابق**، ص:439.
[2]_**نفسه**، ص:440.
[3]_**نفسه**، 277/4.
[4]_ موسى هواري: **المرجع السابق**، ص:65.
[5]_ المازري: **فتاوى المازري**، ص ص:109_110، الونشريسي: **المصدر السابق**، 374/1_375، 307/6_308.
[6]_ ابن العوام، **المصدر السابق**، 67/4_68.
[7]_**نفسه**، ص:17، أنظر أيضا: عز الدين أحمد موسى: **المرجع السابق**، ص: 189، موسى هواري: **المرجع السابق**، ص:65.
[8]_ المراكشي: **وثائق المرابطين**: ص:533_534.
[9]_ البرزلي: **المصدر السابق**، 427/3.
[10]_الشماخي: **السير**، 86/2.
[11]_فتوى عيد الرحمن الواغليسي (ق8هـ)، المازوني: **المصدر السابق**، ورقة 51و.
[12]_الفرسطائي: **المصدر السابق**، 409/6، 438_439.
[13]_نفسه، ص، ص: 409، 433.
[14]_ المراكشي: **وثائق المرابطين والموحدين**، ص: 533.
[15]_موسى هواري: المرجع السابق، ص:73.

فيها الخماس جميع الأعمال الزراعية بما فيها الحرث[1]، بينما أوكل أصحاب الأراضي الذين يملكون عبيدا عبيدا مهمة قلب الأرض إلى عبيدهم[2]، ضمن قيامهم بشؤون الزراعة، وأحيانا تحدث مناوشات بسبب حرث الأرض بالتعدي أو بالغلب[3]، ويتم الحرث وفق عقود تنص على عدد الأزواج الحارثة وأيام الحرث والمساحة المستخدمة[4].

ب4_الأعمال التي تعقب الحرث: يستمر تحضير الأرض للزراعة بعد انتهاء عملية الحرث، فهي تحتاج للمزيد من العناية وتتمثل أول خطوة في تنقيتها من الحجارة التي قد تظهر فيما بعد الحرث[5]، ثم يعقب دقّ دقّ كتل التراب الصلبة (المدر، الطوب) واستعملت لهذا الغرض آلات مختلفة، فالأرض التي تقلب بالفؤوس أو بالمعاول يُدقّ طوبها بأقفية الآلات التي تقلب بها مباشرة عند قلبها[6]، وهناك طريقة اخرى تتمثل في إدخال ما أمكن من البقر والغنم إلى الأرض المحروثة، لتتردد فيها آتية وذاهبة وتدوسها، حتى يتفتت ترابها وتلين لينا شديدا[7].

ج_التسميد (التزبيل):

جـ1_التعريف والأهمية: التسميد عمل قديم يقوم به الفلاحون قصد زيادة إنتاجية الأرض[8] عن طريق إخصابها بالمواد الغذائية والمعدنية، ويفضل خلط أنواع مختلفة من السماد لإغناء البساتين والأراضي الزراعية بمختلف العناصر المعدنية والغذائية، وقد أثبتت المعلومات الحديثة أن زرق الطيور أغنى من بقية الأسمدة الأخرى بمرات لاحتوائه على أغلب العناصر المخصبة للتربة والنباتات[9]، وهو ما يؤكد على ما تناولته كتب الفلاحة القديمة[10]، وللتزبيل أهمية كبيرة فهو يفتح مسام الأرض ويجودها، وينفشها لولوج العروق[11].

---

[1] _ فتوى الغرناطي، البرزلي: **المصدر السابق**، 427/3، فتوى بعض الشيوخ، الونشريسي: **المصدر السابق**، 151/8.

[2] _ الداودي: **كتاب الاموال**، 185/4، فتوى ابن رشد: البرزلي: **المصدر السابق**، 173/5، فتوى الأغصاروي، الونشريسي: **المصدر السابق**، 139_138/5. الفرسطائي: **المصدر السابق**، 402/6.

[3] _ الفرسطائي: **المصدر نفسه**، 385/6.

[4] _نفسه، ص:432.

[5] _ ابن العوام: المصدر السابق، 585/2_586.

[6] _ موسى هواري: **المرجع السابق**، ص ص:66_67.

[7] _ ابن وحشية: **الفلاحة النبطية**، ج1، ق1، ص:331، ابن العوام: **المصدر السابق**، 14/2.

[8] _الفرسطائي: **المصدر السابق**، 148/3.

[9] _ محمد مروان السبع: **أسس الزراعة ونظمها عند العرب**، ص ص: 97_98.

[10] _ نذكر على سبيل المثال لا الحصر: ابن بصال: **المصدر السابق**، ص:49_53، ابن العوام: **المصدر السابق**، 442/1_444، أبو الخير: **المصدر السابق**، ص: 88_89، 183، مجهول (ق8هـ): **المصدر السابق**، ص:112، النابلسي: **المصدر السابق**، ص ص: 9_10.

[11] _النابلسي: **المصدر نفسه**، ص:11.

جـ2_أنواع الأزبال وما يصلح منها للأشجار والمحاصيل:

تختلف الفترة التي يحتاجها الزبل ليصبح سمادا صالحا باختلاف النبات الذي يستعمل له، فالمستعمل منه للحبوب والبقول يتطلب فترة أطول من تلك التي يحتاجها المستعمل للشجر[1]، ويعد الزبل الذي مرت عليه ثلاث سنين أو أربع أفضل زبل وأكثره صلاحا ومنفعة[2]، لكن تركه فترة تزيد عن الأربع سنين قد يفقده قيمته ويجعله غير صالح لشيئ[3].

واختلفت طرق استعمال السماد حسب النبات المراد تسميده، فطريقة تسميد الأشجار ليست هي نفسها طريقة تسميد الخضار والبقول والحبوب[4]، وفي هذه الأخيرة أسهل لأنه في الغالب يلقى في الأرض قبل زراعتها، قبل عملية الحرث أو بعدها[5]، وتتم عملية إلقائه أحيانا بإدخال أعداد من البقر والغنم إلى الأرض الأرض المحروثة، ثم يرددها صاحب الأرض فيها جيئة وذهابا، حتى تكسر قطع التراب الكبيرة التي نتجت عن الحرث، وتلقي فضلاتها في الأرض فتجوّدها[6]، ويلجأ بعض الفلاحين إلى نقل السماد من مكان إلى آخر باستخدام الدواب[7].

وأفضل السرجين كله هو خرو الحمام ويتلوه خرو سائر الطير إلاّ طائر الماء ثم خرو الناس والرابع زبل الماعز ثم زبل الضأن والسادس زبل وروث الحمير ثم أخثاء البقر والثامن زبل الخيل والبغال[8]، وأفضل أنواع الزبول هي زبل الطيور، وأنواع زبول الطيور كلها جيدة إلاّ طير الماء مثل الإوز والبرك، وأنواع ذات الأربع كلها جيدة خلا زبل الخنازير، وأفضل الزبول أيضا زبل ابن آدم العفن[9].

والزبل إذا تقادم عهده لطف وبرد وأوفق ما يكون حينئذ للبقل، وينبغي أن يستعمل منه للشجر ما أتى عليه سنة وأقل من ذلك لاحتمال الشجر وضعف البقل عن ذلك[10]، وإذا خلطت الأبعار مع غيرها من سائر الزبول وعفنت صلح ذلك لكل ما يزبل به من **الخضر**[11]، وأفضل ما تزبل به **البقول** الرماد بحرارته

---

[1]_موسى هواري: **المرجع السابق**، ص: 52.

[2]_ ابن وحشية: **المصدر السابق**، 376/1، ابن حجاج: **المصدر السابق**، ص:10، ابن بصال: **المصدر السابق**، 49، ابن العوام: **المصدر السابق**، 446/1، مجهول: **المصدر السابق**، ص:118.

[3]_ ابن وحشية: **المصدر السابق**، 376/1_377، ابن العوام: **المصدر السابق**، 471/1_472.

[4]_مجهول: **المصدر السابق**، ص ص:115_118.

[5]_موسى هواري: **المرجع السابق**، ص:54.

[6]_ ابن وحشية: **المصدر السابق**، 331/1، ابن العوام: **المصدر السابق**، 14/2.

[7]_الفرسطائي: **المصدر السابق**، 151/3.

[8]_ ابن حجاج: **المصدر السابق**، الصفحة نفسها، ابن العوام: **المصدر السابق**، 456/1، أبو الخير: **المصدر السابق**، ص:183، مجهول (ق8هـ): **المصدر السابق**، ص:113، النابلسي: **المصدر السابق**، ص:9.

[9]_ابن العوام: **المصدر السابق**، 452/1_456، أبو الخير: **المصدر السابق**، ص:89.

[10]_ أبو الخير: **المصدر نفسه**، ص،ص: 101، 103.

[11]_ ابن العوام: **المصدر السابق**، 497/1.

وقتله الدود وغيره من خشخاش الأرض، ثم زرق الحمام وبعر الغنم[1]، وبعر الغنم وأخثا البقر يصلحان **للزرع**، وروث الدواب **للشجر**، وزبل الإنسان **للنخل**، وزرق الحمام يوافق **جميع الأشجار**[2].

لم ير الفقهاء في بيع الزبل بأسا، لكن كرّه سحنون بيع رجيع بني آدم ولا خير فيه[3]، وانتشرت ببلاد المغرب الأوسط ظاهرة بيع فضلات الحيوانات للاستفادة منها في تسميد الأرض، حيث كان الزبل سلعة تباع وتشترى[4]، بل إنّ بعضهم كان يبادله بسلع أخرى مثل التبن، والعمل ببيع الزبل ببلاد المغرب كان جاريا حيث تضرب العقود خصيصا لهذا الغرض[5].

2_طرق الزراعة (التقنيات الزراعية):

تختلف التقنيات المستخدمة من طرف الفلاحين من منطقة إلى أخرى، لاختلاف المهارات حسب طبيعة التربة، ودرجة خصوبتها، ومدى ملائمة المناخ لهذا النوع الزراعي أو ذاك[6]، ولاشك أنّ الكثير من الطرق الزراعية الحالية قد توارثها المزارعون والفلاحون جيلا بعد جيل عبر عشرات القرون، فمن الطرق الشائعة في الأراضي الزراعية ببلاد الأندلس والمغرب هو طريقة المناوبة في الزراعة، حيث يترك نصفها أو قيم منها دون زراعة حولا كاملا، وفي العام القادم يزرعون الأرض المبورة ويتركون الأرض المزروعة بورا وهكذا دواليك[7]، وكان سكان إفريقيا الشمالية يعتمدون على قواعد فلكية لكراء الأراضي وزرعها وحصادها[8].

وبعد حرث الأراضي وأثناء نزول المطر في الخريف يقسّم الفلاح حقله إلى أجزاء مربعة أو مستطيلة ثم يحدد تلك الأجزاء الواحد تلو الآخر بواسطة المحراث ويزرعها ويحرثها[9]، ويتعهد الفلاح أرضه بنقش التربة وتنقية البقول والزراريع من الحشيش[10]، وحرصا على الإستفادة من أكبر قدر من مساحة الأرض، فإن الفلاحون يعتمدون على زراعة أكثر من محصول في ذات الأرض فنجد البقول مع الغروس واللوبيا والحبق والسمسم مع الزعفران[11].

---

[1]_**نفسه**، ص:504.

[2]_**نفس المصدر** والصفحة.

[3]_**المصدر السابق**، 198/3.

[4]_ فتوى ابن القاسم، الونشريسي: **المصدر السابق**، 314/6_315.

[5]_فتوى ابن لب، الونشريسي، **المصدر نفسه** 24/5_25.

[6]_عمر بلبشير: **جوانب من الحياة الاجتماعية والاقتصادية والفكرية في المغربين الاوسط والأقصى، من القرن 6إلى 9هـ/ 12_15م من خلال كتاب المعيار للونشريسي**، أطروحة دكتوراه في التاريخ الإسلامي، جامعة وهران، 2010/2009م، ص:156.

[7]_ برنشفيك: **المرجع السابق**، 213/2، مروان السبع: **المرجع السابق**، ص: 97، سعيد بنحمادة: **أثر التقاويم الفلاحية**، ص: 113.

[8]_الوزان: **المصدر السابق**،79/1.

[9]_ برنشفيك: **المرجع السابق**، ص ص: 213_214.

[10]_الفرسطائي: **المصدر السابق**، 271/4_272.

[11]_ عز الدين أحمد موسى: **المرجع السابق**، ص: 189.

والواضح أنّ نمو المزروعات من مقثاة وبقول وفول بين الأشجار المغروسة، هو بدون شك ضرر يعرقل النمو الطبيعي للأشجار المغروسة التي لم تبلغ بعد فترة الانتاج أو الإطعام وتحد من إنتاجية المزروعات، وهذه الطريقة كانت معهودة منذ القدم وخاصة في الواحات حيث ذكر بلينوس التدرج من النخيل إلى الرمان والتين إلى الخضروات وهو مازال معمولا به حاليا[1]، وهذه الطريقة كثيرة الانتشار لدرجة لدرجة اكتسابها طابع الشرعية في الجهات، فيذكر الونشريسي في معياره:"**ويمنع رب الأرض من زراعة الأرض المغروسة لأنه ضرر بالغرس إلاّ أن تكون هناك عادة**"[2].

ومن خلال معرفة المنتجات الصيفية والشتوية، فهذا دليل على أن فلاحي المغرب الأوسط كانوا يزرعون مرتين في السنة خاصة سكان الواحات الصحراوية[3]، ويمكن تلخيص تقنيات كل نشاط كالآتي:

أ_التقنيات الزراعية:

أ1_انتقاء الزريعة والبذور: الزريعة هي النباتات الصغيرة التي تنبت من البذور على نحو كثيف[4]، ويشكل انتقاء الزريعة والبذور حجر الزواية للانطلاق في النشاط الزراعي وحتى البستني[5]، وتوصي كتب كتب الفلاحة بزراعة البذور السالمة من الآفات، وأجودها ما حالت عليه سنتان وأما أكثر من ثلاث سنين فهو رديء، وأجود الحبوب للزراعة وأصحّها وأسمنها ويُحذر الرقيق المهزول[6]، ويُنصح أيضا بتحري سنوات الإذخار فما تجاوز من الدخن وزريعة الكتان عشرة أعوام لا يعتّد بزراعته، وما تجاوز من زريعة البصل والكراث والبطيخ والقرع الأربعة أعوام فزراعته غرر[7].

وهناك من الفلاحين من يعجز عن توفير الزريعة بمفرده فيلجأون للشركة في البذر مع الغير[8] وفي حالات تعرضها للآفات فلكل واحد نصيبه باقتسام ما نابه من الزريعة[9]، والاشارات حول كثرة الانتاج الزراعي والبستني دليل على وفرة الزرّيعة وكثرتها.

أ2_الزراعة بالأحواض: اعتمد سكان البلاد الأندلسية والمغربية على الأحواض والمصاطب التجريبية وهي بمثابة مشاتل اختبارية لتجريب غراسة بعض النباتات ومدى ملائمتها لأوقات الغراسة قبل نقلها إلى

---

[1] _محمد حسن: **الريف المغربي**، ص:98، **القبائل والأرياف المغربية**، ص:37.

[2] _فتوى سيدي أبو الحسن الصغير، 174/8.

[3] _الفرسطائي: **المصدر السابق**، 603/8.

[4] _ محمد عمارة: **المرجع السابق**، ص: 268.

[5] _قسطا بن لوقا البعلبكي: **الفلاحة الرومية**، دراسة وتحقيق وائل عبد الرحيم أعبيد، ط1، دار النشر، عمان، الأردن، 1420هـ/1999م، ص ص:353_359.

[6] _ابن حجاج: **المصدر السابق**، ص:11، ابن العوام: **المصدر السابق**، 4/27_28.

[7] _أبو الخير: **المصدر السابق**، ص:97.

[8] _ الفرسطائي: **المصدر السابق**، 382/6.

[9] _**نفسه**، ص،ص: 330، 331.

البساتين، ويبدو أنّ هذه التقنية قد أسهمت بفعالية في تطوير سلالة المزروعات[1]، ومن النباتات التي أقيمت بالأحواض نجد الثوم وبذور القرع[2]، اللفت والبصل[3]،....إلخ.

استعمل فلاحي المغرب الأوسط هذه التقنية في غراسة نقلة البصل وغيرها من الخضر، وكانت الأحواض تشغل مساحة شاسعة بالبحيرة والتي تتعدى المائة حوض[4].

أ3_الحصاد والدراس:

***الحصاد:** لا يقترن مدلول الحصاد في عرف فلاحي المغرب على قطع السنابل فحسب؛ بل يقصدون به جميع الأعمال الأخرى التي تتبعه مثل جمع السنابل بعد قطعها في حزم[5]، وجمع تلك الحزم ونقلها إلى البيادر (الأندر) من أجل الدراس[6]، وأما وقت الحصاد من النهار فأفضله عند أهل الفلاحة وقت السَّحر(آخر الليل)؛ ثم أول ساعة من النهار وذلك بسبب ندى الليل وبرده الذي يفيد الحب عند تخزينه، حيث يساعد على حفظه من الآفات ويطيل بقاءه[7].

واختلفت أوقات الحصاد من منطقة إلى أخرى حسب نوع المحصول، وتنصح كتب الفلاحة بحصاد الشعير أولا لئلا تتقلص حباته ويصفّر لونه ويهزل[8]، ويذكر البكري أن الشعير ببادس يزرع مرتين مرتين في السنة[9]، مما يدل على أن الحصاد يكون مرتين وفي وقتين مختلفين، ويشير الوزان إلى أنّ فترة حصاد القمح بشمال إفريقيا تبدأ في مايو[10]، أي مع نهاية الربيع وبداية الصيف.

وعادة ما يتم الحصاد بطريقة جماعية[11]، وأحيانا يحدث الخلاف بين بعض الشركاء أثناء الحصاد[12]، وهذه العملية لا يقوم بها عامة السكان والفلاحين فحسب، بل إن من العلماء والصلحاء من يقوم بهذه العملية بنفسه، فقد كان أبا صالح "**في أيام الحصاد يحمل الزرع إلى الأندر على ناقة له**"[13].

ولمّا كان تأخير عملية الحصاد مخاطرة كبيرة لجهد ومال وغذاء الفلاحين، لذلك فقد كان من هؤلاء من يستعين بآخرين يحصدون معه دون أجرة، ولكن بشرط أن يشارك هو في حصاد أراضيهم بعد الانتهاء

---

[1]_سعيد بنحمادة: **أثر التقاويم الفلاحية في تطور البستنة بالأندلس والمغرب خلال العصر الوسيط**، مجلة عصور الجديدة، جامعة وهران، العدد 14_15، 1435هـ/2014م، ص ص: 113_114.

[2]_ابن العوام: **المصدر السابق**، 339/4.

[3]_فتوى عبد الرحمن الواغليسي(ق8هـ)، الونشريسي، **المصدر السابق**، 90/5.

[4]_فتوى محمد بن مرزوق (ق9هـ)، المازوني: **المصدر السابق**، ورقة 10ظ.

[5]_البرزلي: **المصدر السابق**، 48/5_49.

[6]_ موسى هواري: **المرجع السابق**، ص:189.

[7]_ ابن العوام: **المصدر السابق**، 169/5، النابلسي: **المصدر السابق**، ص:76.

[8]_النابلسي: **نفس المصدر** والصفحة.

[9]_ البكري: **المصدر السابق**، ص:53، مجهول(ق6هـ): **الاستبصار**، ص:175، الحميري: **المصدر السابق**، ص:75.

[10]_الوزان: **المصدر السابق**، 80/2، مارمول: **المصدر السابق**، 31/1.

[11]_الوسياني: **السير**، 270/1.

[12]_فتوى محمد بن مرزوق، المازوني: **المصدر السابق**، ورقة 81و.

[13]_ الدرجيني: **المصدر السابق**، 413/2_414، الشماخي: المصدر السابق، 76/2.

من حصاد حقله[1]، لذلك نجد أن مدة الحصاد تختلف باختلاف درجة اتساع الحقول والمزارع، وتبعا لعدد الحصادين أيضا، فكلما كثر عددهم كلما سمح هذا بإنهاء العمل بسرعة.

وعادة ما يلجأ البعض إلى استئجار الحصادين، فقد سئل سيدي محمد بن العباس عمن استؤجر على حصاد زرع بآصع معلومة منه فحصد منه نصفه فنزل عليه الجيش فأجاحه كلّه، فأجاب: أن المعمول به هو انفساخ الإجارة، **وأجاب محمد بن أحمد العقباني(ق10هـ/16م)**، أنّ هلاك ما حصد وما لم يحصد مصيبة نزلت بالأجير والمستأجر، **وأجاب عمه سيدي إبراهيم العقباني(ق9هـ/15م)**، يلزم ربّ الفدان أجرة المثل فيما عمل له الأجير، وهلك الزرع من صاحب الفدان ومصيبته عليه، سواء كانت العقدة صحيحة أو فاسدة[2].

أما في الحالة التي يخطىء فيها الأجير فيحصد فدّان غير الذي استؤجر عليه، فلا أجرة على ربّ الزرع ولا على الذي استأجره، إذ أخطأ ولم يستبت لنفسه إلاّ أن يكون الرجل الذي حصد له الزرع إنما يحصده بالإجارة فعليه أن يغرم الأجرة[3]، لكن من عقود الإستئجار الفاسدة التي يعتمدها البدو هي استئجار عمال للحصاد مقابل الحب الملقوط[4].

الدراس: الدراس هو عملية استخراج حب السنبل من غلافه بعد حصاده، وهو آخر المراحل التي تنتهي بها الدورة الزراعية التي استمرت طيلة موسم فلاحي كامل[5]، وبعد الفراغ من عملية الحصاد يتم جمع أغمار الزرع وأكوام السنابل[6] بعدما يعرّم الفلاحون الحبوب عرما[7]، ويسمى الموضع الذي يجمع فيه الزرع الزرع بعد الحصاد النّادر وجمعه الأنذر[8]، ويتم نقل تلك الأكوام في الشباك[9]، وتحمل على الحيوانات مثل مثل الحمير والجمال[10]، ويتم درس المحاصيل بواسطة الأبقار[11]، وجرت العادة بين الحراثين على اقتسام الفريك أغمارا بين الشركاء في الأنذر[12].

أ4_تذرية الحب وتصفيته: عملية التذرية وهي فصل الحب عن الأتبان وسيقان النباتات، وتجرى هذه العملية في وجود رياح خفيفة لتسهل عملية انفصال التبن عن الحبوب، وتجرى هذه الأعمال كلها على

---

[1] _ موسى هواري: **المرجع السابق**، ص: 195.

[2] _الونشريسي، **المصدر السابق**، 8/232_233.

[3] _فتوى ابن لبابة(ق4هـ)، الونشريسي، **المصدر نفسه**، ص:234.

[4] _فتوى ابن العطار، الونشريسي، **المصدر نفسه**، ص:265.

[5] _ موسى هواري: **المرجع السابق**، ص: 203.

[6] _ الزركشي: **تاريخ الدولتين**، ص ص: 44_45.

[7] _ مروان السبع: **المرجع السابق**، ص:106.

[8] _ابن عذاري: **البيان**، 1/76_77، الدرجيني: **المصدر السابق**، 2/236، 413_414، فتوى عبد الرحمن الواغليسي(ق8هـ)، المازوني: **المصدر السابق**، 1/153و، الونشريسي، **المصدر السابق**، 1/393.

[9] _ الدرجيني: **المصدر السابق**، ص: 236.

[10] _ **نفسه**، ص ص: 413_414.

[11] _فتوى سيدي مصباح، الونشريسي، **المصدر السابق**، 5/158.

[12] _فتوى عبد الرحمن الواغليسي، المازوني: **المصدر السابق**، 2/30ظ.

البيدر الذي يجب أن يكون بعيدا عن الأشجار والمزارع والمساكن حتى لا تسبب أضرارا بها[1]، وهو الأمر الذي جعل الفقهاء يفتون بأحقية أن يبقى الناذر في الهواء دون احتجابه بالبناء أو غيره[2].

وبعد جمع الحب ورفعه يُجمع التبن المتبقي في النوادر، أين يحتفظ به كعلف للمواشي[3] في الشتاء أو غيره، ويتم الحفظ بتكويم التبن ثم تغطية الكومة بالطين المخلوط بتبن[4]، وتعرض التبن للسرقة من الأنذر كان من المسائل المعروضة ضمن الفتاوى خلال هذه الفترة[5].

مسألة اللقطة*: بعد انتهاء عملية الحصاد ورفع الأغمار؛ كثيرا ما يبقى من السنابل المتساقطة التي يقوم الفقراء بجمعها بعد التقاطها ثم يدرسونها ويقومون بتصفية الحب، ويسمى هؤلاء باللّقاطين[6]، وقد أشكل على البعض أمر التقاط السنابل لأنها ملك للغير، لكن الإمام سحنون أفتى في السنبل المتبقي بعد الحصاد، أنه إن كان ممّا لا يرجع إليه صاحبه فلا بأس بالتقاطه[7].

ب_تقنيات البستنة:

تتطلب زراعة الأشجار المثمرة والبقول عناية أكبر وانتباه أشد من زراعة الحبوب، فقبل عملية الغرس لابد من تنقية الأرض من جميع أصناف النبات والحجارة[8]، وتنصح كتب الفلاحة بأن: "**تختار للبساتين والجنات من أنواع الأرض أطيبها بقعة وأعذبها ماءا، وليكن مع ذلك معينا وتعدل أرضها قبل غراستها ثم تسوى لجري الماء عند سقيها عليها كلها، لأن إذا سويت أرضها بعد غراسة الأشجار فيها فربما انكشف بعض أصول شجره عند تعديل الأرض فأضر بها ذلك**"[9].

والعمل بالبساتين هو الآخر كان مضنيا لما يتطلب من الفلاح من إصلاح للأرض وإجراء الماء إليها أو إصلاحها بالغبار (السماد)،...، وتتلخص العناية بالبساتين في: إصلاح طرق البستان وزروبه ومساقيه ومماصله[10]، ويلجأ المُلاّك الكبار إلى استئجار العمال للغرس، بل هناك من الفلاحين من يلجأ إلى استئجار من يقوم بتنقية النخل ونزع الجرائد والليف والشوك[11].

---

[1]_ ابن حجاج : **المصدر السابق**، ص:16، أنظر أيضا: موسى هواري: **المرجع السابق**، ص: 200، مروان السبع: **المرجع السابق**، ص ص: 100_101.

[2]_ موسى هواري: **المرجع السابق**، ص: 209.

[3]_ الزركشي: **المصدر السابق**، ص ص: 44_45.

[4]_ موسى هواري: **المرجع السابق**، ص: 210.

[5]_فتوى أبا الفضل العقباني، المازوني: **المصدر السابق**، 72/2ظ.

[6]_ فتوى ابن عرفة (ق4هـ)، الونشريسي، **المصدر السابق**، 384/1، أنظر أيضا: الوسياني: **المصدر السابق**، 259/1.

[7]_ الونشريسي: **المصدر السابق**، 149/6.

[8]_ابن حجاج: **المصدر السابق**، ص:20.

[9]_قسطا بن لوقا: **المصدر السابق**، ص:258، ابن العوام: **المصدر السابق**، 560/1، النابلسي: **المصدر السابق**، ص:18.

[10]_الفرسطائي: **المصدر السابق**، 154/3.

[11]_**نفسه**، 276/4.

وفي حال ما اشترك السكان في أرض المشاع، فهم مُؤاخذون على إصلاح مشاعهم بتنقية أشجارهم مما ينزعون من الأغصان أو نزع الغراس إذا كانت مضرة لغيرها من الأشجار[1]، والشركاء في غراسة الأشجار الأشجار يتآخذون فيما بينهم على عمل أحواض الشجر وكنسها وحرث تلك الأشجار وتقليب الأرض لها[2]، وكنس المماصل والسواقي وسقيها وتزريبها[3].

والواضح أنّ فلاحي المغرب الأوسط كانوا على دراية كبيرة بأعمال البستنة من خلال اختيار مواضع غرس البساتين بالقرب من المياه مع تجنب غرس الأشجار بصفة مختلطة، فأغلب بساتين المغرب الأوسط كانت تُعمر بالأشجار ويزرع معها شيئ من النبات، وكثيرا ما نلمح ترادفا ما بين البساتين والسواقي لحاجة الأشجار للسقي[4].

وتشير المصادر إلى تنميق أحزمة المستغلات من قبل سكان أرياف نقاوس، فقد كانت الأرياف البعيدة عن المدينة تخصص للزراعة أما القريبة (المحيطة) بالمدينة فتخصص للبستنة التي "**ذللت قطوفها وبساتين اختلفت قلوب ثمراتها لما اختلف صفوفها ورساتين...**"[5]، وهذه البساتين والرساتيق كانت على غاية من التنميق، "**فما من بستان يبعد عن بستان ولا جنان بشجر أذبال أشجارها عن جنان، ولا روض يحل أيدي قضبانه عن أزرار روض، ولا حديقة تميل حديقتها عن مشاهدة حوم عن حوض وامتدت مظاهر ذلك وهذا ما شاءت من الامتداد...**"[6].

والملفت للانتباه أن بساتين بلاد الزاب لم تكن مقتصرة على غراسة النخيل فحسب، بل كانت هناك العديد من الأشجار المثمرة[7]، فببستان أبا يعقوب الرياحي كان يغرس بجانب النخيل أشجار التين والرمان[8].

والواضح أن سكان الأرياف كانوا يستغلون أكبر قدر من المساحة، فإلى جانب الأشجار المثمرة اعتمد سكان فرفر أيضا على الغرس بين تلك الأشجار[9]، ورغم أن المصادر لم تذكر نوع المغروسات إلاّ أنّ المؤكد أنهم كانوا يقومون بغرس الخضر وسائر المنتجات البستنية ذات الطابع المعاشي (عدس، وسائر البقول،...إلخ).

---

[1] _**نفسه**، 613/8.

[2] _ **نفسه**، 270/4، 276.

[3] _**نفسه**، 276/4، 336/5.

[4] _**نفسه**، 153/3.

[5] _ النميري: **المصدر السابق**، ص ص: 460_461.

[6] _**نفسه**، ص: 470.

[7] _**نفسه**، ص ص: 448_449.

[8] _**نفسه**، ص: 339.

[9] _**نفسه**، ص: 448.

ومن الأهمية بمكان الإشارة إلى أنّ الأندلسيين قد أدخلوا تقنيات جديدة مثل آلات العمل الفلاحية وطرق التشذيب، والتلقيح والغراسة واختبار التربة ونوعية المياه، مما أدى إلى تحسين أنواع عديدة من الأشجار المثمرة[1]، وعموما يمكن إجمال تقنيات البستنة في:

ب1_تسميد الأشجار المثمرة:

الجدير بالذكر أن التزبيل لا يصلح لجميع الأشجار فهناك أشجار لا تحتاج لتزبيل ولا إفلاح مثل الجوز والبندق والخرّوب الشامي والورد، وعموما جميع الأشجار التي لها دهن لا تحتاج إلى تزبيل وإن زبلت نفعها الزبل ولم يضرّها، لكن هناك من الأشجار التي يهلكها الزبل ويكون كالسم لها مثل السفرجل، حب الملوك، التفاح، الورد، الرند، المشمش وذوات الصموغ كلها يفسدها الزبل[2].

أما الأشجار التي تحمل الزبل فهي: الزيتون والتين واللوز والنخل والكمثرى والرمان والأعناب والفستق وما أشبهها، ومن الخضر التي يفسدها الزبل نجد الفجل، اللفت والجزر[3].

ويتم تسميد الأشجار المثمرة من أوت إلى جانفي وإن جُعل في أكتوبر يتم بزبل المعز في أصول الشجر القليل فإنه يجود ويثمر، وقيل تزبل الكروم بالزبل في سبتمبر وقيل في ديسمبر، ووقت شجر الزيتون في الخريف، أما الخضر فيكثر منه لها في فصل البرد وفي الأرض الباردة، ويقلل لها من الزبل في فصل الحر والأرض الحارة ويتوسط به في الاعتدال[4].

لم أعثر في المصادر التي اضطلعت عليها أنّ سكان المناطق الشمالية للمغرب الأوسط كانوا يستخدمون زبل مراحيضهم في تدمين الأرض مثلما كان يفعل أهل توزر الذين يبيعون زبل مراحيضهم وهم يُعيّرون بذلك، لأن أرضهم كانت جافة لقربها من الصحراء التي كانت أيبس أرض الجريد[5]، ويعزى الأمر لأن الأرض الشمالية كانت خصبة كما كانت لديهم مصادر عديدة للتسميد عكس سكان الجنوب.

فمن هؤلاء نجد سكان تيكورارين التي كانت أرضها صالحة للزراعة لكن يلزم سقيها بماء البئر وتسميدها بالسماد لأنها جافة وهزيلة، لذلك يسكن أهل تيكورارين الغرباء في منازلهم بدون أجر ليحصلوا على سماد الخيل ورجيع الناس، حتى أن أكبر ما يسيئ به الغريب لمضيفه أن يتغوط خارج بيته[6]، وفي المقابل ذكر مارمول[7] فقط التسميد بالفضلات الحيوانية حيث يعرض السكان المأوى بالمجان على الغرباء قصد تحصيل روث البهائم والأنعام لذرّه على الحقول.

---

[1] _مريم بوخاوش: **المرجع السابق**، ص:325.

[2] _ابن العوام: **المصدر السابق، 1/513_514**.

[3] _**نفسه**، ص:515.

[4] _**نفسه**، 275/3.

[5] _مجهول (6هـ): **الاستبصار**، ص:156، الحميري: **المصدر السابق**، ص:145، القلقشندي: **المصدر السابق**، 103/5.

[6] _الوزان: **المصدر السابق**، 132/2_133.

[7] _**المصدر السابق**، 163/3.

ب2_كيفية غرس الأشجار المثمرة:

حرصت كتب الفلاحة على توضيح طرق غراسة الأشجار، فهناك ما تغرس من النواة، وهناك ما تغرس من حب الثمر وأخرى من البذر، والبعض من القضبان والأوتاد[1]، وتحتاج الأرض المراد الغراسة فيها إلى تهيئة خاصة حيث يمثل قلبها وتزبيلها مرحلة تمهيدية فقط، إذ عليه أن يقوم بحفر حفر للأشجار التي يريد غراستها، وتترك هذه الحفر فترة تصل إلى السنة حتى تتعرض للمطر والهواء والشمس[2].

ويختلف عمق الحفر باختلاف موقع الأرض واستوائها، وباختلاف الشجر المراد غرسه فالكروم مثلا لا ينصح بأن يفوق عمق حفرها الثلاثة أشبار، في حين يصل عمق حفر بعض الأشجار المثمرة إلى ذراعين بالطول والعرض مثل شجر النخيل[3]، ويصل عمق الأخرى إلى طول قامة الرجل[4]، بالإضافة إلى مداواة الأشجار[5].

وتوصي التقاويم الفلاحية بغرس بعض الأشجار ذات العود الصلب كالزيتون والخرنوب والبلوط والعنّاب وغيرها في أواخر فصل الخريف، ولا سيما في نوفمبر وديسمبر وجانفي، حتى تستفيد من الأمطار الموسمية وهي في بداية الغرس، بخلاف الأشجار ذات العود غير الصلب، مثل التين والأعناب والتفاح والخوخ والمشمش واللوز والإجاص والكمثرى وغيرها، فيجب أن تغرس في أول مارس في السهل وفي التربة الطيبة[6]، وليكن ذلك قبل فتحها وإيراقها وقيل أن تغرس كل شجرة تجدد بالفتح وذلك من نحو منتصف شهر شهر جانفي إلاّ اللّوز وشبهه مما يبكر بالنوار فيغرس قبل ذلك، ولا يغرس شجر بعد نضوره وظهور ورقه إلاّ الرمان[7].

أما عن وقت غراسة الكروم فهي ثلاث أوقات إمّا بالحفر أو الحرث في شهر جانفي، والثاني في مارس والثالث في ماي، بأثر مطر يكون في ذلك الوقت ولا يجب أن تعمر الأرض وهي ثقيلة من ماء المطر[8]، وقيل إنّ الذي يغرس في الخريف يكون أكثر حملا من الذي يغرس في فصل الربيع[9].

وكان فلاحي المغرب الاوسط يعتمدون على طرق خاصة بغراسة أشجار التين فمنها ما يكون متفرقا ومنها ما يكون مجتمعا[1].

---

[1]_ابن حجاج: **المصدر السابق**، ص ص:34_35، ابن العوام: **المصدر السابق**، 567/1، أبو الخير: **المصدر السابق**، ص ص:151_152.

[2]_ ابن العوام: **المصدر السابق**، 9/2.

[3]_أبو بكر أحمد بن علي بن قيس الكسداني المعروف بابن وحشية: **كتاب النخل**، نقله محمود شكري الألوسي عن النسخة الخطية المحفوظة في خزانة المدينة والمكتوبة في 12 جمادى الآخرى سنة 324هـ، مجلة المورد، عدد 1و2، 1391هـ/1971م، من مرفوعات مركز ودود للمخطوطات، المجلد 1، ص:67.

[4]_ ابن العوام: المصدر السابق، 29/2.

[5]_الفرسطائي: **المصدر السابق**، 592/8.

[6]_ابن العوام: **المصدر السابق**، 598/3، أبو الخير: **المصدر السابق**، ص،ص:152، 155.

[7]_ابن العوام: **المصدر السابق**، 598/1.

[8]_أبو الخير: **المصدر السابق**، ص:156.

[9]_ابن العوام: **المصدر السابق**، ص:597، أنظر أيضا: أبو الخير: **المصدر السابق**، ص:115.

عرف السكان طرق تعديد أنواع المنتجات البستنية، فأحسن طريقة لتعديد أنواع النخيل هي أن يزرع النوى وأحسن وسيلة لتكبير حمله أن يقلع فسيلا من حوالي النخلة الأم، وأحسن وسيلة تجعل التمر حلوا لذيذا أن يؤخذ البلح قبل أن يصير تمرا ويغلى في ماء عذب محلى إلى أن تزول منه البشاعة ثم يلقى الماء ويؤخذ التمر وينشف بعد أن تزول منه الرطوبة[2]، وهي طريقة ناجعة ليصبح التمر حلوا.

وكانوا يزرعون كل شجرة مع صنفها أو قريبة من جنسها، ثم يراعون أن يكون الشجر الكبير مع الكبير والصغير مع الصغير وكذلك كانت صفوفا منتظمة وكانوا يقلمون الأشجار[3]، وينبغي أن تكون الأرض التي تُحوّل إليها الغروس من موضع تربتها مقاربة في الصفة للأرضين التي يبتدي زراعتها فيها أو مثلها ولا تحول من أرض جيدة إلى أرض ردية[4]، ويمكن إجمال مراحل العناية بالأشجار المثمرة في:

تقليم الأشجار: للتقليم (الكسح، التشمير) منفعة عظيمة ذلك أنّها تقوي فروع الأشجار بعد قطع الضعيف منها لترجع مادتها إلى الأقوى، كما يسمح بولوج الهواء داخل الشجرة ولاينبغي أن يكون التقليم إلاّ في فصل الشتاء[5]، وهناك من الأشجار من يوافقها التقليم والكسح وهناك من لا يوافقها[6]؛ فذوات الألبان وشجر التين والتوت يوافقها عكس ذوات الأصماغ (الخوخ، السفرجل، حب الملوك، التفاح،...إلخ)، وجميعها لا تمس بحديد[7].

وجميع الشجيرات على إطلاق محتاجة في صغرها وقبل أن يبزر ثمرها إلى التنقية، وأن يكشط عنها الضعاف من أغصانها ويطلب بها العلو، وترد القوة إلى الفروع المنبعثة انبعاثا حسنا، ويقطع من أغصانها ما تدلى إلى الأرض وتفتح أجوافها وتفرق أغصانها فيكون ثمرها أسرع[8]، والواضح أنه لكل شجرة طريقة خاصة للتقليم والأوقات المستحسنة لذلك[9].

تركيب الأشجار: التركيب هو التطعيم[10]، وغالبا ما يكون من منتصف فبراير إلى أول أو منتصف مارس، حيث تؤخذ القضبان وأقلام التركيب من الأشجار الكثيرة الحمل، طيبة الثمر من وسط الشجرة لا من أعلاها ولا من أسفلها، وتكون تلك القضبان صحيحة من العصل والذبول[11].

---

[1]_فتوى محمد بن مرزوق، المازوني: **المصدر السابق**، ورقة 60و.

[2]_ابن وحشية: **المصدر السابق**، ص ص: 68_69.

[3]_ابن العوام: **المصدر السابق**، ص، ص:558، 560، أنظر أيضا: جودت عبد الكريم: **المرجع السابق**، ص ص:26_27.

[4]_ابن العوام: **المصدر السابق**، ص:587.

[5]_ابن بصال: **المصدر السابق**، ص:89، ابن العوام: **المصدر السابق**، 94/3، النابلسي: **المصدر السابق**، ص:39.

[6]_ ابن العوام: **المصدر السابق**، ص:199.

[7]_**نفسه**، ص:202، أنظر أيضا: النابلسي: **المصدر السابق**، ص:39.

[8]_ ابن وحشية: **الفلاحة النبطية**، ج1، ق1، ص، ص:165، 179، أبو الخير: **المصدر السابق**، ص:106.

[9]_أبو الخير: **المصدر السابق**، ص ص: 127_131.

[10]_ابن العوام: **المصدر السابق**، 7/3.

[11]_**نفسه**، ص،ص: 61، 81.

ورغم أن ابن العوام قد عدّد لنا أنواعا من التركيب[1]، إلاّ أن مصادر الفترة تبخل علينا بالمعلومات حول الطرق المعتمدة من قبل فلاحي المغرب الأوسط، لكن المؤكد أنهم كانوا على دراية بتلك الطرق.

وفي باب التركيب للثمار وأسراره تصنف كتب الفلاحة أمهات الأجناس وهي: ذوات المياه وذوات الأصباغ وذوات الألبان وذوات الأذهان[2]، وهذه الأجناس الأربعة لا يركب بعضها في بعض، ويتركب كل كل جنس منها في جنسه لا في غيره[3]، وكان علماء الفلاحة على دراية بتركيب كل نوع من الأشجار والأوقات الملائمة لذلك[4].

ومما يحتاج إلى معرفته في التركيب هو أن يركب الشجر المطعم في الشجر المطعم، فيكثر حمله وتظهر بركته ولا يركب مطعم في غير مطعم والعكس، ولا يركب في شجرة ضعيفة ولا في هرمة، ولا يركب تركيب إلاّ في الأشجار الفتية السالمة من الآفات القوية الكثيرة الرطوبة والمادة، وبذلك ينمو التركيب وتكثر فائدته[5]، والتركيب لا يكون إلاّ في البلاد المعتدلة والباردة، وألاّ يكون في الشجر المفرط الحرارة مثل الجوز، ولا يكون في بعض الشجر إلاّ في فصل الربيع عند صعود المياه في الشجر في أول انبعاثه[6].

الترقيد (التكبيس): من الأساليب الزراعية المتعلقة بغراسة الأشجار المثمرة نجد عملية الترقيد، وهي أن يعمد المزارع إلى الفروع النابتة من أصل الشجرة فتطمر، وتغطى بالتراب على أن يترك رأس الفرع من الناحية الأخرى حرا، وكلما كان الفرع طويلا وامتد في الحفرة التي أعدت له كان أحسن، وتترك الفروع المرقدة في هذه الحفر مددا مختلفة قد تصل إلى عامين، ثم تنقل بعدها للمكان المراد غرس الشجرة فيه، بعد أن تقطع عن الشجرة الأصل ويكون قد تشكل لها جذور كثيرة خاصة بها وتنقل مع التراب المحيط بالجزء المرقد[7].

تذكير الشجر: يذكر أبا الخير[8] بأن:**<< أكثر الشجرات تقبل التذكير وتثميره ويبدو بذلك صلاحها... والشجر في ذلك يختلف فمنها ما يذكر حين العقد، ومنها ما يذكر حين ينوّر ومنها ما يذكر إذا سقط ورقه...>>.**

---

[1]_**نفسه**، ص ص: 7_8، أنظر أيضا: النابلسي: **المصدر السابق**، ص:46.

[2]_ ابن حجاج: **المصدر السابق**، ص:110، ابن بصال: **المصدر السابق**، ص ص:93_94، أبو الخير: **المصدر السابق**، ص:128، أنظر أيضا: محمد سويسي: **مسائل الري والفلاحة**، ص: 276.

[3]_ابن بصال: **المصدر السابق**، ص ص:93_94، أبو الخير: **المصدر السابق**، الصفحة نفسها.

[4]_ابن بصال: **المصدر السابق**، ص ص: 99_108، أبو الخير: **المصدر السابق**، ص ص: 106_108، 129_130.

[5]_ابن العوام: **المصدر السابق، 3/173_174**، أبو الخير: **المصدر السابق**، ص:125_126.

[6]_أبو الخير: **المصدر نفسه**، ص:127.

[7]_ابن بصال: **المصدر السابق**، ص:87، أنظر أيضا: مروان السبع: **المرجع السابق**، ص: 99.

[8]_**المصدر السابق**، ص: 109.

تذكير النخل (التأبير)[1]: شجر النخل يذكر بذكار النخل الذي يرسل العناقيد التي يكون فيها البسران يؤخذ من ذكورة النخل خمس حبات أو سبعة فينظم في خيط أو حلفا ويعلق من الشجرة التي يراد تذكيرها، وقد يذكر النخل (برائحة النشر) الذكور إذا هبت الريح من الجهة التي يكون فيها الذكور فيتأبر بذلك[2]، ويكون ويكون التذكير إما بذكار يابس أو ذكار رطب، وبالنسبة للنخل المشترك بين قوم فيجوز استئجار من يذكر الشجر أو من قبل الفلاحين كل وسهمه[3]، ويذكر ابن الوردي[4] عن إمكانية تقبل النخل للقاح بالطلع، بالطلع، فتلقح بروث الحمير.

ويعد النحل من أهم الملقحات بالنسبة للنبات إذ يقوم بتلقيح 50% من المحاصيل الزراعية، وهي حقيقة يمكن استخلاصها من النصوص الجغرافية التي وصفت تنوع البساتين ووفرة الثمار والفواكه بمناطق عديدة من أرياف المغرب الأوسط[5]، ولعل الاتجاه نحو البستنة واتساع الزراعة وإدخال محاصيل جديدة لتلبية الحاجات الغذائية للسكان قد أدى لانتشار الأجباح، وعملية تلقيح الأزهار هي أساس تكوين الثمار وإنتاج البذور وحفظ الأنواع[6]، والمؤكد أن فلاحي المغرب الأوسط قد استغلوا هذه الحشرة النافعة في العملية البستنية.

ب3_جني المحاصيل(الثمار):

يكون وقت القطاف عند نضج الفاكهة وتمام طيبها، فبعد مرور الأسابيع الثلاث الأولى من شهر ماي تبدأ معظم الفواكه في الانضاج حتى نهاية الصيف مثل: التين ، العنب، التفاح،...إلخ[7]، وهناك من التقنيات التي نهى عنها الفقهاء والمحتسبين من ذلك نقش الثمرة وتغميمها قبل استحكام نضجها لتعجيل طيبها، ونقش التمر أيضا ليترطب بشكل أسرع، كما نهوا أيضا عن دهن التين بالزيت[8].

وبالنسبة لاقتسام الغلة بين الشركاء، فإن هؤلاء يتداركونها في جنس واحد لا في أجناس مختلفة مثل النخل بأصنافها والزيتون بأجناسها وكذلك العنب،...إلخ، وما يعمل من القطن جنس واحد والكتان جنس

---

[1]_التأبير والإبار بكسر الهمزة، هو تلقيح النخل ومنه زمن الإبار، والإبارة بوزن فعالة هي إصلاح الزرع بعمل التلقيح. أنظر: قلعة جي، قنيبتي: **المرجع السابق**، ص:38، أنظر أيضا: محمد عمارة: **المرجع السابق**، ص:111.

[2]_ أبو الخير: **المصدر السابق**، ص: 109.

[3]_الفرسطائي: **المصدر السابق**، 4/274_276.

[4]_سراج الدين عمر بن الوردي: **منافع النبات والثمار والبقول والفواكه، والخضروات والرياحين**، تحقيق وتعليق: محمد سيد الرفاعي، دار الكتاب العربي، دمشق، (د_ت)، ص:21.

[5]_ نوال بلمدني: **النحل وإنتاج العسل ببلاد المغرب الأوسط**، ص: 192.

[6]_**نفس المرجع** والصفحة.

[7]_مارمول: **المصدر السابق**، 78/2.

[8]_العقباني: **تحفة الناظر وغنية الذاكر**، ص ص: 121_122.

واحد، ومنهم من يجعل الكتان والقطن جنسا واحدا[1]، ويتولى الشركاء جني غلة الأشجار كل وسهمه أو من ينوب عنه أو إعطائه ثمن ذلك[2].

لكن لا تجوز قسمة الغلة على الأشجار إذا لم تدرك، إلاّ إن اقتسموها على أن ينزعوها من حينهم، فإن اقتسموها قبل أن تدرك على أن ينتزعوها فإنهم يجعلون لها القيمة، فإن تركوها على الأشجار بعد القسمة حتى زادت فقد انفسخت قسمتهم، ومن العلماء من يقول بجواز قسمتها على الأشجار[3]، وأكّد فقهاء المالكية على عدم جواز قسمة الثمار في رؤوس الشجر بالخرص[4].

جني الزيتون: تشير مصادر الفترة للطريقة التي يجني بها الفلاحين هذا المحصول؛ حيث يتسلقون الأشجار وفي أيديهم عصي طويلة جدا يضربون بها الأغصان ليسقط الثمر وهم يعرفون أن ذلك مضر بالأشجار فيتسببون في إتلاف البراعم وعدد كثير من الجذوع الصغيرة وإفسادها ثم إنه يحدث لزيتون إفريقيا الشمالية إذ يكثر في سنة ويقل في أخرى حتى لاترى ولو زيتونة واحدة[5].

وتنصح كتب الفلاحة بتجنب نفض حب الزيتون في يوم المطر فإن ذلك يضر بشجره، ووقت نفض ما غرس منه في الجبل هو شهر جانفي، ولا سيما كثير الحمل، وينفض ماغرس منه في السهل ولا سيما في أرض الزرع إذا احمّر حبه، ولا يُترك حتى يسوّد ويتناهى نضجه[6].

ونتيجة لحالة اللاأمن التي ابتلي بها معظم سكان الأرياف، نتيجة غصب وعيث الأعراب، الأمر الذي يدفعهم إلى استئجار الفلاحين لجمع الزيتون قبل طيبه بثلثه، وكذا الإستئجار على حصاد الزرع، ولو وجدوا العافية لقاموا بهذه الأعمال بأنفسهم، مما كان يؤثر سلبا على المحاصيل ومستواهم المعيشي، نتيجة لشيوع الفقر والفاقة[7].

*خرص الزيتون: أكدّت المصادر الفقهية بأن الزيتون لا يخرص ويؤمن عليه أهله كما يؤمنون على الحب، فإذا بلغ ما رفعوا منه خمسة أوسق لكل إنسان منهم، أخذ من زيته فإن كان زيتونا لا يكون فيه زيت ففي ثمنه على حساب ما فُسّر في النخل والكرم[8]، وحول قضية خرص الزيتون بأرياف المغرب

---

[1]_الفرسطائي: **المصدر السابق**، ص ص:75_76.

[2]_**نفسه**، 613/8.

[3]_**نفسه**، ص:86.

[4]_فتوى ابن مرزوق، المازوني: **المصدر السابق**، ورقة 31و.

[5] _ مارمول، **المصدر السابق**، 30/1، 78/2.

[6]_البعلبكي: **المصدر السابق**، ص:317، ابن حجاج: **المصدر السابق**، ص:54، ابن العوام: **المصدر السابق**، 103/2.

[7]_المازري: **المصدر السابق**، ص:109.

[8]_سحنون: **المصدر السابق**، 379/1.

الأوسط[1] فقد اختلفت الفتاوى فيه ضمن ثلاث أقوال[2]، لكن السيوري لم يجز تخريصه، لكن إذا انتهى إلى غاية أمره فإن كان فيه خمسة أوسق أخذ منه[3].

جني التمور: يتم جني التمور في أكتوبر[4]، وبشأن التخريص في التمر فإنه يُقدر مع اليبس[5]، وكان يتم حفظ هذه الفاكهة في كيس يسمى بلغة أهل المغرب "**الزنبيل**"[6].

ومن الأهمية بمكان الإشارة إلى أنّ فلاحي المغرب الأوسط قد استعانوا بأجراء للقط الزيتون[7] والكروم[8]، وأيضا لخرص الزرع والزيتون والتمر[9].

3_حماية المزارع والبساتين: حرصا من سكان الريف على حماية محاصيلهم ومستغلاتهم فقد استخدموا عدة وسائل مثل حيازة الأراضي بالحجارة وتحديدها، وغراسة الأشجار وإحاطتها بكامل المزرعة أو الجنان بأشجار الفواكه[10]، ربحا للمساحة بمزيد من المحاصيل من جهة إلى جانب تحديد مجال التملك من جهة ثانية.

وتنصح كتب الفلاحة باتخاذ أنواع عديدة من الأشجار غير المثمرة في البساتين التي تعطي قيمة جمالية للبستان من جهة، إلى جانب حماية المزارع والبساتين من مختلف الآفات من جهة ثانية، حيث أوضحت أوقات غرسها والأراضي الملائمة لها وكيفية اتخاذها في البساتين، ومن تلك الأشجار نجد: القسطل (الشاهبلوط)، والبلوط[11]، والصنوبر خاصة النوع المعروف بالأرز[12].

ولتحصين الكروم والجنات يُنصح بغراسة العليق والورد الجبلي وكذا شجر العوسج[13]، ويوصي ابن حجاج بغرس الشجر الطويل وجعله كحوائط للبستان لتحميه من كل الجوانب، ويذكر أن أفضل الأشجار المخصصة لهذا الغرض هو شجر الدلب، والصفصاف والجوز والبندق وما أشبه ذلك، وتفيد هذه الأشجار التي تدعى بمصدات الرياح في حماية البستان من هبوب الرياح[14].

---

[1]_فتوى اللخمي، البرزلي، **المصدر السابق**، 548/1.

[2]_فتوى ابن رشد، البرزلي، **المصدر نفسه، ص:551**.

[3]_ **نفسه**، ص:552.

[4]_الوزان: **المصدر السابق**، 80/1، مارمول: **المصدر نفسه**، 31/1.

[5]_فتوى السيوري(ق5هـ)، البرزلي، **المصدر السابق**، 552/1.

[6]_الوسياني: **المصدر السابق**، 356/1، الشماخي: **المصدر السابق**، 130/2.

[7]_فتوى المازري(ق5هـ)، الونشريسي، **المصدر السابق**، 223/8.

[8]_فتوى أصبغ، الونشريسي، **المصدر نفسه**، ص:177.

[9]_فتوى ابن رشد(ق6هـ)، البرزلي: **المصدر السابق**، 551/1_552.

[10]_فتوى أبو الربيع سليمان بن الربيع بن إبراهيم الونشريسي، الونشريسي، **المصدر السابق**، 130/5_131.

[11]_ابن العوام: **المصدر السابق**،129/2_139.

[12]_ابن حجاج: **المصدر السابق**، ص:35، ابن العوام: **المصدر السابق**، ص ص:203_206.

[13]_ابن العوام: **المصدر نفسه**، ص:473.

[14]_مروان السبع: **المرجع السابق**، ص ص: 98_99.

يتم تحديد مجالات البساتين من قبل الفلاحين أيضا بالخط والجسر المتصل والحائط والزروب*، والممصل[1]، وأحيانا يتم تحديد مجال الملك لهذا العقار أو ذاك بحفر خندق كحد بين المجالين[2]، بالإضافة إلى إحاطة الحقول بالحيطان[3]، وبناء السور على الجنات وفي حال تهدمه فإن على الشركاء التعاون في إصلاح ما انثلم من السور، لكن قيمة الإصلاح تكون بحسب المنفعة ذلك أن إعانة البعيد تكون مواساة وليست كإصلاح القريب[4]، بل يُجبر من يأبى الإصلاح إذا كان في تشييده رفع الضرر[5].

وإن اختلف في مقدار الحائط فإنهم يبنون على قدر قامة الرجل الأوسط، ويكون الزرب في تلك القامة مما يمنع من أراد الدخول إلى ذلك الجنان من الحجارة وغيرها، ومنهم من يقول أن البناء يكون على قدر ما يمنع الأذى عنه وكذلك الزرب[6]، وفي حال إحداث الأشجار أو الحيطان ضررا للجار فمن حق هذا الأخير إزالة الضرر عنه ويجبر صاحبها على ذلك[7].

والواضح أنّ أغلب الأملاك المستغلة من قبل فلاحي المغرب الأوسط لم تكن محاطة، أو تم تحديدها بواسطة سياجات من أشجار أو زرب أو حيطان طابية، ممّا يتسبب في حدوث منازعات بين المزارعين[8]، فقد كانت الأملاك الزراعية للسكان تتعرض للتخريب من قبل حيوانات الغير أو الجيران[9]، بل لم تسلم حتى مستغلات الفقهاء من أعمال السرقة واللصوصية[10].

ولجأ معظم المزارعين إلى حراسة المزارع من أجل تأمينها أو استئجار حراس لحرز الزرع والزيتون والكروم والأنذر[11]، وأكّد الفقهاء أنه في حال ما اتفق الجيران على الاستئجار على من يحرز زرعهم من طير أو خنازير أو غير ذلك ويأبى بعضهم، فيجبر الآبي على ذلك[12].

وأحيانا يلجأ الفلاحون إلى تكليف من يتولى حراسة المزروعات من بداية الربيع إلى نهاية جمع المحصول مقابل أجرة محددة أو نسبة معينة من المحصول[1]، وتحدد فترة الحراسة في عقد الإستئجار بدقة وتكون

(*) الزروب حسب العرف هو ما يتخذ من الفروع والأغصان الشائكة سياجا على الحقول وشبهها، وغالبا ما تكون على الحدود الفاصلة. أنظر: الفرسطائي: **المصدر السابق**، ص:83.

[1] _**نفسه**، ص:82، 255/4.

[2] _فتوى إبراهيم بن عبد الله اليزناسني(ق8هـ)، الونشريسي، **المصدر السابق**، 143/5.

[3] –Richard Lawless : **L'évolution du peuplement de l'habitat**, p.460.

[4] _فتوى اللخمي، الونشريسي، **المصدر السابق**، 351/5، الفرسطائي: **المصدر السابق**، 251/4.

[5] _فتوى عبد الحميد الصايغ(ق5)، وفتوى اللخمي، الونشريسي: **المصدر السابق**، 67/9.

[6] _الفرسطائي: **المصدر السابق**، 251/4_252.

[7] _نفسه، 495/7.

[8] _ فتحة: **المرجع السابق**، ص:340.

[9] _الدرجيني: **المصدر السابق**، 368/2، ابن مريم: **المصدر السابق**، ص:372.

[10] _يحي بن خلدون: **المصدر السابق**، 130/1.

[11] _فتوى ابن أبي زيد (ق4هـ)، البرزلي، **المصدر السابق**، 556/3، فتوى الصائغ(ق5هـ)، **المصدر نفسه**، 550/1، الونشريسي، **المصدر السابق**، 225/8.

[12] _فتوى الصائغ(ق5هـ)، الونشريسي، **المصدر السابق**، 351/5، فتوى أبو بكر بن مغيث، الونشريسي، **المصدر السابق**، 266/8.

أحيانا بالشهور فيذكر أول يوم منها وآخره[2]، وقد تحدد بمراحل نمو النبات فتبدأ بالزرع بعد نباته وفي الزيتون بعد أن ينوّر[3]، وتنطلق حراسة الزرع من الطيور إذا كبر وأسبل وأثمر[4]، وتنتهي غالبا بانتهاء عملية جني المحصول[5].

وحول دفع الأجرة الكاملة لحارس الزرع، فإنها لا تجوز لأن الزرع ربما تلف بالصر وغيره فتنفسخ الإجارة إذ لا يمكن فيه الخلف، فهو إن سلم كانت إجارة وإن لم يسلم كان سلفا[6]، وفي حالة ما إذا أجلس حارس الزرع أو الزيتون شخصا غيره، وتعرض المحصول للفساد فعلى الحارس الأول الضمان مطلقا إلاّ أن يكون قد استخلفه لضرورة[7].

ورغم اهتمام كتب الفلاحة بالأدوية والتقنيات الخاصة بصرف الآفة عن الشجر والمحاصيل[8]، إلاّ أنّ مصادر الفترة تبخل علينا بالمعلومات حول هذا الجانب، رغم أهمية هذه العملية لضمان محصول جيد وخالي من الجوائح والأمراض.

لقد بلغ سكان أرياف المغرب الأوسط درجة كبيرة من الوعي بأن عرفوا نظام الضمان أو التعويض في حال تعرض مزارعهم للأضرار التي قد تلحق بمزارعهم وزروعهم[9]، كما أنّ المذهب المالكي لا يرى بأسا في اتخاذ كلب الزرع أو الضرع أو الصيد أو الحرس[10]، لذلك فقد أجاز الفقهاء اتخاذ الكلب لحراسة الماشية[11] وموضع الزرع والجنات في البادية[12].

4_أدوات العمل الفلاحي:

تعتبر أدوات العمل الفلاحي ذات أهمية كبيرة لذلك شددت كتب الفلاحة على أنه ينبغي "**أن يكون في القرى حدادون وفخارنيون ونجارون ليصلحوا ما يحتاج الفلاحون إلى إصلاحه، وذلك أن ذهاب الأكرة إلى المدن في استعمال ما يحتاجون إليه من الآلات أو شرائه ليس بجيد للضيعة، وذلك أنهم يبطلون عن العمل...**"[13].

---

[1] _البرزلي: **المصدر السابق**، 556/3، الونشريسي، **المصدر السابق**، 225/8.

[2] _ المراكشي: **وثائق المرابطين والموحدين**، ص ص: 493_494.

[3] _ فتوى ابن أبي زيد (ق4هـ)، الونشريسي، **المصدر السابق**، 225/8.

[4] _ موسى هواري: **المرجع السابق**، ص:114.

[5] _ فتوى ابن أبي زيد، الونشريسي، **المصدر السابق**، 229/8، المراكشي: **المصدر السابق**، ص:493.

[6] _فتوى ابن الهندي، الونشريسي، **المصدر السابق**، 262/8.

[7] _فتوى ابن أبي زيد (ق4هـ)، الونشريسي، **المصدر نفسه**، ص ص:283_284.

[8] _البعلبكي: **المصدر السابق**، ص:263، 265_268، ابن حجاج: **المصدر السابق**، ص ص:24_25، ابن بصال: **المصدر السابق**، ص:173، ابن العوام: **المصدر السابق**، 449/3_482، 253/4_255.

[9] _الفرسطائي:**المصدر السابق**، 300/5، الونشريسي: **المصدر السابق**، 228/7،227.

[10] _مالك بن أنس: **الموطأ**، رواية محمد بن الحسن الشيباني، ص:290.

[11] _فتوى عبد الرحمن الواغليسي(ق8هـ)، الونشريسي، **المصدر السابق**، 7/2.

[12] _فتوى أبو محمد عبد الحميد الصايغ (ق5هـ)، الونشريسي، **المصدر نفسه**، 300/11.

[13] _ابن وحشية: **الفلاحة النبطية**، ج1، ق206/1.

والآلات التي يتم بواسطتها قلب الأرض وإثارتها للزراعة ببلاد المغرب كثيرة ومتعددة[1]، والواضح أن أن استخدامها مرتبط أساسا بوفرة المواد الأولية الخاصة بصناعتها، فلكثرة الحديد بجبل بني بوسعيد يصنع السكان العديد منها كالمجارف والفؤوس والمناجل[2]، بالإضافة إلى نوعية التربة؛ فلثقل المحراث مثلا مثلا فإن استخدامه لا يصلح بالمناطق الصحراوية، فيستخدم سكان الواحات أدوات أخف وأسهل كالفؤوس والمساحي والعتلات[3]، والمعاول خاصة بواحات توات وتيدكلت[4]، وعموما يمكن حصر أهم تلك الأدوات في:

المحراث الخشبي: من الأدوات المهمة في العملية الزراعية والأكثر شهرة وانتشارا بأرياف المغرب الأوسط الشمالية والجنوبية[5]، وهذه الأداة أصيلة بالبلاد منذ القدم حيث اشتهر باسم المحراث البربري، وهو مصنوع مصنوع في الغالب من الخشب ووزنه خفيف نوعا ما[6]، ويتكون من أداة خشبية وأخرى من حديد وهي السكة[7]، ولا تتعمق هذه السكة في الأرض كثيرا بسبب خفة وزن المحراث، وفي هذه الحالة لا يتعمق المحراث إلى أكثر من 8_10سم[8].

وإلى جانب المحراث احتاج المزارع إلى ما يسمى بالأداة (أداة المحراث) أو الماعون، وتتكون من عناصر عدة من بينها: المضمد على الزوج، والقرن بالحبال والرسن والقتب والشكال[9].

كما استعان فلاحي المغرب الأوسط أيضا بالمحراث الخشبي الذي يجرّه الثور أو زوج من البقر[10] أو أربعة أزواج[11]، وهذا المحراث لا يزال يستخدم لدى الكثير من الفلاحين بأرياف المغرب العربي، خصوصا في الجبال والقرى المنعزلة ذات الملكيات الزراعية الصغيرة[12].

وإذا كان استخدام المحراث في الغالب يتم بزوج من الحيوانات؛ فإن خصوصية كل منطقة تفرض استخدام أعدادا بل أنواعا محددة من الحيوانات، ففي المناطق الصحراوية والقريبة من الصحراء فإن حيوانا واحدا أو بقرة تفي بالغرض، ويفضل السكان الريفيين استخدام زوج الثيران في عمليات الحرث[13]،

---

[1]_موسى هواري: **المرجع السابق**، ص: 75.

[2]_الوزان: **المصدر السابق**، 344/1.

[3]_النميري: **المصدر السابق**، ص:445.

[4]–Emile Laoust : **Mots et choses berbéres, notes de linguistique et d'ethnoghraphie, dialecte du Maroc,** Augustin challamel, Editeur, Paris, 1920, p.275.

[5]_الفرسطائي: **المصدر السابق**، 397/6، 406، 445.

[6]–Emile Laoust : op.cit, p.290.

[7]_محمد حسن: **أصناف الإنتاج الزراعي بإفريقية**، ص:268.

[8]_مروان السبع: **المرجع السابق**، ص:103.

[9]_محمد حسن: **المرجع السابق**، الصفحة نفسها.

[10]_فتوى ابن لبابة(ق4هـ)، الونشريسي، **المصدر السابق**، 109/8، أنظر أيضا: موسى هواري: **المرجع السابق**، ص:77.

[11]_فتوى ابن لبابة، الونشريسي، **المصدر السابق**، 190/6.

[12]_مروان السبع: **المرجع السابق**، الصفحة نفسها.

[13]–Laoust : op.cit, p.290.

وتستعمل أيضا كلاّ من الحمير والبغال والأحصنة كما هو حال منطقة الأوراس[1]، وكذا الجمال ببعض المناطق الصحراوية[2].

والواضح أنّ سكان الشمال الإفريقي قد استخدموا أنواعا عدة من المحاريث[3]، لكن الأكثر شهرة هو المحراث الثقيل الذي انتشر خاصة في المغرب الأقصى والشمال الشرقي الجزائري وتونس الداخلية[4]، ويتم ويتم الجرّ عن طريق ربط عنق الحيوانات بالسحب أو الجرّ[5]، وتربط هذه الأداة في أعناق الإناث من البقر، أما الذكور فيربط في رؤوسها[6]، ويلجأ الفلاحون الفقراء إلى كراء المحراث وآخرون إلى استئجار الحارث[7]، أو من يبذر البذر[8].

الفأس: تستعمل الفأس ذات الرأس الحاد أحيانا عوضا عن المحراث في قلب الأرض، كما يُعوّل عليها أيضا في النكش حول النباتات المزروعة والأشجار المثمرة[9]، وهي معروفة في أعمال البستنة منذ القديم[10].

واستعمال الفأس من قبل الفلاحين فرضته عوامل عديدة: مثل طبيعة الأرض، فبعض أنواعها لا يمكن إثارتها إلاّ بالفأس مثل الأرض الحجرية أو الجبلية أو الدسمة الثقيلة، وتتحكم مساحة الحقل في نوع الآلة حيث يصبح المحراث في المساحات الواسعة الكبيرة ضروريا، بينما يكتفي الفلاح بالفأس في البساتين الصغيرة[11]، أما في الصحراء فكان الاعتماد على الفؤوس أكثر[12] وهذا راجع إلى صغر الحقول مع وجود الأشجار وقنوات السقي والسياجات، وهذه كلها لا تساعد على استعمال المحراث[13].

والواضح أنّ حالة الفقر التي كان يعيشها أغلب فلاحي الفترة كانت تدفع بهم لاستعمال الفأس، لأن امتلاك المحراث والدواب من نصيب الميسورين فقط، وليس كل الناس يملك زوجا ومحراثا[14]، وكان يتم الحرث أيضا بالسكك المبسوطة الأطراف والقادوم[15].

---

[1]–Jean Despois: **La culture en terrace dans l'afrique du nord**, p.47.

[2]–Laoust: op.cit, p.290.

[3]–Despois: op.cit, p.47.

[4]_محمد حسن: **الريف المغربي**، ص:105، **القبائل والأرياف المغربية**، ص: 46.

[5]_بيار جورج: **المرجع السابق**، ص:296.

[6]_فتوى بعض الشيوخ، الونشريسي، **المصدر السابق**، 55/6.

[7]_الفرسطائي: **المصدر السابق**، 398/6، 401.

[8]_**نفسه**، ص:398.

[9]_ ابن مريم: **المصدر السابق**، ص:145، مروان السبع: **المرجع السابق**، ص:103_104.

[10]_ موسى هواري: **المرجع السابق**، ص:84، Laoust, op.cit, p.275.

[11]_موسى هواري: **المرجع السابق**، ص ص:84_85.

[12]–Laoust, op.cit, p.275.

[13]_ موسى هواري: **المرجع السابق**، الصفحة نفسها.

[14]_**نفس المرجع** والصفحة.

[15]_**نفسه**، ص:55.

الكراشة(الكركارة): تصنع من الحديد وتربط إلى البغل أو الثور، ولها أسنان تعمل على جعل التربة صالحة للزرع[1]، وهي من الأدوات التي استخدمها فلاحي المغرب الأوسط[2].

الشريط: يستعمل لتخطيط التربة، ويصنع من الحديد ويربط إلى البغل أو الثور[3].

المجرفة(الجاروف): لا تزال تستعمل حتى الآن وهي عبارة عن قطعة حديد عريضة تستعمل لقلب التراب بدلا من المحراث، كما تستعمل أيضا لغريق القنوات والمصارف من الأعشاب والنباتات الضارة، وتستخدم أيضا لتسوية التربة وتعديلها إذا كانت غير مستوية[4].

المنجل: هو قطعة حديدية هلالية الشكل تتصل بها يد خشبية وقد تكون هذه الحديدة مسننة أو دون تسنين، وتستعمل هذه الأداة في عملية الحصاد[5] والقطاف في الحيازات الزراعية الصغيرة، ويستخدم أيضا أيضا في قطع أغصان الشجر الطرية إلى جانب المنشار، والمنجل من أكثر الأدوات الزراعية رواجا في كل الأرياف العربية[6]، فهو الوسيلة الأساسية وربّما الوحيدة للحصاد، وهذه الآلة كانت معروفة ببلاد المغرب منذ العصور القديمة[7].

المذراة: تصنع من الحديد ويكون ذراعها من الخشب، تستعمل في الدرس وتصفية المحصول[8]، عن طريق طريق التذرية[9]، وتتألف أيضا من عمود خشبي طويل يصل إلى المترين يتصل بطرفه السفلي عدة أصابع أصابع من الخشب مصفوفة طوليا على شكل شوكة الطعام، حيث تستعمل أثناء عملية الدراس ليعم الدرس كافة أطراف السنابل الملقاة على البيدر[10].

المنشار: هو حديدة طويلة حوالي نصف متر، مسننة بأسنان حادة ولها مقبض خشبي، ويستعمل أساسا لقطع الأغصان اليابسة كما يقوم بنشر الأشجار[11].

درّاس الحبوب: تجرى عملية الدراس بواسطة لوح من الخشب طوله حوالي المترين وعرضه أقل من ذلك ويثبت في أسفله حجارة صغيرة غير مهذبة كثيرة النتوءات لتساعد في تقطيع السنابل أو سيقان المحاصيل

---

[1] _ محمد حناوي: **الأدوات الفلاحية الأندلسية من خلال المصادر، كتب الفلاحة نموذجا**، مجلة الاجتهاد، ابيروت، لعدد 34و35، 1997م، بيروت، ص: 103.

[2] _جودت عبد الكريم: **المرجع السابق**، ص: 22.

[3] _ محمد حناوي: **المرجع السابق**، الصفحة نفسها.

[4] _ جودت عبد الكريم: **المرجع السابق**، الصفحة نفسها، مروان السبع: **المرجع السابق**، ص:104.

[5] _ جودت عبد الكريم: **المرجع السابق**، الصفحة نفسها، حناوي محمد: **المرجع السابق**، ص:103، مروان السبع: **المرجع السابق**، ص:105.

[6] _مروان السبع: **المرجع السابق**، ص:104.

[7] _ برنشفيك: **المرجع السابق**، 214/2، موسى هواري: **المرجع السابق**، ص:189.

[8] _ محمد حناوي: **المرجع السابق**، ص:103.

[9] _ ابن عذاري: **المصدر السابق**، 165/1.

[10] _ برنشفيك: **المرجع السابق**، ص:215، مروان السبع: **المرجع السابق**، ص:106.

[11] _مروان السبع: **المرجع نفسه** ص:105.

المراد درسها، ويجر هذا اللوح بغل أو حصان أو زوج من الثيران حيث تدور الدابة فوق سنابل الحبوب الملقاة على البيدر بشكل دائرة ويستمر الدوران حتى يقرر الفلاح نهاية عملية الدراس[1].

وتقطع السنابل الطويلة التي تترك كمية من التبن الصالح لرعي الماشية، ثم تدرس بواسطة حوافر الدواب بالنسبة إلى منطقة قسنطينة والجنوب الشرقي من إفريقية، أما أغلبية البلاد التونسية وكذلك منطقة تبسة فهي تستعمل درّاسة مجرورة بالحيوان ومجهّزة بأحجار قاطعة وشفرات حديدية تعرف باسم "الجاروشة"[2].

وقد تستخدم العصا لدق الحبوب المراد درسها وهي ذات سماكة 10سم، ولا تمارس هذه العملية إلاّ إذا كانت كمية الحبوب قليلة[3]، والغربال لتصفية الحبوب من الأوساخ والتراب بعد التذرية[4].

يتضح مما تقدم أن غالبية الأدوات الزراعية كانت تصنع من الخشب والحديد ويتم تصنيعها محليا وبالنظر إلى الأسس المادية للإنتاج خلال هذه الفترة، نلمح غياب تطورات واضحة في مجال أدوات العمل الفلاحي، مما انعكس سلبا على مردودية المحاصيل، وبالتالي على التطور الاقتصادي داخل مجتمعات تلك الفترة[5].

5_أسلوب عمل الفلاحين:

لمّا كان الفلاح هو أساس العملية الإنتاجية فقد حرصت كتب الفلاحة على الشروط الواجب توفرها في هؤلاء، و"**ليكن الفلاحون أحداثا وشبانا فإنهم أقوى على الأعمال وأنشط وأبعد من الكسل، ويكون صحيح البدن خالي من الآفات والأمراض**"[6]، ويحتاج في الفلاح أن يكون "**مقدما في الفلاحة فطنا ذكيا ويقظا، قائما بأصول الصنعة عارفا بأسبابها واقفا على غرائبها مميزا بعناصرها ومجرياتها، محيطا بمعرفة عللها، حتى أنه متى بطلت له شجرة أو اعتلت له فيها ثمرة عرف تلك العلة ومعالجتها، ومتى دخلت الآفة عليها...**"[7].

تشير المصادر إلى أنّ مهنة الفلاحة لم تقتصر على فئة الشباب فقط، إذ أشار الوزان إلى أنّ الأطفال الذين بلغوا سن الثانية عشر في صحراء نوميديا، كانوا يقلبون الأرض لمساعدة آبائهم[8]، في حين حين كان سكان بعض الجبال يحرثون الأرض وقد بلغوا سن الثمانين أو جاوزوها[9].

---

[1]_**نفس المرجع** والصفحة.

[2]_ برنشفيك: **المرجع السابق**، ص:214.

[3]_ **نفسه**، ص:215، مروان السبع: **المرجع السابق**، ص ص:105_106.

[4]_مروان السبع: **المرجع نفسه**، ص:106.

[5]_ فتحة: **المرجع السابق**، ص: 397.

[6]_ابن وحشية: **الفلاحة النبطية**، ج1، ق194/1، أنظر أيضا: ابن حجاج: **المصدر السابق**، ص:9، ابن العوام: **المصدر السابق**، 249/3.

[7]_أبو الخير: **المصدر السابق**، ص:144.

[8]_ الوزان: **المصدر السابق**، 116/2.

[9]_ نفسه، 82/1.

ولا يختلف عمال الحصاد عن غيرهم من المشتغلين بالزراعة في بلاد المغرب، فهم إما أصحاب الأراضي يحصدون بأنفسهم، أو مستأجرون أو عمال يتشاركون مع أصحاب الأراضي بعملهم في إطار نظامي الخماسة والمزارعة[1]، ويمكن تصنيف الفلاحين بالمغرب الأوسط خلال هذه الفترة إلى:

أ_كبار المُلاك: شهدت أرياف الفترة مُلاّكا فاحشي الثراء الذين يملكون مساحات شاسعة من الرباع والفدادين والجنات[2]، بل هناك من يملك ضياعا بالبادية ويقيم بالمدينة[3]، ومن هذه الفئة من غادر العمل الفلاحي إلى الميدان التجاري، أو أنّ بعض كبار التجار في المدن قد استثمروا أموالهم في المجالات الزراعية لأنها تمثل موردا مضمونا[4]، فيقومون بتعين وكلاء[5]، لتسيير شؤون ضياعهم ومزارعهم من خلال خلال ممارسة النشاط الزراعي والبستني في إطار عقود المزارعة والمغارسة،....إلخ.

ومن الأعمال المنوطة لهؤلاء الوكلاء نجد تنظيم العمل اليومي والإشراف عليه وتهيئة البذور والأدوات واستقدام عمال زراعين إضافيين بالأجرة عند الضرورة، ومراقبة منشآت الري وتزويد الأكرة بالبذور والمساعدات المالية وتقديم وجبات الطعام للأكرة والأجراء[6].

وهناك من الملاك من يتخذ من ممتلكاته المتنفس للاستجمام والراحة خلال فصل الصيف فبخارج تلمسان ممتلكات هائلة فيها دور جميل للغاية ينعم المدنيون بسكناها في الصيف حيث الكروم المعروشة التي تنتج أعنابا من كل لون والفواكه الكثيرة والمتنوعة (كرز، تين، خوخ، لوز، بطيخ، خيار،...إلخ[7].

ب_صغار المُلاّك: هم الذين امتلكوا مساحات محدودة وصغيرة من الأراضي وعملوا بها بأنفسهم[8]، وكانوا يتعاونون على أعمال الزراعة من حرث وبذر وحصاد[9]، إلى جانب استعارتهم لأدوات الحرث والدرس[10].

وهذه الفئة كانت تشكل الشريحة الأكبر من سكان المغرب الأوسط[11] بدليل عقود الشركة فيما بينهم من خلال عقود المغارسة والمزارعة والمساقاة وحتى الكراء، وكانت هذه الاجراءات موثقة ضمن عقود ووثائق شرعية وهو دليل على بلوغ الفلاحين درجة كبيرة من الوعي في المعاملات فيما بينهم[12]، لكن ذلك

---

[1] _ موسى هواري: **المرجع السابق**، ص: 193.

[2] _فتى سعيد العقباني (ق9هـ)، المازوني: **المصدر السابق**، 68/2و، أنظر أيضا: فتوى أحمد بن عيسى، **المصدر نفسه**، ورقة 72ظ، 154/1و.

[3] _فتوى أبا الفضل العقباني، **المصدر نفسه**، 70/2ظ.

[4] _جودت عبد الكريم: **المرجع السابق**، ص:19.

[5] _الغبريني: **الدراية**، ص، ص:136، 170.

[6] _جودت: **المرجع السابق**، ص:20.

[7] _الوزان: **المصدر السابق**، 20/2.

[8] _أبو المعاطي: **المرجع السابق**، 698/2.

[9] _**أنظر ص: 216_220، 224_226 من عنصر التقنيات الزراعية ضمن هذا الفصل.**

[10] _الونشريسي: **المصدر السابق**، 108/9_109.

[11] _**أنظر ص ص: 101_111 من عنصر الإستقرار القبلي ضمن الفصل الأول.**

[12] _**أنظر أشكال استغلال الأرض ضمن العناصر السابقة.**

لم ينف وجود تجاوزات في هذه العقود إذ كثيرا ما كانت تحدث خلافات بين الفلاحين، فهناك من تعدى على أرض غيره فحرثها ببذره[1]، وهناك من حرثها ببذر رجل آخر[2]، بالإضافة إلى غصب الأراضي[3].

جـ_الفلاحون المستأجرون:

هم الفلاحون الذين يستأجرون أراضي غيرهم مع تحديد فترة الاستغلال، مقابل أجرة يتم الاتفاق بشأن أوان أدائها وطبيعتها، كأن تكون نقدا أو جزءا من البضاعة أو المحصول بعد الانتهاء من العمل، ولمّا كان المال قليل التداول في المعاملات بالبادية فأغلب النوازل المتوفرة تثير مسألة القيام بعمل لقاء جزء من المحصول، وفي أغلب الأحيان كان نصيب الفلاح هو الخمس مما أدى إلى ظهور نمط جديد من العلاقات الإنتاجية وهو نظام الخماسة[4].

د_العبيد: عرفت الفترة الأغلبية والفاطمية[5] وجود عبيد في المزارع، وظلت هذه الطبقة منتشرة بكثرة بالواحات الصحراوية، إذ أشارت المصادر للشروط الخاصة باستئجارهم والأعمال المنوطة إليهم وفترة قيامهم بالأعمال الفلاحية[6]، لذلك فإنني أتساءل عن وجود هؤلاء في مزارع المغرب الأوسط خلال الفترة قيد الدراسة؟

يبدو أن العبيد في بيئات المغرب الثلاث كان كبيرا وعناصرهم متعددة، ومهنهم متنوعة ووضعهم الاجتماعي متفاوتا[7]، ورغم إشارة الغبريني[8] إلى أنّ "**بجاية كانت مركزا لتجارة العبيد**"، إلاّ أنّ المصادر التي عدت إليها لم تبين لي تصيير هؤلاء للعمل في النشاط الفلاحي بأرياف المغرب الأوسط طيلة النصف الثاني من العصر الوسيط.

والواضح أنّ كبار المُلاّك كانوا يستخدمون فئة العبيد في العمل الفلاحي إذ تشير إحدى فتاوى الدرر لقوم "**كانت لهم حوائط كثيرة يخرج عبيد لهم يأتون بثمار منها**"[9].

هـ_الفلاحون الأجراء: يشتغل هذا الصنف من الفلاحين مقابل أجرة للحرث أو البذر أو التنظيف والتزبيل والقطف والحصاد، بالإضافة إلى أعمال الغرس، ومن هذا النوع من الفلاحين هناك:

هـ1_الفلاحون الأجراء باليومية: يحدد لكل أجير يوما معلوما ووقت معلوم حتى لا يحدث الخلاف، ويقومون بنفس الأعمال السابقة، وهناك الحمّالون الذي يحملون الزرع إلى الأسواق[10].

---

[1] _الفرسطائي: **المصدر السابق**، 293/5.

[2] _**نفسه**، ص:297.

[3] _**نفسه**، ص:300.

[4] _محمد فتحة: **المرجع السابق**، ص ص:275_278.

[5] _جودت عبد الكريم: المرجع السابق، ص:21.

[6] _الفرسطائي: **المصدر السابق**، 441/6.

[7] _ عز الدين أحمد موسى: **المرجع السابق**، ص،ص: 115، 119.

[8] _**المصدر السابق**، ص:45.

[9] _فتوى عبد الرحمن الواغليسي، المازوني: **المصدر السابق**، 131/2و.

[10] _أبو المعاطي: **المرجع السابق**، 700/2.

هـ2_الفلاحون الموسميون: هذا النوع من الفلاحين ينتقل حسب ظروف الزراعة ومواسمها ومن هؤلاء تلك القبائل التي كانت تقوم بأعمال فلاحية إلى جانب الترحال، أين تضطر إلى ترك بعض أفراد القبيلة لحماية مزروعاتها إلى حين عودتها من ظعنها مثل القبائل المنتشرة بين تاهرت والمسيلة[1]، وبعض فروع قبيلة لواتة النازلين ببسيط تاكرارت من أعمالها ويعتمرونها فدنا لمزارعهم ومسارح لأنعامهم[2].

وعمد كثير من أصحاب الحقول وملاّك الزرع إلى استئجار الحصادين ويكون الأجراء غالبا من الفقراء الذين لا أرض لهم، أو من الزهّاد الذين آثروا الكسب من أيديهم[3]، لكن الاستئجار على الحصاد لم لم يكن أمرا محببا عند جميع الفلاحين، بل كان بعضهم يكرهه ويعتبره مفسدة عظيمة، لأن معظم العمال لا يهمهم إلاّ أجرة يومهم فلا يحرصون على جمع السنابل ولا يبالون بما يسقط منها، لهذا كان كثير من سكان بلاد المغرب يفضلون الخمّاس لكونه شريكا[4].

وفي المقابل وكي لا يُهدر جهد هؤلاء الفلاحين، فقد شدّد المحتسبون في ذلك بأن حددوا له زمن العمل حيث يحدّ لخدمة المستأجرين بالنهار من بزوغ الشمس إلى قدر نصف ما بين العصر والمغرب[5].

و_الحراثين (الحراطين): هم مزيج من السكان الأصليين والعبيد القدماء، ومهنتهم الحرث أي الأعمال الزراعية وقد بقيت هذه الطبقة تسود في كثير من واحات المجتمعات الصحراوية حتى أوائل القرن الـ 20م[6].

ورغم صعوبة الجزم في أصل هؤلاء ووضعهم الاجتماعي، إلاّ أنّ هذه الفئة كانت مقترنة بالأعمال الزراعية بالمنطقة، فمن الأعمال التي يقوم بها الحرطاني هي قلب الأرض (الحرث)[7]، بالإضافة بالإضافة إلى السقي والتسميد، والحصاد والدرس، بل إنّ الحرطاني ملزم بإيصال الحبوب والتبن إلى بيت سيده أو شريكه وترتيبه في أماكن التخزين[8].

والواضح أن التراتبية في طبقات الفلاحين تكون واضحة إلى حد كبير لدى مجتمع الواحات أين يكون أغلب الملاك للأراضي يشكلون طبقة نبيلة أمام الحرّاث والعبد؛ اللذين يشكلان طبقة الكادحين رغم الاختلاف الاجتماعي الموجود بين الفئتين[9].

---

[1] _الإدريسي: **المصدر السابق**، ص:158، الحموي: **المصدر السابق**، 8/2.

[2] _ابن خلدون: **المصدر السابق**، 155/6.

[33] _ التادلي: **المصدر السابق** ، ص: 254_255، 277_278.

[4] _موسى هواري: **المرجع السابق**، ص:197.

[5] _ السقطي: **الحسبة**، ص: 15.

[6] _مزيان: **المرجع السابق**، ص:188، أعفيف: **المرجع السابق**، ص ص:82_83.

[7] –Laoust : op.cit, p.275.

[8] _ أعفيف: **المرجع السابق**، ص: 151.

[9] _مزيان: **المرجع السابق**، ص: 189.

إنّ وجود تراتب وتصنيف للفلاحين يعكس الوضع المعيشي لسكان أرياف المغرب الأوسط من جهة: درجة الغنى والفقر وتملك الأراضي...، ومن جهة ثانية من هذا التصنيف نستطيع الحكم على الصورة التنظيمية لأوضاع الأرياف ومدى نجاح وازدهار النشاط الزراعي والبستني وتأثرهما بالظروف المحيطة سواءا كانت طبيعية أو بشرية.

المطلب الثاني: استغلال الحيوانات في النشاط الزراعي والبستني:

يعتبر نشاط الرعي وتربية الحيوانات والدواجن عملا مكملا ومتصلا بالنشاط الزراعي فمن هذه الحيوانات نجد:

1_الحيوانات المسخدمة في الحرث:

أ_الأبقار: من مواشي المغرب الأوسط[1]، وتكثر تربيتها في المناطق الدائمة الخضرة والعشب، فأكثر الناس الذين مارسوا تربيتها هم سكان السهول، وتربى أيضا في المناطق الجبلية حيث تنتشر الأعشاب الطرية، والنباتات التي تبقى موجودة لفترة طويلة لأنها مظللة بأشجار الغابات[2].

هذه الحيوانات لم تكن كثيرة الوفرة مقارنة بأعداد الأغنام، وتكمن أهميتها إلى جانب توفيرها للحوم والأسمان والألبان؛ في استخدامها في أعمال الفلاحة فقد تحدث ابن حوقل[3] عن وفرة الأبقار في "طبنة"، وهي أكثر ما يملكه سكان جزائر بني مزغناي، حيث يذكر بأن:<<**أكثر أموالهم المواشي من البقر سائمة في الجبال**>>[4].

ورغم عدم إكثار البكري الحديث عن المواشي في ريف المغرب الأوسط، إلاّ أنه ذكر أن أكثر لحمان بونة من "البقر"[5]، أما الإدريسي[6]، فقد أشار إلى أن أكثر سوائم بونة البقر، وذكر هذا الجغرافي الأبقار مقترنة مقترنة مع الأغنام في أرياف كلّ من: تدلس، جزائر بني مزغناي، وهران، المسيلة وتاهرت[7]، بل حتى المناطق الجنوبية، احتوت على كمية قليلة من رؤوس الأبقار[8].

ازدهرت تربية الأبقار بكثرة في العهد الموحدي فقد أهدى عبد المؤمن بن علي ألف رأس من البقر لإحدى العائلات أثناء مروره بإحدى قرى تلمسان[9]، واشتهرت منطقة الأوراس بهذه الثروة الحيوانية أيضا،

---

[1] _ القلقشندي: **المصدر السابق**، 5/ 113، 176.

[2] _ Gsell : op.cit, p.171.

[3] _ **المصدر السابق**، ص:85.

[4] _**نفس المصدر** والصفحة.

[5] _**المصدر السابق**، ص:55، أنظر أيضا الحميري: **المصدر السابق**، ص:155.

[6] _**المصدر السابق**، ص:192.

[7] _**نفسه**: 160، 159، 153، 155، 156، 156، 157، على التوالي، أنظر أيضا الحميري: **المصدر السابق**، ص:127، 132، 163، 558، 613 على التوالي.

[8] _الدرجيني: **المصدر السابق**، 2/187_188، الوسياني: المصدر السابق، 314/1.

[9] _ابن عذاري:**المصدر السابق**، 81/4.

فقد استخدم أبو يزيد خمسمئة ثور لفك حصاره في الأوراس[1]، وهذا العدد ليس بالقليل ودليل على كثرة الأبقار بهذه المنطقة.

وبالنظر إلى مناطق تواجد الأبقار خلال العرض السابق يتضح أن أغلب المناطق حافظت على تربية هذا الحيوان منذ الفترة القديمة، إذ كانت تربي الأبقار في كل من: الشمال الشرقي لقسنطينة، قالمة، عنابة وسوق أهراس[2]، لكن مصادر القرن 10هـ/16م لم تتحدث عن الأبقار ما عدا في موضع أو اثنين، اثنين، فيذكر الوزان[3] أنّ: <<**البادية بخارج عنابة تسكنها قبيلة عربية تدعى مرادس تملك عددا كبيرا من البقر والثيران والغنم وتعطى الزبد بكثرة**>>.

وبعد استصلاح سهل البطحاء على يد أحد الأولياء وأتباعه، انتعشت الفلاحة وبات الولي يملك ألفين من البقر[4] وهو عدد ليس بالقليل، فهل اختصروا الكلمة في لفظ "المواشي" أم أنها همشت لقلة أعدادها مقارنة بأعداد الأغنام والخيول التي غلبت تربيتها على تربية الأبقار في هذه الفترة؟

والأبقار هي أكثر الحيوانات استعمالا لجر المحراث ببلاد المغرب الأوسط، وما يؤكد على أهميتها في الحرث هو أن مساحة الأرض كانت تقدر أحيانا بأعداد البقر التي تستطيع حرثها[5]، فلما كانت تلمسان تلمسان "**كريمة الفلاحة زاكية الإصابة فربما انتهت في الزوج الواحد منها إلى أربعمائة مد كبير**"[6]، وكان وكان من عادة سكان أرياف المغرب الأوسط هو شراء الثور المعلوف في يناير[7].

والأمر الأهم أنّ الأبقار شكلت أهمية لدى فلاحي المغرب الأوسط لحاجتهم الماسة لها في جميع أعمال الزراعة من (حرث، حصاد ودرس)؛ فهي وسائل مهمة للانتاج من زوج البقر أو حملين إذا كانت الأرض صلبة وحيوان واحد بالنسبة للتربة اللّينة في المناطق الساحلية[8]، وكثيرا ما كان الفلاحون الصغار يلجؤون إلى استعارة واستئجار الثيران للحرث[9] والأبقار للدرس وعليهم ضمانها في حال تعرضها للسرقة أو أو الموت[10]، وخلافا للأبقار والثيران فقد كان الفلاحون يلجؤون لكراء الدواب للحرث[11].

---

[1] _الدرجيني: **المصدر السابق**، 99/1.

[2] _Gsell, op.cit, p.171.

[3] _الوزان: **المصدر السابق**، 62/2.

[4] _نفسه، ص ص:28_29، مارمول: المصدر السابق، 326/2.

[5] _ موسى هواري: **المرجع السابق**، ص: 79.

[6] _ المقري: **نفح الطيب**، 135/7.

[7] _ابن مريم: **المصدر السابق**، ص:372.

[8] _محمد حسن: **الريف المغربي**، ص:105، **القبائل والأرياف**، ص:45.

[9] _فتوى علي بن عثمان، المازوني: **المصدر السابق**، 24/2ظ، فتوى عبد الرحمن الواغليسي، **المصدر نفسه**، ورقة 25و، 130و.

[10] _ ابن رشد الجد: **المصدر السابق**، 1011/2، فتوى ابن لبابة (ق4هـ)، الونشريسي: **المصدر السابق**، 108/9_110، 263/8.

[11] _ الفرسطائي: **المصدر السابق**، 401/6.

ب_استخدام الجمال في الواحات الصحراوية:

لم أجد في المصادر التي أرّخت للواحات الصحراوية ببلاد المغرب الأوسط، أية معلومة حول استخدام الجمال في عملية الحرث، ويعزى هذا الأمر حسب رأيي لطبيعة التربة الرملية التي لا تتطلب استخدام المحراث من جهة، إلى جانب صغر المساحة المُستغلة وطبيعة النشاط البستني بالمنطقة الذي يتطلب الاعتماد على أدوات فلاحية يدوية، كالفأس والعتلات والمساحي،....إلخ، والتي أشرت إليها سابقا عند حديثي عن أدوات العمل الفلاحي.

2_الحيوانات المستخدمة لتوفير الأزبال والسماد: لم أعثر في المصادر التي أرّخت للفترة عن معلومات واضحة تشير إلى استغلال أزبال هذه الحيوانات في تسميد الأراضي الزراعية، لكن تواجد كلا من الأبقار إلى جانب الأغنام، الخيول والدواجن ضمن المناطق الزراعية دليل على استغلالها واستخدام فضلاتها للتسميد.

أ_الأغنام: من مواشي المغرب الأوسط[1]، وانتشرت هذه الحيوانات بكثرة في كل من بجاية[2] ، طبنة، قرية قرية دارست وتيهرت[3]، تدلس، جزائر بني مزغناي، وهران، المسيلة[4]، سهل البطحاء الذي يحتوي على عشرة آلاف من الأغنام[5]، بالإضافة إلى تلمسان[6]، وهذه المناطق كانت كلها مناطق زراعية ومشتهرة بالانتاج الزراعي والبستني وبدون شك تم استغلالها لتسميد الأراضي.

وهناك مناطق تقوم أساسا على الفلاحة ورعي الغنم مثل قبيلة كومية التي كان سكانها أصحاب فلاحة[7] وأيضا وادي أريغ (تقرت) التي اشتهرت أيضا بأنشطتها الفلاحية[8].

ب_الخيول: حظيت الخيول بمكانة هامة في حياة مجتمع المغرب الأوسط بشقيه الريفي والحضري، ورغم أنّ الريف كان مصدرها الأساسي، ويحتاج هذا الحيوان إلى الرطوبة للعيش في الهضاب[9]، ومن أكثر المناطق المنتجة للخيل نجد المسيلة[10]، تاهرت[1]، تلمسان التي اشتهرت بالخيل الراشدية التي لها الفضل على سائر الخيل[2] كما فُرِض على تلمسان عام 580هـ/1184م، 700 فرس معونة للأندلس[3].

---

[1] _ القلقشندي: **المصدر السابق**، 5/ 113، 176.

[2] _ابن حوقل: **المصدر السابق**، 79، الغبريني: **المصدر السابق**، 177.

[3] _ابن حوقل: **المصدر السابق**، ص، ص: 85، 110، الادريسي: **المصدر السابق**، ص:157.

[4] _الإدريسي: **المصدر نفسه**، 160، 159، 153، 155، 156، على التوالي، أنظر أيضا الحميري: **المصدر السابق**، ص: 127، 132، 163، 558، 613 على التوالي.

[5] _الوزان: المصدر السابق، 29/2، مارمول: المصدر السابق، 326/2.

[6] _ابن عذاري: **المصدر السابق**، 81/4.

[7] _صالح بن قربة: **عبد المؤمن بن علي موحد بلاد المغرب**، سحب للطباعة الشعبية للجيش، 2007م، ص: 56.

[8] _الدرجيني: **المصدر السابق**، 187/2_188، 210.

[9] _ Gsell : op.cit, p.171.

[10] _الإدريسي: **المصدر السابق**، ص:155.

وزخرت سهول وادي شلف وجبال ونشريس بالانتاج الوفير للخيول[4]، وكان للأعراب الدور الكبير في تنمية أعداد الخيول[5] الأصيلة وتأثرت بهم بعض القبائل الزناتية في هذا المضمار[6].

وظلت الخيول رمزا لثراء مالكيها: مثل سكان جبل كوكو[7]، ويملك سكان مدينة استورة أعداد من الخيل[8]، وسهل البطحاء بعد استصلاحه على يد أحد الأولياء بات يحتوي على خمسمئة رأس من الخيول[9].

والواضح أن الحصان لم يستخدم في العمل الفلاحي خلال فترة الدراسة مقارنة بالحيوانات الأخرى، بسبب الحاجة إلى استخدامها في الحروب، بينما كانت الأبقار والثيران والحمير تقوم بالعمل الزراعي كله بالدرجة الأولى ثم الإبل[10].

ج_الحمير والبغال: من مواشي المغرب الأوسط[11]، ولهذه الحيوانات أهمية بالغة في حياة الانسان الريفي لاستعمالاتها العديدة كالركوب والسفر ونقل الأحمال، لذلك نهى الفقهاء عن أدية البهائم والعنف بها كإثقالها بالأحمال وإرهاقها في سرعة المشي بالضرب والزجر[12].

لقد أشار الرحالة والجغرافيون إلى الحمير والبغال من خلال قولهم "سائر الكراع"، التي انتشرت بأرياف: بونة، المسيلة، تاهرت[13]، طبنة[14]، وأشار الإدريسي[15] إلى أنّ "**القلعة بها السوائم والدواب**".

د_الدواجن: زخرت أرياف المغرب الأوسط بمختلف أنواع الطيور الداجنة وقد استعمل السكان أزبالها في تسميد الأرض، ويأتي على رأس الطيور الداجنة: الدجاج[16]، وخمّن جودت عبد الكريم يوسف[17] بأن تسمية مرسى الدجاج يعود لشهرته بتربية هذا الطير.

---

[1] _نفسه، ص:157.

[2] _الحميري: **المصدر السابق**، ص:52، الحموي: **المصدر السابق**، 871/1.

[3] _عز الدين أحمد موسى: **المرجع السابق**، ص:200.

[4] _ابن عذاري:**المصدر السابق**، 11/4.

[5] _أبو الضيف: **القبائل العربية في المغرب**، ص:337، عبد الحميد خالدي: **الوجود الهلالي السليمي في الجزائر**، دار هومة لـ: ط، ن، ت، الجزائر، 2007م، ص:191.

[6] _أبو الضيف:**المرجع السابق**، الصفحة نفسها.

[7] _مارمول:المصدر السابق، 373/2.

[8] _**نفسه**،3/6_7.

[9] _الوزان:المصدر السابق، ص ص:28_29، مارمول:المصدر السابق، 326/2.

[10] _ مروان السبع: **المرجع السابق**، ص:102.

[11] _ القلقشندي: **المصدر السابق**، 113/5، 176.

[12] _العقباني: المصدر السابق، ص:69.

[13] _ابن حوقل: **المصدر السابق** ص:77.

[14] _نفسه، ص ص:85_86.

[15] _**المصدر السابق**، ص:117.

[16] _القلقشندي: **المصدر السابق**، 113،117/5.

[17] _**المرجع السابق**، ص:69.

ويذكر الادريسي[1] أنه: <<**من جزيرة الحمام إلى مصب وادي الشلف 22 ميلا، ومنه إلى قلوع الفراتين في وسط الجون 22 ميلا والقلوع جباة بيض**>>، وهذه الاشارة تدل على كثرة البيض بهذه النواحي والمرجح أنّها بيض الدجاج وإشارة هذا المؤلف إلى جزيرة الحمام تدل على كثرة الحمام بهذه النواحي، بالإضافة إلى الإوز[2].

والملاحظ أنّ تربية الدجاج والحمام كانت أكثر انتشار من تربية الإوز[3]، ويستعمل روث الحمام أيضا في تخصيب الأراضي[4]، بالإضافة إلى طير السماني الذي كان متواجدا ببونة[5] والخضراء، حيث ذكره الحميري باسم السوم[6].

3_مشاكل استغلال الحيوانات في العمل الفلاحي:

أحيانا يلجأ سكان المناطق الريفية إلى استئجار الراعي[7]، وهناك من يلجأ إلى الشركة في الرعي[8]، ومن مسائل الضمان التي وقع فيها الخلاف بين الفقهاء، هو ما تفسده البهائم من زروع وثمار الغير[9]، ففي هذه الحالة أفتى الفقهاء بأن الضمان على أرباب البقر، أو على الراعي إذا فرّط في عمله[10]، لكن أكّد ابن أبي زيد أن الغنم أو البقر إن انفلتت نهارا وأفسدت زرع أو شجر الجيران، فلا شيء على أرباب الماشية لأن على أصحاب الزرع والشجر حفظها بالنهار[11].

والنحل والحمام أيضا من الضرر ويمنع من اتخاذ ما يضر الناس في زرعهم وشجرهم، ولا يمنع صاحب البرج من اتخاذ منافعه في جداره وبرجه ولا من اتخاذ الدجاج والإوز وعلى أهل الزرع حفظه في النهار[12].

وأكدت المصادر على ضرورة الرفق بالحيوانات وعدم إلحاق الضرر بها، واستخدامها وفق شروط محددة، فالدواب المستأجرة للحرث لا يجب أن تُرفع عليها بذورا ولا المحراث ولا يركبها في المسير إلى الحرث أو الرجوع منها، وعليه حفظها بالعلف والسقي والرعي وغيره[13].

---

[1] _**المصدر السابق**، ص:172.

[2] _القلقشندي: **المصدر السابق**، ص، ص: 113، 177.

[3] _برشفيك: **المرجع السابق**، 235/2.

[4] _جودت عبد الكريم: **المرجع السابق**، ص:69.

[5] _مجهول(ق6هـ): **الاستبصار**، ص:131.

[6] _**المصدر السابق**، ص:223.

[7] _ الفرسطائي: **المصدر السابق**، 92/65، 98.

[8] _**نفسه**، 98/5.

[9] _ فتحة: **المرجع السابق**، ص: 391.

[10] _فتوى بعض الفقهاء، الونشريسي، **المصدر السابق**، 339/8.

[11] _البرزلي: **المصدر السابق**، 161/5، فتوى السيوري (ق5هـ)، الونشريسي، **المصدر السابق**، 549/9_548، فتوى الونشريسي، **المصدر نفسه**، 362/3_361.

[12] _ابن سهل: **المصدر السابق**، ص:670، ابن سراج: **المصدر السابق**، ص:210.

[13] _الفرسطائي: **المصدر السابق**، 443/6.

المبحث الثالث: نظام الريّ والتقنيات المائية بأرياف المغرب الأوسط

المطلب الأول: مصادر الريّ بأرياف المغرب الأوسط:

1_الأمطار: تعتبر الأمطار المصدر الأول والرئيسي للمياه بأرياف المغرب الأوسط، ومياهها هي الأفضل بالنسبة للنبات وتصلح لريّ جميع الثمار والخضر لعذوبتها ورطوبتها[1]، وتختلف كميتها من منطقة إلى أخرى، لكن أكثرها أمطارا هي تلك المطلة على البحر الأبيض المتوسط فكانت معظم أقاليمها خصبة تزرع على الأمطار[2].

وتبدأ أشهر التساقط من أكتوبر ونوفمبر حتى شهر أفريل ليقل التساقط خلال الفترة الممتدة من ماي إلى أكتوبر ويصبح نادرا خلال هذه الفترة[3]، وتزداد أيام الأمطار بشمال المغرب الأوسط في أواخر ديسمبر وأوائل جانفي[4]، وأكثر التساقطات المطرية بالمغرب الأوسط تتم في النطاق الشمالي، الذي يستقبل يستقبل الأمطار أكثر من الجهات الجنوبية لسلسلة الأطلس التلي[5].

يمتاز مناخ البحر الأبيض المتوسط بسقوط معظم الأمطار في نصف السنة الشتوي، وتنال المناطق الساحلية القسم الأكبر منها، وتأتي أمطار المنطقة بسبب الرياح الغربية والمنخفضات الجوية التي تكثر في نطاقها، وتتراوح كميات الأمطار بين (400_800ملم)[6]، وتقل كميات التساقط في الهضاب الهضاب العليا (200_400 ملم) ، لذلك تشهد بعض تلك المناطق أمطارا متفاوتة في الكثرة، حيث تنال المرتفعات العالية من تل الأطلس حول قسنطينة والأوراس أمطارا غزيرة[7].

أما عن المناطق الداخلية والقريبة من الصحراء كان معظمها كثير الجفاف ماعدا تلك الواقعة في الهضاب العليا مثل تاهرت التي كانت "**كثيرة الأنداء والضباب والأمطار حتى إنّ الشمس بها قلّ أن ترى**"[8]، وهو مايؤكد على رطوبة الهواء وكثرة الأمطار التي ساهمت في انتشار المسارح الملائمة لنشاط الرعي.

والمناطق الواقعة ما وراء الأطلس الصحراوي، يسيطر الجفاف على غالبيتها ولا تزيد كمية الأمطار عن 200 ملم في السنة[9]، لذلك فالأمطار بها نادرة جدا إن لم نقل منعدمة، فقد كانت القبائل في الصحراء

---

[1] _ابن بصال: **المصدر السابق**، ص:39، ابن العوام: **المصدر السابق**، 1/520_521.

[2] _العمري: **المصدر السابق**، ص:87، القلقشندي: **المصدر السابق**، ص:109.

[3] _Gsell, op.cit, p.43_44.

[4] _ ابن مريم: **المصدر السابق**، ص:235.

[5] _op.cit, p.49.

[6] _عبد العزيز طريح: **المرجع السابق**، ص:437.

[7] _عز الدين أحمد موسى: **المرجع السابق**، ص:54.

[8] _الحموي: **المصدر السابق**، 2/8.

[9] _عبد العزيز طريح: **المرجع السابق**، ص، ص: 391، 393.

تقاسي الجذب والقحط، وكثيرا ما كانت تلجأ إلى تكوين أحلاف فيما بينها[1]، نظرا لصعوبة العيش في هذه البيئة القاسية التي تتعدى درجة الحرارة بها إلى 50° مئوية نهارا[2].

وأمام هذا الجفاف شبه الدائم، كان سكان هذه المناطق يلجؤون إلى صلاة الاستسقاء طلبا لنزول المطر[3]، على غرار باقي المناطق التي كان ينحبس المطر عنها، مثلما فعل الشيخ أبو محمد اللواتي*، وأهل وغلانة فهطلت أمطارا غزيرة ودامت أياما عديدة بفضل بركة الشيخ ودعائه[4].

2_الأنهار والأودية:

لمّا كانت الأمطار بالمغرب الأوسط غير منتظمة؛ فمن هنا تظهر الأهمية الكبيرة للأنهار والأودية[5]، والواقع أن بلاد المغرب الأوسط تشهد قلة في الموارد المائية (الأنهار والأودية) مقارنة ببلاد الأندلس[6]، وبلاد المغرب الأقصى[7]، ومن مميزات أنهارها أنها تنبع من الداخل[8]، وأغلبها تقع في المنطقة المنطقة الشمالية فوق سلسلة الأطلس التلي وتصب في البحر المتوسط ومن أهمها:

أ_أنهار المنطقة الساحلية: تتمثل في:

أ_1_نهر بونة (وادي سيبوس): يقع بشرق المغرب الأوسط ويسمى بنهر يدوغ[9](وادي يدوش)[10]، وينبع من الجبال المجاورة لقسنطينة (الأطلس الكبير)، ويسيل بين جبال نحو الشرق حتى يصب في البحر قرب عنابة[11]، وقد أهمل ذكره من قبل أغلب الرحالة والجغرافيين، ويعزى الأمر لقلة أهميته أمام نهر بجاية وسائر الأنهار الأخرى.

أ_2_نهر بجاية(الوادي الكبير)[12]: "وادي الصومام"[13]، هو نهر دائم الجريان رغم قصره[1]، الأمر الذي زاد زاد من شهرته لدى أغلب المصادر الجغرافية[2]، ولعل وفرة مياهه هي التي جعلت عبد الواحد المراكشي[3] يذكر بأن:"**ماؤه لا ينقطع صيفا ولا شتاء**".

---

[1] _أحمد مختار العبادي: **دراسات في تاريخ المغرب والأندلس**، دار المعرفة الجامعية للطباعة والنشر والتوزيع، 1425هـ/2005م، ص:246.

[2] _عبد الحميد سعد زغلول: **تاريخ المغرب العربي، المرابطون، صنهاجة الصحراء، الملثمون في المغرب والسودان والأندلس**، ط1، منشأة المعارف جلال جزي وشركاه، الإسكندرية، 1995م، 4/ 46_48، عبد العزيز طريح: **المرجع السابق**، ص:394.

[3] _الدرجيني: **المصدر السابق**، 294/2.

(*) هو أبو عبد الله بن محمد ناصر بن ميال بن يوسف، وزير الامام أفلح من أهل الطبقة ال11 (أنظر الدرجيني: **المصدر نفسه**، 290/2).

[4] _**نفسه**، ص:294.

[5] _عز الدين أحمد موسى: **المرجع السابق**، ص:55.

[6] _أبو المعاطي: **المرجع السابق**، 581/2.

[7] _عز الدين أحمد موسى: **المرجع السابق**، ص:55.

[8] _أبو المعاطي: **المرجع السابق**، ص:435.

[9] _الوزان: **المصدر السابق**، 252/2.

[10] _مارمول: **المصدر السابق**، 40/1.

[11] _الوزان: **المصدر السابق**، ص:252، ابن بساهي زادة: **أوضح المسالك إلى معرفة البلدان والممالك**، تحقيق المهدي عبد الرواقية، ط1، دار الغرب الاسلامي، 2006، ص:320، أبو الفدا: **المصدر السابق**، ص:141، الدمشقي: **نخبة الدهر**، ص:235.

[12] _الادريسي: **المصدر السابق**، ص:163.

[13] _الوزان: **المصدر السابق**، 7/2.

ينبع هذا النهر من جبال متاخمة لإقليم الزاب وينحدر من جبال شاهقة إلى أن يصب في البحر المتوسط على بعد 03 أميال من بجاية ولا يفيض إلا أيام الشتاء والثلج[4]، لأنه يتلقى مياه الجداول المنحدرة من هذه الجبال[5].

أ_3_نهر شلف: أطول أنهار الجزائر (طوله 700ميل)[6]، ينبع من بلد راشد في الصحراء ويدخل التل من بلاد حصين لهذا العهد ثم يمر مغربا ويجتمع فيه سائر أودية المغرب الأوسط مثل مينا وغيره إلى أن يصب في البحر الرومي ما بين كلمتين (كليمتوا) ومستغانم[7]، وتحديدا من جبال عمور وجبال فرندة بالأطلس الصحراوي، ويقطع السهول العليا للجزائر الوسطى ويشكل مجرى مائي متوسطي[8]، حيث يصب في البحر الأبيض المتوسط قرب مستغانم[9].

وهو نهر شهير تحدثت عنه جميع المصادر الجغرافية[10]، وهذا النهر مثل النيل يزيد وقت نقص الأمطار[11]، نتيجة ذوبان الثلوج في الجبال[12].

أ_4_نهر تنس: (نهر تامن[13]، تناتين[14]، نتاتين[15])، وقد ذكرته معظم المصادر الجغرافية[16]، وهو يأتي تنس من الجنوب وينصب في البحر من شرقيها[17].

ب_أنهار المناطق الداخلية: من أهم هذه الأنهار الممتدة من شرق البلاد إلى غربها نجد:

---

[1] _عز الدين أحمد موسى: **المرجع السابق**، ص:55.

[2] _البكري: **المصدر السابق**، ص:82، الادريسي: **المصدر السابق**، ص:161، الحميري: **المصدر السابق**، ص:81، العمري: **المصدر السابق**، 91/4، القلقشندي: **المصدر السابق**، 109/5، ابن سعيد: **الجغرافيا**، ص:142_143، الدمشقي: **المصدر السابق**، ص:113، 235.

[3] _**المعجب**، ص:449.

[4] _الوزان: **المصدر السابق**، 252/2، مارمول: **المصدر السابق**، 39/1.

[5] _مارمول: **المصدر نفسه**، 40/1، 376/2.

[6] _الميلي: **المرجع السابق**، 50/1.

[7] _ ابن خلدون: **المصدر السابق**، 6/ 134.

[8] _Gsell : op.cit, p.10.

[9] _البكري: **المصدر السابق**، ص:70، الوزان: **المصدر السابق**، ص:251، مارمول: **المصدر السابق**، 38/1.

[10] _اليعقوبي: **كتاب البلدان**، ص:73، ابن حوقل: **المصدر السابق**، ص:79، البكري: **المصدر السابق**، ص:61، 70، الادريسي: **المصدر السابق**، ص:152، مجهول(ق6هـ): **الإستبصار**، ص:170، ابن سعيد: **الجغرافيا**، ص:142، الوزان: **المصدر السابق**، 27/2، مارمول: **المصدر السابق**، 326/2.

[11] _ابن سعيد: **المصدر السابق**، ص:126، **بسط الأرض**، ص:75، القلقشندي: **المصدر السابق**، 174/5.

[12] _القلقشندي: **المصدر نفسه**، الصفحة نفسها، عز الدين: **المرجع السابق**، ص:55.

[13] _مجهول: **المصدر السابق**، ص:113.

[14] _البكري: **المصدر السابق**، ص:60.

[15] _الحميري: **المصدر السابق**، ص:138.

[16] _ابن حوقل: **المصدر السابق**، ص:78، البكري: **المصدر السابق**، ص:60، الادريسي: **المصدر السابق**، ص:153، القزويني:**آثار البلاد**، ص:173.

[17] _البكري: **المصدر السابق**، ص:60، ابن سعيد: **الجغرافيا**، ص:142، **بسط الأرض**، ص:76.

ب_1_نهر تبسة: (وادي ملان[1]، ملاق[2])، يقع هذا النهر بين باغاية ومجانة[3]، ينبع من شمال الأطلس الأطلس الصحراوي وهو ليس ببعيد عن خنشلة، ويتجه من الجنوب الغربي إلى الشمال الشرقي[4]، ويقل في أيام الصيف وهو صعب المجاز كبير الدهس[5].

ب_2_أنهار قسنطينة: كانت قسنطينة على ثلاث أنهار عظام تجري فيها السفن قد أحاطت بها، تخرج من عيون تسمى "**عيون أشقار**"، وهذه الأنهار تقع في خندق بعيد القعر متناهي البعد[6].

وادي شال[7]: هذا الوادي الذي يأتي قسنطينة جنوبا ليحيط بها من غربها ويمر شرقا مع دائرة المدينة ويستدير شمالا إلى أن يصب في البحر غرب وادي سهر[8].

نهر السمّار (سوفغمار)[9]: ينبع من جبال متاخمة للأوراس وينحدر عبر بادية جافة ليخرج لاقليم قسنطينة، وهناك يدخل تحت الأرض ويتصل بنهر آخر صغير ويتوجه نحو الشمال حتى يصب في البحر بعد أن يفصل بين القالة وقصر جيجل[10]، ويطلق عليه أيضا اسم "وادي الرمال" وهو يمر عند قدميها[11].

ومن الأنهار المتواجدة بوسط البلاد نجد:

ب_3_نهر سهر[12]: يسمى بنهر "سحر" ويمر بغربي المسيلة[13] وينبعث من غير خرّارة يقال لها عين مخلد[14]، وهذا النهر كثير الماء منبسط على وجه الأرض وليس بالعميق[15].

ب_4_نهر مينة: هذا النهر يأتي تاهرت من جهة القبلة، ونهر آخر يجري من عيون تسمى تانش[1] أو نافس[2]، ينبع من الجبال المجاورة لتقدمت، مارا بسهول البطحاء ويتجه شمالا حتى يصب في البحر[3] قرب

---

[1] _مجهول(ق6هـ): **الإستبصار**، ص:163.

[2] _البكري: **المصدر السابق**، ص:49، 146.

[3] _**نفسه**، ص:146، الحميري: **المصدر السابق**، 558.

[4] _Gsell: op.cit, p.14.

[5] _البكري: **المصدر السابق**، ص:145، مجهول(ق6هـ): **المصدر السابق**، ص:163، الحميري: **المصدر السابق**، ص ص:129_130.

[6] _البكري: **المصدر السابق**، ص:63، مجهول(ق6هـ): **المصدر السابق**، ص:165، أبو الفدا: **المصدر السابق**، ص:139، ابن سعيد: **الجغرافيا**، **الجغرافيا**، ص: 142، الحموي: **المصدر السابق**، 349/4، الدمشقي: **المصدر السابق**، ص:113.

[7] _الإدريسي: **المصدر السابق**، ص ص:167_168.

[8] _الحميري: **المصدر السابق**، ص:481.

[9] _الوزان: **المصدر السابق**، 55/2، مارمول: **المصدر السابق**، 40/2.

[10] _الوزان: **المصدر السابق**، ص:252.

[11] _**نفسه**، ص ص:63_64، مارمول: **المصدر السابق**، 15/3.

[12] _الحميري: **المصدر السابق**، ص:604.

[13] _البكري: **المصدر السابق**، ص ص:69_70، ابن سعيد: **المصدر السابق**، ص:126، أبو الفدا: **المصدر السابق**، ص:139، القلقشندي: **المصدر السابق**، 107/5، الدمشقي: **المصدر السابق**، ص:113.

[14] _البكري: **المصدر السابق**، ص:59.

[15] _الإدريسي: **المصدر السابق**، ص:156.

قرب أرزيو[4]، وهو أحد روافد نهر الشلف[5]، ويسمى أيضا بنهر "**سينا**" باسم أحد الأولياء الذي أعاد بناء البطحاء بعدما خربها بنو مرين[6].

ب_5_نهر التافنة: "نهر أرشكول"[7] لأنه يأتي مدينة أرشكول من قبليها ويستدير بشرقيها[8].

ب_6_نهر تلمسان: (سطفسيف[9]، سفسف[10]، صفصف[11])، ذاع صيته في الآفاق وتغنّى به الشعراء والأدباء[12]، ينبعث من أسفل جبل البغل ويصب في بركة عظيمة ويستمع لوقوعه فيه خرير شديد على مسافة ثم ينبثق منها بحكمة مدبرة إلى موضع يسمى المهماز (المهزاز[13])، إلى ولج الجنان إلى جنان الحاج حتى يصب في نهر أسر ثم في نهر تافنة وهناك يصب في البحر[14].

وبغرب المغرب الأوسط هناك أنهار قليلة الأهمية مقارنة بنهر شلف ونهر تلمسان، مثل نهر سيرات قرب قلعة هوارة[15] ونهر يسّر الذي ينبع من جبال يسر الواقعة شرق جبال مدغرة، وهذه الجبال متصلة بجبل ونشريس[16]، ويصب في البحر قرب قرية بني عبد الله في دلس[17]، ووادي شدي الذي ينبع من فوهة نهر شلف ويمر مشرقا من جبل راشد ويمر بالزاب إلى أن يصب في سبخة ما بين توزر ونفزاوة[18].

ج_أنهار الجنوب ورفارف الصحراء:

ج_1_منطقة الأوراس: توفرت منطقة الأوراس على شبكة نهرية كبيرة مثل نهر تبسة الذي سبق ذكره، بالإضافة إلى أنهار أخرى لم يرد ذكرها بالإسم من قبل مصادر الفترة، فقرية مسكيانة وبلد أدنة كثيرة

---

[1] _البكري: **المصدر السابق**، ص:66، مجهول(ق6هـ): **المصدر السابق**، ص:178، الحميري: **المصدر السابق**، ص:126، الحموي: **المصدر السابق**، 8/2، القلقشندي: **المصدر السابق**، 111/5.

[2] _الدرجيني: **المصدر السابق**، 41/1.

[3] _الوزان: **المصدر السابق**، 252/2، مارمول: **المصدر السابق**، 38/1.

[4] _مارمول: **نفس المصدر** والصفحة.

[5] _الوزان: **المصدر السابق**، ص:251.

[6] _مارمول: **المصدر السابق**، 38/1.

[7] _مارمول: **نفس المصدر** والصفحة.

[8] _البكري: **المصدر السابق**، ص:77، مجهول(ق6هـ): **المصدر السابق**، ص:135، الحميري: **المصدر السابق**، ص ص:27_28.

[9] _البكري: **المصدر السابق**، ص:76، مجهول(ق6هـ): **المصدر السابق**، ص:177، الحميري: **المصدر السابق**، ص:135، القلقشندي: 151/5.

[10] _الوزان: **المصدر السابق**، 20/2.

[11] _الحموي: **المصدر السابق**، 412/3.

[12] _ المقري: **نفح الطيب**، 127/7.

[13] _الحميري: **المصدر السابق**، ص:135.

[14] _البكري: **المصدر السابق**، ص:77، الحميري: **المصدر السابق**، ص:135.

[15] _ البكري: **المصدر السابق**، ص:70، الحميري: **المصدر السابق**، ص:47.

[16] _ ابن سعيد: **بسط الأرض**، ص: 75، أبو الفدا: **المصدر السابق**، ص: 123، القلقشندي: **المصدر السابق**، 174/5.

[17] _ مارمول: **المصدر السابق**، 40/1.

[18] _ ابن خلدون: **المصدر السابق**، 134/6، 424.

الأنهار، وبشرقي وادي تبسة، وادي مقرة، وبين عين الكتان وأدنة نهر سهر، ونهر النساء ونهر أبي الطويل[1]...إلخ، وبنواحي باغاية أنهار كثيرة، وهي في بساط من الأرض، وجبل أوراس مطل عليه[2].

ج_2_منطقة الزاب: كانت هي الأخرى غنية بشبكة هيدروغرافية هائلة من الأنهار والأودية[3]، فنقاوس كانت ذات أنهار كثيرة[4]، وبغربي بنطيوس نهر ينحدر إليها من ناحية الجنوب، وكذلك طولقة كانت حولها حولها أنهار، وتهودة التي يصب في جوفيها نهر من جبل الأوراس[5].

وهذه الإشارات دليل على ارتباط المدينة بالريف، فأغلب الأنهار نسبت للمدن، وهذا طبيعي لكون المدن أكثر شهرة من الأرياف، غير أن ممارسة النشاط الفلاحي من زراعة وتربية الحيوانات، الذي مركزه الأرياف بالأساس؛ كان يستفيد من مياه هذه الأنهار، بدليل أن أغلب الشهادات التي ذكرها الرحالة والجغرافيون، اقترنت بذكر البساتين أو المزارع التي كانت تقام على ضفاف هذه الأنهار[6].

وبالمناطق الجنوبية هناك أودية مياهها قليلة ولكنها ذات شهرة كبيرة مثل وادي كير وهو نهر كبير ينبع من فوهة وادي ملوية وينحدر ذاهبا إلى القبلة، ثم يقطع العرق على سمته إلى أن ينتهي إلى البردة (بودة)، ثم بعدها إلى تمطيت وعليه قصورها، ثم يمر إلى أن يصب في القفار[7].

وإلى جانب الأنهار الآنفة الذكر زخرت أرياف المناطق الشمالية لبلاد المغرب الأوسط بشبكة هيدروغرافية كثيفة، والتي سأتحدث عنها أثناء التطرق لاستغلال مياها في النشاط الزراعي والبستني.

3_العيون والآبار:

أ_العيون: يستفاد من العيون إمّا بتغذيتها للأنهار بالمياه بعد فصل الأمطار، أو باستخدامها بديلا عنها في الزراعة والشرب، وتظهر الزيادة في العيون بالشمال الإفريقي في أواخر ديسمبر أي مع تمكن الأمطار في المنطقة[8]، ولهذا النوع من الموارد المائية أهمية كبيرة في حياة المجتمعات الريفية، غير أنها تكون وفيرة في المناطق الشمالية أكثر منها بالمناطق الجنوبية.

تفيدنا كتب الجغرافيا والرحلات في التعرف على الكثير من العيون التي زخرت بها الأرياف، فبشرق البلاد نجد أن بلاد كتامة كانت بها عين الأوقات معلومة، ويجري ماؤها خمس مرات في اليوم والليلة في

---

[1] _ البكري: **المصدر السابق**، ص، ص:50، 144.

[2] _نفسه، ص:144، مجهول: **المصدر السابق**، ص:163، الحميري: **المصدر السابق**، 76.

[3] _ مجهول(ق6هـ): **المصدر السابق**، ص:176.

[4] _نفسه، ص:177، الوزان: **المصدر السابق**، 53/2، مارمول: **المصدر السابق**، 383/2.

[5] _البكري: **المصدر السابق**، ص:53، مجهول(ق6هـ): **المصدر السابق**، ص:179، الحميري: **المصدر السابق**، ص:142، الدمشقي: **نخبة الدهر**، ص:113.

[6] _**أنظر ص ص: 269_272 من هذا الفصل.**

[7] _ ابن خلدون: **المصدر السابق**، ص:134.

[8] _ عز الدين أحمد موسى: **المرجع السابق**، ص ص: 59_60.

أوقات الصلوات الخمس وتتقطع مابين ذلك[1]، والأنهار المحاطة بقسنطينة تخرج من عيون تعرف بعيون أشقار[2]، وبزانة خصوص وقرارات للبربر بها عيون ماء[3].

وواضح من توزيع مناطق العيون أنها تنبجس من المناطق الجبلية المرتفعة مستفيدة من الثلوج على غرار الأنهار والأودية التي تعتمد على الأمطار في مياهها، مثل جبال بجاية، وجبال عنابة، وجبل وانشريس[4]، كما تنبجس من **مرتفعات الأوراس** عدة عيون ينتشر ماؤها في السهل مكونا أنواعا من مستنقعات تتحول إلى ملاّحات عندما يشتد الحر[5].

وبالمناطق الوسطى فتلك القريبة من الساحل كانت وافرة العيون أكثر من المناطق الداخلية، فجزائر بني مزغناي كانت بها عيون على البحر يشرب منها أهلها وكانت عذبة[6]، كما كانت جبالها كثيرة العيون أيضا[7]، واحتوت كلاّ من: متيجة[8]، برشك[9]، دلس وملیانة[10]، وجبل وانشريس[11]، على "**عيون كثيرة**"، شكلت موردا مائيا هاما لسكان ريف المغرب الأوسط خلال الفترة قيد الدراسة.

وبالمناطق الداخلية الوسطى كان لأهل المسيلة عيون[12]، وبقرية ناسمالت (قرية لأزداجة) بها سوق وعين عذبة[13]، وأشير كانت تنزل عليها العيون بكيف الأقدام[14]، وفي هذا الصدد يذكر ابن الأثير[15] أن السبب الذي جعل بلكين يختار هذا المكان هو حصانته وكثرة العيون بها، فاستحسنها واتخذها مقرا لبناء المدينة.

وعلى الطريق الرابط مابين تاهرت وأشير نجد أنّ كلاّ: من قرية ابن مجبر، وقرية سطيت، وقرية هاز، كانت عذبة المياه، وشرب أهلها من هذه العيون[16]، وعن عيون تاهرت يقول البكري[17]: "**شرب أهلها من**

---

[1] _البكري: **المصدر السابق**، ص:33.

[2] _**نفسه**، ص:63.

[3] _**نفسه**، ص:54.

[4] _الوزان: **المصدر السابق**، 101/2، 104، 45 على التوالي.

[5] _**نفسه**، ص:102، مارمول: **المصدر السابق**، 390/2.

[6] _البكري: **المصدر السابق**، ص:159، مجهول(ق6هـ): **المصدر السابق**، ص:132، الحميري: **المصدر السابق**، ص:163.

[7] _الوزان: **المصدر السابق**، ص:102.

[8] _البكري: **المصدر السابق**، ص:66، الحميري: **المصدر السابق**، ص:538.

[9] _الإدريسي: **المصدر السابق**، ص:158.

[10] _الوزان: **المصدر السابق**، ص، ص:42، 33 على التوالي.

[11] _**نفسه**، ص:46، مارمول: **المصدر السابق**، 360/2_361.

[12] _البكري: **المصدر السابق**،ص:59.

[13] _**نفسه**، ص:72.

[14] _**نفسه**، ص:60.

[15] _**الكامل في التاريخ**، 334/7.

[16] _الإدريسي: **المصدر السابق**، ص:157.

[17] _**المصدر السابق**، ص:66_67، أنظر أيضا: مجهول(ق6هـ): **الاستبصار**، ص:178، الحميري: **المصدر السابق**، ص:126، الحموي: **المصدر السابق**، 9/2.

عيون تسمى تاتش"، ولقرية تاورت (الطريق الرابط بين تيهرت والمسيلة)، عيون محتفرة ببطن واد يأتيها من جهة المشرق، وكان منها شرب أهلها[1].

واحتوت المناطق الغربية على عدد وافر من العيون، مثل قرية تادرة الواقعة على مرحلة من تلمسان[2]، وبين تلمسان وتنس قرى عديدة منها: قرية سني، وقرية العلويين، وقرية يلّل، وكلها ذات مياه وعيون[3]، ومستغانم كانت ذات عيون[4]، وبقربها عين ماء تسمى عين كردي[5]، ولوهران أيضا عيون كثيرة[6]، كثيرة[6]، وبتلمسان ماء يجلب إليها من إحدى العيون التي تسمى لوريط بينها وبين المدينة ستة أميال[7]، والمؤكد أن المناطق الريفية القريبة من هذه النواحي كانت تستفيد من هذه العين وغيرها.

ويذكر الإدريسي[8]، بأن الطريق الرابط مابين تلمسان ووهران، توجد قرية ريغة التي كانت "**ذات مياه مياه كثيرة وعيون مطردة**"، وبقرية ماروغة "**مياه جارية**"، والإشارات التي ذكرها الإدريسي تؤكد على نقطة هامة ومحددة للاستقرار البشري ألا وهي المياه، فما يفتأ يذكر قرية إلا ويشير إلى أن شربها من عيون، وسقي مزارعها منها أيضا، وبمنطقة الأوراس توجد قرية مسكيانة، وهي "**قرية عامرة ذات عيون وفيرة**"[9]، وبباغاي عيون وهي تحت جبل أوراس[10].

ويربط ابن خلدون[11]، بين قيام واحات البلاد الجريدية ووارکلان وتدفق مياه الأودية نحو الصحراء وغورها فيها، وإشارته هذه توحي بأن عيون هذه الواحات من تلك الأمطار التي تسيل في الأودية[12]، وتوفرت بلاد الزاب على مياه سايحة وعيون كثيرة[13]، وأغلب المناطق الريفية المحيطة بالمدن الزابية كانت تستغل مياه العيون في مختلف الأعمال الفلاحية.

والملاحظ أنّ سكان الأرياف كانوا يقومون بجلب العيون من الأماكن البعيدة في بعض الأحيان، وغالبا ما كان يحدث التصادم بين السكان عند مرور عين البعض على أرض البعض الآخر، وقد أجاز

---

[1] _الإدريسي: **المصدر السابق**، ص:157، 163.

[2] _**نفسه**، ص:163.

[3] _**نفسه**، ص ص:151_152.

[4] _البكري: **المصدر السابق**، ص:70.

[5] _نفس المصدر **والصفحة**، الحميري: **المصدر السابق**، ص:22.

[6] _مجهول: **المصدر السابق**، ص:135، الإدريسي: **المصدر السابق**، ص:153، الحميري: **المصدر السابق**، ص:613.

[7] _البكري:**المصدر السابق**، ص ص:75_76، وذكر صاحب **كتاب الاستبصار هذه العين باسم** "**يوريط**"، أنظر: ص:177، الحميري: **المصدر السابق**، ص:135، العمري:**المصدر السابق**،124/4، القلقشندي:**المصدر السابق**،150/5، يحي بن خلدون: **المصدر السابق**، 91/1، الوزان: **المصدر السابق**، 20/2.

[8] _**المصدر السابق**، ص:155.

[9] _**نفسه**، ص:195، أنظر كذلك: ابن حوقل: **المصدر السابق**، ص:84.

[10] _مجهول(ق6هـ): **الاستبصار**، ص:163.

[11] _**المصدر السابق**، 102/6.

[12] _عز الدين أحمد موسى: **المرجع السابق**، ص:60.

[13] _مجهول: **المصدر السابق**، ص:136، الحميري: **المصدر السابق**، ص:281.

الفقهاء بمنع هؤلاء الأخيرين إن شاؤوا ذلك[1]، ويتم تملك العيون من قبل سكان المناطق الريفية على غرار باقي المصادر المائية الأخرى[2].

ب_الآبار: تختلف أهمية الآبار باختلاف المجال الجغرافي الموجودة فيه[3]، إلاّ أنها شكلت موردا مائيا هاما في أرياف المغرب الأوسط عن طريق استغلال المياه الجوفية.

كان حفر الآبار يتم في المناطق التي تنعدم فيها سيول المياه والأمطار، كمنطقة وارجلان (واركلان)، التي كان يحفر فيها الرجل بئرا بأزيد من مئة دينار، لأن أرضهم صلبة والماء بعيد يدرك على أزيد من مئة قامة، وهكذا جميع آبارهم وبها يسقون جناتهم وزروعهم ونخلهم[4]، ويلجأ سكان هذه المناطق إلى استغلال المياه الجوفية، التي تفصلها عن السطح طبقة رقيقة صلبة، فيتم استخراجها بحفر آبار عميقة ويتعامل بحذر مع المياه المتفجرة بعد كسر تلك الطبقة.

ولتفادي تسرب مياه الآبار إلى الأرض، لجأ السكان لحفرها في الصخور، أو تبطينها بخشب العرعار[5]، مثل آبار العسكر بالقرب من مدينة يعلى بن باديس[6]، أو بالعشب وغيره ولكن هذا الأمر غالبا غالبا ما كان يخلف آثارا على طعم الماء ورائحته حسبما أشارت إليه بعض النوازل[7].

تتوزع الآبار بالعديد من مناطق المغرب الأوسط؛ فببونة الحديثة بير على ضفة البحر منقورة في حجر صلد يسمى بير النثرة ومنها يشرب أكثر أهلها[8]، وأضاف صاحب كتاب الاستبصار[9] أن ماء هذه البئر كان أعذب ماء، وشرب أهل جزائر بني مزغناي من آبار[10]، وبشرشال مياه وآبار معينة عذبة[11]، ورغم أنّ هذه الإشارات غير مقترنة بالأرياف، لكن من دون شك أن المناطق الريفية المحيطة كانت هي الأخرى مستفيدة من مياه هذه الآبار.

وفي مواضع أخرى إشارات واضحة إلى استفادة الأرياف من هذه الآبار، فكان لأرشجول آبار عذبة، لاتغور تقوم بأهلها وبمواشيهم، ولها ربض من جهة القبلة[12]، وببلزمة "**آبار طيبة وماؤها غدق في**

---

[1] _سحنون: **المدونة**، 471/4.

[2] _الفرسطائي: **المصدر السابق**، 257/4.

[3] _ محمد لمراني علوي: **قضايا المياه في بلاد المغرب الأقصى من خلال كتب النوزل الفقهية، المعيار للونشريسي كنموذج**، مقال ضمن كتاب: **الماء في تاريخ المغرب**، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، سلسلة ندوات ومناظرات، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، 1999م، ص: 52.

[4] _ مجهول (ق6هـ)، **المصدر السابق**، ص:224، الحميري: **المصدر السابق**، ص:600، ابن سعيد: **الجغرافيا**، ص:126.

[5] _جودت عبد الكريم: **المرجع السابق**، ص:61.

[6] _البكري: **المصدر السابق**، ص:72.

[7] _فتوى ابن رشد، البرزلي: **المصدر السابق**، 134/1، 136.

[8] _البكري: **المصدر السابق**، ص:55.

[9] _**المصدر السابق**، ص:127.

[10] _الإدريسي: **المصدر السابق**، ص:159، الحميري: **المصدر السابق**، ص:163.

[11] _الإدريسي: **المصدر السابق**، ص:159، الحميري: **المصدر السابق**، ص:340.

[12] _البكري: **المصدر السابق**، ص:77، الحميري: **المصدر السابق**، 27_28.

وسط فحص أفيح"[1]، وشرب أهل باغاي من وادي ومن آبار عذبة[2]، وكانت قرية تادرّة على الطريق بين تلمسان وتاهرت في فحص أفيح، بها بئران ماؤها معين[3].

والملاحظ أن آبار ريف المغرب الأوسط، لم تكن كلها عذبة صافية بل كان هناك آبار ملحة مثل آبار بنطيوس حسبما أورده البكري[4].

وعلى غرار العيون والسواقي فقد كانت الآبار أيضا يمتلكها الأشخاص بمفردهم[5]؛ فقد أجاز مالك تملكها إذا قام الرجل بحفرها في داره أو أرضه وله الحرية في بيع مائها، أما بئر الماشية فلا يجوز بيعها ولا بأس ببيع بئر الزرع[6].

المطلب الثاني: نظام الريّ وكيفية توزيع واستغلال المياه بأرياف المغرب الأوسط (التقنيات المائية):

1_أهمية السقي(الريّ): السقي هو الإستعمال الصناعي للمياه العذبة لتعويض غياب مياه الأمطار، أو عدم كفايتها لفلاحة الأرض، والحاجة للمياه تزيد بحسب نوعية التربة أو المنطقة أو الفصل الذي تنبت فيه المحاصيل الزراعية والبستنية[7]، ولا شك أن بعض الأشجار مثل شجر التين أو حتى الزيتون، يمكنها التلاؤم مع البيئة الجافة، لكن أغلب الخضراوات والأشجار المثمرة تتطلب قسطا أدنى من المياه، وقد عرف السكان المحليون في أغلب الأحيان كيف يوفّرونها بفضل أشغالهم المائية[8].

يعتبر نظام الريّ الريفي أو الزراعي ذا أهمية كبيرة خصوصا ببلاد المغرب الأوسط التي كان يعيش سكانها على ما تجود به الأمطار، لذلك يتم اللجوء إلى السقي وهو ما يفسّر ظهور الصهاريج والأحواض وقنوات التوصيل التي خلدتها آثار الفترات السابقة[9].

2_عوامل تطور نظام الري بأرياف المغرب الأوسط:

أ_اهتمام عامة السكان بنظام الريّ:

كان أهالي الريف يسيرون حياتهم اليومية فيما يتعلق باستغلال المياه والري وفقا للأعراف والتقاليد التي كانت سائدة بينهم، فكانوا يتبعون نظام المناوبة (النوبة) في ريّ أراضيهم[1] مثل أهالي مدينة البرج

---

[1] _البكري: **المصدر السابق**، ص:146، الحميري: **المصدر السابق**، 103.

[2] _الإدريسي: **المصدر السابق**، ص:171.

[3] _**نفسه**، ص:177، الحميري: **المصدر السابق**، ص:76.

[4] _**المصدر السابق**، ص:72.

[5] _الفرسطائي: **المصدر السابق**، 139/3.

[6] _سحنون: **المصدر السابق**، 468/4، 472، ابن أبي زيد: **المصدر السابق**، 11/11.

[7] _ موسى هواري: **المرجع السابق**، ص: 132.

[8] _ برنشفيك: **المرجع السابق**، 217/2.

[9]–Tahar Mansouri : **Produits agricoles et commerce maritime en Ifriqiya aux 12eme_15eme siécles**, In Médiévales, N=° 33, 1997, p.126.

التي كان أغلب سكانها من الفلاحين، ونظرا لقلة الماء بها فإن كل فلاح على إنفراد يجلب الماء إلى حقله ساعة أو ساعتين، من نهار حسب سعة أرضه غير القناة التي تُمرّر للحقول، ولهؤلاء الفلاحين ساعات مائية* يملؤونها وعندما تفرغ يكون وقت السقي المخصص لهم قد انتهى، ولا يحق للمستفيد من الماء أن يحتفظ به حينئذ[2].

وقسمة الماء جائزة في جميع الأنواع، سواء ذلك في الماء الجاري أو ماء المطر، والرواكد من المياه مثل الآبار والعيون والمواجل والأحواض والأوعية، وكذلك الماء الذي يكون في الجب، غير أن القسمة لا تجوز في الرهن أو الوصية[3].

وقسمة الماء الجاري يكون بالساعات والأوقات والليالي والأيام، ولا يجوز قسمته بالقواديس ولا بالأحواض[4]، أما ماء المطر فلابد أن يجمع في مسقى واحد حتى ينتهوا به إلى عمارهم فيقسمونه بالمقاسم، على قدر ما لكل واحد من الأرض والعمارات[5].

والزرع الذي غرس أولا، إذا كان في مكان عال يسقي بقية الزرع في الأسفل[6]، واقتسام العيون على دولة معلومة والسلف بعضهم لبعض[7]، واقتسام المياه حسب أيام الأسبوع[8]، وقسمة الماء بين الشركاء على النوبة أو الأحواض، فإنه يستوجب على كل واحد منهم أن يرصد نوبته وحوضه ومن ضيّع منهم سهمه، حتى دخل عليه سهم صاحبه فإنه لا يدرك فيه شيئا[9].

وما يدل على أن الريّ كان منظما تنظيما دقيقا أن المزارعون في تلمسان كانوا يتعاونون على سقاية الأرض على نحو مرتب[10]، فقد كان بتلمسان عين ماء مشتركة بين أهلها يسقون منها بساتينهم ومزارعهم، فمنهم من كان يروي أرضه ليلا ومنهم من كان يرويها نهارا، وجماعة كانت تروي من الغداة إلى الليل وأخرى من الزوال إلى العصر[11].

---

[1] _ابن رشد الجد: **المصدر السابق**، 1604/3_1605، الونشريسي: **المصدر السابق**، 416/8، 275/10، أمظر أيضا: الوساني: **المصدر السابق**، 474/1، الفرسطائي: **المصدر السابق**، 89/1.

(*)هي الوحدة الزمنية التي تقاس بها نوبة الماء وتسمى "القادوس"، وهو عبارة عن ثقب مثقوب في أسفل يجعل فيه الماء ثم يسقى بالنهر حتى يفرغ ذلك القدر، إما مرة أو مرات على قدر ما له من ذلك. أمظر: الفرسطائي: **المصدر السابق**، ص:90، محمد حسن: **المدينة والبادية**، 495/2.

[2] _الوزان: **المصدر السابق**،139/2، مارمول: **المصدر السابق**، 168/3_169.

[3] _الفرسطائي: **المصدر السابق**، ص ص:108_109.

[4] _**نفسه**، ص ص:109_110.

[5] _**نفسه**، ص:112.

[6] _فتوى ابن رشد، البرزلي: **المصدر السابق**، 420/4، الونشريسي: **المصدر السابق**، 274/10.

[7] _فتوى عياض، الونشريسي: **المصدر نفسه**، 394/8.

[8] _فتوى الداودي (ق4هـ)، الونشريسي: **المصدر نفسه**، ص:416.

[9] _الفرسطائي: **المصدر السابق**، ص:111.

[10] _كمال السيد أبو مصطفى: **المرجع السابق**، ص:58.

[11] _ الونشريسي: **المصدر السابق**، 111/5.

ويتم توزيع واستغلال المياه بالواحات وفق منظومة متوارثة ومتجددة، وكثيرا ما يرجع تأسيس النظم المائية وصيانتها وتوزيعها إلى عمل المجموعات الزراعية التي تتميز بالتوازن والاستقرار والحرية في تنظيم المجال الزراعي وإدارة شؤونها[1].

ب_اهتمام حكام الدول بنظام الريّ:

اهتم معظم الحكام بالمياه وبنظام الري، فحكومة بني زيري عملت على حفر القنوات والترع للري[2]، والأمير المنصور بن الناصر الحمادي قد أجرى المياه وأمر بغرس البساتين والحقول[3]، وعمل الموحدون على استنباط المياه من باطن الأرض وتوصيلها من أماكن توفرها إلى مناطق الزراعة[4]، إذ أنشأ هؤلاء الموحدون بحائر كثيرة في عدة أماكن ببلاد المغرب[5]، فقد قام أبو يوسف يعقوب ببناء القناطر والجباب للماء[6]، كما أقام ابنه الناصر منشآت مائية في كل من تلمسان وقسنطينة[7].

ومن المجهودات التي قام بها الموحدون في مجال الري أيضا هي جرّ المياه من المنحدرات الجبلية بعد تنقيتها من الحجارة والأشجار مثلما وجدت في سهول بني راشد[8]، بنواحي تلمسان وهو ما جعل هذه الأخيرة تشتهر بكثرة قنواتها التي تستمد مياهها من الوادي وتتشعب تلك القنوات لتروي المزارع والبساتين خارج المدينة[9].

3_كيفية توزيع واستغلال المياه بأرياف المغرب الأوسط (طرق السقي):

أ_ملكية الماء بأرياف المغرب الأوسط: بالنظر لما أوردته المصادر النوازلية وكتب الفقه، نجد أنّ ملكية المياه والانتفاع بها بالمغرب الأوسط، تنضوي على ثلاث أنواع هي:

أ1_الملكية المشتركة للماء: اختلفت أنماط الشركة في المياه؛ فهناك الشركة في العين، أو الساقية أو النهر[10]، وكثيرا ما تشير المصادر إلى الماء المشترك بين قوم أرادوا قسمته والطرق التي تتم وفقها هذه القسمة[11]، وأفردت إحدى نوازل مازونة حول عادة السقي ببعض المناطق الريفية التي ينتفع منها أصحاب

---

[1] _محمد حسن: **المدينة والبادية**، 404/2.

[2] _ عبد الفتاح مقلد الغنيمي: **موسوعة النشاط الاقتصادي في المغرب الاسلامي خلال القرن 6هـ**، ط1، دار الشروق، القاهرة، 1403هـ/1983، ص ص:94_95.

[3] _ عبد الرحمان الجيلالي: **تاريخ الجزائر العام**، ط2، مكتبة الشركة الجزائرية، الجزائر، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، 1384هـ/1965م، 374/1.

[4] _ محمد بن عميرة: **توصيل المياه وتخزينها ببلاد الغرب من الفتح الاسلامي إلى سقوط دولة الموحدين**، مجلة دراسات تراثية، الجزائر، العدد2، 2008، ص:150.

[5] _ مجهول(ق6هـ): **الاستبصار**، ص:187.

[6] _ ابن أبي زرع: **روض القرطاس**، ص:218، السلاوي: **الاستقصا**، 177/2_178.

[7] _ ابن خلكان: **وفيات الأعيان**، 15/7_16.

[8] _ ابن صاحب الصلاة: **المن بالامامة**، ص:435.

[9] _ حسن علي حسن: **المرجع السابق**، ص:114.

[10] _الفرسطائي: **المصدر السابق**، 147/3، 601/8، فتوى أبا الفضل العقباني، المازوني: **المصدر السابق**، 66/2ظ.

[11] _الفرسطائي: **المصدر السابق**، 110/5.

الجنات والبحائر ونصيب كل واحد منهم، حيث كانت دورة السقي أسبوعية يتم من خلالها استغلال الماء على خمسة أجزاء يومية[1]، ومن حق المنتفع بالماء المشترك التصرف فيه إما بالكراء أو السلف في حال عدم احتياجه في سقي زرع أرضه[2].

وجرت العادة في ريف تلمسان أن يسقي أرباب الجنات من الماء المشترك فيما بينهم كالتالي: يسقي الأعلى ثم من الغد يسقي أسفلهم، ثم من الغد يسقي الأعلى مرة أخرى لأن في نصيبه دولتين، ثم يسقي بعده بعض من في الوسط وهكذا[3]، والواضح أن عادة السقي بهذه الطريقة جاءت مخالفة لما هو منصوص عليه في السنة الشريفة[4]، بل إنّ الداودي قد أكدّ على ضرورة استغلال المياه المشتركة بالإصطلاح على ما شاؤوا، وإلاّ يسقي الأعلى فالأعلى، ويمسك الأعلى إلى الكعبين في أرضه ثم يرسل على من بعده حتى يبلغ آخرهم[5].

والشركة في المياه غير مرتبطة بمياه الأنهار والأودية فحسب؛ بل إن العيون أيضا تكون مشتركة بين سكان الريف[6].

أ2_ماء الملك: أشارت النوازل لملكية رجل لجنة وله نصيب من أفراد ماء مشترك بين أصحاب الجنات الواقعة تحت جنته، وقام هذا الرجل بشراء جنة مع أفرادها ثم باع من أفراده لرجل فردين ونصف دون تحديد نوع الأفراد، وما يؤكد ملكية هذا الرجل لإفراد الماء التي بحوزته هو تصرفه فيها بالبيع[7]، ويتم تملك تملك السواقي برسم البيع أو بدون تحديد للكيفية التي تم بها التملك[8]، وانتشرت بالواحات الصحراوية ملكية ملكية الماء بطريقة فردية[9].

ورغم أن لمالك الماء مطلق الحرية في بيعها واستغلالها إلاّ أن مالك كان يكره بيع ماء مواجل السماء، وكذا بيع بئر الماشية أو بيع أصلها[10]، لكنه لم ير بأسا في بيع فضل ماء الزرع من العيون أو الآبار[11]، وحول بيع حصص الماء فقد أكدّ كُتّاب عقود الوثائق بضرورة تسمية الشهر والسنة وحمل الماء كذا وكذا، وكم فيه من القلة، وعدد الأحمال في كل يوم إلى أن يكمل إيراده جميع ما بيع إليه[12].

---

[1]_فتوى عبد الرحمن الواغليسي، المازوني: **المصدر السابق**، ورقة 30و.

[2]_فتوى السيوري: الونشريسي: **المصدر السابق**، 273/8.

[3]_فتوى حمو الشريف (ق9هـ)، المازوني: **المصدر السابق**، 513/1و.

[4]_حديث "**يمسك حتى يبلغ الكعبين ثم يرسل الأعلى على الأسفل**"، أنظر: مالك بن أنس، **الموطأ**، رواية محمد بن الحسن الشيباني، ص:269.

[5]_الداودي: **كتاب الأموال**، 182/4، فتوى ابن رشد(ق6هـ)، البرزلي، **المصدر السابق**، 420/4.

[6]_فتوى أبو العباس أحمد بن يحي الونشريسي(ق10هـ)، الونشريسي، **المصدر السابق**، 111/5.

[7]_فتوى حمو الشريف، المازوني: **المصدر السابق**، 512/1ظ_513و.

[8]_فتوى بعض الفقهاء، البرزلي، **المصدر السابق**، 444/4، الونشريسي: **المصدر السابق**، 430/8.

[9]_الفرسطائي: **المصدر السابق**، 601/8.

[10]_سحنون: **المصدر السابق**، 439/3، 472/4.

[11]_**نفسه**، 439/3، 469/4.

[12]_عبد الواحد المراكشي: **وثائق المرابطين والموحدين**، ص ص:310_311.

أ3_الماء المشاع: الماء المشاع هو الذي لا مالك له، وكانت أغلب مياه الأنهار والأودية مشاع بين السكان[1]، وأشارت إحدى النوازل لنهر مشاع بين قوم مات بعضهم وغاب آخرون، وبعضهم باق في موضعه وفيه مياه مغصوبة وهو في غالب الزمان لا قيمة له، ومبتذل فهل يجوز شرب ذلك واستعماله، فكانت الإجابة أنه في الوقت الذي يكون لا قيمة له فيجوز شربه واستعماله، وأما حين تكون له قيمة وتشّاح الناس فلا يجوز استعماله حينئذ[2].

ويجوز استغلال الماء المشاع في النشاط الزراعي والبستني، لكن في حال بيعه فإن ثمنه يصرف في منافع المسلمين[3]، وفي حال استحداث ساقية لسقي البساتين من نهر مشاع بين قوم، فإن استغلال مياهها مياهها يكون بالجزء المتفق عليه بنصيب كل واحد من المياه[4]، والماء إذا كان غير متملك فمن حق أصحاب الجنات أن يبدأوا بالسقي به على أصحاب الأرحاء[5].

ب_استغلال المياه في النشاط الزراعي والبستني:

ب1_استغلال مياه الأمطار في النشاط الزراعي والبستني:

يعتمد القسم الأكبر من المساحات الزراعية ببلاد المغرب غالبا على الريّ من مياه الأمطار[6]، فالغالب على الجهات الشمالية لبلاد المغرب الأوسط بأجزائه الشرقية والغربية[7]، أنها كانت تزرع على الأمطار، ولما كانت أغلب مناطق الهضاب العليا ورفارف الصحراء تحتاج إلى السقي كي تزرع ومن ثم "**فإذا لم يهطل مطر في الأطلس وجفت وديان نوميديا فإنه لا يمكن سقي الأراضي، وإذا لم ينزل مطر كذلك في أكتوبر فإنه لا يرجى أن يكون حصاد تلك السنة، وإذا لم تمطر السماء في شهر أبريل كانت غلة القمح منعدمة في البوادي**"[8].

كان السكان على معرفة جيدة باستغلال مياه الأمطار[9]، فتخزن السيول في المواجل والصهاريج، أو أو عن طريق التخزين السطحي في الأودية الجافة التي تقع في الحقول البعيدة نسبيا عن التجمعات

---

[1]_فتوى أبا عمران، البرزلي: **المصدر السابق**، 228/3، الونشريسي: **المصدر السابق**، 68/6، 413/8.

[2]_فتوى بعض الفقهاء، البرزلي، **المصدر السابق**، 453/4، 47/5.

[3]_الداودي: **المصدر السابق**، 180/4، أنظر أيضا: فتوى الداودي(ق4هـ)، الونشريسي، **المصدر السابق**، 416/8، 70/9.

[4]_فتوى أبا عمران، البرزلي، **المصدر السابق**، 401/8_402.

[5]_ابن رشد الجد: **المصدر السابق**، 1089/1.

[6]_محمد بن عميرة: **الموارد المائية وطرق استغلالها ببلاد المغرب من الفتح الإسلامي إلى سقوط دولة الموحدين**، دكتوراه دولة، إشراف موسى لقبال، جامعة الجزائر، 2005/2004م، ص:113، موسى هواري: **المرجع السابق**، ص:157، Richard Lawless : **L'evolution du peuplement rural**, p.459.

[7]_ العمري: **المرجع السابق**، ص،ص: 87، 120، القلقشندي: **المصدر السابق**، ص، ص: 114، 175.

[8]_ الوزان: **المصدر السابق**، 80/1_81، مارمول: **المصدر السابق**، 31/1_32.

[9]_ محمد سويسي: **مسائل الري والفلاحة في المغرب العربي**، ص: 269.

السكانية، ويتم هذا عن طريق إحداث بعض المنشآت قبل موسم التساقط، كالحفر أو الحواجز أو السدود لتعترض الماء فتحبسه أو تتحكم في اتجاه جريانه[1].

ب2_استغلال مياه الأودية والأنهار في النشاط الزراعي والبستني:

تعتبر الأنهار من أفضل مصادر الري لأن جريانها الدائم يحافظ على استقرار الإنتاج ويسمح بتنظيمه، بحيث يمكن التحكم في وقت وحجم المياه اللازمة لكل محصول حسب طبيعته، كما يساعد ماؤها على زيادة خصوبة التربة بسبب الطمّى الذي تحمله[2]، ولا تتعلق أهمية الأنهار بحجم الكبر والصغر والصغر فحسب؛ بل بحسب الفصول أيضا فهناك من تكون في أوقات التساقط مثل هاز "**التي كانت على نهر شتوي**"[3]، والملاحظ أن مياهه كانت تستغل في سقي المزروعات في فترة جريانه، وبشرق تنس واد كبير كثير الماء وشربهم منه في أيام الشتاء والربيع[4].

والسقي بمياه الأنهار يتم بطرق كثيرة مثل نقل المياه إلى الحقل باستعمال قنوات مائية تسمى القواديس أو السواقي[5]، وتختلف أهمية السواقي من منطقة إلى أخرى ومن واحة إلى أخرى وكذلك حجمها من حيث الكبر والصغر، فنهر بجاية كان بضفتيه البساتين متقابلا شرقا وغربا، والشرقي منها يسمى الربيع[6] وعليه الكثير من الجنات[7] وعلى شاطئيه المنتزهات[8].

ووفرة الأنهار والأودية بالمغرب الأوسط قد زودت الأرياف بكميات وفيرة من المياه التي تستخدم في زراعة مساحات واسعة من الأراضي سواء في النشاطين معا مثل فحص بجاية الذي "تشقه أنهار وعيون"[9]، ولمليانة نهر"**يسقي أكثر حدائقها وجناتها وجانبي مزارعها...ولأقاليمها حظ من سقي نهر شلف**"[10]، ولتلمسان أنهار[11] التي استغلت أيضا لسقي الغياض والبساتين[12]، وما جاورها من المزارع كلها مسقي وغلاتها ومزارعها كثيرة[13].

---

[1] _ موسى هواري: **المرجع السابق**، ص:159.

[2] _ نفسه، ص: 161.

[3] _البكري: **المصدر السابق**، ص: 143.

[4] _الإدريسي: **المصدر السابق**، ص:153، الحميري: **المصدر السابق**، ص:138.

[5] _ موسى هواري: **المرجع السابق**، ص: 165.

[6] _أبو الفدا: **المصدر السابق**، ص:137، العمري: **المصدر السابق**، ص:91، القلقشندي: **المصدر السابق**، 109/5.

[7] _مجهول(ق6هـ): **الاستبصار**، ص ص:129_130، المراكشي: **المعجب**، ص:449.

[8] _ابن سعيد المغربي: **الجغرافيا**، ص:142، **بسط الأرض**، ص:76.

[9] _مجهول(ق6هـ): **المصدر السابق**، ص:130، الحميري: **المصدر السابق**، ص ص:80_81.

[10] _الإدريسي: **المصدر السابق**، ص:154، الحميري: **المصدر السابق**، ص:547.

[11] _البكري:**المصدر السابق**، ص:76.

[12] _يحي بن خلدون: **المصدر السابق**، ص:86، أبو الفدا: **المصدر السابق**، ص:137، القلشندي: **المصدر السابق**، 150/5.

[13] _الإدريسي:**المصدر السابق**، ص:150، الحميري: **المصدر السابق**، ص:135.

وكان نهر سيرات يسقي معظم نواحي تلمسان مثل منطقة باب القصر وقلعة هوارة[1]، وهذا النهر يسقي فحص سيرات وطول هذا الفحص نحو 40 ميلا، ليس منه شيء إلاّ يناله ماء هذا النهر[2].

والمناطق الداخلية القريبة من الصحراء استغلت مياه الأنهار أيضا في هذين النشاطين؛ مثل أرياف طبنة التي "**من نهرها تسقي بساتينها**"[3]، واسم نهرها بيطام، وإذا حمل سقى جميع بساتينها وفحوصها ويقول أهلها بيطام بيت الطعام لجودة زرعها[4]، والملاحظ أن جودة زرعها تعود أساسا لطريقة السقي بالمياه العذبة والتي استمرت حتى القرون التالية إذ أن "**أكثر زرعهم سقي**"[5].

ويتم استغلال مياه النهر الواقع بجانب قصر يعقوب بن عليّ الرياحي، عن طريق السواقي لسقي الرياض التي تحتوي على النخيل والأشجار وبقية الزروع[6]، وهذه الاشارات الآنفة الذكر توحي بوجود تلازم ما بين ممارسة النشاط الزراعي والبستني في معظم الأرياف خلال هذه الفترة.

إنّ استغلال مياه الأنهار على نطاق واسع كان يتم ضمن النشاط البستني لحاجة الأشجار المثمرة وسائر الخضروات للمياه، لذلك فالمصادر تزخر بالمعلومات حول هذا الموضوع، فبغربي بونة "**ماء سايح يسقي بساتينها وأرضها**"[7]، وبشرقي آسلن* نهر يسقي بساتينها وثمارها، وهي محاطة من كل ناحية بنهر[8]، ولندرومة نهر يسمى ماسين وهو كثير الثمار[9].

وبالمناطق الداخلية (القريبة من الصحراء) وكذلك الواحات؛ استغلت مياه الأنهار في سقي البساتين، فنهر سي سي بن دمر بالقرب من مدينة يعلى بن باديس، وهو "**نهر كبير يسقي كثير من البساتين**"[10] وينحدر

---

[1] _البكري: **المصدر السابق**، ص:79، الادريسي: **المصدر السابق**، ص:150، مجهول: **المصدر السابق**، ص ص:177_178.

_يتكون نهر سيرات من نهرين (**وادزيز**) ينبع أحدهما من جبال بني راشد قرب مدينة معسكر، وينبع الآخر من الأطلس الكبير ويلتقيان في هذا البسيط حيث تسميه العرب باسم آخر (**غمارة**) بينما يسمى في المجرى الأسفل بنهر سيرات نسبة إلى هذا السهل، (أنظر: **هامش كتاب افريقيا لمارمول**، 2/325_326).

[2] _البكري: **المصدر السابق**، ص:70، الحميري: **المصدر السابق**، ص:470، مارمول: **المصدر السابق**، ص ص: 325_326.

[3] _البكري: **المصدر السابق**، ص:50، مجهول(ق6هـ): **المصدر السابق**، ص:177، الحميري: **المصدر السابق**، ص:387، الحموي: **المصدر السابق**، 4/21.

[4] _البكري: **المصدر السابق**، ص:51.

[5] _أبو الفدا: **المصدر السابق**، ص:139، القلقشندي: **المصدر السابق**، ص:107.

[6] _ النميري: **المصدر السابق**، ص:422.

[7] _البكري: **المصدر السابق**، ص:54، مجهول(ق6هـ): **المصدر السابق**، ص:127، الحميري: **المصدر السابق**، ص:115.

(*) آسلن أو آسلي وهي مدينة واقعة بشرقي أرشجول، (أنظر: مجهول(ق6هـ): **المصدر السابق**، ص:135، الحميري: **المصدر السابق**، ص:58).

[8] _البكري: **المصدر السابق**، ص:78، مجهول(ق6هـ): **المصدر السابق**، ص:135، الحميري: **المصدر السابق**، ص:58.

[9] _البكري: **المصدر السابق**، ص:80، يحي بن خلدون: **المصدر السابق**، ص ص:88_89.

[10] _البكري: **المصدر السابق**، ص ص:71_72.

من جبل أوراس نهر يشق غابة بسكرة "**يسقي بساتينها ونخلها وطوله ستة أميال ومنه شرب أهلها**"[1]، وبغربي صحراء بنطيوس تسقي ثلث النهر المذكور[2].

ومن الأنهار من كانت تُستغل لسقي "المزارع" والمرجح أن المنتجات الزراعية كانت تشمل انتاج الحبوب مثل العدس، الحمص...إلخ، فبشرق مدينة تبسة "**نهر ملاق وهو عظيم يسقي نواحي فحص بل وهو من أطيب أرض إفريقية مزدرعا**"[3]، والمناطق الريفية المحيطة بمدينة "ابن ماما" أو "ماما"، تزرع على على واد عذب المياه[4]، وكذلك مزارع قرية دارست الواقعة على الطريق الرابط بين تاهرت وأشير[5]، وكانت وكانت قرية بابلوت الواقعة على الطريق الرابط بين تلمسان وتنس على "**نهر ليس به أرحاء وتسقى منه المزارع**"[6]، وقصر تامزيزدكت الذي يسيل بسفحه نهر التافنة ، وتحيط به أراضي جيدة كانت تزرع فيها حاجات السكان[7]، وهذا دليل على وفرة مياه هذا النهر التي كانت مصدرا لسقي مزارع تلك النواحي.

وحول هذا الاستغلال فإنني أتساءل عن مدى منافسة مدينة العصر الوسيط؛ وبالضبط المدن الآنفة الذكر للأرياف في وسائل الري على اعتبار أن أغلب الحواضر كانت مسيطرة على ظهيرها الزراعي والأرياف القريبة منها؟

اهتم حكام الفترة بالتقنيات المائية لما لها من أهمية للمدينة والريف على حد سواء، فتلمسان "**تنصب عليها من عل أنهار من ماء غير آسن تتجاذبه أيدي المذانب والأسراب المكفورة ثم ترسله بالمساجد والمدارس والسقايات فالقصور، وعليه الدور والحمامات فيقعم الصهاريج ويفهق الحياض ويسقي ريعه خارجها مغارس الشجر ومنابت الحب**"[8]، فقد اشتهرت هذه المدينة بكثرة قنواتها التي تستمد مياهها من الوادي وتتشعب تلك القنوات لتروي المزارع والبساتين خارج المدينة[9].

واستعمال الأنهار عادة ما يكون مشتركا وعاما لا يدعو إلى النزاع والمشاحنة، وإذا توفرت غزارة المياه في النهر أصبح الانتفاع به في السقي جائزا ما شاء ومتى شاء المنتفع علما بأنه لا ضرر فيه على أحد، إلاّ أنّ هذا الاستغلال والمنفعة المشتركة يحتمان الاشتراك أيضا في الكنس والتطهير[10].

ومن الأهمية بمكان الإشارة إلى أنّ سكان الصحراء كانوا يستخدمون تقنيات خاصة في ري أراضيهم، عن طريق تعويم مياه الفيضانات واستغلال القلت والغدران وإقامة سدود تقليدية على المجاري المؤقتة[1].

---

[1] _**نفسه**، ص:53.

[2] _**نفسه**، ص:72.

[3] _البكري: **المصدر السابق**، ص ص:53_54.

[4] _ابن حوقل: **المصدر السابق**، ص:85، الإدريسي: **المصدر السابق**، ص:157، الحميري: **المصدر السابق**، ص ص:114_115.

[5] _الإدريسي: **المصدر السابق**، ص:157.

[6] _نفسه، ص:151.

[7] _الوزان: **المصدر السابق**، 2/11_12.

[8] _يحي بن خلدون: **المصدر السابق**، 1/85_86.

[9] _ أبو مصطفى: **المرجع السابق**، ص: 58.

[10] _لمراني علوي: **قضايا الماء**، ص:50.

ب3_استغلال المياه الجوفية:

***استغلال مياه العيون والآبار بالمناطق الشمالية:** استخدمت مياه العيون والآبار أيضا في النشاط الزراعي والبستني ففحص بجاية الساحلي كان يُسقي من عيون[2]، إلى جانب الأنهار كما أشرت آنفا، وجيجل التي تملك أراضي خصبة بها عيون تقام على جنباتها أجنة بها أشجار التين والجوز[3].

ونلاحظ أن المعلومات الواردة بهذا الجانب متعلقة خاصة بالمناطق الداخلية ذات المناخ شبه الجاف، فحول بادس عيون كثيرة[4] قامت بفضلها مراكز زراعية (أرباض، مزارع، بساتين، نخيل..)، والمناطق المحيطة بتيفاش "**ذات عيون ومزارع كثيرة**"[5]، والمسيلة تزرع أراضيها من عين ماء تخرج من نهر تقام عليه الأرحاء[6]، ولتيهرت "**نهر آخر يجري من عيون تجتمع تسمى تاتش ومن تاتش شرب أهلها وبساتينها**"[7].

ويستخدم أهل تلمسان العيون والآبار في "**شربهم وسقي أراضيهم**"[8]، وكانت قرية آجر ماؤها من الآبار ولهم زروع كثيرة[9]، ويقوم النشاط البستني _سقي الجنات تحديدا_، بأرياف تلمسان على استغلال مياه العيون والواضح أنّ أهميتها جعلت المستفيدين منها يستغلونها لعقود طويلة تجاوزت الخمسين عاما، مع اعتمادهم على نظام المناوبة (ليلا ونهارا، زوالا وعصرا)، للدرجة التي أشكلت على السكان معرفة حظوظهم نتيجة لاختلاط نصيب المستفيدين بالوراثة، والبيع والشراء،...إلخ[10].

واعتمدت المناطق الجنوبية على مياه العيون والآبار لسقي البساتين والمزارع التي ميزت أغلب الواحات المتواجدة بوارجلان (واركلان)[11]، وبعض الواحات الصحراوية.

والسقي بمياه الآبار كان متداولا من قبل فلاحي الفترة، حيث كان المزارعون يحصلون على الماء اللازم من الآبار لسقي الحقول الزراعية[12]، وتستخدم الإبل والبقر والبغال لرفع الماء بالدلاء[13].

---

[1] _محمد بن عميرة: **الموارد المائية**، ص:113.

[2] _مجهول(ق6هـ): **المصدر السابق**، ص:130، الحميري: **المصدر السابق**، ص:81.

[3] _مارمول: **المصدر السابق**، 381/2.

[4] _مجهول(ق6هـ): **المصدر السابق**، ص: 175.

[5] _ الحميري: **المصدر السابق**، ص:146.

[6] _مجهول(ق6هـ): **المصدر السابق**، ص:161.

[7] _البكري: **المصدر السابق**، ص ص:66_67، مجهول(ق6هـ): **المصدر السابق**، ص:178، الحميري: **المصدر السابق**، ص:126، الحموي: **المصدر السابق**، 9/2.

[8] _مجهول(ق6هـ): **المصدر السابق**، ص:171.

[9] _ابن حوقل: **المصدر السابق**، ص ص:85_86.

[10] _فتوى الونشريسي: **المصدر السابق**، 111/5_112.

[11] _مجهول(ق6هـ): **المصدر السابق**، ص:224، الحميري: **المصدر السابق**، ص:600.

[12] _مارمول: **المصدر السابق**، 381/2.

[13] _ محمد سويسي: **المرجع السابق**، ص: 270.

***استغلال المياه الجوفية بالمناطق الصحراوية:** تجدر الإشارة إلى أنّ أغلب أراضي الواحات الصحراوية المخصصة للنشاط البستني كانت مرفقة بالمنشآت المائية كالعين، أو البئر أو الماجل،...إلخ[1]، واعتمد سكان الواحات في أنشطتهم الزراعية والبستنية على المياه الجوفية بشكل كبير، "**فبلاد ريغ طولها خمسة أيام وهي بلاد نخل ومحمضات ومياه تنبع على وجه الأرض فيصعد الماء كالسهم إلى أمد طويل ويسيح في المزارع**"[2].

وكانت البلاد الصحراوية (قصور توات وتيكورارين ووارکلا وريغ) تعتمد على تقنية غريبة في استنباط المياه الجارية لا توجد في تلول المغرب، وذلك أن البئر تحفر عميقة بعيدة المهوى وتطوى جوانبها إلى أن يوصل بالحفر إلى حجارة صلدة فتنحت بالمعاول والفؤوس إلى أن يرق جرمها، ثم تصعد الفعلة ويقذفون عليها زبرة من الحديد تكسر طبقها على الماء، فينبعث صاعدا فيعم البئر ثم يجري على وجه الأرض واديا[3].

ب4_ استغلال مياه الجداول: لقد كانت المناطق التي ينذر بها تواجد مياه الأمطار أو الأنهار أو العيون، يعتمد سكانها في سقي مزروعاتهم على مياه **الجداول** مثل الجهات المحيطة بمدينة جيجل التي كانت شديدة الجفاف[4].

4_استغلال المياه في عمليات مكملة للعمل الفلاحي:

أ_الأرحاء:

الملاحظ أنّ سكان الأرياف قد اعتمدوا على الأرحاء المائية بشكل خاص، التي انتشرت في مختلف المناطق وعلى ضفاف الأودية والأنهار، وأغلب المعلومات التي أوردتها مصادر الفترة، كانت متعلقة بالأرحاء المقامة بالقرب من المدن، فبشرق مدينة الجزائر كان هناك نهر أقيمت عليه الأرحاء التي يطحن فيها السكان زروعهم[5] وقزرونة (متيجة) على نهر كبير عليه الأرحاء[6]، وقرب شرشال من جهة الشرق يوجد نهر تدير، أقيمت على مياهه عدد من أرحاء الزرع[7]، كما أقيمت على ضفتي نهر الشلف المار بشرق مستغانم عدد من الأرحاء[8].

---

[1] _الفرسطائي: **المصدر السابق**، 529/7.

[2] _ابن سعيد: **كتاب الجغرافيا**، ص:126، **بسط الأرض**، ص:60.

[3] _ ابن خلدون: **المصدر السابق**، 7/ 77_78.

[4] _مارمول: **المصدر السابق**، 381/2.

[5] _مارمول: **نفسه**، ص:363.

[6] _البكري: **المصدر السابق**، ص:66، مجهول(ق6هـ): **المصدر السابق**، ص:132، الحميري: **المصدر السابق**، ص:523.

[7] _مارمول: **المصدر السابق**، 356/2.

[8] _نفسه، ص:350.

والأرياف المحيطة بوهران "**ذات أنهار وأرحاء**"[1]، أما عند الحديث عن مليانة والخصراء، اللتين كثيرا ما تذكران معا من قبل الرحالة والجغرافيين، فنجد أن كلتاهما كانتا كثيرتي "الأنهار والأرحاء"[2]، خاصة مليانة[3] الواقعة بجبل نكار الذي تنبعث منه "**عين خرارة عظيمة تطحن عليها الأرحية لقوتها**"[4]، وتلمسان وتلمسان "**بشرقيها أرحاء كثيرة على نهرها**"[5]، والتي بلغ عددها ثلاثة آلاف رحى[6] واستمر استخدام هذه الأرحية حتى نهاية العصر الوسيط سواء لطحن القمح[7]وسائر الحبوب[8].

ومدينة تافدة كانت على نهرين أحدهما حمة ومنه شربهم وعليه أرحاؤهم"[9]، وبقبلي مدينة فكان نهر سيرة عليه "الأرحاء[10].

والملفت للانتباه هي المعلومة التي ذكرها الإدريسي فيما يتعلق بقرية بابلوت الواقعة على الطريق الرابط من تلمسان إلى تنس التي:"**كانت على نهر ليس به أرحاء**"[11]، فهل الأرحاء المائية كانت منتشرة بكثرة إلى درجة أن الادريسي لم يهتم بذكرها، حيث أن وجودها كان أمرا بديهيا لذلك ذكر القرى التي لاتحتوي عليها؟ أم أنّ هذه الأرحاء ولكونها منشآت ريفية كانت بسيطة وبدائية لذلك لم تلفت انتباه الإدريسي واكتفى فقط بذكر الأرحاء الواقعة على الأنهار الكبرى مثل نهر الشلف ونهر تلمسان، وهو ما أرجحه في دراستي هذه.

والمعلومات الواردة بشأن الأرحاء المائية كانت متمركزة بالمناطق الشمالية وبالضبط تلك التي تشهد كميات وفيرة من التساقط، مما يسمح بتغذية الأنهار بالمياه، أما عن المناطق الداخلية والقريبة من الصحراء، فتستغل مياه العيون في طحن الحبوب، فالغدير "**بها عين ثرّة عليها الأرحاء وتحتها عين خرّارة ومن هناك ينبعث نهر سهر**"[12].

---

[1] _البكري: **المصدر السابق**، ص ص:70_71، مجهول(ق6هـ): **المصدر السابق**، ص:135، الحميري: **المصدر السابق**، ص:612_613، الحموي: **المصدر السابق**، 385/5، ابن عذارى، البيان، **قسم الموحدين**، ص: ابن خلدون: **المصدر السابق**، 308/6.

[2] _ابن حوقل: **المصدر السابق**، ص:88، البكري: **المصدر السابق**، ص:60، 75، الادريسي: **المصدر السابق**، ص:154، مجهول: **المصدر السابق**، ص:176، الحميري: **المصدر السابق**، ص:135، 547، الحموي: **المصدر السابق**، 283/5.

[3] _ الحموي: **المصدر نفسه**، ص:196.

[4] _مجهول(ق6هـ): **الاستبصار**، ص:176.

[5] _الإدريسي: **المصدر السابق**، ص:150، الحميري: **المصدر السابق**، ص:135، القلقشندي:**المصدر السابق**، 150/5، العمري: **المصدر السابق**، 125/4، يحي بن خلدون: **المصدر السابق**، 91/1.

[6] _أبو الفدا: المصدر السابق، ص:123_124.

[7] _الوزان: **المصدر السابق**، 20/2.

[8] _مارمول: **المصدر السابق**، 299/2.

[9] _البكري: **المصدر السابق**، ص:143.

[10] _البكري: **المصدر السابق**، ص:79، الحميري: **المصدر السابق**، ص،ص: 51، 440_441، الحموي: **المصدر السابق**، 232/1.

[11] _**المصدر السابق**، ص:151.

[12] _البكري: **المصدر السابق**، ص ص: 59_60، الحميري: **المصدر السابق**، ص:427.

كما تستغل الآبار في طحن الحبوب؛ فبمليانة "**آبار تطحن عليها الأرحاء**"[1]، وإن كنت أتناول هذه المعلومة بتحفظ، لأن الحموي ناقل عن الإدريسي[2] الذي أشار إلى "**مليانة التي كانت لها أرحاء على نهرها المذكور**".

وأحيانا وبسبب إحداث الرحى على الجنات فإن أهل الفساد والشرّ يتسلطون على سكانها وسرقة الجنات، لكن الفقهاء لم يمنعوا إحداث الرحى على المياه المستغلة لسقي الجنات، ويجب على الناظر في أمور المسلمين منع أهل العدوان والسرقة[3]، بل أحيانا يكون النزاع حول كمية المياه المستغلة بين الطرفين الطرفين كلاّ وحاجته[4].

لم ير الفقهاء مانعا من إحداث رحا جديدة فوق رحا قديمة في حال عدم وجود ضرر[5]، لكن في حال إحداث المراحيض على المياه المستغلة في السقي، فلابد من إزالتها ومنع إحداثها في حال وجود ضرر[6].
ضرر[6].

ب_الصباغة: استخدمت مياه الأنهار والأودية والعيون في الصباغة أيضا، مثلما هو الحال بالنسبة لمدينة دلس (تدليس) التي كان جل "سكانها صباغون لوجود عدد من العيون والجداول بها"[7].

5_أدوات الري ووسائله بأرياف المغرب الأوسط:

أ_أدوات الري: اعتمد سكان الريف على عدة أدوات لريّ أراضيهم منها:

أ_1_الناعورة(الطاحونة): الناعورة عبارة عن عجلة أو دولاب خشبي موضوعة عموديا مثبة على قضيب، يرتكز على قائمتين ومزودة بدلاء تحمل الماء إلى أعلى وتفرغه ثم تعود سيرتها الأولى، وتدار الناعورة بواسطة الحيوانات أو تيار النهر[8]، وترفع الناعورة الماء من القنوات والأنهار[9]، بواسطة كيزان عددها للناعورة الكاملة 80 كوزا[10].

---

[1] _الحموي: **المصدر السابق**، 227/5.

[2] _**المصدر السابق**، ص:154.

[3] _عياض: **مذاهب الحكام**، ص:90.

[4] _ابن أبي زيد: **المصدر السابق**، 70/11، ابن رشد الجد: **المصدر السابق**، 1291/1_1292، عياض: **مذاهب الحكام**، ص:251، فتوى عياض، البرزلي، **المصدر السابق**، 422/4 _423، الونشريسي، **المصدر السابق**، 385/8_386.

[5] _فتوى عبد الرحمن الواغليسي، المازوني: **المصدر السابق**، 4/2ظ.

[6] _ابن رشد الجد: **المصدر السابق**، 1330/1_1331، عياض: **المصدر السابق**، ص ص:90_91، أنظر أيضا: البرزلي: **المصدر السابق**، 137/1، الونشريسي، **المصدر السابق**، 395/8_396.

[7] _الوزان: **المصدر السابق**، 42/2.

[8] _جودت عبد الكريم: **الأوضاع الاقتصادية**، ص:63، محمد حسن: **المدينة والبادية**، 390/2، قلعة جي، قنيبتي: **المرجع السابق**، ص:472، بيار جورج: **المرجع السابق**، ص:838.

[9] _أبو المعاطي: **المرجع السابق**، 440/2.

[10] _ يسع كل كوز 15 رطلا، الرطل 7,65 ل ويمكن أن تروي الناعورة 350_400 جريبا من غلات الشتاء أو 80 جريبا من غلات الصيف (أنظر: جودت عبد الكريم: **المرجع السابق**، ص:63).

استعمل سكان الأرياف أداة الناعورة لاستغلال المياه، ففي بجاية صنعت على نهرها الذي يحتوي على الكثير من الجنات "**نواعير تسقى من النهر**"[1]، وقزرونة (متيجة)، كانت "**ذات عيون سايحة وطواحين ماء**"[2]، ومستغانم "**ذات بساتين وطواحين ماء بقرب نهر شلف**"[3]، ولتلمسان أيضا طواحين أقيمت على أنهارها[4]، رغم أنّ كلاّ من الوزان[5] ومارمول[6]، قد حصرا تواجد هذه الطاحونات على نهر سطفسيف.

إن وجود نواعير عديدة التي تتحرك بمياه أنهار المغرب الأوسط، تنفى ما قاله محمد حسن[7] عن عدم وجود نواعير تحرك بمياه النهر ببلاد المغرب، وهذه الطاحونات لم ترتبط فقط بالري الزراعي فحسب، بل تستخدم لأغراض أخرى كالشرب وطحن الحبوب[8]، ويدل استعمالها على بلوغ الأرياف درجة كبيرة من التطور والتنظيم عن طريق استغلال هذه الطواحين على نطاق واسع.

أ_2_الخطّارة: هي آلة تشبه الناعورة وتسمى بأنجفة بالفزان وخطّارة بالمغرب الأقصى[9]، وتتركب من ذراعين الأول طويل في نهايته دلو والثاني قصير في نهايته وزن أو ثقل واستخدامها الفلاحون لرفع المياه من الأنهار[10].

أ_3_الدالية (السانية): حجم هذه الآلة أقل من حجم الناعورة[11]، وتتكون من عجلة أفقية يحركها حيوان في محورها، وتتخللها عجلة عمودية يحمل مجموعة من القواديس التي تملأ بالماء[12]، بفضل الحركة الدورانية للدلاء الصغار والكيزان، ليتم رفع الماء من الآبار والعيون والقنوات بواسطة الحيوانات كالثيران والبغال[13].

ويتم استخراج المياه من البئر بواسطة السانية، ليتطور مدلول العبارة حتى أصبحت تطلق على الحديقة المروية، كما تستعمل للدلالة على البستان المخصص للنزهة بالمناطق الشرقية والجنوبية الشرقية

---

[1] _مجهول(ق6هـ): **الاستبصار**، ص:130، الحميري: **المصدر السابق**، ص ص:80_81.

[2] _ البكري: **المصدر السابق**، ص ص:65_66، الحميري: **المصدر السابق**، ص:523، الحموي: **المصدر السابق**، 23/5.

[3] _البكري: **المصدر السابق**، ص ص:69_70، الحميري: **المصدر السابق**، ص:558، الوزان: **المصدر السابق**، 32/2.

[4] _البكري: **المصدر السابق**، ص ص:75_76، الحميري: **المصدر السابق**، ص:139.

[5] _**المصدر السابق**، ص:20.

[6] _**المصدر السابق**، 299/2.

[7] _**المدينة والبادية**،396/2.

[8] _الوزان: **المصدر السابق**، ص:37.

[9] _محمد حسن: **المصدر السابق**، 401/2.

[10] _المقري: **نفح الطيب**، 454/3.

[11] _أبو المعاطي: **المرجع السابق**، 440/2.

[12] _محمد حسن:**المصدر السابق**، 397/2.

[13] _جودت عبد الكريم: **المصدر السابق**، ص:63، أبو المعاطي:**المرجع السابق**، 440/2، قلعة جي، قنيبتي: **المصدر السابق**، ص:206.

من إفريقية[1]، وهذا النوع من الآلات كان الأكثر استعمالا في الريف وتصلح كثيرا لسقي الحقول الصغيرة لسهولة إصلاحها بواسطة نجار القرية أو بواسطة الفلاحين أنفسهم[2].

واستعمالها في العمل الزراعي والبستني بأرياف المغرب الأوسط، كان منتشرا على نطاق واسع، فكان لسوق كرام "**مزارع وسوان**"، وبني واريفن بها "**كروم وسوان**" وكذلك الخضراء لها "**فواكه وسوان**"[3].

وانتشرت السواني على أطراف البساتين التي كانت تتغذى من مياه الأنهار والأودية[4]، وقد شاع حفر السواني والقنوات لنقل المياه إلى المسافات البعيدة[5]، وتوصيل المياه إلى القرى في قنوات خاصة[6]، ونستخلص من بعض الفتاوى الفقهية أن هذه السواني كانت تصنع من خشب الأرز الذي كان يترك طعم تلك النشارة في المياه المستخدمة للشرب أو الوضوء[7].

وتشير النوازل إلى استخدام السانية لسقي الجنات أو بالماء الكبير أو الصغير[8]، ونظرا لأن أراضي أراضي المغرب الأوسط تقع معظمها ضمن المناطق القليلة التساقط ونذرة الموارد المائية، لذلك نلمح شبه تغييب للإشارات المتعلقة بسقي الزروع بالسواني عكس بلاد المغرب الأدنى والأقصى[9]، وكذا رفع المياه من الأودية بالسواقي لسقي زروع معظم قرى الأندلس[10].

أ_4_العجلة (الدولاب): هذه الآلة أصغر من الناعورة وتعمل بحيوان واحد[11]، مثل الإبل والبقر والبغال لرفع الماء من السواقي (السواني)[12] وأيضا الآبار[13] والأودية والأنهار وهذه الطريقة مكلفة جدا وشاقة[14] لأنها توفر صبيبا ضعيفا من الماء[15]، ويمكن أن تروى 70 جريبا من الغلات الشتوية أو 30 جريبا من الغلات الصيفية[16]، والعجلات التي تحركها الدواب في مدار لرفع الماء ببلاد المغرب تسمى بثلاث أسماء هي: الدولاب أو الناعورة أو السانية[17].

---

[1] _برنشفيك: **المرجع السابق**، 216/2.

[2] _ جودت عبد الكريم: **المرجع السابق**، ص:63.

[3] _ابن حوقل: **المصدر السابق**، ص:89.

[4] _فتوى ابن رشد (ق6هـ)، البرزلي: **المصدر السابق**، 137/1.

[5] _جودت عبد الكريم، **المرجع السابق**، ص:62.

[6] _ابن رشد الجد: **المصدر السابق**، 1614/3.

[7] _البرزلي: **المصدر السابق**، ص ص: 136_137.

[8] _فتوى السيوري(ق5هـ)، البرزلي، **المصدر السابق**، 553/1، 613/3، الونشريسي: **المصدر السابق**، 270/8.

[9] _فتوى الصايغ(ق5هـ)، الونشريسي، **المصدر السابق**، 369/1.

[10] _فتوى أبو عبد الله الحفار، الونشريسي، **المصدر نفسه**، 12/5.

[11] _جودت عبد الكريم: **المرجع السابق**، ص:63، محمد عمارة: **المرجع السابق**، ص:222، محمد بن عميرة: **المرجع السابق**، ص:227.

[12] _التادلي:**المصدر السابق**، ص: 166.

[13] _عز الدين أحمد موسى: **المرجع السابق**، ص:63.

[14] _ ابن العوام: **المصدر السابق**، 271/1.

[15] _محمد حسن: **المرجع السابق**، 396/2.

[16] _جودت عبد الكريم: **المرجع السابق**، ص:63، محمد بن عميرة: **الموارد المائية**، ص:227.

[17] _ موسى هواري: **المرجع السابق**، ص: 171.

لقد استعمل القزويني المصطلح الصحيح باستخدامه كلمة الدولاب عوض الناعور، لوجود اختلاف بين الآلتين؛ فميز بين الدولاب الذي تفوق طاقته السقوية طاقة الدولاب الذي يبقى أقل سرعة من الناعور، فإذا كانت تديره دابة واحدة وإذا كان كاملا في عدد كيزانه فإن ما يسقيه يصل إلى عشرة أجربة في اليوم (1جريب=1.47 هـ)، والكوز الكبير يحمل 15 رطلا أي حوالي 7.5 لتر[1].

أ_4_الشاذوف: آلة قلابة لأخذ الماء من بئر أو نهر، وهو عبارة عن رافعة من الخشب تتحرك من خلال مقطع مثبت على قائمتين من الخشب أو الحجارة، على الطرف القصير من الميزان الرقاص تثبت نقالة، وفي الطرف الآخر دلو من الجلد أو وعاء يستعمل للغرف[2]، وهذا الدلو مثل دلو الدالية ويحتاج إلى أربعة أربعة عمال لتشغيله ويمكن به سقي 04 أجربة في اليوم[3]، وهو من الأدوات التي استخدمها فلاحو المغرب الأوسط.

أ_5_القادوس: عبارة عن إناء يخرج به الماء من السواقي والمعروف عند سكان الواحات هو الفتحة في أسفل الحوض يخرج به الماء أو على جوانب الساقية[4]، وهو من الأدوات التي تحمل الماء من الجابية وهي مجتمع الماء[5]، ويدل القادوس في حالة السدود على سطح انتقالي منحن بين الجدار الخلفي للسد وفرشه، وينشأ عند قدم السد ذي التصريف العلوي، فيؤدي إلى انحراف تيار المياه نحو الاتجاه الأفقي[6].

أ_6_الدلو: من أدوات السقي[7]، وهو وعاء كبير من جلد يستخرج من البئر عن طريق جر الحيوان ويصب في الجابية[8].

أ_7_الجرّة: استعملت هذه الأداة في الري الزراعي ببلاد المغرب الأوسط حيث كان الرجل يضع على كتفيه عصا يتدلى من طرفيها حبلان في كل منهما جرّة لري الحدائق والبساتين[9].

ومن أدوات الري المستعملة في السقي أيضا نجد: القلة، والزقاق الذي يستخدم في حفظ ماء المطر[10].

ب_وسائل الري: تعكس هذه المنشآت المائية مدى تطور نظام الهيدرولوجيا (هندسة المياه) عند سكان المغرب الأوسط خلال الفترة قيد الدراسة من جهة، والمجهودات التي بذلها السكان والحكام من خلال مشاريع الريّ من جهة ثانية، ومن أهم تلك الوسائل نجد:

---

[1]_الموساوي العجلاوي: **تقنيات استخراج المياه الباطنية في مناجم الفضة في المغرب (2_7هـ/8_13م)**، مقال ضمن كتاب الماء في تاريخ المغرب، ص:106.

[2]_بيار جورج: **المرجع السابق**، ص:483.

[3]_جودت عبد الكريم: **المرجع السابق**، ص:64.

[4]_أنظر تهميش الفرسطائي، **المصدر السابق**، 109/1.

[5]_عز الدين أحمد موسى: **المرجع السابق**، ص: 62.

[6]_مصطفى محود القاضي: **معجم الهيدرولوجيا**، ص:18.

[7]_الفرسطائي: **المصدر السابق**، ص:111.

[8]_ محمد حسن: **المرجع السابق**، ص:398.

[9]_جودت عبد الكريم: **المرجع السابق**، ص:64.

[10]_الفرسطائي: **المصدر السابق**، ص: 111، 283/5.

ب_1_القنوات السطحية (السواقي والجداول): هي مجاري مائية محفورة بطريقة صناعية[1]، حيث تأخذ المياه من النهر عن طريق فتحة أوسد وتتفرع منها شبكة من القنوات الفرعية[2]، ويجب حفر السواقي التي يجري فيها الماء في مكان مرتفع ليكون مسلطا على جميع الأرض عند السقي[3]، ولتحمل مياه الري للحقول وقد استخدم هذه التقنية فلاحو مدينة البرج لري أراضيهم[4]، وإقامة هذا النوع من المنشآت المائية ساعد كثيرا على ازدهار الزراعة فعلى جنبات السواقي بأرياف جيجل كانت توجد أجنة بها أشجار التين والجوز[5].

استخدم سكان القصور والقلاع هذه السواقي في أنشطتهم البستنية مثل "**القصر الملكي الواقع جنوب مدينة تلمسان والذي يضم قصور أخرى صغيرة ببساتينها وسقاياتها**"، بالإضافة إلى الاستخدام المنزلي[6]، والواضح أن المنشآت المائية الرابطة بين مدينة تلمسان والأرياف المحيطة بها كانت تستفيد من من مياه الأمطار التي تنحدر بدور الأحياء السكنية للمدينة ثم تمر في المجرى الرابط بين المدينة والجهات المحيطة بها، فكان أصحاب الجنات الريفية ينتفعون من سقي الماء الخارج من البلد[7]، وهناك سواقي متفرعة إلى جداول مثل الماء المجلوب إلى قسنطينة من الوادي ووصل المدينة عبر قناطر منتاضدة[8].

تشير المصادر إلى تملك السواقي[9] بطريقة فردية أو جماعية، وعلى الشركاء أن يتآخذوا في إصلاح إصلاح السواقي والمماصل على ما كانت عليه[10]، ولكن في حال تملكها بطريقة فردية فإن إصلاحها يكون على حساب صاحبها[11].

وجرت الأعراف عند أهالي أرياف المغرب الأوسط على تحمل نفقات خدمة الساقية وتطهير مجراها عند الحاجة إليها أثناء الري، وهذه النفقات تقتصر على أصحاب المزارع الذين ينتفعون بها في تلك السنة دون سواهم[12]، ولا يجوز لصاحب الأرض الذي يمر الماء على أرضه أن يمنعها عن أرض جيرانه إذا حدث

---

[1] _**نفسه**، 133/3.

[2] _أبو المعاطي: **المرجع السابق**، 441/2.

[3] _النابلسي: **المصدر السابق**، ص:12.

[4] _الوزان: **المصدر السابق**، 139/2، مارمول: **المصدر السابق**، 168/3_169.

[5] _مارمول: **المصدر نفسه**، 381/2.

[6] _الوزان: **المصدر السابق**، ص،ص: 20، 32.

[7] _فتوى أبو عبد الله محمد بن محمد بن مرزوق(ق9هـ)، الونشريسي، **المصدر السابق**، 334/5_335.

[8] _البكري: **المصدر السابق**، ص:63، مجهول(ق6هـ): **المصدر السابق**، ص:165، أنظر أيضا: محمد حسن: **المصدر السابق**، 401/2.

[9] _ الفرسطائي: **المصدر السابق**، 138/3_139.

[10] _ابن أبي زيد: **المصدر السابق**، 16/11_19، الفرسطائي: **المصدر السابق**، 270/4.

[11] _الفرسطائي: **المصدر نفسه**، 139/3.

[12] _فتوى عياض، الونشريسي: **المصدر السابق**، 273/10.

لهم تعطيل ولم يصل إلى أراضيهم[1]، وتخطيط هذه المساقي والقنوات كان يتم بطريقة متقنة وعملية لتسهيل توصيل المياه للأرض الزراعية فهناك:

المساقي (المسقى)،(المحابس): وهي المساحات غير المزروعة التي يتجمع بها الماء كي ينحدر للبساتين والمزارع[2]، وتعتبر **المحابس** التي تبنى في مجاري السيول وهي عبارة عن حواجز من التربة السريعة التماسك، يتماشى ارتفاعها ومنسوب المياه وموضعها من الواد، كانت تعد لتحبس الماء مدة زمنية تختلف حسب نفاذيتها ونوعية الطبقة الصخرية التي أنشئت فوقها، لكنها غالبا ما تزيد عن عشرة أيام لكن مياهها تصبح آسنة، ويجهز كل محبس بـ منفس واحد أو أكثر، وهو فتحة جانبية تسمح بصرف الماء الزائد إلى المحبس الذي يكون أسفله[3]، ثم تليها القناة الرئيسية[4] للساقية أو ما يسمى ب:

_المصارف: وهي السواقي التي تنطلق من الوادي نحو المزارع وتقسم الماء بين المجموعة الزراعية[5]، كما كما تحمل معنى المنافذ أو القنوات التي يصرف منها الماء سواء إلى جانبي الوادي بعد ارتفاع الماء في مجراه، خلف السد أو في السد نفسه ليرسل الماء منها[6]، والمصارف يتم تملكها فرديا أو جماعيا لكن في حال هذه الأخيرة يكون حجم المصرف على قدر سهامهم في الماء[7]، ويتم الاستغلال الفعلي للمياه من قبل قبل الفلاحين بعد تقسيم المياه وتوزيعها ضمن مكاييل معلومة، ضمن مايسمى ب:

_المقاسم: وهي الوحدة الأقل التي تقسم الماء بين المجموعة الزراعية[8] على قدر ما لكل واحد منهم من الأرض والعمارات[9]، ويشترط في سواقي القسمة والتوزيع أن تكون متساوية في العمق والعرض والارتفاع، حتى تضمن قسمة عادلة للماء بين الفلاحين الذين يشتركون في مائها، وتبنى هذه القنوات عادة بعد حفرها بالحجارة حتى تقل نفاذيتها للماء وتدوم فترة أطول[10]، وتُبنى أيضا بالآجر والجص والجير[11].

وعلى اعتبار أن الماء إمّا أن يكون ملكية خاصة أو عامة مثل الأرض، فإن تلك المنشآت المائية من مساقي[12]، مصارف أو مقاسم سواء كانت ضمن ملكية خاصة أو عامة (جماعية)، لا يمكن استعمالها دون موافقة أصحابها[13].

---

[1] _ابن أبي زيد: **المصدر السابق**، 18/11، فتوى عياض، الونشريسي: **المصدر السابق**، الصفحة نفسها.

[2] _محمد حسن: **المرجع السابق**، ص:392، أنظر أيضا: تهميش الفرسطائي، 155/3.

[3] _ موسى هواري: **المرجع السابق**، ص: 160.

[4] _الوزان: **المصدر السابق**، 139/2، مارمول: **المصدر السابق**، 168/3_169.

[5] _الفرسطائي: **المصدر السابق**، 289/5، أنظر أيضا: محمد حسن: **المرجع السابق**، ص:393.

[6] _الفرسطائي: **المصدر السابق**، 297/5.

[7] _**نفس المصدر** والصفحة.

[8] _**نفسه**، ص ص:289_290.

[9] _**نفسه**، 92/1.

[10] _ موسى هواري: **المرجع السابق**، ص: 166.

[11] _الفرسطائي: **المصدر السابق**، 289/5_290.

[12] _**نفسه**، 123/3.

[13] _**نفسه**، 92/1.

وهذه المنشآت تحتاج إلى صيانة وتنظيف مستمرين كي لا تتهدم ولا تجرف، وتتسبب أعمال الصيانة أحيانا في بعض المشاكل إذا كان عدد المنتفعين منها كبيرا، حيث يرفض بعضهم المشاركة فيها[1]، لذلك نجد أن بناء هذه القنوات مكلف جدا سواء أثناء البناء أو الكنس، وبالنسبة للمقاسم المشتركة فعلى كل واحد أن يقوم بكنس سهمه في تلك المقاسم، وإن دُفنت بالتراب فإنهم مؤاخذون بكنسها حتى ترجع كما كانت أولا[2].

ب2_القنوات الجوفية(المماصل*): هي قنوات باطنية لجر الماء من مكان إلى آخر يجري فيها الماء من العيون، من المرتفع إلى المنحدر حتى يبلغ سطح الأرض فيسقي الأجنة والبساتين وتحفر آبار أو (منافس) بعد كل عشرة أمتار أو أكثر لصيانتها[3]، وانتشر هذا النوع كثيرا بتلمسان التي كانت تستفيد من المياه المجلوبة إليها، عبر قنوات تحت الأرض على مسافة تنيف عن 30 فرسخا[4]، لكن لم توضح المصادر استخدامات هذه العين ولا نعرف إن كانت تستغل في الري الزراعي أم لا؟، أمّا بالواحات الجنوبية فيتضح أنّ هذه الطريقة كانت الوسيلة المثلى لسقي البساتين والأجنة[5].

ويوجد بالمغرب الأوسط تقنية مائية متطورة ضمن هذا النوع من المنشآت المائية وتتمثل أساسا في:

الفقارة(الفجارة): هذه التقنية الهيدروغرافية عبارة عن مجموعة من الآبار العميقة والمتباعدة، تربط بينها قنوات أو أنفاق تحت الأرض وتقام البئر الرئيسية في أعلى هضبة تتجمع فيها المياه الجوفية وتمتد منها إلى الآبار الأخرى الفرعية عبر القنوات الباطنية التي تنتهي إلى أحواض أو مواجل بالقرب من الواحات الزراعية[6] لتروي بذلك الأجنة والمزارع[7]، وتنتشر في كل من توات وقورارة وتيدكلت ويطلق عليها بالمغرب بالمغرب الأقصى إسم الخطارة[8].

اشتهرت منطقة توات بهذه التقنية المائية التي توارثتها الأجيال منذ القديم، وكان الإنسان الصحراوي يفكر دائما في امتلاكه للماء قبل الأرض، إذ أنه سرعان ما يشرع في شراء حصته من مياه الفقارة بمجرد انضمامه إلى مجموعة سكانية قصد ممارسة نشاطه الزراعي الضروري للحياة، بالرغم من أن حصته

---

[1] _**نفسه**، 290/5، أنظر أيضا: موسى هواري: **المرجع السابق**، ص: 160.

[2] _الفرسطائي: **المصدر السابق**، الصفحة نفسها.

(*)المماصل هي سواقي الماء الباطنية. أنظر: الفرسطائي: **المصدر نفسه**، 159/3.

[3] _محمد حسن: **المرجع السابق**، ص:401.

[4] _مارمول: **المصدر السابق**، 301/2.

[5] _الوسياني: **المصدر السابق**، 369/1_370.

[6] _ موسى هواري: **المرجع السابق**، ص: 182.

[7] _ محمد حبيدة: **الماء في المغرب التقنية والتنظيم**، مقال ضمن كتاب "**الماء في تاريخ المغرب**"، ص: 128.

[8] _أعفيف: **المرجع السابق** ص، ص: 27، 31، موسى هواري: **المرجع السابق**، ص: 182.

الخاصة بالشرب والعادات المنزلية مضمونة مجانا بحسب العرف[1]، وملكية الفجارة تكون لمن احتفرها إلاّ أنّ ملكية قناتها أو رواقها يكون مشتركا[2].

لذلك يعتبر ماء الفقارة بتوات وسائر واحات المنطقة بمثابة العمود الفقري للحياة الزراعية بل هو مصدر الحياة في هذه النقط المتوغلة في الصحراء، فبالنسبة للتواتيين لا تساوي الأرض قيراطا من دون ماء، فالذي يباع ويشترى ويورث هو ماء الفقارة[3].

تعتمد الفقارة على القياس الزمني لتوزيع الأنصبة المائية على مُلاّكها الزراعيين فيما يمكن أن نطلق عليه إسم الساعة المائية، ويقسم اليوم السقوي إلى نوبتين: نوبة ليلية ونهارية، وكل نوبة 12 ساعة، بيد أن تعديلات تدخل على هذا الحساب من فصل لآخر تبعا لطول وقصر النهار والليل[4].

وبالنسبة لفقارات الآهقار يكون لملاّك البساتين الحق في مجموع ماء الفجارة كل حسب دوره، فإذا كانت الفقارة تسقي ثمانية بساتين يوميا، فدور المستفيد الواحد يكون كل ثمانية أيام شتاءا وأربعة صيفا[5].

والفقارة وإن اقترن ذكرها بالمناطق الجنوبية إلاّ أنّ روبير برشيفك[6]، ذكر أنه توجد بوهران تقنية من الأشغال المائية تتم في سراديب موجودة تحت الأرض لالتقاط وجلب المياه تعرف باسم "**الفجارات**" (جمع فجارة)، وتتضمن على مسافات متغيرة بعض الفتحات.

ب3_الجباب والمواجل: الماجل عبارة عن حفرة (بئر) في الأرض عمودية مستطيلة الشكل، يتخذ شكل القارورة المستديرة القاعدة الضيقة الفم، ويخضع الماجل بعد حفره إلى التهيئة فيبنى القاع والجدران بالحجارة، وقد تطلى بالملاط لتحول دون تسرب الماء المخزن في الطبقات الأرضية المتصلة بها[7]، وتعتبر الجباب من الوسائل التي استخدمت لحفظ مياه الأمطار وانتشرت بكثرة بأرياف المغرب الأوسط[8]، وكان يلجأ لحفر المواجل في معظم المناطق الريفية لسقي المزروعات وتربية المواشي، مثلما فعل أهل أرشكول الذين أنشأوا مواجل التي استخدمت لسقي المواشي والسوائم[9].

والملاحظ أن جريان المياه السطحية أو امتلاء مجرى واد فجأة بسبب مرور إعصار أو حتى في أكثر المناطق جفافا، وبعد الفيضان تبقى كمية من الماء مدة أطول وبتغطيتها تصبح ماجلا يفيد قطعان

---

[1] _أحمد جعفري: **المرجع السابق**، ص، ص:119، 122.

[2] _محمد بن عميرة: **الموارد المائية**، ص:191.

[3] _ أعفيف: **المرجع السابق**، ص: 31.

[4] _ أحمد مزيان: **استغلال الماء في الواحات، نموذج فجيج (فكيك)**، مقال ضمن كتاب "**الماء في تاريخ المغرب**"، ص: 120.

[5] _محمد بن عميرة: **المرجع السابق**، ص ص:202_203.

[6] _**المرجع السابق**، 219/1.

[7] _ موسى هواري: **المرجع السابق**، ص: 152.

[8] _الفرسطائي: **المصدر السابق**، 89/1.

[9] _ابن حوقل: **المصدر السابق**، ص:79.

الماشية ولكن مياهه غير كافية للزراعة، وعلى العكس من ذلك إذا كان بالإمكان سد مجرى الوادي، وعندئذ تحجز كميات معتبرة من الماء الذي يمكن استخدامه في الري[1].

وللاستفادة أكثر من المياه في الريف فقد أجاز مالك قسمة المواجل[2]، وجرت العادة على كراء هذا النوع من وسائل الري من قبل السكان الريفيين[3]، وما يدل على تملك أهل الريف للمواجل أيضا هو تحبيسها، الأمر الذي كان يثير النزاعات بين الورثة وعامة الناس الذين حبست من أجلها هذه المواجل[4].

ومن الأهمية الإشارة إلى أنه يتوجب على صاحب الماجل أن يكون له موضعا يضع فيه ما يكنس من ذلك الماجل من التراب أو موضع يضع فيه ما يصلحه من الجير والحجارة وغيرهما وجميع ما يصلحه، ويكون مجاز ذلك كله موضعا يصل به إلى الماجل ولا يمنعه من ذلك[5].

ب_4_الصهاريج: الصهريج بلغة أهل المغرب معناه البركة[6]، وهو عبارة عن خزان مياه محفور بعمق ثلاث أميال، قاعه دائرية يجمع فيه الفلاح حصته من الماء ويخزنها في البركة ليروي أرضه حين يزداد منسوب الماء، وهذه الأحواض تكون مصنوعة من أحجار معينة مضاف إليها مواد أخرى[7].

وإذا كانت استعمالات الصهاريج كثيرة ومتعددة، فإن استخدامها في سقي الأراضي الزراعية كان على نطاق واسع ببلاد المغرب الأوسط، مثلما هو الحال بالنسبة للأراضي المحيطة بمدينة طبنة من بلاد الزاب، التي بنى أهلها صهريجا كبيرا "**كانت تسقى منه جميع بساتينها وأرضها**"[8].

ويذكر القزويني[9] أيضا "**أن أكثر مياه إفريقية من الصهاريج**"، وقد جعل إسم إفريقية شاملا لجميع بلاد المغرب، حيث ذكر أن "**بها نهر شلف**"[10]، واستغلت تلمسان أنهارها أيضا في صهاريج وحياض لسقي الغياض والبساتين[11].

لقد لاحظ موسى لقبال وجود نوع من الصهاريج العميقة نسبيا عند جوانب بعض الأنهار في الأرياف الجزائرية تسمى "خنقة" (جمعها خنق)، يستحم فيها الأطفال أحيانا، مع الإشارة إلى أن غياب المعلومات

---

[1] _محمد بن عميرة: **توصيل المياه وتخزينها**، ص:168.

[2] _ابن سهل: **المصدر السابق**، ص:538.

[3] _فتوى المازري، الونشريسي: **المصدر السابق**، 277/8، 429.

[4] _فتوى ابن أبي زيد (ق4هـ)، الونشريسي: **المصدر نفسه**، 235/7.

[5] _الفرسطائي: **المصدر السابق**، 546/7.

[6] _العمري:**المصدر السابق**، 124/4، القلقشندي:**المصدر السابق**، 150/5.

[7] _أبو المعاطي: **المرجع السابق**، 442/2.

[8] _ البكري: **المصدر السابق**، ص:50،، مجهول(ق6هـ): **الاستبصار**، ص:177،الحميري: **المصدر السابق**، ص:387، الحموي: **المصدر السابق**، 21/4.

[9] _**آثار البلاد**، ص:148.

[10] _**نفس المصدر** والصفحة.

[11] _ يحي بن خلدون: **المصدر السابق**، ص:86، العمري: **المصدر السابق**، ص:125، القلقشندي: **المصدر السابق**، ص:150.

الخاصة بهذه الأنواع من الصهاريج في المصادر العربية لا يسمح للباحث أن يتأكد من أنها كانت تستغل في الفترة الممتدة من الفتح إلى نهاية الموحدين[1]، أو حتى ما بعد الموحدين إلى غاية الفترة العثمانية.

وممّا يؤكد على فعالية استخدام كلا من الصهاريج، المواجل والجباب في أعمال الريّ هو انتشارها الكبير بمدن وقرى بلاد المغرب الأوسط مثل: القلعة، طبنة، قسنطينة، تلمسان، أرشقول[2].

ب_6_السدود والجسور (القناطر): أقيمت **السدود** على الأنهار للتحكم في المياه، أما **الجسور** فتطلق على المنظومة الزراعية الكاملة المكونة من السدود الصغيرة المبنية من الحجارة والتراب التي تعترض ماء السدود وتحجز قسما منها في المدرجات قبل أن تصرف البقية عن طريق قناة[3].

اعتمد سكان المناطق الريفية على بناء السدود عبر المجاري المائية إلى جانب الجسور الصغيرة المقامة على الأودية والأحواض أسفل المنحدرات، أين يتم استغلال مياه هذه الأخيرة _خاصة في الصيف_، لريّ المزارع والبساتين (الحدائق) التي كانت تحيط بأعداد كبيرة من القرى، والضياع المنتشرة بجبال أولاد نايل[4]، وجبال تلمسان، وجبال الأوراس، وهذه التقنيات المعتمدة من قبل الأهالي هي تقنيات عتيقة تعود للفترة ما قبل الرومانية[5].

ولمّا كانت هذه الجسور مقامة في المدرجات لحفظ كمية الأمطار المتجمعة في المساقي أو الأودية والسيول، فقد كانت في حاجة متواصلة إلى صيانة وإصلاح عند انكسارها، أما الماء الذي ينتقل من جسر إلى آخر عن طريق القناة (الممفس) التي يخرج منها الماء بعد أن يرتوي الأعلى على الأسفل[6]، والملاحظ والملاحظ أن السدود والسواقي غالبا ما تكون هشة فقد شكل التراب والجير والأغصان المواد الأساسية للبناء مما يفسر سهولة تدميرها من قبل السيول[7].

وبشأن **القناطر** فقد سئل الصايغ عن قنطرة ماء الأجنة تهدمت، فهل إصلاحها على قدر الانتفاع على مساحة الأرض أم على قيم الأموال، فكانت الإجابة على قدر الانتفاع والإصلاح بينهم والمسامحة أولى وأفضل[8].

والتقنيات المائية الآنفة الذكر لم تكن حكرا على السكان الأصليين أو حكام الدول فحسب، فحتى الجالية الأندلسية بعد استقرارها بالمغرب الأوسط وممارستها للنشاط الزراعي، قاموا باستغلال هذه المياه،

---

[1] _محمد بن عميرة: **توصيل المياه وتخزينها**، ص:169.

[2] _**نفسه**، ص:150.

[3] _محمد حسن: **المرجع السابق**، ص:394.

[4] –Richard Lawless : **L'évolution du peuplement de l'habitat et des paysages agraires**, p.456.

[5] –Ibid,p.456.

[6] _محمد حسن: **المرجع السابق**، ص ص:394_395.

[7] _ محمد حبيدة: **المرجع السابق**، ص:129.

[8] _البرزلي: **المصدر السابق**، 44/8، الونشريسي: **المصدر السابق**، 350/5، أنظر أيضا: فتوى اللخمي: **المصدر نفسه**، 68/9.

فبنوا الأحواض والصهاريج والسواقي والقنوات والحنايا والنوريات (الناعورات) وحفروا آبار الماء وأنشأوا العيون[1].

المطلب الثالث: مشاكل الريّ والسقاية بأرياف المغرب الأوسط (النزاع على المياه):

لمّا كان الماء يشكل عنصرا هاما من عناصر الحياة بأرياف المغرب الأوسط فإن استغلاله، كثيرا ما كان يتسبب في حدوث نزاعات بين المزارعين والفلاحين، وتأتي نوازل المياه كغيرها من النوازل في شكل منازعات ترتبط بمشاكل السقي وبالحقوق على المياه، وهي في هذا لا تكاد تختلف عن نوازل الأرض لما تثيره من قضايا تتعلق بالملكية الفردية والجماعية، ولما تبرزه من أضرار تلحق بأصحابها من جراء الغصب والتعدي وتداول حقوقها بالبيع والشراء والسلف والكراء[2].

تزخر المصادر النوازلية والأجوبة الفقهية بالكثير من أخبار هذه الصراعات، وهو ما يبدو واضحا في مسألة الأعلون على الأسفلين في السقي[3]، وكان لنقص الماء وقلته زمن الصيف الأثر الكبير في زيادة النزاعات عليه[4]، وذلك لانقطاعه على الأسفلين وإمساك الأعلين له لما يلحقهم من الضرر، وبناء على هذا فقد أفتى الفقهاء بأحقية الأعلون بالماء على الأسفلين في التبدية بالسقي[5].

لكن في حال إحداث الأعلون لخضر ومثاقل فلا يبدؤون به على الأسفلين إلاّ أن يفضل عنهم، وإذا أخذ الأعلون من الماء قدر ما يكفيهم لثمارهم فلا حجة للأسفلين عليهم في أن يسقوا بذلك خضرهم ويتركوا ثمارهم[6].

وفي المقابل إذا سبق أحدهم باستحداث الجنان وتملك الماء بموضع سفلي وجاء الثاني وأحدث جنانا بالأعلى فإن لصاحب الجنان السفلي الحق في الماء، وإن كان أبعد لأنه قد سبقه بالإحداث[7]، والحال ذاته فيمن ينشئ بئرا ثانية إلى جنب بئر جاره فمن حق الأول ردم بئر الثاني لمنع ما يضره[8]، ويكون النزاع كذلك بسبب قلة منسوب مياه العيون المستحدثة خاصة في حال استغلالها في الأرحاء وسقي الجنات[9] أو تغيير اتجاه المياه بحفر مجاري جديدة[10].

---

[1] _بلغيث: **الأندلسيون وآثارهم**، ص:170.

[2] _ فتحة: **المرجع السابق**، ص: 357.

[3] _فتوى أبو سعيد بن لب، الونشريسي، **المصدر السابق**، 380/8، الفرسطائي: **المصدر السابق**، 303/5_304.

[4] _فتوى الداودي(ق4هـ)، الونشريسي، **المصدر السابق**، 417/8، 71/9.

[5] _فتوى أبو محمد ابن محسود، الونشريسي، **المصدر نفسه**، 402/8، أنظر أيضا: ابن أبي زيد: **المصدر السابق**، 25/11_26، ابن رشد الجد: **المصدر السابق**، 1140/1.

[6] _ابن رشد الجد: **المصدر نفسه**، 1297/1.

[7] _فتوى المازري(ق6هـ)، الونشريسي، **المصدر السابق**، 426/8_427، أنظر أيضا: عياض: **المصدر السابق**، ص:102، ابن رشد الجد: **المصدر السابق**، 1297/1.

[8] _سحنون: **المصدر السابق**، 474/4.

[9] _ابن رشد الجد: **المصدر السابق**، 1286/1_1287، 1289_1291، عياض: **المصدر السابق** ص:100.

[10] _ابن رشد الجد: **المصدر السابق**، 1482/1_1485، عياض: **المصدر السابق**، ص:101.

ويكون النزاع أيضا على مياه الأودية بين القاطنين في أعلى وأسفل الوادي[1]، بل حتى على العيون ومناطق تواجد الرحى[2]، فكثيرا ما يحدث الخلاف بين أصحاب الأراضي والسواقي وأصحاب الرحى[3]، الذين يعتمدون في حرفتهم هذه على الماء بشكل كبير، أو بين الفلاحين عند انتهاء وقت سقي أحدهم ويريد الاحتفاظ به على حساب الغير، فتهيج الخصومات بينهم بسبب ذلك ويسقط القتلى[4]، وتكثر النزاعات في فصل الصيف عندما ينقص الماء وتكثر الحاجة إليه للشرب وسقي المزروعات وتشغيل الأرحية[5].

ومن المشاكل التي تحدث بين الفلاحين هي فيضان السواقي على أراضي بعضهم البعض من أصحاب الحقول جارفة معها الأتربة والحجارة وغيرها[6]، وتنجم الخلافات عن بعض الشروط بعد عمليات البيع، والأيام المستغلة لسقي الأجنة[7]، وأيضا حول أموال تصليح أو إنشاء واستحداث سواقي ومجاري مائية جديدة، خاصة بين أصحاب المدن والأرياف، ويتحجج أصحاب الريف خاصة بدرجة الإستغلال وأولوية المستفيدين منها بين الأعالي والأسافل، وحول هذه القضية بالذات فقد أكّد الفقهاء أن نفقات الإصلاح تقع على المنتفعين بها خاصة دون غيرهم من الناس[8]، لكن من حق من أصلحه من ماله منع غيره من الانتفاع بما جره إصلاحه حتى يؤدي ما يجب عليه في ذلك[9].

لكن في حال كنس السواقي يجبر من أبى؛ على كنس قناته حتى يخرج عليها ماء جاره، وإن كان الذي يجري فيها هو ماء المطر فقط فالكنس على عدد الدور[10].

ولكثرة النزاعات بين الأفراد حول المياه خصوصا عند إحداث مساقي جديدة من واد متملك لأهل قرية، فجرى العرف بالمغرب ألاّ يتم إحداث تلك المساقي إن كان يضر بأصحاب السواقي القديمة ولا يتم ذلك إلاّ بموافقتهم[11]، وكما أسلفت سابقا فإن أهمية المياه وقيمتها تزداد كلما اتجهنا جنوبا، وبهذا الشأن ذكر الدرجيني[12]، عن حدوث اقتتال على مياه بئر "ونّو"، بالقرب من أريغ بين أهل يستيسن ووغلانة.

---

[1] _ابن رشد الجد: **المصدر السابق**، 1296/3، فتوى محمد بن مرزوق (ق9هـ)، المازوني: **المصدر السابق**، 1/2ظ.

[2] _فتوى عياض(ق6هـ)، الونشريسي: **المصدر السابق**، 285/8.

[3] _ ابن رشد الجد : **المصدر السابق**، 1286/3، فتوى عياض، الونشريسي: **المصدر السابق**، ص:396,

[4] _الوزان: **المصدر السابق**، 139/2، مارمول: **المصدر السابق**، 168/3_169.

[5] _محمد حسن: **المرجع السابق**، ص:385.

[6] _فتوى سيدي مصباح، الونشريسي: **المصدر السابق**، 153/5_154.

[7] _فتوى بعض شيوخ تلمسان، الونشريسي، **المصدر نفسه**، 168/10.

[8] _ فتوى أبو عبد الله محمد بن محمد بن مرزوق(ق9هـ)، المازوني: **المصدر السابق**، الصفحة نفسها، الونشريسي، **المصدر نفسه**، 335/5_336.

[9] _فتوى عبد الله العبدوسي(ق8هـ)، الونشريسي، **المصدر نفسه**، 7/11_12.

[10] _ابن فرحون: **تبصرة الحكام**، 268/2.

[11] _فتوى أبا عبد الله الحفار، الونشريسي: **المصدر السابق**، 383/8_384.

[12] _**المصدر السابق**، 259/2، 435.

مما تقدم نخلص إلى القول بأن الحياة الريفية كانت تعتمد بالأساس على المياه، ونظرا للبيئة الطبيعية للمغرب الأوسط فقد كانت أهمية الماء تزداد والنزاعات تكثر كلما قلت المياه في أي موضع من المواضع، ويقع أغلبها ضمن المناطق الجافة وشبه الجافة في غرب البلاد وجنوبها.

ورغم معاناة بعض المناطق الريفية من قلة المياه، إلاّ أنّ مناطق أخرى قد توفرت على هذا العنصر الحيوي بشكل كبير بدليل ثرائها بالمنتوجات الزراعية والبستنية، وهو ما سأقوم بعرضه ضمن الفصل الأخير من هذه الأطروحة بعون الله تعالى.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفصل الثالث:

الإنتاج الزراعي والبستني بأرياف المغرب الأوسط من القرن 5_10هـ/11_16م

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الأول: الإنتاج الزراعي بأرياف المغرب الأوسط.

المطلب الأول: الحبوب.

1_ القمح والشعير.

2_ حبوب أخرى (الدخن، الذرة، قصب السكر،....إلخ).

3_ البقول والقطاني.

المطلب الثاني: النباتات الصناعية.

1_ نباتات الحياكة والنسيج.

2_نباتات الصباغة.

3_النباتات الطبية.

المطلب الثالث: إنتاج الأعلاف (العلوفات).

المبحث الثاني: الإنتاج البستني بأرياف المغرب الأوسط.

المطلب الأول: غراسة الأشجار المثمرة.

1_ الزيتون .

2_ العنب (الكروم).

3_ التين.

4_ السفرجل.

5_ الجوز.

6_ الخرّوب.

7_ الحوامض (المحمضات).

8_ التمر.

9_ فواكه أخرى (التفاح، العنّاب، المشمش، التوت، الكمثرى، ...إلخ).

المطلب الثاني: غراسة الخَضراوات بأرياف المغرب الأوسط.

1_الفول (الباقلاّء).

2_ الكرنب.

3_ البصل.

4_ اللفت.

5_ الثوم.

6_ الجزر.

7_ الباذنجان.

8_البسباس (الرازيانج),

9_الخيار.

10_ الكمأة (ترفاس).

المطلب الثالث: نباتات الحديقة والمنتزهات.

1_ المنتزهات والحدائق.

2_ أشجار الورد والرياحين.

المبحث الثالث: تخزين المحاصيل الزراعية والبستنية بأرياف المغرب الأوسط.

المطلب الأول: تخزين المحاصيل الزراعية.

المطلب الثاني: تخزين المحاصيل البستنية.

1_ تخزين الخضر.

2_ تخزين الفواكه.

المبحث الرابع: علاقة عائدات المنتجات الزراعية والبستنية بمداخيل الدولة التجارية والمالية (5_10هـ/11_16م).

المطلب الأول: الزراعة والبستنة والنشاط التجاري لدول المغرب الأوسط.

1_ فائض الإنتاج الزراعي والبستني وعلاقته برخص الأسعار وتطور الصناعة الحرفية.

2_ المعاملات التجارية بأرياف المغرب الأوسط (5_10هـ/11_16م).

المطلب الثاني: مجالات التبادل التجاري للمنتجات الزراعية والبستنية.

1_ مجالات التبادل التجاري الداخلي.

2_ مجالات التبادل التجاري الخارجي.

المطلب الثالث: الزراعة والبستنة والسياسة المالية للدول الحاكمة.

1_ الضرائب المستخلصة من المنتجات الزراعية والبستنية (مفاهيم وخصائص).

2_ الزراعة والبستنة والسياسة المالية للدول التي حكمت المغرب الأوسط (5_10هـ/11_16م).

المبحث الأول: الانتاج الزراعي بأرياف المغرب الأوسط

تشيد مصادر الفترة بوفرة المحاصيل الزراعية بأرياف المغرب الأوسط؛ فما يفتئ جغرافي يذكر منطقة إلاّ ويشير إلى ثرائها بـ"**الزروع**" مثل: أرياف بونة[1]، جيجل[2]، مرسى الدجاج[3] ومدينة يلّل[4]، إلى جانب الأرياف المحيطة بالمدن الداخلية مثل تامسلت[5]، القلعة[6]، الغدير[7]، طبنة[8]، تيهرت[9]، ندرومة[10] ندرومة[10] وتلمسان[11]، وحتى مدن الصحراء مثل أرياف: بلد بسكرة[12]، والزاب خاصة أرياف نقاوس[13].

وإذا كانت إشارات الجغرافيين قد ارتكزت على أهم مدن الفترة وهو أمر طبيعي، باعتبار المدن أكثر إشعاعا وشهرة من الريف؛ إلاّ أن هناك من مراكز العمران الريفي من تناولها الرحالة بالحديث في مؤلفاتهم، فقرية ابن مجبر "**قرية كبيرة كثيرة الزرع عذبة المياه**"[14]، وقرية ماورغة ذات "**زراعات وخصب**"[15]، وقرية مسكيانة "**بها زروع ومكاسب**"[16]، وقلعة هوارة قرب تامزغران عُرفت بأنها "**بلاد زرع**"[17].

ويمكن تقسيم الحاصلات الزراعية إلى عدة عناصر منها:

المطلب الأول: الحبوب: يمكن حصر أنواع الحبوب المنتشرة بالأرياف خلال هذه الفترة في:

1_القمح والشعير: رغم صعوبة تقدير المساحات المزروعة قمحا وشعيرا، إلاّ أنها كانت تتغير من فترة إلى أخرى، لكن الملاحظ أن مجال الزراعة كان شاسعا[18]، والواقع أنّ المناطق الداخلية هي الأكثر ملائمة لزراعة الحبوب[19] وتنمو هذه المحاصيل في المناطق التي تحتوي على كميات ملائمة من الفوسفاط[1].

---

[1]_أبو الفدا: **تقويم البلدان**، ص:141، القلقشندي: **صبح الأعشى**، 100/5.

[2]_الإدريسي: **نزهة المشتاق**، ص: 168.

[3]_**نفسه**، ص ص: 159_160، الحميري: **الروض المعطار**، ص:539.

[4]_الإدريسي: **المصدر السابق**، ص:152.

[5]_البكري: **المغرب**، ص:54، وتعرف أيضا بتامسنت، وهي قرية لكتامة وزناتة قرب المسيلة وأشير بالمغرب. أنظر: الحموي: **معجم البلدان**، 7/2.

[6]_الإدريسي: **المصدر السابق**، ص:162.

[7]_**نفسه**، ص:164، الحميري: **المصدر السابق**، ص:427.

[8]_الإدريسي: **المصدر السابق**، ص:164، الحميري: **المصدر السابق**، ص:387، أبو الفدا: **المصدر السابق**، ص:139، القلقشندي: **المصدر السابق**، ص:107.

[9]_الإدريسي: **المصدر السابق**، ص:157، الحميري: **المصدر السابق**، ص:126، أبو الفدا: **المصدر السابق**، ص:139، القلقشندي: **المصدر السابق**، 111/5.

[10]_مجهول(ق6هـ): **الإستبصار**، ص:135، الحميري: **المصدر السابق**، ص:576.

[11]_العمري: **مسالك الأبصار**، 107/4، أبو الفدا: **المصدر السابق**، ص:123.

[12]_ابن سعيد: **الجغرافيا**، ص:126، **بسط الأرض**،ص: 60، القلقشندي: **المصدر السابق**، ص:107، أبو الفدا: **المصدر السابق**، ص:139.

[13]_ النميري: **فيض العباب**، ص ص: 460_461.

[14]_الإدريسي: **المصدر السابق**، ص:157.

[15]_**نفسه**، ص:155.

[16]_**نفسه**، ص:195، الحميري: **المصدر السابق**، ص:558.

[17]_الحميري: **المصدر نفسه**، ص:128.

[18]_برنشفيك: **تاريخ إفريقية**، 226/2، و**حول توزيع زراعة القمح والشعير بأرياف المغرب الأوسط، أنظر: الخريطة رقم 01 ضمن الملاحق.**

[19]_Gsell:**Histoire ancienne de l'afrique du nord**, p.44.

وزراعة الحبوب لوحدها كانت تتطلب من الفلاحين والمزارعين القيام بأعمال متسلسلة ومتواصلة من حصاد ودرس ونقل للمخازن[2]،...إلخ، وكانوا يدعمونها باللجوء إلى تقنيات وإجراءات قصد ضمان المردود وحفظه من الآفات[3]، كما أنها تخزن لمدة طويلة دون أن يلحقها ضرر، فالإدريسي[4] ذكر بأن **<<أهل قسنطينة يخزنون الحنطة وتبقى سليمة لا تفسد>>**، وممّا له دلالة على ازدهار زراعة الحبوب أن بعض المناطق كان يزرع فيها المحصول مرتين، من ذلك ريف بادس الذي كان ينتج الشعير مرتين في العام[5].

ومن خلال المصادر الجغرافية نلمح ذلك التلازم في إنتاج القمح والشعير[6] بأرياف كلاّ من: بونة[7]، بجاية[8]، جزائر بني مزغناي، شرشال، تنس، مرسى الدجاج، برشك، القلعة، تيفاش، قصر الإفريقي طبنة[9]، قسنطينة وباغاي[10].

وعن المحصولين يشير الإدريسي بأنه في كلّ من قرية أزكو، وقرية البرذوان وقرية النهرين كانت بها غلات من "**القمح والشعير**"[11]، وكذلك الشأن بالمناطق المحيطة بمدينة ماما والمسيلة[12]، وتلمسان[13]، لكن في الفترات اللاحقة تراجعت مناطق انتاج هذين المحصولين معا فباستثناء أرياف بلد كوكو[14] والبادية حول برشك[15]، والجبال المجاورة لندرومة[16] التي كانت تنتج كمية معتبرة من "القمح والشعير"، باتت معظم المناطق تنفرد بانتاج محصول محدد دون الآخر.

ومن الأهمية بمكان الإشارة إلى اقتران انتاج هذه المادة الاستراتيجية بالمدينة ، ممّا يؤكد على سيطرة وتوجيه مدينة العصر الوسيط لانتاج الريف، فمدينة تامديت "**حنطتها موصوفة**"[17]، ومدينة ماما

---

[1]_Ibid: p.161.

[2]_يوسف الكادي: **أساليب الزراعة والغراسة والتناوب بين الاستغلال والاستراحة في الأندلس خلال القرن 5هـ**، مقال ضمن كتاب **الفلاحة والتقنيات الفلاحية**، ص:284، Jacques Berque : **Les hilaliens repentis ou l'Algérie rurale au 15emesiécles, d'après un manuscrit jurisprudentiel**, Annales E,S,C, 25emeannée, N=°5, 1970, p.1335.

[3]_يوسف الكادي: **المرجع السابق**، الصفحة نفسها.

[4]_**المصدر السابق**، ص:166.

[5]_البكري: **المصدر السابق**، ص:53، مجهول(ق6هـ): **المصدر السابق**، ص:180.

[6]_القلقشندي: **المصدر السابق**، ص:112.

[7]_ ابن حوقل: **صورة الأرض**، ص:77_78،الإدريسي: **المصدر السابق**، ص:192، أبوا الفدا: **المصدر السابق**، ص ص:135_136.

[8]_الإدريسي: **المصدر السابق**، ص:161، الغبريني: **الدراية**: ص، ص:134، 145، أنظر أيضا: مارمول: **إفريقيا**، 376/2.

[9]_الادريسي: **المصدر السابق**، ص:153، 159، 164، 167، 178، 196، 197، أنظر أيضا الحميري: **المصدر السابق**، ص:163، 340، 138، 539، 469، 146، 475، 387، 480، 76على التوالي، أبو الفدا: **المصدر السابق**، ص ص: 135_136.

[10]_الادريسي: **المصدر السابق**، ص: 166، الحميري: **المصدر السابق**، ص:480، القلقشندي: **المصدر السابق**، ص:110.

[11]_الادريسي: **المصدر السابق**، ص ص:196_197.

[12]_**نفسه**، ص، ص: 156، 157.

[13]_يحي بن خلدون: **بغية الرواد**، 90/1_91.

[14]_مارمول: **المصدر السابق**، 374/2.

[15]_الوزان: **وصف إفريقيا**، 33/2، مارمول: **المصدر السابق**، ص:355.

[16]_مارمول: **المصدر نفسه**، ص:295.

[17]_البكري: **المصدر السابق**، ص:53.

"**إصابتها في الحنطة كثيرة**"[1]، ورغم أن مدينة برشك وُصفت بأنها صغيرة؛ إلاّ أنّ بها "**حنطة كثيرة وشعير**"[2]، ومدينة قصر الإفريقي "**لها إصابات جمة في الحنطة والشعير**"[3]، وأكثر غلات مدينة تيفاش "**الشعير**"[4].

والجدير بالذكر أنّ هناك من المناطق من انفردت بنوع مخصوص دون الآخر فمنها:

أ_الشعير (الشنتية): ينقسم الشعير إلى قسمين؛ منها ما يزرع للأقوات والإذخار، ومنها ما يزرع قصيلا، فأول الوقت لزراعة ما يُدخّر إذا زرع في أرض البعل النصف من شهر سبتمبر وفي أرض السقي في أكتوبر[5].

ومحصول الشعير يتلاءم كثيرا مع البيئات الجافة[6] والأرض الفقيرة وتكتفي بالقليل من الماء مثل المناطق الجبلية خصوصا، فبعضها ينبت فيها الشعير بكثرة مثل الجبال المحيطة بمدينة كوكو قرب متيجة[7]، وكذلك بسفح جبل بني جبير (8 فراسخ من بجاية)[8]، وجبل زانمة بجوار تنس[9]، وهناك مناطق جبلية كانت أراضيها أصلا لا تصلح إلاّ للشعير مثل الأراضي المحيطة بجيجل[10]، وجبال بني يزناسن[11] والأراضي المجاورة لمدينة مزغران[12] وجبال مطغرة[13].

شكّل الشعير العنصر الأساسي من عناصر التغذية الشعبية لأن ثمنه يساوي نصف ثمن القمح[14]، فسكان الأراضي المجاورة لمدينة تبحريت كانوا فقراء لا يقتاتون سوى الشعير والدخن[15]، ويرتدون لباسا مزريا لأن أراضهم هزيلة لا تصلح إلاّ لهذا النوع من الحبوب[16]، وهو غذاء جبال بجاية التي تسكنها جماعات من العرب وزواوة[17]، والشعير أيضا غذاء رجال العلم والزُهّاد والمتصوفة[1].

---

[1] _الإدريسي: **المصدر السابق**، ص:157.

[2] _**نفسه**، ص:158، الحميري: **المصدر السابق**، ص:88.

[3] _الإدريسي: **المصدر السابق**، ص:196، الحميري: **المصدر السابق**، ص:475.

[4] _الإدريسي: **المصدر السابق**، ص:196، الحميري: **المصدر السابق**، ص:146.

[5] _أبو الخير: **الفلاحة**، ص:134.

[6] _**نفسه**، ص ص:96_97.

[7] _مارمول: **المصدر السابق**، ص:374.

[8] _**نفسه**، ص:384.

[9] _الوزان: **المصدر السابق**، ص:45، مارمول: المصدر السابق، ص:381.

[10] _الوزان: **المصدر السابق**، ص ص: 51_52، مارمول: **المصدر السابق**، ص: 381.

[11] _الوزان: **المصدر السابق**، ص:43.

[12] _مارمول: **المصدر السابق**، ص ص:349_350.

[13] _الوزان: **المصدر السابق**، ص ص: 43_44، مارمول: **المصدر السابق**، ص:351.

[14] _الهادي روجي ادريس: **الدولة الصنهاجية**، 240/2.

[15] _الوزان: **المصدر السابق**، ص ص:14_15، مارمول: **المصدر السابق**، ص:296.

[16] _الوزان: **المصدر السابق**، ص ص:14_15.

[17] _**نفسه**، ص:102، مارمول: **المصدر السابق**، ص:376.

ولا يتعلق الأمر بالمناطق الشمالية فحسب، فنجد بأنّ سكان الجنوب قد اهتموا بزراعة الشعير، أما القمح فكان ناذرا جدا لعدم توفر العناصر الطبيعية المساعدة على نموه[2].

ب_القمح (الحنطة): القمح أنواع عديدة باعتبار جودته أو رداءته؛ فالجيد منه هو الأصفر الذهبي الممتلئ ومنه يصنع الدرمك والسميد[3]، والقمح توافقه الأرض الرطبة[4]، والملاحظ على كتب الجغرافيا والرحلات هو إشارتها للقمح أكثر من الشعير، فهل يعود الأمر إلى عناية الدولة بالقمح دون الشعير؟ أم أنّ الشعير كان غذاء غالبية الفقراء البعيدين عن مراكز السلطة لذلك لا نجد تأريخا مفصّلا لهذا المحصول مقارنة بالقمح؟

الواقع أنّ القيمة الغذائية والاقتصادية للقمح أحسن وأفضل من الشعير ولأهميتها فقد أكد عليها ابن عبدون[5] في قوله إنّ **<<الحنطة تذهب النفوس والأموال وبها تملك المدائن والرجال وببطلانها تفسد الأحوال وينحل كل نظام>>**، وقد شكلت هذه البلاد خزانا للقموح منذ القدم حيث كانت تزود روما بالقمح كلما دعت الضرورة لذلك[6].

والجدير بالذكر أن أرياف المغرب الأوسط كانت أقل ثراءا بمحصول القمح مقارنة بالمغرب الأقصى، لأن مناطق الانتاج كانت محدودة[7]، وزراعته لم تكن حكرا على سكان الأرياف فقط وإنما كان يمارسها البدو، الذين يجمعون بين حياة الترحال والاستقرار، فأهل الغدير كانوا "**بدوا وأهل مزارع وأرضون مباركة والحرث بها قائم الذات والإصابة في زروعها موجودة والبركات في معاملتهم كثيرة**"[8].

وأشارت مصادر الفترة إلى ثراء مناطق عديدة بالقمح والتي ذكرتها عند الحديث عن كلا المحصولين، وخلال العهد الموحدي كانت زراعته مزدهرة بدليل الكميات الوفيرة التي جمعها عبد المؤمن بن علي عندما عبر إلى الأندلس[9]، لكن التساؤل المطروح: هل الكميات التي جمعها عبد المؤمن كانت عن طريق الشراء؟ أم أنّ الدولة كانت تشرف على مزارع مخصصة لانتاج القمح؟ أم أن هذه الكميات جمعت من تحصيل الضرائب المفروضة على السكان؟

---

[1] _ يحي بن خلدون: **المصدر السابق**، 119/1، 125، التادلي: **التشوف**، ص ص:110_111، 294، ابن قنفذ: **أنس الفقير**، ص:108، ابن مريم: **البستان**، ص: 14_16، 122.

[2] _سعدون عباس بن نصر الله: **دولة المرابطين في المغرب والأندلس عهد يوسف بن تاشفين أمير المرابطين**، ط1، دار النهضة العربية لـ ط، ن، 1985، ص:14.

[3] _ابن العوام: **الفلاحة الاندلسية**، 39/4_40، الغساني الشهير بالوزير: **حديقة الأزهار في ماهية العشب والعقار**، ص:123.

[4] _أبو الخير: **المصدر السابق**، ص ص:96_97، مجهول (ق8هـ): **مفتاح الراحة**، ص:125.

[5] _ **ثلاث رسائل أندلسية في آداب الحسبة والمحتسب**، ص:5.

[6] _شنيتي: **التغيرات الاقتصادية والاجتماعية**، ص ص:85_86.

[7] –Atallah Dhina : **Les états de l'occident musulman**,p.338.

[8] _الإدريسي: **المصدر السابق**، ص ص:156_157.

[9] _حسن علي حسن: **الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس**، ص:240.

ومما يلاحظ على كميات الزرع التي كان يتعاهد بها السلطان أبا الحسن لبلاد الأندلس، التي تقدر بالآلاف من الأوساق[1]؛ أنّ بلاد المغرب كلّها كانت خزانا للقمح، ورغم عدم تحديد المجال الجغرافي بالضبط؛ فالمؤكد أن أرياف المغرب الأوسط كانت هي الممول الرئيسي لها، بدليل سيطرة الدولة المرينية على مجال المغرب الأوسط لعدة سنوات.

وعند استقرار القبائل العربية باتت تنتج كميات وافرة من هذا المحصول، مثل الأعراب المتواجدين ببادية عنابة حتى أنهم لا يحصلون في مقابله على المال، الأمر الذي يدفعهم لحمله وبيعه في عنابة[2]، وقبائل سويد القاطنة بين مستغانم وشلف يملكون كمية وافرة من القمح أيضا[3].

وبناءا على ما ذكرته مصادر القرن 10هـ/16م، فإن القمح يأتي على رأس المحاصيل المنتجة في أرياف: دلّس[4]، زمورة[5]، واستورة[6]، لكن تبقى الأرياف والمناطق السهلية المحيطة بأغلب المدن والحواضر والحواضر هي المزوّد الأول للقمح، مثل الأراضي المجاورة لمدينة القل من جهة الجبل[7]، وسهل متيجة بضواحي الجزائر[8]، والسهول بأسفل جبل كوكو[9] وأرياف أستان[10]، وإقليم تنس[11]، خاصة المناطق القريبة من وادي شلف ومينا قرب حدود جبال الظهرة[12].

وتوفرت أرياف المناطق الداخلية على كميات معتبرة من القمح، مثل السهول المحيطة بمجانة[13] وبلاد ميلة[14]، بالإضافة إلى السهول الغربية مثل: سهل البطحاء الذي تم استصلاحه بعد خراب البطحاء على يد أحد الأولياء، أين بات عشر أراضيه يصل إلى 8000 كيل (رودجي)من القمح في السنة[15]، و"**سهل سيدي بلعباس**" الذي يمكن تزويد تلمسان لوحده بما تحتاجه من حبوب[16]، والسهول المحيطة بتلمسان من جهة البحر شمالا[17]، وأرياف هنين وندرومة[1].

---

[1]_ابن مرزوق: **المسند الصحيح**، ص ص:393_394.

[2] _الوزان: **المصدر السابق**، ص:62، مارمول: **المصدر السابق**، 8/3.

[3] _مارمول: **المصدر نفسه**، 108/1_109.

[4] _الوزان: **المصدر السابق**، ص:42، مارمول: **المصدر السابق**، 372/2.

[5] _مارمول: **المصدر نفسه**، ص:383.

[6] _تبعد هذه المدينة ب14فرسخا شرق القل، وهي روسيكاد عند بطليموس، أنظر: مارمول: **المصدر نفسه**، 6/3_7.

[7] _الوزان: **المصدر السابق**، ص:54، مارمول: **المصدر السابق**، 362/2، 6/3.

[8] _الوزان: **المصدر السابق**، ص:33.

[9] _مارمول: **المصدر السابق**، 374/2.

[10] _هي أكبر محلات جبل أغبال وهي قرب وهران، أنظر: مارمول: **المصدر السابق**، 352_353.

[11] _الوزان: **المصدر السابق**، ص:36، مارمول: **المصدر السابق**، ص:354.

[12] _Dhina Atallah : op.cit, p.338.

[13] _مارمول: **المصدر السابق**، ص: 382.

[14] _الوزان: **المصدر السابق**، ص:60.

[15] _الوزان: **المصدر السابق**، ص ص:28_29، مارمول: **المصدر السابق**، ص:326.

[16] _الوزان: **المصدر السابق**، ص:42، مارمول: **المصدر السابق**، ص:323.

[17] _مارمول: **المصدر نفسه**، ص:291.

وبخلاف ذلك؛ احتوت بعض المناطق على كميات قليلة من القمح، مثل المناطق الجبلية كجبل بني عباس[2] وجبل ولهاصة[3]، وبعض المناطق الجنوبية مثل أرياف مدينة طولقة بإقليم الزاب[4].

ولعل إشارة النوازل إلى الحنطة سواء بزرعها[5] أو ببيعها بذورا[6] أو سنابل[7] أو دخولها ضمن المهر[8] أو الوراثة[9]، لخير دليل على أهمية هذه المادة الغذائية لسكان الأرياف والمدن على السواء.

2_حبوب أخرى: اشتهر المغرب الأوسط بانتاج عدة أنواع من الحبوب منها:

أ_الدخن(الجاورس): اختلف في اسم الجاورس؛ فقيل الدخن وقيل الذرة، والمشهور هو الدخن[10]، وهناك من جعل الجاورس أحد أصناف الدخن وهو صغير الحب، شديد القبض أغبر اللون[11]، في حين أن ابن البيطار جعل كل نوع على حدى[12]، والدخن نبات عشبي حبه صغير أملس كحب السمسم، ينبت بريا ومزروعا[13]، وكان من المحاصيل التي كانت تزرع بالمغرب الأوسط[14]، وكان يشكل إحدى العناصر الغذائية لسكان المغرب الأوسط إلى جانب الشعير مثل سكان تبحريت[15] والأراضي المجاورة لها[16].

ب_السمسم(الجلجلان)[17]: هو صنفان أبيض وأسود[18]، ويختار لزراعته الأرض الطينية السمينة والرطبة الرملة والمدمنة الحرشاء، فتحرث مرات عدة وأما من كانت زراعته في الشتاء فتعمر له الأرض عمارة جيدة وتصنع فيها الأحواض، ويزرع في أول مارس وأفريل ويسقى بالماء كل جمعة حتى أوت، وبعد جنيه يُعمل منه حزما وتغطى بحشيش لمدة ثمانية أيام حتى يطيب كله ثم ينشر بزره[19].

---

[1]–Dhina, op.cit, p.336_337.

[2] _يبعد هذا الجبل ب 15فرسخا عن بجاية، أنظر: مارمول: **المصدر السابق**، ص:385.

[3] _الوزان: **المصدر السابق**، ص:44، مارمول: **المصدر السابق**، ص:351.

[4] _الوزان: **المصدر السابق**، ص:140.

[5] _ فتوى ابن رشد(ق6هـ)، البرزلي: **المصدر السابق**، 72/2.

[6] _**نفسه**، 75/3، 70.

[7] _فتوى المازري (ق5هـ)، البرزلي: **المصدر نفسه**، ص:188.

[8] _فتوى أبو محمد عبد الله الزواوي، البرزلي: **المصدر نفسه**، ص:532.

[9] _فتوى اللخمي، البرزلي: **المصدر نفسه**، 48/5_49.

[10] _أبو الخير الإشبيلي: **عمدة الطبيب في معرفة النبات**، قدم له وحققه محمد العربي الخطابي، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1995، 127/1، 227، الغساني الشهير بالوزير: **حديقة الأزهار في ماهية العشب والعقار**، ص:73.

[11] _الغساني التركماني: **المعتمد في الأدوية المفردة**، 48/1.

[12] _**الجامع لمفردات الأدوية والأغذية**، 367/2.

[13] _أبو المعاطي: **الملكيات الزراعية**، 154/1، **المعجم الوسيط**، 285/1.

[14] _ العمري: **المصدر السابق**، 87/4، الهادي روحي إدريس: **المرجع السابق**، 240/2.

[15] _مارمول: **المصدر السابق**، ص:296.

[16] _الوزان: **المصدر السابق**، ص ص:14_15.

[17] _ابن بصال: **الفلاحة**، ص:114، أبو الخير، **عمدة الطبيب**، 545/2.

[18] _ابن البيطار: **المصدر السابق**، 228/1، الغساني التركماني: **المصدر السابق**، 54/1.

[19] _ابن بصال: **المصدر السابق**، ص:114، ابن العوام: **المصدر السابق**، 129/4، أبو الخير: **الفلاحة**، ص ص:164_165، مجهول (ق8هـ)، **مفتاح الراحة**، ص:133.

والواضح أن منتوج السمسم قد تراجع إنتاجه خلال فترة دراستي، ذلك أنه من الحبوب التي كانت تزرع على وادي شلف في عهد اليعقوبي[1].

ج_الذرة: تزرع الذرة في القيعان الرطبة والرملية النذية، ويزرع متأخرا كالدخن[2]، وتدخل ضمن غذاء الفقراء الفقراء ومعظم الفلاحين لأنها تباع بأثمان رخيصة[3]، وكانت الذرة أقل انتشارا وشهرة من القمح والشعير[4]، والشعير[4]، وهي من الحبوب التي كانت تنتجها الدولة الحمادية[5]، وقد أشار الهادي إدريس[6] إلى انتشار الذرة البيضاء بالمغرب الأوسط.

ويتضح من النوازل بأنّ الذرة كانت من المحاصيل المهمة في منتجات الريف[7]، بدليل أنها كانت من المواد الغذائية التي تدخل في المعاملات التجارية وكيفية بيعها بعد طحنها[8].

د_قصب السكر (القصب الحلو)[9]: له عدة أنواع أهمها: الأبيض الطويل والأصفر المتقارب العقد الكثير الحلاوة، ومن هذين النوعين يعصر السكر[10]، وهذا النبات توافقه التربة المتطامنة المعرضة للشمس القريبة من الماء، ويتخذ من أصوله ومن قصبه وتغرس أصوله في العشرين من آذار (مارس) وفي غيره، ويتم جنيه في جانفي ثم يقطع قطعا صغارا ويدرس ويعصر[11]، وانتشرت زراعته بجزائر بني مزغناي[12]، وازدهرت بشكل واسع خلال العهد الزياني[13].

هـ_الأرز: محصول أدخله المسلمون لبلاد المغرب الأوسط[14]، والواضح أنني لم أجد في المصادر التي عدت إليها على معلومات حول هذه المادة الغذائية.

ومن الأهمية بمكان التنويه إلى أن فقراء الفلاحين الذين يعجزون عن اقتناء الحبوب ذات القيمة الغذائية العالية خاصة "الحنطة والشعير"؛ كانوا يلجؤون إلى استهلاك حبوب أقل قيمة وخاصة ما تعلق الأمر بـ:

---

[1]_**البلدان**، ص:149.

[2]_ابن العوام: **المصدر السابق**، 48/4، النابلسي: **علم الملاحة**، ص:74.

[3]_أبو المعاطي: **المرجع السابق**، 450/2.

[4]_العمري: **المصدر السابق**، ص:87.

[5]_الغنيمي: **المرجع السابق**، ص:323، إسماعيل العربي: **دولة بني حماد**، ص:227.

[6]_**المرجع السابق**، 240/2.

[7]_فتوى عبد الرحمن الواغليسي(ق8هـ)، المازوني: **الدرر المكنونة**، 46/2ظ.

[8]_فتوى أبو عبد الله الزواوي(ق8هـ)، الونشريسي، **المصدر السابق**، 90/5_91.

[9]_ابن العوام: **المصدر السابق**، 433/2.

[10]_الغساني الشهير بالوزير: **المصدر السابق**، ص:244.

[11]_ابن العوام: **المصدر السابق**، ص، ص: 433، 438.

[12]_الحريري: **تاريخ المغرب الإسلامي والأندلس**، ص:285.

[13]_الميلي: **المرجع السابق**، 483/2.

[14]_Allaoua Amara: **Retour à la problématique**, p.106.

السلت: يسمى أيضا بالشعير الفأري أو الحنطة الفارسية، فمنه مايزرع ومنه ما لا يزرع[1]، وبالنسبة للمزروع فيتخذ في البعل والسقي وتوافقه الأرض الحرشاء، وأول الوقت لزراعته من نصف ديسمبر إلى آخر أكتوبر[2]، والسلت كان من الحبوب التي تؤكل من قبل السكان الريفيين بعد رحيها وغربلتها[3].

شيلم: من جنس الحبوب وهو نبات يشبه نبات الزرع إلاّ أنّ ورقه مائل إلى البياض وقصبه كقصب الزرع، وهو عبارة عن أنابيب مجوفة تعلوها وشائع كأنها ثمرة البلوط، ولونها بين الخضرة والبياض وفيها حب على خلقة الدخن منابته مع الزرع، يطحن ويخبز ويقتات منه، معروف عند الفلاحين باسم الزوّان[4].

بيقية: أثافي تنبت في الحروث وهي أطول من نبات العدس وتؤكل كما يؤكل العدس[5].

3_البقول والقطاني:

تتمثل البقول والقطاني في الحمص والفول واللوبيا والعدس، وكانت تأخذ حيزا هاما من انشغالات الفلاحين والمزارعين لأهميتها الكبرى في التغذية ودعم الحبوب[6]، ولئن يصعب علينا معرفة أنواع البقول بالتفصيل، والتي كانت متواجدة بأرياف المغرب الأوسط خلال هذه الفترة، كما أنّ المصادر لم تفصل في أنواع هذه المزروعات إلاّ ناذرا، فيذكر الإدريسي[7]، عن "**وجود الحبوب في تنس ومقرة**"، وربما يقصد بها البقول أيضا بالرغم من أنه أشار صراحة عن وجود البقول في المسيلة[8].

وانتشرت في ربوع المغرب الأوسط زراعة كلاّ من الحمص[9] الذي يتلاءم مع التربة الحرشاء[10] والأرض المالحة[11]، بالإضافة إلى الفول[12] (الباقلا)[13] الذي يجود في التربة الرطبة النذية[14]، واشتهرت أرياف تلمسان بإنتاجها[15].

---

[1] _ أبو الخير: **عمدة الطبيب**، 540/2، الغساني الشهير بالوزير: **المصدر السابق**، ص:270.

[2] _أبو الخير: **الفلاحة**، ص:135، النابلسي: **المصدر السابق**، ص:74.

[3] _العقباني: **المصدر السابق**، ص:107.

[4] _أبو الخير: **عمدة الطبيب**، 602/2، ابن البيطار: **المصدر السابق**، 99/3، الغساني التركماني: **المصدر السابق**، 199/1، الغساني الشهير بالوزير: **المصدر السابق**، ص ص: 340_341.

[5] _ابن البيطار: **المصدر السابق**، 180/1، الغساني التركماني: **المصدر السابق**، 35/1.

[6] _يوسف الكادي: **المرجع السابق**، ص:248.

[7] _**المصدر السابق**، ص، ص:153، 164.

[8] _**نفسه**، ص:156، أنظر أيضا الحميري: **المصدر السابق**، ص:569.

[9] _الهادي روحي ادريس: **المرجع السابق**، 240/2.

[10] _ابن بصال: **المصدر السابق**، ص:109، ابن العوام: **المصدر السابق**، 159/4.

[11] _ابن حجاج: **المقنع في الفلاحة**، ص:14.

[12] _القلقشندي: **المصدر السابق**،112/5، العمري: 87/4، الهادي روحي ادريس: **المرجع السابق**، الصفحة نفسها، الحريري: **المرجع السابق**، ص:289.

[13] _ابن العوام: **المصدر السابق**، 147/4.

[14] _ابن حجاج: **المصدر السابق**، الصفحة نفسها، ابن بصال: **المصدر السابق**، ص:110، ابن العوام: **المصدر السابق**، 152/4.

[15] _ يحي بن خلدون: **المصدر السابق**، 90/1_91.

ويذكر الغنيمي[1] بأن الحبوب <<**كانت المحصول الرئيسي للحماديين بما فيها العدس والذرة**>>، بالإضافة إلى اللوبيا والجلبان والبسلة (نوع من الجلبان)[2] التي تسمى بإفريقية النسيم[3]، غير أن هذه المحاصيل كانت أقل انتشارا من القمح والشعير، ويشير صاحب كتاب الاستبصار[4] إلى أن <<**أرض فحص قل مشققة سوداء يجود فيها جميع البذر ويكون فيه حمص وفول قل ما يجود مثله في موضع**>>.

ومما يشير إلى انتشار إنتاج البقول أيضا ما ذكره الغبريني[5] في ترجمته لأبي زكرياء يحي بن أبي علي المشهور بالزواوي (ت611هـ/1215م) الذي كان "**عيشه من المباح من البقول**"، كما تناولت النوازل أيضا أنواعا من البقول[6] والجوائح التي كانت تصيبها[7]، وهذا دليل على أنها كانت تمثل منتجات زراعية مهمة.

ومن غير المستبعد أنّ سكان الأرياف قد استخدموا في الطبخ عدة بهارات مثل **الزعفران** الذي كان متواجدا بكثرة في مجانة[8]، و**الكمون**[9] الذي كان ينبت في قرية بنو وازلفن قرب تنس[10]، و**الزنجبيل** الذي يكثر ببلاد المغرب ويستعمل ورقه في أشياء كثيرة مثل الأشربة[11]، إلى جانب الصعتر[12]، والنعنع[13] والكراويا[14].

وإلى جانب استخدام نبات **العصفر(القرطم)**[15] في الصباغة؛ فهو أيضا يستخدم كبهار في الطعام[16]، بالإضافة إلى النبات المعروف باسم **شاهشُيرم** (الحبق الصغير) الذي تجعله النساء تابلا لطبخ اللحم[17]، وجوز بوا (جوز الطيب)[1]، والشيح[2]،....إلخ.

---

[1] _**المرجع السابق**، ص:323، أنظر أيضا اسماعيل العربي: **المرجع السابق**، ص:227.

[2] _العمري: **المصدر السابق**، ص:87، القلقشندي: **المصدر السابق**، 110/5.

[3] _ العمري: **المصدر السابق**، الصفحة نفسها.

[4] _مجهول (6هـ): ص:160، الحميري: **المصدر السابق**، ص:75.

[5] _ **المصدر السابق**، ص:136.

[6] _ الونشريسي: **المصدر السابق**، 44/6.

[7] _ فتوى اللخمي: البرزلي: **المصدر السابق**، 394/3.

[8] _ مجانة بلدة بإفريقية تسمى قلعة بُسر لأن بسر بن أرطأة افتتح أرضها أرض طيبة وخصيبة، أنظر: القزويني: **آثار البلاد**، ص:260.

[9] _ ابن بصال: **المصدر السابق**، ص:121، أبو الخير: **الفلاحة**، ص:159، **عمدة الطبيب**، 330/1، الغساني الشهير بالوزير: **المصدر السابق**، ص:141.

[10] _ الإدريسي: **المصدر السابق**، ص:154.

[11] _ابن البيطار: **المصدر السابق**، 474/2، الغساني التركماني: **المصدر السابق**، 151/1.

[12] _ ابن البيطار: **المصدر السابق**، 111/3، الغساني التركماني: **المصدر السابق**، 205/1.

[13] _الغساني الشهير بالوزير: **المصدر السابق**، ص:183.

[14] _ ابن البيطار: **المصدر السابق**، 324/4، الغساني الشهير بالوزير: **المصدر السابق**، ص ص:237_238.

[15] _أبو الخير: **عمدة الطبيب**، 441/2.

[16] _ اليعقوبي: **المصدر السابق**، ص:149.

[17] _الغساني الشهير بالوزير: **المصدر السابق**، ص:337.

وأستغرب لعدم إيراد المصادر الجغرافية والرحلات للنبتة المعروفة بـ"**إكليل الجبل**"[3]، ببلاد المغرب الأوسط طيلة فترة الدراسة بالرغم من تواجد النبتة بهذه البلاد حتى أيامنا هذه؛ ويذكر ابن البيطار[4] بأنه: "**نبات مشهور ببلاد الأندلس يوقد بالأفران وأكثر نباته إنما يكون في الجبال والأرضين المحصصة والقليلة التراب، وهو نبات يعلو أكثر من ذراع ورقه طويل رقيق كالهذب متكاثف ولونه إلى السواد وعوده خشبي صلب، وله بين أضعاف الورق زهر دقيق أدق من الخرذل أسود، ورقه في طعمه حرافة ومرارة وقبض وهو طيب الرائحة، حار ويابس**".

المطلب الثاني: النباتات الصناعية:

1_نباتات الحياكة والنسيج:

أ_القطن: القطن نبات أصله من الهند وهو من المحاصيل التي أدخلها العرب المسلمون إلى هذه البلاد[5]، ومن بلاد المغرب انتقلت زراعته إلى إسبانيا[6]، وأجود القطن الحديث وما زرع من عامه ويسمى الحديث القور وعتيقه القضم[7]، وكلما أكثر من حراثته كان بذره أجود[8]، وتوافق القطن الأرض اللزجة (حمراء أو سوداء)، وزراعته من أول شهر أفريل ويلقط ثمره أول أوت[9].

وينتشر القطن بأرياف كلاّ من طبنة والمسيلة[10] وقرى وبوادي مستغانم التي "**يبذر في أرضها القطن فيجود**"[11]، وقد ساهمت وفرة المياه وخصوبة التربة بها على ازدهار هذا المحصول، وكذلك نواحي ندرومة التي كان ينبت بها القطن ويجود بكثرة[12]، وعموما كثر هذا النبات في معظم المناطق التي يرويها نهر شلف.

ظل هذا النبات من المحاصيل الرئيسية في بلاد المغرب حتى القرن 10هـ/16م، حينما كان البندقيون يستوردون كميات كبيرة منه لا سيما من وهران[13]، فهو المادة الأولية لانتاج الأقمشة والألبسة وسائر المنتوجات، رغم تراجع إنتاجه في العديد من مناطق المغرب الأوسط مثل هنين التي كان "**سكانها في**

---

[1]_ابن البيطار: **المصدر السابق**، 240/1.

[2]_الغساني الشهير بالوزير: **المصدر السابق**، ص:338.

[3]_أبو الخير: **عمدة الطبيب**، 53/1.

[4]_**المصدر السابق**، 69/1_70.

[5]_إسماعيل العربي: **المرجع السابق**، ص:249، حسن علي حسن: **الحضارة الاسلامية**، ص ص:241_242، Amara : op.cit, p.6, 19.

[6]_حسن علي حسن: **المرجع السابق**، ص:242.

[7]_أبو الخير: **عمدة الطبيب**، 295/1، ابن البيطار: **المصدر السابق**، 271/4، أنظر أيضا: 141/3 من نفس المصدر.

[8]_ابن العوام: **المصدر السابق**، 52/4.

[9]_مجهول (ق8هـ): **مفتاح الراحة**، ص:135.

[10]_ابن حوقل: **المصدر السابق**، ص، ص:77، 85، البكري: **المصدر السابق**، ص:159، الادريسي: **المصدر السابق**، ص:156، الحميري: **المصدر السابق**، ص، ص: 387، 558، أبو الفدا: **المصدر السابق**، ص:139، القلقشندي: **المصدر السابق**، 107/5.

[11]_ابن حوقل: **المصدر السابق**، ص ص:80_81، البكري: **المصدر السابق**، ص:70، الحميري: **المصدر السابق**، ص:518.

[12]_الوزان: **المصدر السابق**، 13/2_14، مارمول: **المصدر السابق**، 295/2.

[13]_إسماعيل العربي: **العمران والنشاط الاقتصادي في عصر بني حماد**، ص:347.

القديم يشتغلون كلهم في القطن والمنسوجات"[1]، وانتعشت زراعته أيضا بالواحات الصحراوية، فأكثر غلات طبنة "القطن"[2].

ب_الكتان: يزرع الكتان في أرض البعل والسقي وتلائمه الأرض المدمنة الرطبة، وأول وقت زراعته في البعول شهر أكتوبر وآخر وقته شهر ديسمبر وزراعته في السقي النصف من فيفري، وآخر وقته انقضاء شهر أفريل ولا يجب أن تزرع زريعة الكتان البعل في أرض السقي أو العكس[3]، وكانت أكثر النواحي كتانا كتانا هي الأراضي المحيطة بجيجل "**الوعرة التي لا تصلح إلا للكتان**"[4]، واحتوى إقليم بجاية على كميات معتبرة منه[5]، بالإضافة إلى بونة التي يزرع بظاهرها كتان كثير[6].

ورغم أنّ هذا النبات يحتاج إلى مياه كثيرة إلاّ أنّ هناك من المناطق الداخلية من اشتهرت بإنتاجه، فمقرة "**أهلها يزرعون الكتان وهو عندهم كثير**"[7]، وانتشرت زراعته أيضا بأرياف كل من: قزرونة (متيجة)[8]، طبنة[9]، قسنطينة[10]، كما تنتج البادية حول برشك الكثير من الكتان[11]، ويشتغل معظم سكانها بحياكة الأقمشة التي تحمل إلى الآفاق[12].

وتنتج بعض المناطق كميات قليلة منه مثل تبحريت[13]، ومن القرى من تراجع إنتاجها للكتان مثل تاهرت التي كانت قراها تنتج الكتان على وادي شلف في عصر اليعقوبي[14].

والكتان أنواع منه الجيد والوسط والرديء، وحسب الألوان فمنه الأبيض ومنه الأدكن أبيض الطرف[15]، إلاّ أنّ المصادر التي تحدثت عن أرياف المغرب الأوسط لم تشر لا لأنواع الكتان المنتج، ولا وإلى جانب استعماله في صناعة الأقمشة والملابس فهو أيضا يستعمل في العلاج وخاصة القروح[16].

---

[1] _الوزان: **المصدر السابق**، ص:15.

[2] _ أبو الفدا: **المصدر السابق**، ص:139، القلقشندي: **المصدر السابق**، ص:107.

[3] _أبو الخير: **الفلاحة**، ص ص:139_140.

[4] _ الوزان: **المصدر السابق**، ص ص:51_52، مارمول: **المصدر السابق**، ص:381.

[5] _ الوزان: **المصدر السابق**، ص:102، مارمول: **المصدر السابق**، ص:376.

[6] _ أبو الفدا: **المصدر السابق**، ص:141، القلقشندي: **المصدر السابق**، ص:106.

[7] _ الإدريسي: **المصدر السابق**، ص:164، أنظر أيضا: الحميري: **المصدر السابق**، ص:556.

[8] _ البكري: **المصدر السابق**، ص:66، الحميري: **المصدر السابق**، ص:523.

[9] _ ابن حوقل: **المصدر السابق**، ص:85.

[10] _ ابن سعيد: **كتاب الجغرافيا**، ص:121.

[11] _ الوزان: **المصدر السابق**، ص:33، مارمول: **المصدر السابق**، ص:355.

[12] _ الوزان: **المصدر السابق**، الصفحة نفسها.

[13] _مارمول: **المصدر السابق**، ص:296.

[14] _**المصدر السابق**، ص:19.

[15] _عبد الواحد المراكشي: **وثائق المرابطين والموحدين**، ص/ 294.

[16] _جودت عبد الكريم يوسف: **المرجع السابق**، ص:55.

ج_القنب(الشهدانج): هو الحشيشة المخذرة[1]، والشهدانج من جنس الكفوف له ورق كورق بنطافيلون[2]، وقضبان طوال فارغة وبزره مستدير[3]، ووقت زراعته في البعل منتصف مارس وعلى السقي في أفريل وماي، والعمل في زراعته مثل الكتان[4]، فيزرع في الأرض العميقة والكثيرة الرطوبة وحصاده في أول جوان[5].

وينقسم إلى ذكر وأنثى وهذه الأخيرة هي التي تثمر، وإذا يبس وجفّ يمرس وينفض كما ينفض الكتان[6]، ويصنع منه الشرائط والحبال ويعرف عند عامة المغرب بالقنب[7]، ويرى البعض أن هذا النبات من أصل صيني أو فارسي وكانت تستعمل خيوطه في تحضير خيط قوي ومتين يستعمل في صناعة أثواب رقيقة وورق جيد[8].

ومن أكثر المناطق الريفية التي يزرع فيهاهي قرية بني وازلفن[9]، والملاحظ أن زراعته لم ترد كثيرا إلاّ في المصادر الجغرافية المتأخرة للعصر الوسيط، ما عدا معلومة الإدريسي السابقة، وعند إشارته إلى أن المرجان كان يصطاد بآلات ذوات ذوائب كثيرة كانت تصنع من القنب والتي تدار في أعلى المراكب[10]، مما يجعلني أرجّح بأن هذا النبات لم يكن منتشرا بالدرجة التي بات عليها في عصر الوزان، فهل إهمال المصادر لذكر هذا النبات لجهلها به؟، أم أن استعمالاته من قبل السكان بدأت في فترات متأخرة؟ وهو أمر مستبعد، أم لأن مناطق تواجده ضمن الجبال التي كانت معزولة، وباتت معروفة ومندمجة مع باقي المجالات الأخرى في عهد الوزان؟

وعموما يكثر نبات القنب في كل من إقليم بجاية[11]، وجيجل[12]، وهذا النبات يستعمل أيضا في صناعة الثياب وإنتاج الأقمشة[13].

د_الحرير: هو الإبريسيم ويتم الحصول عليه بعدما ينسج دود الحرير على نفسه حتى يتم غشاؤه، وعندما يترك في الشمس يثقبه ويخرج منه، وإذا خرج عنه اتخذ منه الإبريسيم والقزوان، وعندما يُترك في الشمس

---

[1]_مجهول (ق8هـ): **مفتاح الراحة**، ص:134.

[2]_الغساني الشهير بالوزير: **المصدر السابق**، ص:336.

[3]_ابن البيطار: **المصدر السابق**، 290/4، الغساني التركماني: **المصدر السابق**، 291/2.

[4]_ابن العوام: **المصدر السابق**، 203/4.

[5]_**نفسه**، ص:51، مجهول (ق8هـ): **مفتاح الراحة**، ص:134.

[6]_ الغساني الشهير بالوزير: **المصدر السابق**، ص:336.

[7]_ ابن البيطار: **المصدر السابق**، الصفحة نفسها، الغساني الشهير بالوزير: **المصدر السابق**، الصفحة نفسها.

[8]_جودت عبد الكريم: **المرجع السابق**، ص:56.

[9]_الإدريسي: **المصدر السابق**، ص:154.

[10]_**نفسه**، ص:191، أنظر أيضا، الحميري: **المصدر السابق**، ص:538.

[11]_الوزان: **المصدر السابق**، ص:102، مارمول: **المصدر السابق**، ص:376.

[12]_الوزان: **المصدر السابق**، ص:51، مارمول: **المصدر السابق**، ص:381.

[13]_الوزان: **المصدر السابق**، ص:102، مارمول: **المصدر السابق**، ص:376.

حتى يموت يسمى حينئذ حريرا[1]، والملفت للإنتباه هي المعلومة التي أوردها الحموي[2] بشأن قابس المشتهرة المشتهرة بكثرة شجر التوت بقوله: <<**ويُربّى بها الحرير، وحريرها أطيب الحرير وأرفهه وليس يعمل بافريقية حرير إلاّ بها**>>، وبهذا يتضح بأنّ إنتاج الحرير بأرياف المغرب الأوسط لم يشهد ازدهارا حتى نهاية العصر الوسيط، من خلال اشتهار أرياف شرشال بإنتاجه وتسويقه بكميات معتبرة[3].

والحرير أنواع فهناك حرير الخز وحرير بياض وحرير مدكن، وحسب الجودة فهناك الحرير الجيد والوسط والرديء، كما أنّ هذا النوع من الأقمشة تتم صباغته بألوان مختلفة[4]، والواضح أن المصادر التي عدت إليها أيضا لم تتعرض لهذه التفاصيل جميعا بشأن الحرير المنتج بالمغرب الأوسط.

هـ_الحلفاء: من المؤكد أن الحلفاء كانت وفيرة بالأرياف طيلة العصر الوسيط، بدليل أن مخلّد يزيد بن كيداد قد أمر لفك حصاره في الأوراس بخمسائة ثور وأن يشد بكل قرني ثور منها بحزمة حلفاء[5] وهذا العدد من الثيران ليس بقليل وبالتالي كميات الحلفاء التي استعملت كانت كبيرة جدا.

وتواجدت الحلفاء أيضا بقسنطينة[6] وكذلك المناطق الجنوبية التي لا تزال إلى الآن مشهورة بها خصوصا مناطق السهوب ورفارف الصحراء، وقد استعملها السكان في حياتهم اليومية فكانوا يصنعون منها حبالا وحصرا،...إلخ، وتستعمل الحلفاء أيضا كعلاج لبعض الأمراض أيضا[7].

و_نبات الأسل(السمّار)[8]: الأسل عند عامة المغرب هو الديس، فمنه الغليظ ومنه الدقيق ومنه ما يثمر وما لا يثمر[9]، منابته المروج وهو حاد الأطراف كالإبر يعلو من الأرض نحو الذراع أو الذراعين[10]، ومن هذه النبتة تصنع الحصر[11]، ويكثر كثيرا بجبل بني عباس ومنه إسم النهر وسكانه ينتسبون لزواوة[12].

2_نباتات الصباغة:

أ_النيلة(النيلج): نبات معروف عند الصباغين، له ساق وفيه صلابة وله شعب دقاق عليها ورق صغار مرصعة من جانبين، لونه يميل إلى الغبرة والزرقة وساقه مملوءة من خراريب فيها بزر صغير، وهذا النبات هو العظلم ويتخذ منه النيلج بأن يغسل ورقه بالماء الحار فيجلو ما عليه من الزرقة وهو يشبه

---

[1] _ ابن البيطار: **المصدر السابق**، 271/2، الغساني التركماني: **المصدر السابق**، 70/1.

[2] _الحموي: **المصدر السابق**، 289/4، أنظر أيضا: الحميري: **المصدر السابق**، ص:450.

[3] _مارمول: **المصدر السابق**، ص:356.

[4] _المراكشي: **وثائق المرابطين**، ص ص: 294_295.

[5] _الدرجيني: **المصدر السابق**، 99/1.

[6] _ابن سعيد: **المصدر السابق**، ص:121.

[7] _جودت عبد الكريم: **المصدر السابق**، ص:55.

[8] _الغساني الشهير بالوزير: **المصدر السابق**، ص :40.

[9] _أبو الخير: **عمدة الطبيب**، 74/1، 543/2، ابن البيطار: **المصدر السابق**، 21/1.

[10] _ الغساني الشهير بالوزير: **المصدر السابق**، ص :40.

[11] _ ابن البيطار: **المصدر السابق**، 21/1، الغساني الشهير بالوزير: **المصدر السابق**، ص :40.

[12] _مارمول: **المصدر السابق**، ص:385.

الغبار على ظاهر الورق ويبقى الورق أخضر ويترك ذلك الماء الحار ويرسب النيلج في أسفله كالطين فينصب عليه الماء ويجفف ويرفع[1].

وتستعمل النيلة عادة في تحضير الأصبغة، غير أن المعلومات المتعلقة بها بأرياف المغرب الأوسط خلال هذه الفترة شحيحة جدا ماعدا الاشارة التي ذكرها صاحب كتاب الاستبصار[2] بأنّ: **<<حسكان فحص فحص عجيسة قرب الغدير عندهم النيلة مشهورة>>**، كما كانت موجودة أيضا في قسنطينة[3].

ب_قشر الجوز: يوجد في ورق وأطراف شجر الجوز شيء من القبض وهو في القشر الخارج من قشور الجوز إذا كان طريا، ولذلك صار الصباغون يستعملون هذا القشر، أما أهل الأندلس فهم يعصرون هذا القشر ما دام طريا كما يعصر التوت وثمرة العليق[4].

ج_الأرجنقة: هو المعروف عند الصباغين بالأرجيقن وورقه يميل إلى البياض وهو أزغب، ومنه ما هو صغير عن مقطع الورق ومنه ما هو مقطع الورق مثل الأرز إلاّ أنه أعرض منه بقليل، وتكثر هذه النبتة بالجهات الشرقية لبلاد المغرب الأوسط خاصة بأحواز بجاية وأرياف سطيف[5].

د_العصفر (القرطم): نبات له ورق طوال مشرف وساق طولها نحو الذراعين بلا شوكة، عليها رؤوس في مقدار حب الزيتون وله زهر يشبه حب الزعفران، ونوار أبيض وأحمر مستطيل[6]، وهو من النباتات المستخدمة في الصباغة ومنه الريفي والبرّي، وكما يستعمل العصفر في الصباغة فإن زهره يستخدم كبهار في الطعام أيضا[7].

والعصفر من الحبوب التي تراجع إنتاجها بأرياف المغرب الأوسط خلال النصف الثاني من العصر الوسيط، حيث كان يزرع على وادي شلف قبل هذه الفترة[8].

هـ_القرمز: القرمز هو دود يكون على شجر البلوط ، وكثيرا ما يتكون في العام كثير الأنداء والرطوبة والضباب، يجمع في أفريل وماي وهو كثير بناحية تلمسان وأصله دود يتكون كما يتكون دود الحرير، فإذا حان موته صنع لنفسه ذلك الحب المشهور بالقرمز ومات فيه؛ فإن تُرك ولم يُجمع في تلك السنة وبقي إلى العام المقبل تولدت فيه زريعة كزريعة دود الحرير ثم يتقلب إلى حيوان[9]، لا يزال يكبر حتى يصير في قدر الحمص فإذا كمل نضجه انفتح وخرج منه ذلك الحيوان وهو أحمر اللون[10]، يعرف بدود

---

[1]_ابن البيطار: **المصدر السابق**، 488/4.

[2] _مجهول(ق6هـ): ص:167.

[3] _ابن سعيد: **المصدر السابق**، ص:121.

[4]_ابن البيطار: **المصدر السابق**، 238/1.

[5]_**نفسه**، ص ص:27_28.

[6]_**نفسه**، 259/4.

[7]_**نفس المصدر** والصفحة.

[8] _اليعقوبي: **المصدر السابق**، ص:149.

[9]_أبو الخير: **عمدة الطبيب**، 501/2، الغساني الشهير بالوزير: **المصدر السابق**، ص:246.

[10]_الغساني التركماني: **المصدر السابق**، 279/2.

الصباغين[1] يصبغ به الصوف والحرير ولا يؤخذ في الكتان ولا القطن، وهذا الدود له قبضة ومرارة وهو يجفف تجفيفا[2].

وهناك نباتات استخدمها سكان الريف لأغراض صحية وتجميلية، مثل **الحنّاء**[3] التي ذكرها الإدريسي[4] بقوله: <<**لبني وازلفن سوان يزرعون عليها الحنّاء**>>، وهذه النبتة تستعمل عادة في تخضيب شعر الرأس واللحية والأطراف ومن المؤكد أن سكان أرياف المغرب الأوسط كانوا يستخدمونها في الأعراس والأعياد،...إلخ.

و**الخُزامى** الذي ينبت في الرمل والرياض[5] والبساتين[6]، ولهذا النبات استخدامات كثيرة لاتزال إلى يومنا هذا هذا فخيوطه القوية تستخدم كحبال أو أدوات للحمام (وسيلة تكييس وإزالة للأوساخ)، ولثمرته الشبيهة بالقوارير ذات الخشب السميك والقاسي؛ كانت تصنع منها قوارير تستخدم في الشرب، وكان السكان يستغلون قشرة جذور **أشجار الجوز** وجدوعها المعروفة باسم "**السواك**"، في تدليك اللثة والأسنان[7].

3_النباتات الطبية: إنّ مدلول النباتات الطبية من الناحية الزراعية يدخل في الوقت الحاضر تحت علم المحاصيل الحقلية (Agronomy) الذي يعتبر من العلوم الزراعية التطبيقية، لذلك فهذا النوع من المحاصيل يزرع بغرض الحصول على العقاقير الطبية، سواء من الأزهار أو الأجزاء الخضرية للنباتات والأثمار أو البذور أو الجذور،....إلخ[8].

اشتهرت بعض مناطق المغرب الأوسط بجودة أعشابها الطبية؛ ويقدم لنا الإدريسي معلومات لا بأس بها حول هذا الموضوع والمؤكد أن سكان المناطق الريفية قد استعملوها في معالجة الكثير من الأمراض، ومن أهم هذه النباتات نجد الحشيشة التي يطلق عليها إسم "القوليون الحرافي"، التي تكثر ببلاد القلعة وكان السكان يشربونها اتقاءا لسم العقارب والتحصن من ضررها[9]. وتكثر بجبل ميسون الواقع شمال بجاية بعضا من النباتات الطبية مثل شجر الحضض، والسقولوفندريون والبرباريس والقنطاريون

---

[1]_ الغساني الشهير بالوزير: **المصدر السابق**، ص:246.

[2]_ الغساني التركماني: **المصدر السابق**، 279/2.

[3]_ابن بصال: **المصدر السابق**، ص:118، ابن العوام: **المصدر السابق**، 211/4، أبو الخير: **عمدة الطبيب**، 184/1، ابن البيطار: **المصدر السابق**، 301/2_302، الغساني التركماني: **المصدر السابق**، 82/1، أنظر أيضا: الغساني الشهير بالوزير: **المصدر السابق**، ص ص:116_117.

[4] _**المصدر السابق**، ص:154.

[5]_ابن البيطار: **المصدر السابق**، 326/2.

[6]_ الغساني التركماني: **المصدر السابق**، 91/1.

[7]_برنشفيك: **المرجع السابق**، 230/2.

[8]_ ناصر حسين صفر: **النباتات الطبية عند العرب**، مقال ضمن كتاب **إسهامات العرب في علم النبات**، ص: 385.

[9]_**المصدر السابق**، ص:156.

الكبير والزراوند والقسطون والأفسنتين أيضا وغير ذلك من الحشائش[1]، بالإضافة إلى الأرطم الذي ينبت بكثرة بوادي بجاية، وله فوائد صحية على الإنسان والحيوان[2].

كما تنمو ببلاد المغرب الأوسط أنواعا عديدة من النباتات الطبية منها:

آطربلال (حشيشة البرص)[3]: اشتهرت به قبيلة شعيب من بني وجهان البربرية القاطنة بأعمال بجاية من بلاد المغرب الأوسط، وكان الناس يقصدونها لمداواة هذا المرض[4].

آرغيس: وهو قشر أصل شجرة الباربارس[5]، **والباربارس**(أمير باريس)، هو شجر من نوع العوسج ويسمى ويسمى بالبربرية آزرغنت، كما يطلق اسم آرغيس على الشجرة بعينها[6].

آمليلس:إسم بربري لشجر معروف من بلاد المغرب الأقصى إلى إفريقية.

أموح: ومعناه الأنابيب بالعربية، وكانت نساء المغرب كثيرا ما يطبخونه وهو غض بعصير العنب، ويصفونه ويشربن من ذلك الصفو مقدار كأس طرادا، وإذا أدمن على شربه أسهلهن قليلا وسمّن أبدانهن وحسن ألوانهن ونقى أرحامهن[7].

بوقشرم: إسم بربري لنبات يكثر ببجاية وما والاها من أعمال إفريقية، وعصارته مجربة لبعضهم لبياض العين[8].

تانبول: نوع من اليقطين ينبت ويرتقي في الشجرة وما ينصب له، وهو مما يزدرع ازدراعا بأطراف بلاد المغرب وطعم ورقه طعم القرنفل وريحه طيبة، والناس يمضغونه في أفواههم فيطيب النكهة ويحدث في النفس طربا وأريحية ويقوي البدن[9].

تاغندست: هو إسم للعاقر قرحا بالبربرية[10]، يوجد خاصة بظاهر مدينة قسنطينة بالجانب القبلي منها بموضع يعرف بضيعة لواتة، وهو نبات يشبه البابونج الأبيض الزهر، إلاّ أنّ قضبان العاقر قرحا عليه زغب أبيض ممتدة على وجه الأرض وهي كثيرة مخرجها من أصل واحد، وفائدته الطبية تكمن في تسكين وجع الأسنان[11].

---

[1] _**نفسه**، ص ص:160_161، أنظر أيضا: الحميري: **المصدر السابق**، ص ص:80_81.

[2] _محمد حسن: **أصناف الإنتاج الزراعي بإفريقية**، ص:284.

[3] _ابن البيطار: **المصدر السابق**، 277/2.

[4] _**نفسه**، 6/1.

[5] _**نفسه**، ص:8، الغساني التركماني: **المصدر السابق**، 5/1.

[6] _الغساني الشهير بالوزير: **المصدر السابق**، ص:8.

[7] _ابن البيطار: **المصدر السابق**، ص:77.

[8] _**نفسه**، ص:176.

[9] _**نفسه**، ص:182.

[10] _**نفسه**، ص:183.

[11] _**نفسه**، 157/3.

تامساورت: إسم بربري ببجاية للنبات المسمى بالبربرية "**المو**"، وهو البسبسة عند بعض الشجارين بإشبيلية، وهو بجبالهم كثير كبير ضخم الحب، وهم يستعملون حبه في الأبازير ويسميه بعض البربر كمون الجبل[1].

مورقا (إسمامن): نبات ينبت كثيرا ببلاد البربر، طيب الرائحة جدا فيه حرافة يسيرة فيتحول إلى طعم الزنجبيل، ويستعمل في لخالخ الطيب[2].

والجدير بالذكر أنّ هذه المجالات الغابية تتمركز في الجبال ولا تمثل إلاّ نسبة الثلث أو أقل من المساحات الإجمالية المخصصة للزراعة[3]، وإلى جانب النباتات الطبية احتوت المناطق الريفية على مساحات شاسعة، التي زخرت بأنواع عديدة من النباتات العطرية، والتي آثرت الحديث عنها ضمن عنصر **أشجار الورد والرياحين**، لأنها مرتبطة بشكل أساسي بالحدائق والبساتين ضمن المطلب الخاص بالإنتاج البستني من هذا الفصل.

المطلب الثالث: انتاج الأعلاف (العلوفات):

إلى جانب الظروف الطبيعية المساعدة على ازدهار النشاط الزراعي ببلاد المغرب الأوسط، نلمح من المصادر الجغرافية على الخصوص وجود تلازم واقتران بين مناطق تواجد "**المزارع والمسارح**"؛ بأرياف: قزرونة[4]، قصر الإفريقي[5]، دكمة[6]، وباغاي[7]، وميلة[8]، ومرسى الزيتونة "**به مزارع كثيرة ومراع ومراع مريعة**"[9]، وتشتهر سطيف بكثرة المزارع والعشب العظيم[10].

بل إنّ هذا التلازم والثراء في الأعلاف شمل حتى المناطق الجبلية الريفية؛ فيعرف جبل أوراس ببلد الزرع والضرع[11]، وكذلك الجبال المحيطة بجزائر ببني مزغنة[12] وجبل مغراوة[13].

والواضح أن هذه المعلومات لم ترد عبثا على اعتبار أن السكان قد خصصوا جزءا من المساحات الزراعية كمورد هام لانتاج الأعلاف[14]؛ فهل إنتاج هذه الأخيرة كان لتغطية الحاجات اليومية لحيوانات

---

[1]_**نفسه**، 183/1.

[2]_**نفسه**، 463/4.

[3]_محمد حسن: **المرجع السابق**، ص:285.

[4]_البكري: **المصدر السابق**، ص:65، الحميري: **المصدر السابق**، ص:523، الحموي: **المصدر السابق**، 53/5.

[5]_البكري: **المصدر السابق**، ص:53، الحميري: **المصدر السابق**، ص:475.

[6]_البكري: **المصدر السابق**، ص:54.

[7]_**نفسه**، ص:50، مجهول(ق6هـ): **الاستبصار**، ص:163، الحميري: **المصدر السابق**، ص، ص:558،76.

[8]_مارمول: **المصدر السابق**، 13/3.

[9]_البكري: **المصدر السابق**، ص:81.

[10]_الحموي: **المصدر السابق**، 220/3.

[11]_مجهول(ق6هـ): **المصدر السابق**، ص: 165.

[12]_مارمول: **المصدر السابق**، 373/2.

[13]_الوزان: **المصدر السابق**، 45/2، مارمول: **المصدر السابق**، ص:353.

[14]–Berque, op.cit, p.1335.

الفلاحين؟، أم أنها كانت مخصصة على نطاق واسع؟، والمرجح أن الاحتمال الأخير هو الأصح على اعتبار أنها لفتت نظر جغرافيي ورحالة الفترة عند زيارتهم لتلك المناطق.

تفيدنا مصادر الفترة بمعلومات في غاية الأهمية بشأن رخص أسعار اللحوم في أغلب أسواق مدن المغرب الأوسط، مثل بونة[1]، تدلس[2]، مرسى الدجاج[3]، وهران[4]، ولايتعلق الأمر بالمناطق الساحلية أين أين تكثر المراعي الخضراء فحسب؛ بل حتى المناطق الداخلية ذاع صيتها بهذا الشأن أيضا مثل: القلعة[5]، المسيلة[6]، الغدير[7]، حصن تاكلات[8]، وتلمسان ذات الزرع والضرع[9]، اشتهرت بأنّ: "**لحومها شحيمة سمينة**"[10]، والواضح أنّ رخص أسعار المواشي واللحوم هي دليل قاطع على وفرة الأعلاف والمسارح بأغلب المناطق الريفية.

وتحتاج ملكية الماشية المستخدمة في العمل الفلاحي إلى عناية فائقة وتوفير التغذية لها من شعير وقطانية وكلأ وتبن، وقد سعى الفلاحون إلى ادخار هذه المادة في بيت خاص أو مكان آمن باعتباره المادة الحيوية في العمل الفلاحي[11]، ويعتبر الشعير من الأعلاف المهمة لتغذية الأحصنة، وهو من المواد الناذرة بالمناطق الصحراوية[12].

وانتشار الرعي له علاقة بانتشار الزراعة، فقد لجأ بعض أهل إفريقية خلافا لما يتوقعه كثير من الدارسين إلى زراعة العلف الاصطناعي المغذي للحيوان مثل القرط والقصيل والكرسنة، خاصة في المناطق شبه الصحراوية، وهو أمر يدل على مدى تقدم تربية الماشية ومحاولة حل مشكل المرعى[13].

ويختلف إنتاج الأعلاف حسب الفصول؛ فهناك العلف الأخضر المسمى بالقصيل[14]، وكذا التبن الذي يكون من الحنطة والشعير والفول والجلبان[15]،...إلخ، ويرتكز انتاجها أساسا على الشعير، فيزرع القصيل في الأرض الطينية الكثيرة الدمن أو المزبلة جيدا، وأول الوقت لزراعته في شهر أوت وآخره

---

[1]_البكري: **المصدر السابق**، ص:55، الحميري: **المصدر السابق**، ص:115.

[2]_الإدريسي: **المصدر السابق**، ص:160، الحميري: **المصدر السابق**، ص:132.

[3]_الإدريسي: **المصدر السابق**، ص:159، الحميري: **المصدر السابق**، ص:539.

[4]_الإدريسي: **المصدر السابق**، ص:153، الحميري: **المصدر السابق**، ص:613.

[5]_الإدريسي: **المصدر السابق**، ص:162.

[6]_البكري: **المصدر السابق**، ص:59، الحميري: **المصدر السابق**، ص:558.

[7]_البكري: **المصدر السابق**، ص:60، الحميري: **المصدر السابق**، ص:427.

[8]_الإدريسي: **المصدر السابق**، ص: 163، الحميري: **المصدر السابق**، ص:169.

[9]_العمري: **المصدر السابق**، ص:107.

[10]_الإدريسي: **المصدر السابق**، ص:150، الحميري: **المصدر السابق**، ص:135.

[11]_محمد حسن: **القبائل والأرياف**، ص:46.

[12]_ الفرسطائي: **المصدر السابق**، 358/5، ابن مريم: **المصدر السابق**، ص:135.

[13]_محمد حسن: **المدينة والبادية**، 448/2، 456.

[14]_الغبريني: **المصدر السابق**، ص:175.

[15]_ابن البيطار: **المصدر السابق**، 183/1.

انقضاء شهر نوفمبر[1]، بالإضافة إلى العشب والحشائش الخضراء في الربيع[2]، والجافة خارج فصل الربيع[3]، لذلك فمعظم الحملات العسكرية كانت تقام خصيصا في فصل الربيع لوفرة الكلأ والظروف الجوية الملائمة[4].

يتضح من خلال المصادر حرص الدول الحاكمة والقبائل الريفية على حد سواء في توفيرها، فأثناء خروج يعقوب يوسف بن عبد المؤمن من مراكش لغزو قفصة عام 575هـ/1179م، كان من جملة ما كان يحظى بها الجند الموحدي _إلى جانب مصاريف الغزو_هي العلوفات لدوابهم والمؤن من شعير وقمح ويسمون ذلك بالمواساة والمرافق في كل منزل[5].

اعتمدت دول الفترة على إدارة محكمة لتوفير الأعلاف، أين كان حكام الأقاليم يتولون مسؤولية تجهيزها (تجميعها، حفظها وتخزينها)[6]، بل كانت عملية تجهيز الزاد والأعلاف للجيوش المحاربة رمزا من من رموز الطاعة والولاء من قبل بعض الأطراف، مثلما قام به يوسف بن مزني لأبا عنان عام 758هـ/1357م[7]، وفي هذا الصدد يؤكد ابن خلدون[8] بقوله: **<<واحتل بظاهر بسكرة فتلوّم بها ثلاثا لإراحة العساكر وإزاحة عللهم من وعثاء السفر وشعث الصحراء، ففرّق يوسف بن منصور في قِرَى عساكره أيام مقامه يشملهم فيها من العلوفة والحنطة واللحمان والأدم بما أرغد عيشهم وكفاهم همّهم>>.**

وحرص بعض الحكام على تخصيص جزء من الضرائب المفروضة لتغطية هذا الجانب، فالسلطان أبا حمو الزياني، منذ اختطاطه لمدينة تمزيزدكت عام 726هـ/1326م، قد "**أوعز إلى العمال سائر البلاد الشرقية من عمل البطحاء أن ينقلوا أعشار الحبوب إليها وسائر الأقوات، وتقبل ابنه السلطان أبو تاشفين مذهبه في ذلك ولم يزل دأبهم إلى حين حلّت هذه الفاخرة فانتهب الناس من تلك الأقوات مالا كفاء له...**"[9]، والواضح أنها كانت كميات ضخمة جدا إلى الدرجة التي جعلت صاحب العبر يصف تلك الأقوات المخزنة بأنها "**كانت بحرا لا يدرك ساحله**"[10].

إنّ عملية جمع زاد الحروب والعلوفات من خلال فرض الضرائب، وأحيانا إجبار الدول المنهزمة على دفعها كرمز من رموز إخضاعها وإذلالها، هو إجراء دأبت عليه جميع دول الفترة وهو ما يفسّر كثرة

---

[1] _أبو الخير: **الفلاحة**، ص:135.

[2] _برنشفيك: **المرجع السابق**، 458/2.

[3] _ابن عذاري: **المصدر السابق**، 16/5_17.

[4] _ مجهول (ق8هـ): **زهر البستان**، 360/2، ابن الأثير: **الكامل في التاريخ**، 431/9.

[5] _ابن عذاري: **البيان، قسم الموحدين**، ص:140_141.

[6] _ ابن الأثير: **المصدر السابق**، ص:428.

[7] _ابن خلدون: **العبر**، 582/7.

[8] _ **نفسه**، 6/ 593.

[9] _ **نفسه**، 336/7.

[10] _**نفسه**، ص:335.

المعارك المُخاضة وتفاوت مدتها من منطقة إلى أخرى، وفي المقابل نجد أن القبائل الريفية كانت تحرص على تخزينها، وإلاّ كيف نفسر مصادرة يغمراسن لحبوب مليانة وكذلك مصادرة أبا عنان لأقوات عرب الزاب وتقنين الغذاء بالمنطقة، حسبما أشرت إليه في الفصل الأول.

المبحث الثاني: الإنتاج البستني بأرياف المغرب الأوسط.

المطلب الأول: غراسة الأشجار المثمرة[1]:

يتضح من المصادر أنّ أغلب بساتين المغرب الأوسط قد تمّ استغلالها في غراسة الأشجار المثمرة[2]، فسكان بجاية "**مغمورون بالثمار إذ يحيط بالمدينة عدد لا يحصى بالحدائق العامرة بالأشجار لا سيما جهة الباب المؤدي إلى ناحية الشرق**"[3]، و"**تحيط بالجزائر أراض مغروسة بأشجار الفواكه**"[4]، وتبسة "**كثيرة الفواكه وهي على نهر كثير الفواكه والأشجار**"[5]، ولحصن ابن زيني(زيان) "**نهر كثير الثمار الثمار والأشجار**"[6]، والأمر ذاته بالنسبة لمدينتي سطيف ونقاوس[7]، واشتهرت ميلة بأنها "**كثيرة الأشجار ممكنة الثمار، وفواكهها كثيرة ومحاسنها ظاهرة ومياهها غدقة**"[8]، وبأرياف تاهرت "**أشجار تحمل ضروب ضروب من الفواكه الحسنة**"[9]، وبخارج تلمسان حدائق الفواكه والرمان والتين والزيتون[10].

وبالواحات الصحراوية وإلى جانب أشجار النخيل، فإن إشارة المصادر إلى عبارة أصناف الثمر والفواكه[11] تشير إلى هذا النوع من الأشجار، فببلاد الزاب حظي هذا النوع من الأشجار بعناية كبيرة من قبل الأعراب المستقرين بالمنطقة، ممّا ساهم في انعاش هذا النوع من الغراسات بها[12].

وحول إنتاج "الفواكه والثمار" بصفة عامة دون تخصيص لنوع محدد، فقد كان مرتكزا بالمناطق المحيطة أو القريبة من المدن، ففي المناطق الساحلية تنتشر هذه الغلات البستنية بأرياف كلا من بونة[1]، بلد القل[2]

---

[1]_**الشجر المثمر الذي يسمي الناس ثماره الفاكهة وتؤكل رطبا ويابسا**، وهذا الشجر ضروب وحملها كهيئتها ألوان وضروب فمنها ما له نوى كثمرة كثمرة الخوخ والزيتون والنخل وما أشبهها، ومنها ما لا نوى له مثل التين والتفاح والتوت وما أشبهها، ومنها ما له قشور قد ألحق به مثل الرمان والجوز والموز واللوز وما أشبهها، ومنها ما له حب ولا نوى فيه مثل الموز وحب الصنوبر وما أشبهها. أنظر: ابن وحشية: **الفلاحة النبطية**، ج2، ق2، 1163.

[2]_**حول توزيع أشهر أنواع الفواكه بأرياف المغرب الأوسط، أنظر الخريطة رقم: 04 ضمن الملاحق.**

[3]_الوزان: **المصدر السابق**، ص:50.

[4]_**نفسه**، ص:37، مارمول: **المصدر السابق**، 363/2.

[5]_البكري: **المصدر السابق**، ص،ص: 49، 145، مجهول(ق6هـ): **الإستبصار**، ص:163، الحميري: **المصدر السابق**، ص ص:129_130.

[6]_البكري: **المصدر السابق**، ص:79، مجهول(ق6هـ): **المصدر السابق**، ص:135، الحميري: **المصدر السابق**، ص:284.

[7]_مجهول(ق6هـ): **المصدر السابق**، ص، ص:166، 176.

[8]_الإدريسي: **المصدر السابق**، ص ص: 165_166، الحميري: **المصدر السابق**، ص:569، الوزان: **المصدر السابق**، 60/2، مارمول: **المصدر المصدر السابق**، 13/3.

[9]_الإدريسي: **المصدر السابق**، ص:157، الحميري: **المصدر السابق**، ص:126.

[10]_يحي بن خلدون: **المصدر السابق**، 85/1.

[11]_ النميري: **المصدر السابق**، ص، ص:448، 471.

[12]_ **نفسه**، ص: 414_ 416، 427.

القل[2] التي حافظت على ازدهارها إلى نهاية العصر الوسيط ذلك أن بها "**جميع الفواكه كما في أوروبا**"[3]، بالإضافة إلى أرياف جيجل[4]، بجاية[5]، بلد كوكو[6]، تدلس[7]، مرسى الدجاج[8]، شرشال[9]، برشك[10] تنس[11]، وأرياف هنين[12].

أما عن المناطق الداخلية الشرقية فتكثر الفواكه والثمار بسهل قسنطينة[13] وأرياف نقاوس[14]، طبنة[15]، القلعة[16]، المسيلة[17]، باغاية[18]، مقرة[19]، وتاهرت[20]، وبالمناطق الغربية نجدها بكل من أرياف وهران[21]، تلمسان[22]، إفكان[23]، مازونة[24]، ندرومة[25]، يلّل[26]، وآسلن(أسلي)[27]، وبالواحات الصحراوية أشادت مصادر الفترة بفاكهة وثمار أرياف الغدير[28]، بادس[29] وبسكرة[1].

---

[1]_الإدريسي: **المصدر السابق**، ص: 191، الحميري: **المصدر السابق**، ص:538، أبو الفدا: **المصدر السابق**، ص:141، القلقشندي: **المصدر السابق**، 100/5.

[2]_مجهول(ق6هـ): **المصدر السابق**، ص: 127.

[3]_مارمول: **المصدر السابق**، ص:362.

[4]_الحميري: **المصدر السابق**، ص: 184.

[5]_الإدريسي: **المصدر السابق**، ص: 161، الحميري: **المصدر السابق**، ص ص:80_81.

[6]_مارمول: **المصدر السابق**، 374/2.

[7]_الإدريسي: **المصدر السابق**، ص:160، الحميري: **المصدر السابق**، ص:132.

[8]_الإدريسي: **المصدر السابق**، ص ص: 159_160، الحميري: **المصدر السابق**، ص:539.

[9]_الإدريسي: **المصدر السابق**، ص:159، الحميري: **المصدر السابق**، ص:340.

[10]_الإدريسي: **المصدر السابق**، ص: 158، الحميري: **المصدر السابق**، ص:88.

[11]_الإدريسي: **المصدر السابق**، ص:153، الحميري: **المصدر السابق**، ص:138.

[12]_الوزان: **المصدر السابق**، 16/2.

[13]_مارمول: **المصدر السابق**، 15/3_16.

[14]_البكري: **المصدر السابق**، ص:50، الإدريسي: **المصدر السابق**، ص:165، مجهول(ق6هـ): **المصدر السابق**، ص: 176، الحميري: **المصدر السابق**، ص:579.

[15]_الإدريسي: **المصدر السابق**، ص: 164، الحميري: **المصدر السابق**، ص: 387.

[16]_الإدريسي: **المصدر السابق**، ص:156، 162، الحميري: **المصدر السابق**، ص:469.

[17]_الإدريسي: **المصدر السابق**، ص ص: 155_156، الحميري: **المصدر السابق**، ص:558.

[18]_البكري: **المصدر السابق**، ص:50، الحميري: **المصدر السابق**، ص:76.

[19]_البكري: **المصدر السابق**، ص:51.

[20]_الإدريسي: **المصدر السابق**، ص:157، الحميري: **المصدر السابق**، ص:126، القلقشندي: **المصدر السابق**، 111/5.

[21]_الإدريسي: **المصدر السابق**، ص:153، مجهول(ق6هـ): **الإستبصار**، ص:135، الحميري: **المصدر السابق**، ص:612.

[22]_العمري: **المصدر السابق**، 107/4، الوزان: **المصدر السابق**، 20/2، مارمول: **المصدر السابق**، 291/2، 299.

[23]_الحميري: **المصدر السابق**، ص:51.

[24]_الإدريسي: **المصدر السابق**، ص:172، الحميري: **المصدر السابق**، ص ص: 521_522.

[25]_مجهول(ق6هـ): **المصدر السابق**، ص:135، الحميري: **المصدر السابق**، ص: 576.

[26]_الإدريسي: **المصدر السابق**، ص:152.

[27]_البكري: **المصدر السابق**، ص:78، الحميري: **المصدر السابق**، ص:58.

[28]_البكري: **المصدر السابق**، ص:50، الحميري: **المصدر السابق**، ص:427.

[29]_مجهول(ق6هـ): **المصدر السابق**، ص:180، الحميري: **المصدر السابق**، ص:75.

واكتفت مؤلفات أخرى بالإشارة لثراء بعض القرى والمناطق الجبلية بالفاكهة، مثل قرية ريغة[2]، قرية عين الصفاصف[3]، واشتهر مرسى الزيتونة أول حد جبال الرحمن بكثرة الثمار والأنهار[4]، والجبل المتصل بمرسى تكوش "**كثير الفاكهة والخير**"[5]، وزخرت مختلف المراكز العمرانية الريفية حصون وقلاع بإنتاج مختلف أنواع الفاكهة والثمار[6].

والإنتاج البستني بالأرياف كان وفيرا لدرجة أنّ سكان بعض المناطق عندما يجنون بعض الفاكهة في الخريف يبقى بالأجنة ما لايحتاجون إليه من الغلال[7].

وأشادت مصادر القرن 10هـ/16م لثراء الجبال المحيطة بعنابة من جهة الجنوب والشرق[8] والأراضي المجاورة للقل من جهة الجبل[9] وجبل بني عباس (بجاية)[10] "بأنواع الفواكه والثمار"، وكذلك جبل بني ورنيد[11]، ويعود سبب التعميم إلى كثرة وتنوع أصناف الثمار، فعلى سبيل المثال لا الحصر نجد أن الإدريسي لم يفصل في أنواع فاكهة تلمسان واكتفى بالقول بأنّ "**فواكهها جمة وخيراتها شاملة**"[12]، عكس الوزان الذي أسهب في تعداد الأنواع والأصناف المختلفة لتلك الفاكهة.

ولأهمية الأشجار المثمرة فقد تملكها السكان بطرق مختلفة، كالبيع والشراء والهبة[13]، ويمكن حصر أنواع الأشجار المثمرة (أشجار الفاكهة) التي تنتجها أرياف المغرب الأوسط في:

1_الزيتون: شجرة الزيتون هي شجرة مباركة نزل ذكرها في كتاب الله تعالى في أكثر من موضع حيث قال في محكم تنزيله:﴿اَللَّهُ نُورُ السَمَاوَاتِ وَالاَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحُ، المِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ، الزُجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرّيٌ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لاَ شَرْقِيةٍ وَلاَ غَرْبِيَةٍ يَكَادُ زَيتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ...﴾[14]، ويقول جلّ جلاله أيضا:﴿وَالْتِّينِ وَالْزَّيْتُونِ﴾[15].

---

[1]_البكري: **المصدر السابق**، ص:52، الحميري: **المصدر السابق**، ص ص:113_114.

[2]_الإدريسي: **المصدر السابق**، ص:155، الحميري: **المصدر السابق**، ص:280.

[3]_الإدريسي: **المصدر السابق**، ص:151.

[4]_البكري: **المصدر السابق**، ص:81.

[5]_**نفس المصدر** والصفحة.

[6]_**تجنبا للتكرار أنظر ص ص: 48_56 من الفصل التمهيدي.**

[7]_فتوى محمد بن مرزوق (9هـ)، المازوني: **المصدر السابق**، 130/2و.

[8]_مارمول: **المصدر السابق**، 8/3.

[9]_الوزان: **المصدر السابق**، ص:54، مارمول: **المصدر السابق**، ص:16.

[10]_مارمول: **المصدر نفسه**، 385/2.

[11]_الوزان: **المصدر السابق**، ص:45، مارمول: **المصدر السابق**، ص:353.

[12]_الإدريسي: **المصدر السابق**، ص:150، أنظر أيضا: الحميري: **المصدر السابق**، ص:135.

[13]_الوسياني: **سير الوسياني**، 370/1.

[14]_سورة النور، الآية 35.

[15]_سورة التين، الآية 1.

وهي من جنس الشجر العظام المعمّر[1]، فمنها البري ينبت في الجبال والبستاني وهو الأكثر نضجا والأوفر زيتا[2] وفيه أصناف من الطويل الثمرة أو المدوّر[3]، وتسمى شجرة البري الزبّوج[4]، وهذه الشجرة تصلح وتجود في الأرض الرقيقة والبيضاء لا سيما إن كانت لينة والأرض السودا لا سيما التي فيها حجارة[5] وفي الأرض الجافة غير الندية[6]، والزيتون يتخذ من نباته وملوخه وأوتاده، ويتخذ من بزره ويغرس ويغرس شجره في الخريف أو الربيع أما النواة فتغرس في شهر أكتوبر[7]، ويقتطف غلات الزيتون في نوفمبر[8]، قبل شدة البرد[9].

وإذا كان العمري[10] قد أشار إلى انتشار الزيتون بإفريقية دون تحديد واضح للمناطق الريفية، فإن معظم الرحالة والجغرافيون يشيدون بثراء مناطق ريفية مخصوصة بإنتاج الزيتون، مثل البكري[11]، الذي أشار إلى كثرة الزيتون في كل من بسكرة، بنطيوس وطولقة؛ والأراضي المحيطة بمقرة[12].

واشتهرت شرشال بالأشجار الكبيرة من الزيتون في عرصات تقع بداخل الأسوار القديمة[13]، وكانت مدينة كوكو تغل زيتا كثيرا لكثرة الأجنة بها[14]، ويكثر أيضا بالممتلكات الواقعة حول هنين[15]، وسهل قسنطينة[16]، ونواحي تلمسان[17]، ذلك أن غراسة الزيتون كانت تأتي في الدرجة الثانية بعد القمح خلال العهد الزياني[18].

---

[1]_أبو الخير: عمدة الطبيب، 280/1، الغساني الشهير بالوزير: **المصدر السابق**، ص:103، سراج الدين ابن الوردي: **خريدة العجائب وفريدة الغرائب الدال على بدائع الأقطار والبحار وخصائص البلدان والأحجار**، إلتزم بطبعه أحمد الحلبني الباني، مطبعة الهمام، مصر، القاهرة، 1302هـ، ص:93، **منافع النبات والثمار**، ص:32.

[2]_ابن العوام: **المصدر السابق**، 61/2، مجهول (ق8هـ): **مفتاح الراحة**، ص:191.

[3]_ابن الوردي: **منافع النبات**، الصفحة نفسها.

[4]_الغساني الشهير بالوزير: **المصدر السابق**، ص: 103.

[5]_ابن حجاج: **المصدر السابق**، ص:53، ابن بصال: **المصدر السابق**، ص:61، ابن العوام: **المصدر السابق**، 61_62، أبو الخير: **الفلاحة**، ص:114، ابن الوردي: **منافع النبات**، ص:33.

[6]_أبو الخير: **الفلاحة**، ص:114.

[7]_قسطا البعلبكي: **الفلاحة الرومية**، ص:311، ابن بصال: **المصدر السابق**، ص ص:60_61، ابن العوام: **المصدر السابق**، 67/2_76، 97، أبو الخير: **المصدر السابق**، ص:114.

[8]_الوزان: **المصدر السابق**، 78/1، مارمول: **المصدر السابق**، 30/1.

[9]_قسطا البعلبكي: **المصدر السابق**، ص:317.

[10]_ **المصدر السابق**، ص:87، أنظر أيضا: القلقشندي: **المصدر السابق**، ص:112.

[11]_**المصدر السابق**، ص:71_72، أنظر أيضا: مجهول(ق6هـ): **الإستبصار**، ص:187، الحميري: **المصدر السابق**، ص، ص: 113، 401، 114.

[12]_ النميري: **المصدر السابق**، ص:465.

[13]_مارمول: **المصدر السابق**، 356/2.

[14]_**نفسه**، ص:374.

[15]_الوزان: **المصدر السابق**، 16/2، مارمول: **المصدر السابق**، ص:296.

[16]_الوزان: **المصدر السابق**، ص:103، مارمول: **المصدر السابق**، 15/3_16.

[17]_يحي بن خلدون: **المصدر السابق**، ص:90، مارمول: **المصدر السابق**، 299/2.

[18]_الميلي: **المرجع السابق**، 483/2.

وما يدل على أهمية أشجار الزيتون هي دخولها في مختلف المعاملات اليومية لسكان الريف كطريقة عصره[1] وبيعه والتصدق به[2] وحتى الغصب والمعاملات مع الأعراب[3].

2_العنب (الكروم): العنب أنواع منها: الأسود والمدحرج والطويل ومنها البنّي والأحمر والأصفر ومنها البكر والمؤخر[4]، وأوفق الأرض للكروم زرعا وغرسا هي الأرض الدسمة المائلة إلى السواد[5]، وأحسن الأوقات لغراسة الكرم الخريف[6]، أي وقت قطاف العنب في أكتوبر ولا سيما في الأرض الرملة والتي فيها ملوحة، وقيل يغرس في المواضع السهلة في مارس وأفريل[7]، وقيل أجود الأوقات لغرس الكرم في البعول والسقي من أول شهر نوفمبر إلى آخر شهر يناير[8].

وتكون الفرجة بين الغرسة والغرسة مقدار 15 ذراعا[9]، وتستند إلى أشجار لاثمار لها، أو على أشجار لها ثمار لكنها قليلة الجذور كالرمان والسفرجل والتفاح والزيتون إذا كان التفريج متباعدا، وبعضهم يغرس شجرة التين مع الكرمة لما بينها من التجانس[10].

ولتحسين الكروم تنقل من موضع غراستها إلى موضع آخر ثم تنقل إلى الموضع الذي تطعم فيه، ويكون النقل في السنة الثالثة وقيل في الثانية أصلح ويجب وضع قضبان الكروم في فصل الخريف[11]، وخير الكرم الدوالي لأنها أقل عملا وآخره مؤونة، وأكثر حملا وأجود عصيرا[12]، ويبدأ العنب ينضج في الأسبوع الثالث من يونيو[13].

والتعريش مهم ومفيد للكرم لأن الرياح الهابّة تحيط به من جميع جوانبه فتروحه من حرّ الشمس وكذلك موافقة لعنبها[14]، والعرايش عنبها أطيب وأحمل من عنب الجفان وهي أكثر حملا منها، وتغرس الكروم المعرشة في المواضع السهلة المستوية التي فيها نداوة ورطوبة والمواضع القريبة من البحر موافقة جدا للكروم[15].

---

[1] _فتوى ابن عرفة: **الونشريس**: المصدر السابق، 18/1.

[2] _فتوى اللخمي، البرزلي: **المصدر السابق**، 575/1.

[3] _فتوى السيوري، **نفس المصدر** والصفحة.

[4] _أبو الخير: **عمدة الطبيب**، 435/2، ابن العوام: **المصدر السابق**، 357/2.

[5] _ابن وحشية: **الفلاحة النبطية**، ج2، ق1، ص:933، ابن العوام: **المصدر السابق**، 370/2_371، 381.

[6] _أبو الخير: **الفلاحة**، ص ص:114_115، مجهول (ق8هـ): **مفتاح الراحة**، ص:208.

[7] _ابن العوام: **المصدر السابق**، ص: 394.

[8] _ أبو الخير: **الفلاحة**، ص ص:114_115.

[9] _ابن حجاج: **المصدر السابق**، ص:23، النابلسي: **المصدر السابق**، ص:32.

[10] _النابلسي: **نفس المصدر** والصفحة.

[11] _ابن العوام: **المصدر السابق**، ص ص:389_394.

[12] _ابن الوردي: **منافع النبات**، ص:63.

[13] _الوزان: **المصدر السابق**، 77/1، مارمول: **المصدر السابق**، 30/1.

[14] _ابن وحشية: **المصدر السابق**، ج2، ق1، ص:941.

[15] _ابن حجاج: المصدر السابق، ص:22، ابن العوام: **المصدر السابق**، 373/2، 428_429.

زخرت العديد من مناطق المغرب الأوسط بهذا النوع من الفاكهة، فقرية بني وازلفن (بني واريفن)، "**قرية كبيرة لها كروم كثيرة...معظمها على نهر الشلف**"[1]، كما انتشرت أيضا بأرياف شرشال والخضراء[2]، والخضراء[2]، وجبل أمسيوان (أمسيول) ببجاية[3]، وقلعة تاسقدالت[4] وطولقة[5].

ويشير صاحب كتاب الاستبصار[6] إلى كثرة العنب في كل من القل وجيجل، كما انتشرت أشجار العنب في كل من جبال القلعة[7]، الغدير[8]، جبال الرحمن وجبل العنصل، حيث وُصِفت هذه المناطق جميعا بأنها "كثيرة العنب"[9]، ويتضح أنها تنتشر كثيرا بالمناطق الشرقية للبلاد التي توفرت على أنواع عديدة منها[10].

واشتهرت الواحات الصحراوية خاصة توات بإنتاج الأعناب وسائر الفواكه[11]، وهناك نوع نوع مميز وخاص للكروم بشمال إفريقيا وهو الـ "وارجالوز"، الإسم البربري للكرمة البيضاء المعروفة بالفاشر بإفريقية وأعمالها[12]، لكن الملفت للإنتباه هو تغييب ذكره أو وصفه من قبل المصادر الجغرافية التي أرّخت للمناطق الشرقية لبلاد المغرب الأوسط.

إنّ اشارة روبير برشفيك[13] إلى تقلص مجالات زراعة الكروم على غرار الحبوب والنخيل جرّاء الغزو الهلالي هي حقيقة مؤكدة وإن كانت نسبية نوعا ما، فمصادر القرن10هـ/16م لم تشر إلى معظم المناطق التي أشار إليها جغرافيو القرن 5_7هـ، فباستثناء شرشال التي حافظت على إنتاج هذا المحصول في عرصات داخل أسوار المدينة[14]، وشرق مستغانم على ضفاف نهر شلف كانت تقام حدائق الكروم[15]، بات إنتاج العنب وزراعة الكروم يتم في نطاق منزلي"[16].

---

[1] _ابن حوقل: **المصدر السابق**، ص:86، الادريسي: **المصدر السابق**، ص:154.

[2] _الادريسي: **المصدر نفسه**، 154، 159، الحميري: **المصدر السابق**، ص:340، 233.

[3] _النميري: **المصدر السابق**، ص ص: 267_268.

[4] _ الحميري: **المصدر السابق**، ص: 470.

[5] _البكري: **المصدر السابق**، ص:72، الحميري: **المصدر السابق**، ص:401.

[6] _مجهول(ق6هـ): ص:129،127، أنظر أيضا: الحميري: **المصدر السابق**، ص:184.

[7] _الحموي: **المصدر السابق**، 443/4.

[8] _ البكري: **المصدر السابق**، ص: 60، الحميري: **المصدر السابق**، ص: 427.

[9] _ الحميري: **المصدر نفسه**، ص: 223، 184، 427، 569 على التوالي.

[10] _ العمري: **المصدر السابق**، ص:87، القلقشندي: **المصدر السابق**، ص:112.

[11] _ابن خلدون: **المصدر السابق**، 76/7.

[12] _ابن البيطار: **المصدر السابق**، 495/4.

[13] _ **المرجع السابق**، 2/ 227.

[14] _ مارمول: **المصدر السابق**، 356/2.

[15] _**نفسه**، ص:350.

[16] _الوزان: **المصدر السابق**، 2/ 15_16، 20، 53، مارمول: **المصدر السابق، ص: 299، 383_384**.

ونتيجة لاستخلاص الخمور من هذه الفاكهة فقد شغلت قضية إنتاج وتسويق وتحويل هذه الفاكهة، شطرا هاما من الفتاوى المعروضة على الفقهاء[1].

3_التين: شجرة التين هي شجرة مباركة، وفي القرآن الكريم سورة باسمها وهي سورة التين، وهي من جنس الشجر العظام، والتين أنواع منها: الأبيض والأسود والأحمر[2]، والأخضر وجميز وكل واحد منها يتنوع إلى أنواع[3]، ويُتخذ زرعا وغرسا وغرسه فإنه يحوّل قضبانا وأصولا، فالأصول تكون أجود والقضبان تتلوه[4]، تتلوه[4]، ويجود التين في المواضع الرقيقة من الأرض غير النذية ولا الظاهرة فإن كثير الندى والماء يضر بشجر التين[5]، ويغرس التين في البعل وعلى السقي أيضا وذلك في جانفي[6]، كما تغرس في فصل الخريف الخريف والربيع على السواء[7]، ويرى البعض بأنّ العام كله وقت لغراسة التين والعنب[8].

ينفع هذه الشجرة قطع الأغصان الغلاظ، والواجب أن يقرض بالمنشار ولا ينشر إلاّمن أسفل لأن ذلك يقوي الشجرة، ويزيد في ثمارها[9]، والتين لا يتأثر بالبرودة ولا بالجفاف وهي تتلاءم مع الأراضي التي ترتفع عن مستوى سطح البحر ب 1200م مثل منطقة القبائل[10]، ويبدأ قطاف التين الناضج في الصيف بعد مرور الثلاث الأسابيع الأولى من شهر ماي، كما ينضج تين الخريف في شهر أوت ولا يكثر إلاّ في سبتمبر[11].

ويكثر التين بأرياف: مرسى الدجاج[12]، وجزائر بني مزغناي[13]، وحصن تاونت[14]، ومن جهته الادريسي[15] بذكر بأنه: ببجاية "**التين وسائر الفواكه بها كثير**"، وينتشر في كل من شرشال، قرية سوق ابراهيم[16]، وجبال القلعة[17]، واشتهرت بساتين وحدائق نقاوس بإنتاج التين[18].

---

[1]_فتوى عبد الرحمن الواغليسي (ق8هـ)، الونشريسي، **المصدر السابق**، 5/87_88، 90.

[2]_أبو الخير: **عمدة الطبيب**، 1/120_121، الغساني الشهير بالوزير: **المصدر السابق**، ص:296.

[3]_ابن وحشية: **المصدر السابق**، ج2، ق2، ص:1201.

[4]_**نفسه**، ص:1203، ابن بصال: **المصدر السابق**، ص ص: 64_67.

[5]_ ابن وحشية: **المصدر السابق**، ج2، ق2، ص:1203، ابن بصال: **المصدر السابق**، ص:66، أبو الخير: **الفلاحة**، ص:112.

[6]_قسطا البعلبكي: **المصدر السابق**، ص:275، ابن حجاج: **المصدر السابق**، ص: 36، ابن العوام: **المصدر السابق**، 2/234.

[7]_قسطا البعلبكي: **المصدر السابق**، الصفحة نفسها، ابن العوام: **المصدر السابق**، 2/227.

[8]_ أبو الخير: **كتاب الفلاحة**، ص: 112.

[9]_**نفسه**، ص:106.

[10]_Gsell: op.cit, p.168.

[11]_الوزان: **المصدر السابق**، 1/78، مارمول: **المصدر السابق**، 1/30.

[12]_ابن حوقل: **المصدر السابق**، ص:77، الادريسي: **المصدر السابق**، ص:160، الحميري: **المصدر السابق**، ص:539.

[13]_ابن حوقل: **المصدر السابق**، ص:78.

[14]_البكري: **المصدر السابق**، ص: 80.

[15]_**المصدر السابق**، ص:161، أنظر أيضا: الحميري: **المصدر السابق**، ص: 80_81.

[16]_الإدريسي: **المصدر السابق**، ص:153، 154 على التوالي.

[17]_الحموي: **المصدر السابق**، 4/443.

[18]_ النميري: **المصدر السابق**، ص: 470.

وفاكهة التين قد استمر تواجدها طيلة Π½ من العصر الوسيط، بدليل اتساع مناطق انتشارها، حيث ظهرت مواقع جديدة لزراعة هذه الفاكهة لم تذكر من قبل مصادر ق5و6هـ و7هـ، سواء على ضفاف الأنهار مثل: تين نقاوس الذي ينبت على طول النهر القريب منها ويعد أجود أنواع التين[1]، وعلى نهر شلف بشرق مستغانم حدائق بها أشجار التين[2]، ولتوفر عدة أنهار التي تنبع بجبل بني جبير قامت على جنباتها أشجار التين[3]، وبالأراضي المحيطة بقصر جيجل "**أجنة من أشجار التين**"[4].

وعموما يتواجد التين بكميات معتبرة في المناطق الساحلية مثل الجبال المحيطة ببجاية "جبال زواوة"[5]، وسهولها[6] التي حافظت على إنتاج هذا المحصول طيلة فترة الدراسة، وأيضا بسهل قسنطينة[7]، وبرشك "**بها أجود ثمار التين**"[8] والممتلكات حول هنين[9]، وجبل بني ورنيد[10]، وبتلمسان "**من التين ماتلد به الأعين**"[11]، وبخارج المدينة نوع مميز من التين الشديد الحلاوة وهو أسود غليظ وطويل جدا[12]، وهذا النوع هو الأطيب والأحسن ومنه جنس "الغدّاني"، يلد مرتين في السنة وهو كثير بتلمسان ومشهور بها[13].

ويطلق سكان المناطق الجنوبية على التين إسم الباكور[14]، ويظهر أن اتساع زراعة التين يعود للخصائص التي تمتاز بها هذه الفاكهة من شدة الحلاوة وقابليتها للتجفيف، وكان بعض سكان الأرياف يلجؤون إلى إنضاجه قبل أوانه بذهنه بالزيت لتسريع قطفه[15].

4_السفرجل: للسفرجل أنواع كثيرة: الحلو والحامض والطويل والمدحرج والمنهّد[16]، وهي شجرة كثيرة البقاء طويلة العمر ولخشبها رزانة، وقد يزرع زرعا ويغرس قضبانا وأصولا بالتحويل من منبته[17]، والسفرجل

---

[1] _الوزان: **المصدر السابق**، 53/2، مارمول: **المصدر السابق**، 383/2.

[2] _مارمول: **المصدر نفسه**، ص:350.

[3] _**نفسه**، ص:384.

[4] _**نفسه**، ص:381.

[5] _الوزان: **المصدر السابق**، ص:102.

[6] _مارمول: **المصدر السابق**، ص:376.

[7] _الوزان: **المصدر السابق**، ص:103.

[8] _**نفسه**، ص:33، مارمول: **المصدر السابق**، ص:355.

[9] _**نفسه**، ص:16.

[10] _**نفسه**، ص ص: 44_45، مارمول: **المصدر السابق**، ص:353.

[11] _يحي بن خلدون: **المصدر السابق**، ص:86.

[12] _الوزان: **المصدر السابق**، ص:20.

[13] _الغساني الشهير بالوزير: **المصدر السابق**، ص:296.

[14] _الدرجيني: **المصدر السابق**، 384/2.

[15] _جودت عبد الكريم: **المرجع السابق**، ص:46.

[16] _ ابن العوام: **المصدر السابق**، 295/2، مجهول (ق8هـ): **مفتاح الراحة**، ص:231، ابن الوردي: **المصدر السابق**، ص:95، **منافع النبات**، ص:54، الغساني الشهير بالوزير: **المصدر السابق**، ص:279.

[17] _ابن وحشية: **المصدر السابق**، ج2، ق2، ص ص: 1214_1216، ابن بصال: **المصدر السابق**، ص:63، مجهول (ق8هـ): **المصدر السابق**، ص:232، النابلسي: **المصدر السابق**، 29.

يركب في جنسه وفي جميع أشجار الفاكهة[1]، وتوافقه كل أرض مستوية والأرض الحلوة والرخوة والرطبة الحمرا والمدمنة والمواضع الرطبة والأرض الباردة، ووقت غراسته من ديسمبر إلى آخر جانفي ويزرع حبه في أكتوبر، وهذه الشجرة لا تحتمل ولا تقبل التزبيل[2].

يبدأ قطاف هذه الفاكهة في شهر أكتوبر[3]، وأشارت المصادر إلى وجوده بعديد المناطق الريفية للمغرب الأوسط[4]، فكان بتنس "**من السفرجل الطيب المعنّق، مايفوق الوصف في صفته وكبره وحسنه**"[5]، **وحسنه**"[5]، ولأهل المسيلة من السفرجل المعنّق ما يحمل إلى القيروان وأصله من تنس[6]، بالإضافة إلى أرياف كل من: الخضراء[7]، شرشال[8]، ميلة، جبل بني زلدوي (جبل العنصل)[9]، وتيهرت التي كان بها "**من** "**من جميع الثمار وسفرجلها الذي يفوق سفرجل الآفاق حسنا وطعما ومشمّا، وسفرجلها يسمى بالفارس**"[10].

ونلاحظ غياب ذكر هذه الفاكهة في مصادر القرن 10هـ/16م، فهل يعزى الأمر لتراجع غراسة هذا النوع من الأشجار؟ أم أنّ الأمر يتعلق باتساع وانتشار أنواع عديدة من الفاكهة التي فاقت السفرجل شهرة؟

5_الجوز: الجوز من الشجر الجبلية التي تنبت دائما لنفسها بلا زارع ولا إفلاح وهي تعظم وتكبر كثيرا، ووقت زرعها من أول مارس إلى أول أفريل[11] وفي الخريف أيضا، وقد يغرس من أغصان وينتزع من الشجر من قضبان، ويغرس نقله قبل الربيع قبل أن يفتح، ويغرس أيضا في الربيع، وتوافقه الأرض الحمراء والحرشاء والحجرية والرملية، وأفضل أماكنه الأرض الباردة[12]، وشجرته لاتحتاج إلى تزبيل البتة[13].

---

[1]_النابلسي: **المصدر السابق**، ص:30.

[2]_ ابن بصال: **المصدر السابق**، الصفحة نفسها، ابن العوام: **المصدر السابق**، 298/2.

[3]_الوزان: **المصدر السابق**، 78/1، مارمول: **المصدر السابق**، 30/1.

[4]_ العمري: **المصدر السابق**، ص:87، القلقشندي: **المصدر السابق**، ص:112.

[5]_ ابن حوقل: **المصدر السابق**، ص:78، الادريسي: **المصدر السابق**، ص:153، الحميري: **المصدر السابق**، ص:138.

[6]_ ابن حوقل: **المصدر السابق**، ص:85.

[7]_ **نفسه**، ص:87، الإدريسي: **المصدر السابق**، ص:154، الحميري: **المصدر السابق**، ص:223.

[8]_ الادريسي: **المصدر السابق**، ص:159، الحميري: **المصدر السابق**، ص:340.

[9]_الحميري: **المصدر السابق**، ص:569.

[10]_ البكري: **المصدر السابق**، ص:68، القزويني: **المصدر السابق**، ص:169، الحموي: **المصدر السابق**، 9/2، القلقشندي: **المصدر السابق**، ص:111.

[11]_ابن وحشية: **المصدر السابق**، ج2، ق2، ص:1173، مجهول (ق8هـ): **مفتاح الراحة**، ص:163، النابلسي: **المصدر السابق**، ص:25.

[12]_قسطا البعلبكي: **المصدر السابق**، ص:289، ابن بصال: **المصدر السابق**، ص:72، ابن العوام: **المصدر السابق**، 216/2_217، النابلسي: **المصدر السابق**، ص:25.

[13]_ابن وحشية: **المصدر السابق**، ج2،ق2، ص:1174، ابن العوام: **المصدر السابق**، 218/2.

انتشر الجوز في الكثير من نواحي المغرب الأوسط مثل: تبسة التي "**كان بها أشجار الجوز والمثل يضرب بجلالته وطيبه وكبره**"[1]، ولاتساع مساحة هذه الأشجار باتت تشكل غابة لهذه الفاكهة بالرغم من أن تربتها غير خصبة[2]، وكذلك نقاوس التي كانت كثيرة البساتين وأكثر فواكهها الجوز[3]، الذي ينبت على على ضفاف النهر المار بها[4]، ولكثرته كان يحمل منها إلى القلعة وبجاية وإلى أكثر تلك البلاد[5].

وأشجار الجوز كانت قليلة الانتشار ببجاية خلال القرن 6هـ/12م، بشهادة صاحب كتاب الإستبصار[6] وإلاّ لما لجأ السكان إلى استيراده من مختلف النواحي ليتسع نطاق انتشاره بمختلف المناطق المحيطة ببجاية من سهولها[7] وجبالها سواء القريبة من الشاطئ (جبال زواوة)[8] أو جبل بني جبير[9]، التي التي باتت تنتج كميات وفيرة منه خلال القرن 10هـ/16م أين بات يشكل عنصر أساسي في غذاء السكان بعد تجفيفه وتناوله إلى جانب دقيق الشعير واللحم واللبن[10].

ومن المناطق التي اشتهرت بكثرة الجوز إلى حد تصديره إلى الآفاق أيضا نجد سطيف[11]، ويكثر أيضا في كل من: قصر جيجل[12]، وهران[13]، ومليانة الواقعة "**بجبل زكار الغربي المليء بالعيون والمكسو بأشجار الجوز حتى أنه هناك لا يشترى ولا يقطف**"[14]، واشتهرت تلمسان بانتاج هذا النوع من المكسرات وبكميات وفيرة بشهادة جغرافي الفترة[15].

ومن المكسرات التي اشتهرت بها أريافنا أيضا نجد اللوز في نقاوس[16] وتلمسان[17]، والملاحظ أن هذا النوع من الأشجار لا يتأثر بالصقيع في الربيع[18]، لذلك فهو يصلح في مختلف مناطق المغرب

---

[1] _البكري: **المصدر السابق**، ص:76، 145، مجهول(ق6هـ): **الإستبصار**، ص:163، الحميري: **المصدر السابق**، ص:130.

[2] _الوزان: **المصدر السابق**، 63/2، مارمول: **المصدر السابق**، 15/3.

[3] _الإدريسي: **المصدر السابق**، ص:165، مجهول(ق6هـ): **المصدر السابق**، ص:176، الحميري: **المصدر السابق**: ص:579، النميري: **المصدر السابق**، ص:470.

[4] _الوزان: **المصدر السابق**، 53/2.

[5] _ الادريسي: **المصدر السابق**، ص:165، مجهول(ق6هـ): **المصدر السابق**، ص:177، الحميري: **المصدر السابق**، ص:579.

[6] _**المصدر السابق**، ص:177.

[7] _مارمول: **المصدر السابق**، 376/2.

[8] _الوزان: **المصدر السابق**، 102/2.

[9] _مارمول: **المصدر السابق**، ص:384.

[10] _**نفسه**، ص:376.

[11] _الإدريسي: **المصدر السابق**، ص:170، الحميري: **المصدر السابق**، ص:318، ابن سباهي: **المصدر السابق**، ص:386.

[12] _مارمول: **المصدر السابق**، ص:381.

[13] _القلقشندي: **المصدر السابق**، ص:151.

[14] _الوزان: **المصدر السابق**، ص:35، مارمول: **المصدر السابق**، ص:351.

[15] _البكري: **المصدر السابق**، ص:145، مجهول(ق6هـ): **المصدر السابق**، ص:177، الحميري: **المصدر السابق**، ص:135، الوزان: **المصدر السابق**، ص:20، مارمول: **المصدر السابق**، ص:299، العمري: **المصدر السابق**، ص:125، القلقشندي: **المصدر السابق**، ص:150.

[16] _ابن حوقل: **المصدر السابق**، ص:77، 91.

[17] _الوزان: **المصدر السابق**، 20/2.

[18] _Gsell: op.cit, p.168.

الأوسط بالإضافة إلى الفستق، وهو إلى جانب اللوز والتين المجفف كانوا من أجود ما تنتجه بلاد المغرب الأوسط خلال الفترة الحمادية[1]، وكذلك البندق (الجلوز)[2].

6_الخرّوب: من جنس الشجر العظام ومن الشجر الذي لا يتعرى من ورقه صيفا ولا شتاءا، وهي شجرة سيدنا سليمان عليه السلام، ويستعمل الخرّوب غضا ويابسا[3]، والخرّوب نوعان: ذكره لا يثمر والآخر يثمر يثمر وينجب في الأرض الكريمة والسمينة، ويغرس نقله في حفر عمقها نحو أربعة أشبار، ويجعل بين نقله منه وأخرى نحو 20 ذراعا[4].

وأستغرب لغياب ذكر أشجار هذه الفاكهة في أغلب المصادر الجغرافية التي أرخّت لهذه البلاد من القرن5 _9هـ/11_15م، والملاحظ أن هذا المحصول ذكر من قبل مصادر القرن 10هـ/16م، فهل يعود السبب لقلة انتشاره أمام باقي الفواكه والأشجار المثمرة الأخرى؟ أم أنه كان يسود في مناطق لم يصل إليها جغرافيو الفترة لذلك لم يتعرضوا للحديث عنه؟

وعموما فأشجار الخرّوب تكثر أساسا بالجهات الغربية لبلاد المغرب الأوسط بصفة عامة والمناطق الجبلية على الخصوص مثل الجبال المجاورة لندرومة التي تمتاز ثمارها "**بالحلاوة**"[5] وجبل مطغرة وجبل ولهاصة[6]، وبات يشكل جزءا مهما من النشاط البستني من قبل السكان فحول "**ندرومة أراض مغروسة بأشجار الخرّوب**"[7] و"**لأهل تبحريت عدة ممتلكات مغروسة بأشجار الخرّوب**"[8] أيضا.

ومما يؤكد على اتساع نطاق غراسة أشجار الخروب أن ثماره باتت تشغل قسما مهما من غذاء السكان إذ شكّل الخروب الجزء الأكبر من غذاء سكان جبل بنو زناتة إلى جانب لحوم الأغنام لأن القمح لا يطيب عندهم[9]، وكان سكان المدن وباقي المناطق المحيطة بندرومة "**يأكلون من ثمار الخروب المنتجة هناك بكثرة**"[10].

7_الحوامض (المُحمضات): تطلق الحوامض على البرتقاليات وأثمارها كالبرتقال والأترج والنارنج وأصناف الليمون الحامض[11]، والحديث عن الحمضيات بأرياف المغرب الأوسط؛ يرادف الحديث عن

---

[1] _إسماعيل العربي: **الدولة الحمادية**، ص:347.

[2] _ ابن البيطار: **المصدر السابق**، 228/1.

[3] _الغساني الشهير بالوزير: **المصدر السابق**، ص:312.

[4] _ابن العوام: **المصدر السابق**، 109/2_110، النابلسي: **المصدر السابق**، ص:23.

[5] _مارمول: **المصدر السابق**، ص:295.

[6] _الوزان: **المصدر السابق**، ص ص:43_44، مارمول: **المصدر السابق**، ص:351.

[7] _الوزان: **المصدر السابق**، ص:14.

[8] _**نفسه**، ص ص:14_15.

[9] _مارمول: **المصدر السابق**، ص:351.

[10] _الوزان: **المصدر السابق**، ص:14.

[11] _مصطفى الشيهابي: **أخطاء شائعة في ألفاظ العلوم الزراعية** ص:380.

البرتقال والحامض (الليمون) التي دائما ما يورد ذكرهما معا من قبل المصادر الجغرافية على الخصوص، وهي قليلة الإنتشار مقارنة بأشجار الزيتون، التين والتمور.

من المناطق التي زخرت بانتاج الليمون والبرتقال نجد: بلد القل[1]، وسائر المناطق الشرقية لبلاد المغرب الأوسط[2]، وكانت غراستها تتم ضمن مساحات واسعة، فبالأرياف المحيطة بمليانة بساتين شاسعة بها أحسن ما في البربر من أشجار الليمون، وينمو بها أيضا أشجار البرتقال التي تعطي ثمارا جيدة[3].

واشتهرت المناطق الجبلية أيضا بانتاج الحمضيات، فمحلة أستان بجبل أغبال قرب وهران بها أشجار الليمون الحلو والحامض والبرتقال[4]، وحتى ضمن الإستغلال المنزلي تكثر أشجار البرتقال والليمون والليمون في الدور الموجودة بنقاوس التي كانت تزين حدائق البيوت إلى جانب الكروم والأزهار[5]، وكانت بلاد ريغ "**بلاد محمضات بسبب المياه الوفيرة**"[6].

8_التمر: شجرة النخيل أول شجرة تستقر على وجه الأرض، ومن عجيب أمرها أنه إذا أُخِذت نوى تمرة من نخلة واحدة وزرعت منها ألف نخلة جاءت كل نخلة منها لا تشتبه الأخرى[7]، وتوافق هذه الشجرة الأرض الملحة، وتغرس نواتها مرات عدة حيث يؤخذ من أطيبها ثم يحفر له حفرا عمقها قدر ذراع وتملأ بتراب مخلوط بملح وزبل آدمي، ويخلط معها روث من أرواث الدواب[8]، وهذا النبات لا يقبل التطعيم ولا التركيب كما يقبل غيره من النبات[9].

وتعتبر زراعة النخيل أهم زراعة بعد الحبوب والزياتين، وتشكل أشجار النخيل الثروة البستنية الأولى بمختلف الواحات الصحراوية لبلاد المغرب الأوسط دون منازع[10]، وتنتشر على الخصوص ببلاد الزاب، حيث التمر المختلف الأنواع[11] خاصة ببسائط حصن فرفر، وأرياف طولقة[12]،...إلخ.

ومن أكثر المناطق الريفية ثراءً بهذه الفاكهة هي تلك الواقعة في المناطق المتاخمة للأطلس الصحراوي والمناطق الجنوبية الصحراوية، فيذكر الإدريسي[1] بأن:<<**باغاي أول بلاد التمر**>>، وكانت

---

[1] _مارمول: **المصدر السابق**، ص:362.

[2] _العمري: **المصدر السابق**، ص:87، القلقشندي: **المصدر السابق**، ص:112.

[3] _مارمول: **المصدر السابق**، ص:360.

[4] _الوزان: **المصدر السابق**، ص:44، مارمول: **المصدر السابق**، ص ص:352_353.

[5] _مارمول: **المصدر نفسه**، ص:384.

[6] _ ابن سعيد: **كتاب الجغرافيا**، ص:126، **بسط الأرض**، ص:60.

[7] _ ابن وحشية: **كتاب النخل**، ص:67، مجهول (ق8هـ): **مفتاح الراحة**، ص، ص: 179، 181، ابن الوردي: **خريدة العجائب**، ص:91، **منافع النبات**، ص،ص: 21، 23.

[8] _ابن بصال: **المصدر السابق**، ص ص:59_60، ابن العوام: **المصدر السابق**، 2/343_344، مجهول (ق8هـ): **المصدر السابق**، ص ص:180_181، النابلسي: **المصدر السابق**، ص:31.

[9] _مجهول (ق8هـ): **مفتاح الراحة**، ص:185.

[10] _ابن خلدون: **المصدر السابق**، 6/131_132.

[11] _ النميري: **المصدر السابق**، ص: 452.

[12] _نفسه، ص، ص:448، 439.

كلاّ من بنطيوس، طولقة، تهودة "**كثيرة الثمار والنخل**"[2]، واستمرت هذه المناطق خاصة طولقة في إنتاج التمور حتى نهاية العصر الوسيط[3]، وكان لطبنة "**أرباض واسعة...ولها بساتين كثيرة فيها النخل والثمار**"[4].

وتعد بسكرة من أشهر المناطق المنتجة للتمور ذات الجودة العالية، لذلك تعرف "**ببلاد النخيل**"[5]، وبها أنواع مختلفة من التمور، "**منها جنس يعرفونه بالكسبا وهو الصيحاني، يضرب به المثل لفضله على غيره وجنس يعرف بالليلاري، أبيض أملس وهناك أجناس كثيرة يطول ذكرها لا يعدل بها غيرها**"[6]، والملاحظ أن الجنس المعروف بالليلاري، يطلق عليه ببلاد المشرق حيث مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم لفظ "السماني"[7].

ومن أجود أنواع التمور وأطيبها نوع يسمى إيرار، وعرفت الصحراء أيضا نوعا يعرف بالفرتي وهو شبيه بالإجاص شديد الحلاوة[8]، ورغم أنّ بسكرة قد باتت مجرد حصن في عهد الإدريسي، إلاّ أنّها استمرت في إنتاج هذه الفاكهة، وبها من "**التمر كل غريبة وظريفة**"[9]، وظلت تنتج التمور إلى نهاية العصر الوسيط[10].

وبلد وارجلان (واركلان، وركلة)[11] حولها نخل كثير ويوجد في ضواحيها عدة قصور وعدد لا يحصى من القرى[12]، ومن الأدلة الواضحة على الرخاء وازدهار واركلان بإنتاج هذه الفاكهة أنّ بقربها موضع يعرف "**بالبكرات لجأ إليه أبو نوح سعيد بن زنغيل الذي فر من أبي تميم، فأكرمه أهل وارجلان وملأوا له بيتا إلى السقف تمرا**"[13].

وعموما تتركز معظم واحات النخيل "**بلاد النخيل**"، في الصحراء الشمالية الشرقية وبالضبط بواركلان وبلاد ريغ وبسكرة[14] التي أسهبت في الحديث عنها آنفا، بالإضافة إلى منطقة توات[1].

---

[1] _**المصدر السابق**، ص:177.

[2] _البكري: **المصدر السابق**، ص:72، الحميري: **المصدر السابق**، ص:142، 400_401.

[3] _الوزان: **المصدر السابق**، 139/2_140.

[4] _ الحميري: **المصدر السابق**، ص:387.

[5] _ الإدريسي: **المصدر السابق**، ص: 164، الحموي: **المصدر السابق**، 422/1.

[6] _ البكري: **المصدر السابق**، ص:52، مجهول(ق6هـ): **الإستبصار**، ص:179، الحميري: **المصدر السابق**، ص ص: 113_114، ابن سباهي: **المصدر السابق**، ص:272، الوزان: **المصدر السابق**، ص:138.

[7] _ جودت عبد الكريم: **المرجع السابق**، ص: 47.

[8] _سعدون: **المرجع السابق**، ص:14.

[9] _ **المصدر السابق**، ص:165.

[10] _ الوزان: **المصدر السابق**، ص:139، مارمول: **المصدر السابق**، 168/3.

[11] _الحميري: **المصدر السابق**، ص:600، ابن سعيد: **الجغرافيا**، ص:126، الدرجيني: **المصدر السابق**، 507/2_508.

[12] _الوزان: **المصدر السابق**، ص ص:136_137، مارمول: **المصدر السابق**، ص:166.

[13] _الدرجيني: **المصدر السابق**، 145/1، الشماخي: **سير الشماخي**، 41/2.

[14] _ ابن سعيد: **كتاب الجغرافيا**، ص:126، **بسط الأرض**، ص:60.

وإذا كانت المناطق الشمالية تكسوها أغلب أشجار الزيتون والتين وسائر الفواكه، فأغلب القرى والبوادي والمدن الجنوبية تحيط بها أشجار النخيل مثل: مدينة يعلى بن باديس[2]، مسيلة، طبنة وبلاد الزاب[3] التي كانت في مدن كثيرة وأنظار واسعة وعمائر متصلة[4] بها عدد لا يحصى من حدائق النخيل، وإقليم الزاب به خمسة مدن وعدد كثير من القرى[5]، بالإضافة إلى أرض فجيج(فكيك)[6]، وهي عبارة عن ثلاثة قصور في وسط الصحراء يحيط بها عدد كبير من النخيل[7]، وتيكورارين التي بها "150 قصر وأكثر من 100 قرية بين حدائق النخيل"[8].

لقد كانت أشجار النخيل رمزا للثراء والنبل والغنى، فتقرت العامرة بالصناع والنبلاء الأغنياء الذين يملكون حدائق النخيل[9]، لذلك فزراعة النخيل كانت تمارس من قبل المُلاّك الكبار وصغار الفلاحين أيضا، وهناك من السكان من كان يهتم بزراعة النخيل بنية الصدقة الجارية مثلما فعل عيسى بن يرصوكسن عندما نزل بتلا عيسى حيث غرس الأشجار من النخيل وصار في النخيل ودايا كثيرة[10].

9_فواكه أخرى: زخرت الأرياف بأنواع أخرى من الفواكه ذُكرت عرضا وبدون تفصيل، ويعزى الأمر لقلة كمياتها مقارنة بالفواكه التي أشرت إليها آنفا، أو لأن السكان لم يولوها القدر الكافي من العناية والاهتمام ومن هذه الفواكه نجد:

أ_التفاح: من جنس الشجر العظام ومن أنواعه: الحلو والحامض والمُز[11]، وهو مما يتخذ غرسا وزرعا[12]، والتفاح يحب المواضع الباردة النذية والأرض السوداء وأفضل أمكنته القيعان الرطبة والمروج اللذنة، ويغرس من خلوفه وملخه وأوان غرس التفاح الربيع والخريف، ولا يحمل من الزبل شيئا[13]، وهو مما يقبل

---

[1]_ابن خلدون: **المصدر السابق**، 76/6.

[2] _البكري: **المصدر السابق**، ص:72، مجهول(ق6هـ): **المصدر السابق**، ص:180.

[3] _مجهول: **المصدر نفسه**، ص: 164،176_177، الحميري: **المصدر السابق**، ص:558، 387، 281 على التوالي.

[4] _مجهول: **المصدر نفسه**، ص:171.

[5] _الوزان: **المصدر السابق**، ص:138.

[6] _مجهول(ق6هـ): **المصدر السابق**، ص:180.

[7] _الوزان: **المصدر السابق**، ص:132، مارمول: **المصدر السابق**، ص:162.

[8] _**نفسه**، ص:163.

[9] _الوزان: **المصدر السابق**، ص:135، مارمول: **المصدر السابق**، ص:165.

[10] _الدرجيني: **المصدر السابق**، 277/2_278.

[11]_أبو الخير: **عمدة الطبيب**، 118/1، ابن العوام: **المصدر السابق**، 303/2، مجهول (ق8هـ): **مفتاح الراحة**، ص:224، ابن الوردي: **خريدة العجائب**، ص:98، **منافع النبات**، ص:48، الغساني الشهير بالوزير: **المصدر السابق**، ص:295.

[12]_ ابن وحشية: **المصدر السابق**، ج2، ق2، ص:1219، ابن بصال: **المصدر السابق**، ص ص:63_64، مجهول (ق8هـ): **مفتاح الراحة**، ص:225.

[13]_قسطا البعلبكي: **المصدر السابق**، ص:269، ابن بصال: **المصدر السابق**، ص:64، ابن العوام: **المصدر السابق**، 304/2_305، النابلسي: **المصدر السابق**، ص:30.

التركيب، إلاّ أنّ ذلك يكون مع الفواكه المشاكلة له أو من نوعه[1]، ومتى رُكب التفاح مع الرمان يحمر ويحلو[2].

ينضج التفاح في شهر جوان وجويلية، وأحيانا يقتطف في شهر أكتوبر[3]، وعن مناطق تواجد هذه الفاكهة، فيذكر صاحب كتاب الاستبصار[4] أنّ "**تفاح القل كان جليلا**" وكانت جيجل كثيرة التفاح[5]، واشتهرت العديد من المناطق الجبلية بإنتاج هذه الفاكهة مثل: جبل العنصل[6]، جبل الرحمان وجبل بني زلدوي[7]، وكانت ميلة كثيرة التفاح والإجاص وغيرها من الفواكه[8]، وحول هنين كميات وافرة من التفاح[9]، ويتركز إنتاجه بالمناطق الوسطى والشرقية لبلاد المغرب الأوسط[10]، كما زخرت بساتين وأجنة سكان الواحات الجنوبية بأشجار التفاح بمختلف أنواعه ومنها التفاح الأحمر[11].

وما يلاحظ على المعلومات التي أوردتها مصادر الفترة التي تتحدث عن تفاح المغرب الأوسط أنها كانت عادية، عكس ما تم إيراده بشأن تفاح مدينة شنترة بالأندلس، حيث يبلغ دور التفاحة الواحدة ثلاث أشبار وأكثر، وكان الحصول على هذا الحجم يعتمد على تقنيات خاصة يستخدمها أهل الأندلس[12].

ب_العِنّاب: العِنّاب من الثمار الغابية التي لا تحتاج أشجارها إلى رعاية كبيرة، وهو من جنس الشجر العظام، وأنواعه عديدة منها البري والبستاني[13]، والأحمر والأبيض وهذا الأخير ليس من نبات المغرب[14]، والعِنّاب من الأشجار المُعّمرة وتوافقه الأرض الجبلية والأرض الصلبة وهو من الأشجار التي لا تحتاج إلى تزبيل وإن زُبِلت نفعها ذلك[15]، وينضج العنّاب في شهر أوت[16].

---

[1]_قسطا البعلبكي: **المصدر السابق**، ص:271، ابن وحشية: **المصدر السابق**، ج2، ق2، ص:1220.

[2]_ابن الوردي: **خريدة العجائب**، ص ص:94_95.

[3] _الوزان: **المصدر السابق**، 78/1، مارمول: **المصدر السابق**، 30/1.

[4] _مجهول(ق6هـ): **الإستبصار**، ص:127.

[5] _**نفسه**، ص:128، الحميري: **المصدر السابق**، ص:184.

[6] _مجهول(ق6هـ): **المصدر السابق**، ص:166، الحميري: **المصدر السابق**، 569.

[7] _الحميري: **المصدر نفسه**، ص:184، 569.

[8] _الوزان: **المصدر السابق**، 60/2، مارمول: **المصدر السابق**، 13/3.

[9] _الوزان: **المصدر السابق**، ص:16.

[10] _العمري: **المصدر السابق**، ص:87، القلقشندي: **المصدر السابق**، ص:112.

[11] _الدرجيني: **المصدر السابق**، 393/2_394، الشماخي: **المصدر السابق**، 68/2.

[12] _المقري: **نفح الطيب**، 164/1، أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن إبراهيم السلفي: **أخبار وتراجم أندلسية**، مستخرجة من معجم السفر للسلفي، أعدها وحققها إحسان عباس، ط2، دار الثقافة، بيروت، لبنان، 1399هـ/1979م، ص:40.

[13] _مجهول (ق8هـ): **مفتاح الراحة**، ص:198، ابن الوردي: **خريدة العجائب**، ص:93، **منافع النبات**، ص:37، الغساني الشهير بالوزير: **المصدر السابق**، ص:206.

[14] _ الغساني الشهير بالوزير: **نفس المصدر** والصفحة.

[15] _ ابن العوام: **المصدر السابق**، 150/2_151.

[16] _الوزان: **المصدر السابق**، 78/1، مارمول: **المصدر السابق**، 30/1.

ومن أكثر المناطق التي اشتهرت بإنتاجه هي بونة وسميت ببلد العناب لكثرته بها[1] ومنها خشب سقوفهم ووقودهم منه وجميع ما يتصرفون فيه[2]، كما انتشر إنتاجه في معظم الجهات الشرقية للبلاد[3]، وكان السكان يقومون بتجفيف العِنّاب ليؤكل في الشتاء[4]، وهذه الاستعمالات الكثيرة لشجرة هذه الفاكهة وثمارها دليل واضح على كثرتها ووفرتها آنذاك.

ج_التوت(الفرصاد، التوت العربي[5]، توت الحرير[6]): من الشجر العظام فمنه البستاني والبري والأبيض والأسود، فالبستاني هو دود الحرير (أبيض وأسود)، والبري هو العلّيق والتوت الوحشي[7]، وهناك التوت الأصفر والأزرق والأغبر وتختلف طعومه[8]، وهو أعز الأشجار لأن دود القز لا يأكل إلاّ منه[9]، وأكثر ما ما يتخذ غرسا وتحويلا لا زرعا، ويوافقه الماء جدا موافقة كثيرة[10]، وتوافقه جميع الأزبال[11]، ويكون غرسه في أول الربيع وفي الخريف وتوافقه كل أرض إلاّ السوداء[12]، وهو مما يقبل التركيب لكن على ما يشبهه ويشاكله ويغرس أصولا بعروقها وقضبانا[13].

توافق هذه الشجرة التنقية لأن ذلك ينميها، وهذه التنقية تكون كل عام حين جمع الورق[14]، ويدل انتشار تربية دودة الحرير على وفرة أشجار التوت التي تعتبر المادة الأولية التي تتغذى عليها هذه الحشرة.

ومن أكثر المناطق التي اشتهرت بأشجار هذه الفاكهة هي الجهات الشرقية للمغرب الأوسط[15]، خاصة القل[16] بالإضافة إلى شرشال "**التي قام باستصلاحها المدجنين من أهل الأندلس بعد سقوط غرناطة، وأعادوا بناء عدد مهم من دورها وجدّدوا القلعة ووزعوا الأراضي بينهم واشتغلوا بصناعة**

---

[1] _الحميري: **المصدر السابق**، ص:115، القلقشندي: **المصدر السابق**، ص:106، الوزان: **المصدر السابق**، 61/2، مارمول: **المصدر السابق**، 8/3.

[2] _الحميري: **المصدر السابق**، ص:115.

[3] _العمري: **المصدر السابق**، ص:87، القلقشندي: **المصدر السابق**، ص:112.

[4] _الوزان: **المصدر السابق**، ص:62.

[5] _ابن البيطار: **المصدر السابق**، 222/3، الغساني التركماني: **المصدر السابق**، 40/1_41، مجهول (ق8هـ): **مفتاح الراحة**، ص:223، ابن الوردي: **منافع النبات**، ص:70.

[6] _ ابن العوام: **المصدر السابق**، 207/2.

[7] _ أبو الخير: **عمدة الطبيب**، 120/1، الغساني الشهير بالوزير: **المصدر السابق**، ص:297.

[8] _ ابن العوام: **المصدر السابق**، ص: 208، ابن الوردي: **منافع النبات**، ص:71.

[9] _ابن الوردي: **خريدة العجائب**، ص:98، **منافع النبات**، ص:70.

[10] _ابن وحشية: **المصدر السابق**، ج2، ق2، ص:1221، مجهول (ق8هـ): **مفتاح الراحة**، ص:223، النابلسي: **المصدر السابق**، ص:30.

[11] _ ابن وحشية: **المصدر السابق**، ج2، ق2، ص:1221، ابن العوام: **المصدر السابق**، 208/3، مجهول (ق8هـ): **مفتاح الراحة**، الصفحة نفسها.

[12] _ ابن العوام: **المصدر السابق**، 210/2_211.

[13] _ ابن وحشية: **المصدر السابق**، ج2، ق2، ص:1222، النابلسي: **المصدر السابق**، ص:31.

[14] _أبو الخير: **الفلاحة**، ص:106.

[15] _العمري: **المصدر السابق**، ص:87، القلقشندي: **المصدر السابق**، ص:112.

[16] _مارمول: **المصدر السابق**، 362/2.

الحرير إذ وجدوا هناك كمية لا تحصى من أشجار التوت الأبيض والأسود، وعاشوا في رخاء دائم حتى أصبحوا يسكنون في 200 ألف بيت ولم يخضعوا إلاّ لبربروس"[1]، وصار الحرير أهم مواردهم لأن البلد طيب لمثل هذا النشاط[2].

د_المشمش(التفاح الأرميني)[3]: من جنس الشجر العظام وهو من فاكهة الصيف وأولها نضجا، وأنواعه كثيرة[4] وهو مما يتخذه الناس زرعا وغرسا لكن في الغرس أجود وإن كان الزرع هو الأصل، وزرعه يكون من نواه وذلك في أول فيفري إلى آخر مارس[5]، وينقل منها بعد حول إلى الأحواض ويُربّى فيها وينقل منها منها بعد عامين إلى المواضع التي يطعم فيها، وتوافقه الأرض الرطبة[6].

ينضج المشمش ببلاد المغرب الأوسط في شهري يونيو ويوليوز[7] وهو أنواع عديدة[8] وعن مناطق مناطق تواجده فقد ذكر القلقشندي[9] وجود هذه الفاكهة بوهران وقال بأن مشمشها يقابل مشمش دمشق، والغريب في الأمر أنّه أشار أيضا إلى أن مشمش تلمسان يقارب في الحسن مشمش دمشق[10]، فهل المؤلف متذبذب في معلوماته؟، أم أنّ المناطق الغربية اشتهرت بهذه الفاكهة وبنفس الصفة؟، كما احتوت هنين على كميات وافرة منه[11].

هـ_البرقوق: الملفت للإنتباه أنني لمحت تداخلا في أسماء هذا النوع من الفاكهة، ذلك أن سكان بلاد المغرب والأندلس يطلقون على المشمش إسم **البرقوق**، وهذه التسمية تطلق ببلاد الشام على نوع من الإجاص الصغير[12]، المعروف بعيون البقر[13] التي يطلقها أهل المغرب والأندلس على الإجاص، وهو عنب كبير أسود غير حالك، مدحرج ليس بصادق الحلاوة[14].

والواضح أنّ كلاّ من البرقوق وعيون البقر والإجاص تحمل المدلول نفسه على اعتبار أن ابن الوردي ذكر بأن القراصب والإجاص أخوان كالمشمش والخوخ الزهري، إذ جعل أحد أنواع القراصب هو البرقوق

---

[1] _الوزان: **المصدر السابق**، 34/2.

[2] _مارمول: **المصدر السابق**، ص:356.

[3] _ابن العوام: **المصدر السابق**، 219/2.

[4] _الغساني الشهير بالوزير: **المصدر السابق**، ص:177.

[5] _ابن وحشية: **المصدر السابق**، ج2، ق2، ص:1184، مجهول (ق8هـ): **المصدر السابق**، ص:193، النابلسي: **المصدر السابق**، ص:30.

[6] _ ابن العوام: **المصدر السابق**، ص، ص:319، 322.

[7] _الوزان: **المصدر السابق**، 78/1، مارمول: **المصدر السابق**، 30/1.

[8] _العمري: **المصدر السابق**، ص:87، القلقشندي: **المصدر السابق**، ص:112.

[9] _**نفسه**، ص:111، أنظر أيضا: العمري: **المصدر السابق**، ص:125، أبو الفدا: **المصدر السابق**، ص:141.

[10] _ **المصدر السابق**، ص: 150.

[11] _الوزان: **المصدر السابق**، 16/2.

[12] _ابن البيطار: **المصدر السابق**، 123/1.

[13] _ابن العوام: **المصدر السابق**، 333/2.

[14] _ ابن البيطار: **المصدر السابق**، 196/3.

وهو حلو أغبر والآخر أسود حامض[1]، وينضج البرقوق في شهري جوان وجويلية[2]، ورغم أنّ أغلب المصادر الجغرافية لم تشر إلى هذه الفاكهة، لكن العمري ذكر انتشارها بمعظم المناطق الشرقية لبلاد المغرب الأوسط[3]، كما أنّ إشارة الوزان إلى فترة انضاجه دليل على تواجده بالمغرب الأوسط.

و_الكرز (حب الملوك، القراسيا)[4]: يطلق سكان أهل المغرب والأندلس على حب الملوك إسم القراصيا[5]، وهي شجرة ذات ورق وأغصان بسيطة مشوبة بحمرة، وورقها شبيه بورق المشمش ولها ثمر شبيه بالعنب مدوّر ويتدلى من شيء شبيه بالخيوط الخضر إثنان إثنان، ولونه يكون أولا أحمر ثم مسكيا ومنه ما يكون أسود، وهو أنواع فمنه الحلو والحامض والعفص[6]، ومنه البري (الجبلي) والبستاني[7].

يغرس الكرز في جانفي وفيفري وهو مما يصلح في الجبال والمواضع الباردة جدا، ويعظم ثمره ويزكو إذا تم تطعيمه، ويغرس بالنواة والخلوف وأيضا من ملخه[8]، والكرز من الفواكه التي أدخلها الأندلسيون لبلاد المغرب الأوسط[9]، ويسميه أهل المشرق بـ "**الجرز**"[10]، وقد ذكر ابن حوقل[11] أنه: "**بنقاوس بها جميع الفواكه...ومنها الجرز**".

والملفت للإنتباه أنني لمحت غياب ذكر هذه الفاكهة في معظم المصادر التي أرّخت للقرون الأولى من مجال دراستي (ق5و6و7هـ/11و12و13م)، حتى القرن 10هـ/16م أين أشار الوزان إلى انتشارها بالجهات الغربية، فالممتلكات حول هنين بها الكثير من الكرز[12] "**وبخارج تلمسان بها دور جميلة ينعم بها المدنيون في الصيف...بها أنواع الكرز الكثيرة التي ليس لها مثيل**"[13]، ويكثر أيضا بجبل بني ورنيد[14].

ز_الخوخ(التفاح الفارسي)[15]: الخوخ نوعان: الأول أملس دون زغب فيه حمرة يسمى الأقرع والآخر هو الأزغب، ويكون الخوخ عظيما إذا غُرس شجره في أرض كثيرة الماء ولا ينبغي أن يُسقى سقيا دائما[1]،

---

[1] _ابن الوردي: **خريدة العجائب**، ص ص:93.

[2] _الوزان: **المصدر السابق**، 78/1، مارمول: **المصدر السابق**، 30/1.

[3] _العمري: **المصدر السابق**، ص:87، القلقشندي: **المصدر السابق**، ص:112.

[4] _أبو الخير: **عمدة الطبيب**، 154/1، ابن العوام: **المصدر السابق**، 161/2، الغساني الشهير بالوزير: **المصدر السابق**، ص:232.

[5] _ ابن البيطار: **المصدر السابق**، 253/2، 294/4.

[6] _**نفسه**، 294/4، الغساني الشهير بالوزير: **المصدر السابق**، ص:232.

[7] _ ابن العوام: **المصدر السابق**، ص:161، الغساني الشهير بالوزير: **المصدر السابق**، ص:232.

[8] _ابن بصال: **المصدر السابق**، ص:68، ابن العوام: **المصدر السابق**، ص ص:161_162، النابلسي: **المصدر السابق**، ص:28.

[9] _ بلغيث: **المرجع السابق**، ص:170.

[10] _جودت عبد الكريم: **المرجع السابق**، ص:46.

[11] _**المصدر السابق**، ص:91.

[12] _ الوزان: **المصدر السابق**، 16/2.

[13] _**نفسه**، ص:20.

[14] _**نفسه**، ص ص:44_45، مارمول: **المصدر السابق**، 353/2

[15] _أبو الخير: **عمدة الطبيب**، 218/1.

ويغرس ويزرع في الوقت الذي يزرع فيه المشمش، وتوافقه الأرض الحرشاء ويجود في الأرض الرملية[2]، والخوخ أخو المشمش ومشاكل له في كل أموره إلاّ في البقاء، فإن المشمش أطول عمرا منه لأن الخوخ أكثر مايحمل أربع سنين والحر والبرد يهلكه[3].

لا يكثر الخوخ ببلاد المغرب الأوسط إلاّ في سبتمبر[4] وهو أنواع عديدة[5]، ومن المناطق التي اشتهرت بهذه الفاكهة نجد الممتلكات حول هنين[6]، وأرياف تلمسان[7].

ح_البطيخ: البطيخ من جنس اليقطين، واليقطين كل نبات يمتد على الأرض وليس له ساق وهو معروف وأنواعه كثيرة مستدير وطويل وأبيض وأحمر[8]، وأول ما يزرع من البطيخ نهاية شهر فيفري وهذه الفاكهة تحتاج إلى تعاهد كثير وفضل خدمة[9]، وتوافقه الأرض المدمنة السوداء والرملية ويزرع كما تزرع الحنطة، وبعدما تنبت يُحرك ترابها دائما ليعظم طيبها ويعجل نضجها[10].

وفاكهة البطيخ أنواع منها البستاني والبرّي (الحنظل)، فالبطيخ البستاني ثلاثة أصناف منها: الهندي ولونه أخضر والخراساني (العبدلي) والصيني لونه أصفر وهذا الأخير على ثلاث أنواع أيضا؛ فمنه السيني والحلبي والسمرقندي[11]، وهناك نوع من البطيخ يسمى الشمّام صغير حنظلي الشكل مخطط بحمرة وخضرة وصفرة، رائحته طيبة يسميه أهل الشام اللقاح[12].

لقد وردت عدة إشارات تفيد في الكشف عن وجود البطيخ بولاية إفريقية والمغرب الأقصى والأندلس وعليه فقد كان موجودا ببلاد المغرب الأوسط وكانت منه ستة أنواع ويعرف بالدلاّع[13]، وهو البطيخ الهندي (السندي)[14]، ويتحدث الوزان[15] عن تواجد البطيخ بخارج تلمسان، والملاحظ أنّ إنتاجه كان على

---

[1] _ ابن العوام: **المصدر السابق**،325/2_326، مجهول (ق8هـ): **مفتاح الراحة**، ص:196.

[2] _ ابن بصال: **المصدر السابق**، ص ص:70_71، ابن العوام: **المصدر السابق**، ص: 328.

[3] _ابن وحشية: **الفلاحة النبطية**، ج2، ق2، ص: 1187، مجهول (ق8هـ): **المصدر السابق**، ص:195، ابن الوردي: **خريدة العجائب**، ص:94.

[4] _الوزان: **المصدر السابق**، 78/1، مارمول: **المصدر السابق**، 30/1.

[5] _العمري، **المصدر السابق**، ص:87، القلقشندي: **المصدر السابق**، ص:112.

[6] _الوزان: **المصدر السابق**، 16/2.

[7] _**نفسه**، ص:20.

[8] _أبو الخير: **عمدة الطبيب**، 86/1، الغساني الشهير بالوزير: **المصدر السابق**، ص:56.

[9] _ابن وحشية: **المصدر السابق**، ج2، ق1، ص: 893، 895، ابن بصال: **المصدر السابق**، ص:128.

[10] _ ابن بصال: **نفس المصدر** والصفحة، أبو الخير: **الفلاحة**، ص:166.

[11] _أبو الخير: **عمدة الطبيب**، 86/1_87، 230، مجهول (ق8هـ): **مفتاح الراحة**، ص:141، ابن الوردي: **خريدة العجائب**، ص:100، **منافع النبات**، ص:113.

[12] _ابن البيطار: **المصدر السابق**، 92/3، الغساني التركماني: **المصدر السابق**، 196/1.

[13] _جودت عبد الكريم: **المرجع السابق**، ص:43.

[14] _ ابن البيطار: **المصدر السابق**، 137/1، الغساني التركماني: **المصدر السابق**، 24/1.

[15] _**المصدر السابق**، 20/2.

نطاق ضيق وفي إطار منزلي بالدور التي ينعم بها المدنيون في الصيف، وتكثر بالواحات الجنوبية بعض الأنواع مثل الفقوس[1] الذي اشتهرت به أغلب المناطق الريفية[2].

ط_الاجاص(الكمثرى): الإجاص من جنس الشجر العظام ومنه الجبلي والبستاني[3]، وهو أنواع كثيرة منها الأسود والأحمر والأصفر، وهذا الأخير هو الأطيب للأكل والأول نضجا، يظهر في آخر الربيع[4]، وأجود الأنواع الكبير الرخو القليل القبوضة وأردؤه الصغير الصلب الشديد العفوصة[5]، والكمثرى يحب المواضع الباردة والكثيرة المياه، فيزرع من نواه ويغرس من فروعه وملوخه وأوتاده[6]، وشجرته تحتاج إلى تزبيل بأخثاء البقر وخرو الناس[7]، ويوافق شجره الأرض الطيبة والمودكة المرتفعة، وهو من الشجر الذي يقبل التركيب بسرعة ويصلح كل ما يركب عليه[8].

ينضج الإجاص في شهري جوان وجويلية[9]، لكن المصادر الجغرافية لم تفصّل في أنواع هذه الفاكهة واكتفت بذكر الاجاص الذي كان منتشرا بالجهات الشرقية لبلاد المغرب الأوسط[10]، وبالضبط ببلاد ميلة[11] وأرياف هنين[12].

والواضح أنّ شكل كمثرى المغرب الأوسط كانت عادية أيضا، مقارنة بكمثرى بلنسية المسماة بـ: "**الأرزة**" في قدر حبة العنب، التي تمتاز بحلاوة المطعم وذكاء الرائحة ، وإذا أُدخل دار عُرِف بريحه[13].

ي_الرمان: من جنس الشجر وهو نوعان ذكر (الجلنار) وأنثى؛ ولهذه الأخيرة أنواع عديدة: الحلو والحامض والمرّ والمائي والعظمي[14]، ويُتخذ زرعا وغرسا، فللزرع يختار منه الحب الكبير، كما يتم غرسه من أوتاده وملوخه في شهر فيفري ومارس[15]، وخير المواضع لغرس الرمان الأرض الجبلية أو سائر

---

[1] _ الوسياني: **المصدر السابق**، 488/1.

[2] _فتوى عبد الرحمن الواغليسي(ق8هـ)، الونشريسي: **المصدر السابق**، 5/87_88، 90.

[3] _أبو الخير: **عمدة الطبيب**، 45/1، 329، ابن العوام: **المصدر السابق**، 141/2، الغساني الشهير بالوزير: **المصدر السابق**، ص:143.

[4] _ الغساني الشهير بالوزير: **المصدر نفسه**، ص:19.

[5] _ابن البيطار: **المصدر السابق**، 18/1.

[6] _ ابن وحشية: **المصدر السابق**، ج2، ق2، ص:1189، ابن بصال: **المصدر السابق**، ص ص:67_68، ابن العوام: **المصدر السابق**، ص: ص:141_142، مجهول (ق8هـ): **المصدر السابق**، ص:230.

[7] _ ابن وحشية: **المصدر السابق**، ج2، ق2، ص:1189.

[8] _ابن بصال: **المصدر السابق**، ص ص:67_68، ابن العوام: **المصدر السابق**، ص، ص:143، 146.

[9] _الوزان: **المصدر السابق**، 78/1، مارمول: **المصدر السابق**، 30/1.

[10] _العمري: **المصدر السابق**، ص:87، القلقشندي: **المصدر السابق**، ص:112.

[11] _الوزان: **المصدر السابق**، 60/2، مارمول: **المصدر السابق**، 13/3.

[12] _الوزان: **المصدر السابق**، ص:16.

[13] _المقري: **نفح الطيب**، 179/1.

[14] _ مجهول (ق8هـ): **مفتاح الراحة**، ص:168، الغساني الشهير بالوزير: **المصدر السابق**، ص:253.

[15] _ابن وحشية: **المصدر السابق**، ج2، ق2، ص:1165، ابن بصال: **المصدر السابق**، ص ص:61_62، ابن العوام: **المصدر السابق**، 176/3.

الأرضين الجافة ولكنه يهوى السقي في الغليظة فيجود على ذلك ومتى لم يُسقى تشقق قشره[1]، وهي من الأشجار التي لا تقوى إلاّ بالبلاد الباردة المعتدلة[2]، ويقتطف الرمان في شهر أكتوبر[3]، وانتشرت غراستها غراستها في معظم المناطق الشرقية والوسطى لبلاد المغرب الأوسط، التي توفرت على أنواع عديدة من الرمان، "**الحلو والحامض والمر**"[4].

أشارت المصادر إلى أنواع أخرى من الفاكهة، ولكن بدون تفصيل، مثل الزعرور بمعظم بلاد إفريقية[5]، والنبق (ثمر السدر)[6]، بالإضافة إلى قلوب الصنوبر (زقوقو)، التي كانت تشغل مساحات غابية شاسعة ببلاد المغرب في العصر الوسيط[7].

المطلب الثاني: غراسة الخَضراوات بأرياف المغرب الأوسط:

الخَضراوات[8] بأرياف المغرب الأوسط كثيرة ومتنوعة[9]؛ ولم تخل المناطق الصحراوية من إنتاج مختلف أنواع الخضر كالسلق، والكرنب، والكراث،...إلخ[10]؛ والواضح أنّ الاستثمار في غراسة الخضر كان يذر مردودا وفيرا على المستثمر، بدليل لجوئه لكراء الأرض لإنتاجها وأيضا بقاء جزء من محصول الخضر في الأرض بعد الجني[11].

والمصادر التي عدت إليها قد فصّلت في أغلب أنواع الخضر ومن أهمها:

1_الفول(الباقلاء)[12]: الفول أنواع منها: الشامي والمصري والنبطي ويستعمل رطبا ويابسا[13]، ويزرع البكير منه في الجنات من سبتمبر إلى منتصف أكتوبر وزراعته في الحقول من نصف أكتوبر إلى أول

---

[1]_ ابن وحشية: **المصدر السابق**، ج2، ق2، ص:1167، ابن العوام: **المصدر السابق**، 175/2، مجهول (ق8هـ): **المصدر السابق**، ص ص:168_169.

[2]_قسطا البعلبكي: **المصدر السابق**، ص:282، ابن الوردي: **خريدة العجائب**، ص:98، **منافع النبات**، ص:73.

[3]_ الوزان: **المصدر السابق**، 78/1، مارمول: **المصدر السابق**، ص:361.

[4]_ العمري: **المصدر السابق**، ص:87، القلقشندي: **المصدر السابق**، ص:112.

[5]_العمري: **المصدر السابق**، الصفحة نفسها، القلقشندي: **المصدر السابق**، الصفحة نفسها.

[6]_ابن وحشية: **المصدر السابق**، ج2، ق2، ص ص:1194_1195، الغساني الشهير بالوزير: **المصدر السابق**، ص:187.

[7]_محمد حسن: **المدينة**، 445/2.

[8]_الخَضراوات، جمع خضراء والخضراء والخضرة والبقل تدل كلها زراعيا على ما يسمى بالفرنسية (Légume) وجمعها خضراوات وخضر وبقول، وتطلق على جملة النباتات العشبية التي يتغذى الإنسان بها أو بجزء منها دون تحويلها صناعيا وهي أشكال كالبقول البصلية والثمرية، والجذرية والورقية، وهذه الأخيرة التي يُؤكل ورقها كالخس والهندبا وأشباهها، وتسمى أحرار البقول. أنظر: مصطفى الشيهابي: **المرجع السابق**، ص:360.

[9]_العمري: **المصدر السابق**، ص:88، 120، القلقشندي: **المصدر السابق**، ص:113، 176، **وحول توزيع غراسة الخضر بأرياف المغرب الأوسط، أنظر الخريطة رقم 04، ضمن الملاحق.**

[10]_الفرسطائي: **المصدر السابق**، 272/4.

[11]_فتوى سعيد العقباني (9هـ)، المازوني: **المصدر السابق**، 55/2و.

[12]_أبو الخير: **عمدة الطبيب**، 81/1.

[13]_الغساني الشهير بالوزير: **المصدر السابق**، ص:54.

جانفي، وينفعه النقش المستمر والفول يطيّب الأرض ويجود عليه القمح والشعير والكتان، لكنه يفسد ما جاوره من الأشجار لاسيما التفاح[1].

ونبات الفول مقاومة للجفاف لأن جذورها جد طويلة وبنظامها الذي يثبت الآزوت من الهواء، فقد شكلت محركا حيويا يهيء التربة لاستقبال وزراعة الحبوب وكذا زراعة الخضروات[2]، ومن خلال النوازل نجد أن الفول كان مادة غذائية مهمة سواء كان أخضرا أو زريعة[3]، مما يدل على انتشاره في معظم المناطق الريفية.

2_الكرنب: الكرنب صنفان جعد وبسيط وكلاهما يؤكل ساقه وورقه، والجعد أطيب طعما وأصدق حلاوة[4]، حلاوة[4]، وهو من محاصيل المغرب الأوسط[5]؛ ويزرع الكرنب في جوان ويؤكل في نوفمبر، وهناك الكرنب الكرنب الصيفي مفرق الأوراق والكرنب الشتوي الذي يجود في التربة السوداء والغليظة[6]، والكرنب (الملفوف) كان من المحاصيل الريفية لبلاد المغرب الأوسط[7].

3_البصل: البصل أجناس كثيرة بستاني وبري، فالبستاني فيه الكبير والصغير والمدحرج وطويل وأبيض[8]، وأبيض[8]، وتنقسم زراعته إلى قسمين نوع يبكر للأكل في زمن الحصاد وقبل ذلك، والنوع الآخر يزرع مؤخرا ليؤكل في الصيف ويدخن، وكلا النوعين يحتاجان لتدبير ورعاية[9]، أما عن غراسته فتكون في الأحواض خلال شهر أكتوبر، فإن فات ففي نوفمبر أو جانفي وكلما بكر بغرسه كان أحسن، ويوافقه ماء النهر ويحتاج للسقي إذا بدأ يزهر[10].

وتوافقه الأرض السوداء المدمنة والرخوة والحمراء والبيضاء والحرشاء[11]، والبصل من الخضر الوفيرة والمعروفة ببلاد المغرب الأوسط[12] ومن أهم المناطق التي اشتهرت بانتاجه نجد بني وازلفن[13]، وهناك نوع

---

[1] _ أبو الخير: **الفلاحة**، ص ص:136_137.

[2] _Gsell: op.cit, p.168.

[3] _ فتوى عيسى الغبريني (ق9هـ): الونشريسي، **المصدر السابق**، 8/122_123.

[4] _ابن البيطار: **المصدر السابق**، 4/315_316، الغساني التركماني: **المصدر السابق**، 2/303.

[5] _العمري: **المصدر السابق**، ص:88، القلقشندي: **المصدر السابق**، ص:110.

[6] _ابن بصال: **المصدر السابق**، ص ص:151_152.

[7] _فتوى عبد الرحمن الواغليسي(ق8هـ)، المازوني: **المصدر السابق**، ورقة 30و.

[8] _أبو الخير: **عمدة الطبيب**، 1/93_94، مجهول (ق8هـ): **مفتاح الراحة**، ص:150، ابن الوردي: **منافع النبات**، ص ص: 138_139، الغساني الغساني الشهير بالوزير: **المصدر السابق**، ص:54.

[9] _ابن بصال: **المصدر السابق**، ص:145، أبو الخير: **الفلاحة**، ص ص: 169_170.

[10] _ابن بصال: **المصدر السابق**، ص ص:145_146، ابن العوام: **المصدر السابق**، 4/325، أبو الخير: **الفلاحة**، ص:171، **عمدة الطبيب**، 1/94_95.

[11] _ابن العوام: **المصدر السابق**، 4/325.

[12] _العمري: **المصدر السابق**، ص:88، فتوى عبد الرحمن الواغليسي(ق8هـ)، الونشريسي، **المصدر السابق**، 5/90.

[13] _الادريسي: **المصدر السابق**، ص:154.

من الخضر يشبه البصل يسمى بالكراث وكانت موجودة أيضا بالمغرب الأوسط[1]، وهو من المحاصيل التي أدخلها الأندلسيون للبلاد[2].

4_اللفت: يزرع اللفت في أول أوت ويؤكل في الخريف أو في الشتاء[3] وكان من الخضر التي يتناولها سكان المغرب الأوسط[4].

5_الثوم: هو ممّا يزرع ثم يحوّل ويغرس[5]، والثوم من جنس البصل وهو نوعان بستاني وبري[6]، فالبستاني فالبستاني معروف يزرع بالبساتين والفدادين وهو من التوابل[7]، ويزرع الثوم في نوفمبر أو جانفي ويحصد في جوان وتلائمه التربة البيضاء أو السوداء أو الحرشاء[8]، وانتشرت زراعته أيضا في معظم مناطق المغرب الأوسط[9].

6_الجذر (الجزر): الجزر نوعان بري وبستاني[10]؛ فالبستاني منه أبيض وأصفر وأسود وأحمر ومجزّع، والأحمر هو الأرطب والأطيب طعما، والذي يضرب إلى الصفرة أغلظ وأثخن[11]، ويزرع الجزر في منتصف جويلية أو أوت[12]، وكان موجودا في نقاوس[13].

7_الباذنجان: من البقول البستانية ومن جنس الكفوف وهو أنواع كثيرة فمنه الأسود الشديد السواد، ومنه مائل إلى الحمرة ومنه المدرج والطويل[14]، ويزرع في جانفي وينقل في أفريل، ويجود الباذنجان في التربة السوداء ويوضع في أحواض مسمدة قبل وضع الزريعة ويبقى إلى أن ينبت ثم يسقى مرة كل أسبوع[15].

8_البسباس(الشمرة، الرازيانج):من أحرار البقول وأفضلها من جنس الهذبات ومن نوع الجنبة، والخيار نوعان بستاني وبري، فالبستاني هو الرازيانج والبري هو البسباس[16]، لكن أهل المغرب والأندلس كانوا يسمونه الرازيانج[1].

---

[1] _العمري: **المصدر السابق**، ص:88، القلقشندي: **المصدر السابق**، 110/5.

[2] _بلغيث: **المرجع السابق**، الصفحة نفسها.

[3] _ ابن بصال: **المصدر السابق**، ص:141.

[4] _العمري: **المصدر السابق**، ص:88، فتوى الواغليسي، المازوني: **المصدر السابق**، ورقة 27و، الونشريسي، **المصدر السابق**، 87/5_88.

[5] _مجهول (ق8هـ): **المصدر السابق**، ص:152.

[6] _أبو الخير: **عمدة الطبيب**، 101/1، ابن العوام: **المصدر السابق**، 337/4.

[7] _ابن الوردي: **منافع النبات**، ص ص:140_141، الغساني الشهير بالوزير: **المصدر السابق**، ص:303.

[8] _ابن العوام: **المصدر السابق**، 337/4_338.

[9] _العمري: **المصدر السابق**، ص:88.

[10] _ابن العوام: **المصدر السابق**، 314/4.

[11] _ابن البيطار: **المصدر السابق**، 221/1، مجهول (ق8هـ): **مفتاح الراحة**، ص:148، الغساني التركماني: **المصدر السابق**، 51/1، الغساني الشهير بالوزير: **المصدر السابق**، ص:72.

[12] _ابن بصال: **المصدر السابق**، ص:142.

[13] _ابن حوقل: **المصدر السابق**، ص:90، العمري: **المصدر السابق**، ص:88، القلقشندي: **المصدر السابق**، 110/5.

[14] _ أبو الخير: **عمدة الطبيب**، 79/1_80، الغساني الشهير بالوزير: **المصدر السابق**، ص:55.

[15] _ابن بصال: **المصدر السابق**، ص ص:134_135.

[16] _ الغساني الشهير بالوزير: **المصدر السابق** ، ص:61.

9_الخيار: من نوع القِثّاء ومن جنس اليقطين له ثمر أقصر وأعرض من القثاء عليه حب كحب الجاورس، وله زهر كزهر القثاء وبزر كبزره، يظهر في آخر الربيع ويكثر في أول الصيف[2]، ويتواجد الخيار بكثرة بأرياف تلمسان[3].

10_الكمأة(ترفاس)[4]: هو نبات لا ورق له ولا ساق ولا زهر ولا ثمر، وإنما هو كالقطر مدحرج الشكل كالكرة ومنه صغير وكبير، وأحمر وأبيض وأسود وهو أنواع كثيرة[5]، وعند هطول الأمطار بغزارة في بعض البساتين فيؤدي ذلك إلى نمو هذه الثمرة في باطن الأرض وهي تشبه البطاطا تسمى الكماة، سواء بالمناطق الشمالية وحتى الواحات الصحراوية[6].

وانتشرت ببلاد المغرب الأوسط خلال هذه الفترة خضر عديدة منها: القرنبيط والفجل والسلق والخس بالإضافة إلى الملوخية والهليون الصغير[7]، والقرعة[8] التي قال عنها النبي صلى الله عليه وسلم بأن الإكثار منها يسكن قلب الحزين ومن خواصه أن الذباب لا يقع عليه[9]، وكان سكان الواحات خاصة بوارجلان يقومون بغراسة الخضر إلى جانب أشجار النخيل ومن أبرزها القثّاء[10].

كما أدخل الأندلسيون إلى بلاد المغرب الأوسط أنواعا جديدة من الخضر لم يألفها السكان قبلهم مثل القرنون والجلبان والطماطم والبطاطس والفلفل[11]،...إلخ، ولم تكن زراعة الخضر حكرا على الفلاحين الذين شكلت الزراعة مصدرا لدخلهم فحسب، وإنّما يمارسها عامة الناس أيضا بجانب بيوتهم، فقد كان جدّ الفقيهان العالمان أبو زيد عبد الرحمان وأبو موسى عيسى ابنا الفقيه الامام الخطيب، أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن الامام من أهل برشك؛ من أولياء الله الأبرار وكانت له أريضة يعمرها بالخضر لمعاشه[12].

ومن الأهمية بمكان الإشارة إلى أنّ عدم التفصيل في أنواع البقول والقطاني وحتى الخضر من قبل معظم الرحالة والجغرافيين لا يعني أنها لم تكن موجودة والمرجح أن اختصارهم هذا كان هروبا من تعدادها لاغير.

---

[1] _ ابن البيطار: **المصدر السابق**، 130/1، الغساني الشهير بالوزير: **المصدر السابق** ، ص:252.

[2] _ الغساني الشهير بالوزير: **المصدر السابق**، ص:306.

[3] _ العمري: **المصدر السابق**، ص:88، القلقشندي: **المصدر السابق**، 110/5، الوزان: **المصدر السابق**، 11/2، 20.

[4] _ابن البيطار: **المصدر السابق**، 188/1.

[5] _ الغساني الشهير بالوزير: **المصدر السابق**، ص، ص: 144، 299.

[6] _سعدون: **المرجع السابق**، ص:14.

[7] _ العمري: **المصدر السابق**، ص:88، القلقشندي: **المصدر السابق**، ص:110.

[8] _فتوى الواغليسي، الونشريسي، **المصدر السابق**، 87/5_88.

[9] _ ابن الوردي: **خريدة العجائب**، ص:100.

[10] _الدرجيني: **المصدر السابق**، 384/2.

[11] _ بلغيث: **المرجع السابق**، ص:170، مريم بوخاوش: **المرجع السابق**، ص ص:325_326.

[12] _يحي بن خلدون: **المصدر السابق**، 130/1.

المطلب الثالث: نباتات الحديقة والمنتزهات

1_ المنتزهات والحدائق: ازدهرت مختلف مناطق المغرب الأوسط بعديد المنتزهات والحدائق التي تمتد على مساحات شاسعة ويعود ازدهارها أساسا للبيئة الطبيعية الملائمة (مناخ، وفرة الثروة المائية، خصوبة التربة) ولا دخل للإنسان فيها، وترتكز بصفة خاصة بالمناطق الشمالية فبجنوب حصن عنابة "**بساتين وأجنة ومنتزهات**" بها الكثير اللذيذ من الثمار[1]، وتحيط بتلمسان "**بساتين جميلة ومنتزهات**" يتوجه إليها أيام السلم الموسرين من السكان[2]، وفي المقابل نجد أن الحدائق وبعض الأنواع من الأزهار والرياحين قد قد حضيت بعناية كبيرة من قبل السكان سواء بالأرياف أو المدن ضمن نطاق منزلي.

والجدير بالذكر أن مصطلح **الحديقة** خلال الفترة المدروسة بات له مدلول مرادف للأجنة والبساتين "**فأرض المدية كانت كثيرة الحدائق والبساتين**"[3] وبخارج تلمسان من الحدائق ما يفوق الوصف والكثرة[4] وتحيط بمدينة بجاية عدد لا يحصى من الحدائق العامرة بالأشجار لاسيما من جهة الباب المؤدي إلى ناحية الشرق[5]، وتوجد بهنين حدائق وأراضي صالحة للحرث حوالي المدينة أو على طول النهر بجانبها[6].
بجانبها[6].

2_أشجار الورد والرياحين: زخرت أرياف المغرب الأوسط بمختلف الأنواع من الورود والرياحين التي زيّنت أشجار الحدائق والبساتين، وللأزهار والرياحين كبير الأثر في وفرة العسل، فمن تلك الأنواع نجد الآس(الريحان) الذي يكثر ببلاد المغرب الأوسط خاصة بمليانة التي في سفح "**جبل نكار وشعراء هذا الجبل كلها ريحان**"[7].

وعن نباتات الحديقة فقد ذكر العمري أنه بمملكة إفريقية من الرياحين: الآس والورد ومعظمه أبيض، والياسمين والنرجس، واللينوفر الأصفر والترنجان (الريحان)، والمنثور المرزنجوش، والبنفسج والسوسن والزعفران والحبق التّمّام[8]، كما اشتهرت مملكة تلمسان بالورد والبنفسج والياسمين والآس والنرجس والسوسن والسوسن والبهر وغير ذلك[9]، وهذه الورود المختلفة الألوان والأشكال التي زخرت بها تلمسان، قد ألهمت الأدباء والشعراء في قصائدهم[10]، ومازاد من اتساع زراعتها أنها كانت تزرع أيضا في أصص متنقلة[11]،

---

[1] _الوزان: **المصدر السابق**، 61/2، مارمول: **المصدر السابق**، 8/3.

[2] _مارمول: **المصدر نفسه**، 299/2.

[3] _الوزان: **المصدر السابق**، ص:41، مارمول: **المصدر السابق**، ص:373,

[4] _مارمول: **المصدر نفسه**، ص:299.

[5] _الوزان: **المصدر السابق**، ص:50.

[6] _مارمول: **المصدر السابق**، 296/2.

[7] _مجهول(ق6هـ): **الاستبصار**، ص:176.

[8] _ العمري: **المصدر السابق**، ص:88، القلقشندي: **المصدر السابق**، ص:113.

[9] _ القلقشندي: **المصدر نفسه**، ص:176.

[10] _المقري: **نفح الطيب**، 135/7.

[11] _جودت عبد الكريم: **المرجع السابق**، ص:49.

وأنوّه في هذا الجانب بالدور الذي لعبته الجالية الأندلسية من خلال إدخال العديد من أنواع الزهور للبلاد[1].

ورغم أن المناطق الريفية كانت على درجة كبيرة من الخصوبة؛ إلاّ أنّ المعلومات التي استعرضتها مؤلفات الفترة بشأن الأزهار والرياحين كانت عادية عكس الشهرة التي بلغتها جبال الورد بقرطبة الشهيرة بعبق الرائحة، حيث وصل ثمنه في بعض الأحيان لربع درهم، وصار أصحابه يرون الفضل لمن قطف بيده ما يمنحونه منه[2].

كما تزينت مختلف دور وبيوت المغرب الأوسط بمختلف أنواع الأزهار التي زادت من بهجة وأنس وراحة السكان، فالدور الموجودة بنقاوس أنيقة بهيجة لأن لكل واحدة منها حديقة مليئة بمختلف الأزهار وخاصة الورد الدمشقي والآس والبنفسج والبابونج والقرنفل وغيرها من الأزهار المماثلة لها في البهاء[3]. وتزيين الحدائق لم يكن فقط بأنواع الأزهار والرياحين، إذ كان الجانب الآخر من حدائق بعض البيوت مزينا ببعض الكروم المعروشات التي تعطي في أيام الصيف ظلا ظليلا ممتعا جدا كثير البرودة والنعم، حول الجزء المغطى من المسكن[4].

المبحث الثالث: تخزين المحاصيل الزراعية والبستنة

المطلب الأول: تخزين المحاصيل الزراعية:

كان السبيل الوحيد لبقاء الناس في السنوات العِجاف هو لجوئهم للتخزين، الذي يسميه ابن خلدون بالاحتكار"...**فإذا فقد الاحتكار عَظُم توقع الناس للمجاعات، فغلا الزرع وعجز عنه أولوا الخصاصة فهلكوا، وكان بعض السنوات الاحتكار مفقودا فشمل الناس الجوع**"[5]، وأكثر المحاصيل التي كان سكان الأرياف يقومون بتخزينها هي القمح لأنه يدوم طويلا، فيذكر الادريسي[6] أنه في: **<<قسنطينة ادخار الحنطة في مطاميرها مئة سنة لا تفسد>>**، كما تخزن الحنطة "**في القلعة فتبقى العام والعامين لا يدخلها فساد ولا يعتريها تغيير**"[7].

وتشتهر بلاد الغرب الإسلامي بطول مكث المخزونات بها، إذ يبقى الشعير في بعض أماكنها ستين سنة لا يتغير ولا يتسوس ثم يخرج بعد خزن هذه المدة الطويلة، فيزرع وينبت خصوصا تلمسان في برّ العدوة وطليطلة في الأندلس[8]، لذلك نجد أنّ الحنطة تختلف مدة بقائها في البلاد بحسب نوع الهواء

---

[1] _مريم بوخاوش: **المصدر السابق**، ص:326.

[2] _المقري: **المصدر السابق**، 217/3.

[3] _الوزان: **المصدر السابق**، ص:53، مارمول: **المصدر السابق**، ص ص:383_384.

[4] _الوزان: **المصدر السابق**، الصفحة نفسها، مارمول: **المصدر السابق**، ص:384.

[5] _ **المقدمة**، ص:376.

[6] _**المصدر السابق**، ص:166.

[7] _**نفس المصدر** والصفحة.

[8] _العمري: **المصدر السابق**، ص:126، أنظر أيضا: القلقشندي: **المصدر السابق**، ص:150.

والأتربة، ويصونها أهل كل بلد بنوع من الصيانة تختلف عن الآخر، وأحسن الحنطة للتخزين ما كان لونها أسمر ونوعها أصلب[1].

وتختلف طرق تخزين الحبوب باختلاف الأماكن، ويمكن حصر هذه الأخيرة في ثلاث أنواع؛ **الأول** خزنها في حفر بباطن الأرض وتسمى المطامير، و**الثاني** خزنها في بيوت تبنى خصيصا لهذا الغرض وتسمى بيوت الأهراء، و**النوع الثالث** هو خزنها في بعض الأواني بحيث تسّهل نقلها وتسمح بتغيير مكانها باستمرار[2].

وأكثر طرق التخزين شيوعا في أرياف المغرب الأوسط هي تخزين الزرع في المطامير[3] أو الأهراء[4] الأهراء[4] وفي الغرف، بل يعمد بعض أهل البوادي إلى خزن الحبوب تحت الأرض بكيفية جماعية[5]، وتقام وتقام تلك المطامير الجماعية في هندسة مميزة تختلف من مكان إلى آخر، فأحيانا تكون في شكل القصور الجنوبية أي مكونة من غرف متناضدة ومتراكبة، حولها سور دائر ذو منفذ واحد وتُبنى في الوسط أو عند المدخل غرفة للمراقبة، لكن خزن الحبوب بهذه الطريقة يصعّب أحيانا التفرقة بين مطمور وآخر، ويجعلون عليه الزرب مثل السور[6]، ويلجأ بعض السكان لإقامتها بعيدا عن القرية تهربا من الجباية[7].

وعلى النطاق العائلي؛ يتم نقل الحبوب من وإلى المطامير بواسطة التليس على الحمار[8]، ولاختلاف المستوى الاجتماعي بين سكان الريف، فهناك من يملك المطمورة الخاصة به (مطمورة الجنان)، وهناك من يخزن القمح في مطمورة الغير[9]، ونتيجة لتعرض المطامير للغصب والتعدي[10] والسرقة[11]، فقد لجأ البعض لتخزين الزرع بعيدا عن أعين الناس[12].

---

[1]_أبو الفضل جعفر بن علي الدمشقي: **الإشارة إلى محاسن التجارة، وغشوش المدلسين فيها**، اعتنى به وقدم له وعلّق عليه: محمود الأوناؤوط، ط1، دار صادر، بيروت، 1999م، ص:43.

[2]_موسى هواري: **المرجع السابق**، ص:216.

[3]_فتوى عبد الرحمن الواغليسي(ق8هـ)، الونشريسي: **المصدر السابق**، 89/5.

[4]_الأهراء مفردها هُري وهي مخازن الغلال والحواصل الإحتياطية لتخزينها تجنبا للضرورات والطوارئ، وكان لها ديوان يرأسه ناظر الأهراء، أنظر: محمد عمارة: **المرجع السابق**، ص ص:71_72.

[5]_محمد حسن: **أصناف الإنتاج الزراعي**، ص:272، Richard Lawless : **L'évolution du peuplement rural**, p. 452

[6]_محمد حسن: **المدينة والبادية**، 2/452_453، **أصناف الإنتاج الزراعي**، ص: 272.

[7]–Elise Voguet : **Le Maghreb central au 9eme_15eme siécle**, p.230.

[8]_ابن مريم: **المصدر السابق**، ص ص:217_218.

[9]_الفرسطائي: **المصدر السابق**، 260/4، 326/5.

[10]_فتوى أبا الفضل العقباني (ق9هـ)، المازوني: **المصدر السابق**، ورقة 10و، 20و، 41ظ على التوالي.

[11]_فتوى علي بن عثمان البجائي، **المصدر نفسه**، ورقة 40و.

[12]_فتوى عبد الرحمن الواغليسي، **المصدر نفسه**، ورقة 78و.

وهذه المطامير يجب أن تكون في "**المواضع الباردة الرايحة النظيفة**"[1]، إذ يجب أن تكون في هذه البيوت كوى من قبل المشرق والمغرب، لتخترقها الرياح ويخرج منها وهج حرارة البيت، ولا تجعل فيها كُوّة باتجاه القبلة، ولا يجاورها المطبخ ولا مرابط الدواب[2]، وعموما يشترط أن يكون مكان التخزين خاليا من البلل والرطوبة ويكون بابها ونافذتها التي للضوء من جهة الشرق، لأنها مهب ريح الصبا وهي أقل الرياح رطوبة[3].

تشير المصادر إلى تملك الأهراء والمطامير الخاصة بالقمح والشعير من قبل الفقهاء والمتصوفة[4]، فهذا أبا العباس أحمد بن مرزوق (681_741هـ/1282_1340م)، والد ابن مرزوق الخطيب كانت له مطامير من قمح وفحم، حيث يقوم بالتصدق بها في أيام الثلج والبرد فلا يرجع على داره حتى يفرغ من المطمورتين[5].

ولا يتعلق الأمر بحالات البرد والشتاء فحسب؛ بل نلمح حضور هؤلاء الصلحاء في أوقات الغلاء والشدائد، كما هو الحال بالنسبة لسيدي يحي بن عبد الله بن محمد بن عبد العزيز الذي كان يملك هُريا في داره لايخلو من الزرع أبدا[6].

إذا كان أغلب سكان المناطق الريفية يقومون بتخزين محاصيلهم في منازلهم أو ضمن مطامير تقام خصيصا لهذا الغرض، فإن هناك من القصور والحصون من أقيمت إلى جانب السكن والتحصين؛ "**لخزن المؤن والحبوب**" خاصة من قبل القبائل العربية، مثل: قصر باينة الذي امتلكه سعيد بن موسى بن أحمد الرياحي، ابن عم عثمان بن عليّ[7]، وكذلك حصن الجديد الذي امتلكه يعقوب بن عليّ[8].

وحرص أعراب المنطقة على تخزين الأطعمة وسائر الحبوب[9]، والواضح أنّ هذا الإجراء مرتبط أساسا بحالة الحرب الدائمة بين الأعراب والسلط الحاكمة تحسبا للأزمات من جهة، ومن جهة ثانية فإن المصادر لم توضح لنا كيفية التخزين والطرق المستخدمة للحفاظ على تلك الزروع، مثلما هو الحال في قسنطينة وتلمسان.

والواضح أن تخزين الحبوب في المطامير لم يكن حكرا على السكان الريفيين؛ بل إنّ السلط الحاكمة أخذت على عاتقها القيام بهذا الإجراء تحسبا للمجاعات والحروب والحصارات، كما هو شأن سلاطين

---

[1]_ابن العوام: **المصدر السابق**، 175/5، النابلسي: **المصدر السابق**، ص:142.

[2]_ابن العوام: **المصدر السابق**، ص:177، أبو الفضل الدمشقي: **المصدر السابق**، ص:43، النابلسي: **المصدر السابق**، الصفحة نفسها.

[3]_أبو المعاطي: **المرجع السابق**، 191/2.

[4]_الدرجيني: **المصدر السابق**، 402/2، ابن مريم: **المرجع السابق**، ص ص:289_290.

[5]_ابن مرزوق: **المناقب المرزوقية**، ص ص:190_191.

[6]_هو الفقيه الصالح، كان من قضاة العدل والدين والفضل والصلاح وله كرامات عدة، أنظر: ابن مريم: **المصدر السابق**، ص:307.

[7]_ النميري: **المصدر السابق**، ص: 416.

[8]_**نفسه**، ص: 426.

[9]_**نفسه**، ص ص: 451_452.

الدولة الزيانية مثل يغمراسن[1] والسلطان أبا حمو موسى الأول بعد نهاية حصار تلمسان من قبل أبا يعقوب يوسف المريني وابنه أبا تاشفين[2]، بل حتى لتأليف القلوب واستجلاب الرعية مثلما فعل أبا الحسن عند دخوله لتلمسان[3]، وهذه الإجراءات في حد ذاتها تمكن الدول الحاكمة من وضع يدها على منتجات الريف والسيطرة عليها بشكل أو بآخر، ويعتبر قصر المشوّر أشهر أماكن التخزين[4]، فكان محاطا بمجموعة من المخازن والمطامير لخزن الحبوب والمؤن المختلفة[5].

وممّا يدل على أنّ الدولة الزيانية كانت تضع يدها على منتجات الريف، هو وجود منصب "**خازن الزرع**"، الذي يشرف على الأهراء والمطامير المختومة المخصصة لتخزين الغذاء تحسبا للكوارث والحروب[6]، وبسبب سياسة ملوك تلمسان في التخزين يشهد التاريخ على قدرة تلمسان على المقاومة والحصار في العديد من الفترات[7].

وتتعرض عملية تخزين الزرع للعديد من الآفات مثل السوس[8]، وموت الفئران في مطامير الزرع[9]، وكذلك وكذلك الخنزير حيث شدّد الفقهاء على هذه الأخيرة بعدم أكل هذا الطعام أو زراعته[10]، وسئل ابن عرفة عن هري الزيتون وجدت فيه فأرة ميتة فقال بأنه نجس كله ولا يقبل التطهير[11].

المطلب الثاني: تخزين المحاصيل البستنية:

1_ **تخزين الخضر:** مثل الباذنجان والخيار والثوم...إلخ، إذا تناهى نضجها فتخرج الزراريع وتغسل بالماء وتجفف وترفع في آنية جديدة ويطين فمها وتعلق في موضع غير ندي[12]، وتخزن بعض الخضر ذات الأصول المكشوفة تحت الأرض فتقطع عروقها التي في أصولها، وينظم كل نوع منها في حبل ويعلق ذلك حيث لا تلحقه نداوة[13].

---

[1]_ خليلي بختة: **دور بعض السلاطين والفقهاء**، ص: 25.

[2]_العمري: **مسالك الأبصار**، ص:125.

[3]_ابن مرزوق: **المسند**، ص:193.

[4]_ Dhina : op.cit, p.337.

[5]_فيلالي: **تلمسان في العهد الزياني**، 115/1.

[6]_ابن خلدون: **العبر**، 129/7.

[7]_ Dhina : op.cit, p.337.

[8]_فتوى ابن عبد السلام(ق4هـ)، الونشريسي، **المصدر السابق**، 230/6.

[9]_فتوى ابن أبي زيد القيرواني(ق4هـ)، البرزلي، **المصدر السابق**، 151/1.

[10]_فتوى أبو القاسم المشدالي(ق9هـ)، المازوني: **المصدر السابق**، 8/1ظ، الونشريسي، **المصدر السابق**، 7/1.

[11]_**نفسه**، ص:18.

[12]_ابن العوام: **المصدر السابق**، 523/3.

[13]_**نفسه**، ص:524.

وكان يتم تخزين البصل والثوم والكراث والجزر في الأواني ويتم تعليقها على الحيطان مختلطة بيسير من الملح[1].

2_ **تخزين الفواكه**: يحتاج تخزين الفواكه لعناية أشد مقارنة بالحبوب، وتشير كتب الفلاحة لطرق كثيرة لحفظها[2]، وينبغي أن يُختار لاختزان الفواكه وغيرها المواضع الباردة الرايحة النظيفة، ولا تقرب من ذوات الروايح القبيحة ولا يقرب شيئ من حب السفرجل ولا يخزن معها، فإنه يضر بالرطبة منها خاصة العنب[3]، العنب[3]، وعمد سكان المغرب الأوسط خلال هذه الفترة إلى تجفيف وتصبير العديد من أنواع الفواكه منها: منها:

***الزيتون**: كان الزيتون الغليظ الذي لا يصلح لأن يعصر منه الزيت يؤكل محفوظا (مصبرا)[4]، أما عن الزيت فيخزن في مكان دافئ، لأن الخوابي فيها من الحرارة والسخونة ما يجعل الزيت يرق وينصقل ويكسب لمعانا وحسنا[5].

***العنب**: أفضل المواضع لنشر العنب للتزبيب الأرض الحمرا البور، ينقى وجهها من العشب ويبسط العنب عليها ولا يجعل بعضه على بعض، ولا ينشر العنب قرب طريق ولا قرب الآبار فإنه يتغير لونه بغبارهما[6]، ويبدأ تجفيف العنب في الشمس بعد منتصف أوت[7]، وكان سكان المناطق المحيطة بتلمسان، بتلمسان، بعد تجفيفه يقومون بحفظه لسنة كلها[8].

وإلى جانب التجفيف عمد السكان إلى صنع عصير العنب أيضا فإذا نزل المطر في سبتمبر عصر ما بقي من العنب خمرا أو صامتا (عصير خمر مطبوخ)[9].

وفي المناطق التي تشهد قلة في الحبوب ولتغطية هذا العجز؛ عمد السكان إلى تحضير "العولة"[10]، بتجفيف العديد من الفواكه وتحضير المصبرات والدقيق والفلفل التي كانت تحل محل الحبوب ولعل أهمها:

التين والجوز: بعد تجفيف هاتين الفاكهتين كان سكان سهول بجاية من العرب ومن زواوة يعيشون عليها إلى جانب دقيق الشعير واللحم ويدخرون ما يحتاجون من هذه المأكولات لسنة كاملة[11]، وسكان الأراضي

---

[1] _**نفسه**، ص:527، النابلسي: **المصدر السابق**، ص:143.

[2] _ابن حجاج: **المصدر السابق**، ص ص:48_50، ابن بصال: **المصدر السابق**، ص ص:179_180.

[3] _ابن العوام: **المصدر السابق**، ص:485، النابلسي: **المصدر السابق**، ص:136.

[4] _الوزان: **المصدر السابق**، 78/1، مارمول: **المصدر السابق**، 30/1.

[5] _أبو الفضل الدمشقي: **المصدر السابق**، ص:44.

[6] _ابن العوام: **المصدر السابق**، ص:495.

[7] _الوزان: **المصدر السابق**، الصفحة نفسها، مارمول: **المصدر السابق**، الصفحة نفسها.

[8] _مارمول: **المصدر نفسه**، 299/2.

[9] _الوزان: **المصدر السابق**، الصفحة نفسها، مارمول: **المصدر السابق**،30/1.

[10] _محمد حسن: **الريف المغربي**، ص:104.

[11] _مارمول: **المصدر السابق**، 376/2.

المجاورة لجيجل التي لا تنتج غير القليل من الشعير والدخن يعتمدون على تجفيف التين والجوز أيضا[1]، وبخارج تلمسان تين غليظ أسود وكان يجفف ليؤكل في الشتاء[2].

العِنّاب: لكثرة العنّاب ببونة، كان يجفف ويؤكل في فصل الشتاء[3].

الخرّوب: يصنع سكان الجبال المجاورة لندرومة من الخروب عسلا يأكلونه طوال السنة مع اللحم لقلة القمح عندهم[4].

مما تقدم نستخلص أنّ الإنتاج الزراعي والبستني بأرياف المغرب الأوسط خلال هذه الفترة كان مزدهرا برغم جميع الظروف، ممّا ساهم في إثراء خزينة البلاد سواء من خلال سياستها المالية التي تقوم على الضرائب وفي إطار المبادلات التجارية على المستوى المحلي أو الإقليمي وحتى الدولي مع البلدان المجاورة، وهو ما سأتناوله بالتفصيل ضمن المبحث الأخير من هذه الأطروحة.

المبحث الرابع:علاقة عائدات المنتجات الزراعية والبستنية بمداخيل الدولة التجارية والمالية (5_10هـ/11_16م).

المطلب الأول: الزراعة والبستنة والنشاط التجاري للمغرب الأوسط:

إنّ استغلال ثروات الريف الزراعية والبستنية من "القاعدة إلى القمة" يعكس بحق قدرة المجتمع على تحقيق الاكتفاء الذاتي من جهة، ومن جهة ثانية يدل على وجود تكامل اقتصادي بين مختلف المجالات، وعلى هذا الاعتبار نجد أن القطاعات الإنتاجية الثلاث (فلاحة، حرف، وتجارة) مرتبطة ببعضها البعض كما أنها متداخلة من الناحيتين الاقتصادية والاجتماعية بالرغم من هيمنة القطاع الفلاحي خلال العصر الوسيط على بقية القطاعات الإنتاجية الأخرى[5].

1_المعاملات التجارية بأرياف المغرب الأوسط (5_10هـ/11_16م).

أ_البيوع وأنواعها: كان سكان أرياف المغرب الأوسط على درجة كبيرة من الوعي، حيث كانوا يوثقون عمليات البيع والشراء وتملك العقارات المختلفة (أجنة، بساتين، رياض...إلخ)، برسوم موثقة بشهود تجنبا للوقوع في الحرج أو التعدي على حقوق بعضهم البعض[6].

وعند توثيق عقود بيع الثمار والزروع والخضر فقد شدّد الموثقون على ضرورة وصف المحاصيل المُباعة (القمح، الزيتون، الزبيب، التين...)، من حيث جنسها، وأنواعها، ومكانها، وكيلها،...إلخ[1]، ولا

---

[1] _**نفسه**، ص:381.

[2] _الوزان: **المصدر السابق**، 20/2.

[3] _الوزان: **المصدر السابق**، ص:61، مارمول: **المصدر السابق**، 6/3.

[4] _مارمول: **المصدر نفسه**، 295/2.

[5] _بولقطيب: **جوائح وأوبئة عهد الموحدين**، ص ص:28_29، Mohammed Boukhabza : **Quelques problémes méthodologiques que pose la collecte d'information en vue d'une recherché socio-économique**, Acte du colloque Méthodes d'approche du mondes rural, O,P,U, Alger, 1984, p.14.

[6] _فتوى أبو القاسم الغبريني(ق9هـ)، البرزلي، **المصدر السابق**، 261/4_262.

يباع الصيفي من الخضر مع الشتوي، ولا يباع جنس بطيب غيره[2]، ويبدو أن القصيل ذا أهمية كبيرة لذلك فقد شددت عقود البيوع على ضرورة تسمية القرية، وهل هو للرعي أو للحصاد وتسمية ثمن الشراء كاملا سواءا فورا أو مؤجلا[3]، وعرف السكان خلال هذه الفترة أنواعا من البيوع منها:

أ1_بيع الجزاف: هو البيع الذي لا يكون بلا وزن ولا كيل ولا عدّ، وأكّدت كتب الفقه المالكي أنه لا يباع جزافا إلاّ ما يكال ويوزن فلا بأس ببيعه جزافا[4]، واشترط الفقيه أبو عبد الله الزواوي في صحة هذا البيع أن يعرف المتبايعان بالحرز والتخمين كيل الشيئ المبتاع وقيمته مع وجود العادة في ذلك[5].

أ2_بيع المغصوب: سئل الفقيه أبا الفضل العقباني:"...**عن رجل اشترى روضا فغصبه فيه غاصب، فباع المغصوب منه جزءا من بائعه وهو في يد الغاصب هل يلزمه هذا البيع أم لا**"، وكانت إجابة الفقيه عدم إلزام المغصوب بهذا البيع في حالة عجزه عن ذلك، لكن يلزمه البيع عند استرجاعه لِما اغتصب منه[6].

أ3_بيع المضغوط: هو من أكره على بيع ربعه أو شيء بعينه أو في مال يؤخذ منه[7]، وسُئل بعضهم عمن ضغط ظلما وباع شجر زيتون لذلك ثم أراد الرجوع وغلتها، فكانت الإجابة أنه إذا علم المشتري عند عقد البيع بالجور كان للبائع أخذ الشجر وغلتها[8].

لكن الملفت للإنتباه هو أنني لمحت غياب البيع المنجّم (البيع بالتقسيط) على أيام معلومة بأرياف المغرب الأوسط خاصة ما تعلق الأمر بالأراضي عكس ما كان معروفا بأرياف الأندلس[9].

ب_الأنظمة الاقتصادية بأرياف المغرب الأوسط:

ب1_نظام القرض(السلف): جرت العادة بأرياف المغرب الاوسط على تسلف القمح والشعير وحتى القمح الأخضر[10]، وقد أجاز الفقيه ابن محسود سلف الزرع الأخضر أو الفول الأخضر وقت الحاجة لما فيه من إحياء للنفوس[11]، وسلف التين بالتين إذا قُدر مقداره جزافا أو بالكيل المعلوم مع وجود العادة في ذلك[12].

---

[1]_الغرناطي: **المصدر السابق**، ص:180، المراكشي: **وثائق المرابطين والموحدين**، ص:283_284، 289، 292_293.

[2]_الغرناطي: **المصدر السابق**، ص:181.

[3]_**نفسه**، ص:182، المراكشي: **المصدر السابق**، ص:303.

[4]_ابن أبي زيد: **المصدر السابق**، 74/6.

[5]_الونشريسي: **المصدر السابق**، 91/5.

[6]_ المازوني: **المصدر السابق**، 502/1ظ_503ظ.

[7]_فتوى ابن أبي زيد، البرزلي: **المصدر السابق**، 44/3.

[8]_**نفسه**، 202/5، الونشريسي: **المصدر السابق**، 567/9.

[9]_فتوى ابن رشد(ق6هـ)، البرزلي، **المصدر السابق**، 94/3، ابن سراج: **فتاوى ابن سراج**، ص:167.

[10]_فتوى عبد الرحمن الواغليسي، المازوني: **المصدر السابق**، 41/2ظ.

[11]_**نفسه**، ورقة 42و.

[12]_**نفس المصدر** والصفحة.

وجرت العادة ببلاد المغرب على توثيق بيع السلف، وهذا الأخير ساعد التجار على استغلال المزارعين، واحتكار الطعام خصوصا؛ فيسلفون الزُرّاع للاستفادة من اختلاف السعر في أول الموسم وآخره، فيخزنون المحاصيل وقت رخصها ويبيعونها عندما يرتفع السعر[1].

ب2_نظام الاستدانة: من عادات البدو الفقراء بالمغرب أنهم في سنوات القحط والجذب يحتاجون إلى الأقوات والأطعمة ويشترونها بالدين إلى الحصاد، فإذا حلّ الأجل وعجزوا عن سداد الدين بالدنانير يضطر الدائنون إلى الحصول منهم على جزء من المحصول مقابل قيمة الدين[2]، وسئل أبا جعفر الداودي الداودي عمّن له دين أراد أن يأخذ به زيتونا في رؤوس الشجر، فأجاب على قول ابن القاسم أن الدين بالدين إلاّ أن يكون من ثمن الطعام فلا يجوز[3]، ويذكر الونشريسي أنه جرى العمل ببلاد المغرب على إبطال صك الدين بعد الأداء وعدم تمزيقه[4].

ب3_نظام الرهن: يقصد به رهن العقارات كالدور والبساتين والأراضي والثمار أو الزروع مقابل مبلغ من المال، ويضيف الونشريسي أن الرهن لا يثبت بالسماع وإنما بالبينة العادلة التي لا مدفع فيها[5].

تعامل سكان الريف بنظام الرهن مثل رجل بريف بجاية كانت بيده أرض رهن، وكان يتعهدها بالحرث والغرس[6]، وفي فترات المجاعات والقحط يلجأ السكان لشراء القمح برهن منازلهم لشدة الفقر والحاجة[7].

ب4_نظام المعاوضة(المقايضة): المقايضة هي معاوضة سلعة بأخرى مثلها[8]، أو بمبلغ من المال يساوي يساوي قيمة السلعة، ومن صور المعاوضة بالأرياف نجد بيع القصيل بالطعام[9]، وأجاز الفقهاء بيعه باتفاق نقدا أو إلى أجل، ويبادر لإيصال القصيل ولا يتركه حتى يتحبب وإن تركه حتى يحبّب يفسخ البيع على المنصوص لابن القاسم[10].

ب5_نظام الاستعارة: من الأمثلة عن هذا النظام أنّ رجلا من فقراء الفلاحين استعار دابة ليحمل عليها منتوجه من اللفت والجلبان إلى السوق بغرض بيعه[11].

---

[1]_عز الدين أحمد موسى: **المرجع السابق**، ص:296.

[2]_المازري: **فتاوى المازري**، ص:110، فتوى المازري، البرزلي، **المصدر السابق**، 169/3، أنظر أيضا:أبو مصطفى: **المرجع السابق**، ص:90.

[3]_البرزلي: **المصدر السابق**، ص:181.

[4]_أبو مصطفى: **المرجع السابق**، ص ص:88_89.

[5]_**نفسه**، ص: 89.

[6]_ فتوى أحمد بن إدريسي، المازوني: **المصدر السابق**، ورقة 15و.

[7]_فتوى قاسم العقباني(ق8هـ)، الونشريسي، **المصدر السابق**، 102/5.

[8]–Amara : **Communautés rurales**, p.193.

[9]_فتوى قاسم العقباني(ق9هـ)، الونشريسي، **المصدر السابق**، 103/5.

[10]_ابن سراج: **فتاوى ابن سراج**، ص:169، عبد الواحد المراكشي: **وثائق المرابطين والموحدين**، ص:300.

[11]_ فتوى عبد الرحمن الواغليسي، المازوني: **المصدر السابق**، ورقة27و.

ب6_نظام الوكالة: تعامل أهل الريف بنظام الوكالة فقد قامت إمرأة بتوكيل زوجها على أراضيها فقام بكرائها ودفع قيمة ذلك إليها[1]، وتشير النوازل للمشاكل التي تحدث بين الوكيل والموكل، وعادة ما ترجع بالضرر على هذا الأخير، مثل ادعائه تسليم أجرة كراء الأراضي الموكل عليها من قبل زوجته في حياتها وإنكار الورثة عليه ذلك ومطالبتهم بحقوقهم منه[2].

ب7_نظام الوديعة: تشير إحدى النوازل إلى رجل من تجار الزيت بسبتة سافر إلى الجزائر ليبيع زيتا فأودعه قوما زيتا للبيع[3]، ويلجأ الفلاحون لنظام الوديعة خوفا من النهب والغصب، مثل أهل القرية الذين أودعوا عند بعضهم الودائع فأغار عليهم قوم أخذوا تلك الودائع[4].

ج_المكاييل والأوزان: استعمل سكان الأرياف بعضا من المكاييل والأوزان كالقدح والصحفة والبرمة، وهي مكاييل مجهولة المقدار تكال بها الحبوب والتمر[5]، بالإضافة إلى القلة وهي مكيال مجهول يباع فيه اللحم أو السمن أو الزبد[6]، والرطل في وزن العنب وغيره[7]، واستعملت القفة ككيل معلوم لوزن الفواكه كالتين مثلا[8]، وكذلك مكيال البرشالة[9]، ومن الأوزان أيضا نجد الجرّة[10] والقرعة[11] والصاع للزرع[12].

وحرصا على استعمال المكاييل والموازين بشكل مضبوط، فقد شدّدت كتب الحسبة على أنه يجب على القفافين ألاّ يأخذوا شيئا من الحنطة إلاّ أن يعمل لهم عمل للقفيز، وأن لا يقطعوا على الخدمة وللكيال ثمن درهم على القفيز[13]، كما شدّد المحتسبون على سلامة الخضر والفواكه، ومنعوا من غسل الخضر مثل الخس والجزر وغيرها في البرك وصهاريج الأجنة خوفا من نجاسة هذه الأخيرة، بل تغسل في الوادي فإنه أنقى وأطهر[14].

ويجب ألاّ يباع البلوط والقصطل والزيتون إلاّ بالقدح الذي به يُشترى، ويجب أن يحدّ لباعة التين والزبيب أن يجعلوا منها شيئا في أطباق على التراب فإنهم يغشونها بالرديء[15].

---

[1]_فتوى أبا الفضل العقباني، **المصدر نفسه**، ورقة 23و.

[2]_**نفس المصدر** والصفحة.

[3]_فتوى هاشم بن أحمد، الونشريسي: **المصدر السابق**، 75/9، أنظر أيضا: كمال السيد أبو مصطفى: **المرجع السابق**، ص:90.

[4]_فتوى أبا الفضل العقباني، المازوني: **المصدر السابق**، ورقة 15و، 27ظ.

[5]_ **نفسه**، 512/1ظ.

[6]_ فتوى محمد العقباني، **المصدر نفسه**، 41/2و.

[7]_فتوى محمد ابن مرزوق، **المصدر نفسه**، ورقة 49ظ.

[8]_فتوى عبد الرحمن الواغليسي، **المصدر نفسه**، ورقة 42و.

[9]_فتوى أبي الفضل العقباني، **المصدر نفسه**، 513/1و، فتوى سيدي علي بن عثمان، **المصدر نفسه**، 51/2ظ.

[10]_فتوى عيسى الغبريني، **المصدر نفسه**، 30/2و.

[11]_فتوى عبد الرحمن الواغليسي، **المصدر نفسه**، ورقة 30ظ.

[12]_فتوى محمد ابن العباس، **المصدر نفسه**، ورقة 49ظ.

[13]_ابن عبدون: **المصدر السابق**، ص:41.

[14]_**نفسه**، ص: 42.

[15]_**نفسه**، ص:60.

ولمّا كانت بعض المناطق الريفية البعيدة لا تحتوي على سوق ولا يملك سكانها الموازين ولا يعرفون الأرطال، ومجاراة للعرف والعادة فقد رخّص الفقهاء شراء السلع جزافا، إذا عرفوا في الجزاف المقادير التي تزيد الأثمان بزيادتها أو تنقص بنقصها[1]، فمن العادات الكثيرة الوقوع بالبوادي هي _هزّ المكيال_، فمن أراد شراء الطعام لا يكتاله من بائعه حتى يهز الصاع في كيله ويحركه بيده، وأكدّ الفقيه عبد الرحمن الواغليسي بعدم جواز ذلك لما فيه من الجهالة والغرر وصفة الكيل أن يمسك بيده على رأس المكيال ثم يسرحها، فما أمسك المكيال فهو وفاؤه[2].

وحول القسمة بالتحري؛ فكل ما أصله الوزن فقسمته بالتحري جائزة وكل ما أصله الكيل فلا تجوز قسمته بالتحري[3]، فقسمة الفول والتين، تكون بالحفرة في الفول وبالسلال في التين إذا كانت تضبط التساوي جائز كله، وهو راجع إلى القسمة بالمكيال المجهول، وأما أخذ أحدهم ما يجنى اليوم والآخر ما يجنى غدا فقط فظاهر النصوص عدم جوازه[4].

وقسمة الخضراوات كالكرنب وغيره على التحري أو التفاضل لا تجوز على المشهور، وتجوز بعد القلع على تحري التساوي وعلى التفاضل، وأما قسمة الفريك أغمارا فيجوز في اليسير لأجل الضرورة إذا تبين الفضل بينهما والمسامحة والحسنى أولى، ولا تجوز قسمة التين والعنب بالقرعة وكذلك جميع ذوات الامثال[5]، وأمّا قسمة الشهد غير معصور لضرورة أكله كذلك فلا بأس به تحريا فيما قل، وكذلك إن أخذ أحد الشريكين أقل من نصيبه وأخذ الآخر أكثر مما لا يشك فيه أنه كذلك فلا بأس به، وأما أكلهما معا ففيه نظر[6].

د_البيوع الفاسدة: نهى الرسول صلى الله عليه وسلم عن بيع الثمار حتى يبدو صلاحها، نهى البائع والمشتري[7]، كما نهى عن شراء الثمر بالرطب لأنه ينقص إذا ييبس[8]، ولا يجوز اشتراط أخذها يابسة لأن لأن الآفات تأخذها ولا بأس بشرط تأخير النقد فيها أو تقديمه[9].

ولا يجوز شراء زيت الزيتون بالزيتون[10]، ونهى أيضا عن تلقي الركبان وأن يبيع حاضر لباد[1]، ونهى عن النجش[2]، وبيع العربان[3].

---

[1]_ فتوى عبد الرحمن الواغليسي(ق8هـ)، الونشريسي، **المصدر السابق**، 89/5.

[2]_**نفسه**، ص:90.

[3]_التحري ما لا يكال من الطعام كاللحم والبيض والخبز جازت قسمته بالتحري عند مالك لأن التحري يحيط به، فإذا كثر لم يجز اقتسامه بالتحري، أنظر: الباجي: **تبصرة الحكام**، ص:180.

[4]_فتوى عيسى الغبريني(ق9هـ)، الونشريسي، **المصدر السابق**، 122/8_123.

[5]_فتوى الواغليسي(ق8هـ)، **المصدر نفسه**، ص:128.

[6]_فتوى أبو عبد الله الزواوي(ق8هـ)، **المصدر نفسه**، ص:130.

[7]_مالك بن أنس: **الموطأ**، ص:244، سحنون: **المصدر السابق**، 188/3، ابن رشد الحفيد: **المصدر السابق**، 1610/3.

[8]_ مالك بن أنس: **المصدر السابق**، ص:245، سحنون: **المصدر السابق**، ص:146.

[9]_المراكشي: **وثائق المرابطين والموحدين**، ص:307.

[10]_ سحنون: **المصدر السابق**، ص:150.

ورغم نهي النبي الكريم عن تلك البيوع الفاسدة إلاّ أن المعاملات بين الأرياف والمدن ببلاد المغرب الأوسط لم تسلم من تلك الأصناف، حيث يتم تلقي السلع بظاهر البلد أو ببعض الأخصاص فيشتريها التجار بأثمان بخسة، مما كان يؤثر سلبا على أسعار السلع الريفية واحتكارها[4]، ومن العادات المكروهة في أسواق مدن المغرب الأوسط هي بيع النجش[5]، وهذه الزيادة يطلق عليها في أسواق المغرب باسم "البُرج"[6].

هـ_عيوب البيوع: لم تسلم المعاملات التجارية سواء بالمناطق الريفية أو حتى في أسواق المدن من بعض العيوب، فمن الفلاحين من يشتري سلال التين الشتوي أو الصيفي، لكن بعد إفراغ السلال وجد التين لم يطب، وفي هذه الحالة له الخيار بين ردّ السلعة أو تركها[7]، ومن عيوب البيوع تعبئة العنب والتين في القراطل والسلال ويكون أعلاه خير من أسفله ووسطه، وخلط الزيت الجيد بالرديء وكذلك القمح[8]، ومن اشترى زريعة شعير لكنها لم تنبت، وكذلك زريعة البصل فيجوز ردّ ثمنها إذا تحرى الغرر[9]، والأمر ذاته بالنسبة لزريعة السلق والقرع أو القثّاء[10]، أما من اشترى كرما فظهر لمشتريها أنه شارف فلا يرد به لأنه من العيوب الظاهرة[11].

وشدّدت كتب الحسبة على غربلة القمح والشعير وجميع القطائن (فول، عدس، حمص،...إلخ)، لأن عدم غربلتها تمكن فيها الغَلَث، وبقاؤها من الغش الذي يزداد للبائع في كمية المبيع ونهت أيضا عن خلط القمح بالشعير والجيد بالدّني، والفائق بالردّي[12].

2_فائض الانتاج الزراعي والبستني وعلاقته برخص الأسعار وتطور الصناعة الحرفية:

أ_الانتاج الزراعي والبستني وعلاقته برخص الأسعار:

---

[1]_ابن أبي زيد: **المصدر السابق**، 443/6، 447.

[2]_**نفسه**، ص، ص: 150، 439، ابن رشد الحفيد: **المصدر السابق**، 1649/3.

[3]_بيع العربان هو أن يشتري السلعة ويدفع إلى صاحبها شيئا على أنه إن أمضى البيع حسب من الثمن، وإن لم يمض البيع كان لصاحب السلعة ولم يرتجعه للمشتري، يقال أعرب في كذا وعرّب وعربن، وهو عُربان وعُربون، وسمي بذلك لأن فيه إعرابا وهو بيع باطل عند الفقهاء، لما فيه من الشرط والغرر. أنظر: أحمد الشرباصي: **المرجع السابق**، ص ص:59_60.

[4]_العقباني: **المصدر السابق**، ص:88.

[5]_بيع النجش هو الزيادة التي تعطى لسلعة البائع أكثر من قيمتها، وليس في نفس الشخص نية شرائها، فيقتدي بها الغير.أنظر: العقباني: **المصدر نفسه**، ص:95.

[6]_**نفس المصدر** والصفحة.

[7]_فتوى ابن محرز، البرزلي، **المصدر السابق**، 184/3، فتوى يحي بن عمر(ق4هـ)، الونشريسي: **المصدر السابق**، 410/6.

[8]_فتوى البرزلي(9هـ)، البرزلي، **المصدر السابق**، 184/3_185.

[9]_ابن رشد الجد: **المصدر السابق**، 986/1، فتوى أبا جعفر الداودي(ق4هـ)، البرزلي، **المصدر السابق**، 266/3_267، الونشريسي: **المصدر السابق**، 57/6، أنظر أيضا: عياض: **مذاهب الحكام**، ص:263.

[10]_عياض: **المصدر نفسه**، ص:264.

[11]_فتوى ابن رشد(ق6هـ)، الونشريسي، **المصدر السابق**، 53/6.

[12]_العقباني: **المصدر السابق**، ص:107.

يعتبر السعر المظهر العملي الملموس للقيمة في النظام الاقتصادي القائم على السوق أو التبادل التجاري[1]، ويذكر ابن خلدون[2] بشأن الأسعار: **<<فإذا ستبحر المصر وكثر ساكنه رخصت أسعار الضروري من القوت وما في معناه، وغلت أسعار الكمالي من الأدم والفواكه وما يتبعها، وإذا قلّ ساكن المصدر وضعف عمرانه كان الأمر بالعكس من ذلك،...>>.**

يشير بخس الأسعار إلى الوفرة وغلاؤها إلى القلة أو النذرة، ونتيجة لثراء أغلب أرياف المغرب الأوسط بالمنتجات الزراعية والبستنية فقد أشادت المصادر الجغرافية برخص أسعارها، فكانت سطيف "**رخيصة الأسعار**"[3]، ووصل قنطار العنب في الغدير بدرهم كما أنها رخيصة الطعام واللحم وجميع الثمار[4]، والبركات في معاملاتهم كثيرة[5]، ومدينة القلعة "**من أكثر البلاد قطرا وأكثرها خلقا وأغزرها خيرا وأوسعها أموالا...وحنطتها رخيصة**"[6].

وأشار الرحالة إلى رخص الفاكهة والزروع وسائر الثمار في كل من: بجاية، تدلس[7]، القلعة، وهران[8]، تنس[9]، وتلمسان[10].

ومن المناطق التي عُرفت **برخص الأسعار** فقط، دون التفصيل في نوع السلع الريفية نجد: عنابة (بونة)[11]، قسنطينة[12] وميلة[13]، مليانة[14]، تنس وندرومة[15]، وأوسط الأسعار بمملكة إفريقية في غالب أوقاتها كل قفيز بخمسين درهما من العين، والشعير دون ذلك[16]، سعر كل وسق من القمح أربعون درهما من الدراهم الصغار وهو ثلاث عشرة درهما وثلث درهم من نقرة مصر، والشعير دون ذلك[17]، والأمر ذاته بالنسبة لمملكة تلمسان[18].

---

[1] _جودت عبد الكريم: **المرجع السابق**، ص:158.

[2] _**المقدمة**، ص:453.

[3] _البكري: **المصدر السابق**، ص:76، مجهول(ق6هـ): **الاستبصار**، ص:166، الحميري: **المصدر السابق**، ص:318.

[4] _البكري: **المصدر السابق**، ص:60، الحميري: **المصدر السابق**، ص:427.

[5] _الإدريسي: **المصدر السابق**، ص:162.

[6] _**نفسه**، ص:156، الحميري: **المصدر السابق**، ص:469.

[7] _الإدريسي: **المصدر السابق**، ص:160، 162 على التوالي.

[8] _**نفسه**، ص: 156، الحميري: **المصدر السابق**، ص:132.

[9] _مجهول(ق6هـ): **الاستبصار**، ص:133.

[10] _الإدريسي: **المصدر السابق**، ص:150، الحميري: **المصدر السابق**، ص:135، أنظر أيضا: أبو رميلة: **علاقات الموحدين**، ص:387.

[11] _الحموي: **المصدر السابق**، 512/1، القلقشندي: **المصدر السابق**، 100/5.

[12] _الإدريسي: **المصدر السابق**، ص ص:166_167، الحميري: **المصدر السابق**، ص،ص: 480، 569.

[13] _ الحميري: **المصدر نفسه**، ص:569.

[14] _مجهول(ق6هـ): **المصدر السابق**، ص:176.

[15] _**نفسه**، ص، ص:133، 135، الحميري: **المصدر السابق**، ص، ص:138، 576.

[16] _العمري: **المصدر السابق**، ص:87، القلقشندي: **المصدر السابق**، ص:115.

[17] _ القلقشندي: **المصدر نفسه**، ص:178.

[18] _العمري: **المصدر السابق**، 120/4.

وإشارة مصادر الفترة لرخص الأسعار الريفية بأسواق المدن هي دليل واضح على إشراف أغلب مدن العصر الوسيط على ظهيرها الزراعي والأرياف القريبة منها من جهة، ومن جهة ثانية فهي تؤكد على تحقيق سكان المغرب الأوسط للإكتفاء الذاتي في مجال الغذاء إلى جانب تنوع تلك المصادر المتعددة في أغلب الأوقات.

ورغم كراهة التسعير والنهي عنه[1]؛ إلاّ أنّ هذه الظاهرة قد أثارت جدلا فقهيا بين مؤيد ورافض للفكرة، للفكرة، إذ تشير بعض النوازل إلى حرمة سياسة التسعير لأنه مظلمة في حق التجار والباعة في الأسواق[2] الأسواق[2] سيما في أوقات الغلاء لأن ذلك مقدّر من الله ولا دخل للإنسان فيه[3]، في حين رأى بعض الفقهاء أن التسعير واجب خاصة إذا تعمّد التجار سياسة الغلاء في أوقات الشدة بإخراج ما عندهم من البضائع المحتكرة ومضاعفة أثمانها فإنهم يجبرون على الحط من السعر والإلتحاق بأسعار السوق حتى لا يضرّ ذلك بعامة الناس[4].

وانعدام نظام التسعير في معظم المناطق الريفية يجعل من ساكن الريف، لا يبيع كتاجر ولكنه منتج مرغم على القيام ببعض المبادلات[5]، ولأهمية القمح والشعير فلم يجز لأحد التسعير فيهما لأن ذلك إنما يبيعه جالبوه ولا يترك للتجار يشترونه منهم ليبيعوه على أيديهم، وإنما يجوز التسعير في الزيت والعسل والسمن واللحم والبقل والفاكهة وشبه ذلك، مما يشتريه أهل الأسواق من الجلاب للبيع على أيديهم[6]، ويجب ويجب على دلالي الحنطة أن ينهوا عن الزيادة في الأسعار، ولا يباع من الحنطة مما يعرف أنه محتكر أكثر من قفيز[7].

ورغم كثرة الفتن والحروب وغصب الأعراب وضيق الأسعار في بعض الأوقات أو جلّها فقد شددّ فقهاء المذهب المالكي على كراهة احتكار[8] المواد الغذائية الضرورية من قمح وشعير وزيت[9].

والمؤكد أنّ سكان الأرياف كانوا يتعاملون بالعملة خلال هذه الفترة، بدليل "**بيع قنطار العنب في الغدير بدرهم**"[10]، وسعر البغل يساوي حسب بنيته حوالي 3 أو 6 أو 9 دنانير، وكان الجمل يباع بحوالي 9 دنانير[1].

---

[1]_ابن أبي زيد: **المصدر السابق**، 449/6.

[2]_أحمد بن سعيد المجليدي: **التيسير في أحكام التسعير**، تقديم وتحقيق موسى لقبال، ش، و، ن، ت، الجوائر، (د_ت)، ص:48_49، 52.

[3]_العقباني: **المصدر السابق**، ص:131.

[4]_المجليدي: **المصدر السابق**، ص، ص:53، 55.

[5]_ مزيان: **النظريات الاقتصادية**، ص ص: 353_354.

[6]_رسالة عبد الرؤوف: **ثلاث رسائل أندلسية**، ص ص:88_89.

[7]_ابن عبدون: **ثلاث رسائل أندلسية**، ص ص:41_42.

[8]_الاحتكار هو حبس الطعام للغلاء، واحتكار الطعام هو جمعه وحبسه يتربص به الغلاء وهو مكروه شرعا بشرائط معروفة. أنظر: أحمد الشرباصي: **المرجع السابق**، ص:19.

[9]_سحنون: **المصدر السابق**، 313/3_314، ابن أبي زيد: **المصدر السابق**، 452/6، فتوى اللخمي، البرزلي، **المصدر السابق**، 232/3.

[10]_البكري: **المصدر السابق**، ص:60.

وخلال العهد الموحدي كان أساس العملة الدينار الذهبي والدرهم الفضي، واستعمل المثقال رسميا؛ الذي له نفس وزن الدينار وكذلك الأوقية التي لها نفس وزن الدينار[2]، ومن عادات المغاربة أن يضربوا أنصاف الدرهم وأرباعا وأثمانا من الخراريب فتستريح الناس، وتجري الصروف في أيديهم فتتسع بيعاتهم، وحين قل الصرف أيام يحي بن عبد العزيز، أعطاهم عبد المؤمن بن علي ثلاثة أكياس من صروف كلها[3]، وهذا دليل على وجود نشاط بوجود العملات في ريف المغرب الأوسط خلال هذه الفترة.

ومن المناطق الريفية من كان سكانها لا يتعاملون بالنقود، فتشير إحدى النوازل إلى صاحب إحدى الرحى المائية كان يأخذ في أجرتها الذرة مخلوطا بالشعير[4]، وأجاز الفقهاء بيع طوبة التين بجنس آخر من الطعام سواء كان من المدخرات أو من الفواكه والخضروات، علما ما في ذلك من الوزن أو جهله على حكم الجزاف، إذا كان حاضرا بحاضر يدا بيد[5]، لكننا نجهل الكيفية التي كان سكان المدن يدفعون بها ثمن المواد الغذائية، والتي يتحصلون عليها من الأرياف.

ب_فائض الانتاج الزراعي والبستني وعلاقته بتطور الصناعة الحرفية ذات الأصل النباتي: بفضل المنتجات الزراعية والبستنية قامت بالمغرب الأوسط خلال هذه الفترة بعض الحرف والصناعات منها:

ب1_الصناعة الغذائية: يمكن إجمال أهم الصناعات الغذائية في:

الطحن والخبز: شكل القمح والشعير مادتين غذائيتين أساسيتين لسكان ريف المغرب الأوسط، وتقوم عليهما بعض الحرف والصناعات الغذائية مثل الطحن والخبز.

وللحصول على الطحين الصالح للخبز وغيره كان يتم إمّا عن طريق النساء اللائي كن يقمن بطحنه بالمطحنة اليدوية[6]، المتكونة من قطعتين صخريتين متراكبتين بعمود لتسهيل الحركة، ويتم طحن الحبوب باستعمال القطعة العلوية عن طريق تحريكها باليد، وانتشرت هذه الأداة لدى السكان الريفيين بمنطقة القبائل والشاوية الجبليين[7]،....إلخ، أو عن طريق الأرحاء (الأرحية) المنتشرة في معظم المناطق الريفية مثل: تبسة[8]، متيجة[9]، مليانة[10]، إفكان[1]، وهران[2]، تلمسان[3] التي كان بنهرها الغربي فقط ثلاثة آلاف رحى[4].

---

[1] _الهادي روجي إدريس: **المرجع السابق**، 273/1 وما بعدها.

[2] _ابن صاحب الصلاة: **المصدر السابق**، ص:392.

[3] _المراكشي: **المعجب**، ص:124.

[4] _فتوى أبو عبد الله الزواوي(ق8هـ)، الونشريسي، **المصدر السابق**، 90/5.

[5] _فتوى عبد الرحمن الواغليسي(ق8هـ)، **المصدر نفسه**، ص:88.

[6] _فتوى ابن رشد، الرزلي: **المصدر السابق**، 72/2.

[7] –Emile Laoust : **Mots et choses berbéres**, p.41_44.

[8] _البكري: **المصدر السابق**، ص:146.

[9] _الحميري: **المصدر السابق**، ص:523.

[10] _البكري: **المصدر السابق**، ص:60، الادريسي: **المصدر السابق**، ص:154، الحموي: **المصدر السابق**، 227/5، الحميري: **المصدر السابق**، ص:547.

توضع الأرحاء على ضفاف الأودية والأنهار فإذا خرج الماء أدارها، وإلاّ فإن الناس يرفعون منسوب المياه ثم يدعونها تتساقط كالشلالات فتعمل قوة التساقط على إدارة العجلة، بل هناك الأرحية التي تدار بواسطة الحيوان[5]، ويعمل بهذه المطاحن طحانون يطحنون الغلال للناس مقابل أجر معين[6]، وتقام بين الفلاحين شركات لإقامة أرحاء لطحن الحبوب[7]، ويتم اقتسام الربح مناصفة بين الشركاء[8]، وقد أجاز الفقهاء كراء الأرحاء بالطعام والدقيق[9].

كانت الأرحاء ذات أهمية بالغة في الحياة الريفية، لذلك كثيرا ما تحدث النزاعات والمشاكل بين سكان الريف كإيصال المياه إلى البيوت[10]، وبشأن كراء الأرحاء[11] فإذا كانت مأمونة فلا بأس باكترائها المدة الطويلة، وأما الأرحاء الشتوية التي لا تطحن إلاّ في بعض الأيام لانقطاع مائها فإن ذلك لا يجوز كراؤها إلاّ بعد انصباب الماء إليها، واستقامة طحينها ثم تكرى إلى الوقت الذي يعلم أن مائها لا ينقطع عنها ولا يتبدل عن حالها[12].

ومن الأضرار التي تصيب الأرحاء هي وقوع الفئران في عيون الرحى فتطحنها، وقد أفتى الفقهاء أنه إن كان كثيرا يؤكل وإن كان قليلا فلا[13].

عصر الزيتون: لأهمية هذه المادة الاستراتيجية فقد شدّد المحتسبون على سلامة الزيت المستخلص، بأن منعوا عصر زريعة الكتان بمعاصر الزيتون لئلا تعلق رائحته بالزيت[14]، وأجاز الفقهاء كراء المعاصر بالزيت[15].

لم ترد إشارات كثيرة عن كيفية استخراج الزيت، في المصادر التاريخية والجغرافية، ماعدا ما ذكره الحميري عند حديثه عن بجاية بقوله: **<<ويجلب من أقاليمها الزيت الطيب>>**[16]، وهذا دليل عن وجود

---

[1] _البكري: **المصدر السابق**، ص:51.

[2] _مجهول(ق6هـ): **الاستبصار**، ص:135، الحميري: **المصدر السابق**، ص:613.

[3] _البكري: **المصدر السابق**، ص:76، الادريسي: **المصدر السابق**، ص:150، الوزان: المصدر **السابق**، 20/2.

[4] _أبو الفدا: **المصدر السابق**، ص:123.

[5] _المقدسي: **أحسن التقاسيم**، ص:125.

[6] _السقطي: **آداب الحسبة**، ص ص:16_24.

[7] _فتوى ابن رشد (ق6هـ)، الونشريسي، **المصدر السابق**، 179/8.

[8] _أبو مصطفى: **المرجع السابق**، ص ص:68_69.

[9] _الغرناطي: **المصدر السابق**، ص:187.

[10] _**فتوى عياض**، الونشريسي: **المصدر السابق**، ص: 388_389، 395.

[11] _ابن سلمون: **المصدر السابق**، ص:320.

[12] _المراكشي: **وثائق المرابطين والموحدين**، ص:463.

[13] _فتوى ابن صالح، الونشريسي، **المصدر السابق**، 12/1.

[14] _السقطي: **المصدر السابق**، ص:18.

[15] _الغرناطي: **المصدر السابق**، ص:187.

[16] _**المصدر السابق**: ص:81.

تقنيات خاصة كانت تستخدم في استخراج هذا الزيت، وكان الحصول على الزيت يتم بطريقة بدائية بعضها لا يزال متبعا حتى الآن فكان حب الزيتون يهرس بواسطة عجلة يديرها حيوان ثم يمر الزيتون المهروس إلى المعصرة وتقوم الطريقة التالية على غلي الزيتون ثم عجنه ويترك في أحواض فيطفو الزيت ومردود هذه الطريقة أقل إلاّ أنّ زيتها أجود[1].

واجهت عملية عصر الزيتون أو استخلاص العسل من الشهد بعض المشاكل مثل تواجد الدود بها، حيث أكد الفقهاء على ضرورة إزالة الدود قبل العصر[2].

ونلمح ازدهار زراعة قصب السكر بالجزائر[3]، والمرجح انتشار المعاصر بالمنطقة أيضا ولانتشار الأزهار والرياحين إلى جانب النباتات الطبية فقد عرف السكان كيفية تصنيع ماء الورد والعقاقير والعطور.

تجفيف الفواكه واستخلاص العصائر: اهتم سكان الأرياف بتجفيف الفواكه من ذلك التين الذي كان يعمل "**شرائح على مثال الطوب**" في كل من باجة الواقعة على الطريق ما بين سوق إبراهيم وتنس ومرسى الدجاج[4]، والعنب الذي يُحوّل إلى زبيب، هذا الأخير الذي كان يحمل من بجاية وبونة ولا يزال يُحتفظ باسمه العربي في اللغة الايطالية إلى اليوم[5]، والمؤكد أن سكان ريف المغرب الأوسط خلال الفترة قيد الدراسة، قد جففوا فواكه أخرى لوفرتها، كما تمت الإشارة إليه في مبحث المنتوجات الزراعية.

عرف أهل الريف استخلاص المعاجن أيضا مثل معجون السفرجل[6]، وكان سكان ندرومة يصنعون من الخرّوب عسلا يأكلونه طوال السنة مع اللحوم[7]، وصنع السكان العصائر والخمور من مختلف الفواكه، الفواكه، لكن العنب كان أكثرها استعمالا حيث كانت الخمور تصدر من جيجل إلى بجاية[8].

تصنيع التمور: كانت زراعة النخيل وتصنيع التمور تمثل عصب الحياة قي اقتصاد بلاد الزاب بالرغم من تعدد إنتاجها من الثمار وانتشار الصناعة في بعض مدنها[9].

ب2_الحياكة والنسيج: ما دامت دراستي متعلقة بنشاط الزراعة والبستنة فسأركز الحديث عن النباتات الصناعية خصوصا الكتان، القطن، الحرير،...إلخ.

قبل الحصول على القطن الصافي فإنه يمر بمراحل عديدة مثل الحلج والتنديف، والواضح أن الملاك الكبار كانوا يستأجرون العمال خصيصا لهذا الغرض[10]، أما الحرير فقد ارتبط إنتاجه بزراعة شجر

---

[1] _جودت عبد الكريم: **المرجع السابق**، ص:47.

[2] _فتوى ابن عرفة(ق4هـ)، الونشريسي، **المصدر السابق**، 24/2.

[3] _العمري: **المصدر السابق**، ص:120.

[4] _الإدريسي: **المصدر السابق**، ص، ص:152، 160، الحميري: **المصدر السابق**، ص:539.

[5] _إسماعيل العربي: **العمران والنشاط الاقتصادي**، ص:347.

[6] _جودت عبد الكريم: **المرجع السابق**، ص:111.

[7] _مارمول: **المصدر السابق**، 295/2.

[8] _مجهول(ق6هـ): **المصدر السابق**، ص:128، الحميري: **المصدر السابق**، ص:184.

[9] _أبو الضيف: **القبائل العربية في المغرب**، ص:320.

[10] _فتوى يحي بن عمر(ق4هـ)، الونشريسي، **المصدر السابق**، 428/6.

التوت وتربية دودة الحرير، والجدير بالذكر أنّ ما أوردته المصادر حول زراعة التوت ببلاد المغرب الأوسط كان قليلا وغير كاف لإبراز مكانة البلاد، وخاصة المناطق الريفية منها في صناعة الحرير.

تناولت النوازل[1] الكثير من الإشارات التي تدل على شيوع زراعة الكتان لكن الملاحظ أن الحرير كان يمثل لباسا للأغنياء أكثر من العامة التي ترتدي الملابس الكتانية والقطنية وملابس الصوف وإن كانت هذه الأخيرة لا تدخل ضمن مجال دراستي، ولمّا كانت المناطق الريفية غاصّة بأعداد هائلة من السكان، فإنني أتساءل عن حجم الكثافة السكانية للبسطاء الذين كانت ثيابهم من القطن والكتان؟

عمل سكان الأرياف على نسج القطن والكتان، وكانت النساء الريفيات يتجمعن في مجتمع يسمونه التويزة، يغزلن عند امرأة واحدة، ما تدعوهن لغزله من كتان أو صوف إعانة ورفقا[2]، كما اشتهر أهل ندرومة خاصة بالأنسجة القطنية لأنه يجود بها بكثرة[3]، ونظرا لكثرة المراحل التي كان يمر بها الكتان في صناعته، فقد احتاج لأيدي عاملة كثيرة، وكانت صناعته كثيرة في البيوت الريفية، وكانت النساء هن اللاتي يقمن بها، خصوصا الفقيرات منهن، وحتى نساء الزاهدين والجواري[4].

وهناك حرفة ارتبطت بالصناعة النسيجية ارتباطا وثيقا، وهي حرفة القزازة، المتعلقة بصناعة الخيوط من الصوف أو الكتان أو القطن من أجل غزلها، والملاحظ أن أهل الريف كانوا يعرفون هذه الحرفة، فما داموا يصنعون من الأصواف والكتان والقطن، الألبسة والأغطية والزرابي، فبدون شك أنهم كانوا يمرون بهذه المرحلة.

ومن الحرف التي ارتبطت أيضا بالنسيج هي حرفة الصباغة التي كانت تقام بعيدا عن المساكن وقريبة من الأنهار، ولمّا كان السكان يصنعون النسيج والصناعات الجلدية فقد عرفوا الألوان الأولية والمركبة من لون أحمر وأسود وأبيض وأخضر وأصفر وجوزي،.....ومن مواد الصباغ نجد: النيلة والقرمز والزعفران، التي تناولتها سابقا.

ولقلة الزعفران لجأ السكان إلى استحداث بديل له وهو الطرطار الذي ينبت في الخمر ويصبغ به الصوف أحمر[5]، ولمّا كان أغلب سكان مدينة العبّاد من الصناع ومعظمهم من الصباغين[6]، فإن الأمر يدفعني للتساؤل حول مصدر المواد المستعملة في الصباغة، هل هي من مصدر نباتي؟، وإن كان الأمر كذلك؛ ماهي أهم النباتات المستخدمة في إنتاج الأصبغة من قبل السكان؟

---

[1] _فتوى ابن رشد،**المصدر نفسه**، ص:73.

[2] _محمد عمارة: **المرجع السابق**، ص:132.

[3] _الوزان: **المصدر السابق**، 13/2، مارمول: **المصدر السابق**، 295/2.

[4] _الدباغ: **معالم الإيمان**، 266/2، القاضي عياض بن موسى السبتي: **ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك**، تحقيق محمد بن شريفة، نشر وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، الرباط، (د_ت)، 121/5، فتوى ابن لب، الونشريسي: **المصدر السابق**، 128/4.

[5] _عز الدين أحمد موسى: **المرجع السابق**، ص:231.

[6] _الوزان: **المصدر السابق**، ص:24، مارمول: **المصدر السابق**، ص:323.

ب_3:الصناعة الخشبية: شكلت العديد من أشجار الفاكهة ثروة خشبية هامة دون تحديد مجال استغلالها مثل: الزيتون، التين، العنب والتمر[1]، كما انتشرت صناعة الأواني في مليانة واستخدمت مادتها الأولية من الخشب وكانت هذه الأواني في غاية من الحسن[2]، لكنّ الوزان لم يوضح نوع الأشجار التي استخرجت منها المادة الأولية.

ويمكن استشعار وفرة الثروة الخشبية التي كانت مصدرها أشجار الفاكهة من شهادة الرحالة والجغرافيين بانتشار غابات الجوز في تبسة، وبسكرة التي كانت في غابة كبيرة مقدارها 6 أميال، فمن المؤكد أن جزء كبير من هذه الثروة الخشبية كان مصدرها أشجار الفاكهة، وتسمى بونة بلد العنّاب لكثرته فيها ومنها خشب سقوفهم ووقودهم ومنه جميع ما يتصرفون فيه، وقد أشرت إلى هذه المعلومات ضمن المباحث السابقة لهذه الأطروحة.

تجدر الإشارة إلى أنني قد ارتأيت أن لا أذكر حرفة الفلاحة لأنها كانت تمثل مهنة بديهية لسكان الأرياف، لأن ثراء المغرب الأوسط بالمنتجات الزراعية والبستنية هي دليل واضح على اهتمام السكان بها، كما أنّ الطابع التنظيمي الذي خضع له النشاط الزراعي من حيث عقود: المزارعة، المغارسة والمساقاة بالإضافة إلى الشركة والإستئجار ونظام الضمان أو التعويض هو دليل واضح على امتهان سكان الريف لهذه الحرفة.

المطلب الثاني: مجالات التبادل التجاري للمنتجات الزراعية والبستنية.

1_مجالات التبادل التجاري الداخلي:

أ_التبادل التجاري على مستوى المناطق الريفية: احتوت المناطق الريفية على العديد من الأسواق مثل: مرسى الزيتونة (أول حد جبال الرحمان)[3]، وبقرية الفهمين _الطريق بين القيروان وبونة_ "**سوق جامعة**"[4]، **جامعة**"[4]، وقرية تانسمالت (قرية لازداجة) _الطريق الرابطة بين وهران والقيروان_ بها سوق أيضا[5]، وبدون وبدون شك أن قرية يكسم ذات الزيت الطيب، الواقعة بالقرب من المسيلة[6]، كانت مقصدا للتجار، ومحورا رئيسيا في المبادلات، ومن المؤكد أنها كانت على طرق نشطة وإلاّ لما اشتهرت بجودة زيتها وطيبه.

ونلمح كثرة الأسواق أيضا في كل من: حصن بكر، حصن بلزمة وحصن بسكرة[7]، ثم إنّ سكان قبيلة قبيلة عبد المؤمن بن علي المسماة كومية؛ كانوا أصحاب أسواق يبيعون فيها اللبن[8]، والحطب[1].

---

[1] _أبو كاريوس: **قطف الزهور**، ص:228.

[2] _الوزان: **المصدر السابق**، ص:35.

[3] _البكري: **المصدر السابق**، ص:83.

[4] _**نفسه**، ص:54.

[5] _**نفسه**، ص:72.

[6] _**نفسه**، ص:144.

[7] _الإدريسي: **المصدر السابق**، ص:163، 171، 167 على التوالي.

[8] _ابن أبي زرع: **روض القرطاس**، ص:165.

واشتهار القرى بأسماء الأيام التي كانت تعقد فيها دليل على أن معظم الطرق الريفية كانت نشطة وآمنة، وإلاّ لما اشتهرت بها تلك القرى، مثل قرية سوق الخميس وقرية سوق الاثنين على الطريق بين القلعة وبجاية[2]، وقرية سوق يوسف على الطريق بين قسنطينة وبجاية[3]، لذلك فتواجد هذا النوع من القرى على طرق داخلية تفند ما قيل بأن الطرق بعد الهجرة الهلالية باتت ساحلية وليست داخلية، لكن الواقع أن تحول الوجهة إلى الساحل كان حسب رأيي بصفة جزئية وليس بالكامل.

وفي المقابل نجد أنّ الأسواق قد تأثرت بهذه الظروف أيضا فيذكر الإدريسي[4] بأنّ: **<<لباغاية ربض عليه سور، وكانت الأسواق فيه، وأما الآن فالأسواق في المدينة والأرباض خالية بإفساد العرب لها وهي أول بلاد التمر>>**، وخلال القرون التالية باتت العديد من المناطق تعج بالأسواق الريفية وخاصة الجبلية منها، فقد كان الجبليون من سكان دولة الجزائر، يقيمون فيما بينهم معارض وأسواق لا يوجد فيها غير البهائم والحبوب والصوف[5].

ورغم وجود "أسواق حرة للتجارة" التي كان يعقدها سكان جبل كوكو، أين يتبادلون فيها مبيعاتهم في أمان، علما أنهم كانوا "**أغنياء بزروعهم ومواشيهم**"[6]، وهذا دليل على الأموال التي كانوا يكسبونها من التجارة الريفية، إلاّ أنّ المؤكد أن هذا الأمر كان يخضع لطابع تنظيمي إذ يشكل هؤلاء التجار عصب تلك الأسواق بالقرى والجبال، وهنا أتساءل حول ما إذا كان هناك إشراف مباشر للدولة على المجالات الزراعية؟ أم كان هناك مُلاّكا كبارا يتولون السيطرة على المنتوجات والأسواق الريفية؟

والأسواق أنواع منها:

<u>الأسواق اليومية</u>: هذا النوع هو الأكثر انتشارا في الأرياف، والمرجح أنها تلك التي ذكرت قبل قليل نظرا لحاجة الناس إلى سلعها، والواضح أنها كانت دائمة فيذكر الإدريسي[7]: **<<بالطريق من بجاية إلى القلعة، تخرج من بجاية إلى المضيق إلى السوق الأحد إلى وادي رهت إلى حصن تاكلات وبه المنزل، وهو حصن متسع على شرف مطل على وادي بجاية وبه سوق دائمة>>.**

<u>الأسواق الأسبوعية</u>: يطلق على هذا النوع إسم "**سوق يوم معلوم**"، وكانت تعقد في القرى في يوم معين، حتى أن بعض القرى أخذت إسم سوق؛ متبوع باليوم الذي تعقد فيه مثل: قرية سوق الأحد، وقرية سوق

---

[1] _صالح بن قرية: **المرجع السابق**، ص:56.

[2] _الإدريسي: **المصدر السابق**، ص، ص:163، 164.

[3] _**نفسه**، ص:168.

[4] _**نفسه**، ص:177.

[5] _الوزان: **المصدر السابق**، 46/2.

[6] _مارمول: **المصدر السابق**، 373/2_374.

[7] _**المصدر السابق**، ص:163.

الإثنين وقرية سوق الخميس[1]...إلخ، فمن الجغرافيين من أشار إلى الأسواق الأسبوعية دون ذكر اسم السوق فقد كان "**بحصن أشير زيري سوق يوم معلوم، تجلب إليه كل لطيفة ويباع به كل طريفة**"[2].

أمّا عن الإشارات التي اقترنت بذكر إسم اليوم الذي تعقد فيه الأسواق الأسبوعية مثل: سوق الجمعة الذي كان يعقد في كل من حصن كزناية، قرية ريغة، حصن بني زندوي[3]، أين تباع بهذه الأسواق الأسواق الريفية الكثير من السلع خاصة المنتجات الزراعية والبستنية، ويقصده السكان من كل النواحي، ويعقد بقرية المعسكر إحدى كبريات القرى بإقليم مرتفعات بني راشد: "**سوق كل يوم خميس يباع فيه عدد وافر من الماشية والحبوب والزيت والعسل وكثير من منتوجات البلاد وأشياء أخرى أقل قيمة كالحبال والسروج والأعنة وحاجيات الخيل**"[4].

ب_التجارة بين الريف والبادية: ناذرة تلك المعلومات الواردة بشأن التبادل التجاري بين الأرياف والبوادي، لقلة التوثيق حول هذين النوعين من المجتمعات، فابن خلدون[5] يشير إلى أن بني محمد والمراونة وهم من من بطون كرفة من الأثبج (هلال)، ظواعن جائلة في القفار تلقاء مواطن أولاد نابت_بضواحي أوراس الشرقي وبلاد الزاب_، يكتالون الحبوب لأقواتهم من زروع أهل الجبل.

جـ_التبادل التجاري بين المناطق الريفية والمدن والحواضر: لا سبيل للحديث عن قطيعة ما أو عن علاقة ضعيفة بين البادية والمدينة ولو كان ذلك في فترات الحروب والثورات، إذ لم تكن المدينة قادرة على غلق أبوابها في وجه البضائع والمنتجات الزراعية الوافدة عليها من الناحية[6]، وفي المقابل تقوم المدينة بتزويدها بالمنتجات الحرفية[7].

والملاحظ أن مجالات التبادل بين المناطق الريفية والمدن أيضا تتم في الأسواق، **فالأسواق الدائمة** مقترنة بالمدن أكثر من الأرياف، ونلمح من سلع تلك الأسواق عديد المنتجات الزراعية والبستنية الوافدة من الريف إلى المدينة، إذ احتوت بونة على أسواق حسنة[8]، إذ كانت هذه المدينة كثيرة الرخص والفواكه والبساتين وأكثر فواكهها من باديتها[9]، ولمدينة بادس "**أسواق وبسايط ومزارع جليلة**"[10]، ولنقاوس "**سوق ومعايش كثيرة**"[11].

---

[1] _**نفسه**، ص:163.

[2] _**نفسه**، ص:155.

[3] _**نفسه**، ص:154، 168.

[4] _الوزان: **المصدر السابق**، ص ص:26_27، مارمول: **المصدر السابق**، ص:324.

[5] _**العبر**، 32/6.

[6] _محمد حسن: **المدينة والبادية**، 174/1.

[7] –Amara :**Communautés rurales**, p.193_194.

[8] _الإدريسي: **المصدر السابق**، ص:192.

[9] _**نفس المصدر** والصفحة، الحموي: **المصدر السابق**، 512/1.

[10] _البكري: **المصدر السابق**، ص:74، الحميري: **المصدر السابق**، ص:75.

[11] _ الحميري: **المصدر نفسه**، ص:579.

وفي مواضع أخرى نجد إشارات صريحة لسلع مخصوصة مثل العسل الذي كان متواجدا بكثرة في أسواق بونة[1]، جزائر بني مزغناي ومازونة[2]، وبالخضراء سوق يجتمع إليه أهل تلك النواحي[3]، وكانت متيجة أكثر النواحي كتانا ومنها يحمل[4].

وكانت قسنطينة بالنسبة للفلاحين والرحل في الهضاب العليا مستودعا للقمح والصوف والتمور المجلوبة من الجنوب[5]، وكانت المبادلات التجارية بين تلمسان والأرياف البعيدة تتم عبر سلسلة من الوسطاء، فتلمسان على غرار تونس وفاس كانت محاطة بعدد من المراكز الحضرية التي تكون على صلة بالمناطق الريفية المحيطة، حيث يتم نقل المنتجات الغذائية وغيرها من قبل الريفيين إلى الأسواق الصغيرة لبعض المدن القريبة، وبعدها يتم تحويلها إلى العاصمة تلمسان[6].

ويحمل سكان جبل زانمة (أبي سعيد) منتجاتهم (الشعير، الماعز، العسل والشمع) إلى تنس[7]، وكان سكان سكان هذه الأخيرة يجلبون من النواحي القمح والشعير وغيرها من السلع لبيعها في مناطق أخرى[8]، وبجبل وبجبل بني ورنيد غابات من الأجنة التي تعطي ثمارا كثمار أوروبا تحمل قصد البيع في المدينة[9]، وسكان وسكان مدينة ندرومة يتغدون من ثمار الخروب والعسل التي تنتجها البادية المحيطة بالمدينة[10].

وهذه الحركة النشطة بين المجالين تعود أساسا لثراء المناطق الريفية فإقليم الساحل الخصيب الذي يشهد وفرة في الحبوب أدى إلى ازدهار التجارة في عديد المدن الساحلية مثل تنس، وهران، أرشجول، تلمسان، هنين[11].

وإذا كانت السمة الغالبة على أسواق المدينة هي الديمومة، إلاّ أنّ هناك من المدن من كانت تحتوي على **أسواق أسبوعية** مثل مدينة "زمورة" التي تقام بها سوق يوم الاثنين يقصدها العرب والبربر من سكان تلك الجهات لتصريف بضائعهم وهي أكثر بلاد البربر حنطة وماشية[12]، ولمازونة "**لها سوق معلوم**

---

[1] _ابن حوقل: **المصدر السابق**، ص:77.

[2] _الإدريسي: **المصدر السابق**، 159، 172.

[3] _**نفسه**، ص:154.

[4] _البكري: **المصدر السابق**، 66، الحميري: **المصدر السابق**، 523، الحموي: **المصدر السابق**، 23/5.

[5] _روبير برشفيك: **المرجع السابق**، 419/1.

[6] –Richard Lawless : **Tlemcen capitale du Maghreb central**, p.57.

[7] _مارمول: **المصدر السابق**، 360/2.

[8] _**نفسه**، ص:354.

[9] _**نفسه**، ص:352.

[10] _الوزان: **المصدر السابق**، 14/2.

[11] _سعد زغلول عبد الحميد: **المنصور الموحدي (580_595هـ/ 1184_1199م)**: منشأة المعارف، جلال جزي وشركاه الاسكندرية، (د_ت)، 163/7.

[12] _مارمول: **المصدر السابق**، ص:383.

يجتمع فيه أصناف من البربر"[1]، وكان يعقد السوق كل يوم جمعة خارج مدينة عنابة قرب الأسوار ويستمر حتى المساء، وهذا اعتراف صريح بوجود مبادلات تجارية بين المدن والمناطق الريفية البعيدة[2].

والجدير بالذكر أن خط المبادلات التجارية بين المجالين لم يكن في اتجاه واحد (من الريف إلى المدينة) فحسب؛ بل بالعكس فهناك من سكان المدن من يقصد الأرياف لاقتناء السلع من أسواقها مباشرة، مثل تجار القلعة الذين يتنقلون إلى الأسواق الأسبوعية الموسمية وإلى القرى والبوادي لشراء المنتوج من الفلاحين مباشرة[3]، وكان سكان جبال قسنطينة يقيمون سوقا كل أسبوع في أيام مختلفة، يقصده عدد كبير من تجار قسنطينة والقالة[4].

وإذا كان سكان الأرياف قادرين على تغطية حاجاتهم الغذائية أساسا وبعض المواد الحرفية البسيطة، إلاّ أنهم في المقابل يحتاجون إلى سلع المدينة خصوصا الكمالية منها مثل الأقمشة التي كانت ترد على أسواق جبال دولة قسنطينة من المدن المجاورة[5].

تشير النوازل للمصاعب الجمّة التي يتعرض لها الفلاحين خاصة أثناء عملية تسويق تلك المنتجات، فبعد جمع وحصاد المحصول فإن نقله من البادية إلى الحاضرة كان يتطلب مالا كثيرا خصوصا في فترات الفوضى والحروب[6].

واستعملت في الغالب وسائل النقل البرّية لنقل الحبوب؛ فيتم نقل الزرع من الأرياف إلى المدن بالحمير[7]، واستعملت الجمال في المناطق الصحراوية أو المتاخمة لها حيث تحمل منتجات الجنوب خاصة التمور إلى المناطق الشمالية، وفي المقابل تقوم بنقل منتوجات الشمال والمتمثلة في الحبوب إلى المناطق الصحراوية كما استعملت الأحصنة لسرعتها[8].

وبالنسبة للنقل النهري فقد أشار البكري إلى أنّ قسنطينة كانت على ثلاث أنهار تجري فيها السفن[9]، ومن المحتمل أن تكون هذه السفن تجارية، محملة بمختلف السلع والمنتجات مثل الحبوب التي اشتهرت بها قسنطينة، وأن الطريق المائي شغل دورا مميزا في نقل المواد الغذائية وغيرها من المنتجات والسلع[10]،

---

[1] _الإدريسي: **المصدر السابق**، ص:172، الحميري: **المصدر السابق**، ص:522.

[2] _ الوزان: **المصدر السابق**، ص:62.

[3] _فيلالي : **قلعة بني حماد**، ص ص: 12_13.

[4] _الوزان: **المصدر السابق**، ص:103.

[5] _الوزان: **المصدر السابق**، ص:46.

[6] _فتوى المازري، البرزلي، **المصدر السابق**، 546/1.

[7] _ ابن مريم: **المصدر السابق**، ص:104.

[8] _ عبد العزيز رشيد: **الحبوب في أسواق المغرب الأوسط**، مجلة عصور الجديدة، العدد 11و12، 1434_1435هـ/ 2013_2014م، ص: 98. 98.

[9] _**المصدر السابق**، ص: 87.

[10] _عبد العزيز رشيد: **المرجع السابق**، ص:98.

وبهذا يتضح مدى اعتماد المدن المغربية في تموينها على الأرياف والبوادي، والمرجح أن هذه الأسواق الريفية هي أسواق للجملة اختصت ببيع الحبوب والأصواف وغير ذلك من المواد الفلاحية الخام.

ونستنتج من نوازل المعيار كثرة عدد الفنادق في الحواضر المغربية وهي مؤسسات اقتصادية كان ينزل بها التجار والزُراع الغرباء من الحواضر والقرى[1]، وكانت تحتوي على خانات أو مخازن لحفظ أصناف الفاكهة ومختلف البضائع[2].

ومن الأهمية بمكان الإشارة إلى أنّ اليهود قد لعبوا دورا كبيرا في التجارة الداخلية خاصة في بجاية وتلمسان إلى جانب التجارة الخارجية[3].

د_التبادل التجاري بين مدن المغرب الأوسط: رغم أنّ اقتصاد الكفاف كان هو السائد في بقاع واسعة من العالم الإسلامي، لكن حصيلة المعلومات المتوفرة عن المدن والمناطق التي كانت بعض منتجاتها موجهة للبيع في مناطق أخرى، تدل على أنّ الإنتاج الموجه للسوق كان مزدهرا وإلى حد كبير[4].

تفيدنا كتب الجغرافيا والرحلات أكثر من غيرها من المصادر؛ بمادة غزيرة حول مختلف المنتجات الزراعية والبستنية المتبادلة بين مدينة وأخرى عبر ربوع المغرب الأوسط، فسكان بلد القل يكسبون ثروات عظيمة من تربية دودة القز[5]، وبالرغم من عدم إشارته صراحة إلى المدن لكن نعلم أن هذه الحشرة التي تنتج الحرير الذي تعتبر المادة الأولية لصناعة الأقمشة الحريرية التي مركزها الحواضر والمدن.

ونتيجة لاشتهار جيجل بأنواع عديدة من الفواكه، فقد كانت تحمل منها خاصة العنب والتفاح إلى مدينة بجاية[6]، ومن حصن سطيف يُحمل الجوز لكثرته إلى سائر الأقطار وهو بالغ الطيب حسن، يباع بها رخيصا[7]، كما تزود قسنطينة جميع المدن المجاورة لها من القالة وجيجل[8] وعنابة والقل[9]، بكثير من الزيتون والتين وغيرهما، وتجفف ثمار التين والجوز التي تكثر بجيجل وتحمل قصد البيع في أماكن على امتداد الساحل إلى غاية مدينة تنس[10].

---

[1] _يحي بن عمر(ق4هـ)، الونشريسي، **المصدر السابق**، 426/6.

[2] _عبد العزيز رشيد: **المرجع السابق**، ص: 99.

[3] _Dhina : op.cit, p.357.

[4] _مكسيم رودنسون: **الإسلام والرأسمالية**، ترجمة نزيه الحكيم، دار الطليعة لـ ط، ن، ت، ط4، بيروت، لبنان، 1982م، ص:49.

[5] _مارمول: **المصدر السابق**، 362/2.

[6] _مجهول(ق6هـ): **الاستبصار**، ص:128، الحميري: **المصدر السابق**، ص:184.

[7] _الإدريسي: **المصدر السابق**، ص ص:169_170، الحميري: **المصدر السابق**، ص:318.

[8] _الوزان: **المصدر السابق**، ص:163.

[9] _مارمول: **المصدر السابق**، 3/15_16.

[10] _**نفسه**، 381/2.

ونتيجة لانتعاش تربية دودة القز من قبل سكان شرشال واشتغالهم بصناعة الحرير فقد عاشوا في رخاء دائم حتى تزايد عدد سكانها إلى 200 ألف بيت[1].

وظلت تنس من المدن الزيانية الهامة اقتصاديا، وكان إنتاجها يغذي الأسواق الداخلية على الدوام بما جادت به أراضيها[2]، فسكان المدينة يحملون الكثير من القمح والشعير وغيرها من السلع إلى الجزائر وغيرها من الآفاق، ذلك أنّ هذه البلاد كثيرة الزروع والخصب والمرعى والعسل والشمع[3]؛ ويحمل من مليانة الكثير من الليمون والبرتقال الجيد لبيعها في تنس وغيرها من المدن[4]، ولثراء نقاوس بالبساتين والفواكه المختلفة[5] كان يُتجهز بفواكهها إلى ما جاورها من الأقطار، كما يُحمل الجوز إلى قلعة حماد وإلى وإلى بجاية وإلى أكثر تلك البلاد[6].

وببرشك أجود أنواع التين في افريقيا وتحمل إلى تنس والجزائر وقسنطينة، وإذا كانت يابسة فإنها تحمل إلى جميع مدن بلاد البربر إلى حدود تنس[7]، بالإضافة إلى الكتان الذي ينقل حتى بجاية وتونس ويكسبون ويكسبون من ذلك ربحا حسنا[8].

ونظرا لتنوع الإنتاج الزراعي فقد أدى إلى قيام مبادلات بين الأقاليم المختلفة خاصة بين المناطق الشمالية والجنوبية لبلاد المغرب الأوسط، إذ يستورد سكان تقرت القمح من قسنطينة مقابل التمر[9]، وبوركلة عدد كبير من التجار الأجانب لاسيما من قسنطينة إذ يحملون إليها منتجات بلاد البربر ويستبدلونها بما يأتي به تجار السودان[10]، ولعل أبرز سلع قسنطينة نجد: القمح واللحم والمنتوجات والأقمشة[11].

ولعل انتعاش تجارة قسنطينة قد أدى إلى وفرة منتجات الجنوب خاصة التمور ورخص أسعارها، إذ لا توجد مدينة يباع فيها التمر بثمن بخس كقسنطينة[12]، ولم تكن هذه المدينة هي الوحيدة التي تتعامل مع مدن وحواضر الجنوب فحتى بجاية كانت تتعامل مع بسكرة التي كانت تمولها بالتمور[13].

*** _دور الأعراب في تنشيط المبادلات التجارية الداخلية وتسويق المنتجات الزراعية والبستنية:**

---

[1] _الوزان: **المصدر السابق**، ص:34.

[2] _ بلبشير عمر: **المرجع السابق**، ص: 180. أنظر أيضا: Dhina : op.cit, p.338.

[3] _مارمول: **المصدر السابق**، 354/2.

[4] _الوزان: **المصدر السابق**، ص:35، مارمول: **المصدر السابق**، ص ص:359_360.

[5] _الإدريسي: **المصدر السابق**، ص:165.

[6] _مجهول(ق6هـ): **الاستبصار**، ص:177، الحميري: **المصدر السابق**، ص:579.

[7] _مارمول: **المصدر السابق**، ص:355.

[8] _الوزان: **المصدر السابق**، ص:33.

[9] _**نفسه**، ص:135، مارمول: **المصدر السابق**، 165/3.

[10] _مارمول: **نفس المصدر** والصفحة.

[11] _الوزان: **المصدر السابق**، ص ص: 136_137، مارمول: **المصدر السابق**، ص:166.

[12] _الوزان: **المصدر السابق**، 55/2_56.

[13] _القلقشندي: **المصدر السابق**، ص:107، أبو الفدا: **المصدر السابق**، ص:139.

لعب الأعراب دورا فعالا في تنشيط المبادلات التجارية بين الأرياف والمدن؛ فبخارج عنابة يُبذر فيها القمح حتى أنّ الأعراب لا يحصلون في مقابله على مال فيحملونه للبيع في عنابة[1]، وقسنطينة التي كان سكانها مياسير، وذوي أحوال واسعة ومعاملات للعرب[2]، والأرياف المحيطة بباغاية أيضا يعاملون العرب[3]، وتشير النوازل لهذا التآلف والمعاملات التجارية[4].

وفي المقابل يستفيد هؤلاء من منتوجات الشمال، فقسنطينة كانت تزودهم بالكثير من الزيتون والتين وغيرها[5]، وباقليم نوميديا الأعراب الجمالين يتعاطون تجارة التمر ويأتون بكميات ضخمة من القمح لاستبداله بالتمر[6].

وكانت قبائل المعقل تقوم بمراقبة المسلك الرابط بين سجلماسة وتوات الذي يعتبر طريقا تجاريا هاما، إذ كانوا يقومون بحماية القوافل التجارية مقابل الإتاوة ويشاركون في التجارة بطرق مختلفة[7]، فأكثر معاش سكان القصور الغربية في الصحراء (قصور توات، تيكورارين،...)، من فلح النخل وفيهم التجار إلى بلاد السودان وضواحيهم كلها مشاة للعرب، ومختصهم بعبيد الله من المعقل عيّنتها لهم قسمة الرحلة وربما شاركهم بنو عامر بن زغبة في تيكورارين فتصل إليهم ناجعتهم بعض السنين[8].

أما عبيد الله فلابد لهم في كل سنة من رحلة الشتاء إلى قصور توات وبلد تمنطيت ومع ناجعتهم تخرج قفول التجار من الأمصار والتلول حتى يحطوا بتمنطيت ثم يبذرقون منها إلى بلاد السودان[9].

2_مجالات التبادل التجاري الخارجي:

إذا كانت الدول الحاكمة لا تشرف إشرافا تاما وشاملا على الأسواق الريفية والمعاملات التجارية التي تتم في الأطراف، إلاّ أنّ الأمر يختلف فيما يتعلق بالتجارة الخارجية، ذلك أن الدول الحاكمة وحتى معظم الحواضر الكبرى كانت تتولى "التصدير" ويفهم من عبارة "**يُحمل إلى الآفاق**" على ازدهار النشاط التجاري خارجيا خلال الفترة قيد الدراسة، فمن الفاكهة نجد: **التين** الذي كان وفيرا في كل من بونة[10]، بجاية وشرشال حيث كان يعمل منه: شرائح طوبا منثورا إلى سائر الأقطار[11]، ويحمل **الجوز** من سطيف

---

[1] _ الوزان: **المصدر السابق**، ص:62، مارمول: **المصدر السابق**، 8/3.

[2] _ الإدريسي: **المصدر السابق**، ص ص: 166_167.

[3] _**نفسه**، ص ص: 177_178.

[4] – فتوى المازري، الونشريسي: **المصدر السابق**، 603/9.

[5] _الوزان: **المصدر السابق**، ص:163.

[6] _**نفسه**، 81/1، مارمول: **المصدر السابق**، 32/1.

[7] _ أعفيف: **المرجع السابق**، ص:71.

[8] _ ابن خلدون: **العبر**، 7/ 77.

[9] _ **نفس المصدر** والصفحة.

[10] _ابن حوقل: **المصدر السابق**، ص:77.

[11] _الإدريسي: **المصدر السابق**، ص، ص:160، 161 على التوالي.

ونقاوس إلى سائر الأقطار[1]، وعموما يمكن حصر أهم المجالات الخارجية التي كان المغرب الأوسط يتعامل معها تجاريا فيما يلي:

أ_التبادل التجاري مع بلدان المغرب الإسلامي:

أ1_مع المغرب الأدنى (تونس):

الصادرات: من أبرز المواد الزراعية التي كان المغرب الأوسط يصدرها إلى تونس نجد القمح، لكون سكان تونس لا يستطيعون زرع الأراضي المجاورة لها خوفا من تعسف الأعراب، فكان يجلب القمح من أوراس وخصوصا من عنابة[2]، حيث تأتيها كل سنة سفنا عديدة من تونس وجربة ومن سائر السواحل لشراء القمح القمح والزبد[3]، ولمّا كانت تتس كثيرة الزرع رخيصة الأسعار، فقد كانت تصدرها أيضا إلى بلاد افريقية[4].
افريقية[4].

شكلت الفواكه قسما كبيرا من الصادرات، فمن جيجل يُحمل الجوز والتين إلى تونس في سفن صغيرة[5]، ومن برشك يحمل التين والكتان إلى تونس[6]، ومن "**بلاد بسكرة**" كانت تُجلب أصناف التمر إلى إلى حاضرتي تونس وبجاية[7]، وجوز تبسة الذي يضرب به المثل في إفريقية[8] مما يدل على اتساع تجارته.

الواردات: من المنتجات الزراعية والبستنية التي لم تكن متواجدة بأرض المغرب الوسط فيلجأ السكان إلى استيرادها من الأقاليم والبلدان المجاورة ومن بينها الفستق من قفصة التي تعتبر من أكثر البلاد فستقا، ومنها يجلب إلى إفريقية وبلاد المغرب وبلاد الأندلس ومصر[9].

ولما كانت نقاوس في عهد الوزان ضمن مجال المملكة التونسية، فقد كان تينها المشهور بالجودة الرفيعة يحمل منها إلى قسنطينة التي تبعد عنها ب 80 ميلا[10]، وكانت وركلّة قبلة للكثير من التجار الأجانب لاسيما من تونس الذين يحملون إليها منتجات بلاد البربر، وأبرزها القمح واللحم والمنسوجات والأقمشة[11].

---

[1] _**نفسه**، ص، ص:165، 169_170 على التوالي.

[2] _الوزان: **المصدر السابق**، 75/2.

[3] _**نفسه**، ص:62.

[4] _مجهول(ق6هـ): **الاستبصار**، ص:133.

[5] _الوزان: **المصدر السابق**، ص ص:51_52.

[6] _**نفسه**، ص:33.

[7] _ ابن سعيد: **كتاب الجغرافيا**، ص:126، **بسط الأرض**، ص:60، القلقشندي: **المصدر السابق**، ص:107.

[8] _مجهول(ق6هـ): **المصدر السابق**، ص:163.

[9] _**نفسه**، ص:153.

[10] _الوزان: **المصدر السابق**، ص:53، مارمول: **المصدر السابق**، 383/2.

[11] _الوزان: **المصدر السابق**، ص ص:136_137، مارمول: **المصدر السابق**، 166/3.

وأرجح بأنّ المغرب الأوسط كان يستورد العديد من المنتجات البستنية غير المتواجدة بالريف مثل الموز الذي يكثر بقابس وليس بإفريقية موز إلاّ بها[1]؛ والواضح أن هذه الفاكهة أيضا كانت تُستهلك من قبل الأثرياء وأصحاب الجاه لا غير.

لا تنحصر واردات المغرب الأوسط في المنتجات التي تعجز الأرياف عن إنتاجها لعدم ملائمة البيئة الطبيعية لها فقط؛ بل أحيانا للعجز عن توفير الكميات الكافية لهذا المنتوج أو ذاك، أو لرغبة السكان في اقتناء ما هو أجود، فيلجؤون للإستيراد، فنتيجة لاشتهار توزر قاعدة كور قصطيلية من البلاد الجريدية بكثرة النخل والثمار كانت تقوم بتصديرها لبلاد إفريقية[2]، والواضح أنّ الأجزاء الشرقية لبلاد المغرب الأوسط قد نالت حظها من الواردات القادمة من توزر، و"**من زيت صفاقص يمتار أهل مصر والمغرب وصقلية والروم، وربما بيع الزيت بها أربعين ربعا بمثقال واحد، وهي محط لسفن الآفاق**"[3].

أ2_التبادل التجاري مع المغرب الأقصى:

الصادرات: كانت زروع تنس لرخص أسعارها تحمل إلى بلاد المغرب[4]، ونظرا لتشابه البيئة الطبيعية بين المغربين الأوسط والأقصى، وحالة الأمن التي كانت منتشرة مقارنة بالمغرب الأدنى هو الذي قلّص نسبة صادرات المغرب الأوسط للأقصى، لذلك قلما نجد الإشارات حولها فمن تلمسان يجلب القرمز إلى فاس وسائر بلاد المغرب[5].

الواردات: الملاحظ أنّ قلة إنتاج المناطق الجبلية الغربية للمغرب الأوسط للقمح هو الذي دفع إلى استيرادها من المغرب الأقصى، ذلك أن تجار تلمسان كانوا يتعاطون تجارة كبيرة في مدينة تازا التي كانت تزود بالقمح جميع سكان السهول والجبال المجاورة على مساحة تفوق 30 فرسخا[6]، ومن المنتجات التي كانت دول المغرب الأوسط تستوردها أيضا هي:

قصب السكر: كانت قرية تارودانت من أكثر بلاد الله قصب السكر، ومنها كان يجلب السكر إلى جميع بلاد المغرب والأندلس وإفريقية وهو المشهور عندهم بالطبرزد المذكور في كتب الطب[7]، ويزرع بسبتة قصب السكر ويحمل إلى ما جاورها من البلدان[8].

وزويلة الشهيرة بكثرة الزيتون والزيت الطيب الذي يعم بلاد إفريقية[1]، والمؤكد أنّ بلاد المغرب الأوسط بمدنها وأريافها قد استفادت من هذا المنتوج خاصة الجهات الشرقية منه.

---

[1] _ابن سعيد: **كتاب الجغرافيا**، ص:144، الحميري: **المصدر السابق**، ص:450.

[2] _الحميري: **المصدر نفسه**، ص: 144.

[3] _نفسه، ص:366.

[4] _مجهول(ق6هـ): **المصدر السابق**، ص:133.

[5] _الغساني الشهير بالوزير: **المصدر السابق**، ص:246.

[6] _مارمول: **المصدر السابق**، 272/2.

[7] _مجهول(ق6هـ): **المصدر السابق**، ص ص:211_212، الزهري: **الجغرافيا**، ص:117، الحميري: **المصدر السابق**، ص ص:329_330.

[8] _القلقشندي: **المصدر السابق**، ص:158.

التمر: الملاحظ أن المناطق الشمالية للمغرب الأوسط وخاصة الغربية منها وبحكم القرب الجغرافي كانت أيضا تستورد التمر من المغرب الأقصى، فلكثرة التمر ببلاد السوس، كان يجلب إلى بلاد المغرب والأندلس والروم[2].

ب_التبادل التجاري مع بلدان المشرق:

لمّا كانت القلعة من "**أكبر البلاد قطرا وأكثرها حظا وأغزرها خيرا وأعمّها فواكه وخصبا وحنطتها رخيصة ولحومها طيبة سمينة**"[3]، فقد كانت مقصد التجار وبها تحل الرحال من العراق والحجاز والشام ومصر وسائر بلاد المغرب[4]، ونتيجة لازدهار المغرب الأوسط خلال الفترة الموحدية، الأمر الذي ساهم في توثيق الاتصالات بين المغرب والمشرق خاصة من الناحية التجارية برّا وبحرا، وكانت التجارة مع المشرق تأتي في المرتبة الأولى[5].

ويمكن إجمال أهم الصادرات والواردات الزراعية والبستنية بين الطرفين فيما يلي:

الصادرات: كان اليهود في بلاد المغرب الاسلامي يشرفون على تصدير العديد من المنتجات الزراعية مثل: الزيت، الشمع، الزعفران، نبات الصباغة، قشر اللوز والقمح، التي كانت تصدر بكميات كبيرة لبلاد المشرق[6].

كما قاموا بتصدير العديد من المواد المصنعة ذات الأصول النباتية مثل المنسوجات الكتانية والقطنية التي تتصدر قائمة البضائع المصدرة[7]، ومن صادرات بلاد المغرب إلى الحبشة: التمر والزبيب والحرير[8]، كما كان يجلب إلى جزيرة أقريطش* الزيتون والزيت من إفريقية[9].

الواردات: كان القطن يحمل من مدينة حلب في المراكب إلى سبتة وسائر بلاد المغرب[10]، والمؤكد أن بلاد المغرب الأوسط كانت تستورد جزءا منه.

---

[1]_الإدريسي: **المصدر السابق**، ص:184.

[2] _الزهري: **المصدر السابق**، ص ص:118_119.

[3] _ الإدريسي: **المصدر السابق**، ص:156، الحميري: **المصدر السابق**، ص:469.

[4] _البكري: **المصدر السابق**، ص:49، الحميري: **المصدر السابق**، 470، الحموي: **المصدر السابق**، 390/4.

[5] _الميلي: **المرجع السابق**، 332/2.

[6] _مسعود كواتي: **اليهود في المغرب الاسلامي من الفتح إلى سقوط الموحدين**، ط2، دار هومة، 2000م، ص:123، أنظر أيضا: Dhina, op.cit, p.357.

[7] _مسعود كواتي: **المرجع السابق**، ص:122.

[8] _الزهري: **المصدر السابق**، ص:124، 119.

(*)أقريطش جزيرة في بحر المغرب، يقابلها من برّ إفريقية لوبيا، وهي جزيرة كبيرة فيها مدنا وقرى. أنظر: الحموي: **المصدر السابق**، 236/1.

[9] _الزهري: **المصدر السابق**، ص:132.

[10]_ابن سعيد: **كتاب الجغرافيا**، ص:154.

ولم تكن بلاد المغرب الأوسط بما فيها أريافها تنتج جميع الأنواع النباتية بحكم اختلاف المناخ، فهناك بعض المحاصيل التي يتعذر زراعتها في البلاد لعدم ملائمتها فتلجأ الدول لاستيرادها مثل: جوز الطيب، عود القرنفل، الراوند، القرفة، الزنجبيل،...إلخ، التي كانت تصل إليها عن طريق موانئ الاسكندرية، إلى جانب موانئ عديدة منها الأوروبية أو التعاطي مع تجارة الصحراء[1].

وتستورد من المشرق بانتظام ألوانا من العطور مثل: البخور والمسك وصمغ جاوة والزباد والبرنيق، ومواد الصباغة مثل النيلة والبقّم، والزنجفر والرهيج الأصفر (من سالونيك)، وغيرها من المنتجات[2].

جـ_التبادل التجاري مع الشرق الأدنى والأقصى: كانت إفريقية تستورد منها التوابل وبعض المواد الطبية، وقد ترد عن طريق البر والبحر، وفي أغلب الأحيان عن طريق أحد الموانئ الإيطالية أو عن طريق مارسيليا، ومن تلك المواد نجد: البهارات وكبش القرنفل والقرفة والزنجبيل وجوز الطيب والسنا والمنّ والراوند والزعفران والصبر والدردي والصمغ والبورق والاصطرك والكافور[3].

ويخرج من مكة إلى بلاد المغرب كل ما يخرج إليه من بلاد الهند من العطر والعود والمسك وغيرها[4]، ومن بلاد الحبشة كان يجلب لبلاد إفريقية وغيرها كلا من الجوز واللوز والقسطل والفستق والبندق[5].

د_التبادل التجاري مع المناطق الصحراوية وبلاد السودان:

ابتداءا من القرن 5هـ/11م باتت القلعة من أهم المدن الاقتصادية لارتباطها بالعديد من الأقاليم، لاسيما إفريقيا جنوب الصحراء، لكن بعد الهجرة الهلالية توجهت كل أنشطة إفريقية إلى الساحل مما ساهم في تطور المدن الساحلية خاصة بجاية[6].

ورغم هذا فقد كانت المنتجات الزراعية والبستنية، بضائع أساسية في قائمة التبادل التجاري بالنسبة للتجارة الصحراوية مثل الحبوب، إذ أكّد موريس لومبارد نقلا عن جودت عبد الكريم[7]، أن القمح الذي تنتجه إفريقيا الشمالية يصدر إلى سجلماسة وبلاد السودان بواسطة القوافل، ولعبت العديد من المدن والحواضر دور الوسيط بين تجارة الشمال والتجارة الصحراوية ولعل أهمها:

---

[1] _ إسماعيل العربي: **العمران والاقتصاد**، ص:345، لطيفة بشاري: **التجارة الخارجية لتلمسان في عهد الإمارة الزيانية من القرن 7إلى 10هـ/13_16م**، رسالة ماجستير، إشراف موسى لقبال، جامعة الجزائر، 1406_1407هـ/1986_1987م، ص:283.

[2] _برنشفيك: **المرجع السابق**، 270/2.

[3] _نفسه، ص ص:269_270.

[4] _الزهري: **المصدر السابق**، ص:36.

[5] _**نفسه**، ص:131.

[6] _ Claudette Vanacker : **Géographie économique de l'afrique du nord** , p.660, 662.

[7] _**المرجع السابق**، ص:216.

***بجاية:** ساهمت العلاقات الودية بين الحماديين والمرابطين في جعل بجاية من أهم مراكز التجارة في السلع الواردة من السودان[1].

***تلمسان:**ظلت تلمسان تشكل مرحلة هامة بين أوروبا وبلاد السودان حتى نهاية العصر الوسيط[2]، وهو ما يؤكد استمرار العلاقة بين المجالين بالرغم من سيطرة الأعراب وحالة اللاأمن التي عاشها المغرب الأوسط من فترة لأخرى، وظلت هذه المدينة قِبلة للتجار من سائر الأقطار، الأمر الذي ساهم في ثراء أهلها، فقيل أنه لم يكن في بلاد المغرب بعد أغمات وفاس أكثر من أهل تلمسان أموالا وأرفه حالا[3].

فمن مبادلاتها التجارية مع بلاد السودان نجد تصديرها لكميات كبيرة من القطن إلى جانب استيرادها للجوز والتوابل[4]، كما عملت الدولة الزيانية إلى إعادة توجيه بعض السلع مثل الحرير المصبوغ المتقن الصنع المستورد من أوروبا (البندقية وجنوة)، والأندلس ليعاد تصديره إلى بلاد السودان حيث يقبل عليه الموسرون من السكان[5].

***وركلة:** التي كانت قبلة لعدد كبير من التجار الأجانب لاسيما من قسنطينة وتونس الذين يحملون منتجات بلاد البربر ويستبدلونها بما يأتي به التجار من بلاد السودان[6] ، لذلك فقد شكلت هذه الحاضرة قبلة لتجار المجالين، وقد لعب تجار وركلان دور الوسيط في تجارة التمور المصدرة من بلاد الزاب إلى بلاد السودان[7].

وما زاد في قيمة توات الشهيرة بمنتجاتها البستنية (تمور، أعناب، فواكه متنوعة...)، أنها باتت خلال القرن 8هـ/14م محط ركاب التجار المترددين من المغرب إلى بلد مالي من السودان، ومن بلد مالي إليه[8].

***منطقة ميزاب:** الواقعة على رأس خط تجاري يلتقي فيه تجار الجزائر وبجاية بتجار أرض السودان، وسكانها أغنياء من هذه التجارة[9].

ومن المناطق الجنوبية التي كانت تتعامل مع بلاد السودان نجد منطقة تيكورارين الشهيرة بحدائق النخيل وسكانها أغنياء، لأنهم اعتادوا الذهاب بسلعهم لبلاد السودان[10]، والملاحظ أن النسبة الكبيرة من سلعها هي التمور لاشتهار المنطقة بهذا المنتوج الغذائي الوفير.

---

[1] _عز الدين أحمد موسى: **المرجع السابق**، ص:265.

[2] _الوزان: **المصدر السابق**، 23/2.

[3] _أبو رميلة: **المرجع السابق**، ص:387.

[4] _لطيفة بشاري: **المرجع السابق**، ص:254، 283_284.

[5] _**نفسه**، ص:255.

[6] _الوزان: **المصدر السابق**، ص ص:136_137، مارمول: **المصدر السابق**، 166/3.

[7] _الإدريسي: **المصدر السابق**، ص:34، الحميري: **المصدر السابق**، ص:64.

[8] _ابن خلدون: **العبر**، 77/7.

[9] _الوزان: **المصدر السابق**، ص:135، مارمول: **المصدر السابق**، ص:164.

[10] _الوزان: **المصدر السابق**، ص:133، مارمول: **المصدر السابق**، 163/2.

***دور الأعراب في المبادلات التجارية الخارجية على مستوى الطريق الرابط بين المشرق وبلاد السودان:** إلى جانب سيطرة العرب على طرق التجارة الداخلية، فقد قاموا أيضا بالسيطرة على التجارة الخارجية خصوصا بلاد السودان[1]، وكان لإمارة بسكرة مواصلات تجارية مع أهالي السودان وما حولها[2].

حولها[2].

هـ_التبادل التجاري مع بلاد الأندلس الإسلامية: إنّ إحتواء بلاد المغرب الأوسط على شريط ساحلي طويل مزود بالعشرات من المراسي (الموانئ)، قد ساعد على إقامة علاقات تجارية مع بر الأندلس وباقي الممالك الأوروبية النصرانية؛ وعموما يمكن إجمال أهم الصادرات والواردات بين الطرفين في:

الصادرات: تتصدر الحنطة وسائر الحبوب قائمة الصادرات، فتُحمل من تنس عبر السفن[3]، وتصدر البلاد الشرقية للأندلس منتوجات الكتان[4]، ومن أحواز بجاية وأرياف سطيف يُجلب نبات الأرجنقة المستخدم في الصباغة لبلاد الأندلس[5].

والملاحظ أنّ هذه العلاقات الطيبة بين المغرب الأوسط والأندلس الإسلامية كانت مستمرة طيلة العصر الوسيط حتى الفترة الزيانية، فكان أبا حمو الثاني يمد أهل غرناطة كل سنة بالزرع والمال والخيل، وييسر لهم أسباب وسق الطعام، ويعزى هذا التعاون إلى تخوف بني الأحمر من مزاحمة بني مرين لهم بالأندلس لذلك مدّوا أيديهم إلى يغمراسن بن زيان[6].

الواردات: استورد المغرب الأوسط العديد من المحاصيل الزراعية التي عجز عن تحقيق الاكتفاء الذاتي في انتاجها، فقد كانت لقنت والمرية وقرطبة تصدر للمغرب الحبوب والكتان والأخشاب[7]، وجل تجارة أهل إشبيلية الزيت الذي يتجهزون به إلى المشرق والمغرب برّا وبحرا[8]، ونتيجة لاشتهار إشبيلية بجودة فواكهها مثل التين والزيت، فقد كانت تقوم بتصديرها إلى وهران عبر المراكب مرورا بالعديد من المحطات والطرق التجارية مثل بادس وغيرها[9]، ومنها يُحمل القطن إلى جميع بلاد الأندلس والمغرب[10].

---

[1] _أبو الضيف: **المرجع السابق**، ص،ص: 327، 338.

[2] _الميلي: **المرجع السابق**، 364/2.

[3] _مجهول(ق6هـ): **المصدر السابق**، ص:133، ابن سعيد: **الجغرافيا**، ص:126، **بسط الأرض**، ص:60.

[4] _الميلي: **المرجع السابق**، 448/2.

[5] _ابن البيطار: **المصدر السابق**، 28_27/1.

[6] _الميلي: **المرجع السابق**، 448/2.

[7] _أبو رميلة:**المرجع السابق**، ص:384.

[8] _الحميري: **المصدر السابق**، ص:56.

[9] _عبد الحق بن إسماعيل الباديسي: **المقصد الشريف والمنزع اللطيف في التعريف بصلحاء الريف**، تحقيق سعيد أعراب، ط2، المطبعة الملكية، الرباط، 1414هـ/1993م، ص:106.

[10] _الحموي: **المصدر السابق**، مادة إشبيلية، 195/1.

ومن المنتجات التي صدرتها بلاد الأندلس لبلاد المغرب كلها نجد: التين واللوز والعقارات الطبية مثل القسط الطيب والسنبل الطيب والجنطيانة، ومواد الصباغة مثل قرمز إشبيلية ولبلة وشذونة وبلنسية[1]، والصمغ السماوي، بالإضافة إلى زعفران طليطلة وبيّاسة[2]، وعروق الزنجبيل[3].

إذا كنت ضمن العرض السابق قد أسهبت في الحديث عن الواردات بشكل عام، والتي تشمل منتجات معروفة لدى العام والخاص؛ فإن هناك من المحاصيل التي لا تنتجها بلاد المغرب الأوسط ويتم استيرادها؛ لكن الملاحظ أنّ استهلاكها اقتصر على الملوك وأصحاب الجاه كما هو الحال بالنسبة "**للقهوة**" التي كانت من المشروبات المفضلة لأمير إفريقية يحي بن تميم بن المعز الصنهاجي أبو علي(501_507هـ/1107_1113م)[4].

و_التبادل التجاري مع المدن الإيطالية والممالك النصرانية:

إذا كانت أغلب المؤلفات قد ركزت على تصدير بلاد المغرب الأوسط للأصواف والجلود خلال القرون الثلاثة الأخيرة من العصر الوسيط، بسبب انتشار النمط البدوي على حد تعبيرهم[5]، فإن الحبوب قد قد شملت قسما كبيرا من الصادرات خلال هذه الفترة[6]، إذ أقام حكام المغرب الأوسط علاقات تجارية مع باقي الدول والممالك الأوروبية النصرانية؛ وشجع الحماديون التجارة مع المدن الإيطالية[7]، مثل: البندقية، بارى، سلرن، مافي (أمالفي)، نابلي، والتي كانت تابعة إسميا لسلطان بيزنطة لكنها تقيم علاقات تجارية وثيقة مع موانئ المغرب في أواخر ق 4هـ وأوائل ق 5هـ/10_11م[8].

---

[1]_المقري: **نفح الطيب**، 152/1، 141 على التوالي.

[2]_**نفسه**، 143/1_144، 217/3.

[3]_**نفسه**، 144/1.

[4]_حُكي عنه؛ قال أبو الصلت كنا بين يديه في يوم من شعبان شديد البرد فقال بديها:

أما ترى القرّ قد وافت عساكره فادفعه منتصـــرا بالفرو والشـــرر

و**قهوة** عتّقت في الدنّ صافية يصفو بها عيش حاسيها من الكدر، أنظر: محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي المعروف بابن الأبار: **الحلّة السيراء**، حققه وعلّق على حواشيه: حسين مؤنس، ط1، ط2، دار المعارف القاهرة، 1963م، 1985م، 189/2_190.

وللأديب أبو الوليد إسماعيل بن محمد الملقب بحبيب (ت440هـ/م)، صاحب الكتاب المسمى بـ "البديع في فصل الربيع؟"، جمع فيه أشعار شتى، وكانت **القهوة** من ضمن الأشعار التي شملتها أوصافه.أنظر: أبو الحسن علي بن بسام الشنتريني: **الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة**، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، لبنان، 1417هـ/ 1997م، ق2، مج1، ص:124_125، 133، 156 على التوالي.

[5]_من بين تلك المؤلفات نجد: محمد حسن: **المدينة والبادية**، 474/2_475، 477_480، 484_487، Dominique Valérian : **Les Archives de Marsielle**, p.19.

[6]_Dhina : op.cit, 344_345.

[7]_ عز الدين أحمد موسى: **المرجع السابق**، ص: 265، ريحاب محمد كمال محمد أحمد المغربي: **التجارة في عصر بني حماد (408_457هـ/ 1017_1152م)**، إشراف البيومي إسماعيل الشربيني، علاء طه رزق حسين، كلية الآداب، جامعة دمياط، 1436هـ/2015م، ص:2.

[8]_إسماعيل العربي: **العمران والنشاط الاقتصادي**، ص:343.

وتجدر الإشارة إلى أنّ العلاقات الأوروبية المغربية خلال ق 6هـ/12م والسنين الأولى من ق7هـ/13م كانت جوهرية في التاريخ الاقتصادي لعالم حوض البحر الأبيض المتوسط[1].

وبالرغم من أنّ الخلفاء الموحدين والملوك النصارى قد حرّموا على رعاياهم معاملة رعايا الطرف الآخر تجاريا، وفي هذا الصدد تذكر نجاة باشا نقلا عن أبي رميلة[2]:**<<وكانت السلطة الإسلامية من جهتها تقرر التحريمات المتعددة ولا سيما فيما يخص القمح والمواد الغذائية والخيل والعتاد الحربي والرقيق من المسلمين>>**، إلاّ أنّ الأمر لم يخل من وجود علاقات اقتصادية بين المسلمين والنصارى وبين المدن الأندلسية والمدن النصرانية على مستوى فردي ضعيف[3] .

كما أشار عبد الواحد المراكشي[4]، إلى وجود خطابات بين تجار المغرب والإفرنج (البيشيون خصوصا)، الذين كانوا يقايضون القمح بالصوف والجلود والشمع والزعفران، وظلت هذه المبادلات التجارية مستمرة طيلة العصر الوسيط، ولعل وجود المرسى المسمى "بمرسى الجنويين" بمدينة إستورة[5]، دليل واضح على وجود تبادل بين الطرفين.

ورغم كل الظروف ظل هذا التبادل موجودا، فلمستغانم ميناء صغير كثيرا ما يقصده السفن الأوروبية، لكن أصحابها لايحققون أرباحا لشدة فقر السكان[6]، وفي المقابل هناك مدنا أخرى كانت في رغد من العيش لتعاطيها التجارة مع أوروبا مثل: بجاية[7] وشرشال[8]، وتلمسان التي احتوت على مينائين مشهورين هما : ميناء وهران وميناء المرسى الكبير، الذين يقصدهما عددا وافرا من تجار جنوة والبندقية حيث يتعاطون تجارة نافقة عن طريق المقايضة، لكن هذه التجارة تراجعت بسبب سقوط المينائين في يد الملك فرديناند[9]، وعموما يمكن حصر أهم الصادرات والواردات من المنتجات الزراعية والبستنة فيما يلي:

الصادرات:

***الحبوب والزيت:** أكّد موريس لومبارد بأن القمح الذي تنتجه إفريقيا الشمالية كان يصدر بواسطة السفن إلى الصقالبة[10]، وفي الوقت الذي تشير فيه أغلب الدراسات إلى تراجع الإنتاج الفلاحي وتدهور الأرياف جرّاء الهجرة الهلالية، تشيد مصادر الفترة بمحافظة بعض المناطق الريفية على ازدهارها في إنتاج

---

[1] _جمال أحمد طه: **دراسات في التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للغرب الإسلامي**، ط1، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، 2008م، ص:45.

[2] _**المرجع السابق**: ص:391.

[3] _**نفسه**، ص:398.

[4] _**وثائق المرابطين والموحدين**: ص:231.

[5] _مارمول: **المصدر السابق**، 26/3.

[6] _الوزان: **المصدر السابق**، 32/2.

[7] _مارمول: **المصدر السابق**، 366/2.

[8] _الوزان: **المصدر السابق**، ص:34.

[9] _**نفسه**، ص:9.

[10] _جودت عبد الكريم: **المرجع السابق**، ص:216.

الحبوب، ولعل هذا الرخاء قد جعلها مركزا مهما لتصديرها للخارج، خاصة للعالم المسيحي فخلال الفترة الموحدية شهدت وهران مبادلات تجارية مع الإسبان القادمين بالزيت واستبداله بالمواشي والحبوب[1].

وبالرغم من أنه لاتوجد لديّ إحصائيات دقيقة حول ما كانت تصدره المملكة الحمادية إلى أوروبا من زيت الزيتون والحبوب ولكن الاتفاقات التجارية التي عقدت بين حكام المغرب والبندقية والجنويين في أوائل ق7هـ/13م لاتدع مجالا للشك في أهمية التجارة في هذه المواد مع أوروبا[2]، مثل تصدير حبوب بونة[3] وتلمسان لإيطاليا[4]، وكذلك تسويقها عن طريق ميناء تنس[5].

منح أبا زكريا إمتيازا للجنويين من ضمن شروطه الإشتراك مع المسلمين في البحر المتوسط على أن يتحصلوا مقابل ذلك على حق توريد القمح من إفريقية بدون رسوم خلال سنوات الجذب[6]، ولئن كانت هذه الأخيرة تستورد القمح من إيطاليا الجنوبية على نطاق واسع، فإن الجمهوريات التجارية في إيطاليا الشمالية كانت تسعى إلى جلب الحبوب من بلاد المغرب، وقد ورد ذكر الحبوب والدقيق في تعريفة تابعة للبندقية مؤرخة في حدود 1500م، من بين البضائع التي كانت البندقية تستوردها من عنابة وبجاية[7].

وصدرت بجاية الحفصية أيضا القمح إلى مرسيليا وقطالونيا[8]، ومنذ العهد الروماني كانت إفريقية تصدر الزيت المستخرج من زياتينها، واستمرت في ذلك حتى نهاية العصر الوسيط، رغم انخفاض المساحة المخصصة لزراعة الزياتين، وقد بيّنت عدة نصوص مساهمة التجار الجنويين والبنادقة والقطلونيين في تلك الحركة[9].

وباقليم متيجة تعتبر سهول المنطقة الأخصب والأكثر إنتاجا، حيث كانت أريافها تموّل المناطق المجاورة وحتى تلك المطلة على البحر الأبيض المتوسط[10]، وكانت تلمسان تصدر كميات من القمح إلى أوروبا فتحملها السفن من وهران إلى مرسيليا ومن هنين إلى المرية[11]، وبات ميناء أرزيو خلال الفترة الزيانية ميناءا خاصا بتجارة الحبوب أكثر من أي مكان آخر، أين ربط البلاد مع العالم المسيحي خاصة

---

[1]–Claudette Vanacker: **Géographie économique de l'afrique du nord**, p.662.

[2] _إسماعيل العربي: **العمران والاقتصاد**، ص ص:346_347.

[3]–Dhina: op.cit, p.333.

[4]–Richard Lawless: **Tlemcen capitale du Mahgreb central**,p.62.

[5]–Dhina:op.cit, p.337_338.

[6] _برنشفيك: **المرجع السابق**، 57/1.

[7] _**نفسه**، 272/2.

[8]–Elie de la Primaudie, **Le commerce et la navigation de L'algerie,** Revue Algerienne et coloniale, Juin 1860, chapitre 7, Bougie, p.165.

[9] _برنشفيك: **المرجع السابق**، ص:273.

[10]–Dhina :op.cit, p.338.

[11] _لطيفة بشاري: **المرجع السابق**، ص:241.

قطالونيا والبندقية[1]، كما صدرت هذه الإمارة كميات من الشعير إلى أوروبا خاصة مرسيليا واحتكر تجار برشلونة كميات هامة من شعير المغرب الأوسط[2].

وخلال الفترة الزيانية شكلت تجارة الزيت أيضا عماد تجارة تلمسان لإشراف هذه الأخيرة على غابات واسعة ممتدة عبر شمال وغرب المدينة[3]، فصدرت الزيت إلى إيطاليا[4] وأراغون[5].

***مواد غذائية أخرى:** كان البنادقة يرغبون كثيرا في لوز وزبيب بجاية وعنابة، ففي عام 630هـ/1234م وجّه أحد التجار المرسيليين إلى بجاية حمولة سفينة لبيعها هناك، فتم تحويل تلك البضاعة إلى ما يقابل قيمتها من اللوز[6]، وصدرت المملكة الزيانية الحبوب الجافة أيضا لمملكة أراغون والتمور إلى مختلف الدول الأوروبية[7]، والعسل إلى ميورقة والزنجبيل والشمع إلى الأسواق الأوروبية عبر موانئ وهران، مستغانم، تنس وشرشال[8].

ومن صادرات بجاية الحفصية إلى كل من مرسيليا وقطالونيا نجد: العسل، الكتان، الكرموس، التمور، الفواكه الجافة، ثمار العِنّاب....إلخ[9].

***النباتات الزراعية:** صدر المغرب الأوسط لأوروبا أيضا العديد من المواد النباتية مثل النيلة وورد النيل _وهو نبات عشبي للصباغة ينمو بكثرة في منطقة وهران[10]_، وقشر الدبغ (لحاء بجاية)، الذي يستورده الإيطاليون من ميناء بجاية[11]، وعنابة والقل وسائر موانئ الإمارة الزيانية، بالإضافة إلى القطن وإن كان يُصدر بكميات قليلة مقارنة بالمحاصيل السابقة[12]، وكذلك شمع بجاية[13].

ومن جملة البضائع المصدرة من بلاد المغرب إلى جنوب فرنسا نجد: القطم، الحرير، الكتان، الزيت، الغلال (قمح، شعير، فول، بلح، عنب)، النيلة، الزعفران، قشر اللوز، الأعشاب الطبية، البهار والقرنفل[14]،

---

[1]–Elie de la Primaudie : op.cit, p.234.

[2]_لطيفة بشاري: **المرجع السابق**، ص:243.

[3]– Elie de la Primaudie : op.cit, p.276.

[4]_لطيفة بشاري: **المرجع السابق**، ص ص:243_244، Richard Lawless : op.cit, p.62.

[5]–Ibid, p.62.

[6]_برنشفيك: **المرجع السابق**، 274/2، أنظر أيضا: Dominique Vlérian : **Les Archives de Marcielle**, p.24 .

[7]–Richard Lawless : op.cit, p.62.

[8]_لطيفة بشاري: **المرجع السابق**، ص، ص: 257، 262، أنظر أيضا: Tahar Mansouri : **Produits agricoles**, p.133.

[9]–Elie de la Primaudie, op.cit, p.165.

[10]_لطيفة بشاري: **المرجع السابق**، ص ص:252_253.

[11]_**نفسه**، ص:253، إسماعيل العربي: **العمران والنشاط الاقتصادي**، ص:346، Mansouri, op.cit, p.133, Elie de la Primaudie, op.cit, p.165.

[12]_لطيفة بشاري: **المرجع السابق**، ص:255.

[13]–Elie de la Primaudie, op.cit, p.165, Mansouri, op.cit, p.133, Valérian, op.cit, p.24, 26.

[14]_جمال أحمد طه: **المرجع السابق**، ص ص:34_35.

والصادرات الآنفة الذكر، تؤكد على توجيه مدينة العصر الوسيط لنشاط معظم الأرياف ووضع يدها على منتجاتها.

استمرت العلاقات التجارية بين بلاد المغرب الأوسط والعالم المسيحي حتى نهاية العصر الوسيط، فقد ظلت السفن القادمة من البندقية إلى ميناء هنين سنويا تحقق أرباحا كبيرة مع تجار تلمسان، وظل هذا الميناء قطبا تجاريا هاما خاصة بعد سقوط وهران في يد الإسبان[1]، ورغم أن المصادر لم تحدد نوع المنتجات بالضبط، سواء من ناحية التصدير أو الإستيراد إلاّ أنّ ثراء الأرياف المحيطة بمدن المغرب الأوسط بمختلف المنتجات الزراعية والبستنية قد شكلت قسما هاما من تلك البضائع المُتجّر بها.

وعنابة التي تأتيها سفن جنوة لشراء القمح والزيت[2]، وشرشال التي كانت تصدر الحرير لانتعاش تربية دودة القز بها، والملاحظ أن تجارتهم كانت مزدهرة بفضل سفنهم البحرية التي استخدموها خصيصا لهذا الغرض[3].

إذا كانت الإشارات الآنفة الذكر تؤكد على سيطرة الدول الحاكمة على التجارة الخارجية (الأوروبية) إلاّ أنني لمحت في بعض المناطق وخاصة في نهاية العصر الوسيط غياب إدارة فعلية وإشرافا مباشرا للسلطة الحاكمة، ذلك أن سكان جبل سكيكدة كثيرا ما كانوا يتّجرون مع الجنويين فيدفعون لهم القمح مقابل أقمشة وغيرها من منتوجات أوروبا[4].

وشكلت بعض المدن نقطة عبور للسلع الريفية إلى أوروبا مثل تنس؛ إذ يحمل سكان جبل زانمة (أبي سعيد) منتجاتهم: الشعير، الماعز، العسل، الشمع إلى هذه المدينة حيث يبيعونها لتجار أوروبا وغيرهم[5].

الواردات: الحبوب: كانت إفريقية تقوم باستيراد القمح من صقلية بموجب معاهدة عقدت عام 576هـ/ 1180م، في عهد يوسف بن عبد المؤمن والتي كان يحملها تجار بيشة إلى مراسيها لكثرة القمح عندهم، ولحاجة إفريقية له بسبب الظروف المناخية السيئة أحيانا ولعدم الاستقرار والأمن من جهة ثانية[6].

وفي فترات المجاعات والحروب والحصارات، وعلى إثر انخفاض إنتاج القمح تلجأ الإمارة الزيانية[7] والحفصية[8] إلى استيراده من أوروبا.

الزيت: خلال الفترة الموحدية كان الزيت من جملة الواردات القادمة من إسبانيا إلى وهران[9].

---

[1]_الوزان: **المصدر السابق**، 15/2، مارمول: **المصدر السابق**، 296/2.

[2] _الوزان: **المصدر السابق**، ص:62.

[3] _**نفسه**، ص:34.

[4] _**نفسه**، ص:55، مارمول: **المصدر السابق**، 7/3.

[5] _الوزان: **المصدر السابق**، ص:45، مارمول: **المصدر السابق**، 360/2.

[6]_**رسائل موحدية**، 89/2_90، 240.

[7]_لطيفة بشاري: **المرجع السابق**، ص:285.

[8]–Valérian, op.cit, p.18.

[9]–Claudette Vanacker : op.cit, p.662.

ومن الأهمية بمكان الإشارة إلى أن استيراد بعض المحاصيل الزراعية مثل القمح، الزيت،...إلخ، لايفسّر أحيانا بالحاجة المطلقة لها، بل إن الأمر يعزى إلى وجود فوارق بين الزيوت من حيث الجودة والثمن، الأمر الذي يفسر تلك الحركة المزدوجة بين البندقية وبجاية، كما أنه توجد بعض التغيرات المحسوسة بالنسبة لأهمية كلاّ من المحاصيل المحلية والأجنبية مما كان له الدور في التحكم في اتجاه تلك المبادلات[1].

***مواد زراعية أخرى:** تشير المصادر إلى أنّ عود البقس (البقم)، الذي كان ينمو بجبل أطْرِيجِرَشْ الفاصل بين بلاد الأندلس وبلاد الإفرنج كان يجلب إلى الأندلس والمغرب[2].

ومن جملة واردات إمارة بجاية خلال الفترة الحفصية نجد: التوابل الشرقية التي تصل إلى مرسيليا ليعاد توجيهها إلى الأسواق الإفريقية، بالإضافة إلى الزعفران، مسامير القرنفل، الزنجبيل، أعواد القرفة القادمة من المشرق (سوريا وفلسطين) ثم إلى مصر ثم عبر أوروبا لتصل إلى بجاية[3]، كما تقوم باستيراد بعض المواد الغذائية مثل: السكر، الحبوب، القسطل[4]، القطن والحرير الخام والمفتول وكذلك القنب[5]، وعموما فهذه العلاقات التجارية تبين أنّ إفريقية خلال العهد الحفصي كانت تصدر أقل مما تستورد[6].

والجدير بالذكر أنّ هناك إشارات للرحالة والجغرافيين التي لم توضح أي مجال من مجالات التبادل التجاري إن كانت داخلية أو خارجية ومع أي طرف كانت تتم؛ من ذلك: الحنطة والشعير التي كانت تزيد عن حاجة أهل شرشال[7]، والكتان الذي يحمل من قزرونة[8] والفواكه المتنوعة من بونة[9] ومازونة[10] وغيرها وغيرها من المناطق الريفية المزدهرة.

ومن خلال عمليات التصدير والإستيراد يبدو أنّ التجارة مع السودان كانت تقوم على المقايضة ومع المشرق والبلاد الأوروبية كانت قائمة على العملة الذهبية[11]، رغم أن عز الدين أحمد موسى يؤكد في موضع آخر أن اشتهار واركلان خلال القرن 6هـ/12م قد جعل من الدينار الوركلاني ذا شهرة واسعة بفضل ذهب السودان[12].

---

[1]_برنشفيك: **المرجع السابق**، ص:269.

[2] _الزهري: **المصدر السابق**، ص:80.

[3]–Valerian, op.cit, p.17_18.

[4]–Ibid, p.18.

[5]_برنشفيك: **المرجع السابق**، 270/2، Valérian, OP_SIT, p : 26.

[6]_برنشفيك: **المرجع السابق**، ص:277.

[7] _الإدريسي: **المصدر السابق**، ص:159.

[8] _البكري: **المصدر السابق**، ص:66.

[9] _ابن حوقل: **المصدر السابق**، ص:77.

[10] _الإدريسي: **المصدر السابق**، ص:172، الحميري: **المصدر السابق**، ص:522.

[11]_عز الدين أحمد موسى: **المرجع السابق**، ص ص:302_303.

[12]_**نفسه**، ص ص:288_289.

يتضح مماسبق أن تجارة المغرب الأوسط كانت مزدهرة على المستوى الداخلي والخارجي مما ساعد على ترويج مختلف المنتجات الزراعية والبستنية إلى مختلف الآفاق، ودخول هذه السلع ضمن النشاط التجاري والحرفي، دليل على أنّها لم تكن عديمة الأهمية أو أن الأرياف متقوقعة على نفسها، رغم حالة اللأمن والحروب التي عاشتها الأرياف طيلة فترة الدراسة.

المطلب الثالث: الزراعة والبستنة والسياسة المالية للدول الحاكمة :

لقد تم الإلحاح على أن المدينة هي أداة مخزنية لتطويع البادية وجمع جباياته منها، وأنها لم تخترق البادية بواسطة شرائحها الثرية عن طريق الاستثمار في الأنشطة الفلاحية[1]، فإلى أي مدى يمكن اعتبار أن دولة العصر الوسيط قد فرضت سيطرتها على الأرياف عن طريق النظام الجبائي؟

تعتمد كل دولة في نظمها المالية[2] بشكل أساسي على الضرائب*، ذلك أن هذه الأخيرة تعتبر من أهم مصادر الدخل لديها، والملاحظ أنّ الاهتمام بأمر جباية**الأموال يختلف من دولة إلى أخرى، بل حتى في الدولة الواحدة من طور إلى طور، إذ يذكر ابن خلدون[3] بأن <<**الجباية في أول الدولة تكون قليلة الوزائع كثيرة الجملة، وآخر الدولة تكون كثيرة الوزائع قليلة الجملة، والسبب في ذلك أن الدولة إن كانت على سنن الدين فليست تقتضي إلاّ المغارم الشرعية من الصدقات والخراج والجزية،...وإن كثرة الملوك وحوائجهم بسبب ما انغمسوا فيه من النعيم والترف فيكثرون الوظائف والوزائع حينئذ على الرعايا والأكرة والفلاحين وسائر أهل المغارم، ويزيدون في كل وظيفة ووزيعة مقدارا عظيما لتكثر لهم الجباية، ويضعون المكوس على المبيعات وفي الأبواب**>>.

ولمّا كان موضوع دراستي متعلق بنشاط الزراعة والبستنة من 5_10هـ/11_16م، فسيتمحور موضوع الضرائب، حول العائدات المالية المستخلصة من هذين النشاطين بالذات، كما أن رصد حجم الضرائب المستخلصة من حيث الكثرة والقلة، تعكس الصورة الحقيقية للأرياف ومنتجاتها بشكل أساسي.

1_الضرائب المستخلصة من المنتجات الزراعية والبستنية (مفاهيم وخصائص)

أ_الضرائب الشرعية: تتمثل في:

أ1_الزكاة (الصدقة والعشر): تحمل الزكاة مدلول الصدقات لقوله تعالى:﴿ **خُذْ مِنَ اَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا**﴾[4]، وتكون مفروضة على المسلمين في الأرض والزرع والثمار[1]، وزكاة الحرث تجب فيما

---

[1]_فتحة: **النوازل الفقهية**، ص:369.

[2] _عبد الهادي علي النجار: **الاسلام والاقتصاد**، ص ص:51_52.

(*) الضرائب مفردها ضريبة وهي الإتاوة أو الوظيفة، المفروضة أو المقدر قدرها ومدتها يجمعها الراعي وصاحب الولاية ممن له عليهم هذه الولاية (أنظر: محمد عمارة: **المرجع السابق**، ص:342، أحمد الشرباصي: **المعجم الاقتصادي الإسلامي**، ص:246).

(**) الجباية هي الجمع خراجا كان المال أو الزكاة (أنظر محمد عمارة: **المرجع السابق**، ص:141، أحمد الشرباصي: **المرجع السابق**، ص:91).

[3] _**المقدمة**، ص ص:344_345.

[4]_سورة التوبة، الآية: 103.

تنبته الأرض وهي على ثلاثة أنواع: الحبوب من قمح وشعير إجماعا وفي سائر الحبوب التي تقتات وتدخر عند الجمهور، والثاني الثمار فتجب في التمر والزبيب إجماعا وفي الزيتون خلافا للشافعي، ولا تجب في الفواكه والخضراوات والبقول خلافا لأبي حنيفة[2].

أما عن النصاب فلا زكاة في أقل من خمسة أوسق[3]، والوسق ستون صاعا، والصاع أربعة أمداد بمد النبي صلى الله عليه وسلم[4]، وقدر النصاب نحو إثني عشر قنطارا أندلسية[5]، ، فيخرص العنب كم يكون فيه من زبيب، والنخل كم يكون فيه من تمر[6]، ولا تجمع الحنطة إلى الشعير ولا التمر إلى الزبيب[7]، واختلف في خرص ما لا يثمر ولا يزبب من العنب والنخل[8].

ويختلف مقدار الزكاة باختلاف سقي الأرض فما سقي سيحا بالمطر والعيون والأنهار ففيه العشر، وما سقي نضحا بدلو أو سانية ففيه نصف العشر[9]، فإن سقيا بهما واستويا ففيه ثلاثة أرباع العشر، وعن وقت وجوب الزكاة ففي الثمار الطيب، وفي الزرع اليبس في المشهور وقبل الخرص وقبل الجذاذ[10]، وتجب الزكاة وتؤدى في الحوائط المحبسة لله وعن الحوائط المحبسة على قوم بأعيانهم أو بغير أعيانهم[11].

أ2_الخراج[12]: الخراج هو ضريبة مالية على الأرض[13] متروك تقديرها لاجتهاد الإمام بحسب ما تحتمله الأرض من طاقة، وخراج الأرض نوعان: خراج مقاسمة وخراج وظيفة[14].

---

[1]_القرشي: **الخراج**، ص ص:137_138.

[2]_ سحنون: **المدونة**، 1/341_342، ابن أبي زيد: **المصدر السابق**، 2/107_108، القرشي: **الخراج**، ص:138، أبو عبيدة القاسم ابن سلام: **كتاب الاموال**، تقديم ودراسة وتحقيق: محمد عمارة، ط1، دار الشروق، بيروت، 1409هـ/1989م،2/600_601، الداودي: **المصدر السابق**، 3/157، ابن رشد الحفيد: **المصدر السابق**، 2/591، ابن جزي: **القوانين الفقهية**، القسم 1، الكتاب الرابع، ص:72.

[3]_مالك بن أنس: **المصدر السابق**، ص:109، سحنون: **المصدر السابق**، 1/378، 384، ابن أبي زيد: **المصدر السابق**، 2/107، 109، القرشي: **المصدر السابق**، ص:138، ابن سلام: **المصدر السابق**، 2/575، ابن جزي: **المصدر السابق**، القسم 1، الكتاب الرابع، ص:72.

[4]_ ابن رشد الحفيد: **المصدر السابق**، 2/627، ابن جزي: **المصدر السابق**، القسم 1، الكتاب الرابع، ص:72.

[5]_**نفس المصدر** والصفحة.

[6]_سحنون: **المصدر السابق**، 1/377_378، ابن جزي: **المصدر السابق**، الصفحة نفسها.

[7]_القرشي: **المصدر السابق**، ص:138، ابن سلام: **المصدر السابق**، 2/575.

[8]_ ابن سلام: **المصدر نفسه**، ص:587، ابن جزي: **المصدر السابق**، الصفحة نفسها.

[9]_مالك بن أنس: **المصدر السابق**، ص:109، سحنون: **المصدر السابق**، 1/377، القرشي: **المصدر السابق**، ص:138، ابن سلام: **المصدر السابق**، 2/579_580، 601، ابن رشد الحفيد: **المصدر السابق**، 2/627، ابن جزي: **المصدر السابق**، الصفحة نفسها.

[10]_**نفس المصدر** والصفحة.

[11]_سحنون: **المصدر السابق**، 1/380، ابن رشد الحفيد: **المصدر السابق**، 2/583.

[12]_الخَراج هو الإتاوة وكذلك الخرج، وقيل الخِراج لغة هو ما حصل من ريع الأرض أو كرائها، وسمي به ما يأخذه السلطان فيقع على الضريبة والجزية ومال الفيء، وفي الغالب يختص بضريبة الأرض. أنظر: محمد عمارة: **المرجع السابق**، ص:187، أحمد الشرباصي: **المرجع السابق**، ص:129.

[13]_هويكينز: **النظم الإسلامية**، ص:63.

[14]_مناع خليفة: **المرجع السابق**، ص ص:21_22.

ومصطلح خراج في عهد بني زيري معناه الضريبة العقارية بوجه عام، فتشير فتوى لأبي الحسن القابسي حول الواحات، بأن السلطان أوجب غرامة على أهل البلد تسمى العشر أو الخراج، ثم قام بتسجيل واحد منهم في الديوان مع بيان نصيبه من الضريبة[1]، هذا في حالة ما إذا كان دافع الخراج مالكا للعقار، ولكن هل يجوز لشخص آخر غير المالك للأرض تأدية هذه الضريبة؟، والإجابة هي جواز ذلك شريطة دفع الضريبة في وقتها المحدد لها، فإن لم يسددها ففي هذه الحالة فإن الدولة تنزع منه عقاره ثم تقوم ببيعه[2].

أمّا المصادر الموحدية فتسمي كلّ ما يجبى خراجا إلاّ الزكاة _فطرة وماشية وحرثا_، كما يطلقها ابن صاحب الصلاة على كراء الأسواق التي بنتها الدولة **والخراج العيني**، هو الزرع يحفظ في المطامير لاستعمال الجيش في الحملات العسكرية[3].

أ3_الجزية: الجزية واجبة على جميع أهل الذمة[4]؛ من أهل الكتاب العجم ومن المجوس، ولا تجب على النساء ولا على الصبيان[5]، ولا تؤخذ في السنة إلاّ مرة واحدة[6]، وحرص مالك على ضرورة الكشف عن أمر أمر ما يؤخذ من جزية الأرض لكي يسلك به مسلك الفيء أو مسلك الصدقة[7]، ويذكر ابن حوقل[8] كلمة الجوالي مكان الجزية، إلاّ أنّ هوبكينز[9] أدرج المفردتين ضمن نفس المعنى.

ب_الضرائب الإضافية: غالبا ما كانت الضرائب الشرعية لاتكفي لسد احتياجات الدولة ونفقاتها، لذلك تضطر لاستحداث ضرائب جديدة، وقد اختلفت أنواع هذه الضرائب حسب سياسة كل دولة، ومنها:

ب1_المكس: لا يستعمل إلاّ في الضرائب على التجارة، كما أن القبالة قد تستعمل أحيانا في الضرائب على السلع والحديث عنها في التجارة أولى، ولكن مثل هذه الضرائب التجارية لها تأثير كبير على المزارعين لأنهم يبيعون سلعهم في الأسواق[10].

ب2_القبالة: تحمل القبالة مدلول نظام استغلال الأرض غير الزراعية يلتزم فيه المتقبل بخراج الأرض أو جبايتها، ويحقق به فائضا هو الفرق بين عائد استغلالها وبين ما قدم نظير أخذ التزامها[1]، كما ترد بمعنى كراء الأرض الزراعية[2] حسب نوازل الفترة المرابطية.

---

[1]_الونشريسي: **المصدر السابق**، 151/6.

[2]_**نفسه**، 298/10_299.

[3]_عز الدين أحمد موسى: **المرجع السابق**، ص:175.

[4]_أبو يوسف: **كتاب الخراج**، ص:122.

[5]_ابن رشد الحفيد: **المصدر السابق**، 993/2_994.

[6]_القرشي: **المصدر السابق**، ص:66.

[7]_الداودي: **المصدر السابق**، 77/2.

[8]_**المصدر السابق**، ص،ص: 87، 94.

[9]_**المرجع السابق**، ص:69.

[10]_عز الدين أحمد موسى: **المرجع السابق**، ص:167.

ب3_المعونة (الوظيفة): في الأصل يفرضها الأمير على رعاياه للقيام بواجب الجهاد إن كان بيت المال خاليا من المال، ويبدو أن المسلمون المغاربة كانوا يسمونها خراجا مضروبا على الأرض، ومنها يُفهم قول المراكشي بأن الخراج كان يُجبى في أيام علي بن يوسف وكذلك في نوازل ابن رشد[3].

ب4_الوظيف واللّزمة: يقصد بالوظيف أنه على صاحب الأرض إظهار وثيقة تثبت أنّ أرضه ملكا له وأنها لا تخضع لأي نوع من المكوس، وأشير إليها أيضا بالمعنى العام للضريبة مثلما هو الشأن بالنسبة لعبارة رسم وعبارات أخرى مثل الفريضة، والوديعة والضريبة[4].

ب5_الحكر: غالبا ما يرتبط بالعشر، وأفتى ابن عرفة بشرعية الضرائب العقارية المعروفة باسم الحكر والجزاء، مصرحا بأن الجزاء يدفع في فترات ثابتة على الأرض التي تم إحياؤها إلى بيت المال الذي يتعين عليه إنفاقه في سبيل مصلحة الجماعة، أما الحكر فهو أداء موظف على كل مرجع تبلغ قيمته أقل من قيمة الجزاء، وحسب القانون العرفي لاتجوز لحائز أرض الحكر أن ينشئ بها أية غراسة ولا أي بناء، وإذا أراد تحويلها إلى أرض جزاء وجب عليه أن يدفع في الحال مبلغا محددا بمقتضى العرف وأن يرفع قيمة الحكر لتبلغ قيمة الجزاء[5].

ج_موارد مالية أخرى:

1_الغنائم: الغنيمة هي ما غلب عليه المسلمون بالقتال حتى يأخذوه عنوة[6]، ونظرا لحالة الحرب شبه الدائمة التي شهدتها بلاد المغرب الأوسط خلال هذه الفترة، فكثيرا ما تنتهي المعارك بالغنائم والسبي، ورغم صمت المصادر عن تحديدها بالتفصيل، فمن المؤكد أنّ ثروات الريف من المنتجات الزراعية "القمح والأعلاف" بشكل خاص، قد شكلت قسما كبيرا منها.

2_المصادرات: شكّلت المصادرات قسما هاما مما تجنيه الدول بعد انتصارها في الحروب، والواضح أنّ المنتجات الزراعية خاصة ما تعلق بكميات القمح والأعلاف قد شكلت قسما كبيرا منها[7].

2_الزراعة والبستنة والسياسة المالية للدول التي حكمت المغرب الأوسط (5_10هـ/11_16م).

لمّا كان العالم الريفي يشغل حيزا كبيرا من بلاد المغرب الوسيط، فإنّ القسم الأكبر من العائدات المالية التي تدخل بيت المال كانت من ضرائب الريف[8]، وفي المقابل فإنّ وجود نظام لضريبة الأرض

---

[1]_ عبد القادر طويلب: **النظام المالي الجبائي في الدولة الموحدية وأثره عليها، القبالات نموذجا**، دورية كان التاريخية، العدد 25، سبتمبر 2014م، ص:152.

[2]_عز الدين أحمد موسى: **المرجع السابق**، ص ص:167_168.

[3]_**نفسه**، ص:168.

[4]_برنشفيك: **المرجع السابق**، 200/2.

[5]_**نفسه**، ص:199.

[6]_القرشي: **المصدر السابق**، ص:58، الداودي: **المصدر السابق**، 77/2_78.

[7]_**أنظر ص ص: 148_149 من الفصل الأول.**

[8]–Voguet : **Appropriations et distributions**...., p.129.

معناه وجود سجلات لمسح الأراضي[1]، لكن المصادر التي عدت إليها تبخل بهذا النوع من الوثائق خصوصا وأن الأمر يتعلق بالمناطق الريفية، التي غُيّب الشطر الأكبر منها من قبل أسطغرافيا العصر الوسيط.

أ_الزراعة والبستنة والسياسة المالية للدولة الحمادية: كانت الدولة الحمادية تجني أموالا كثيرة من المصادر الجبائية ففي الوقت الذي يشير فيه الإدريسي[2] إلى القل بأنّها "**قرية صغيرة**"، يذكر صاحب كتاب الاستبصار[3] بأنها مدينة <<**لها نظر وجباية عظيمة>>**، بدليل إشرافها وسيطرتها على الأرياف المحيطة بها.

وللسيطرة على ثروات المناطق الجبلية؛ لجأ الحكام الحماديون لاصطناع القبائل للجباية، مثل استعمال ملوك القلعة لبني إسحاق من هوارة بالجبل المطل على البطحاء، ليستمر اصطناعها أيضا من قبل الزيانيين، بل حتى المرينيين أثناء سيطرة أبا الحسن على المغرب الأوسط[4].

وأقطع الحماديون بني يزيد إحدى بطون زغبة؛ بلاد حمزة وبني حسن من أوطان بجاية واستخدمتهم لجباية أموال بربر زواوة وصنهاجة[5]، وفرض أبا بكر من أولاد ثابت من بني تليلان المغرم على أهل الجبل المعروف بهم، في أيام الموحدين[6]، واستمر هذا الأمر لما بعد انقطاع الدولة الموحدية في عهد حفيده حسن بن إبراهيم بن ثابت[7]، واستمر في عقبه لخليفة مراكش، حتى محا السلطان أبا العباس مشيختهم ورياستهم واستعمل في الجبل عماله وجبايته مؤداة لصولته بقسنطينة[8].

وعموما يمكن حصر هذه الضرائب في:

أ1_الضرائب الشرعية:

الزكاة: إذا كان ابن حوقل[9] قد أشار إلى معلومة بشأن تنس بقوله:<<**لسلطانها بها وجوه من الأموال كثيرة، كالخراج والجوالي والصدقات والأعشار ومراصد على المتاجر الداخلة إليها والخارجة...>>**، فإن المعلومات المتعلقة بجمع أموال الزكاة من قبل حكام الدولة الحمادية شبه مغيّبة، فلم تذكر المصادر التي عدت إليها شيئا عن مبالغ الزكاة والصدقات ولا كيفية إنفاقها.

---

[1]_هوبكينز: **المرجع السابق**، ص:79.

[2]_ **المصدر السابق**، ص: 169.

[3]_مجهول(ق6هـ)، ص:127.

[4]_ ابن خلدون: **المصدر السابق**، 6/ 190.

[5]_**نفسه**، ص:55.

[6]_نفسه، ص:199، النميري: **فيض العباب**، ص: 282.

[7]_ابن خلدون: **المصدر السابق،ص:476**.

[8]_**نفسه**، ص:199.

[9]_**المصدر السابق**، ص: 78.

والواضح أنّ سكان الأرياف كانوا حريصين على إخراج نصاب الزكاة من محاصيلهم، إذ تشير إحدى النوازل إلى جور الأعراب أو السلطان على أهل الزرع والزيتون قبل حصاده أو قطافه وعصره، ويجعلون عليهم مالا كثيرا عينا ويؤخرون قبضه بعد حصاده شهرا أو شهرين، مما يدفع بهؤلاء الفلاحين للتساؤل عن مقدار ما يسقط من الزرع حسب ما أُلزِموا من المغارم ويزكى ما بقي، وكانت الإجابة هي أنه "**يسقط من الزكاة بقدر ما أُخذ منهم إن لم يؤخذ من عينه**"[1].

الخراج: كانت خزينة الحكومة الحمادية غنية بمواردها من المغنم والخراج وغير ذلك من الموارد الشرعية وقد خُصِصت لها إدارة خاصة[2]، وكانت تعتمد على الولاة الذين يُعيّنون خصيصا لجمعها[3]، ولعل هذه السياسة كانت الغاية منها هي إخضاع القبائل المناوئة للدولة الحمادية وعلى الخصوص قبيلة زناتة.

وبعد مجيء القبائل الهلالية اعتمدت عليهم الدولة الحمادية في جباية الخراج فيذكر مبارك الميلي[4] في هذا الصدد <<**وإنّا لنجهل تفاصيل تكوين ماليتها وإنّما نعلم أنّها كانت تفرض الخراج وتعتمد في جمعه من الجهات التي يتغلب عليها العرب على العرب...**>>، وهذه الشهادة تؤكد على أنّ الدولة الحمادية كانت تعتمد على مؤسسات مالية محكمة ساهمت في إثراء خزينة الدولة من الريف من جهة وكذا توكيل العرب لمهمة جباية الخراج وإجبار الفلاحين على دفع الغرائم من جهة ثانية.

لم تشر المصادر إلى مبلغ الأموال المجبية خراجا خلال هذه الفترة، ولا إلى موعد جباية الخراج إن كانت تتم شهريا أم سنويا، والمرجح أنّها كانت تُجبى سنويا بعد جني المحصول، ورغم حرص الدولة على ضبط أموال الخراج إلاّ أنه أحيانا يلجأ الحكام إلى إسقاطها على منطقة من المناطق فعندما أنشأ الناصر بن علناس مدينة بجاية عام 460هـ/1067م، قام بإسقاط الجباية والخراج عن أهلها[5]، ولعله كان ينوي من وراء هذه السياسة استقطاب الناس وجلبهم قصد تعميرها وجلب التجار والفلاحين إليها.

والواضح أنّ مفهوم الخراج قد تغير في العديد من المناطق، حيث بات يحمل مدلول الضرائب الإضافية نتيجة للتمادي في فرضها، ومطالبة مستحقيها بتسديدها فتشير إحدى النوازل إلى "**أخوين لهما ضيعة مقسومة أو مشاعة غير أنّ عليها خراجا ظلما في ديوان الخراج مجموعا، فترك السلطان نصيب أحدهما من الخراج، فهل يكون إسقاطه بينهما أو يختص به من أسقط له**"، فكانت إجابة الفقيه بأنه يسقط عن من ترك له[6]، كما خرج عن الإطار العقاري حيث بات يوضع على المياه وعدد الشجر، ...إلخ[7].

---

[1] _فتوى السيوري(ق5هـ)، البرزلي، **المصدر السابق**، 546/1.

[2] _عبد الرحمان الجيلالي: **تاريخ الجزائر العام**، 277/1.

[3] _روجي إدريس: **المرجع السابق**، 223/2.

[4] _**المرجع السابق**، 237/2.

[5] _ابن خلدون: **المصدر السابق**، 232/6، عويس: **المرجع السابق**، ص:211، روجي إدريس: **المرجع السابق**، 223/2.

[6] _فتوى السيوري، البرزلي، **المصدر السابق**، 271/4، انظر أيضا: الونشريسي: **المصدر السابق**، 151/6.

[7] _الداودي: **المصدر السابق**، 177/4.

وهنا نلمح التضارب لدى الفقهاء في قضية فرض الخراج على الأرض باعتباره مظلمة في حق الفلاحين من جهة، ويقرّ بإسقاط الخراج عمن أعفاه السلطان من جهة ثانية، رغم أن أبا جعفر الداودي قد أكّد في إحدى النوازل أنه يجب التخلص من دفع الخراج إلى السلطان ولا يحلّ له إلاّ ذلك[1]، ويعزى الأمر لأن المسلم الذي يسكن أرض الخراج بات خاضعا لضريبة مزدوجة (العشر والخراج)، ومع مرور الوقت ونتيجة للظلم في دفع هذه الضريبة المزدوجة أدت إلى إلغاء إحدى هاتين الضريبتين[2].

ومن الأهمية بمكان الإشارة لما تناوله أبو يوسف[3] في كتاب الخراج بأن: "**الثمار التي تكون في الجبال والأودية لا خراج عليها ولاعشر**"، ولمّا كانت المناطق الريفية لبلاد المغرب الأوسط متفرقة فلا توجد لدينا معلومات أو إحصاءات دقيقة حولها ولا معلومات حول الجهود المبذولة من قبل دول الفترة.

ولمّا كانت القرى تتبع الأقاليم ويختلف عددها حسب كل إقليم، فقد كانت تدفع الجباية والخراج على عدد القرى فهل اعتمد حكام الدولة الحمادية على هذا الإجراء أم لا؟، والملاحظ أنها قد اعتمدت هذا الإجراء عن طريق حصر مداخيل معظم المدن من ذلك: بونة التي كان مستخلصها غير جباية بيت المال عشرين ألف دينار[4]، والمؤكد أن قسما كبيرا من جبايتها كانت من الأرياف المحيطة بها والتي كانت كانت غنية بالمنتجات الزراعية والبستنية بشهادة عديد الرحالة والجغرافيين.

أ2_الضرائب الإضافية: يغلب الظن على وجود هذا النوع من الضرائب وإن كان على نطاق ضيق، لكن بعد استقرار القبائل الهلالية بالأرياف وتخريبهم للقلعة وطبنة والمسيلة والضواحي، صالحهم الحماديون على دفع الإتاوة[5]، فلم يزالوا يقبضون ذلك حتى ملك البلاد عبد المؤمن بن علي[6].

لذلك فقد عانت المناطق الداخلية خصوصا؛ من ثقل الضرائب بشهادة الإدريسي[7] الذي ذكر بأنّ: **<<حصن بادس وهو في طرف جبل أوراس...والعرب تملك أرضه وتمنع أهله من الخروج عنه إلاّ بخفارة رجل منهم>>**، والخفارة هذه أو مال الحراسة هي دليل واضح على غياب سلطة الدولة في هذه المناطق، ونتيجة من نتائج ضعفها وتحكمها في الأرياف البعيدة[8]، وكان لهذه الضرائب الأثر السلبي على على الحركة التجارية حيث توقف السكان عن ممارستها من جهة[9] ووسّع العرب من نطاق التجارة بين التل والصحراء من جهة ثانية[10].

---

[1] _**نفسه**، ص:179، أنظر أيضا: البرزلي، **المصدر السابق**، 553/1.

[2] _هوبكينز: **المرجع السابق**، ص:89.

[3] _**المصدر السابق**، ص:70.

[4] _البكري: **المصدر السابق**، 55.

[5] _ابن خلدون: **المصدر السابق**، 27/6.

[6] _**نفسه**، ص:83، المراكشي: **المعجب**، ص:294.

[7] _**المصدر السابق**، ص:165.

[8] _هوبكينز: **المرجع السابق**، ص:96.

[9] _الطمار: **المرجع السابق**، ص:118.

[10] _الميلي: **المرجع السابق**، 178/2.

كما قوّى وصول الهلاليين من استقلال الأرياف عن السلطة المركزية، بالرغم من المعاهدات التي ربطت الحكام المحليين في تمثيل السلطة في المدن الأساسية وهذا ما يؤكد استبدال السكان للسلطة بالقبائل الهلالية في جمعهم للضرائب[1] وإجبار الفلاحين على دفعها بدليل أن سطيف لما تغلب عليها العرب كانوا يعشّرونهم إذا دخلوها[2]، لذلك فقد تغيّر مفهوم العشور من ضريبة شرعية إلى إتاوة عشوائية فرضها الهلاليون على معظم المناطق.

لكن هناك من المناطق النائية والجبلية الوعرة التي جُبِل سكانها على رفض الخضوع ودفع المغارم، فتلجأ الدولة إلى استعمال القوة والسلاح لإجبارهم على دفعها، فكان أهل بني زندوي لا تؤخذ منهم الجبايات إلاّ بعد نزول الخيل والرجال عليهم في تلك النواحي[3].

واستخلاص الضرائب لم يكن حكرا على العرب الهلاليين فحسب، بل إنّ سياسة الحكام الحماديين كان لها الدور الكبير في ذلك، فقد أدى الإسراف والبذخ في عهد الأمير يحي بن العزيز إلى تدهور أوضاع دولته فاتجه إلى فرض الضرائب والإتاوات والإكثار من الوظائف على الرعية[4] مثل ضريبة لتمويل بيت المال عُرفت بضريبة بيت المال[5]، ومن الأدلة على تواجدها بأرياف المغرب الأوسط خلال الفترة الحمادية، أن عبد المؤمن بن عليّ قد وعد أهل قسنطينة بإلغاء الضرائب غير الشرعية مثل القبالات والمكوس والمغارم والمظالم[6]، والمؤكد أن قسما كبيرا من سكان الأرياف قد شملها هذا الإجراء.

أ3_موارد مالية أخرى:هناك موارد مالية أخرى أثرت خزينة الدولة الحمادية يُرجّح أن جزءا منها كان من عوائد المحاصيل الزراعية والبستنية ولعل أهمها:

المغارم: خاضت الدولة الحمادية حروبا كثيرة لذلك فقد تحملت قبائل المغرب الأوسط الكثير من هذه الضريبة، حيث كانت تكلف القبائل التي حاربوها بجمع التكاليف التي أنفقوها في إعداد وتسيير الحملات، ونظرا لأن مؤونة الجيش كانت تقع على عاتق المناطق التي يمر بها سواءا في حالة السلم أو الحرب[7].

ب_الزراعة والبستنة والسياسة المالية للدولة المرابطية:

الضرائب بالمغرب الأوسط خلال الفترة المرابطية كانت قليلة[8] مقارنة بالفترة السابقة، ويعزى الأمر في رأيي لكون المرابطين قد سيطروا على المناطق الغربية للبلاد، بالإضافة إلى قصر فترة تواجدهم بهذه

---

[1]_ Amara :**Retour à la problématique**, p.16.

[2] _البكري: **المصدر السابق**، ص:76.

[3] _الادريسي: **المصدر السابق**، ص:168.

[4] _الطاهر بونابي: **التصوف في الجزائر خلال القرنين 6و7هـ/12و13م، نشأته، تياراته، دوره الاجتماعي والثقافي والفكري والسياسي**، شركة دار الهدى لـ ط،ن،ت، عيد مليلة، (د_ت)، ص:96.

[5]_روجي إدريس: **المرجع السابق**، ص:221.

[6] _**رسائل موحدية**، ص ص:21_22، أنظر أيضا: عز الدين أحمد موسى: **المرجع السابق**، ص:165.

[7] _جودت عبد الكريم: **المرجع السابق**، ص:411.

[8] _عز الدين أحمد موسى: **المرجع السابق**، الصفحة نفسها.

البلاد، واعتمد المرابطون في الجباية على الجيش عكس الموحدين، وكانوا ينقلون العمال من فترة إلى أخرى حتى لا يتغلغل نفوذهم بالولايات[1].

والجدير بالذكر أنّ أمر جباية الأموال ببلاد المغرب، قد منحها حكام المرابطين إلى النصارى[2] وخاصة في في عهد عليّ بن يوسف بن تاشفين، وفي هذا الصدد يذكر ابن الخطيب[3]:<<**هو أول من استعمل الروم بالمغرب وأركبهم وقدمهم على جباية المغارم وكان ذكيا فقيها مكرما لأهل العلم يقلد الأمور للفقهاء**>>.

ب1_الضرائب الشرعية:

الزكاة والعشر: سار حكام الدولة المرابطية في بداية عهدها وفق الشريعة الإسلامية في جباية الضرائب فيذكر ابن أبي زرع[4] أنّ في عهد المرابطين <<**لم يجر في عملهم طول أيامهم رسم مكس ولا معونة ولا ولا خراج في بادية ولا في حاضرة...، ولم يكن في عمل من بلادهم خراج ولا معونة ولا تقسيط ولا وظيف من الوظائف المخزنية حاشا الزكاة والعشر، وكثرت الخيرات في دولتهم وعمرت البلاد ووقعت الغبطة..**>>.

ولعل هذا راجع بدون شك إلى النشأة الدينية للدولة خاصة في عهد يوسف بن تاشفين، ففي عهده لم يجر لارسم مكس ولا خراج، لافي حاضرة ولا في بادية[5]، ونتيجة لهذه السياسة الضريبية الحكيمة التي سارت عليها الدولة زاد إقبال المزارعين على زراعة أراضيهم[6].

ب2_الضرائب الإضافية: تغير الأمر في عهد علي بن يوسف بن تاشفين الذي أعاد فرض ضريبة الخراج والماشية من جديد[7]، بالإضافة إلى ضريبة المعونة[8] التي تفرض على الرعية من أجل توفير الظروف الملائمة لمتابعة الجهاد، ومن المؤكد أن منتجات الريف قد شكلت قسطا وافرا من هذه الضرائب، ذلك أن الجيوش تحتاج إلى غذاء (القمح) وخيول الحملات والمعارك تحتاج إلى الأعلاف.

والواضح أنّ شهادة ابن أبي زرع التي أشرت إليها ضمن الضرائب الشرعية؛ أنّ فيها شيء من المبالغة، حيث قام المرابطون بفرض قبالات على **الأراضي الزراعية** التي كانت تعرف في عهدهم باسم

---

[1]_عز الدين أحمد موسى: **النشاط الاقتصادي**، ص ص:179_180.

[2]_هوبكينز: **المرجع السابق**، ص:111.

[3]_مجهول (ق12هـ): **الحلل الموشية**: ص ص: 84_55، أنظر أيضا: عز الدين أحمد موسى: **المرجع السابق**، ص:110، محمد القبلي: **الدولة الدولة والولاية والمجال في المغرب الوسيط، علائق وتفاعلات**، ط1، 1997م، ص: 81.

[4]_**روض القرطاس**، ص ص: 166_167، أنظر أيضا: السلاوي: **الاستقصا**، ص:70.

[5]_ابن عذاري: **البيان**، 56/2، ابن أبي زرع: **المصدر السابق**، ص:137، عيسى بن الذيب: **المرجع السابق**، ص:6، حسن علي حسن: المرجع السابق، ص:200.

[6]_عيسى بن الذيب: **المرجع السابق**، ص:6، معروف بلحاج، مبخوت بودواية: **المرجع السابق**، ص:174.

[7]_مقديش: **نزهة الأنظار**، 447/1.

[8]_ابن عبدون: **المصدر السابق**، ص:31.

كراء الأرض[1]، والتي نتج عنها أضرارا جمّة بالمزارعين نتيجة زيادة أجرة الكراء[2]، وهو ما جعل ابن عبدون عبدون يعلن ثورته على المتقبلين إذ جعلهم شر أهل الأرض[3].

ومن الضرائب أيضا نجد ضريبة خرص الزيتون، التي دفعت بأصحاب الأرض للقيام بدفع أجر خراص الزيتون قبل جنيه، بل حتى في حال وقوع الجوائح كان المزارعون وعلى رأسهم صاحب المال يتحملون مبلغ الضريبة، مما جعل ابن عبدون[4] يدعو إلى إسقاط ربع الخرص لآفة تنزل، أو لعاهة تكون، تكون، ولايؤخذ زيتونا وإنّما يؤخذ زيتا، وتكون أجرته من عند رئيسه لا على أهل الأموال، وأمر بمنع الخرص منعا باتا لأنه يقوم على الظن، إذ كثيرا ما أخذ المحصول عشورا دون اكتمال النصاب مع أن هذا الأخير شرط أساسي.

وفرض المرابطون ضرائب إضافية على سكان الريف مثل المكوس والقبالات على أسواق الماشية، وكذلك على الحبوب والأراضي الزراعية[5]، ممّا أثّر سلبا على أوضاع الملاّك والزرّاع، ذلك أنّ الأرض جذبت بعد هجرة المزارعين عنها[6]، ولم تسقط هذه القبالات إلاّ بمجيء الموحدين[7].

وحالة البذخ التي بلغتها الدولة المرابطية قد دفعت بالحكام لرفع المزيد من الضرائب والإتاوات والوظائف على الرعية مما أثقل كاهلهم، والتعسف في فرض الضرائب أدى إلى تذمر سكان الأرياف إذ بلغت ذروتها في عهد الأمير تميم بن تاشفين الذي حكم الناحية الغربية للمغرب الأوسط خلال الفترة الممتدة من 504هـ_511هـ/1111م_1117م[8]، ممّا دفع بالموحدين إلى شنّ حملة عنيفة على تلك القبالات[9]، وما زاد من نقمة الرعية هو أنّ المرابطين قد عهدوا بجبايتها في الأرياف المغربية إلى الجند الرومي[10].

ج_الزراعة والبستنة والسياسة المالية للدولة الموحدية:

تشير المصادر إلى أنّ أحوال قطر بلاد المغرب كلها خلال عهد الموحدين كانت متسعة وجباياته موفورة[11]، واعتمدت هذه الدولة الموحدية على مجموعة من الضرائب، وتعاملت مع منتجات الريف من

---

[1]_الونشريسي: **المصدر السابق**، 8/160_169.

[2]_عز الدين: **المرجع السابق**، ص ص:167_168.

[3]_ابن عبدون: **المصدر السابق**، ص:30، عيسى بن الذيب: **المرجع السابق**، ص:113.

[4]_**المصدر السابق**، ص ص:5_6.

[5] _الونشريسي: **المصدر السابق**، ص ص: 160_169، عز الدين أحمد موسى: **المرجع السابق**، ص:165.

[6] _ابن عذاري:**المصدر السابق**، 4/102.

[7]_عز الدين: **المرجع السابق**، ص:168.

[8] _ بونابي: **المرجع السابق**، ص:96_97.

[9] _ ابن القطان: **نظم الجمان**، ص ص:202_203.

[10] _حسن علي حسن: **المرجع السابق**، ص:200.

[11]_ابن خلدون: **المقدمة**، ص: 458.

الناحية الجبائية عن طريق جهاز مخزني، وقسمت مجالها الترابي إلى ولايات وكل ولاية إلى أقسام إدارية صغرى يحكمها أحد الحُفّاظ[1].

وجُعلت القبيلة هي الوحدة الأساسية لجمع الضرائب لأن الملكية الصغيرة متفرقة، وجمع الضرائب في مثل هذه الملكيات الصغيرة على أساس القبيلة قد ييّسر أمر الجباية، ولم يُعدّل الموحدون في أوقات الجباية في هذا التنظيم الجديد، ولم يُستخدم الجيش الموحدي في الجباية إلاّ بعد معركة العُقاب حتى لا تثقل الدولة من كاهل الزُرّاع وتشجع الناس على الزراعة والتعلق بالدولة في حال قيام ثائر ضدها[2].

اتبعت الدولة الموحدية سياسة صارمة تجاه الجباة في حالة التفريط في مهامهم أو الإستيلاء على أموال الرعية بدون وجه حق، فمن هؤلاء بالمغرب الأوسط الموظف الملقب بالمشرف، شيخ كومية أبي زكريا بن حيون وابنه عام 570هـ/1174م، حيث قام أبا يعقوب يوسف بن عبد المؤمن بإلقاء القبض عليهما وإيداعهما السجن ومصادرة أموالهم[3]، كما عاقب أمير المؤمنين يعقوب الوالي زيان بن ثابت بسبب بسبب احتجابه لأموال خراج تلمسان لنفسه بالضرب والسجن[4].

وعلى غرار الحماديين فقد قرّب الموحدون القبائل الهلالية أيضا، التي لعبت دورا كبيرا في عهدهم، لكن عبد المؤمن بن علي ألغى امتياز أخذ الغلة مناصفة إلاّ أنه "**صيّرهم جندا له وأقطع رؤساءهم بعض تلك البلاد**"[5]، وباتوا يقومون بأعمال الجباية على قبائل صنهاجة وزواوة مثل قبيلة زغبة وبني يزيد من بطون هذه الأخيرة[6]، وقبائل عياض من الأثبج[7]، واستمرت على ذلك حتى الفترة الحفصية حيث تولت جباية جيرانها من البربر لصاحب بجاية[8].

واصطناع هذه القبائل العربية أدى إلى ظهور فعالية الإقطاع الجبائي[9]، كإجراء جديد تمثل في ظهور قبائل مخزنية التي تخدم المركز(السلطة) ولا تهددها، وباتت الدولة الموحدية مدعومة بمحيط قبلي[10] _القبائل الهلالية_، توظفه في المجال الجبائي.

وبفضل الإقطاع الجبائي حظيت أحياء زناتة من بني عبد الواد وبني توجين وبني راشد بجباية وافرة، والتي كانت تجنيها من سكان ضواحي تلمسان وأرياف المغرب الأوسط[11]، فكان لهذه الدولة حضورا قويا

---

[1]_عز الدين عمر موسى: **الموحدون تنظيماتهم ونظمهم**، ص:177.

[2] _عز الدين أحمد موسى: **المرجع السابق**، ص ص:176_179.

[3] _ابن عذاري: **البيان، قسم الموحدين**، ص:155، أنظر أيضا: عز الدين أحمد موسى: **المرجع السابق**، ص:177.

[4]_التنسي: **نظم الدرر والعقيان**، 112/2، ابن الأحمر: **تاريخ الدولة الزيانية**، ص/61.

[5] _المراكشي: **المعجب**، ص:294.

[6]_ابن خلدون: **المصدر السابق**، ص:55.

[7]_**نفسه**، ص:33.

[8]_الميلي: **المرجع السابق**، 357/2.

[9]–Mercier : **Histoire de l'Afrique...**, 2/379_380.

[10]_محمد نجيب بوطالب: **سوسيولوجيا القبيلة في المغرب العربي**، ط1، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، 2002م، ص:46.

[11]_ابن خلدون: **المصدر السابق**، 104/7.

في العديد من المناطق الجبلية والسهلية، والواضح أنّ الموحدين قد اعتمدوا أيضا على النصارى في جباية الأموال[1]، وعموما كان من جملة الضرائب المفروضة خلال الفترة الموحدية ما يلي:

جـ1_الضرائب الشرعية: سار عبد المؤمن بن علي في البداية على نهج ابن تومرت، واقتصر على الضرائب الشرعية فقط، مثل الزكاة والأعشار وأخماس المعادن والغنائم والخراج حتى لا يرهق الشعب بالضرائب[2]، كما ألغى ضرائب المرابطين غير الشرعية، ونلمح ذلك من خلال الرسالة التي بعثها إلى أهل أهل قسنطينة يأمرهم فيها بإلغاء المكوس الجائرة[3].

الخراج: عام 555هـ/1160م "**أمر عبد المؤمن بتكسير بلاد إفريقية والمغرب، فكسر من برقة في جهة الشرق إلى بلاد نول من السوس الأقصى إلى جهة الغرب بالفراسخ والأميال طولا وعرضا، ثم أسقط من التكسير الثلث في الجبال والغياض والأنهار والسباخ والحزون والطرق، وما بقي قسط عليه الخراج وألزم كل قبيلة بقسطها من الزرع والورق، فهو أول من أحدث ذلك بالمغرب**"[4].

وبهذا الإجراء وجد الموحدون حلاّ لمشكلة أراضي الدولة، حيث أخفق المرابطون فآلت ملكية أراضي الدولة المرابطية إلى الدولة الموحدية[5]، وبفرض الخراج على ثلثي الأرض ألزمت كل قبيلة بقسطها من الزرع والمال، ونظم قانون الخراج زراعة الأرض وأصبح من المحتم على الزُرّاع أن ينهضوا بزراعتهم ليفوا بما تتطلبه معاشيهم وبما تستحقه الحكومة منهم[6]، وأثبت نجاعته من خلال حصول الدولة على الخراج من الرعية إذ يسمح لأمير المؤمنين بمعرفة فائدة الضرائب فيما يتعلق بالقبائل ثم معرفة المقدار الذي تدفعه هذه القبائل وباتت الضرائب لاتحدد بصفة عشوائية من طرف الولاة بل بشكل عادل بين كافة السكان[7].

والواضح أنّ ابن أبي زرع يخلط بين فرض الخراج وطريقة جبايته، فابن صاحب الصلاة المعاصر للحدث لا يذكر خراجا قد فُرض وقتئذ، بل يذكر بأن عبد المؤمن واجه أزمة مالية سببها خيانة العمال

---

[1]_هوبكينز: **المرجع السابق**، ص:111.

[2]_ابن أبي زرع: **روض القرطاس**، ص:302، السلاوي: **المرجع السابق**، 154/1، أنظر أيضا: الميلي: **المرجع السابق**، 206/2، عز الدين أحمد أحمد موسى: **المرجع السابق**، ص:173، عز الدين عمر موسى: **المرجع السابق**، ص:280، علاّم: **المرجع السابق**، ص:253، حسن علي حسن: **المرجع السابق**، ص:192.

[3]_**رسائل موحدية**، 64/1، ابن القطان: **المصدر السابق**، ص ص:193_194، أنظر أيضا: أبو رميلة: **المرجع السابق**، ص:380.

[4]_ابن أبي زرع: **المصدر السابق**، ص ص:198_199، السلاوي: **المرجع السابق**، 150/1، 124/2.

[5]_عز الدين أحمد موسى: **المرجع السابق**، ص ص:138_139، حسن علي حسن: **المرجع السابق**، ص:197، علام: **المرجع السابق**، ص:254.

[6] _ابن أبي زرع: **المصدر السابق**، 160، السلاوي: **المرجع السابق**، 120/2، عبد الله علي علام: **المرجع السابق**، الصفحة نفسها.

[7] _أحسن بو لعسل: **الضرائب في المغرب منذ عهد الولاة حتى سقوط الموحدين _96_668هـ/715_1269)**، مذكرة ماجستير،إشراف عبد العزيز فيلالي، جامعة منتوري، قسنطينة، السنة الجامعية 1415_1416هـ/1994_1995م، ص:121.

المشرفين على المجابي، وهو ما تؤكده رسالة عبد المؤمن إلى طلبة بجاية في مطلع عام 556هـ/1160م وضريبة الخراج هنا ربما تعني وظيفة فرضها الموحدون من قبل[1].

ومما يؤكد على هذا؛ هي الأموال الضخمة التي تُجبى من الخراج حتى في فترات الحكام الذين أتوا من بعد عبد المؤمن بن علي فقد كان يوسف بن عبد المؤمن، جمّاعا منّاعا، ضابطا لخراج مملكته عارفا بسياسة رعيته[2]، وكان حكام الدولة يجنون أموالا طائلة من العوائد الجبائية، ففي ولاية أبي يعقوب يوسف بن عبد المؤمن كان "**يرتفع إليه خراج إفريقية وجملته في كل سنة وقر مئة وخمسين بغلا، هذا من إفريقية وحدها، خلا بجاية وأعمالها وتلمسان وأعمالها والمغرب**"[3].

ونظام الضرائب الخراجي الذي اعتمدته الدولة الموحدية كان يوفر لها في الغالب مخزونا ضخما من الحبوب، وكانت تقوم ببيع الفائض منه في الأسواق خاصة في فترات المجاعات كما هو الحال عام 616_617هـ/1219_1220م[4]، ويبدو أنهم قد اقتصروا على الضرائب الشرعية حتى عهد الناصر الموحدي حيث تجلب لمركز الدولة من جميع الأقاليم أموال الخراج والزكاة والأعشار، ليدبّ الضعف في جسم الدولة في عهد ابنه الأمير يوسف[5].

الجزية: إنّ الإجراء الذي قام به عبد المؤمن تجاه أهل الذمة من اليهود والنصارى، بأن خيّرهم مابين الإسلام أو الخروج من البلاد أو القتل[6]، دليل على أنّ عوائد الجزية لم تكن تُجبى خلال فترة عبد المؤمن بن علي، وخير دليل على فعالية هذا الإجراء هو ما ذكره الرحالة ابن جبير[7] بشأن حالة اليهود وأهل الذمة الذمة بقوله: <<**وليتحقق المحقق ويعتقد الصحيح الاعتقاد أنه لا إسلام إلاّ ببلاد المغرب**>>، واستمرت سياسة الموحدين تجاه أهل الذمة على هذا المنوال حتى عصر المأمون.

والجزية لم تكن تؤخذ إلى عهد أبي يوسف يعقوب المنصور على الأقل لقول هذا الأخير:<<**لم تنعقد عندنا ذمة ليهودي ولا نصراني منذ قام أمر المصامدة**>>[8].

جـ2_الضرائب الإضافية: الواضح أنّ القبالات التي أزالها الموحدون في بداية عهدهم قد تجددت فيما بعد، وخاصة في أواخر عهد الدولة، وممّا تُركِز عليه رسائل التقاديم أنّ مهام المقدمين جمع المجابي المخزنية

---

[1]_عز الدين أحمد موسى: **المرجع السابق**، ص:174.

[2] _ابن خلكان: **وفيات الأعيان**، 237/3، مقديش: **المرجع السابق**، 466/1.

[3]_المراكشي: **المعجب**، ص:329، أنظر أيضا: النويري: **نهاية الأرب**، 180/24، ابن أبي زرع: **المصدر السابق**، ص:217، السلاوي: **الاستقصا**، 177/2_178.

[4]_محمد المغراوي: **الموحدون وأزمات المجتمع**، ص:167.

[5]_ابن أبي زرع: **المصدر السابق**، ص:230، 242.

[6] _مقديش: **المرجع السابق**، 496/1.

[7] _أبو الحسن أحمد بن أحمد: **رحلة ابن جبير**، ط2، مطبعة بريل، ليدن، 1907م، ص:78.

[8]_المراكشي: **المصدر السابق**، ص:383.

بدون تفصيل أو توضيح، كما أنّ تقديرات المجابي غير مذكورة وربّما كانت تعتمد أحيانا على شهادة من أعضاء الحرفة أو أمينها[1]، ومن هذه الضرائب نجد:

ضريبة الأملاك العقارية: لم تشر المصادر صراحة إلى تطبيق هذا النوع من الضرائب بالمغرب الأوسط، ذلك أنّ هذا الإجراء شمل تونس بعد تغلب الموحدين على الجيوش الزيدية فطلبوا من أهلها مشاركتهم في رباعهم وأموالهم[2]، لكن من غير المستبعد أن يكون الموحدين قد استفادوا من عقارات المغرب الأوسط وخصوصا عقارات سكان الريف المصدر الرئيسي للمنتجات الزراعية والبستنية.

ونتيجة لغزو بني غانية لبجاية حيث أقفرت بسائطها وقلّت مادتها فغلت أسعارها وتعذرت الجباية وجاوز تقتيرها النهاية[3]، ولعل هذه الفترة الحرجة وغيرها من الفترات كثيرا ما كانت تدفع الموحدين إلى فرض ضرائب إضافية.

ولمّا كانت الدولة الموحدية تعتمد في اقتصادها على أسلوب الإنتاج الحربي فإن الأموال الضخمة والغنائم التي كانت تجنيها ظلت رهينة قوة الدولة وحروبها التوسعية، وبمجرد ما تنتهي هذه الحروب تتوقف تلك العائدات ممّا يدفع بالدولة لفرض ضرائب جديدة لا يقرّها الشرع[4]، وشهدت هذه الدولة معارضين لسياستها لسياستها الجبائية لكنها تغلبت عليهم بفضل قوتها، فقبيلة أولاد ثابت من بطون كتامة من أهل الجبل المطل على القل قد فرض عليهم أبا بكر الجد المغرم عليهم أيام الموحدين ولم يكن قبل ذلك عليهم المغرم[5].

كما اتبع حكام الدولة سياسة تقوم على استغلال العوائد الجبائية في مشاريع تعود بالنفع على الرعية وإن كان الأمر في فترة قوتها، مثل اقتطاعها لمجموعة من الرسوم الجبائية العينية من مداخيل الفلاحين وتجار المواد الغذائية لتقوم بخزنها قصد التصرف فيها عند الحاجة، والمرجح أن تكون هذه الدولة هي السبّاقة لهذا الإجراء وأثناء الفتن والمجاعات تقوم بتوزيعها مجانا على الفلاحين[6]، ومن المؤكد بأنّ هذا الإجراء كان لصالح الفلاحين في الغالب نظرا لمستواهم المعيشي البسيط.

وحرصوا أيضا على حماية الزُرّاع وحفظ الأموال بدليل أنّهم أنشأوا بحائر كثيرة في السهول والجبال في بيئات المغرب الثلاث[7]، ولعل هذا الأمر قد زاد من ثقة الفلاحين بهذه الدولة وتشجيعهم على العمل والاستقرار.

---

[1] _**رسائل موحدية**، 241/2_242.

[2] _التيجاني: **رحلة التيجاني**، ص ص:345_346.

[3] _السلاوي: **المرجع السابق**، 181/2.

[4] _بولقطيب: **المرجع السابق**، 106.

[5] _ابن خلدون: **المصدر السابق**، 199/6.

[6] _بولقطيب: **المرجع السابق**، ص ص:69_70.

[7] _عز الدين أحمد موسى: **المرجع السابق**، ص:183.

وفي أثناء تقديم الولاة والقادة والشيوخ[1]، نلمح التشدّد في ضبط الجباية واستيفاء الواجبات المخزنية من جميع النواحي والجهات بالمنطقة المُعَيَّنون عليها؛ بما فيها الأرياف التي كانت مصدرا مهما للجباية مع الصرامة في جمعها[2]، وفي المقابل فإن حكام الدولة حرصوا على رفع المحدثات ووضع المظالم رفقا بالرعية[3].

د_الزراعة والبستنة والسياسة المالية للدول الثلاث (الحفصية، الزيانية والمرينية).

د1_**الزراعة والبستنة والسياسة المالية للدولة الحفصية:** اعتمدت الدولة الحفصية على القرية كوحدة أساسية لجمع الضرائب، فيقوم أعيان القرى بتسجيل أسماء المطالبين بدفع الجباية وجميع الوظائف المخزنية المفروضة عليهم، ثم يتم تسليمها إلى أعوان السلطان[4]، وتم احتكار الوظائف المخزنية من قبل الأندليسن وشيوخ الموحدين[5].

وكانت علاقة السلطة الحفصية مع القبائل عن طريق شيخ القبيلة، الذي لعب دورا هاما في تمتين العلاقة بين السلطة والأطراف، خاصة فيما يتعلق بالرسوم والضرائب وتقديم الدعم العسكري أثناء الحروب والثورات[6].

استعانت الدولة الحفصية بقبيلة لواتة لجمع الضرائب من جبل أوراس وكذلك قبيلة ولهاصة[7]، ولما كانت الرئاسة لدى قبائل سدويكش في أولاد سواق، وجميع بطون هذه القبيلة كانت على استقامة مع الدول حيث يتولى أولاد سواق جمع الضرائب[8]، وخلال القرن 8هـ/ 14م كانت قبائل بني ورا إحدى فروع مغراوة القاطنين ببلاد شلف وناحية قسنطينة، "**أهل مغارم وعسكرة مع الدول**"[9].

كما اصطنعت القبائل العربية لجمع الضرائب من أرياف المغرب الأوسط، فكانت عياض تجمع الضرائب من بني ريغة ببسيط نقاوس للدولة الغالبة ببجاية[10]، وفي عام 684هـ/1285م وبعد استيلاء الأمير أبي زكريا على بجاية واقتطاعها من ملك عمه صاحب الدولة بتونس أبي حفص، "**أقطع بوطن بجاية عملا**"، كبيرا أفرده لداوودين هلال بن عطاف أمير البلد من بني عامر إحدى بطون زغبة، **فأقطعه لجبايته**[11].

---

[1]_رغم أن معظم **التقاديم** التي احتواها المجموع متعلقة أساسا بالمغرب المغرب الأقصى، إلاّ أن اتساع رقعة الدولة الموحدية وبسط نفوذها على كامل بلاد الغرب الإسلامي، فالمؤكد أن جميع الجهات والنواحي قد شملها هذا النوع من التقاديم.أنظر: **رسائل موحدية**، 1/438_446.

[2]_أنظر التقديم 15و16 من **نفس المصدر**، ص:438_439، 442.

[3]_**نفسه**، ص:439.

[4]_ البرزلي: **المصدر السابق**، 206/5.

[5]_محمد حسن: **المدينة والبادية**، 53/1.

[6]–Radhi Daghfous : **Les hilaliens et le pouvoir politique en Ifriqiya**, p.498.

[7]_ ابن خلدون: **المصدر السابق**، 6/ 153، 151 على التوالي.

[8]_**نفسه**، ص ص:196_197.

[9]_**نفسه**، 65/7.

[10]_**نفسه**، ص:64.

[11]_**نفسه**، ص ص:121_122.

وخلال فترة حكم هذه الدولة، اصطنع حكامها قبائل كرفة من بطون الأثبج فكانوا حربا على الزواودة ورياح وشيعة للسلطان الذي أقطعهم **جباية** الجانب الشرقي من جبل أوراس، حيث كانوا يقيمون وكذلك جزءا كبيرا من بلاد الزاب الشرقية التي كانت محلاتهم الشتوية[1].

وكان منع القبائل أو محاولة الحد من سلطتهم في مجال استخلاص الضرائب الدور الكبير في إشعال الثورات وحركات التمرد، كما هو حال قبائل الدواودة التي ثارت ضد أبا عنان بقيادة زعيمهم يعقوب بن علي الرياحي[2].

وممّا يدل على أهمية منتجات الريف في عائدات ومداخيل الدول؛ أنّ السلطان أبا حفص "**كان يعوّل في أمر الزاب على كفايته**" من العائدات الجبائية[3]، ولماّ رأى حاجب بجاية الأعظم أبا عبد الرحمن بن عمر_الذي استخلفه السلطان أبا بكر بمكانه عام 716هـ/1316م، أثناء حركته إلى تونس_من كفاية منصور بن فضل بن مزني عامل الزاب وأنّه جمّاعة للمال استضاف له عمل جبل أوراس والحضنة وسدويكش وعياض وسائر أعمال الضاحية، فكانت أعمال الجباية كلها لنظره وأموالها في حساب دخله وخرجه[4].

لكن يجب التنويه إلى نقطة هامة وهي أنّ المنتجات الزراعية كانت تشكل جزءا مهما من مرتبات الجند وكبار رجال الدولة، فلعامة الأشياخ الكبار والصغار والوقّافين والجند شيء آخر يفرقه السلطان عليهم يسمى المواساة، وشيء آخر يسمى الإحسان، فأمّا **المواساة** فهي غلة تفرق عليهم عند تحصيل الغِلاّت التي تتحصل في المخازن، وأمّا **الإحسان** فمبلغ يفرق عليهم وكلاهما من السنة إلى السنة، وهذه المواساة والإحسان ليست مضبوطة بقدر مخصوص بل على قدر ما يراه السلطان وبحسب أقدار الناس[5].
الناس[5].

أ_الضرائب الشرعية:

الخراج: كلمة خراج خلال العهد الحفصي فقدت معناها الأصلي الذي هو الغرامة العقارية وأصبحت تعني الضريبة العقارية بوجه عام أو العشر[6]، وباتت هذه الضريبة تشكل دخلا وفيرا الذي كان مصدره الازدهار الازدهار الزراعي والبستني بالخصوص، فحول تقرت قصور وقرى وأماكن مأهولة على طول مسيرة ثلاثة

---

[1] _**نفسه**، 31/6.

[2] _برنشفيك: **المرجع السابق**، 209/1.

[3] _ ابن خلدون: **المصدر السابق**، 6/ 587.

[4] _**نفسه**، ص:480.

[5] _ العمري: **المصدر السابق**، ص:97، القلقشندي: **المصدر السابق**، ص:141.

[6] _روجي إدريس: **المرجع السابق**، 222/2.

أيام أو أربعة وكلها خاضعة لأمير تقرت الذي أصبح يجني منها 130 ألف مثقال[1]، وبفضل الإقطاع الذي نالته قبائل زناتة كانوا يتولون جباية الخراج من رعاياهم[2].

ويختلف استخلاص الضرائب تبعا للواقع الاجتماعي والسياسي بين الفلاحين الخاضعين مباشرة للسلطة المركزية وبين القبائل_من الرحل والمقيمين_، التي لا تخضع بصورة مستمرة لرقابة الدولة بسبب نمط عيشها وابتعادها عن المركز، لذلك فتوظيف الأداءات يتم بصورة جزافية بالإتفاق بين الطرفين أو حسب مشيئة الحكام، وهو حينئذ يكتسي صبغة الخراج مهما اختلفت التسميات، واستخلاص تلك الضرائب كان رهين قوة وضعف السلطة الحاكمة[3].

ب_الضرائب الإضافية: من جملة الضرائب العقارية التي حرصت الدولة الحفصية على جمعها نجد: الأعشار، الأحكار، الوظائف واللوازم[4].

والجباية في حد ذاتها كانت رمزا للولاء ورضا السلاطين (سيف ذو حدين)، خاصة في عهد المنصور بن فضل بن مزني التي تمتاز بالثراء والكثرة[5]، فقد رفع يوسف بن فضل بن مزني لأبي عنان من الجباية عام 758هـ/1357م، ما قيمته "**قناطير من الذهب بعثه لبيت المال فقبضه القهارمة من ثقاته**"، زيادة على كميات العلوفات والحنطة التي دعّم بها جيوشه ببلاد الزاب[6].

وضخامة تلك العائدات الجبائية كانت لها نتائج إيجابية على الدولة الحفصية فخلال القرن 9هـ/15م في عهد السلطان عثمان كانت تدخل إلى خزائن الدولة أموالا طائلة[7]، لكن يجب التنويه إلى الأضرار والخسائر التي كان يتسبب فيها الوسطاء قبل وصول محاصيل الجباية إلى الخزينة، كما أنّ هذه المداخيل كانت متغيرة تبعا لظروف الفلاحة وتربية الماشية، وأكثر من ذلك حسب تغير مساحة المناطق الخاضعة للسلطة المركزية أو المستعصية عليها[8]، ومن جملة الضرائب الإضافية نجد:

المكوس: ما يدل على وجود هذا النوع من الضرائب أنّه في عهد السلطان أبي فارس الحفصي الذي أخضع تونس وبجاية وقسنطينة وسائر أعمالها، قد أمر بقطع المكوس من بلاده[9].

المغارم: لصالح الدول الحاكمة فرض ابن مزني الكثير من المغارم على قصور بني ريغة الواقعة بين الزاب ووركلة بإيعاز من الزواودة، ثم يقاسمهم فيما يمتريه منهم[10]، ولما تغلب الزواودة على ضواحي الزاب

---

[1] _الوزان: **المصدر السابق**، 135/2، مارمول: **المصدر السابق**، 165/3.

[2] _ ابن خلدون: **المصدر السابق**، 7/ 104.

[3] _برنشفيك: **المرجع السابق**، 69/2.

[4] _**نفسه**، ص:198.

[5] _ ابن خلدون: **المصدر السابق**، 6/ 588_589.

[6] _**نفسه**، ص:593.

[7] _برنشفيك: **المرجع السابق**، 71/2.

[8] _**نفس المرجع** والصفحة.

[9] _القلقشندي: **المصدر السابق**، ص:133.

[10] _ ابن خلدون: **المصدر السابق**، 7/ 65.

وما إليها أقطعتهم الدولة مغارم الجبال الواقعة قبلة المسيلة وبلاد صنهاجة، مواطن استقرار قبيلة أوغمرت الزناتية، وهذه المجالات كانت من سهمان أولاد يحي بن علي بن سباع من بطون الزواودة[1].

الإتاوات: نتيجة لغياب سيطرة الدول الحاكمة على بعض الأرياف وحالة الفوضى التي طالت أغلب الجهات الريفية خاصة تلك البعيدة عن مراكز السلطة وكراسي الملك، الأمر الذي فسح المجال لفرض الضرائب من قبل أطراف كثيرة؛ فكان لبني باديس من لواتة إتاوات على بلد نقاوس المحيطة في فسيح الجبل، فإذا انحدر الأعراب إلى مشاتيهم اقتضوا منها إتاواتهم وخفاراتهم وإذا رجعوا إلى مصايفهم عادوا إلى معاقلهم[2].

وخلال القرن 8هـ/14م؛ لمّا تغلب العرب على وطن بني يزناتن وبقيت صبابتهم بجبل ورنيد، صاروا يعطون المغرم للسلطان ويصانعون العرب بالإتاوة[3]، وكانت عرب رياح تفرض الإتاوة(الخفارة) أيضا، ولمّا ولمّا أراد أبا عنان قبضها تمردوا وانحاشوا للزاب وكان ذلك عام 758هـ/1357م[4].

وأحيانا يتم اقتسام الجباية بين عدة أطراف، مثلما هو شأن منطقة الزاب الشرقي، ببادس وتنومة والتي كانت من مجالات كرفة، إلاّ أنّ عمال الزاب تأخذ منه في الأكثر الجباية بالقوة، بعد نزول العسكر ببادية رياح بإذن من أميرهم يعقوب وإشراكه في الأمر[5].

ونلمح الشطط الجبائي المسلط على رؤوس الرعية من طرف القبائل العربية، فقبيلة مسلم التي تسكن مفازة مسيلة الممتدة نحو مملكة بجاية، يأخذون إتاوات من مسيلة وبعض القرى المجاورة[6]، وكان سكان طولقة فقراء لأنهم مثقلون بالإتاوات من قبل الأعراب[7].

ورغم أنّ قبائل سدويكش القاطنيين بالمنطقة الواقعة بين سطيف وبجاية كانوا يعيشون عيشة بدوية، فيقيمون تحت الخيام ويتعاطون تربية الإبل والبقر ويركبون الخيل، إلاّ أنهم كانوا خاضعين لسيطرة الدواودة الذين كانوا ينتجعون في الناحية الجنوبية والشرقية من مناطقهم ويفرضون عليهم الطاعة[8]، فكانت رياح المسيطرة على جبل سدويكش تفرض على السكان المرباع والصفايا، بالإضافة إلى الضرائب والخفارات[9]، والخفارات[9]، ولمّا رُفِعت خفاراتهم على الأوطان السدويكشية ووضعت ضرائبهم التي أثقلت كواهل الرعية تمردوا ضد أبا عنان بعد فتح هذا الأخير لقسنطينة[10].

---

[1] _ **نفسه**، 153/6، 69/7، 84.

[2] _**نفسه**، 155/6.

[3] _**نفسه**، 7/ 220.

[4] _**نفسه**، ص:394، السلاوي: **المرجع السابق**، 3/203_204.

[5] _ ابن خلدون: **المصدر السابق**، 6/ 47.

[6] _الوزان: **المصدر السابق**، 51/1.

[7] _**نفسه**، 140/2.

[8] _ برنشفيك: **المرجع السابق**، 324/1.

[9] _ النميري: **المصدر السابق، ص ص:280_282.**

[10] _ **نفسه**، ص ص: 383_384.

والتعسف الضرائبي لم يكن حكرا على القبائل العربية فحسب، فللدول الحاكمة الدور الكبير في الشطط الجبائي فقد كان ملك تونس يثقل كاهل سكان طولقة بالإتاوات[1]، وهذه الإجراءات الضريبية لم تكن تشمل جميع مناطق نفوذ الحفصيين بالمغرب الأوسط، ذلك أنّ سكان المناطق الجبلية كانوا يمتنعون عن دفعها للدولة، مثل سكان قصر جيجل الذين كانوا دائما في حرية بالرغم على ملوك بجاية وتونس[2]، وكذلك سكان جبال القل الرافضين لسلطة كلاّ من ملك تونس وأمير قسنطينة[3].

وقبائل زواوة والبربر الحليفة بجبال إقليم بجاية كانت لاتقيم وزنا لسطوة الملوك[4]، لاسيما بعد سقوط بجاية في يد المسحيين[5]، لكن ليست جميع القرى والمناطق في مأمن عند رفضها لدفع الضرائب، فكثيرا ما كان السلطان يتولى الأمر بنفسه أو يرسل بعض أجناده لجمعها بالقوة، فلامتناع قبائل هوارة بالأوراس عن دفع المغرم في عهد أبا زكريا؛ السبب في خروجه إليهم قتلا وسبيا عام 636هـ/1238م، فاستقاموا على الطاعة[6]، وشهدوا الموقف ذاته عام 716هـ/1316م[7].

والحال نفسه بالنسبة للقائد ابن عبد الحكيم في عهد السلطان أبي بكر الحفصي، الذي نزل جبل أوراس عام 742هـ/1341م، "**فاقتحمه واقتضى مغارمه وتوغل في أرض الزاب واستوفى جبايته من عامله بن منصور، وتقدم إلى ريغة ونازل تغرت _تقورت_، وافتتحها وامتلأت أيدي العساكر من مكاسبهم وخيلهم**"[8].

بل إنّ هناك من القبائل من تذعن تارة وترفض الأخرى، فقبائل زواوة وبني غبرين وفراوسن وبني سرا _فراسن وبني يراثن_، من فروع كتامة كانوا مذعنين لسيطرة الدولة الحاكمة من القرن 5_8هـ/11_14م، إلاّ أنهم كانوا يشقون الطاعة لمنعة جبالهم[9].

وظاهرة امتناع القبائل الجبلية كانت مألوفة خاصة من قبل البربر القاطنين بجبال بجاية، وكثيرا ما يتم استخلاصها عنوة وبقوة الجيوش كما هو الحال عام 766هـ/1364م، من قبل ابن خلدون والجيوش لتدعيم الحرب بين الأمير أبي عبد الله حاكم بجاية، ضد ابن عمه السلطان أبا العباس صاحب قسنطينة[10].

---

[1] _ الوزان: **المصدر السابق**، 140/2.

[2] _**نفسه**، ص ص:51_52.

[3] _**نفسه**، ص:54، مارمول: **المصدر السابق**، 6/3.

[4] _مارمول: **المصدر نفسه**، 376/2.

[5] _الوزان: **المصدر السابق**، ص:101.

[6] _ ابن خلدون: **المصدر السابق**، 6/ 383 وما بعدها.

[7] _ **نفسه**، ص:479.

[8] _**نفسه**، ص:511.

[9] _**نفسه**، ص:169.

[10] _**نفسه**، 7/ 560.

والتعسف الجبائي في أغلب الأحيان سواء من قبل السلطان أو القبائل العربية تكون له انعكاسات سلبية على مجتمع المغرب الأوسط مثل التراجع العمراني للعديد من المدن والقرى، واحتضارها البيطئ وهي السمة الغالبة على السنوات الأخيرة للعصر الوسيط[1].

د2_الزراعة والبستنة والسياسة المالية للدولة الزيانية: عرفت الدولة الزيانية نظاما ضريبيا كان امتداد للنظام الضريبي الموحدي، لكن الأوضاع التي عاشتها هذه الدولة، جعلت ماليتها في أغلب الأحيان في ضعف لتغلب العرب على البوادي وتقوي الأوروبيين بالبحر[2]، واعتمد الحكام في جمع الضرائب على القبائل البربرية[3] والعربية[4]، واستعانوا أيضا في جمعها على النصارى واليهود، لكن بعد سيطرة أبا الحسن على تلمسان أزال تلك المغارم ولم يُبق لذمي ولاية على مسلم في المجابي[5].

تشير المصادر لكثرة المجابي من قبل الحكام الزيانيين، فأبا حمو موسى الأول "**استكثر الضرائب للإنفاق على الجيش**"[6]، وأبا حمو موسى الثاني "**حلب ضرع الجباية فأثرى بيت ماله...فهو اليوم مما يشار إليه بالسداد**"[7]، وفي عهد السلطان الزياني أبا تاشفين بلغت الدولة الزيانية ازدهارا وتنظيما في أنشطتها الاقتصادية إذ مثلت الجباية مصدرا من مصادر دخل الدولة خلال فترة حكمه وفترة ما قبله، ويؤكد ابن خلدون[8]بقوله: <<**وتضاعفت قواهم بما استحوذوا عليه من جبايات الأمصار والقبائل>>.**

حظي جنود الدولة الزيانية بالقسط الوافر من العائدات الزراعية والبستنية، **فبمملكة بر العدوة**؛ ومنها تلمسان كان لكل واحد من الأشياخ الكبار على السلطان في كل سنة عشرون ألف مثقال من الذهب يأخذها "**من قبائل وقرى وضياع، ويتحصل له من القمح والشعير والحبوب في تلك البلاد نحو عشرين ألف وسق....**"، وأمّا الأشياخ الصغار فيكون لهم من الراتب والمجاسر نصف ما للأشياخ الكبار[9].

ويبدو أن ملوك بني زيان خاصة خلال فترات الرخاء قد تقيدوا وإلى درجة كبيرة بالمصادر الشرعية لجمع الضرائب ولم يكلفوا الناس ضرائب غيرها، فكانت سياسة يغمراسن بن زيان تقوم على تخفيف الجبايات على الزُرّاع، وكان قسطا كبيرا منها يجمع على شكل غِلاّت ومواد مختلفة تُجمع في مخازن الدولة لتمويل الجيش أو توزيعها على السكان أيام المجاعات بعكس فترات التراجع والإنحطاط أين ظهرت

---

[1] _ محمد حسن: **المدينة والبادية**، 207/1.

[2] _الميلي: **المرجع السابق**، 384/2.

[3] _ابن خلدون: **المصدر السابق**، 104/7.

[4] _**نفسه**، 61/6، 65.

[5] _ابن مرزوق: **المسند**، ص:285.

[6] _الزركلي: **الأعلام**، 325/7.

[7] _ابن الخطيب: **الإحاطة**، 286/3.

[8] _ خليلي بختة: **المرجع السابق**، ص: 26.

[9] _العمري: **المصدر السابق**، ص:131، القلشندي: **المصدر السابق**، ص:204.

خلاله ضرائب ساهمت في إفقار العامة بفرض مغارم ومكوس جديدة خاصة تلك المفروضة على التجارة الداخلية[1]، وعموما يمكن حصر أنواع الضرائب في العهد الزياني في:

أ_الضرائب الشرعية:

الزكاة: نلمح اهتمام سكان الريف بقيمة الزكاة المفروضة والمستحقة من خلال تقديرها في محاصيل التمر والزيتون[2]، وزكاة الفول الأخضر[3]، والزرع بعد حصاده وكذلك المواشي[4].

ومن حالات إسقاط الزكاة نجد القسم الذي يأخذه اللّقاطون من الزرع شرط أن لا يعود صاحب الزرع إليه، وأمّا "**ما يأخذه المستوهبة فإن وقع ذلك لخوفه منه مثل أن يكون الموهوب من خدمة السلطان أو الأمراء أو العرب فهو بمنزلة الجائحة لا زكاة فيه وإلاّ ففيه زكاة**"[5].

وفي حالة خرص الزيتون فإن من يقومون بهذا الأمر يمنعون أصحابه حتى يدفعوا دراهم عينا، فاختلفت قيمة الزكاة التي تُدفع باختلاف فتوى الفقهاء، وإن كان أبا الطيب قد أفتى بحساب جميع ما أخرج عن الزرع من الدراهم ويحط من قيمة الزرع ويزكي مابقي[6]، وأمّا الدراهم التي تُغرم لأجل الحرز فتحسب على ما رموها عليه دون غيره مما لم يغرم عليه شيء ويحسب قيمة الغرم[7].

ونظرا لحالة الفقر والفاقة التي كانت تصيب فلاحي المغرب الأوسط فقد كان بعضهم يأكل من الزرع الأخضر قبل يبسه، الأمر الذي يدفعهم للتساؤل عن مقدار الزكاة وكيفية إخراجها، فأجاب سيدي أبا عبد الله الزواوي(ت719هـ/1319م)، بأن يترك شيئا من ذلك الحب الذي حصده أخضر بعد معرفته بمكيلته، فينظر ما بين الكيلين من الأخضر واليابس فيجعل ذلك جزء ويسقط مكيله الأخضر ويخرج من اليابس بحساب ما يصح من العدد بعد الإسقاط[8].

وأثناء جمع الزكاة كانت هناك تجاوزات كثيرة من قبل الجباة من خلال مضايقة الضعفاء والمساكين في أخذ الزكاة[9]، وفي المقابل هناك تجاوزات من قبل بعض الفلاحين أيضا الذين لا يقومون بدفع الزكاة عن محاصيلهم مثل الأعناب[10].

---

[1]_ خليلي بختة: **المرجع السابق**، ص ص:25_26.

[2]_فتوى التونسي واللخمي، البرزلي، **المصدر السابق**، 547/1.

[3]_فتوى الصائغ(ق5هـ)، **نفسه**، ص:551.

[4]_فتوى عبد الرحمن الواغليسي(ق8هـ)، الونشريسي، **المصدر السابق**، 393/1، فتوى سيدي عيسى الغبريني(ق9هـ)، وفتوى أبا عبد الله الزواوي (ق8هـ)، **المصدر نفسه**، ص:390.

[5]_فتوى ابن محرز، البرزلي، **المصدر السابق**، ص:547.

[6]_**نفسه**، ص ص:546_547، الونشريسي: **المصدر السابق**، 379/1.

[7]_ الونشريسي: **نفس المصدر** والصفحة.

[8]_المازوني: **المصدر السابق**، 152/1و، الونشريسي: **المصدر السابق**، ص:390.

[9]_فتوى عبد الرحمن الواغليسي(ق8هـ)، المازوني: **المصدر السابق**، ورقة 150ظ، الونشريسي: **المصدر السابق**، ص:391.

[10]_فتوى أبو عبد الله الزواوي(ق8هـ)، الونشريسي: **المصدر نفسه**، 68/5.

كانت المناطق الجبلية دائما ترفض دفع الضرائب المجحفة ماعدا الضرائب الشرعية، فرغم أنّ قصر جيجل ظلّ محافظا على حريته بالرغم على ملوك بجاية وتونس، إلاّ أنّ أهله خضعوا من تلقاء أنفسهم إلى بربروس عام919هـ/1514م بعدما استرجعها من الجنويين، الذي لم يفرض عليهم سوى زكاة عشر الحبوب والثمار ممّا هو حلال معمول به[1].

العشور: ضريبة يدفعها الفلاحون من محصول الزرع[2]، وقد مثل العشر الضريبة القانونية الموظفة بوجه عام على أغلبية الزراعات وجميع أنواع الأراضي وقد كانت تقدر بحسب المحاصيل[3].

الخراج: كان من جملة الضرائب المفروضة على الأراضي والجنّات خلال هذه الفترة[4]، ونلمح العديد من المناطق التي كانت تدفع ضريبة الخراج وكانت قيمته مرتفعة جدا مثل سكان سهل تسلة (سيدي بلعباس)[5]، والمؤكد أنها انعكست سلبا على المستوى المعيشي للفلاحين.

وهناك مناطق كانت تدفع هذه الضريبة للأعراب مثل إمارة ورقلة التي كان يدفع أميرها خراجا مرتفعا لهم[6]، ومن المناطق من ترفض دفع هذه الضريبة مثل سكان ندرومة المتقوين بجيرانهم الجبلين (قبيلة مطغرة)، ذلك أن الملك لايستطيع أن يحصل على أيّ خراج من هذه المدينة، لأن العمال الذين يوفدهم إليها إنما يقبلها السكان إذا رضوا عنهم وإلاّ رفضوهم وردوهم على أعقابهم[7]، وكذلك سكان جبال قسنطينة الذين كانوا أغنياء جدا لأنهم لايؤدون الخراج[8].

ونلمح التذبذب في طريقة فرض الضرائب وتقبلها أو رفضها من قبل السكان، فرغم أنّ العثمانيين كانوا مسلمين واكتفوا بالزكاة في بعض المناطق إلاّ أنّهم فرضوا ضريبة الخراج في مناطق أخرى مثل سكان شرشال الذين لم يدفعوا الضرائب لأي جهة قط قبل بربروس، وكان مقدار الخراج السنوي المجبي أكثر من 300 مثقال[9]، ولعل الأمر يعود أساسا لتبادل المصالح التجارية بين الطرفين لأن تجارة سكان شرشال تقوم على التجارة البحرية وتسويق منتوج الحرير وكان العثمانيين الوافدين زعماء البحر في تلك الفترة.

---

[1] _الوزان: **المصدر السابق**، 2/51_52.

[2] _ فتوى عبد الرحمن الواغليسي، المازوني: **المصدر السابق**، ورقة 153و.

[3] _برنشفيك: **المرجع السابق**، 2/198.

[4] _ فتوى أبا الفضل العقباني (ق9هـ)، المازوني: المصدر السابق، 2/43ظ، 44ظ.

[5] _الوزان: **المصدر السابق**، ص:25، مارمول: **المصدر السابق**، 2/323.

[6] _الوزان: **المصدر السابق**، ص:173، مارمول: **المصدر السابق**، 3/166.

[7] _الوزان: **المصدر السابق**، ص:14.

[8] _**نفسه**، ص:103.

[9] _**نفسه**، ص:34.

وضريبة الخراج لم تكن مفروضة على الأراضي الزراعية فحسب؛ بل كانت تمثل رمزا للخضوع والولاء أيضا خاصة من قبل حكام هذه الدولة لسلاطين الدولة المرينية[1]، لكن في فترات قوة الزيانيين وإحكام سيطرتهم كانت تجبي الخراج من مناطق خارجية، ففي عام 672هـ/1273م، كان يغمراسن بن زيان يقوم بجباية خراج سجلماسة مع عرب المنبات الذين قاموا بأمرها حتى استعادها يعقوب المريني في العام التالي[2].

الجزية: فرضت هذه الضريبة على أهل الذمة من اليهود والنصارى خلال الفترة الزيانية[3]، وقدرت الجزية المفروضة على يهود البادية خلال القرن 9هـ/15م على سبيل المثال بـ 4دنانير أي ما يعادل 40 درهما بالوزن الشرعي على كل شخص في كل عام[4]، وفرض الجزية بات في اتجاه معاكس بعد ضعف هذه الدولة، فنتيجة لسقوط وهران في يد الإسبان عام 914هـ/1508م اعترف أبا حمو الثالث بالوجود الإسباني وتعهد بدفع جزية سنوية قدرها 12 ألف دوقة[5].

ب_الضرائب الاضافية: استعانت الدولة الزيانية بالقبائل العربية لجمع المغارم للمخزن وقبض الوظائف المحدثة[6]، فكانت قبائل سويد إحدى فروع مالك من زغبة، تجمع الإتاوات من سكان بلد سيرات والبطحاء وهوارة[7]، وخلال القرن 8هـ/ 14م؛ أقطع السلطان العطاف من الحرث بن مالك الموطنين قبلة مليانة، مغارم جبل دراك وما إليه من وادي شلف وحال بينهم وبين موطن سويد وونشريس[8].

شكّل المجتمع الريفي المصدر الرئيسي والممول الأول لهذه الضرائب الكثيرة من أحكار ولوازم[9] ووظائف[10]، ومن جملة المغارم المفروضة على أهل بوادي المغرب الأوسط من الفلاحين وظيفا يخص الثمار يسمى بنصف الأثمنا[11]، وتفرض على الأراضي أو الجنات وتدفع كل سنة[1]، وغرامة الأزواج الحارثة وإتاوة أخرى تسمى خراج الجبال[2]، إضافة إلى وظيفة الخرص في الجنات[3]، ومغرم الجمون[4].

---

[1]_نذكر على سبيل المثال أنه: خلال فترة حكم الأمير الزياني أبا زيان محمد بن أبي حمو (796_802هـ)، كان يعطي الخراج في كل عام للأمير أبي سعيد عثمان المريني. أنظر: ابن الأحمر: **تاريخ الدولة الزيانية**، ص:83.

_وفي عام 802هـ وبعد إقدام أبا حمو أخو أبا زيان محمد بن موسى وتولى حكم تلمسان لنفسه، أقام يؤدي في كل عام خراجا للسلطان أبا سعيد عثمان المريني. أنظر: ابن الأحمر: **المصدر نفسه**، ص:84، الزركلي: **المرجع السابق**، 141/4.

[2]_ابن خلدون: **المصدر السابق**، 114/7، 249_250.

[3]_فتوى أبا الفضل العقباني، المازوني: **المصدر السابق**، 193/1ظ.

[4]_ **نفس المصدر** والصفحة، أنظر أيضا: فتوي سيدي قاسم العقباني، الونشريسي: **المصدر السابق**، 253/2.

[5]_ أحمد توفيق المدني: **حرب الثلاثمئة سنة بين الجزائر وفرنسا (1492_1792م)**، ش،و،ن،ت، الجزائر، (د_ت)، ص:102، أنظر أيضا: ابن ابن منصور: **المرجع السابق**، 149/1.

[6]_فتوى علي بن عثمان البجائي(ق8هـ): المازوني: **المصدر السابق**، ورقة 248و.

[7]_ ابن خلدون: **المصدر السابق**، 6/ 59، 61.

[8]_**نفسه**، ص:65.

[9]_برنشفيك: **المرجع السابق**، 198/2.

[10]_فتوى عبد الرحمن الواغليسي، المازوني: **المصدر السابق**، 123/2و.

[11]_ فتوى محمد بن مرزوق(ق9هـ)، المازوني: **المصدر نفسه**، 509/1ظ، فتوى حمو الشريف (ق9هـ)، **المصدر نفسه**، 43/2ظ، ورقة 44ظ.

بالإضافة إلى جملة ألقاب لا تحصى كثرة كالخرص والبرنس والضيافة والإنزال والقاعة والخطيئة، والمغرم على الحطب والبيض والدجاج والتبن،....إلخ[5]، ووظيفة مغرم الماء التي انتشرت في تلمسان وأعمالها، حيث كان ساقي الجنّات يضطر إلى دفع مغرم للبراءة ولصاحب الحوز والحراس، وهي من جملة المغارم التي ألغاها أبو الحسن المريني عند استيلائه على المغرب الأوسط[6].

وشملت هذه المغارم والإتاوات كل الفئات العاملة داخل المجال الريفي كأهل الصنعة أو الحراثين التي يفرضها عليهم السلطان أو عماله أو أشياخ القبائل، وتدفع إما نقدا أو زرعا أو شمعا[7]، وكانت مغارم المغرب الأوسط تجمع لعدة أطراف أولها الدولة[8] التي كثيرا ماكانت تثقل كاهل الرعية من الضرائب المفروضة عليهم مثل سكان المسيلة الذي تضرّروا من ضرائب ملك بجاية[9].

وكان سكان جبل بني بوسعيد يؤدون إتاوة ضئيلة لملك تنس[10]، ومملكة تلمسان التي نالت حصة الأسد من العوائد الجبائية الوفيرة التي تدفعها العديد من المناطق مثل البطحاء الكثيرة القمح التي تحقق للملك دخلا قدره 20 ألف مثقال[11] وأيضا سكان سهل تسلة[12]، ويقدم إقليم بني راشد الذي يحتوي على قرية المعسكر مقر خليفة الملك مع فرسانه، زهاء 25 ألف مثقال ويمده بنفس العدد من المقاتلين بين راجلين وراكبين[13].

ومن القبائل العربية من كانت تقدم الغرائم لملك تلمسان؛ منها أولاد هبرة إحدى عمائر بني هلال التي تمتد ديارها من السهل الممتد بين وهران ومستغانم وهم فلاحون يؤدون الخراج[14] (الإتاوة)[15]، لملك تلمسان وعددهم 100 ألف[16]، ولم تسلم حتى العاصمة من الضرائب الإضافية، فلما كانت تلمسان تشكل

---

[1] _ **نفسه**، 509/1ظ.

[2] _فتوى أبو عبد الله الزواوي(ق8هـ)، **المصدر نفسه**، 32/2و.

[3] _ابن مرزوق: **المسند الصحيح**، ص:282_283.

[4] _يفرض هذا المغرم في النخل والزرع، ويجتمع فيه كل سنة أحمال من الذهب، وكان معروفا عند عامة سكان الأرياف والبوادي وفي جميع بلاد النخل والزرع. انظر: ابن مرزوق: **المصدر نفسه**، ص: 283.

[5] _**نفسه**، ص ص:284_285.

[6] _**نفسه**، ص ص: 285_286.

[7] _ فتوى الشيخان أبا زيد أوبو موسى ابن الإمام (ق8هـ)، المازوني: **المصدر السابق**، 38/2و.

[8] _ فتوى أبا الفضل العقباني(ق9هـ)، **المصدر نفسه**، ورقة 130و، فتوى محمد بن مرزوق (ق9هـ)، **المصدر نفسه**، 509/1ظ، فتوى علي بن عثمان البجائي (ق8هـ)، **المصدر نفسه**، ورقة 248و.

[9] _الوزان: **المصدر السابق**، 52/2، مارمول: **المصدر السابق**، 381/2.

[10] _الوزان: **المصدر السابق**، ص:45.

[11] _**نفسه**، ص ص:27_28، مارمول: **المصدر السابق**، ص:326.

[12] _الوزان: **المصدر السابق**، ص:25، مارمول: **المصدر السابق**، ص:323.

[13] _الوزان: **المصدر السابق**، ص ص:26_27، مارمول: **المصدر السابق**، ص:324.

[14] _الوزان: **المصدر السابق**، 51/1.

[15] _مارمول: **المصدر السابق**، 103/1.

[16] _الوزان: **المصدر السابق**، 51/1.

مرحلة هامة للتجارة الداخلية والخارجية (بين أوروبا وبلاد السودان) ، قام الملك بفرض ضرائب ورسوما تجارية على المدينة بعد احتلال المسيحيين لوهران، وكانت معفاة منها أيام الملوك السابقين[1].

وهناك من المناطق من كانت تتحايل عن دفع الضرائب للملك مثل سكان ندرومة الرافضين لدفع الخراج، لكنهم أحيانا يرسلون إلى الملك هدية بسيطة ليتمكنوا من إدخال سلعهم إلى تلمسان[2]، ومن القبائل القبائل الجبلية التي تعودت على الحرية ورفض دفع المغارم والإتاوات مثل: سكان جبل كوكو من البربر وزواوة، الذين قلّما يدينون بالطاعة لأمير أو يؤدون مغرما لأحد[3]، والقبائل الشديدة البأس التي تقطن الجبال الواقعة بشرق وجنوب سهل الجزائر: "**كانت مُحرّرة من كل إتاوة وافرة الغنى، واسعة الكرم يملكون أراض جيدة للزراعة وكمية عظيمة من الماشية والخيل**"[4]، بالإضافة إلى بني سنجاس بجبل بني راشد[5].

راشد[5].

وسكان برشك حلفاء الجبليين المجاورين (أهل زانمة فرع من فروع زناتة) وأصدقائهم وبذلك تمكنت المدينة من الدفاع عن نفسها طوال مئة سنة والتحرر من كل خراج إلى أن جاء التركي بربروس فأثقل كاهلها بالإتاوات[6].

والبعض منها لا تدفعها إلاّ بالقوة مثل بني عابد بقايا من كومية بعد تهجيرها حيث "**باتوا في عداد القبائل الغارمة**"، وكانوا مع جيرانهم ولهاصة يرفضون دفعها إلاّ بالنكال والعذاب[7]، بل حتى المناطق الصحراوية شهدت حالة الامتناع والرفض فكانت قبائل بني يالدّس إحدى بطون بني ومانوا إلى جانب سائر قبائل البربر مثل ورتطغير ومصاب وبني عبد الواد...القاطنين بالقصور الغربية بالصحراء (قصور توات وتيكورارين)، "**بعيدين عن هضيمة الأحكام وذل المغرم**"[8].

والحال ذاته بالنسبة **للقبائل العربية**، فبعدما تملك السلطان أبا زيان المدية من سيطرة أبا حمو عام 767هـ/1365م، سلك الثعالبة في التجافي عن ذل المغرم، وكانت في نفوس أهل الجزائر نفرة من جور العمال عليهم فاستمالهم بها سالم بن إبراهيم بن نصر أمير الثعالبة إلى طاعة الأمير أبي زيان، فأعطوه يد الطاعة والانقياد[9].

---

[1] _ **نفسه**، 23/2.

[2] _ **نفسه**، ص:14.

[3] _مارمول: **المصدر السابق**، 373/2.

[4] _الوزان: **المصدر السابق**، ص:46.

[5] _ابن خلدون: **المصدر السابق**، 64/7.

[6] _الوزان: **المصدر السابق**، ص:33، مارمول: **المصدر السابق**، ص:355.

[7] _ ابن خلدون: **المصدر السابق**، 168/6.

[8] _ **نفسه**، 77_76/7.

[9] _**نفسه**، ص:174.

وسكان المغرب الأوسط لايدفعون الضرائب للدولة فحسب، بل أحيانا يدفعونها لأطراف أخرى تابعة لها مثل الولاة فكان أولاد هبرة إحدى عمائر هلال يقطنون السهول الواقعة ما بين وهران ومستغانم "**وهم فلاحون يؤدون الإتاوة لملك تلمسان وأحيانا لوالي وهران**"[1]، أو لبعض أشياخ العرب المتغلبين على القرى[2] والمدن مثل سكان ورقلة[3]، وسكان مزاب الذين يؤدون الإتاوة للأعراب ويخضعون لهم[4].

وكان من الأموال التي تدفع صلحا للأعراب المغيرين على القرى هي جزء من أموال سكان الريف بما فيها مطامير الزرع[5].

وبسبب الإقطاع الجبائي أصبح لعرب المغرب الأوسط سلطة مكنتهم من التطاول على الرعية، وبعد ضعف السيطرة العبد الوادية على الأرياف الخاضعة لمجالات يزيد من زغبة، تمردت تلك القبائل ضدها واستأثرت بالجباية لنفسها[6]، والأمر ذاته شهدته مع قبائل الخراج والهداج من ذوي عبيد الله من عرب المعقل، حيث تملكوا وجدة وندرومة وبني يزناسن ومديونة وبني سنوس بالإقطاع، أين صار معظم جبايتها لهم، وضربوا على بلد هنين بالساحل ضريبة الإجازة منها إلى تلمسان[7].

ومن الأهمية بمكان الإشارة إلى أنّ معظم الثروات المادية التي كونتها الزوايا كانت عائداتها من المناطق الزراعية المزدهرة، وظلت السلط الحاكمة حريصة على ضمان السند من المجموعات التابعة للزوايا، ذلك أنّ إقطاع الأراضي للمرابطين يشجع على الإستثمار في الأراضي الصالحة للزراعة، وبالتالي الحصول على الضرائب المالية[8].

وفي المقابل نجد أنّ النخب الريفية (المرابطون وشيوخ القبائل) الحليفة للسلطة، قد استفادت من العائدات الجبائية لنفسها دون تحويلها للدولة[9]، ومن هنا نلمح مدى ضخامة الجبايات المفروضة على السكان الريفيين، وتعدد الأطراف المستفيدة منها والتي أثقلت كاهل الفلاحين البسطاء خلال القرون الأخيرة من العصر الوسيط.

لقد ظل الفقهاء رافضين للمغارم المجحفة في حق الفلاحين، إلى الدرجة التي جعلت بعضهم يشدّد على رد المغرم لصاحب الأرض المغصوبة من غلتها في طول ما غرسها بأمر السلطان، وما غُرِم للسلطان تكون مصيبة منه إلاّ أن يرد عليه السلطان ما أُخِذ منه[10]، وظلوا دائما يعارضون السلطة

---

[1] _ مارمول: **المصدر السابق**، 103/1.

[2] _ فتوى عبد الرحمن الواغليسي، المازوني: **المصدر السابق**، 153/1ظ، فتوى محمد العقباني (ق9هـ)، **المصدر نفسه**، 37/2و.

[3] _الوزان: **المصدر السابق**، ص:137، مارمول: **المصدر السابق**، 166/3.

[4] _الوزان: **المصدر السابق**، ص ص:134_135، مارمول: **المصدر السابق**، ص:164.

[5] _فتوى قاسم العقباني(ق9هـ)، الونشريسي، **المصدر السابق**، 115/2_115.

[6] _ ابن خلدون: **المصدر السابق**، 6/ 55.

[7] _**نفسه**، ص:81.

[8] –Voguet : **Appropriatiouns et distributions...**, p.132.

[9] – Ibid, p.133, **chefs de tribus...**, p.378.

[10] _فتوى محمد بن عبد الملك الخولاني، الونشريسي، **المصدر السابق**، 179/6_180.

ولايؤدون الضرائب مثل الولي الذي عمّر سهل البطحاء بعد خرابه وقام باستصلاحه، كان لايؤدي أي إتاوة لا للملك ولا للأعراب[1].

د3_الزراعة والبستنة والسياسة المالية للدولة المرينية:

الحديث ضمن هذا العنصر سيكون بشكل مختصر جدا لكون التواجد المريني بالمغرب الأوسط لم يدم فترة طويلة، لذلك اقتصروا على فرض الضرائب الشرعية في أغلب الأوقات، فعند استيلاء أبا الحسن المريني على المغرب الأوسط قام بإلغاء الكثير من المغارم (المظالم) والمكوس ولعل أهمها وظيفة مغرم الماء، كما أفاض ابن مرزوق في الحديث عن أنواع الضرائب التي رفعها السلطان أبا الحسن عن السكان والتي تناولتها سابقا، ولم يدع إلاّ الخراج والزكاة والعشر[2].

وبعد إخضاع تلمسان وأعمالها وقطع دابر آل زيان عمل قائد جيشه "حمزة بن عمر"؛ على تدويخ إفريقية وأخذ **الصدقة** من جميع ظواعن البدو الناجعة في أقطارها، وجميع الطوائف المتعاصين بالثغور كرمز من رموز الولاء والخضوع لسيطرته وحكمه، والكف عن الجباية لصالح هذه القبيلة وتلك[3]، بعدما رفع عنها المكوس وأسقط المغارم المحدثة والمظالم المبتدعة بادية وحاضرة[4]، واستعمل السلطان أبا الحسن ابنه نصر بن عمر على "**جبل وانشريس توفيرا للجباية**"[5].

وبعث مع أهل الجزائر الولاة للجباية لنظر مسعود بن إبراهيم اليرناوي (اليرنياني)، فسار إلى بجاية فامتنع أهلها وخرج أميرها أبا عبد الله محمد بن الأمير أبي زكريا فأتاه طاعته وأقطع له كفايته من جبايتها[6].

وحرصا على جباية الضرائب الشرعية بكل أمانة؛ كان ممّن استعملهم أبا الحسن "**في الزكوات وسماع الشكايات الفقيه أبا عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد النور التلمساني الذي ولاّه قضاء تلمسان ثم وُلي قضاء الحضرة**"[7]، وكذلك الفقيه أبا العباس أحمد بن الحسن بن سعيد المديوني (ت768هـ/1366م)[8].

وبعد سيطرة أبا عنان على بجاية وقسنطينة عام 754هـ/1353م، أوعز إلى موسى بن إبراهيم بالولاية على سدويكش والنزول ببني ياورار في كتيبة جهزها لمضايقة قسنطينة "**وجباية وطنها**"، وكل ذلك

---

[1] _الوزان: **المصدر السابق**، ص ص:28_29، مارمول: **المصدر السابق**، 326/2.

[2] _العمري: **المصدر السابق**، ص:117، القلقشندي: **المصدر السابق**، 97/8، ابن خلدون: **المصدر السابق**، ص ص:506_507.

[3] _ابن خلدون: **نفس المصدر** والصفحات.

[4] _ابن مرزوق: **المسند**، ص:285.

[5] _ ابن خلدون: **المصدر السابق**، 7/ 213.

[6] _ **نفسه**، 6/ 521.

[7] _ابن مرزوق: **المصدر السابق**، ص: 267.

[8] _هذا الفقيه من بني عبد العزيز من أحواز تلمسان، وهو جد الإمام ابن مرزوق لأمه قاضي تلمسان، وفقيها محدثا صالحا وقاضيا عدلا نشأ بتلمسان وأخذ عن ابني الإمام، ودام على ذلك في زمن أبا عنان واستمر عليه إلى أن توفي. أنظر: ابن مرزوق: **المصدر نفسه**، ص:267، ابن القاضي: **ذرة الحجال**، 62/1_63، التنبكتي: **نيل الابتهاج**، ص:105.

لنظر الحاجب ببجاية[1]، وبعد إخضاع بلاد المسيلة اقتضى حاجب بجاية مغارمها أيضا[2]، وبعد سيطرته على قسنطينة وأوطانها أزال عنها خفارات العرب ومظالمها[3].

ومن سنن أبي الحسن في دولته بالمغرب؛ وفود العمال إليه آخر كل سنة لإيراد جبايتهم والمحاسبة على أعمالهم وكانت بلاد الزاب تورد جبابتها لدولة أبا الحسن[4]، وكذلك في عهد إبنه أبا عنان الذي كان يجبي المغارم حتى آخر وطن بونة[5]، رغم أنّ سكان عمل بجاية كانوا ممتنعين عن دفع الجباية[6].

ورغم سيطرة الدولة المرينية في عهد أبا عنان 759هـ/1358م، على الثغور الغربية ظلت بجاية مركز بيت "**مال الجباية وديوان الجند**"[7].

الزكاة: كان فرض الزكاة على القبائل العربية بعد إخضاعها من أبرز رموز الطاعة والولاء، فبعد فتح تلمسان عقد أبا الحسن لونزمار بن عريف على سويد وسائر بني مالك، وجعل رياسة البدو حيث كان من أعماله، "**وأدوا الصدقات منهم والإتاوات**"[8].

وبعد إخضاع أولاد سواق ببلاد سدويكش، فرض عليهم أبا عنان زكاة أربعة أعوام وأجبرهم على دفعها، ونلمح من هذا الإجراء أن عائدات ضرائب الريف كانت تساهم بقسط وافر في خزينة الدولة، ولم يكتف أبا عنان باستخلاص الزكاة من هذه القبائل فحسب، "**بل أمر الولاة باقتضاء المغارم المنظومة قوانينها وقبض الملازم المستخلصة لإقامة السياسة أفانينها**"[9].

ولما سيطر أبا عنان على نقاوس وأريافها، وصله العرب الخادمين من أولاد يحي بن دريد وأولاد محمد وأولاد عساكر والبوادي بجميع أموالهم، وأعلنوا الولاء للخليفة "**فأوعز إليهم بآداء زكاتهم المفروضة واستكمال الطهرة بصدقات أموالهم المعروفة...**"[10]، وهو ذات الإجراء المطبّق على قبائل رياح بالأوطان الشرقية، وبعد سيطرة جيوش أبا عنان على طولقة قام برفع غلاّت أريافها في جملة المجابي السلطانية، وإضافة رسومها إلى المختص المنوط بالدولة العنانية[11].

خلاصة القول أن عهد كلاّ من الحماديين والمرابطين والموحدين والحفصيين والزيانيين؛ والمرينيين أثناء سيطرتهم على المغرب الأوسط، قد اتسم بكثرة الضرائب وتنوعها وقد كانت هذه الدول في بداية

---

[1]_ ابن خلدون: **المصدر السابق**، 6/ 534.

[2]_ **نفسه**، ص:535.

[3]_ النميري: **المصدر السابق**، ص: 319.

[4]_ ابن خلدون: **المصدر السابق**، ص:526.

[5]_ **نفسه**، 6/ 542، 387/7، 392.

[6]_**نفسه**، 383/7، السلاوي: **المرجع السابق**، 184/3.

[7]_ ابن خلدون: **المصدر السابق**، 6/ 560.

[8]_ **نفسه**، ص:63.

[9]_ النميري: **المصدر السابق**، ص ص:403_403.

[10]_ **نفسه**، ص: 464.

[11]_ **نفسه**، ص، ص: 482، 452 على التوالي.

عهدها تكتفي بالضرائب الشرعية ولكن بعد اتساع رقعتها وكثرة خرجها، تفرض ضرائب إضافية هذه الأخيرة التي كثيرا ما كانت تثقل كاهل الرعية (الفلاحين تحديدا)، وتؤثر في أغلب الأحيان سلبا على الإنتاج الزراعي والبستني.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الخاتمة

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

أثبتت هذه الدراسة أهمية النشاط الزراعي والبستني باعتباره موضوعا محوريا لارتباطه بالحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والعمرانية لبلاد المغرب الأوسط، إلى جانب تنوع أصنافها من: مزروعات ومغروسات وثمار وبقول وقطاني،...إلخ وهي لاتختلف عمّا هو موجود بالجزائر حاليا.

لقد تحكمت في نشاط الزراعة والبستنة بأرياف المغرب الأوسط خلال النصف الثاني من العصر الوسيط جملة من العوامل الطبيعية والبشرية وكان لها الدور الكبير في تقدم أو تراجع هذين النشاطين، إذ عاش المغرب الأوسط طيلة هذه الفترة صراعات قبلية بالإضافة إلى الحروب بين الدول الحاكمة والثورات وحركات التمرد، ورغم حالة المد والجزر إلاّ أنّ الزراعة والبستنة لم تتوقف حتى في هذه الظروف.

ورغم الخراب الذي طال معظم المناطق الريفية خاصة خلال السنوات الأولى لتوافد القبائل العربية لبلاد المغرب الأوسط، إلاّ أنّها لم تكن المسؤول الوحيد عن ذلك التخريب، كما أن الكثير من المناطق التي شهدت الاستقرار العربي قد انتعشت بها الأنشطة الزراعية والبستنية مثل بادية بونة، بلاد الزاب، أرياف قسنطينة، أرياف الغدير،...إلخ، وفي المقابل كان للحملات العسكرية من قبل الحكام، الدور الكبير في تخريب مراكز الإنتاج الرئيسية للأرياف مثل حملة أبا عنان على بلاد الزاب، وحرق قرى بجاية من قبل السلطان الزياني،....إلخ.

وإذا كانت فترة الدراسة قد شهدت فوضى واضطرابات عديدة كما أشرت آنفا؛ إلاّ أنّ نشاط الزراعة والبستنة قد شهد ازدهارا ملحوظا بدليل عظم العمران وانتشاره (عشرات القرى والمدن التي تعتمد على ظهيرها الزراعي، وكذلك القصور والأربطة والحصون،....إلخ) بالإضافة إلى ظهور مراكز عمرانية ريفية جديدة هي خير دليل على ذلك _ولعل كتب الجغرافيا والرحلات على وجه الخصوص تشهد على هذا_ وتبع هذا الازدهار كثرة المرافق والمنشآت المتعلقة بهذا النشاط: الأسواق، الأرحاء (الطواحين)، المطامير والأهراء...الخ.

لقد كان الإقطاع من أبرز الإجراءات التي اعتمدتها الدول التي حكمت المغرب الأوسط، خصوصا خلال الفترة الموحدية وفترة حكم الدول الثلاث(الحفصية، الزيانية والمرينية)، ورغم أنّ هذا الإجراء قد أثبت نجاعته خلال فترة قوة تلك الدول عن طريق التحكم في القبائل ومراقبتها واستغلالها في النشاطين معا من قبل المستفيدين من الإقطاع، ومن جانب آخر حافظت على المداخيل المالية والإشراف المباشر على أغلب ثروات الأرياف خاصة القريبة من المدن والحواضر الكبرى.

لكن هذا الإجراء قد انعكس سلبا على هذه الدول خلال فترات ضعفها، إذ ساهمت في بروز إقطاعيات استحوذت عليها القبائل المناوئة للسلطة فيما بعد، بل كثيرا ما كانت تشكل عائقا وعامل فوضى أثر سلبا على استغلالها في كلا النشاطين خاصة الزراعي باعتباره مرتبط بالمساحات الشاسعة.

أثبتت معظم محاور الدراسة خاصة أشكال الإستغلال من مزارعة، مغارسة ومساقاة، وكذا نظام الخماسة، والطريقة التي عالج بها الفقهاء مختلف القضايا المطروحة، أنّها كانت ترصد ممارسة السكان

لنشاط الزراعة والبستنة وفقا للأوضاع السائدة في الريف، مع أنه في كل مرة يتم تغليب العرف على التشريع خاصة وأنّ المذهب المالكي كان يتلائم مع التغيرات والمستجدات المطروحة.

وإلى جانب نشاط الزراعة والبستنة مارس فلاحي المغرب الأوسط نشاط الرعي كعنصر مكمل للزراعة حيث استغلوا المساحات التي لا تصلح للزراعة فكثرت مناطق الرعي حول المدن والقرى واعتمدوا على العديد من الحيوانات خصوصا تلك المستخدمة في الحرث (أبقار وثيران، بغال) أو نقل الزرع والدراس (خيول، بغال وجمال)، والمستخدمة في توفير الأزبال (جميع المواشي والطيور)، وبطبيعة الحال لكي يقوم الفلاح بهذه الأنشطة لابد أن يكون في نشاط وصحة جيدة، ولا يتأتى هذا الأمر إلاّ بالغذاء لذلك تم استغلال تلك الحيوانات أيضا في إنتاج اللحوم، الألبان، الألبسة، العسل،...الخ.

كما بدا الإهتمام واضحا بالمنشآت المائية ومشاريع الريّ واستغلال الأرض في الإنتاج الزراعي، التي ساعدت الفلاحين على مواجهة الأزمات وإن كان ذلك لفترات محدودة، وأظهرت وفرة في الإنتاج الزراعي ووفرة في الغذاء والمحاصيل الزراعية سواء كانت مزروعات استهلاكية (قمح، فول...) أو صناعية بالإضافة إلى المنتجات البستنية (الفواكه على الخصوص).

لكنني لمحت قلة المعلومات الواردة حول المنشآت المائية الريفية مقارنة بالمدن من جهة؛ ومن جهة ثانية وجدت أنّ أغلبها مرتبط بالمدن سواءا تعلق الأمر بالسواقي أوالفقارات أو بالأرحاء المائية خصوصا.

ومن الأهمية بمكان الإشارة إلى المعلومة التي انفرد بها الإدريسي بشأن النهر الذي تقع عليه قرية بابلوت بأنه ليس به أرحاء، فهل أن اتخاذ الأرحاء كان أمرا معروفا ومتداولا، ولكونها ريفية قد زالت أم أن المنطقة التي زارها _هي فقط_، كانت ذات أرحاء مائية كثيرة؟

أوضحت هذه الدراسة أنّ مراكز مراكز الإنتاج الرئيسية لكلا النشاطين (الزراعة والبستنة)؛ أغلبها في شمال المغرب الأوسط، والملاحظ أنّ كلاّ من حواضر الشمال (خاصة الساحلية منها)، بالإضافة إلى حواضر الجنوب (مدن الزاب خاصة)، كان لها الدور الكبير في الإشراف والتحكم في ظهيرها الزراعي باعتبار أنّ الأرياف قد شكلت مصدرا هاما للحبوب (القمح)، بالإضافة إلى المنتوجات البستنية (تين، زيتون،...) والتمور في الجنوب.

والجدير بالذكر أنه حتى ضمن النطاقات: شمال ووسط وجنوب المغرب الأوسط؛ فقد كانت كمية المنتوجات الريفية مناطقية، وهذا الأمر راجع لعوامل طبيعية (وفرة الأمطار وسائر الموارد المائية بالشرق وقلتها بالغرب)، بالإضافة إلى تناقصها كلما اتجهنا جنوبا، وبشرية والمرتبطة أساسا بدرجة الاستقرار القبلي واستبحار العمران الريفي، ومدى عناية السلطة الحاكمة بهذه المنطقة أو تلك.

ورغم التنوع والوفرة لهذه المنتجات إلاّ أنّها كانت تخضع لعامل التقلبات المناخية مما يجعلها تتغير من فترة إلى أخرى أو حتى فترة حكم الدولة الواحدة تبعا للظروف التي تناولتها سابقا.

لقد تصدر القمح قائمة الصادرات والواردات باعتباره المنتج الزراعي الأول ببلاد المغرب الأوسط وباعتباره مادة غذائية لا تفسد، أما عن الفاكهة فهي قليلة مقارنة بالقمح لعدم توفر وسائل الحفظ في تلك الفترة كما أن أغلبها لم يكن يُسوّق طازجا وما دخل ضمن تلك المبادلات يكون مسوقا بطريقة مجففة، كما شكلت أرياف المغرب الأوسط مخازن رئيسية للحبوب والأعلاف لتدعيم الحملات العسكرية، خاصة خلال الفترة الموحدية والزيانية، فهل هذه المواد كانت تحت سيطرة الدولة ولهذا هُمِشت الأرياف باعتبارها المصدر والممول الرئيسي لها بالرغم من تأكيد المصادر على اتخاذ الدولة للعديد من المخازن؟

إنّ حالة التجاذب والصراعات الدائمة بين حكام الفترة كانت عوامل محفزة على استقلال الأرياف من خلال رفض دفع الضرائب بشكل خاص، وانقطاع المبادلات التجارية بين الأرياف والمدن، وعلى صعيد آخر فقد كان لغياب السلطة في مناطق معينة قد جعلت الأرياف دائما مستقلة باقتصادها وإنتاجها، أين يتم تسويق تلك المنتجات محليا وبعيدا عن سيطرة الدول الحاكمة، ونلمح ذلك بجبال تلمسان الغربية، وواحات توات،...إلخ، بل أحيانا يكون غياب السلطة فرصة للإنتاج (النموذج بلاد الزاب)، والعديد من المناطق الجبلية التي تحدث عنها الوزان في مؤلفه.

إنّ الإزدهار الاقتصادي عموما والرخاء الفلاحي على وجه التحديد قد زاد من قوة الأرياف المستقلة، خاصة بلاد الزاب وهو الأمر الذي أخاف السلطة المرينية ودفع بأبي عنان للقيام بحملة تدميرية ضد أعراب المنطقة مع ما رافقته من سياسة استراتيجية هامة وهي "**تقنين الغذاء**"، لقطع كل السبل أمامهم للقيام بالثورات أو التمرد.

شكل الإنتاج الزراعي بأرياف المغرب الأوسط أحد منابع الثروة، وبالنظر لما ذكره الرحالة والجغرافيون حول محاصيل المغرب الأوسط، نجد أنّ هذا النشاط في مجمله كان مزدهرا ومتنوعا من مزروعات استهلاكية وأخرى صناعية، رغم اختلافها من منطقة إلى أخرى لاختلاف البيئة الطبيعية من تضاريس ومناخ، وهي في الوقت نفسه تتفاوت من حيث أهميتها الاقتصادية لسد المتطلبات والحاجيات الأساسية للسكان والحاجات الكمالية الأخرى.

إنّ ما ذكر حول الزراعة والبستنة قد تم عرضه بشكل مناطقي ممّا أعطى خصوصية لهذا النشاط، والمعلومات الواردة حول الإنتاج الزراعي والبستني كانت مدرجة ضمن المدن والأرياف التابعة لها، مما يؤكد على أنّ أغلب مدن العصر الوسيط كانت تتحكم في ظهيرها الزراعي والأرياف التابعة لها، والقطيعة مع الأرياف كانت مؤقتة وظرفية لا تتعدى فترات الحروب، ولعل إشارات كلاّ من البكري، الإدريسي، وصاحب كتاب الإستبصار،...إلخ تؤكد على هذا.

ومن النقاط التي بقيت مجهولة ضمن هذه لدراسة هو مصير الأزبال التي كانت تخلفها الثروة الحيوانية، التي أُهمِل الحديث عنها من قبل مؤلفات الفترة على الرغم من تأكيد المؤلفات الحديثة على انتشار النمط الرعوي في معظم المناطق الريفية، كما أنّ الملاحظة المهمة التي ذكرها صاحب كتاب

الإستبصار(ق6هـ/12م)، بشأن سكان توزر الذين يستخدمون فضلاتهم لتخصيب الأراضي، والتي أهمل ذكرها حتى عهد الوزان (ق10هـ/16م)، بشأن سكان تيكورارين، وهذه الملاحظة تطابق كثيرا ما أوردتها كتب الفلاحة بشأن فضلات الإنسان الملائمة للتربة الصحراوية (الرملية).

ارتبط نشاط الزراعة والبستنة بنشاطات أخرى من حرف وتجارة، حيث كان عنصرا فعالا في الدورة التجارية داخليا وخارجيا، وهذا الموضوع كان متشعبا وله علاقة وطيدة بالنظام المالي اعتمادا على ما تُغِلّه الأرض من خراج وعشور، وأنّ اتساع الرقعة الزراعية واستغلالها بل حتى تراجعها؛ هو مؤشر هام على قوة النشاط الزراعي وارتفاع مقدار الجباية أو العكس.

استطاعت الدول الحاكمة خاصة أواخر العصر الوسيط من تجميع أراضي الموات واستغلالها عن طريق سياسة الإقطاع والإحياء من جهة، كما عمدت إلى إقرار وتوطين القبائل وضمان ولائها بالإستعانة بقوى اجتماعية جديدة وهم المرابطون والمجموعات التابعة للزوايا من جهة ثانية، وهذه الآليات مكنت تلك الدول وساعدتها على إحكام سيطرتها على ثروات الريف واستغلال عائداته الجبائية.

أوضحت لنا هذه الدراسة أن درجة استقلال الأرياف وتبعيتها للمدن والحواضر الكبرى مرتبط أساسا بقوة الدولة، ففي فترات القوة نجد بأنّ الدول الحاكمة تتحكم حتى في الأرياف البعيدة (المناطق الجبلية والصحراوية)، وهذا الأمر فسح المجال لتلك الدول بالسيطرة على أهم منتجات الريف (سواء بالتجارة أو بالضرائب)، وفي فترات الحرب _وإن كانت ظرفية_، تستقل أغلب المناطق الريفية عنها.

وسواء بوجود سلطة مركزية فعلية للدولة أو تراجعها ضمن ظروف وفترات معينة، فقد شكلت المنتجات الزراعية والبستنية؛ سلعا هامة أنعشت الأسواق ونشّطت التجارة الريفية جبلية كانت أو سهلية، بل إنّها أنعشت حتى أسواق المدن وإن كانت في حدود معينة أو ضمن مناطق محددة، لا تتعدى أسوار المدن خلال فترات الحروب والثورات، بل إنّها تنقطع تماما في حال حصار المدن الرئيسية بين هذه المجالات.

وأخيرا فإنني لا أعتبر نفسي قد أحطت بجميع جوانب الموضوع، وأنّ ما توصلت إليه من استنتاجات هي ليست أحكاما نهائية لأن الموضوع متعلق بالريف الذي يعاني من قلة التوثيق تارة والإهمال تارة أخرى، لكنني أعطيت صورة ولو بسيطة حول تاريخ أرياف المغرب الأوسط من خلال إبراز دور هذا النشاط كعنصر أساسي ومتحكم في الحياة الاقتصادية ليس للريف فحسب؛ وإنما حتى للمدن لاعتماد هذه الأخيرة عليه طيلة الفترات الزمنية وإن كان مجال دراستي ينحصر فقط في الشطر الثاني من العصر الوسيط.

وهذه الصورة المبسطة ستكون ولا مناص تمهيدا للباحثين للولوج والتعمق أكثر في هذا النوع من الدراسات ذات الطابع الاقتصادي، والتي ستساهم في توضيح أكثر لتاريخ تلك الفضاءات الريفية المهمشة

عبر جل الفترات التاريخية، عسى أن أكون قد ساهمت بهذه الدراسة بنزر قليل في بناء جزء من البحث التاريخي حول الجزائر الوسيطة.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الملاحق

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ملحق رقم01: أهم القرى الريفية بالمغرب الأوسط من حيث موقعها، صفاتها، إنتاجها الزراعي والبستني من خلال مُؤلّفي "البكري" والإدريسي".

الجغرافي	اسم القرية	الصفة	نوع الانتاج	الموقع			موقعها على الطرق التجارية	الصفحة
				ساحلية	داخلية	صحراوية		
البكري ق 5هـ/ 11م	مسكيانة	/	/		داخلية		على نهر (الطريق من القيروان إلى القلعة أبي الطويل).	50
	ملشون	/	/			صحراوية	من قرى بسكرة (نفس الطريق)	52
	قرى النهريين	/	/		داخلية		فحص عريض (نفس الطريق)	54
	طربلة	لاتعدل بها قرية	/		داخلية قريبة من الصحراء		شرقي الغدير (طريق من القلعة إلى تنس)	59
	سوق هوارة	/	/		داخلية		شرقي أشير (نفس الطريق)	61
	سوق كرام	/	/	قريبة من الساحل			على نهر شلف (نفس الطريق)	61
	قرية وهران	/	/	ساحلية			على الطريق من تاهرت إلى وهران	70
	تانسمالت	لها سوق	/		داخلية		في طرف جبل حيدر (الطريق من وهران إلى القيروان)	71

	20 قرية حول تهودة		/			صحراوية	طريق آخر من القيروان على بلد قسنطينة (الحميري:142)	73_72
	7 قرى على ووادى مقرة شرقي المسيلة				داخلية		على الطريق من فاس إلى القيروان	143
الإدريسي 6هـ/12م	قرى كثيرة في مرسى تكوش		بها الفاكهة والخير	ساحلية			على الطريق من أرشقول إلى القيروان	81
	العلويين	كبيرة عامرة	جنات ومياه	ساحلية			على الطريق من تلمسان إلى تنس	151
	بابلوت	جليلة كثيرة الأهل والعمارة	مزارع	ساحلية			مرحلة من العلويين (نفس الطريق)	151
	المعسكر	عظيمة	أنهار وثمار		داخلية قريبة من الساحل		مرحلة من إيفكان (نفس الطريق)	151
	سني	/	/		داخلية قريبة من الساحل		مرحلة من بابلوت _على نهر_(نفس الطريق)	151
	عين		زروع ونعم		داخلية		مرحلة من المعسكر (نفس الطريق)	152

	الصفصاف		دارّة فواكه كثيرة					
	تانيت	/	/	قريبة من الساحل			مرحلتين من وهران (الطريق من تلمسان إلى وهران الساحلية)	153
	بنو وازلفن	كبيرة	ذات إنتاج زراعي وبستني	ساحلية			مرحلة من تنس (الطريق من تنس إلى المسيلة)	154
	ريغة	لها سوق	حروث ممتدة وفواكه وبساتين		داخلية		مرحلة من سوق كزناية (الطريق من تنس إلى المسيلة) الحميري:280	155
	ماروغة	حسنة لطيفة القدر.	زراعات وخصب ومياه جارية		داخلية		مرحلة من ريغة (الطريق من تنس إلى المسيلة)	155
	تاذرّة	/	/		داخلية		مرحلة من تلمسان (الطريق من تلمسان إلى المسيلة)	157
	نداي	صغيرة	/		داخلية		مرحلة من تادرة (نفس الطريق)	157
	أعبر	صغيرة	/		داخلية		على نهر مرحلة من تاهرت (نفس الطريق)	157

	دارست	صغيرة جدا	زراعتها كثيرة		داخلية		على نفس الطريق	157
	ابن مجبر	كبيرة	كثيرة الزرع عذبة المياه		داخلية		مرحلة من ماما (نفس الطريق)	157
	سطيت	/	/		داخلية		مرحلة من أشير زيري (نفس الطريق)	157
	هاز (خراب) في فحص رمل				داخلية		مرحلة من سطيف	158
	تاورت	كبيرة عامرة	/		داخلية		على نهر ملح (على الطريق من بجاية إلى القلعة)، قرب حصن الجديد.	163
	متوسة	/	/	ساحلية			12 ميل من بجاية (على الطريق من قسنطينة إلى بجاية)	169
	القل	صغيرة	/	ساحلية			مرحلتين من قسنطينة (نفس الطريق)	169
	مرسى أرزاو	كبيرة	تُجلب إليها الحنطة	ساحلية			43 ميلا من وهران (ساحل البحر)	171
	قرية عامرة	على حوض فروج	/	ساحلية			24 ميلا من مستغانم (ساحل البحر)	172
	مسكيانة	عامرة لها سوق	زروع وعيون		داخلية		مرحلة من مجانة (على الطريق من القيروان إلى تاهرت) الحميري 558	195

أزكو	/	ذات إنتاج زراعي وبستني.		داخلية		مرحلة من قصر الإفريقي (الطريق من القيروان إلى المسيلة).		196
البرذوان	كبيرة	من أقاليم القمح والشعير		داخلية		مرحلة من أزكو (نفس الطريق)		196
النهرين	في وطاء من الأرض	بها آبار كان لها سوق		داخلية		مرحلة من البرذوان. (نفس الطريق)		196
أوسحنت	قرية للبربر	مياه جارية ومزارع الحنطة والشعير		داخلية		مرحلة من النهرين (نفس الطريق)		196_197

<u>ملحق رقم02:</u> الآثار السلبية التي لحقت بالأرياف جرّاء الحروب والصراعات.

<u>أ_الحروب بين الأطراف الداخلية:</u>

الحرب	أطراف الصراع	السنة	الآثار السلبية على النشاط الزراعي والبستني	المصدر و الصفحة
	الصراع بين صنهاجة وزناتة	من بداية العصر	"كانت بين ملوك زناتة في قديم الزمان وحديثه وبين أمراء صنهاجة جرانهم بالحدود المسيلية من مليانة والجزائر، والحدود التاهرتية فما ورائها "**حروب عظيمة وأضرار متصلة وحنائق**	ابن الخطيب: تاريخ المغرب العربي،

		الوسيط حتى القرن 5هـ/11م	**ظاهرة وكامنة**"	63_62/3
الصراعات القبلية	صراع العرب مع القبائل البربرية	½الأول من القرن 5هـ	"بعد حروب العرب مع الدولة الزيرية والخراب والدمار الذي أحدثوه، ثم حاربوا زناتة من بعد صنهاجة وغلبوهم على الضواحي واتصلت الفتنة بينهم، وأغزاهم صاحب تلمسان وجيوشه فهزموه وقتلوه بعد حروب طويلة واضطرب أمر افريقية و"**خرب عمرانها وفسدت سابلتها، وكانت رياسة الضواحي من زناتة والبربر لبني يفرن ومغراوة وبني يمانوا وبني يلومي ولم يزل هذا دأب العرب وزناتة حتى غلبوا صنهاجة وزناتة على ضواحي افريقية والزاب**".	ابن خلدون: العبر، 22/6، 27
الصراعات بين الدول الحاكمة	الحرب بين الحماديين والزيريين	405هـ/ 1014م	"رحل باديس بجيش عظيم لحرب حماد ثم أنفذ باديس أخاه كرامت إلى المدينة التي أحدثها حماد فخرج إليها في عسكر كبير، فهدم قصورها ومساكنها جراء لما فعله حماد وأخوه في البلاد... واتصل ذلك بابراهيم فأقبل بهدم كل قصر كان لأخيه خارجا عن القلعة مخافة أن يسبقه كرامت إليه"	النويري: نهاية الأرب، 108/24
	الحرب بين الحماديين والمرابطين	470هـ/ 1077م	"ولما ملك المرابطون تلمسان وأنزل يوسف بن تاشفين بها عامله محمد بن تينعمر المسوفي، ودوخ أعمال المنصور وملك أمصارها إلى أن نازل الجزائر، وهلك فولي أخوه تاشفين على عمله، **فغزا أشير وافتتحها وخربها...**"	ابن خلدون: م، س، 75/7
	غزو المرابطين لتلمسان	472هـ/ 1072م	"تعرضت تلمسان للتخريب على يد مزدالي التكلاتي اللمتوني الذي زحف عليها في نحو عشرين ألف مقاتل "**وعاثوا في تلك البلاد فسادا**"	النويري: م، س، ص:159، ابن أبي زرع: روض القرطاس، ص:

				113، 143، 168
	الحرب بين الحماديين والمرابطين	476هـ/ 1083م	"نهض المنصور إلى غزو تلمسان في نحو عشرين ألفا... وكان تاشفين قد أفرج عن تلمسان وخرج إلى تسالة ولقيته عساكر المنصور، فهزموه ولجأ إلى جبل الصخرة **وعاثت عساكر المنصور في تلمسان**"	ابن خلدون: م،س، 234/6
	الحرب بين المرابطين والموحدين	539_ 540هـ/ 1144_ 1145م	"لما غلب عبد المؤمن لمتونة وقتل تاشفين بن علي بوهران، "**خربها وخرب تلمسان**، بعد ان قتل الموحدون عامة أهلها ثم راجع رأيه فيها، وندب الناس إلى عمرانها وجمع الأيدي على ما تثلّم من أسوارها"	ابن خلدون: م،س، 104/7، الزركشي: تاريخ الدولتين، ص:8، السلاوي:م،س، 64_63/2
		547هـ/ 1152م	"وفي خلال ذلك دخل الموحدون القلعة عنوة، ودخل حوشن بن العزيز وابن دحامس من الأثبج معه **وخربت القلعة**"	ابن خلدون: م،س، 236/6
	الحرب بين الحفصيين والزيانيين	639هـ/ 1241م	"أثناء تحرك أبا زكريا الحفصي لتلمسان "افتتحت جيوش الموحدين تلمسان **وعاثوا فيها**"	الزركشي: م، س، ص:29
	الحرب بين المرينيين والزيانيين	670هـ/ 1271م	"...ثم ارتحل السلطان يعقوب من الغد تابعا له حتى وقف على وجدة فأمر بها فهدمت حتى تركها قاعا صفصفا، ثم ارتحل حتى أحاط بتلمسان ويغمراسن بها محاصر فقاتلها وانتسف ضياعها وجناتها، وبعث السرايا على بواديها وأحوازها ينهبون ويخربون القرى والعمارات، ولم يزل يغمراسن نهبة بسيوف مرين إلى أن مات"	ابن الأحمر: تاريخ الدولة الزيانية، ص:67، ابن خلدون، م، س،

			115/7، السلاوي: الإستقصا، 33/3	
			"ثم نهض إلى تلمسان فحاصرها أياما وأطلق الأيدي في ساحتها **بالنهب والعيث وشن الغارات على البسائط، فاكتسحها سبيا ونسفا**"	ابن خلدون: م،س، ص:245
	حرب مغراوة والمرينيين مع الدولة الزيانية	680هـ/ 1281م	"ولحق محمد بن عبد القوي بمكانه من جبل وانشريس واتصلت حروبهم مع يغمراسن وكثر **إجلابه على وطنه وعيثه في بلاده** وهو مع ذلك مقيم على موالاة يعقوب... ثم أناخ عليه بتلمسان ووافاه هنالك محمد بن عبد القوي فلقيه بالقصاب (القصبات) **وعاثوا في نواحي تلمسان نهبا وتخريبا...**"	نفسه، ص:209، ص:117
	الحرب بين الزيانيين والدولة المرينية	687هـ/ 1288م	"بعد وفاة يعقوب بن عبد الحق قام بالأمر من بعده ابنه يوسف ابن يعقوب عام 685هـ، وطالب هذا الأخير عثمان بن يغمراسن في ابن عطوا المنتزى عليه مع ابنه فأبى عثمان تسليمه إليه فكان السبب في حربه عليه عام 687هـ "...وسار حتى نزل تلمسان فانحجر عثمان وقومه بها ولاذوا منه بجدرانها **فسار في نواحيها ينسف الآثار ويخرب العمران ويحطم الزرع...ثم انتقل إلى تامة _ثمامة_ وحاصرها أربعين يوما وقطع أشجارها وأباد خضرائها...**"	نفسه، ص:283_ 284، السلاوي: المرجع، س، 69/3
		689هـ/ 1290م	"خرج الأمير يوسف بن أمير المسلمين يعقوب بن عبد الحق إلى غزو تلمسان ومن بها من بني عبد الواد فسار نحوها وبقي يرتحل **في أحوازها ويأكل زروعها ويسبي ويغنم أموالها ويخرب قراها**، فلم يخرج إليه أميرها فلما رآه يعجز من ملاقاته قصد إلى حصاره وضيق عليه وأقام ست عشرة يوما وارتحل إلى المغرب"	ابن أبي زرع: م، س، ص:379
			"دلف إلى تلمسان سنة تسع وثمانين وستمائة ولاذ منه عثمان بالأسوار، فنازلها صباحا	ابن خلدون: م س،

			وقطع شجرها، ونصب عليها المجانيق والآلات ثم أحس بامتناعها فأفرج عنها وانكفأ راجعا"	126/7
	أثناء الحصار المريني لتلمسان	689هـ_ 699هـ/ 1290م_ 1299م	شهدت هذه الفترة تحركات الجيوش المرينية بقيادة السلطان يوسف بن يعقوب وغاراتهم المتكررة، وعيثهم لمعظم مدن وأرياف المغرب الأوسط تزامنا مع فرض الحصار على تلمسان حيث سيطروا على: ندرومة، وهران، مزونة، تنس، وتالموت (تاللوت)، والقصبات، وتامزردكت، مليانة، مستغانم، شرشال، البطحاء، الدية، تافركنت، برشك، والجزائر. _وتغلبت عساكر المرينين على العديد من المجالات الريفية ودوختها مثل جبل كيدرة وتاسكدالت بنواحي وهران، وتملك السلطان المريني بلاد مغراوة وتوجين.	نفسه،ص ص:126_ 127، 292، رحلة ابن خلدون، ص ص:46_47 ابن الأحمر، م س، ص ص:68_69، ابن أبي زرع:م س، 386_387،410، التنسي:م،س: 129_130، السلاوي:المرجع،س، 80/3.
	الحرب بين المرينيين والزيانيين	714هـ/ 1314م	"خرج امير المسلمين أبا سعيد عثمان من فاس إلى غزو تلمسان...فقدم بين يديه ولديه أبا الحسن علي وأبا علي عمر بمحلتهما وجيوشهما وسار هو بمحلته خلفهما **في بلاد يغمراسن يأكلون زروعها وينهبون اموالها ويقتولون حماتها...ولما هتك أبو سعيد عثمان جميع أحواز تلمسان وهتك جبال بني يزناسن وفتح معاقلها** رجع إلى رباط تازة فأقام بها"	ابن أبي زرع: م س، ص:399، السلاوي: المرجع،س، 105/3

			"وحول هذه الغزوة أيضا يقول ابن خلدون:"ودخل بلاد بني عبد الواد على هذه التعبية **فاكتسح نواحيها واسطلم نعمها...وغلب على معاقلها ورعاييها وسائر ضواحيها فحطمها حطما ونسف جهاتها نسفا ودوخ جبال بني يرناسن _يزناسن_ وفتح معاقلها وأثخن فيها وانتهى إلى وجدة**"	ابن خلدون:م،س، 7/ 136، 321، أنظر أيضا: السلاوي: المرجع،س، 105/3
	الحرب بين الحفصيين والزيانيين المتحالفين مع العرب	732هـ/ 1331م	"نتيجة لتحالف الزواودة _الدواودة_ (أولاد سباع) مع أبا تاشفين و"**عيثهم ببلاد الموحدين**"، ارتحل السلطان أبا بكر الحفصي غاويا إلى المسيلة موطن أولاد سباع بن يحي حتى نزلها "**وأوصطهم نعما وخرب أسوارها**".	ابن خلدون: م س، 498/6 _499
	حرب المرينيين مع أبا حمو والعرب من بني عامر	772هـ/ 1370م	"فاغدوا السير وبيتوهم بمنزلهم _أبي حمو وبني عامر_ على الدوسن آخر عمل الزاب من جانب المغرب، ففضوا جموعهم وانتهبوا جميع معسكر السلطان أبي حمو...ولحق فلهم بمصاب ورجعت العساكر من هنالك فسلكت على **قصور بني عامر بالصحراء قبلة جبل بني راشد التي منها رباولون ساعون _ريا بن سمعون_ إليها فانتهبوها وخربوها وعاثوا**	نفسه، 177/7، 437، 582

			فيها وانكفاؤا راجعين إلى تلمسان"	
	الحرب بين الزيانيين والمرينيين بتحالف مع سويد	786هـ/ 1384م	"لقد قام السلطان أبا العباس بتخريب قصور أبا حمو بتلمسان بعد أن أغراه ونزمار بن عريف أمير سويد إنتقاما من أبا حمو "**فأتى عليها الخراب أسرع من لمح البصر**"، إلا أنه كان راجعا إلى المغرب بعد فتنة ابن عمه بفاس فأسرع أبا حمو بالعودة إلى تلمسان ودخلها وعاد إلى ملكه بها، "**وتفجع لتلك القصور بما ذهب من رونق حسنها**".	نفسه، ص ص: 190_ 191
الصراعات بين الدول والقبائل البربرية	حرب الدولة الحمادية مع زناتة والقبائل البربرية	476هـ/ 1083م	"بعد عودة المنصور بن الناصر إلى القلعة من حربه مع المرابطين "أثخن بعدها في زناتة وشردهم بنواحي الزاب والمغرب الأوسط ورجع إلى بجاية **وأثخن في نواحيها ودوخضت عساكره في قبائلها** فساروا في جبالها المنيعة"	نفسه، ص: 234
	الحرب بين زناتة والدولة الموحدية	605هـ/ 1208م	"في هذا العام "وصلت كتب السيد أبي الحسن والي تلمسان بثقل مرضه وتوالي اعتلاله وخوف ضياع ما لديه من الأشغال، **واضطراب قبائل زناتة واختلافهم وقطعهم السبل وقطع الرفاق** عن الضرب في الأفاق فأعفي عن ولاية البلد".	ابن عذاري: البيان، قسم الموحدين، ص:252
	عيث منديل بن عبد الرحمان المغراوي في عهد الموحدين	618هـ/ 1221م	"نقل الاخباريون أن أهل متيجة لذلك العهد يجمعون في ثلاثين مصرا فجاس خلالها _منديل بن عبد الرحمان_ **وأوطأ الغارات ساحتها وخرب عمرانها حتى تركها خاوية على عروشها،** وهو في ذلك يوهم التمسك بطاعة الموحدين".	ابن خلدون: م س، 87/7
	الحرب بين توجين والدولة الزيانية	670هـ/ 1271م	"ولما نهض يعقوب بن عبد الحق إلى تلمسان وأوقع بيغمراسن في الوقيع التي هلك فيها ابنه أبا فارس، نهض محمد بن عبد القوي للقائه ومرّ في طريقه بالبطحاء، وهي يومئذ ثغر لأعمال يغمراسن فهدمها..."	نفسه، 7/ 209، 117
			"ووصل إيه وهو محاصر لتلمسان أمير بني تجين، صاحب بلاد ونشريس محمد بن عبد	ابن أبي زرع:

			القوي التجيني في جيش كثيف من قبائل تجين، فاشتد الحصار على يغمراسن وضيقت قبائل تجين بتلمسان لأخذ ثأرهم من أميرها "**فقطعوا الثمار ونسفوا الآبار، وخرّبوا الربوع وأفسدوا الزروع ولم يدعوا بتلك الجهات قوت يوم حاشا السدرة والدوم...**"	الذخيرة السنية، ص: 132
		681هـ/ 1282م	"لما هلك سلامة بن علي قام بأمرهم من بعده ابنه يغمراسن بن سلامة، على حين استغلظ بنو عبد الواد على بني تجين من بعد مهلك محمد بن عبد القوي سلطانهم الأكبر، **فكان عثمان بن يغمراسن يتردد إلى بلادهم بالغزو ويطيل فيها العيث...**"	ابن خلدون: م،س، 216/7
	حرب الزيانيين مع مغراوة وتجين	686هـ/ 1287م	"لما عقد عثمان بن يغمراسن السلم مع يعقوب بن عبد الحق صرف وجهه إلى الأعمال الشرقية من بلاد تجين ومغراوة...وسار إلى بلاد مغراوة كذلك ثم **إلى متيجة فانتسف نعمها وحطم زروعها**...ثم عطف من سنته على بلاد توجين **فاكتسح حبوبها واحتكرها بمازونة استعدادا لما يتوقع من حصار مغراوة...**"	نفسه، ص ص:123_ 124
	حرب الزيانيين مع تجين	686هـ/ 1287م	"فنهض إليهم من العام المذكور وحاصرهم بجبل وانشريس **وعاث في أوطانهم ونقل زروعهم...**"	نفسه، ص: 211
		702هـ/ 1302م	"أثناء الحصار المريني لتلمسان، عطف عثمان بنو يغمراسن على بلاد بني توجين وفرّ بنو عبد القوي إلى ضواحيهم بالقفر، "**ودخل إلى جبل وانشريس وهدم حصونهم به** ورجع إلى الحضرة".	نفسه، 295/7
الصراعات بين الدول والقبائل	صراع العرب مع الدولة الحمادية	457هـ وما بعدها/ 1065م	"مع استمرار عيث وفساد القبائل العربية، "حشد الناصر بن علناس صاحب القلعة لمظاهراتهم وجمع زناتة...وبعد هزيمة الناصر وقتل أخيه "نجا إلى قسنطينة ورياح في اتباعه ثم لحق بالقلعة فنازلوها **وخربوا جنباتها وأحبطوا عروشها وعاجوا على ما هنالك من الأمصار ثم طبنة والمسيلة فخربوها وازعجوا ساكنها وعطفوا على المنازل والقرى والضياع**	نفسه، 27/6، 232

العربية			**والمدن فتركوها قاعا صفصفا....وغوّروا المياه واحتطبوا الشجر**، وأظهروا في الأرض الفساد وهجروا ملوك افريقية والمغرب من صنهاجة وولاة أعمالها في الأمصار **وملكوا عليهم الضواحي**....ويأخذون لهم الإتاوة على التصرف في أوطانهم...".	
		فترة حكم العزيز بن الناصر (489هـ/ 1096م	"وكبس العرب في أيامه القلعة وهم غارون فاكتسحوا جميع ما وجدوه بظواهرها وعظم عيثهم وقاتلتهم الحامية فغلبوهم وأخرجوهم من البلد ثم ارتحل العرب وبلغ الخبر إلى العزيز فبعث ابنه يحي وقائده علي بن حمدون من بجاية في عسكرا وتعبية، فوصل إلى القلعة وسكن الأحوال..."	نفسه، ص ص: 234_235.
	الحرب بين المرينين والعرب على أرض المغرب الأوسط	758هـ/ 1357م	"...ثم جاهر يعقوب بالخلاف لما تبين من مكر السلطان أبا عنان وإرهاف حده بالعرب ومطالبتهم بالرهن، وقبض أيديهم بالاتاوات فلحق بالرمل واتبعه فأعجزه فعدا على **قصوره ومنازله بالتل والصحراء فخربها وانتسفها** ثم رجع إلى قسنطينة".	الزركشي: م س، ص:97، ابن خلدون: م س، 394/7
		772هـ/ 1370م	"لما انتزع السلطان المريني عبد العزيز ما أقطعه أبا حمو للعرب،"أجمع رحو بن منصور أمير الخراج من عبيد الله إحدى بطون المعقل الخروج على السلطان، ولما خرج العرب إلى مشاتيهم لحق بأبي حمو وأحياء بني عامر وكاثروهم **وقادوهم إلى العيث في الأوطان فاجلبوا على ممالك السلطان...وعاجوا إلى البطحاء فاكتسحوا أوطانها**"	ابن خلدون: المصدر السابق، ص:438
	صراع بني عامر مع سويد وأبي تاشفين	777هـ/ 1375م	"لما بلغ خالد بن عامر بمكانه من المغرب خبر عبد الله ابن اخيه صغير قفل من المغرب...ووصل معه ساسي بن سليم في قومه بني يعقوب وتظاهر الحيّان **على العيث في بلاد أبي حمو واجتمع إليهم أبناء الفتنة من كل أوب فأجلبوا على الأطراف وشنوا الغارة**	نفسه، ص: 182

			في البلاد"، فجمع لحربهم أولاد عريف من سويد وأبي تاشفين".	
الصراع مع الثغور الغربية	الحرب بين بجاية والزيانيين	681هـ/ 1282م	"لما بويع أبا سعيد عثمان في أوئل ذي الحجة من العام المذكور "فقتل ابن عبد القوي ملك توجين... ثم نزل بجاية **وقطع جناتها وحرق قراها**، وهاداه صاحب تونس خاطبا سلمه..."	يحي بن خلدون: م،س، 208/2، التنسي:م،س، ص:129 ومابعدها، أنظر أيضا: الزركلي: الأعلام،215/4
		701هـ/ 1301م	"لما أوطأت عساكر بني مرين ساحة بجاية وبها الأمير خالد بن يحي، وناشبه القتال بعض الأيام جلى فيها أولياء السلطان أبي البقاء عن أنفسهم وسلطانهم "**وأمر بروض السلطان المسمى بالبديع فخربه وكان من آنق الرياض وأحفلها**، وقفل إلى مكانه من تدويخ البلاد وأعرض عن أعمال الموحدين"	ابن خلدون: م س، 297/7
	الحرب بين المرينين وإقليم بجاية	703هـ/ 1303م	"أثناء الحصار المريني لتلمسان "سرّح يوسف بن يعقوب عساكر بني مرين إلى بجاية وعقد عليها لأخيه أبي يحي بعد ان كان عثمان بنو سباع وفد عليها نازعا عن صاحب بجاية إليه ومرغبا له في ملكها،...فبعث معه هذا العسكر فانتهوا إلى بجاية **وضياقوها ثم جاوزوها إلى تاكرارت وبلاد سدويكش وعاثوا في تلك الجهات ودوّخوها**، وانقلبوا راجعين إلى السلطان يوسف بن يعقوب بمعسكره من تلمسان"	نفسه، 458/6_ 459، 472
	حرب الزيانيين	714هـ/	"سعى أبا حمو الأول لملك الثغور الغربية لبلاد بإيعاز من عثمان بن سباع بن يحي بن	يحي بن خلدون:

	لبجاية وقسنطينة	1314م	سباع بن سهل أمير الزواودة، فعقد إلى مسعود ابن عمه أبي عامر برهوم على عسكر وأمره بحصار بجاية، فانطلقوا إلى وجههم ذلك، **وفعلوا الأفاعيل كل فيما يليه وتوغلوا في البلاد الشرقية**، حتى انتهوا إلى بلاد بونة ثم انقلبوا من هنالك ومروا في طريقهم بقسنطينة ونازلوها أياما، **وصعدوا جبل ابن ثابت المطل عليها فاستباحوه ثم مروا ببني ياورار فاستباحوها وأضرموها، واكتسحوا سائر مامروا عليه...**"	م،س:213/2، ابن خلدون: م س، 137/7_ 138، أنظر أيضا التنسي: م س، ص ص:136_ 137
	حرب الزيانيين لبجاية	719_ 724هـ/ 1319_ 1324م	شهدت هذه السنوات غارات متكررة للسلطان أبي تاشفين وحربه على بلاد الموحدين (بجاية) والعيث وتدويخ نواحيها	يحي بن خلدون: م،س، 216/2_217، ابن خلدون: م س، 7/ 143
	حرب الزيانيين لقسنطينة وبجاية	726هـ/ 1326م	"في هذه السنة عهد السلطان ابن أبي تاشفين لأبي موسى بن علي الكردي بتدويخ ضواحي بجاية ومحاصرة الثغور، "**فنزل قسنطينة وأفسد بقطرها الزرع والضرع وعاد إلى وادي بجاية**"	يحي بن خلدون: م،س، 217/2، ابن خلدون: م،س، 145_144/7
	حرب الزيانيين لقسنطينة	727هـ/ (728هـ في البغية) _1327	"لما سخط السلطان ابن أبي تاشفين قائده موسى بن علي ونكبه، أغزى يحي بن موسى السنوسي في العساكر إلى افريقية ومعه القواد، **فعاثوا في نواحي قسنطينة وانتهوا إلى بلد بونة ورجعوا**"	يحي بن خلدون: م،س، 217/2، ابن خلدون: نفس

		1328م		المصدر والصفحات
		728هـ/ 1328م	في هذه السنة عاود السلطان ابن أبا تاشفين حصار قسنطينة "**وشن الغارة في نواحيها واكتسح الأموال ورجع إلى واد بجاية**".	ابن خلدون: م س، 492/6
	حرب الزيانيين للثغور الغربية	731هـ/ 1331م	شهدت هذه السنة وما قبلها كثرة عيث أبا تاشفين لبلاد الموحدين وطغيانه عليها.	نفسه، ص: 498
	حرب المرينين على قسنطينة بتحالف مع الحفصيين	753هـ/ 1353م	"وبلغهم ان ملك المغرب الأقصى السلطان أبا عبد الله قد خالفهم إلى قسنطينة بمداخلة أبي محمد بن تافراكين واستجاشته، **ونازل جهات قسنطينة وانتهب زروعها وشن الغارات عليها وفي بسائطها**، فبلغهم أنه رجع إلى بجاية منكمشا من زحف بني مرين واعتزم الأمير أبو زيد على مبادرة ثغره ودار إمارته يعني قسنطينة"	نفسه، ص:532
	الصراع بين جيوش أبا عنان وأهل قسنطينة	شوال 758هـ/ 1357م	لما رفض سلطان قسنطينة الحفصي أحمد بن محمد بن أبي يحي طاعة أبا عنان "**اضطرمت حروب بيداء الحاضر فيها والبادي...وحاصرها حصارا قويا...وأوهن قراهم الخوف والجوع**، فاستسلم السلطان وأخيه الأمير أبو العباس وأظهرا الطاعة والولاء فتلقاهم بالعفو والقبول"	النميري: فيض العباب، ص: 288_292، 294_313
الحرب بين أقاليم الثغور الغربية	الحرب بين إمارة قسنطينة وبونة	796_797هـ/ 1393_1394م	بعد توليت الأمير أبا بكر بولاية قسنطينة وأخذ البيعة...فظهرت كلمة العرب وفتحوا باب الطمع والطلب، وزيّن لهم الكاتب أحمد بن الكماد للغدر بأبي بكر، وتوجه أحمد بن الكماد مع بعض الأعراب إلى الأمير أبي عبد الله صاحب بونة وهو ابن عم السلطان المتوكل الحفصي وحظه على ملك قسنطينة، "فبادر الأمير أبو عبد الله بجميع أجناده وأهل وطنه، **ومنع الواصل والداخل وقطع الأشجار ورمى بالحجارة...**، وأقام على البلد خمسة وسبعون يوما ثم ارتحل أيسا...وعاد في السنة الثانية إليها، **فخرب المنازل وهتك الزرع والمنهال**، ثم	ابن قنفذ: الفارسية، ص ص: 190_191، الزركشي: م س، ص:118، أنظر أيضا: برنشفيك: تاريخ

			تحرك إليه من الحضرةأمير المؤمنين أبا فارس وهزمه هزيمة شنيعة فهرب إلى بونة ومنها إلى المغرب"	إفريقية، 243/1
الثروات وحركات التمرد	حركات التمرد ضد الدولة الحفصية	659هـ/ 1260م	بسبب ثورة أبو على المليانى وخروجه عن الحفصيين، قام جيش بجاية مع جيش إفريقية بحصار مليانة، "ولما انفصلت تلك الجيوش وبقيت البلاد شاغرة_بجاية_ عاث بعض ظلمة العمال والمفسدون في الخارج، وامتدت الأيدي ووقع هرج عظيم..."	ابن خلدون:م،س: 421/6، الغبريني: الدراية، ص:120
		679هـ/ 1280م	"ثار على أبي اسحاق في قسنطينة قائده أبو بكر بن الوزير **وعثا فيها فسادا وظلما وقتلا**، وكتب إلى النصارى يحضهم على ملك قسنطينة وغيرها..."	ابن خلدون: م س، 439/6_ 440، ابن قنفذ: الفارسية، ص ص: 139_ 140
		703_ 713هـ/ 1303_ 1313م	أثناء حرب سعادة الرحماني ورفقائه المرابطين، والمدعوم من رؤساء الدواودة ضد بني مزني عامل الزاب والراجع أمره لصاحب بجاية من بني حفص، فخرج سعادة من طولقة، وابتنى بجانبها زاوية ونزل بها هو وأصحابه من المرابطين، **وزحفوا إلى بسكرة وحاصروا ابن مزني سنة 703هـ، وقطعوا نخيلها**، وامتنعت عليهم فرحلوا عنها ثم أعادوا حصارها سنة 704هـ،....وبعد مقتل سعادة بمليلي، بلغ الخبر إلى أصحابه من الدواودة بمشاتيهم، **فظهروا إلى الزاب ونازلوا بسكرة وقطعوا نخيلها** وتقبضوا على عمال ابن مزني وكان ذلك عام 713هـ.	ابن خلدون: م،س، 6/ 51_52، 589، الحفناوي: تعريف الخلف برجال السلف، 2/ 149_150
	الثورات ضد الدولة الزيانية	749هـ/ 1348م	منذ تأسيس الدولة الزيانية شهدت معارضة وثورات عديدة وعلى عدة جبهات، فقد "**ثار بالساحل إبراهيم بن عبد الملك الكومي داعيا إلى نفسه برائحة عبد المؤمن بن علي فبرز**	يحي بن خلدون: م،س: 242/2

			إليه السلطان أبو ثابت بن عبد الرحمان بن يحي بن يغمراسن، في قبيله فاستباح الساحل كله قتلا وسبيا، واستفتح ندرومة وهنين..."	
	حرب الدولة الزيانية (أبا حمو) ضد العرب وأبا زيان	770هـ/ 1368م	"ونهض السلطان بقومه وكافة بني عامر إليه _أبا زيان_ واستغلظ أمر أبي بكر فجمع الحرث بن أبي مالك ومن ورائهم من حصين، واعتصموا بالجبال من دراك وتيطري، ونزل السلطان بجموعه لعود بلاد الديالمة من الحرث **فانتسفها والتعمها وحطم زروعها ونهب مداشرها،** وامتنع عليه أبو بكر ومن معه من الحرث وحصين والأمير أبا زيان بينهم، فارتحل عنهم وعطف على بلاد أولاد عريف وقومهم سويد **فملأها عيثا وخرب قلعة ابن سلامة لما كانت أحسن أوطانهم...**"	ابن خلدون: م س، 175/7
	تمرد العرب ضد أبا عنان	شوال 758هـ/ 1357م	بعد تمرد رياح ضد أبا عنان ببلاد سدويكش "أغاروا على بلاد سدويكش الغربية واكتسحوا على ما وجدوه من الزرع المكومة بخلالها والأنعام"، لكنهم مُنِيُّوا بهزيمة شنعاء من قبل جيوش أبا عنان.	النميري: م س، ص ص: 395_396
	حملة أبا عنان على بلاد الزاب	رمضان 758هـ/ 1357م	أمر أبا عنان بتهديم قصر تيجمانين، "...**فعمد الجموع المعروفون بأبادين إلى الجنات فعموا شجرها قطعا واعدموها أصلا وفرعا وقرعوا كبد أرضها قرعا وأبقوا بترائب ترابها لذعا...**"	نفسه، ص ص:415_ 416
	حملة أبا عنان على بلاد الزاب	758هـ/ 1357م	"**واستوحش يعقوب بن عليّ يومئذ من مطالبتة بالرهن له ولقومه وانتفض، فأجفلت أحياؤه إلى بلاد الزاب وما وراءها من الصحراء، وارتحل السلطان بعساكره في طلبهم إلى أن احتل بلاد الزاب وخرّب بلاد يعقوب بن علي بالزاب والتل بقطع أشجارها وتغوير مياهها وهدم بنائها ونسف آثارها...**"	ابن خلدون: م، س: 6/ 593
	تهديم قصر باتنة	رمضان	"وفي الصباح رحل مولانا من تيجمانين فانتشرت العساكر ذات اليمنى والشمال واستباحت	النميري: م، س،

		758هـ/ 1357م	ما كان للمفسدين من **القلاع بتلك الجبال** وعظم نيلها من أهل السفه والضلال إلى أن انتهى الركاب العلي إلى قصر باينة...وهذا القصر بناه سعيد بن موسى بن أحمد الرياحي حرصا على الادخار واعتمالا في الضرر والاضرار...**فأمر مولانا بهدمه مثل قصر ابن عمه...فاقتحمت القبائل مسافاته ونهدت معتمة في محو سماته**"	ص: 416_417، 420
	تهديم قلاع العرب	رمضان 758هـ/ 1357م	"والقلاع التي شيدها بلميس العرب المفسدون، وبنوها ضررا بالأوطان التي في اقتحامها يجهدون ولتخريب كماتها يصعدون ولشن الغارات على ضعافها ينهدون...فطردهم أبا العنان وعادت لعزها لميس **واضرم بتلك القصور النيران وهدمها واستئصلها وطرد سكانها.**	نفسه، ص ص:418_ 420
	تهديم قصر يعقوب بالأوراس	رمضان 758هـ/ 1357م	"ثم توجه إلى قصر يعقوب بن علي في حضيض جبل أوراس وهو قصر بديع، بل حصن منيع...**فأمر أبا عنان بهدمه**...**وتناهت القبائل في محو أثاره...وتتبع مثل الانقعار على نخيله وتحكم القطع الذي قعد السقي بسبيله وأحيط بثمره وشجر الاصطلام بين شجره...**"	نفسه، ص ص:422_ 423
	تهديم قصر القنيطرة وحصن الجديد	رمضان 758هـ/ 1357م	هذا الحصن كان قرة عين ليعقوب بن علي، فأمر أبا عنان "**بهدمه واعدامه...فتقسمت الجيوش مسافاته الراكبة صهوات الأرض وتوزعت جناباته التي حكم على نية بقائها بالرفض، فاندفعت الهدمة لنقضه...وسيرت أبراجه قطميرا للسنبلة لكن المحروثة...، ولما اشتعلت القبائل بالهدم واعتمدت المياه بالردغ والحفائر بالردم، أمر الخلية المتوكل أيده الله بأن يضرب له خباء بأحد البساتين...لم ينشب أيده الله وأمر أن تقطع النخيل التي قامت على رؤوس الرياض...، واتصل العمل على ذلك بقية ذلك اليوم حتى تقلص كل ظل وسرجت القلاص من حرم تلك الأماكن في حل...**"	نفسه، 424، 426_ 428
	تخريب حصن فرفر	رمضان 758هـ/	"وأمر **بتخريب حصن فرفر وانتسافه والاستلاء بالقطع والحرق على أواسطه وأطرافه**...وهذا الحصن كان ليعقوب بن علي وجماهير أولاد محمد الذخر الأعظم، **فأمر**	نفسه، ص : 442، 446_ 449

		1357م	**مولانا بهدمه...فشدت القبائل لاستئصاله الأزر بالهدم والحرق وأمر مولانا أن يستأصل بالقطع جميع ما حوته بسائط فرفر من النخيل النضيد طلعها، وسائر الأشجار التي حسن أصلها وفرعها وأن يمات منها كل بستان أتاه بالانسان باعث عليه...فانتهضت الجيوش كلها ومن إنضاف إليه من أهل بلاد الزاب بالهدم... واتصل التجديد لذلكم العمل مدة ست أيام حتى لم يبق زرع يرقص في الروض بأكمامه...ولا حديقة ولا روضة ولا جنة ولا بستان ولا رستاق...وأصبحت فرفر أوحش من الرمس".**	

ب_الحروب مع الجبهات الخارجية:

أطراف الصراع	السنة	الآثار السلبية على النشاط الزراعي والبستني	المصدر والصفحة
حرب بني غانية مع الموحدين	581_606هـ/ 1185_1209م	لما وقعت الفتنة ببجاية وأنظارها وخف قطينها وعمارها، **وانتهت زروعها وغلاتها وقلة خيراتها وعدمت مرافقها وأقواتها**، وألم بالرعية الحيف وتقسمهم الجلاء والسيف، اعتصم من نجا منهم بقنن الجبال والأوعار، واحتمى من ركن منهم إلى أحياء العرب بالجوار **فأفقرت من بجاية بسائطها وقلة مادتها وغلت أسعارها وتعذرت الجباية وجاوز تقتيرها النهاية**...	ابن عذاري: البيان، قسم الموحدين، ص ص: 180_ 181
		"...فأقام السيد على هذه الحال والمجاعة تشتد والوباء يزيد حتى عم الموتان، وبطرت معيشاتها الرخم والعقبان والحضر المسلبون والمغنومون إلى البلد في أمم لا يحصى عديدهم ولا ينادي من الاقتار وليدهم، وعجز أهل البلد عن تكفين الموتى وعن موساة الأحياء، فكانوا يصبحون في الخرب وفي سكك المدينة زمرا أمواتا ذكورا وإناثا...	نفسه، ص:181
	588هـ/1192م	أثناء حصار ابن غانية لقسنطينة أشرفت هذه الأخيرة على السقوط في يده لقطع الماء عنها، حتى أن "أهلها لجئوا إلى صالحهم الشيخ، أبو الحسن علي بن المخلوف فسأل الله فنزل المطر وسقى الناس، ثم إن المطر سال بغزارة فكانت حملة عظيمة في الوادي وخرقت السد الميورقي ولم يقدر على قطعه"	ابن قنفذ: الفارسية، ص:103، ابن عذاري: م، س،

			ص:17
	604هـ/1207م (معركة شبرو)	لمّا علم _يحي بن اسحاق_ بانفصال الخليفة _محمد بن يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن عن افريقية_ طمع في العود إليها، **فكتب القبائل واستنفر الأعراب ووعدهم ومناهم فاجتمعت له جموعا كثيرة فبسطوا أيديهم في الأطراف وعاثوا في البلاد**...فالتقى الجمعان بشبرو ووقع بينهم قتال كثير...فتمت الهزيمة على الموارقة ووقع فيهم القتل والنهب	الحميري: المصدر السابق، ص:338
	605هـ/1208م	لما ولي أبا عمران مدينة تلمسان رحل لحرب غانية، ولم يكن إلا قبل أن يلتئم جمعه وتكمل تعبئته ويأخذ اهبته ويستحذر عدته، إذ غشيته أسراب العدو كالجراد المنتشر وطلعت عليه ساقات ابن غانية...**واستطلمته العرب قتلا وأسرا**...واستولى العدو على تلك المحلة وأثقالها وخيلها وبغالها وسائر أحوالها ، **وتبسطت جموعه على تلك الجهات وعاثو بها عيث السباع الضاريات**، فارتاع أهل تلمسان وغلقوا أبواب المدينة وأذهلهم فجأة هذا الأمر بروعته، **ووقف كل قبيل من جهات البد بربوته مانعا عن حوزته وأرسلت العرب في تلك النواحي جموعها وأخذوا ينتهكون عمرانها وينتهبون زروعها**، ودامت على قطر تلمسان مضرتهم وبلغت المخنق نكايتهم وإذايتهم فأسرع السيد أبو زكريا من فاس إليها وسكن ضاحيتها ووطأ نفوس أهلها.	ابن عذاري: م،س، ص:252
		لما ارتحل الشيخ أبي عمران بن موسى بن يوسف بن عبد المؤمن إلى تاهرت وصبحه بها ابن غانية فانتفض معسكره وفرت زناتة إلى حصن بها وقت السيد أبو عمران، **واستبيحت تاهرت فكان آخر العهد بعمرانها...**"	ابن خلدون: م،س، 275/6
	630هـ/1232م	"وانتزى يحي بن غانية على جهات قابس وطرابلس، **وردد الغزو والغارات على بسائط إفريقية والمغرب الأوسط فاكتسحها وعاث فيها، وكبس الأمصار فاقتحمها بالغارة وإفساد السابلة وانتساف الزرع، وحطّم النعم إلى أن خربت وعفا رسمها...**"	نفسه، 99/7

		" وإنّ ابن غانية المسوفي حين كان يجلب على بلاد إفريقية والمغرب في فتنته مع الموحدين، **خرّب عمرانها واجتث شجرها وغوّر مياهها، ويشهد لذلك آثار العمران بها في أطلال الديار ورسوم البناء وأعجاز النخل المنقعر...**".	ص:64
الحرب مع الإسبان	911هـ/1505م	في هذه السنة ملك الإسبان المرسى الكبير، "**وعاثوا فيما حولهم سلبا ونهبا**".	الميلي: تاريخ الجزائر، 284/2

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلا

ملحق رقم03: أشهر الجبال الريفية من خلال رحلة الوزان من حيث (الموقع، الإنتاج الزراعي والبستني).

الموقع / الجبل		الانتاج الزراعي	الانتاج البستني	الصفحة
جبال مملكة تلمسان	*جبل مطغرة (6أميال من ندرومة)	الشعير	الخرّوب	43/2
	*جبل ولهاصة (يجاور هنين)	القمح	الخرّوب	44_43/2
	*جبل بني يزناسن (50 ميلا غربي تلمسان)	قليل من الشعير	كثير من الخرّوب	44/2
	*جبل بني ورنيد (3أميال من تلمسان)	/	كمية وافرة من الفواكه لاسيما التين والكرز	45_44
	*جبل بني بوسعيد (يجاور مدينة تنس)	كمية وافرة من الشعير	/	45/2
جبال بجاية	*جبال زواوة (جبال القبائل الكبرى).	/ /	للسكان كمية عظيمة من الجوز والتين.	102/2
		الكتان_ القنب	/	102
جبال قسنطينة	(شمال قسنطينة وغربها)	/	الكثير من الزيتون والتين.	103/2

خريطة رقم 01: أهم السهول والجبال والواحات المنتجة بأرياف المغرب الأوسط من القرن (5_10هـ/11_16م)

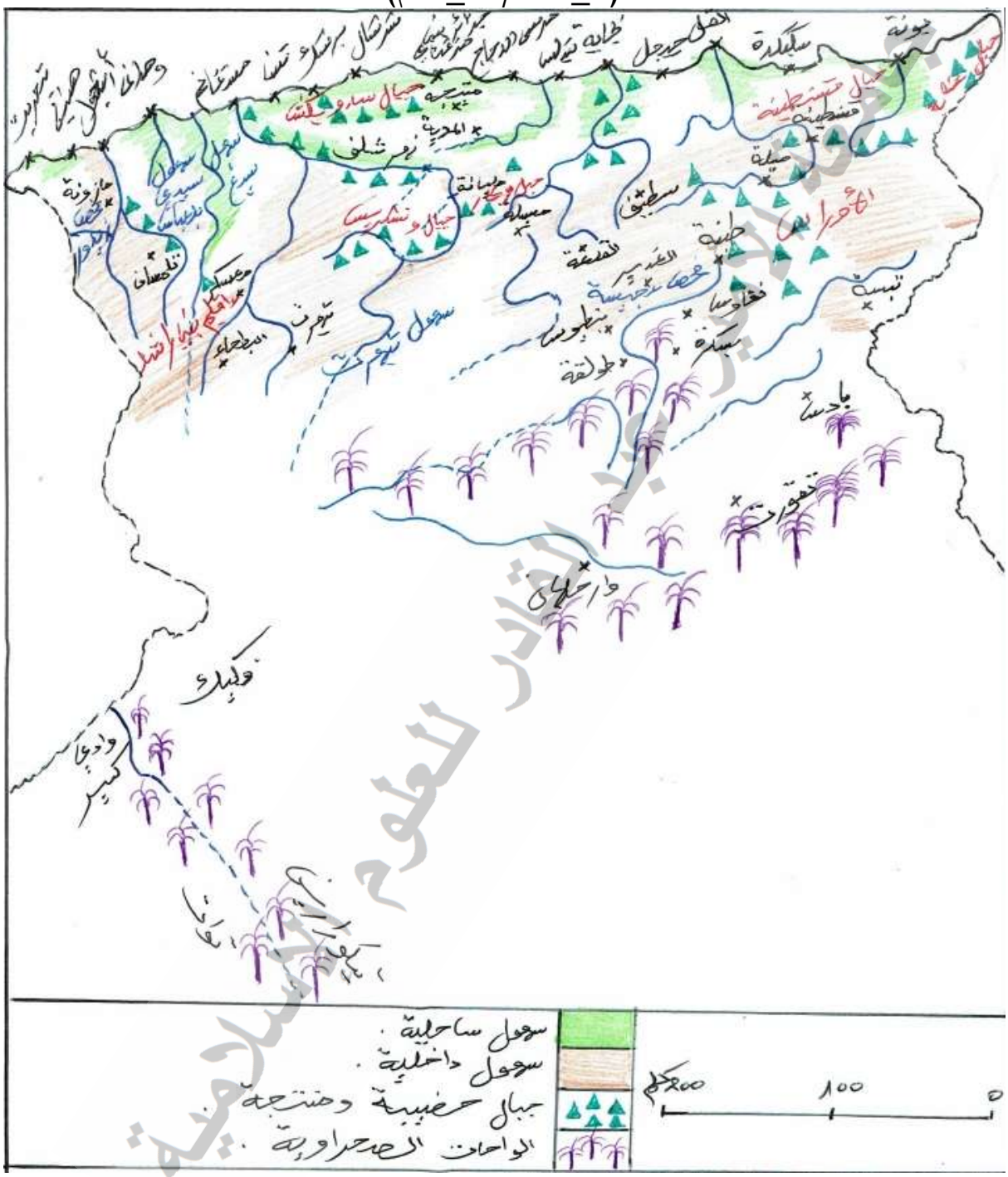

المصدر: البكري: المغرب، الإدريسي: نزهة المشتاق، مجهول (6هـ): الإستبصار، الوزان: وصف إفريقيا.

خريطة رقم 02: أهم الموارد المائية ببلاد المغرب الأوسط من القرن (5_10هـ/11_16م)

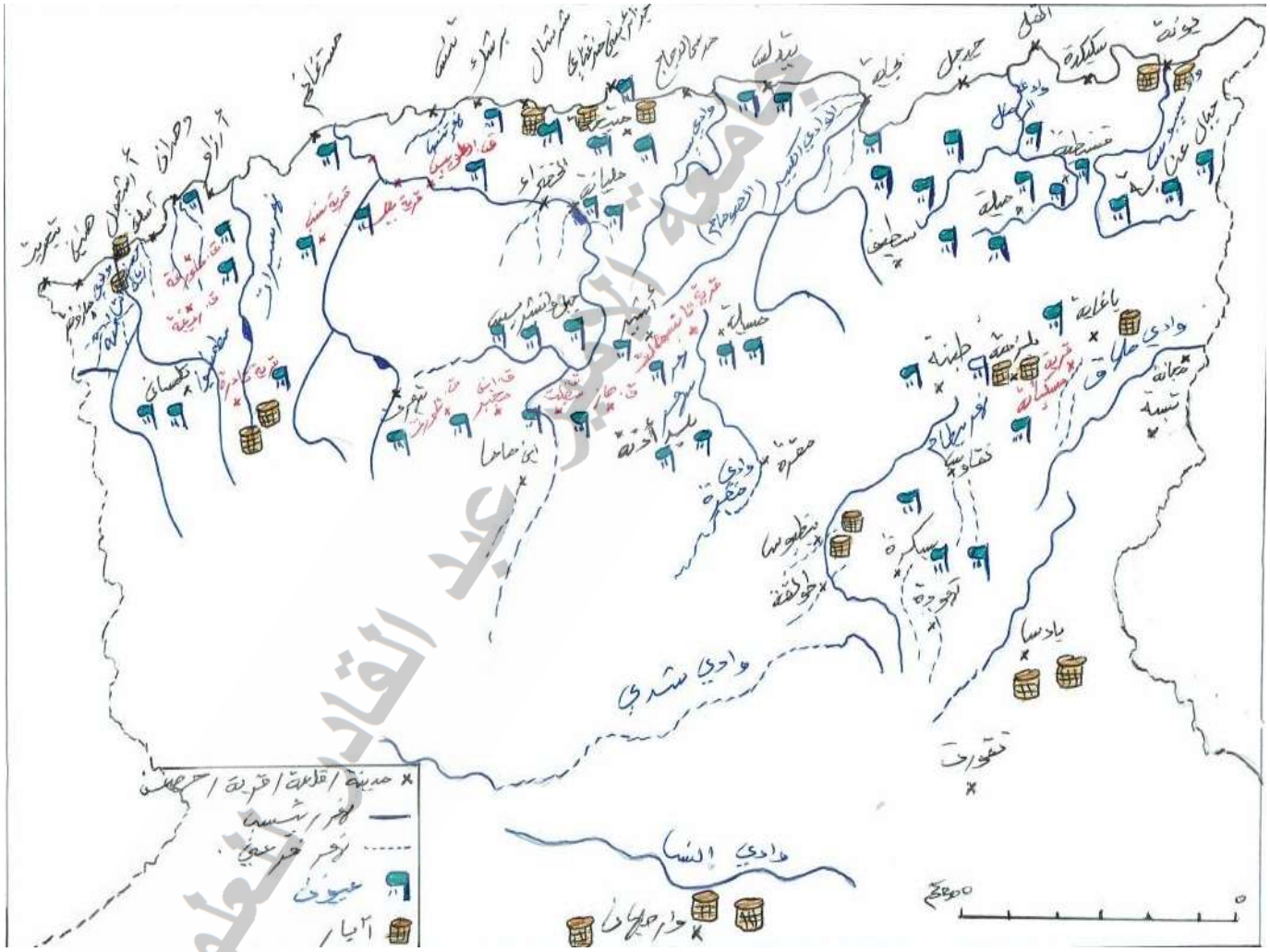

المصدر: البكري: المغرب، الإدريسي: نزهة المشتاق، مجهول(ق6هـ): الإستبصار، الوزان: وصف إفريقيا.

خريطة رقم 03: أهم المحاصيل الزراعية بأرياف المغرب الأوسط من القرن (5_10هـ/11_16م)

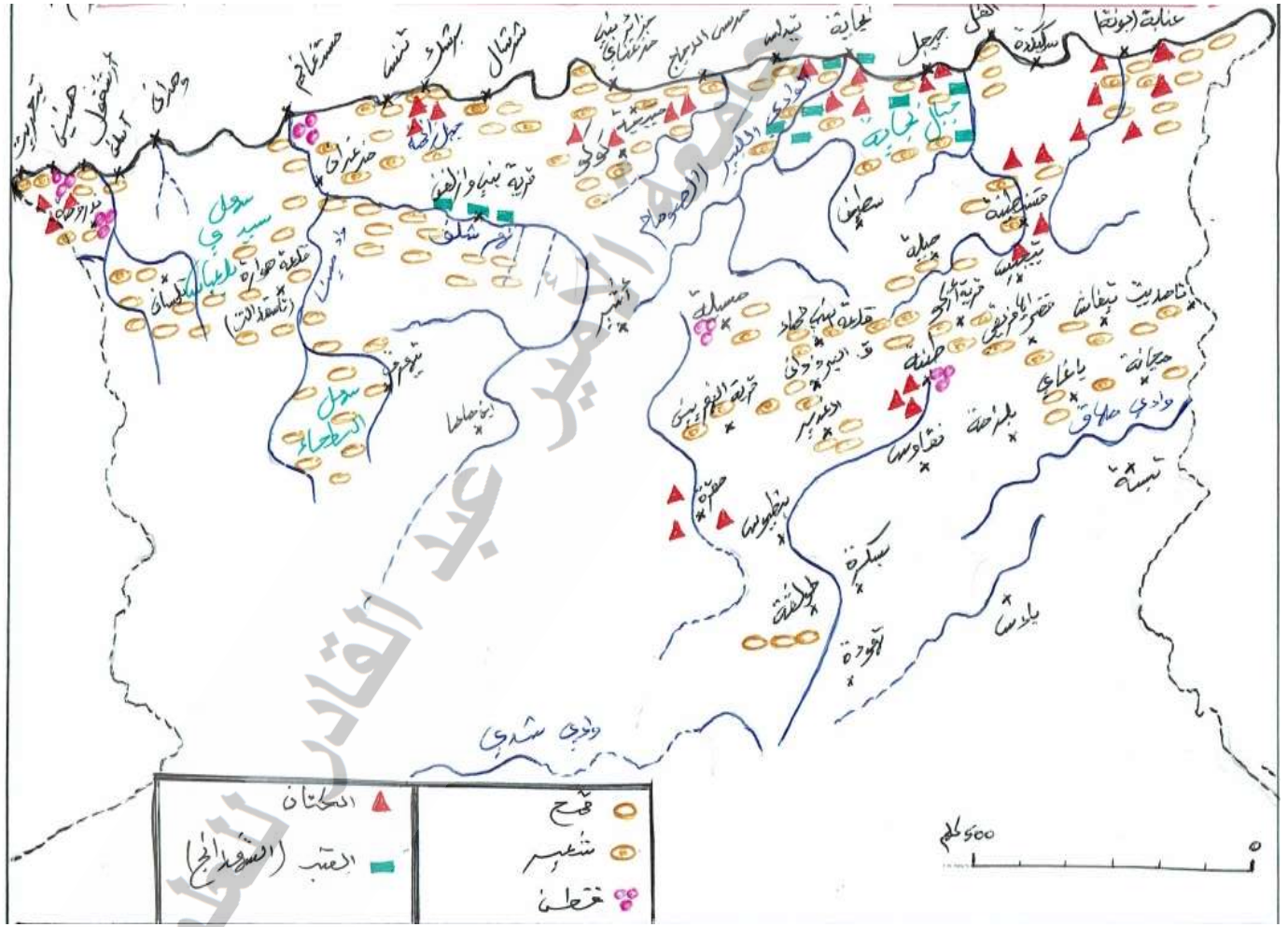

المصدر: البكري: المغرب، الإدريسي: نزهة المشتاق، مجهول (6هـ): الإستبصار، الوزان: وصف إفريقيا.

خريطة رقم 04: أهم المحاصيل البستنية (فواكه وخضر) بأرياف المغرب الأوسط من القرن (5_10هـ/11_16م).

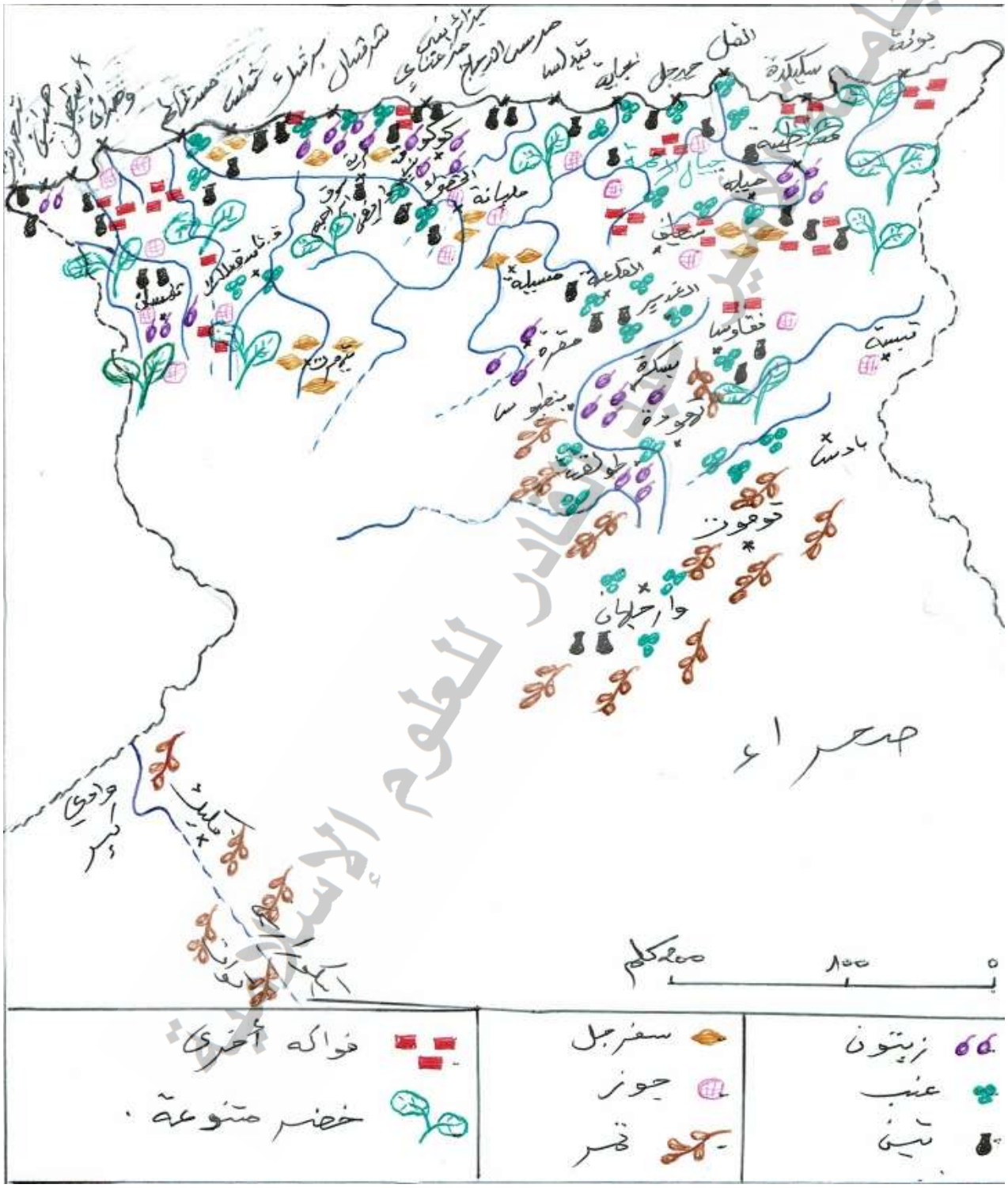

المصدر: البكري: المغرب، الإدريسي: نزهة المشتاق، الوزان: وصف إفريقيا، العمري: مسالك الأبصار، القلقشندي: صبح الأعشى.

الفهارس العامة

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

- **فهرس الأعلام**

﴿حرف الألف﴾

_أحمد بن الحسن بن إبراهيم الحرالي التجيبي: 137.
_أحمد بن محمد بن محمد بن عثمان ين يعقوب بن سعيد بن عبد الله المناوفي : 173_174.
_أحمد بن موسى الشريف الإدريسي تلميذ سيدي أحمد بن الحاج: 83.
_إبراهيم العقباني: 225.
أبو إسحاق إبراهيم الحفصي: 154 164.

﴿حرف الباء﴾

_بلكين بن زيري: 162.
_بلكين بن القائد الحمادي: 121.

﴿حرف التاء﴾

تاشفين بن علي: 73 115.
_أبو تاشفين عبد الرحمن بن أبي حمو موسى الزياني: 4_124_147_384.
_تميم بن المعز الحمادي: 116.

﴿حرف الثاء﴾

_أبو ثابت يوسف بن عبد الرحمن الزياني: 167.

﴿حرف الحاء﴾

_أبو الحجاج يوسف بن موسى الزياني: 167.
_الحسن بن محمد بن خلدون: 205.
_الحسن بن مخلوف بن مسعود بن سعيد المزيلي الراشدي (أبركان): 84.
_أبو الحسن المريني: 4_6_119_120_122_125_162_163_165_331_369_384_391_393.
_حماد بن بلكين بن زيري: 121_162.
_أبو حمو موسى الأول:118_124_151_331_384.
_أبو حمو موسى الثاني:118_124_129_146_151_156_168_302_358_384_389.

﴿حرف الخاء﴾

_خير الدين بربروس: 25_386_389.

﴿حرف الدال﴾

_داوودين بن هلال بن عطاف أمير البلد من بني عامر: 163_379.

﴿حرف الزاي﴾

_أبو زكرياء بن يوغان الصنهاجي: 137.
_أبو زكرياء يحي الحفصي:7_4_117_122_146_361_379_380_383.
_أبو زكرياء يحي بن أبي علي الزواوي: 138_292.
_أبو زيان محمد (الأول)بن عثمان بن يغمراسن: 123_127_389.
_أبو زيان محمد (الثاني) بن عثمان: 163_168.
_أبوزيان محمد (الثالث) بن موسى الزياني: 168.
_أبو زيد بن السيد أبا حفص: 146.
_أبو زيد عبد الرحمن بن الفقيه الإمام الخطيب أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن الإمام: 208_326.
_أبوزيد عبد الرحمن صاحب قسنطينة: 170.

﴿حرف السين﴾

_سالم بن إبراهيم بن نصر أمير الثعالبة: 172_389.
_أبو سالم العقباني: 209.
_سعادة الرحماني: 170.
_أبو سعيد بن أبي يوسف يعقوب بن عبد الحق المريني: 123_151_171.
_أبو سعيد عثمان بن يغمراسن: 6_123_138_151_162_170_172_173.
_سعيد بن موسى بن أحمد الرياحي ابن عم عثمان بن علي الرياحي: 330.

﴿حرف العين﴾

_أبو العباس أحمد البجائي: 174.
_أبو العباس أحمد الغبرني: 8.
_أبو العباس أحمد العاقل ابن المولى أبي حمو: 152_171.
_أبو العباس أحمد بن محمد بن أبي بكر (أبي السباع): 118_369_383.
_أبو العباس صاحب قسنطينة: 148.
_أبو العباس أحمد بن مرزوق والد ابن مرزوق الخطيب: 195_330.
_عبد الرحمن الواغليسي:213_337.
_عبد المؤمن بن علي: 6_48_74_109_116_122_145_147_161_163_
183_341_372_375_376_377.
_أبو عبد الله محمد الثاني المستنصر بن يحي الثاني(أبي عصيدة): 117_122.
_أبو عبد الله محمد بن الأمير بن أبي زكريا صاحب بجاية: 148_391.
_أبو عبد الله محمد بن أبي عمران موسى ين يوسف بن عبد الرحمن بن يحي بن زيان: 209.

_أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد النور التلمساني: 391.
_أبو عبد الله محمد الزياني (ابن خولة): 119_168.
_أبو عبد الله محمد الزياني (ابن الحمراء): 119.
_أبو عبد الله الفقيه نزيل تلمسان: 193.
_أبو عبد الله محمد المستنصر بن أبي زكريا: 117_122.
_عثمان بن علي الرياحي: 55_110_153_330.
_علي بن مكي: 213.
_علي بن يوسف بن تاشفين المرابطي: 73_116_158_191_373.
_أبو عنان فارس: 6_74_119_147_149_154_160_169_171_216_302_380_392.
_أبو علي القروي المكناسي الفاسي الأندلسي: 201.

﴿**حرف الفاء**﴾

_أبو فارس عبد العزيز المتوكل: 118_123_381.
_أبو الفضل العقباني:206_334.
_أبو الفضل يوسف بن محمد بن يوسف المعروف بابن النحوي: 207.

﴿**حرف القاف**﴾

_القائد بن حماد: 121.
_أبو القاسم أحمد الغبريني: 209.

﴿**حرف الميم**﴾

_محمد بن أحمد العقباني: 225.
_محمد بن العباس: 225.
_محمد بن عزوز الديلمي: 29.
_محمد بن مرزوق الحفيد: 210_330_391.
_محمد ابن مرزوق الجد: 24_29.
_أبو محمد عبد الحق بن ربيع بن أحمد بن عمر الأنصاري البجائي: 8.
_محمد بن عبد السلام التونسي نزيل تلمسان: 194.
_أبو محمد عبد الواحد بن الشيخ أبا حفص: 117.
_أبو محمد عبد الله بن أبي بكر بن مرزوق: 195.
_أبو محمد عبد الله بن حجاج بن يوسف: 195.
_مزدالي التكلاتي اللمتوني: 145.
_محمد بن عبد القوي أمير توجين: 163.

_محمد بن محمد بن عبد الرحمن المعروف بالأدغم السويدي: 29.
_مسهود بن إبراهيم اليرناوي: 391.
_منديل بن عبد الرحمن المغراوي: 163.
_منصور بن فضل بن مزني: 127_148_170.
_المنصور بن الناصر الحمادي: 121_125_151.
_المهدي ابن تومرت: 48_376.
_أبو موسى عيسى بن يرصوكسن: 29_205_316.

﴿حرف النون﴾

_الناصر بن علناس الحمادي: 116_119_160_169_370.
_أبو النجم هلال بن يونس الغبريني: 192.
_نصر بن عمر بن أبي الحسن المريني: 391.

﴿حرف الواو﴾

_ونزمار بن عريف أمير سويد: 392.

﴿حرف الياء﴾

_أبو يحي أبو بكر بن أبي زكريا بن أبي إسحاق (المتوكل على الله):118_121_145_171.
_يحي بن العزيز الحمادي: 6_53_116_207_341_372.
_يحي بن غانية:155_156_161.
_يحي بن محمد المديوني أبو السادات التلمساني:57_80_157.
_يعقوب بن علي الرياحي:48_55_81_153_154_175_264_330_380.
_أبو يعقوب يوسف بن عبد المؤمن:116_122_162_302_363_375_377.
_أبو يعقوب يوسف بن منصور بن الفضل بن مزني:74_148_184_302_380_381.
_أبو يعقوب يوسف المعروف بالطرفي: 205.
_يغمراسن بن زيان:117_121_123_129_151_152_163_331_384_387.
_يوسف بن تاشفين المرابطي:120_373.
_يوسف بن يعقوب التجيبي:151.
_أبو يوسف يعقوب المنصور الموحدي:109_116_122_147_162_375_377.
_أبو يوسف يعقوب بن عبد الحق المريني:109_146_159_171_331_387.

- **فهرس القبائل البربرية**

﴿حرف الألف﴾

_أنجفة: 57.
_إزداجة: 105_255.
_بنو إسحاق (هوارة): 369.
_أوغمرت(زناتة): 382.
_أولاد سلامة (توجين):173.
_أولاد سواق(سدويكش): 153_379_392.

﴿حرف الباء﴾

_بنو باديس (لواتة): 382.
_بنو عبد الواد:7_103_105_174_191_375.
_بنو ومانوا: 7_103_153_162.
_بنو يفرن:7_103_105_153_162_163.
_بنو يلومي:7_103_153_162.

﴿حرف التاء﴾

_تلكاتة:57_103.
_توجين:7_97_103_105_115_153_162_163_166_170_172_191_375.

﴿حرف الدال﴾

_بنو دمر (زناتة): 36.

﴿حرف الراء﴾

_بنو راشد:163_191_375.
_بنو رمّان: 127.
_بنو ريغة:105_175_379.

﴿حرف الزاي﴾

_بنو زردال:105.
_زناتة:7_14_23_40_102_103_104_105_109_110_111_114_125_150_152_160
_ 162_165_174_375_380.
_زواوة:103_286_332_369_375_382_383.

﴿حرف السين﴾

_سدراتة: 130.
_سدويكش: 108_382_391_392.

_بنو سرا (كتامة): 383.
_بنو سنجاس: 105_153_174_389.

﴿حرف الصاد﴾

_صنهاجة:7_14_102_103_110_152_160_165_174_369_375.

﴿حرف العين﴾

_بنو عابد: 163_389.
_عجيسة: 7_103_111_160.

﴿حرف الغين﴾

_بنو غبرين(كتامة): 383.
_غرسن: 102.
_بنو غمرة: 162_166.

﴿حرف الفاء﴾

_فراوسن (كتامة): 382.

﴿حرف الكاف﴾

_كتامة: 7_14_102_103_104_110_152.
_كومية: 7_103_105_163_246_389.

﴿حرف اللام﴾

_لمّاية: 130.
_لواتة: 105_110_130_243.

﴿حرف الميم﴾

_بنو مادين: 7_103.
_مديونة: 7_103_105_163.
_مزاتة: 130.
_بنو مرين: 110.
_بنو مصعب (مصاب):6_8_105_389.
_مطغرة:7_40_103_109_187_387.
_مطماطة:7_103.
_مغراوة:7_23_57_103_109_115_153_162_163_166_174.

_مغيلة: 7_103.
_مليكش: 117.

﴿حرف الهاء﴾

_هوارة: 7_103_111_130_170_383.

﴿حرف الواو﴾

_بنو واريفن: 39.
_بنو ورا (مغراوة): 109_379.
_ورتطغير: 105_389.
_وغلانة: 150.
_ولهاصة: 23_379_389.
_بنو واسين: 105.

﴿حرف الياء﴾

_بنو يادين: 105.
_بنو يالدس: 105_389.
_بنو يدللتن: 173.
_بنو يزناتن (يزناسن): 160_381.
_يسودة: 102.

- **فهرس القبائل العربية**

﴿حرف الألف﴾

_الأثبج:106_110_111_116_127_191_347_375_379.
_أولاد خراج (ذوي عبيد الله): 187_389_390.
_أولاد يحي بن سباع (الدواودة): 382.
_أولاد يحي (دريد): 391.

﴿حرف التاء﴾

_توبة: 52_110.

﴿حرف الثاء﴾

_الثعالبة: 18_103_107_163_172_173_389.

﴿حرف الحاء﴾

_حصين: 103_106_165_172.

_بنو حميد بن عامر: 163.

﴿حرف الخاء﴾

_الخلط: 164.

﴿حرف الدال﴾

_دريد: 106.

_الدواودة(الزواودة):58_107_154_184_380_383.

﴿حرف الذّال﴾

_ذوي عبيد الله: 18_107_108_187_390.

﴿حرف الراء﴾

_رياح:106_108_110_152_165_183_380_383_392.

﴿حرف الزاي﴾

_زغبة:103_106_107_109_110_125_153_164_174_375_379_390.

﴿حرف السين﴾

_بنو سليم: 107.

_سويد:58_108_151_165_288_388.

﴿حرف العين﴾

_بنو عامر:65_106_107_165_166_176_354_380.

_العطاف (الحرث بن مالك):103_388.

_عوف: 107.

_عياض:106_108_111_175_375_379.

﴿حرف الكاف﴾

_كرفة:106_165_347_379_383.

_الكعوب (مرداس):164.

﴿حرف الميم﴾

_بنو مالك (زغبة): 390.

_بنو محمد والمراونة (كرفة): 347.

_مرداس: 106_107.

_المعقل:107_174_175_352_390.

_مسلم: 383.

﴿حرف الهاء﴾

_هبرة (هلال):23_106_109_110_160_388_390.
_الهداج (ذوي عبيد الله):389_390.
_بنو هلال:103_106_116_127_155_160_163_347_388_390.

﴿حرف الياء﴾

_يزيد:103_106_369_375_390.
_بنو يعقوب بن عامر: 163.

- **فهرس القرى**

﴿حرف الألف﴾

_أريغ: 47.
_أزكو: 76_91.
_أوسحنت: 63_91.
_إيفران: 47.
_آجر: 266.

﴿حرف الباء﴾

_باب القصر: 43.
_بابلوت:91_265_268.
_بني عبد الله (قرى دلس): 253.

﴿حرف التاء﴾

_تاجرة: 47.
_تادرّة: 256_258.
_تاورت: 256.
_تموصين: 47.
_تين يسلي (قرى وارجلان): 139.

﴿حرف الحاء﴾

_حمزة: 47.
_حيّاس (قرى بسكرة): 127.

﴿حرف الدال﴾

_دارست: 246_265.

﴿حرف الراء﴾

_ريغة: 91_100_305_347.

﴿حرف السين﴾

_سطيت: 91_255.

_سني: 91_256.

_سوق الأحد: 346.

_سوق الإثنين: 345_347.

_سوق إبراهيم: 309.

_سوق الجمعة: 63_113_347.

_سوق الخميس: 346_347.

_سوق كرام: 42_271.

_سوق يوسف: 346.

﴿حرف الطاء﴾

_طارف: 47.

﴿حرف العين﴾

_العبّاد: 47_82.

_العلويين: 63_76_91_256.

_عين الصفاصف: 26_93_305.

﴿حرف الفاء﴾

_الفهمين: 345.

﴿حرف القاف﴾

_القل: 153_369.

_قيطون بياضة: 46.

﴿حرف الكاف﴾

_كومية: 345.

﴿حرف الميم﴾

_ماورغة: 17_91_284.

_ابن مجبر: 91_255_284.

_مرسى أرزاو: 46.
_مسكيانة: 91_253_256_284.
_المعسكر: 46_93_347_388.
_ملالة: 47.
_ملشون: 42_47.

﴿حرف النون﴾

_ناسمالت: 255_345.
_نمردوان (البردوان): 41.
_النهرين: 38_94_99.

﴿حرف الهاء﴾

_هاز: 45_255.
_هوارة: 46.

﴿حرف الواو﴾

_بنو وازلفن (واريفن): 17_26_63_89_91_271_292_298_308_324.
_وهران: 42.

﴿حرف الياء﴾

_يكسم: 43_345.
_يلّل: 256.

- **فهرس الحصون**

﴿حرف الألف﴾

_أشير: 50_98_347.
_إيكجان: 102.

﴿حرف الباء﴾

_بادس: 106_183_361.
_بسكرة: 50_51_345.
_بشر: 52_106_183.
_بكر: 51_345.
_بلزمة: 36_38_41_51_63_99_345.
_بونة (عنابة): 73_82_327.

﴿حرف التاء﴾

_تاكلات: 50_53_73_301_346.

_تامغليت: 36.

_تانكرمت: 49_63_97.

_تاونت: 50_73_309.

﴿حرف الجيم﴾

_الجديد: 81.

﴿حرف الزاي﴾

_بني زندوي: 347.

_ابن زيني (زيان): 49_90_303.

﴿حرف السين﴾

_سطيف: 51_73_91_350.

_سوق الخميس: 50_63.

﴿حرف الصاد﴾

_صخر: 37.

﴿حرف الفاء﴾

_فرفر: 74_75.

﴿حرف الكاف﴾

_كزناية: 50_63_71_90_347.

﴿حرف الهاء﴾

_هنين: 49_73_89.

﴿حرف الواو﴾

_الوردانية: 49.

- **فهرس الأنهار والأودية**

﴿حرف الباء﴾

_وادي بجاية (الصومام/ الوادي الكبير):50_71_82_142_148_250_251_263.

﴿حرف التاء﴾

_نهر التافنة (أرشكول): 253_265.

_نهر تبسة (وادي ملاّن/ ملاّق): 265.

_نهر تلمسان(الصفصيف، سطفسيف):44_76_82_125_253.
_نهر تنس(تامن/تناتين/نتاتين): 251.

﴿حرف الراء﴾

_وادي ريغ: 23_56.

﴿حرف الزاي﴾

_وادي زا: 4.

﴿حرف السين﴾

_نهر سحر (سهر): 252_254_268.
_وادي سقاية (الشفة): 89.
_نهر السمّار (سوفغمار/ وادي الرمال): 252.
_وادي سيبوس (عنابة): 94_250.
_نهر سيرات: 71_89_253_264_268.
_نهر سي سي بن دمر: 71_89_264.

﴿حرف الشين﴾

_وادي شال: 252.
_وادي شدي: 253.
_نهر (وادي)
شلف:7_18_42_71_187_251_253_263_267_288_290_293_308_309_310.

﴿حرف الطاء﴾

_نهر طبنة (بيطام): 142_264.
_نهر أبي الطويل: 254.

﴿حرف القاف﴾

_نهر (أنهار) قسنطينة: 71_252.

﴿حرف الكاف﴾

_وادي كير: 254.

﴿حرف الميم﴾

_وادي ماسين: 50_264.
_وادي مقرة: 44_254.
_نهر ملوية: 4_7_91_254.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

_وادي مينة (مينا): 65_71_252_288.

﴿حرف النون﴾

_نهر النساء: 254.

﴿حرف الهاء﴾

_وادي هنت: 89.

﴿حرف الواو﴾

_وادي الوريط: 129.

﴿حرف الياء﴾

_نهر يدوغ (وادي يدّوش): 250.

_نهر يسّر: 253.

- **فهرس الجبال**

﴿حرف الألف﴾

_جبل أغبال: 23_124_314.

_جبال الأطلس البليدي: 94_95.

_جبل أمسيول (أمسيوان/ ميسون): 63_95_298_308.

_جبل الأوراس:

7_34_43_49_92_99_154_254_256_265_278_300_379_380_383.

_جبل أولاد نايل: 278.

_جبل إيكجان: 102.

﴿حرف الباء﴾

_جبل باب البغل: 26_43_59_99.

_جبال البابور: 94.

_جبال بجاية: 90_104_255_286_310_383.

_جبال برشك: 152.

_جبل بني جبير: 286_310_312.

_جبل بني راشد: 103_174_253_388.

_جبل بنو زناتة: 79_313.

_جبل بني عباس: 99_289_296_305.

_جبل بني مصعب: 166.
_جبل بني ورنيد: 20_23_31_57_79_83_92_146_218_305_310_320_382.
_جبل بني يزناسن: 79_104_126_286.
_جبل بيدر: 129.

﴿حرف التاء﴾

_جبل تاسقدالت: 146.
_جبل تاورناية: 43.
_جبال تلمسان: 278.
_جبال تيطري (المدية): 95_103_163.

﴿حرف الجيم﴾

_جبال الجزائر: 96_126_194_300.

﴿حرف الدال﴾

_جبل دراك: 387.

﴿حرف الراء﴾

_جبال الرحمن: 95_308_317_345.

﴿حرف الزاي﴾

_جبل زانمة (أبي سعيد/ بني بوسعيد): 72_286_363_388.
_جبل زغوغ (هدوغ/ جبل عنابة): 90_255.
_جبال زكار (جبل نكّار): 95_288_312_327.
_جبال زواوة (جبال جرجرة): 94_104_110_310.

﴿حرف السين﴾

_جبل سدويكش: 95_382.
_جبل سقاو (جبل أولاد ثابت): 92_115_151.
_جبال سوق أهراس: 94.

﴿حرف الظّاء﴾

_جبال الظهرة: 95_288.

﴿حرف العين﴾

_جبال عمور: 251.
_جبل العنصل (بني زلدوي/ جبل كتامة): 43_97_104_110_308_311_317.

﴿حرف الفاء﴾

_جبال فرندة: 251.

﴿حرف القاف﴾

_جبال قسنطينة: 20_95_126_349.

_جبال القل (جبال سكيكدة): 363.

_جبال القلعة: 308_309.

﴿حرف الكاف﴾

_جبل كوكو: 247_288_389.

_جبل كيانة: 99.

_جبل كيدرة: 146.

﴿حرف اللام﴾

_جبل لالا سيتي: 82.

﴿حرف الميم﴾

_جبل مطغرة (مدغرة): 31_104_126_253_286_313.

_جبل مغراوة: 31_194_300.

﴿حرف الواو﴾

_جبل ولهاصة (تارة): 20_23_31_167_289_313.

_جبال الونشريس: 95_97_102_104_163_166_247_253_255.

﴿حرف الياء﴾

_جبال يسّر: 253.

فهرس المصادر والمراجـــع

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

أولا: القرآن الكريم برواية ورش عن نافع.

ثانيا: المصادر المخطوطة:

1. المازوني أبو زكريا بن أبي عمران بن يحي بن موسى بن عيسى المغيلي (ت883هـ/1478م): الدرر المكنونة في نوازل مازونة، مخطوط بالمكتبة الوطنية، الحامة، الجزائر، ج1، رقم 1335، ج2، رقم 1336.

ثالثا: المصادر المطبوعة:

1. ابن الأبار محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي (ت658هـ/1260م): الحلّة السيراء، حققه وعلق حواشيه: حسين مؤنس، ط1، ط2، دار المعارف، القاهرة، 1963، 1985م، ج2.
2. ابن الأثير عز الدين أبي الحسن علي بن أبي المكارم الشيباني (ت630هـ/ 1232م): الكامل في التاريخ، **ج8**، راجعه وصححه محمد يوسف الدقاق، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1407هـ/1987م،
_ **ج9، ج10**، ط4، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1424هـ/2003م.
3. ابن الأحمر إسماعيل بن يوسف الخزرجي الأنصاري (ت807هـ/1404م): تاريخ الدولة الزيانية بتلمسان، تقديم وتحقيق وتعليق: هاني سلامة، ط1، مكتبة الثقافة الدينية، بورسعيد، الظاهر، 1421هـ/2001م.
4. ابن أبي زرع علي الفاسي(كان حيا سنة729هـ/1328م): الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، صور للطباعة والوراقة، الرباط، 1972م.
5. _الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1392هـ/1972م.
6. ابن أبي زيد القيرواني أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن (ت386هـ/997م): النوادر والزيادات على ما في المدونة من غيرها من الأمهات، **مج6**: تحقيق عبد الله المرابط الترغي، محمد عبد العزيز الدباغ، **مج7و11**، تحقيق: محمد عبد العزيز الدباغ، **مج10**، تحقيق:محمد الامين بوخبزة، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1999م.
7. الأصبحي أبو عبد الله مالك بن أنس (ت93هـ/179م): الموطأ، رواية محمد بن الحسن الشيباني، تعليق وتحقيق: عبد الوهاب عبد اللطيف، أشرف على إصداره محمد علي محجوب، ط4، القاهرة، 1414هـ/ 1994م.
8. الإدريسي أبو عبد الله الشريف محمد بن محمد الحمودي(ت548هـ/1154م): القارة الافريقية وجزيرة الأندلس، مقتبس من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، تحقيق وتعليق اسماعيل العربي، د.م.ج، الجزائر، 1983م.

9. الباجي أبو الوليد سلمان بن خلف الأندلسي (ت474هـ/ 1081م): فصول الأحكام وبيان ما مضى عليه العمل عند الفقهاء والحكام، تحقيق وتقديم محمد أبو الأجفان، ط1، مكتبة التوبة، الرياض، السعودية، دار ابن حزم لـ: ط،ن،ت، بيروت، لبنان، 1422هـ/2002م.
10. الباديسي عبد الحق بن إسماعيل(كان حيا سنة 722هـ): المقصد الشريف والمنزع اللطيف في التعريف بصلحاء الريف، تحقيق سعيد أعراب، ط2، المطبعة الملكية، الرباط، 1414هـ/1993م.
11. البخاري أبي عبد الله محمد بن إسماعيل (ت256هـ/869م): الجامع الصحيح المختصر، قام بشرحه وتصحيح تجاربه وتحقيقه محي الدين الخطيب، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه واستقصى أطرافه محمد فؤاد عبد الباقي، نشره وراجعه وقام بإخراجه وأشرف على طبعه قصي محمد الدين الخطيب، ط1، المطبعة السلفية ومكتبتها، القاهرة، 1403هـ، ج2.
12. البرزلي أبو القاسم بن أحمد (ت841هـ/1438م): جامع مسائل الأحكام لما نزل من القضايا بالمفتين والحكام، تحقيق محمد الحبيب الهيلة، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2002م، 7ج.
13. ابن بصال عبد الله محمد بن إبراهيم(ت499هـ/1105م): كتاب الفلاحة، نشره وترجمه وعلّق عليه: خوسيه مارية مياس بيكروسا، محمد عزيمان، مطبعة كريماديس، تطوان، المغرب، 1955م.
14. البعلبكي قسطا بن لوقا(ت300هـ/912م): الفلاحة الرومية، دراسة وتحقيق وائل عبد الرحيم عبيد، ط1، دار النشر، عمان، الأردن، 1420هـ/1999م.
15. البكري أبي عبيد عبد الله بن عبد العزيز الأندلسي(ت487هـ/1094م): المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب وهو جزء من كتاب المسالك والممالك، مكتبة المثنى، بغداد، د_ت.
16. البلوي أبو البقاء خالد بن عيسى الغرناطي (ق8هـ/14م): تاج المفرق في تحلية علماء المشرق، مقدمة وتحقيق الحسن محمد السائح، طبع تحت إشراف اللجنة المشتركة لنشر التراث الاسلامي بين المملكة المغربية ودولة الإمارات العربية المتحدة، مطبعة فضالة المحمدية، المغرب، ج2.
17. ابن البيطار ضياء الدين عبد الله بن أحمد المالقي(ت646هـ/1248م): الجامع لمفردات الأدوية والأغذية، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1412هـ/1992م، 4ج.
18. تأليف جماعي: رسائل موحدية، مجموعة جديدة، تحقيق ودراسة، أحمد عزاوي، ط1، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية القنيطرة، ج1، 1416هـ/1995م، ج2، 1422هـ/2001م.
19. التادلي أبو يعقوب يوسف بن يحي المعروف بابن الزيات(ت617هـ/1220م): التشوف إلى رجال التصوف وأخبار أبي العباس السبتي، تحقيق أحمد التوفيق، ط2، منشورات كلية الآداب، الرباط، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1997م.
20. التجيبي محمد بن أحمد بن عبدون(من أهل القرن 5هـ/11م)، ابن عبد الرؤوف أحمد بن عبد الله: ثلاث رسائل أندلسية في آداب الحسبة والمحتسب، اعتنى بتحقيقه ودراسته الفنية واللغوية والتأريخية الاجتماعية، ليفي بروفنسال، مطبعة المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة، 1955م.

21. التنبكتي أحمد بابا السوداني(ت1036هـ/1627): نيل الابتهاج بتطريز الديباج، إشراف وتقديم عبد الحميد عبد الله الهرامة، وضع هوامشه وفهارسه طلاب من كلية الدعوة الاسلامية، ط1، منشورات كلية الدعوة الاسلامية، طرابلس، 1398 من وفاة الرسول، 1989م.
22. التنسي محمد عبد الله بن عبد الجليل التلمساني(ت899هـ/1294م): تاريخ بني زيان ملوك تلمسان، مقتطف من نظم الدرر والعقيان في بيان شرف بني زيان، حققه محمود بوعياد، د.م.ج، الجزائر، 1985م.
23. التيجاني أبو محمد عبد الله بن محمد بن أحمد(توفي حوالي 717هـ/1317م): رحلة التيجاني، قدم لها: حسين حسني عبد الوهاب، الدار العربية للكتاب، ليبيا، تونس، 1981م.
24. ابن جبير أبو الحسن أحمد بن أحمد الكناني (ولد سنة540هـ/1145م): رحلة ابن جبير، ط2، مطبعة بريل، ليدن، 1907م.
25. ابن جزي أبو القاسم محمد الكلبي الغرناطي (ت541هـ/1340م): القوانين الفقهية، القسم 1، الكتاب 4، القسم 2، الكتاب 3 و4و5، _نسخة إلكترونية_.
26. ابن حجاج الإشبيلي أحمد بن محمد: المقنع في الفلاحة، تحقيق صلاح جرار، جاسر أبو صفية، تدقيق وإشراف عبد العزيز الدوري، منشورات مجمع اللغة العربية الأردني، 1402هـ/1982م.
27. الحموي شهاب الدين أبا عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي(ت626هـ/1228م): معجم البلدان، دار صادر، بيروت، 1397هـ/1977م، 5ج.
28. الحميري محمد بن عبد المنعم الصنهاجي (ق8هـ/14م): الروض المعطار في خبر الأقطار، معجم جغرافي مع فهارس شاملة تحقيق: إحسان عباس، ط1، ط2، مكتبة لبنان، بيروت، 1975م، 1984م.
29. ابن حوقل أبو القاسم النصيبي البغدادي (توفي بعد 367هـ/977م): صورة الأرض، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، 1996م.
30. ابن خاقان أبو نصر الفتح بن محمد بن عبيد الله القيسي الإشبيلي (ت529هـ/1135م): قلائد العقيان ومحاسن الأعيان، حققه وعلق عليه: حسين يوسف خريوش، ط1، مكتبة المنار لـ: ط، ن، ت، الأردن، 1409هـ/1989م، المجلد1، ج1.
31. ابن الخطيب لسان الدين السلماني الغرناطي(ت776هـ/1374م): رقم الحلل في نظم الدول، المطبعة العمومية، تونس، 1317هـ.
32. _أعمال الأعلام، القسم المغربي، طبع باسم: تاريخ المغرب العربي في العصر الوسيط، تحقيق أحمد مختار العبادي، محمد ابراهيم الكتاني، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1964م، ج3.
33. _الإحاطة في أخبار غرناطة، حقق نصه ووضع مقدمته وحواشيه محمد عبد الله عنان، ط2، مكتبة الخانجي القاهرة، الشركة المصرية للطباعة والنشر،ج1، 1393هـ/1973م، ج3؛ ط1، 1395هـ/1975م، ج4، ط1، 1397هـ/1977م.

34. _اللمحة البدرية في الدولة النصرية، تحقيق وتعليق: محمد زينهم، الدار الثقافية للنشر، د_ت.
35. ابن خلدون أبو زيد عبد الرحمان بن محمد الحضرمي الإشبيلي(ت808هـ/ 1406م): تاريخ ابن خلدون المسمى "ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ضبطه خليل شحادة، راجعه سهيل زكار، دار الفكر لـ:ط، ن، ت، 1421هـ/ 2000م، 7ج.
36. _ مقدمة ابن خلدون، وهي الجزء الأول من "تاريخ ابن خلدون"، ضبط المتن ووضع الحواشي والفهارس: خليل شحادة، مراجعة سهيل زكار، دار الفكر لـ: ط، ن، ت، بيروت، لبنان، 1431هـ/2001م.
37. _ رحلة ابن خلدون، عارضها بأصولها وعلّق على حواشيها: محمد بن تاويت الطنجي، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1425هـ/2004م.
38. ابن خلدون أبو زكرياء يحي بن محمد الحضرمي الإشبيلي (ت780هـ/1378م): بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، تقديم وتحقيق وتعليق: عبد الحميد حاجيات، سحب الطباعة الشعبية للجيش، الجزائر، 2007م، 2ج.
39. ابن خلكان أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر (ت681هـ/1282م): وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، حققه إحسان عباس، دار صادر، بيروت، د_ت، (ج3، 5، 7).
40. أبو الخير الإشبيلي أبو بكر محمد بن خير بن عمر الأموي (ت575هـ/1179م): كتاب الفلاحة، ملتزم طبعة على نفقة القاضي سيدي التهامي الناصري الجعفري، ط1، المطبعة الجديدة، شارع الطالعة، فاس، 1357هـ.
41. _عمدة الطبيب في معرفة النبات، قدّم له وحققه محمد العربي الخطابي، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1995م، 2ج.
42. الداودي أبو جعفر أحمد بن نصر المالكي (ت402هـ/1011م): كتاب الأموال، تحقيق ودراسة ومقارنة رضا محمد سالم شحادة، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2008م.
43. الدباغ أبو زيد عبد الرحمن بن محمد الأنصاري الأسيدي (ت696هـ/1296م): معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان، أكمله وعلق عليه أبو الفضل أبو القاسم بن عيسى بن ناجي التنوخي (ت839هـ)، **ج1**، تصحيح وتعليق أبراهيم شبوح، ط2، مكتبة الخانجي، مصر، 1388هـ/1968م، **ج2**، تحقيق محمد الاحمدي أبو النور، محمد ماضور، مكتبة الخانجي، مصر، المكتبة العتيقة، تونس، د_ت.
44. الدرجيني أبو العباس أحمد بن سعيد (ت حوالي 670هـ/1272م): طبقات المشائخ بالمغرب، حققه وقام بطبعه ابراهيم طلاي، مطبعة البعث، قسنطينة، الجزائر، د_ت، 2ج.
45. الدمشقي أبو الفضل جعفر بن علي(من أهل ق6هـ/12م): الإشارة إلى محاسن التجارة وغشوش المدلسين فيها، اعتنى به وقدّم له وعلّق عليه: محمود الأرناؤوط، ط1، دار صادر، بيروت، 1999م.

46. الدمشقي شمس الدين أبي عبد الله محمد أبي طالب الأنصاري(ت727هـ/1327م): نخبة الدهر في عجائب البر والبحر، طبعه فرين واعتنى بتصحيحه وطبعه بعد وفاته أغشطس بن يحي المدعو مَهْرن، مطبعة الكادمية الامبراطورية، بطربورغ، 1281هـ/1865م.
47. الذهبي شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (748هـ/1347م): العبر في خبر من غبر، حققها وضبطها: أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1405هـ/1985م، ج2.
48. _دول الاسلام، حققه وعلق عليه إسماعيل مروة، قرأه وقدم له محمود الأرناؤوط، ط1، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1999م، ج1.
49. ابن رشد الجد أبو الوليد محمد بن أحمد بن أحمد القرطبي (ت520هـ/1126م): فتاوى ابن رشد، تقديم وتحقيق وجمع وتعليق المختار بن طاهر التليلي، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1407هـ/1987م، 3ج.
50. ابن رشد الحفيد أبو الوليد محمد بن أحمد القرطبي (ت595هـ/1199م): شرح بداية المجتهد ونهاية المقتصد، وبهامشيه السبيل المرشد إلى بداية المجتهد ونهاية المقتصد، شرح وتحقيق وتخريج: عبد الله العبادي، ط1، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، 1416هـ/ 1995م، ج2، 3، 4.
51. الزركشي أبو عبد الله محمد بن ابراهيم (ق9هـ/15م): تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، تحقيق وتعليق: محمد ماضوري، ط2، المكتبة العتيقة، تونس، د_ت.
52. ابن رضوان المالقي أبا القاسم(ت783هـ/1381م): الشهب اللامعة في السياسة النافعة، تحقيق علي سامي النشار، ط1، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، 1404هـ/1984م.
53. الزهري أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الأندلسي (توفي أواسط ق 6هـ/12م): كتاب الجغرافيا، اعتنى بتحقيقه محمد حاج صادق، مكتبة الثقافة الدينية، بورسعيد، القاهرة، د_ت.
54. ابن زيان موسى بن يوسف أبا حمو العبد الوادي: واسطة السلوك في سياسة الملوك، مطبعة الدولة التونسية، تونس، 1279هـ، Indian institute OXFORD, 1886.
55. ابن سباهي زادة(ت997هـ/1089م): أوضح المسالك إلى معرفة البلدان والممالك، تحقيق المهدي عبد الرواقية، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2006م.
56. سحنون بن سعيد التنوخي (ت240هـ/854م): المدونة الكبرى، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1415هـ/1994م، 4ج.
57. ابن سراج أبو القاسم الأندلسي (ت848هـ/1444م): فتاوى قاضي الجماعة أبي القاسم ابن سراج، جمع ودراسة وتحقيق: محمد أبو الأجفان، المجمع الثقافي أبو ظبي، الإمارات العربية المتحدة، 1420هـ/ 2000م.

58. ابن سعيد أبو الحسن علي بن موسى الأندلسي المغربي (ت685هـ/1286م): كتاب بسط الأرض في الطول والعرض، تحقيق خوان قرنيط خينيس، مطبعة كريماديس، تطوان، المغرب، 1958م.
59. _ كتاب الجغرافيا، حققه ووضع مقدمته وعلّق عليه إسماعيل العربي، ط2، د،م،ج، الجزائر، 1982م.
60. السقطي أبي عبد الله محمد المالقي الأندلسي (ت631هـ/1234م): في آداب الحسبة، نشر ليفي بروفنسال وجيم كولان، المطبعة الدولية، باريس، 1931م.
61. السلفي أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن إبراهيم(ت576هـ/1180م): أخبار وتراجم أندلسية، مستخرجة من معجم السفر للسلفي، أعدها وحققها: إحسان عباس، ط2، دار الثقافة، بيروت، لبنان، 1399هـ/1979م.
62. ابن سلام أبو عبيدة القاسم (ت224هـ/837م): كتاب الأموال، تقديم ودراسة وتحقيق: محمد عمارة، ط1، دار الشروق، بيروت، 1409هـ/1989م.
63. ابن سلمون أبا محمد عبد الله بن عبد الله الكناني(ت741هـ/م): الهقد المنظم للحكام فيما يجري بين أيديهم من العقود والأحكام، عناية وتعليق: محمد عبد الرحمن الشاغول، ط1، دار الآفاق العربية، القاهرة، 2011م.
64. ابن سهل أبو الأصبغ عيسى بن عبد الله الأسدي الجياني (ت486هـ/1093م): ديوان الأحكام الكبرى أو الإعلام بنوازل الأحكام وقطر من سير الحكام، تحقيق: يحي مراد، دار الحديث، القاهرة، 1428هـ/ 2007م.
65. الشماخي أحمد بن سعيد بن عبد الواحد(ت928هـ/م): كتاب السير، تحقيق أحمد بن سعود السيابي، ط2، وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عمان، 1412هـ/1992م، ج2.
66. ابن الشمّاع محمد بن أحمد التونسي (ق9هـ/15م): الأدلة البينة النورانية في مفاخر الدولة الحفصية، تقديم وتحقيق الطاهر بن محمد المعموري، الدار العربية للكتاب، 1984م.
67. الشنتريني أبي الحسن علي بن بسام (ت542هـ/1147م): الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، لبنان، 1417هـ/1997م، القسم الثاني، المجلد 1.
68. ابن صاحب الصلاة عبد الملك (ت594هـ/1198م): المن بالإمامة، تاريخ بلاد المغرب والأندلس في عهد الموحدين، تحقيق عبد الهادي التازي، دار الغرب الاسلامي، بيروت، لبنان، ط1: 1964م، ط2: 1979م، ط3: 1987م.
69. الظاهري ابن شاهين زين الدين عبد الباسط بن خليل (ت920هـ/1514م): نيل الأمل في ذيل الدول، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، ط1، المكتبة العصرية صيدا، بيروت، 1422هـ/2002م، ج1، 2.
70. العبسي قرة بن شريك(ت96هـ/م): برديات قرة بن شريك العبسي، دراسة وتحقيق جاسر بن خليل أبو صفية، ط1، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الاسلامية، الرياض، 1425هـ/2004م.

71. ابن عذاري المراكشي (ت بعد 721هـ/1312م): البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ج1، 2، 3، تحقيق ج، س، كولان وليفي بروفنسال، ج4، تحقيق ومراجعة إحسان عباس، ط3،دار الثقافة، بيروت، 1983م.
72. _ البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، قسم الموحدين، تحقيق محمد ابراهيم الكتاني وآخرون، ط1، دار الغرب الاسلامي، بيروت، لبنان، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، 1406هـ/1985م.
73. العقباني محمد بن أحمد بن قاسم بن سعيد التلمساني (ت871هـ/1467م): تحفة الناظر وغنية الذكر في حفظ الشعائر وتغيير المناكر، تحقيق علي الشنوفي، Extrait du Bulletin d'études Orientales de l'institut Français de DAMAS, Tome 19, 1967 .
74. العمري أبو الفضل شهاب الدين أبو العباس أحمد بن يحي (ت 749هـ/1349م): مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، الممالك الاسلامية في اليمن والمغرب والأندلس وإفريقيا، تحقيق محمد عبد القادر خريسات وآخرون، مركز زايد للتراث والتاريخ، الإمارات العربية المتحدة، 2001، ج4.
75. ابن العوام أبو زكريا يحي بن أحمد الإشبيلي (ت539هـ/1146م): الفلاحة الأندلسية، تحقيق أنور أبو سويلم وآخرون، ط1، منشورات مجمع اللغة العربية الأردني، عمان، الأردن، 1433هـ/2012م، 7ج.
76. القاضي عياض بن موسى السبتي (ت544هـ/1149م): ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب الإمام مالك، تحقيق محمد بن شريفة، نشر وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، الرباط، د_ت، ج5.
77. عياض وولده محمد: مذاهب الحكام في نوازل الأحكام، تقديم وتحقيق وتعليق محمد بن شريفة، ط1، ط2، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 1990م، 1997م.
78. ابن غازي أبا عبد الله محمد بن احمد بن محمد المكناسي: الروض الهتون في أخبار مكناسة الزيتون، شارع المامونية، الرباط، 1371هـ/1952م.
79. الغبريني أبو العباس أحمد بن أحمد البجائي (ت 704هـ/1304م): عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، حققه وعلق عليه عادل نويهض، ط2، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1979م.
80. الغرناطي أبا إسحاق إبراهيم بن أحمد بن عبد الرحمن(ت579هـ/م): الوثائق المختصرة، تحقيق إبراهيم بن محمد السهلي، ط1، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، 1432هـ/2011م.
81. الغسّاني يوسف بن عمر بن علي بن رسول التركماني(ت694هـ/1295م): المعتمد في الأودية المفردة، ضبطه وصححه محمود عمر الدمياطي، ط1، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1421هـ/2000م، 2ج.

82. الغسّاني قاسم بن محمد بن إبراهيم الشهير بالوزير(1019هـ/1611م): حديقة الأزهار في ماهية العشب والعقار، حققه وعلق على حواشيه ووضع فهارسه محمد العربي الخطابي، ط1، ط2، دار الغرب الاسلامي، بيروت، لبنان، 1405هـ/1985م، 1410هـ/1990م.
83. طاش كبرى زاده أحمد بن مصطفى(ت968هـ/1560م): مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1405هـ/1985م، المجلد1.
84. أبو الفدا عماد الدين إسماعيل بن شاهنشاه (ت732هـ/1331م): تقويم البلدان، اعتنى بتصحيحه وطبعه رينود والبارون ماك كوكين ديسلان، دار الطباعة السلطانية، باريس، 1830م.
85. _المختصر في أخبار البشر، تقديم حسين مؤنس، تحقيق محمد زينهم عزب، يحي سيد حسن، ط1، دار المعارف، القاهرة، د_ت، ج3، ج4.
86. ابن فرحون برهان الدين إبراهيم بن علي اليعمري المدني(ت799هـ/1396م): تبصرة الحكام في أصول الأقضية ومناهج الأحكام، خرّج أحاديثه وعلّق عليه وكتب حواشيه: الشيخ جمال الدين مرعشلي، طبعة خاصة، دار عالم الكتب لـ:ط، ن، ت، الرياض، 1423هـ/2003م، ج2.
87. الفرسطائي أبو العباس أحمد بن محمد بن بكر النفوسي (ت504هـ/1110م): القسمة وأصول الأراضين، كتاب في فقه العمارة الإسلامية، تحقيق وتعليق وتقديم بكير بن محمد الشيخ بلحاج، محمد بن صالح ناصر، ط2، جمعية التراث، القرارة، غرداية، 1418هـ/1997م.
88. ابن القاضي أبو العباس أحمد بن أبي العافية المكانسي (ت1025هـ/1616م): ذرة الحجال في أسماء الرجال، تحقيق محمد الأحمدي أبو النور، دار التراث، القاهرة، المكتبة العتيقة، تونس، د_ت، 3ج.
89. القرشي يحي بن آدم (ت203هـ/818م): كتاب الخراج، حققه حسين مؤنس، ط1، دار الشروق، القاهرة، بيروت، 1987م.
90. القزويني زكريا بن محمد بن محمود (ت682هـ/1283م): آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، بيروت، د_ت.
91. ابن القطان أبي محمد حسن بن علي بن محمد بن عبد الملك المراكشي(ت628هـ/1231م): نظم الجمان لترتيب ماسلف من أخبار الزمان، درسه وقدم له وحققه محمود علي مكي ، ط2، دار الغرب الاسلامي، 1410هـ/1990م.
92. القلصادي أبو الحسن علي القرشي الأندلسي (ت891هـ/1486م): تمهيد الطالب ومنتهى الراغب إلى أعلى المنازل والمناقب، طبع باسم "رحلة القلصادي"، دراسة وتحقيق محمد أبو الأجفان، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، 1978م.
93. القلقشندي أبو العباس أحمد بن علي(ت821هـ/1418م): صبح الأعشى، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1340هـ/ 1922م، ج5، 8.

94. ابن قنفد أبو العباس أحمد بن الحسن الخطيب القسنطيني (ت810هـ/1407م): أنس الفقير وعز الحقير، اعتنى بنشره وتصحيحه محمد الفاسي، أدولف فور، منشورات المركز الجامعي للبحث العلمي، جامعة محمد الخامس، كلية الآداب، مطبعة أكدال، الرباط، د_ت.
95. _الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية، تقديم وتحقيق، محمد الشاذلي النيفر، عبد المجيد التركي، الدار التونسية للنشر، 1968م.
96. ابن الأكفاني محمد بن إبراهيم بن ساعد الأنصاري (ت749هـ/1248م): إرشاد القاصد إلى أسنى المقاصد في أنواع العلوم، تحقيق وتعليق عبد المنعم محمد عمر، مراجعة، أحمد حلمي عبد الرحمان، ملتزم الطبع والنشر دار الفكر العربي، القاهرة، د_ت.
97. مارمول كربخال(ق10هـ/16م): إفريقيا، ترجمة: محمد حجي وآخرون، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرباط، المغرب، 1404هـ/1984م، 3ج.
98. المازري أبو عبد الله محمد (ت536هـ/1141م): فتاوى المازري، تقديم وجمع وتحقيق: الطاهر المعموري، الدار التونسية للنشر، تونس، 1994م.
99. الماوردي أبو الحسن بن محمد بن حبيب البصري البغدادي (ت450هـ/1058م): الأحكام السلطانية والولايات الدينية، تحقيق أحمد مبارك البغدادي، ط1، مكتبة دار ابن قتيبة، الكويت، 1409هـ/1989م.
100. المجليدي أحمد بن سعيد(ت1094هـ/1683م): التيسير في أحكام التسعير، تقديم وتحقيق موسى لقبال، ش، و، ن، ت، الجزائر، د_ت.
101. مجهول ينسب لابن عبد ربه (كان حيا أواخر ق6هـ/12م): الاستبصار في عجائب الأمصار وصف مكة والمدينة ومصر وبلاد المغرب، نشر وتعليق سعد زغلول عبد الحميد، دار الشؤون الثقافية العامة، العراق، بغداد، د_ت.
102. مجهول(ق8هـ/14م): مفتاح الراحة لأهل الفلاحة، تحقيق ودراسة محمد عيسى صالحية، إحسان صدقي العمد، ط1، الكويت، 1404هـ/1984م.
103. مجهول (ق8هـ/14م): مفاخر البربر، دراسة وتحقيق عبد القادر بوباية، ط1، دار أبي الرقراق، للطباعة والنشر، الرباط، 2005م.
104. مجهول(ق8هـ/14م): زهر البستان في دولة بني زيان، تحقيق وتقديم: بوزياني الدراجي، مؤسسة بوزياني للنشر والتوزيع، الجزائر، د_ت، ج2.
105. مجهول(ق9هـ/15م): كتاب نبذة العصر في أخبار ملوك بني نصر، تسليم غرناطة ونزوح الأندلسيون إلى المغرب، ضبطه وعلق عليه، ألفريد البستاني، ط1، مكتبة الثقافة الدينية، بورسعيد، 1463هـ/2002م.

106. مجهول(ق12هـ/18م): الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، حققه سهيل زكار، عبد القادر زمامة، ط1، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، 1399هـ/1979م.
107. المراكشي عبد الواحد (ت647هـ/1346م): المعجب في تلخيص أخبار المغرب من لدن فتح الأندلس إلى آخر عصر الموحدين مع ما يتصل بتاريخ هذه الفترة من أخبار القراء وأعيان الكتاب، تحقيق: محمد سعيد العريان، المجلس الأعلى للشؤون الاسلامية، الجمهورية العربية المتحدة، القاهرة، 1383هـ/1963م.
108. _ وثائق المرابطين والموحدين، تحقيق حسين مؤنس، ط1، مكتبة الثقافة الدينية، بورسعيد، الظاهر، 1997م.
109. ابن مرزوق أبو عبد الله محمد التلمساني الخطيب (ت781هـ/1379م): المسند الصحيح الحسن في مآثر مولانا أبو الحسن، دراسة وتحقيق: ماريا خيسوس بيغيرا، تقديم محمود بوعياد، ش، و، ن، ت، الجزائر، 1401هـ/1981م.
110. _المجموع: طبع باسم المناقب المرزوقية، دراسة وتحقيق سلوى الزاهري، ط1، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية، المملكة المغربية، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1429هـ/2008م.
111. ابن مريم محمد بن محمد المليتي المديوني التلمساني(ق11هـ/17م): البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، وقف على طبعه واعتنى بمراجعة أصله، محمد بن أبي شنب، المطبعة الثعالبية، الجزائر، 1326هـ/1908م.
112. المقدسي محمد بن أحمد بن أبي بكر (ت380هـ/990م): أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، مطبعة بريل، ليدن، 1877م.
113. المقري أبو العباس أحمد القرشي التلمساني(ت1041هـ/1631م): أزهار الرياض في أخبار عياض، ضبطه وحققه وعلق عليه: مصطفى السقا، إبراهيم الأبياري، عبد الحفيظ شلبي، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ج1: 1358هـ/1939م، ج2: 1359هـ/1940م، ج3: 1361هـ/1942م،ج5: تحقيق سعيد أحمد أعراب، عبد السلام الهراس، صندوق أحياء التراث الاسلامي المشترك بين المملكة المغربية والامارات العربية المتحدة، 1400هـ/1980م.
114. _نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، حققه إحسان عباس، دار صادر بيروت، 1408هـ/1988م، 8ج.
115. المنذري زكي الدين عبد العظيم(ت261هـ/م): مختصر صحيح مسلم، ط1، دار ابن حزم، لـ ط،ن،ت، بيروت، لبنان، 1424هـ/2003م.

116. المقريزي تقي الدين أبا العباس أحمد العبيدي(ت845هـ/م): السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق محمد عبد القادر عطا، ط1، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1418هـ/1997م، ج1.

117. النابلسي عبد الغني(ت1143هـ/م): علم الملاحة في علم الفلاحة، قرأه وعلّق عليه يحي مراد، نسخة إلكترومية من موقع: www.kotobarabia.com

118. النميري ابن الحاج إبراهيم بن عبد الله الغرناطي(توفي بعد774هـ/1372م): فيض العباب وإفاضة قداح الآداب في الحركة السعيدة إلى قسنطينة والزاب، دراسة وإعداد محمد بن شقرون، ط1، دار الغرب الاسلامي، بيروت، لبنان، 1990م.

119. النويري شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (ت733هـ/1333م): نهاية الأرب في فنون الأدب، تحقيق عبد المجيد ترحيني، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، د_ت، ج24.

120. ابن وحشية أبو بكر أحمد بن علي بن قيس الكسداني (ق4هـ/10م): الفلاحة النبطية، تحقيق توفيق فهد، المعهد العلمي الفرنسي، للدراسات العربية، دمشق، د_ت، 2ج.

121. _كتاب النخل: نقله محمود شكري الألوسي عن النسخة الخطية المحفوظة في خزانة المدينة والمكتوبة في 12 جمادى الآخرة، سنة، 324هـ، مجلة المورد، العدد1و2، 1391هـ/ 1971م، من مرفوعات مركز ودود للمخطوطات، المجلد1.

122. الورجلاني أبا زكريا يحي بن أبي بكر(ت471هـ/1073م): سير الأئمة وأخبارهم، تحقيق وتعليق إسماعيل العربي، المكتبة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1399هـ/1979م.

123. ابن الوردي سراج الدين عمر(ت861هـ/1457م): خريدة العجائب وفريدة الغرائب الدال على بدائع الأقطار والبحار وخصائص البلدان والأحجار، التزم بطبعه أحمد الجلبني الباني، مطبعة الهمام، مصر، القاهرة، 1302هـ.

124. _منافع النبات والثمار والبقول والفواكه والخضروات والرياحين، تحقيق وتعليق محمد سيد الرفاعي، دار الكتاب العربي، دمشق، د_ت.

125. الوزان الحسن بن محمد المعروف بليون الإفريقي (توفي بعد 957هـ/1559م): وصف إفريقيا، ترجمة محمد حجي، ومحمد الأخضر، ط2، دار الغرب الاسلامي، بيروت، لبنان، 1983م، ج1،ج2.

126. الوسياني أبو الربيع سليمان بن عبد السلام بن حسان(ق6هـ/12م): سير الوسياني، دراسة وتحقيق عمر بن لقمان حمو سليمان بوعصبانة، ط1، نشر وزارة التراث والثقافة، مسقط، سلطنة عمان، 1430هـ/2009م، ج1.

127. الونشريسي أبو العباس أحمد بن يحي التلمساني (ت914هـ/1508م): المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقية والأندلس والمغرب، خرّجه جماعة من الفقهاء بإشراف محمد حجي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1401هـ/1981م، 13ج.
128. اليعقوبي أحمد بن أبي يعقوب ابن واضح (ت284هـ/897م): كتاب البلدان، مطبعة بريل، ليدن، 1860.
129. أبو يوسف يعقوب بن ابراهيم صاحب الإمام أبي حنيفة (ت182هـ/798): كتاب الخراج، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيرُوت، لبنان، 1399هـ/1979م.

رابعا: المراجع:

1_المراجع باللغة العربية:

1. أحمد طه جمال: دراسات في التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للغرب الاسلامي، ط1، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، 2008م.
2. أحمد موسى عز الدين: النشاط الاقتصادي في المغرب الاسلامي خلال ق6هـ، ط1، دار الشرق، بيروت، 1403هـ/1983م.
3. أعفيف محمد: توات مساهمة في دراسة مجتمعات الواحات وتاريخها، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، د_ت.
4. بشير عبد الرحمن: اليهود في المغرب العربي(22_462هـ/642_1070م)، ط1، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، جمهورية مصر العربية، 2001م.
5. بن قربة صالح: عبد المؤمن بن علي موحد بلاد المغرب، سحب للطباعة الشعبية للجيش، 2007م.
6. بلحاج معروف، بودواية مبخوت: كتاب مرجعي حول تاريخ الجزائر في العصر الوسيط، رئيس المشروع عبد الحميد حاجيات، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر، د_ت.
7. بنميرة عمر: الثقافة والفقه والمجتمع، نماذج من المغرب الوسيط، دراسة تاريخية، جذور للنشر، الرباط، د_ت.
8. بوتشيش إبراهيم القادري: المغرب والأندلس في عصر المرابطين، المجتمع، الذهنيات، الأولياء، ط1،دار الطليعة، ط_و. ن، بيروت، لبنان، 1993.
9. _ إضاءات حول تراث الغرب الاسلامي، وتاريخه الاقتصادي والاجتماعي، ط1، دار الطليعة للطباعة والنشر 2002م.
10. بورويبة رشيد: الدولة الحمادية، تاريخها وحضارتها، د، م، ج، الجزائر، 1397هـ/ 1977م.
11. بوطالب محمد نجيب: سوسيولوجيا القبيلة في المغرب العربي، ط1، مركز دراسات الوحدة العربية،

بيروت، لبنان، 2002م.
12. بولقطيب الحسين: جوائح وأوبئة مغرب عهد الموحدين، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، د_ت.
13. بونابي الطاهر: التصوف في الجزائر خلال القرنين 6 و7هـ/12و13م، (نشأته، تياراته، دوره الاجتماعي والثقافي والفكري والسياسي)، شركة دار الهدى لـ: ط. ن. ت، عين مليلة، د_ت.
14. بونار رابح: المغرب العربي، تاريخه وثقافته، ش، و، ن، ت، الجزائر، 1981م.
15. الجابري محمد عابد: العصبية والدولة "معالم نظرية خلدونية في التاريخ الاسلامي"، ط5و6، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1992م، 1994م.
16. الجزنائي علي(ت1350هـ/1931م): جني زهرة الآس في بناء مدينة فاس، تحقيق عبد الوهاب ابن منصور، ط2، المطبعة الملكية، الرباط، 1411هـ/1991م.
17. الجيلالي عبد الرحمن بن محمد: تاريخ الجزائر العام، ط2، مكتبة الشركة الجزائرية، الجزائر، دار مكتبة الحياة، بيروت، 1384هـ/1965م، 2ج.
18. الحريري محمد عيسى: تاريخ المغرب الاسلامي والأندلس في العصر المريني، (610_869هـ/ 1213_1465م)، ط1، ط2، دار القلم للنشر والتوزيع، الكويت، 1405هـ/1985م، 1408هـ/1987م.
19. حسن حسن علي: الحضارة الاسلامية في المغرب والأندلس، عصر المرابطين والموحدين، ط1، مكتبة الخانجي، مصر، 1980م.
20. حسن محمد: القبائل والأرياف المغربية في العصر الوسيط، دار الرياح الأربع للنشر، تونس، 1986م.
21. _ المدينة والبادية بإفريقية في العهد الحفصي، جامعة تونس الأولى، 1999، 3ج.
22. _الجغرافيا التاريخية لإفريقية من القرن 1إلى 9هـ، فصول في تاريخ المواقع والمسالك والمجالات، ط1، دار الكتاب الجديد، بيروت، لبنان، 2004م.
23. الحفناوي أبو القاسم محمد بن أبي القاسم الديسي: تعريف الخلف برجال السلف، مطبعة بيير فونتانة الشرقية في الجزائر، 1364هـ/1906م، ج1، ج2.
24. حليمي عبد القادر: جغرافية الجزائر (طبيعية، بشرية، اقتصادية)، ط1، الجزائر، 1968م.
25. حمداوي جميل: فقه النوازل في الغرب الاسلامي (نحو مقاربة تأصيلية)، مكتبة سلمى الثقافية، تطوان، د_ت.
26. خالدي عبد الحميد: الوجود الهلالي السليمي في الجزائر، دار هومة، لط،ن،ت، الجزائر، 2007م.
27. رزوق محمد: دراسات في تاريخ المغرب، ط1، إفريقيا الشرق، 1991.
28. أبو رميلة هشام: علاقات الموحدين بالممالك النصرانية والدول الإسلامية في الأندلس، ط1، دار الفرقان، للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 1404هـ/1984م.

29. السبتي عبد الأحد، حليمة فرحات: المدينة في العصر الوسيط قضايا ووثائق من تاريخ الغرب الاسلامي، ط1، المركز الثقافي العربي، 1994م.
30. سالم عبد العزيز: تاريخ المغرب العربي، مؤسسة شباب الجامعة للنشر والتوزيع، الاسكندرية، 1982م.
31. _المغرب الكبير، العصر الإسلامي، دراسة تاريخية وعمرانية وأثرية، دار النهضة العربية، لـ ط،ن،ت، بيروت، 1989م، ج2.
32. سعد زغلول عبد الحميد: المنصور الموحدي (580_595هـ/1184_1199)، منشأة المعارف،جلال جزي وشركاه، الاسكندرية، ج7، د_ت.
33. _تاريخ المغرب العربي، المرابطون، صنهاجة الصحراء، الملثمون في المغرب والسودان والأندلس، ط1، منشاة المعارف، جلال جزي وشركاه، الإسكندرية، 1995م، ج4.
34. سعيدوني ناصر الدين: دراسات تاريخية في الملكية والوقف والجباية، ط1، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 2001م.
35. شنيتي محمد البشير: التغيرات الاقتصادية والاجتماعية في بلاد المغرب أثناء الاحتلال الروماني، م،و،ك، الجزائر، 1984م.
36. السلاوي أبو العباس أحمد بن خالد الناصري(ت1315هـ/1897م): الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق وتعليق جعفر الناصري، محمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، ج2: 1954م، ج3+ج4: 1955م.
37. أبو الضيف مصطفى أحمد عمر: القبائل العربية في المغرب في عصري الموحدين وبني مرين، د، م، ج، الجزائر، (د_ت).
38. الطمار محمد: المغرب الأوسط في ظل صنهاجة، د. م. ج، الجزائر، 2010م.
39. العبادي أحمد مختاري: دراسات في تاريخ المغرب والأندلس، دار المعرفة الجامعية، لـ ط، ن، ت، 1425هـ/2005م.
40. عبد الله محمد حسن: الريف في الرواية العربية ضمن، سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، عالم المعرفة، الكويت، عدد143، 1989م.
41. العبده محمد: البداوة والحضارة، نصوص من مقدمة ابن خلدون، المنتدى الاسلامي، ط1، لندن، 1413هـ/1993م.
42. عثمان محمد عبد الستار: المدينة الاسلامية، سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرهاالمجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، عالم المعرفة، الكويت، عدد 128، 1988م.
43. العربي إسماعيل: دولة بني حماد ملوك القلعة وبجاية، ش،و،ن،ت، الجزائر، 1980م.

44. علام عبد الله علي: الدولة الموحدية بالمغرب في عهد عبد المؤمن بن علي، دار المعارف، مصر، د_ت.
45. عمر موسى عز الدين: الموحدون في الغرب الاسلامي تنظيماتهم ونظمهم، دار العرب الاسلامي، د_ت.
46. عنان محمد عبد الله: عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس وهو العصر الثالث من كتاب دولة الاسلام في الأندلس، القسم الثاني، عصر الموحدين وانهيار الأندلس الكبرى، ط1، القاهرة، 1384هـ/1964م.
47. عويس عبد الحليم: دولة بني حماد، صفحة رائعة من التاريخ الجزائري، دار الصحوة للنشر والتوزيع، القاهرة، 1411هـ/1991م.
48. العيدروس محمد: المغرب العربي في العصر الإسلامي، دار الكتاب الحديث، 1430هـ/2009م.
49. طريح شرف عبد العزيز: الجغرافيا المناخية والنباتية مع التطبيق على مناخ إفريقيا ومناخ العالم العربي، دار المعرفة الجامعية، السويس، 2000م.
50. فتحة محمد: النوازل الفقهية والمجتمع، أبحاث في تاريخ الغرب الاسلامي من ق 6 إلى 9هـ/12_15م، منشورات كلية الآداب والعلوم الانسانية، 1999م.
51. الفقي عصام الدين عبد الرؤوف: تاريخ المغرب والأندلس، مكتبة نهضة الشرق، القاهرة، د_ت.
52. فيلالي عبد العزيز: تلمسان في العهد الزياني (دراسة سياسية، عمرانية، اجتماعية، ثقافية)، موفم للنشر والتوزيع، الجزائر، 2002، ج2.
53. القبلي محمد: الدولة والولاية والمجال في المغرب الوسيط، علائق وتفاعل، ط1، 1997م.
54. أبو كاريوس يوحنا أجندي: قطف الزهور في تاريخ الدهور، ط2، بيروت، 1885م.
55. كواتي مسعود: اليهود في المغرب الاسلامي من الفتح إلى سقوط الموحدين، ط2، دار هومة، 2000م.
56. محمود حسن أحمد: قيام دولة المرابطين، صفحة مشرقة من تاريخ المغرب في العصور الوسطى، ط2، دار الكتاب اللبناني، الكويت، 1416هـ/1996م.
57. محمود حسن علي: الحضارة الاسلامية في المغرب والأندلس (عصر المرابطين والموحدين)، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، د_ت.
58. المدني أحمد توفيق: حرب الثلاثمئة سنة بين الجزائر واسبانيا، 1492_1792م، ش. و. ن. ت، الجزائر، د_ت.
59. مزيان عبد المجيد: النظريات الاقتصادية عند ابن خلدون وأسسها من الفكر الاسلامي والواقع المجتمعي، دراسة فلسفية واجتماعية، الشركة الوطنية للمشر والتوزيع، الجزائر، 1981م.

60. مقديش محمود: نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار، تحقيق: علي الزواري، محمد محفوظ، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1988م، ج1.
61. المغراوي محمد: الموحدون وأزمات المجتمع، ط1، جذور للنشر، الرباط، 2006م.
62. ابن منصور عبد الوهاب: قبائل المغرب، المطبعة الملكية، الرباط، 1388هـ، 1968م، ج1.
63. الميلي مبارك بن محمد الهلالي: تاريخ الجزائر في القديم والحديث، تقديم وتصحيح محمد الميلي، المؤسسة الوطنية للكتاب، د_ت، ج1و2.
64. أبو مصطفى كمال السيد: جوانب من حضارة المغرب الاسلامي من خلال نوازل الونشريسي، مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندرية، 1997م.
65. النجار عبد الهادي علي: الاسلام والاقتصاد، دراسة في المنظور الاسلامي لأبرز القضايا الاقتصادية والاجتماعية المعاصرة، سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، عالم المعرفة، الكويت، العدد 63، 1983م.
66. بن نصر الله سعدون عباس: دولة المرابطين في المغرب والأندلس، عهد يوسف بن تاشفين أمير المرابطين، ط1، دار النهضة العربية، لـ ط، ن، ت، 1985م.
67. يوسف جودت عبد الكريم: الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في المغرب الأوسط خلال القرنين 3 _4هـ/ 9_10م، د،م،ج،، الجزائر، د_ت.

2_المراجع المعرّبة:

1. إدريس الهادي روجي: الدولة الصنهاجية، تاريخ إفريقية في عهد بني زيري من القرن 10 إلى 12م، نقله إلى العربية حمادي ساحلي، ط1، دار الغرب الاسلامي، 1992، ج2.
2. برشفيك روبير: تاريخ افريقية في العهد الحفصي، من القرن 13 إلى نهاية ق 15م، نقله إلى العربية حمادي ساحلي، ط1، دار الغرب الاسلامي، 1988، 2ج.
3. ج، ف، ب، هوبكينز: النظم الإسلامية في المغرب في القرون الوسطى، نقله عن الإنجليزية أمين توفيق الطيبي، الدار العربية للكتاب، ليبيا، تونس، 1980م.
4. جوليان شارل أندري: تاريخ افريقيا الشمالية (تونس، الجزائر، المغرب الأقصى، من البدء إلى الفتح الإسلامي، 647م)، تعريب محمد مزالي، البشير بن سلامة، الدار التونسية للنشر، 1969م.
5. رودنسون مكسيم: الإسلام والرأسمالية، ترجمة نزيه الحكيم، دار الطليعة لط، ن، ط4، بيروت، لبنان، 1982م.
6. مارسييه جورج: بلاد المغرب وعلاقاتها بالمشرق الإسلامي عبر العصور، ترجمة محمود عبد الصمد هيكل، راجعه واستخرج نصوصه، مصطفى أبو الضيف، توزيع منشأة المعارف، الاسكندرية، 1991م.

3_المراجع باللغة الأجنبية:

1.Cambuzat Paul_Louis: L'évolution des cirés du Tell en Ifrikya du 7eme au 11emesiécles, Office des publications universitaires, Alger, Tome 1.

2. Dhina Attallah : les états de l'occident musulman aux 13eme,14eme,15eme siécles, institutions gouvernementales et administratives, O,P,U, Alger.

3. Gsell Stephane : Histoire ancienne de l'afrique du nord, hachette, Paris, (1913-1928), Volume1.

4. Mercier Ernest : Histoire de l'afrique septentrionale (berberie), depuis les temps les plus reculés jusqu'à la conquête française(1830), Ernest leroux éditeur, Paris, 1888, Volume 2.

5. Laoust Emile : Mots et choses berbéres, notes de linguistique et d'éthnoghraphie, dialectes du Maroc, Augustin challamel Editeur, Paris, 1920.

4_الرسائل الجامعية:

1. أحمد المغربي ريحاب محمد كمال محمد: التجارة في عصر بني حماد، (408_547هـ/1017_1152)، إشراف: البيومي اسماعيل الشربيني، علاء طه رزق حسين، كلية الآداب، جامعة دمياط، 1436هـ/2015م.

2. بشاري لطيفة: التجارة الخارجية لتلمسان في عهد الإمارة الزيانية من القرن 7هـ إلى 10هـ/13_16م، رسالة ماجستير، إشراف موسى لقبال، جامعة الجزائر، 1406_1407هـ/1986_1987م.

3. بلبشير عمر: جزانب من الحياة الاجتماعية والاقتصادية والفكرية في المغربين الاوسط والأقصى من القرن 6إلى 9هـ/12_15م، من خلال كتاب المعيار للونشريسي، أطروحة دكتوراه في التاريخ الإسلامي، جامعة وهران، 2009/2010م.

4. بن عميرة محمد: الموارد المائية وطرق استغلالها ببلاد المغرب من الفتح الإسلامي إلى سقوط دولة الموحدين، دكتوراه دولة، إشراف موسى لقبال، جامعة الجزائر، 2004_2005م.

5. بوخاوش مريم: آثار سقوط الأندلس على بلاد المغرب الأوسط (6_10هـ/12_16م)، أطروحة دكتوراه علوم في التاريخ الإسلامي الوسيط، إشراف مبارك بوطارن، المدرسة العليا للأساتذة، بوزريعة، 2014/2015م.

6. خليفة مناع مرار: المزارعة والمساقاة في الشريعة الإسلامية، رسالة ماجستير، دار الرسالة للطباعة، بغداد، 1395هـ/1975م.

7. بن الذيب عيسى: الضرائب في عصر المرابطين (430_450هـ/1045_1056): مذكرة ماجستير، جامعة مصر، 1990م.

8. بولعسل أحسن: الضرائب في المغرب منذ عهد الولاة حتى سقوط الموحدين (96_668هـ/ 715_1269م)، مذكرة ماجستير، إشراف عبد العزيز فيلالي، جامعة منتوري، قسنطينة، السنة الجامعية: 1415_1416هـ/1994 _1995م.
9. عابد يوسف: الموحدون في بلاد المغرب 515هـ_595هـ/1120م_1199م، دراسة في الحياةالاقتصادية والاجتماعية، أطروحة لنيل شهادة دكتوراه الدولة في التاريخ الاسلامي، إشراف: عبد العزيز فيلالي، 2006_2007م، 2ج.
10. سكينة عميور: ريف المغرب الأوسط في القرنين 5و6هـ/11و12م، دراسة اقتصادية واجتماعية، مذكرة ماجستير في التاريخ الوسيط، تخصص تاريخ الريف والبادية، إشراف إبراهيم بحاز، جامعة قسنطينة 02، السنة الجامعية 1433_1434هـ/2012_2013م.
11. قدور أحمد: المدن الموحدية وعلاقتها بالأقاليم، دراسة اجتماعية اقتصادية، رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا في التاريخ، تحت إشراف محمد زنيبر، جامعة محمد الخامس، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، السنة الجامعية 1987_1988م، ج1.
12. أبو المعاطي يحي محمد عباسي: الملكيات الزراعية وآثارها في المغرب والأندلس (238_488هـ/ 852_1095م)، دراسة تاريخية مقارنة، رسالة دكتوراه، إشراف طاهر راغب حسين، جامعة القاهرة، 1421هـ/2000م.
13. هواري موسى: تقنيات الزراعة ببلاد المغرب من الفتح الاسلامي إلى سقوط دولة الموحدين من القرن (1_7هـ/7م_13م)، دكتوراه علوم في التاريخ الوسيط، إشراف محمد بن عميرة، جامعة الجزائر 02، السنة الجامعية: 2015_2016م.
14. سعداني محمد: الأندلسيون وتأثيراتهم الحضارية في المغرب الأوسط (ق7_9هـ/13_15م)، أطروحة دكتوراه في التاريخ والحضارة الاسلامية، اشراف: محمد بن معمر، جامعة أحمد بن بلة، وهران، 1436_1437هـ/ 2015_ 2016م.

5_المجلات والدوريات أعمال الملتقيات:

أ_باللغة العربية:

1. إنسنيتو محمد، مصطفى نشاط: الديموغرافيا التاريخية في أدب الرحلة، مجلة كنانيش، مجلة متخصصة في الديموغرافيا التاريخية، منشورات كلية الآداب والعلوم الانسانية، جامعة محمد الأول، العدد3، 2001م.
2. بنحمادة سعيد: أثر التقاويم الفلاحية في تطوير البستنة بالأندلس والمغرب خلال العصر الوسيط، مجلة عصور الجديدة، جامعة وهران، الجزائر، العدد 14و15، صيف وخريف، أكتوبر 1435هـ/2014م.

3. بوخالفة نور الهدى: استقرار العرب وإنشاء المدن والقرى في المغرب الوسيط، مقال ضمن كتاب ملتقى التغيرات الاجتماعية في البلدان المغاربية عبر العصور، جامعة قسنطينة، 2001.
4. بوداود عبيد: الاعتداء على الأحباس، نماذج تاريخ المغرب الاسلامي، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الأمير عبد القادر، المطبعة العربية، غرداية، العدد 11، 2010.
5. بورويبة رشيد: عنابة من الفتح الإسلامي إلى أواخر العهد الموحدي، مجلة الأصالة، مكتبة البعث، قسنطينة، العدد 34و35، 1396هـ/1976م.
6. بلحميسي مولاي: نهاية دولة بني زيان، الأصالة، العدد 26، 1975م، المجلد1.
7. بلغيث محمد الأمين: الأندلسيون وآثارهم بفحص الجزائر ومتيجة، مقال ضمن كتاب: دراسات وبحوث مغربية، أعمال مهداة إلى الأستاذ الدكتور: موسى لقبال، إعداد وتنسيق: إسماعيل سامعي، عمارة علاوة، اشراف: بوبة مجاني، دار بهاء الدين، للنشر والتوزيع، قسنطينة، 2008م.
8. بلمدني نوال: النحل وإنتاج العسل ببلاد المغرب الأوسط خلال العصر الوسيط، مقال ضمن مجلة عصور الجديدة، العدد 14و15، صيف وخريف، أكتوبر 1435هـ/2014م.
9. بن عميرة محمد: توصيل المياه وتخزينها ببلاد المغرب من الفتح الإسلامي إلى سقوط دولة الموحدين، مجلة دراسات تراثية، الجزائر، العدد2، 2008م.
10. جحا فريد: التراث العربي الأندلسي في ميدان علم النبات، مقال ضمن كتاب إسهامات العرب في علم النبات، أعمال الندوة العالمية الثالثة لتاريخ العلوم عند العرب (10_14 ديسمبر 1983م)، ط1، الكويت، 1408هـ/1988م.
11. جعفري أحمد: نظام الفقارة وآلية توزيع الماء في منطقة توات (ولاية أدرار) وأثره على مختلف التحولات الاجتماعية لسكان الاقليم، مجلة دراسات تراثية، جامعة الآثار، الجزائر، العدد1، 2007م.
12. حبيدة محمد: الماء في المغرب، التقنية والتنظيم، مقال ضمن كتاب: الماء في تاريخ المغرب، منشورات كلية الآداب والعلوم الانسانية، سلسلة ندوات ومناظرات، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، 1999م.
13. حروز عبد الغني: الإنتاج الزراعي في المغرب الأوسط من خلال كتاب المعيار للونشريسي، دورية كان التاريخية، دار ناشري للنشر الإلكتروني، الكويت، أرشيف الأنترنيت الرقمي العالمي، العدد 29، سبتمبر 2015م.
14. حسن محمد: الريف المغربي في أواخر العصر الوسيط، مدخل لدراسته من خلال نوازل الونشريسي، مقال ضمن ملتقى: Le monde rural magribin, communautés et stratifications sociales (Oran 26,27,28) Novembre,1983,Tome1,O,P,U,Alger.

15. _أصناف الإنتاج الزراعي بإفريقية من القرن 6هـ/12م إلى القرن 9هـ/15م، مقال ضمن كتاب الفلاحة والتقنيات الفلاحية بالعالم الإسلامي في العصر الوسيط، تحت إشراف حسن حافظي علوي، مؤسسة الملك عبد العزيز، الدار البيضاء، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، 2011م.
16. حليم عبد الجليل: التحديث القروي ورأسملة الزراعة المغربية، مقال ضمن كتاب تطور العلاقات بين البوادي والمدن في المغرب العربي، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، 1988م.
17. حناوي محمد: الأدوات الفلاحية الأندلسية من خلال المصادر، كتب الفلاحة نموذجا، مجلة الاجتهاد، بيروت، العدد 34_35، 1997م.
18. خلف محمد نجيب: المغرب الأوسط في كتابة الرحالة والجغرافيين العرب، مقال ضمن تاريخ الجزائر في العصر الوسيط من خلال المصادر، رئيس المشروع: صالح بن قربة، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954م، الجزائر، 2007م.
19. خليلي بختة: دور بعض السلاطين والفقهاء والوجهاء الزيانيين في مواجهة ظاهرة الفقر بالمغرب الأوسط، مجلة الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والانسانية، قسم العلوم الاجتماعية، عدد 15، جانفي 2016.
20. رشيد عبد العزيز: الحبوب في أسواق المغرب الأوسط، مجلة عصور الجديدة، العدد 11و12، 1434_1435هـ/2013_2014م.
21. السبع محمد مروان: أسس الزراعة ونظمها عند العرب، مقال ضمن كتاب إسهامات العرب في علم الفلاحة، أعمال الندوة العالمية الثالثة لتاريخ العلوم عند العرب (10_14 ديسمبر 1983م)، ط1، مؤسسة الكويت للتقدم العلمي، الكويت، 1408هـ/1988م.
22. سويسي محمد: مسائل الري والفلاحة في المغرب العربي عبر العصور، مقال ضمن كتاب إسهامات العرب في علم الفلاحة.
23. الشيهابي مصطفى: أخطاء شائعة في ألفاظ العلوم الزراعية والنباتي وكلمات مولدة يفيد إقرارها، مجلة المجمع العلمي العربي، دمشق، 1383هـ/1963م، ج3و4.
24. بن عبد الله نور الدين: العمارة التقليدية بإقليم توات، القصر نموذجا، دورية كان التاريخية، العدد 15، مارس 2012م.
25. عبيد عبد اللطيف: المدرسة الفلاحية بالأندلس في القرنين 5و6هـ، مقال ضمن كتاب إسهامات العرب في علم الفلاحة.
26. العجلاوي الموساوي: تقنيات استخراج المياه الباطنية في مناجم الفضة في المغرب من القرن 2_7هـ/8_13م، مقال ضمن كتاب الماء في تاريخ المغرب.
27. العربي إسماعيل: العمران والنشاط الاقتصادي في الجزائر في عصر بني حماد، الأصالة، العدد19، 1394هـ/1974م.

28. _بجاية من خلال النصوص العربية، نفس المجلة والمجلد.
29. عروق عبد الكريم: دراسة نموذجية لبعض المباني بقصر ورقلة، مجلة آثار، معهد الآثار، جامعة الجزائر، العدد6، 2007م.
30. علوي محمد لمراني: قضايا الماء في بلاد المغرب الأقصى من خلال كتب النوازل الفقهية "المعيار الونشريسي كنموذج"، مقال ضمن كتاب: الماء في تاريخ المغرب.
31. صاري جيلالي: مساهمة ابن خلدون في تحليل علاقات المدينة والريف، مجلة الأصالة، العدد 64،السنة السابعة، محرم 1399هـ/ديسمبر 1978م.
32. الصباغ ليلى: عنابة، إسمها، موقعها، علاقتها مع العالم المتوسطي حتى الاحتلال الفرنسي، مجاة الأصالة، مكتبة البعث، قسنطينة، العدد 34و35، 1396هـ/1976م.
33. صفر ناصر حسين: النباتات الطبية عند العرب، مقال ضمن كتاب إسهامات العرب في علم النبات.
34. طوهارة فؤاد: النشاط الاقتصادي في تلمسان خلال العصر الزياني _7_9هـ/13_15م)، مجلة جيل للعلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد 2، 2014م.
35. طويلب عبد القادر: النظام المالي الجبائي في الدولة الموحدية وأثره عليها، القبالات نموذجا، دورية كان التاريخية، العدد 25، سبتمبر 2014م.
36. الفهري عبد الحميد: البربر الجبالية في المغرب في العصور الوسطى، مقال ضمن كتاب **ملتقى التغيرات الاجتماعية.**
37. فيلالي عبد العزيز: قلعة بني حماد الحاضرة الاقتصادية والثقافية للمغرب الأوسط خلال القرن 5هـ/11م، مجلة كلية الآداب والعلوم الانسانية، جامعة الأمير عبد القادر، المطبعة العربية، غرداية، العدد7، 1427هـ /2006م.
38. قصقص هلا محمد غسان: ابن العوام وكتاب الفلاحة، دراسة في مفهوم الحديقة الاسلامية، مقال ضمن: IMG journal of Natural and Engineering studies, Pear_reviewed journal of Islamic University_Gaza,2014, vol 22,N:°2_PP:1_19.
39. قويسم محمد: الزراعة في منطقة الأوراس في العصر الوسيط من خلال كتب الرحلة والجغرافيا، مقال ضمن دورية كان التاريخية، عدد 21، سبتمبر 2013م.
40. الكادي يوسف: أساليب الزراعة والغراسة والتناوب بين الاستغلال والاستراحة في الأندلس خلال القرن 5هـ، مقال ضمن كتاب الفلاحة والتقنيات الفلاحية.
41. لقبال موسى: طبنة مدينة الزاب والأوراس في العصور الوسطى، مجلة الأصالة، العدد 60_61، 1391هـ/1971م.

42. _ ميزات بجاية وأهمية دورها في مسيرة تاريخ المغرب الأوسط في العصور الوسطى، مجلة الأصالة، العدد 19، 1394هـ/1974م.
43. محمد الفايز: الأفكار الاقتصادية والاجتماعية في كتب الفلاحة العربية، انطلاقا من الفلاحة النبطية، مقال ضمن كتاب: إسهامات العرب في علم الفلاحة.
44. مزيان أحمد: استغلال الماء في الواحات، نموذج فجيج (فكيك)، مقال ضمن كتاب: الماء في تاريخ المغرب.
45. ورياشي قيس مرزوق: التراتبات الاجتماعية والتراتبات المجالية، مقال ضمن كتاب: تطور العلاقات بين البوادي والمدن في المغرب العربي.

ب_باللغة الأجنبية:

1. Amara Allaoua : Retour à la problématique du déclin économique du monde musulman médiéval, le cas du Maghreb hammadide (11eme–12eme siécles) , The Maghreb peview, long life paper, Volume 23, 2003.

2. Communautés rurales et pouvoires urbains au Maghreb central (7eme_ 14eme siécles), Revue des mondes musulmans et de la Méditterrannée, 126, 2009.

3. Berque Jacques: Les hilaliens repentis ou L'Algérie rurales au 15eme siècle, d'aprés un manuscript jurisprudential, Annales E,S,C, 25eme année, N=°5, 1970.

4.En lisant les Nawazil Mazounna, Studia Islamica, 1970, 32,G,P, Maisonneuve-Larose, Paris,MCMLXX.

5. Boukhabza Mohamed: Quelques problems méthodologiques que pose la collecte d'information en vue d'une recherché socio-économique, Acte du colloque: Méthodes d'approche du monde rural, O,P,U, Alger, 1984.

6. Daghfous Radhi: Les hilaliens et le pouvoire politique en Ifriqiya à la fin du moyen age, Mélange de l'école française de Rome, moyen age, Tome 115, N=°1, 2003.

7. Despois Jean: La culture en Terraces dans l'afrique du nord, Annales E,S,C, 11eme année, N=°1, 1956.

8. F, Elie de la primaudie: Le commerce et la navigation de L'Algerie, Révue algérienne et colonial, Juin 1830, chapitre 7, Bougie.

9. Lawless,I, Richard: L'évolution du peuplement de l'habitat et des paysages agraires du Maghreb, Annales de géographie, Tome 81, N=° 446, 1972.

10. Tlemcen capitale du Maghreb central, analyse du function d'une ville islamique medieval, Revue de l'occident musulman et de la méditérranée, N=°20, 1975.

11. Mansouri Tahar: Produits agricoles rt commerce maritime en Ifriqiya aux 12eme_15eme siécles, In Médiévales, N=°33, 1997.

12. Valérian Dominique: Les Archives de Marcielle, sources de l'histoire du Maghreb medieval, le cas du port de Bougie (13eme_15eme siécles), Annales du Miditerranée, Revue Archéologique, historique et philologique de la France méridionale, Tome 113, N=°233, 2001.

13. Vanacker Claudette: Géographie économique de l'afrique du nord, selon les auteurs arabes du 9eme siécles aux milieu du 12eme siécles, Annales E,S,C, 1973, Volume 28, N=°3.

14. Voguet Elise: Le Maghreb central au 9eme_15eme siécles, résistance à l'idéal islamique d'unité, éditeur de la Sorbonne/hypothêse, 2004.

15. Chefs de tribus et murabitun, des élites rurales du Maghreb medieval?, MEFRM_124/2_2012, PP:375_382.

16. Appropriations et distributions de biens fanciers: L'enjeu politique et économique des terres mortes (mawat) au Maghreb medieval à la fin du Moyen Age, Revue du nord, n=°18, hors série collection art et Archélogie, 2013, PP: 129_133.

6_المعاجم والموسوعات:

1. جورج بيار: معجم المصطلحات الجغرافية، ترجمة حمد الطفيلي، مراجعة هيثم اللمع، ط2، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1422هـ/2002م.
2. الجوهري أبو نصر إسماعيل بن حماد (ت398هـ/): الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، راجعه واعتنى به محمد محمد تامر وبخرون، دار الحديث، القاهرة، 1430هـ/2009م.
3. دياب كوكب: المعجم المفصل في الأشجار والنباتات في لسان العرب، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1421هـ/2001م.
4. الزركلي خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس الدمشقي: الأعلام، قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، ط15، دار العلم للملايين، بيروت، 2002م، 8ج.
5. الشرباصي أحمد: المعجم الاقتصادي الإسلامي، دار الجيل، 1401هـ/ 1981م.
6. عمارة محمد: قاموس المصطلحات الاقتصادية في الحضارة الإسلامية، ط1، دار الشروق القاهرة، 1403هـ/1983م.
7. الغنيمي عبد الفتاح مقلد: موسوعة النشاط الاقتصادي في المغرب الإسلامي خلال القرن 6هـ/12م، ط1، دار الشروق، القاهرة، 1403هـ/1983م.
8. القاضي مصطفى محمود: معجم الهيدرولوجيا، تنفيد أوديت إلياس، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، 1404هـ/1984م.
9. قلعة جي محمد رواس، قنيبتي أحمد صادق: معجم لغة الفقهاء، عربي/ انجليزي، ط1، ط2، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1405هـ/1958م، 1408هـ/1988م.
10. ابن منظور أبا الفضل محمد بن مكرم الإفريقي(ت711هـ/1311م): لسان العرب، تحقيق عبد الله علي الكبير وآخرون، دار المعارف، القاهرة، 6 مجلدات، 55ج، د_ت.
11. نزيه حماد: معجم المصطلحات المالية والاقتصادية في لغة الفقهاء، ط1، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت، 1469هـ/2008م.
12. المعجم الوسيط: مجمع اللغة العربية، الإدارة العامة للمعجمات وإحياء التراث، ط4، مكتبة الشروق الدولية، 1425هـ/2004م.

فهرس الموضوعات

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الموضوع.....**الصفحة**.
مقدمة..... أ_ع
الفصل التمهيدي.....1
أولا: المغرب الأوسط الموقع والحدود..... 2
ثانيا: مقاربة حول جدلية الريف (المفهوم والمجال)..... 8
1_المفهوم..... 8
2_المجال..... 12
2أ_البيئة الطبيعية (تضاريس ومناخ)..... 12
2ب_القبيلة والسكان..... 14
2ج_العلاقة بين المفهوم والمجال(العلاقة بين الريف والمجالات الحضرية والبدوية) 14
ثالثا: إطلالة على النشاط الزراعي والبستني بأرياف المغرب الأوسط (المفهوم والخصائص) من القرن 5_10هـ/11_16م..... 16
I. المفاهيم المتعلقة بنشاط الزراعة والبستنة..... 16
1_الزراعة..... 16
2_الغراسة..... 18
3_الفلاحة..... 20
II. أهمية النشاط الزراعي والبستني..... 26
III. مناطق الاستقرار البشري (مناطق العمران) وعلاقتها بنشاط الزراعة والبستنة بأرياف المغرب الأوسط..... 32
1_امتداد المجالات الحضر_ريفية وعلاقتها بنشاط الزراعة والبستنة بالمغرب الأوسط..... 32
أ_المدينة..... 32
ب_الربض(الضاحية)..... 35
ج_الفحص..... 38
د_الحوز..... 40
2_مناطق التجمعات السكنية الريفية وعلاقتها بنشاط الزراعة والبستنة...40
أ_القرى..... 41
ب_الضياع..... 47
ج_الحصون/ القلاع/ القصور..... 48

د_البرج.....56
هـ_المجاشر/ الدواوير/ المشاتي..... 57
و_العمائر والقرارات..... 58
IV. **المفاهيم المتعلقة بمجالات ممارسة النشاط الزراعي والبستني بأرياف المغرب الأوسط**..... 59
1_مجالات الاستغلال الزراعي بأرياف المغرب الأوسط..... 59
أ_المزارع..... 59
ب_الحقول..... 64
ج_المرج..... 65
د_الهنشير..... 66
2_مجالات الاستغلال البستني بأرياف المغرب الأوسط..... 66
أ_البساتين..... 66
ب_الرستاق..... 75
ج_ الجنات..... 75
د_الغابة..... 78
هـ_العرصة..... 79
و_الحدائق والمنتزهات..... 80
ز_الرياض..... 83
ح_الحائط..... 84
3_مجالات مشتركة بين الاستغلال الزراعي والبستني..... 84
*الفدادين..... 85
الفصل الأول: العوامل المحيطة بنشاط الزراعة والبستنة بأرياف المغرب الأوسط (5_10هـ/11_16م) 87
المبحث الأول: العوامل المساعدة على نشاط الزراعة والبستنة..... 88
المطلب الأول: العوامل الطبيعية..... 88
1_ملائمة الظروف المناخية..... 88
2_وفرة الموارد المائية..... 88
3_الطابع السهلي وخصوبة التربة..... 93
أ_نطاق التربة التلية..... 93

ب_نطاق التربة النجدية(إقليم النجود، إقليم الهضاب العليا)..... 98
ج_نطاق التربة الصحراوية..... 100
المطلب الثاني: العوامل البشرية..... 101
1_الاستقرار السكاني والتطور العمراني..... 101
أ_الاستقرار السكاني..... 101
ب_التطور العمراني..... 111
2_سياسة الحكام في ميدان النشاط الزراعي والبستني..... 115
أ_توفير الأمن..... 115
ب_التخفيف من حدة الضرائب المجحفة..... 119
جـ_توسيع المساحات الزراعية..... 120
د_سياسة الاقطاع وتوطين القبائل..... 125
3_الهجرة الأندلسية ودورها في جلب اليد العاملة الفنية..... 127
4_انتعاش الحركة التجارية..... 130
المبحث الثاني: معوّقات النشاط الزراعي والبستني..... 131
المطلب الأول: العوامل الطبيعية..... 131
1_التقلبات المناخية (المناخ القاسي)..... 131
2_الكوارث الطبيعية (الجوائح)..... 131
أ_الجفاف والقحط..... 132
ب_الجراد..... 138
ج_الرياح والأعاصير، الثلوج، البرد والضباب..... 140
د_السيول والفيضانات..... 142
هـ_الزلازل..... 143
3_النباتات الضارة..... 143
المطلب الثاني: العوامل البشرية..... 144
1_الحروب والصراعات..... 144
أ_الحروب بين الأطراف الداخلية..... 144
ب_الحروب مع الجهات الخارجية..... 155
ج_نتائج الحروب والصراعات..... 158
د_الصراعات بين المجالات الحضرية والبدوية/والحضرية الريفية..... 166
2_قلة اهتمام الحكام بالأنشطة الفلاحية..... 167

3_كثرة الضرائب والمغارم..... 169
أ_فرض الضرائب من قبل الدول الحاكمة..... 169
ب_فرض الضرائب أثناء الحمالات العسكرية وبعدها..... 170
ج_فرض الضرائب من قبل القبائل البربرية والعربية..... 174
4_استخدام الطرق والتقنيات العتيقة..... 176
المبحث الثالث: عوامل التحول من النشاط الزراعي إلى النشاط البستني..... 177
الفصل الثاني: نظام الأرض والريّ بأرياف المغرب الأوسط (5_10هـ/ 11_16م) **179**
المبحث الأول: أنواع الأراضي واستغلال الأملاك الزراعية..... 182
المطلب الأول: أنواع الأراضي وطرق التملك (مقاربة حول المفاهيم والخصائص) 182
1_أراضي الدولة..... 182
أ_الأرض الخراجية (العنوية)..... 183
ب_أراضي الاقطاع..... 183
2_أراضي الموات..... 185
3_أراضي المشاعة (الجماعية)..... 186
4_أراضي الملك..... 187
5_أراضي الحبس (الوقف)..... 189
المطلب الثاني: استغلال الأراضي في النشاط الزراعي والبستني..... 190
1_استغلال الأراضي في النشاط الزراعي..... 190
أ_استغلال أراضي الدولة (أراضي الاقطاع)..... 190
ب_إحياء أراضي الموات بالنشاط الزراعي..... 193
ج_استغلال الأراضي الجماعية..... 193
د_استغلال أراضي الملك..... 194
هـ_استغلال أراضي الحبس..... 196
2_أساليب استغلال الأرض في النشاط الزراعي..... 197
أ_شركة المزارعة..... 197
ب_ مشاكل المزارعة..... 200
جـ_شركة الخماسة..... 201
3_استغلال الأراضي في النشاط البستني..... 204
أ_استغلال أراضي الدولة (أراضي الإقطاع)..... 204
ب_إحياء أراضي الموات بالنشاط البستني..... 205

ج_استغلال الأراضي الجماعية..... 206
د_استغلال أراضي الملك..... 206
هـ_استغلال أراضي الحبس..... 208
4_أساليب استغلال الأرض في النشاط البستني..... 210
أ_شركة المغارسة..... 210
ب_شركة المساقاة..... 212
ج_الشركة في علوفة الحرير..... 213
د_الشركة في أجباح النحل..... 213
المبحث الثاني: التنظيمات الزراعية بأرياف المغرب الأوسط..... 214
المطلب الأول: طرق الانتاج والتقنيات الزراعية والبستنية..... 214
1_إعداد الأرض للزراعة..... 214
أ_اختيار نوع التربة..... 214
ب_الحرث..... 216
ج_التسميد (التزبيل)..... 220
2_طرق الزراعة (التقنيات الزراعية)..... 222
أ_التقنيات الزراعية..... 223
ب_تقنيات البستنة..... 226
3_حماية المزارع والبساتين..... 234
4_أدوات العمل الفلاحي..... 236
5_أسلوب عمل الفلاحين..... 240
أ_كبار المُلاّك..... 241
ب_صغار المُلاّك..... 241
ج_الفلاحون المستأجرون..... 242
د_العبيد..... 242
هـ_الفلاحون الأجراء..... 242
و_الحراثين (الحراطين)..... 243
المطلب الثاني: استغلال الحيوانات في النشاط الزراعي والبستني..... 244
1_الحيوانات المستخدمة في الحرث..... 244
أ_الأبقار..... 244
ب_استخدام الجمال في الواحات الصحراوية..... 246

2_الحيوانات المستخدمة لتوفير الأزبال والسماد..... 246
أ_الأغنام..... 246
ب_الخيول..... 246
ج_الحمير والبغال..... 247
د_الدواجن..... 247
3_مشاكل استغلال الحيوانات في العمل الفلاحي..... 248
المبحث الثالث: نظام الري والتقنيات المائية بأرياف المغرب الأوسط..... 249
المطلب الأول: مصادر الري بأرياف المغرب الأوسط..... 249
1_الأمطار..... 249
2_الأنهار والأودية..... 250
أ_أنهار المنطقة الساحلية..... 250
ب_أنهار المناطق الداخلية..... 251
ج_أنهار الجنوب ورفارف الصحراء..... 253
3_العيون والآبار..... 254
أ_العيون..... 254
ب_الآبار..... 257
المطلب الثاني: نظام الري وكيفية توزيع واستغلال المياه بأرياف المغرب الأوسط (التقنيات المائية)..... **258**
1_أهمية السقي (الريّ)..... 258
2_عوامل تطور نظام الري بأرياف المغرب الأوسط..... 258
أ_اهتمام عامة السكان بنظام الري..... 258
ب_اهتمام حكام الدول بنظام الري..... 260
3_كيفية توزيع واستغلال المياه بأرياف المغرب الأوسط (طرق السقي)..... 260
أ_ملكية الماء بأرياف المغرب الأوسط..... 260
ب_استغلال المياه في النشاط الزراعي والبستني.....262
4_استغلال المياه في عمليات مكملة للعمل الفلاحي..... 267
أ_الأرحاء..... 267
ب_الصباغة..... 269
5_أدوات الري ووسائله بأرياف المغرب الأوسط..... 269
أ_أدوات الري..... 269

ب_وسائل الري..... 272
المطلب الثالث: مشاكل الري والسقاية بأرياف المغرب الأوسط (النزاع على المياه) 279
الفصل الثالث: الإنتاج الزراعي والبستني بأرياف المغرب من القرن (5_10هـ/11_16م) 282
المبحث الأول: الإنتاج الزراعي بأرياف المغرب الأوسط..... 284
المطلب الأول: الحبوب..... 284
1_القمح والشعير..... 284
أ_الشعير (الشنتية)..... 286
ب_القمح..... 287
2_حبوب أخرى..... 289
أ_الدخن..... 289
ب_السمسم (الجلجلان)..... 289
ج_الذرة..... 290
د_قصب السكر (القصب الحلو)..... 290
هـ_الأرز..... 290
3_البقول والقطاني..... 291
المطلب الثاني: النباتات الصناعية..... 293
1_نباتات الحياكة والنسيج..... 293
أ_القطن..... 293
ب_الكتان..... 294
ج_القنب (الشهدانج)..... 295
د_الحرير..... 295
هـ_الحلفاء..... 296
و_نبات الأسل (السمّار)..... 296
2_نباتات الصباغة..... 296
أ_النيلة (النيلج)..... 296
ب_قشر الجوز..... 297
ج_الأرجنة..... 297
د_العصفر (القرطم)..... 297
هـ_القرمز..... 297
3_النباتات الطبية..... 298

المطلب الثالث: إنتاج الأعلاف (العلوفات)..... 300
المبحث الثاني: الانتاج البستني بأرياف المغرب الأوسط..... 303
المطلب الأول: غراسة الأشجار المثمرة..... 303
1_الزيتون..... 305
2_العنب (الكرم)..... 307
3_التين..... 309
4_السفرجل..... 310
5_الجوز..... 311
6_الخرّوب..... 313
7_الحوامض..... 313
8_التمر..... 314
9_فواكه أخرى..... 316
أ_التفاح..... 316
ب_العنّاب..... 317
ج_التوت..... 318
د_المشمش..... 319
هـ_البرقوق..... 319
و_الكرز (حب الملوك)..... 320
ز_الخوخ..... 320
ح_البطيخ..... 321
ط_الإجاص (الكمثرى)..... 322
ي_الرمان..... 322
المطلب الثاني: غراسة الخضروات بأرياف المغرب الأوسط..... 323
1_الفول (الباقلاء)..... 323
2_الكرنب..... 324
3_البصل..... 324
4_اللفت..... 325
5_الثوم..... 325
6_الجزر..... 325
7_الباذنجان..... 325

8_البسباس..... 325
9_ الخيار..... 326
10_الكمأة (ترفاس)..... 326
المطلب الثالث: نباتات الحديقة والمنتزهات..... 327
1_المنتزهات والحدائق..... 327
2_أشجار الورد والرياحين..... 327
المبحث الثالث: تخزين المحاصيل الزراعية والبستنة بأرياف المغرب الأوسط 328
المطلب الأول: تخزين المحاصيل الزراعية..... 328
المطلب الثاني: تخزين المحاصيل البستنية..... 331
1_الخضر..... 331
2_الفواكه..... 331
المبحث الرابع: علاقة عائدات المنتجات الزراعية والبستنية بمداخيل الدولة التجارية والمائية (5_6هـ/11_16م)..... 333
المطلب الأول: الزراعة والبستنة والنشاط التجاري بالمغرب الأوسط..... 333
1_المعاملات التجارية بأرياف المغرب الأوسط (5_10هـ/11_16م).....333
أ_البيوع وأنواعها..... 333
ب_الأنظمة الاقتصادية (المعاملات المالية بأرياف المغرب الأوسط)..... 334
ج_المكاييل والأوزان..... 336
د_البيوع الفاسدة..... 337
هـ_عيوب البيوع..... 338
2_فائض الانتاج الزراعي والبستني وعلاقته برخص الأسعار وتطور الصناعة الحرفية 338
أ_الانتاج الزراعي والبستني وعلاقته برخص الأسعار..... 338
ب_فائض الانتاج الزراعي وعلاقته بتطور الصناعة الحرفية ذات الأصل النباتي 341
المطلب الثاني: مجالات التبادل التجاري للمنتجات الزراعية والبستنية..... 345
1_مجالات التبادل التجاري الداخلي..... 345
أ_التبادل التجاري على مستوى المناطق الريفية..... 345
ب_التجارة بين الريف والبادية..... 347
ج_التبادل التجاري بين المناطق الريفية والمدن والحواضر 347
د_التبادل التجاري بين مدن المغرب الأوسط..... 350

2_ مجالات التبادل التجاري الخارجي..... 352
أ_التبادل التجاري مع بلدان المغرب الإسلامي..... 353
ب_التبادل التجاري مع بلدان المشرق..... 355
ج_التبادل التجاري مع الشرق الأدنى والأقصى..... 356
د_التبادل مع المناطق الصحراوية وبلاد السودان..... 356
هـ_التبادل التجاري مع بلاد الأندلس الإسلامية..... 358
و_التبادل التجاري مع المدن الإيطالية والممالك النصرانية..... 359
المطلب الثالث: الزراعة والبستنة والسياسة المالية للدول الحاكمة..... 365
1_الضرائب المستخلصة من المنتجات الزراعية والبستنية (مفاهيم وخصائص) 365
أ_الضرائب الشرعية..... 365
ب_الضرائب الإضافية..... 367
ج_موارد مالية أخرى..... 368
2_الزراعة والبستنة والسياسة المالية للدول التي حكمت المغرب الأوسط(5_10هـ/11_16م)..... 368
أ_الزراعة والبستنة والسياسة المالية للدولة الحمادية..... 369
ب_الزراعة والبستنة والسياسة المالية للدولة المرابطية..... 372
ج_الزراعة والبستنة والسياسة المالية للدولة الموحدية..... 374
د_الزراعة والبستنة والسياسة المالية للدول الثلاث (الحفصية، الزيانية والمرينية)..... 379
الخاتمة..... 393
الملاحق..... 399
الفهارس العامة..... 427
فهرس المصادر والمراجع..... 446
فهرس الموضوعات..... 470
ملخص الأطروحة.

ملخص الأطروحة

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ملخص الأطروحة

أوضحت هذه الدراسة أهمية النشاط الزراعي والبستني، باعتبارهما عماد النشاط الفلاحي بأرياف المغرب الأوسط من القرن 5_10هـ/11_16م، مع التركيز على أهم المناطق الريفية المذكورة في ثنايا المؤلفات المصدرية _خاصة المصادر الجغرافية وكتب الرحلات إلى جانب المصادر النوازلية_، والتي أثرت إقتصاديا في أطرافها وضواحيها خاصة تلك القريبة من مراكز السلطة وبلاطات الحكام مثل أرياف بجاية، أرياف القلعة، أرياف بونة، أرياف تلمسان،...إلخ، بالإضافة إلى أرياف المناطق الجنوبية مثل أرياف الزاب، أرياف توات،....إلخ.

ورغم فترات الحروب والقلاقل إلى جانب الكوارث الطبيعية والجوائح التي كانت تجتاح المجالات الريفية بشكل دوري وشبه دائم، والتي أثرت سلبا على مردودية المحاصيل الزراعية والبستنية وساهمت في تراجع اليد العاملة (هجرات، كثرة الموتان والقتلى،....)، إلاّ أنّ ممارسة هذين النشاطين لم يتوقف حتى في فترات الاضطرابات والفوضى.

أبرزت هذه الدراسة أيضا أنّ محاصيل هذين النشاطين كانت مناطقية، ذلك أنّ كمية الإنتاج تختلف حسب درجة خصوبة التربة ووفرة الموارد المائية،...إلى جانب درجة الاستقرار البشري ومدى عناية السكان بها، والتي كانت تتناقص كلما اتجهنا جنوبا.

إنّ ثراء الأرياف وما كانت تجود به من منتجات زراعية وبستنية؛ كانت المصدر الرئيس والعامل القوي في استمرار علاقة الريف بالمدينة من خلال: المبادلات التجارية، الصناعات الحرفية، الضرائب،...إلخ، _ضمن إطار جغرافي موّحد_، وهو الأمر الذي ساهم في تنظيم السيرورة الحضارية لبلاد المغرب الأوسط بحواضره وأريافه، ليس فقط خلال النصف الثاني من العصر الوسيط، وإنما طيلة الفترات والأزمنة التاريخية.

Le résumé de la thêse

Cette étude a clarifiè l'importance de l'activitè agricole et horticole, comme pilier de l'activitè agricole dans les campagnes du Maghreb central du 5e_ 10e de l'higére/ 11_16 de j.c, en se concernant sur les zones rurales les plus importantes montionées dans la littérature source, en particulier les sources géographiques et les livres de voyage, ainsi que les documents juridiques, qui a économiquement affecté ses périphériés et banlieues, en particulier ceux qui sont proches des centre du pouvoir et les courtoisiés de dirigeants tels que les campagnes de : Bejaia, la Kalaa, Bonne, Tlemcen,…, en plus des zones rurales des régions du sud telles que les campagnes du Zab, Touat,…

Malgré les périodes de guerre et de troubles, ainsi que les catastrophes naturelles et les pandémies qui ont englouti périodiquement et semi-permanente les zones rurales, qui ont eu une incidence négative sur la productivité des cultures agricoles et horticoles et ont contribué au déclin de la main-d'œuvre (migrations, décés,…), cependant la pratique de ces deux activités ne s'est pas arrêtée même en période de troubles et de chaos.

Cette étude a également mis en évidence que les cultures de ces deux activités régionales, car la quantité de production varie en fonction du degré de fertilité du sol et de l'abondance des ressources en eau,…, en plus du degré de stabilité humaine et de la mesure dans laquelle la population s'en soucie, elle a diminué a mesure que nous nous dirigions vers le sud.

La richesse des campagnes et ses produits agricoles et horticoles ont été la principale source et un facteur important dans la porsuite de la relation rurale avec la ville par le commerce, l'artisanat, les taxes,…,qui avait un grand impact sur le processur civilisationel des villes et campagnes du Maghreb central non seulement durant la 2eme moitie du moyen age, mais aussi au long des périodes et les époques historiques .

The summary

This study clarified the importance of agricultural and horticultural activity, as the mainstay of agricultural activity in countrysides of middle Maghreb, from the (5th_10TH H century /11th_16thcentury), focusing on the most important rural areas montioned in the sources literature, particulary geographical sources and travel books, as well as the sourses of the jurisprudence, which has economically affected its outshirts and suburbs, especially thos close to the centers of power and the countries of rulers such as the countryside of :Bejaia, Kalaa, Bonn, Tlemcen,….in addition to the rural areas of southern region such as : Zab, Touat,… .

Despite periods of war and unrest along with natural disasters and pandemics that have periodically and semi-permanentaly engulfed rural areas, which have negatively affected the productivity of agricultural and horticulture crops and contributed to the decline in labour (migratins, death,…), however the paractice of these two activities did not stop ever in periods of inrest and chaos .

This study also highlighted that the crops of these two activities were regional, as the amount of production varies according to the degree of soil fertility and abundance of water resources,…, in addition to the degree of human stability and the extent to which the population cares about it, it decreased as we headed south.

The wealth of the countrysides and its agricultural and horticultural products were the main source and strong factor in the continuation of the rural relationship with the city through trade, crafts, taxes,…,that affected a strong civilisation of the cities and countryside of the middle Maghreb, not only during the second half of the middle ages, but through all periodes and historical ages.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

PEOPLE'S DEMOCRATIC AND REPUBLIC OF ALGERIA
MINISTRY OF HIGER EDUCATION AND SCIENTIFIC RESEARCH

UNIVERSITY EMIR ABDELKADER OF ISLAMIC SCIENCES CONSTANTINE
N° :……..
N° INSCRIPTION :……....

FACULTY OF LITTERATURE AND CIVILISATION
DEPARTEMENT OF HISTORY

Agriculture and Horticulture in the Middle Maghreb's countrysides from the (5th to 10th H.century/11th_16th century)

Thesis Submitted of the Requirement for the Doctorat of Sciences Degree in the médiéval History

(Option : civilisation of the middle Maghreb in islamic erea)

Presented by :
Sakina Amiour

Superivised by :
Pr . Youcef Abedd

Board of examiners

NAME	*Degree*	*University*	*Description*
Allaoua Amara	*Proffesor*	*Emir Abdelkader of islamic sciences,Constantine*	*Chairman*
Youcef Abedd	*Proffesor*	*Emir Abdelkader of islamic sciences,Constantine*	*Supervisor*
Nassira Azroudi	*Maitre conference A*	*Emir Abdelkader of islamic sciences,Constantine*	*Examiner*
Sana Attabi	*Maitre conference A*	*8 May 1945, Guelma*	*Examiner*
AbdelMalek Bkay	*Maitre conference A*	*Mohamed Lamine dabaghine, Sétif*	*Examiner*
Mohamed Kouicem	*Maitre conference A*	*20 August 1955, Skikda*	*Examiner*

Academic Year : 1442_1443h/2021_2022